سليم حسن

موسوعة مصر القديمة

الجزء السابع

موسوعة مصر القديمة (الجزء السابع)

موسوعة مصر القديمة (الجزء السابع)

عصر أسرة مرنبتاح ورعمسيس الثالث ولمحة في تاريخ لوبية

تأليف

سليم حسن

هنداوي

موسوعة مصر القديمة (الجزء السابع)

سليم حسن

الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٠١٧/١/٢٦

٣ هاي ستريت وندسور، SL4 1LD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي سي آي سي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره،
وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: سيلڤيا فوزي.

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ١٥٠٨ ٢

تمهيد

وصل البحث في الجزء السابق من تاريخ أرض الكنانة إلى نهاية عصر «رعمسيس الثاني» المنقذ العظيم لبلاده من محنتها في الداخل، والمعيد لمجدها وسلطانها في الخارج، بين أمم العالم المتمدين آنذاك. غير أن يقظة الأمم المجاورة لمصر في نهاية حكم هذا العاهل الذي امتد قرابة ثلاثة أرباع قرن، أنهك فيه مالية البلاد بمبانيه العظيمة وحروبه الطويلة، ثم تولى ابنه «مرنبتاح» من بعده عرش البلاد في سن ذهب عنه فيها شرخ الشباب وأصبح ينوء تحت عبء الشيخوخة؛ مهد للطامعين ممن حوله من الأمم المجاورة وغيرها في أرض مصر سبلهم، وسهل عليهم بلوغ مآربهم. ولا عجب إذن في أن نرى اللوبيين الذين كانوا جيران مصر منذ عهد ما قبل التاريخ يقومون بالزحف على الحدود المصرية بالتسرب إليها تارة، وبالتهديد والغزو تارة أخرى، وتدل الوثائق التاريخية التي في متناولنا على أن علاقة مصر في عهود ما قبل التاريخ بلوبيا كانت علاقة وثيقة، لدرجة أن المصري نفسه لم يكن يميز ذلك الشريط الضيق من الأرض الزراعية الذي كان يربط بلاده بجارتها لوبيا، وكذلك كانت الحال في أعين اللوبيين، فلم يكن في استطاعة لوبي أن يميز الحد الفاصل بين بلاده وبين مصر.

وقد دلت البحوث على أن الثقافة المصرية كانت تضرب بأعراقها في ثقافة أفريقيا وتقاليدها، وأن العلاقات الظاهرة بين البلدين ترجع إلى أصل أفريقي. ويُعْزَى ذلك بطبيعة الحال أولًا إلى الأطوار التي كان لها ارتباط وثيق بحياة القوم الروحية منذ أقدم العهود من حيث الدين واللغة والجنس، وهي عناصر لها أثرها الفعال في تقدم القوم ونموهم، وقد دلت البحوث على أن كل العناصر الأصلية كانت أفريقية النبعة في الأعم؛ وبذلك لعبت مصر بجوارها المباشر لبلاد لوبيا غربًا دورًا هامًّا في تاريخها يشبه الدور الذي لعبته في بلاد السودان جنوبًا.

ومنذ منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد تطوَّر موقف مصر هذا بالنسبة لجيرانها من أساسه؛ إذ قد أغلقت الحدود التي كانت مفتحة بينها وبين البلاد الغربية منها، ومن ثم ابتدأ عصر انفصال مصر عن البلاد القريبة المجاورة لها، وكذلك ابتدأ عصر ثقافة مصرية قائمة بذاتها خلافًا للعصر السابق الذي كانت تُعدُّ فيه جزءًا من الثقافة الأفريقية أو نوعًا منها، وقد فصلنا القول في تطور الأحوال بين مصر والقبائل المجاورة لها من جهة الغرب منذ بداية عصر التاريخ حتى نهاية عصر «رعمسيس الثالث».

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن استعمال كلمة «لوبيين» للدلالة على سكان غربي مصر هو استعمال خاطئ؛ وذلك لأنها لا تعني إلا قبيلة خاصة من سكان شمالي أفريقيا وهم الذين يسكنون الآن الإقليم المسمى «سرنيكا» في البقعة المرتفعة من «برقا»، وهي أقرب جزء من أفريقيا لبلاد اليونان القدامى عن سكان شمالي أفريقيا شرقيها وغربي وادي النيل، وهم الذين أطلقوا هذا الاسم على كل القبائل القاطنة في غربي مصر.

والواقع أن بلاد لوبيا كانت تتألف من قبائل مختلفة أهمها «التحنو» «والتمحو» «والمشوش» واللوبيون، وأقربهم لمصر صلة قبيلة «التحنو» التي يسكن أهلها على الحدود الغربية مباشرة.

وهؤلاء القبائل كانوا في نضال مع مصر منذ فجر التاريخ. وآخر حروب شنَّها المصريون قبل «رعمسيس الثاني» في عهد الفرعون «أمنمحات الأوَّل». ولم يكد يواري التراب «رعمسيس الثاني» هذا حتى قاموا بغزوة شاملة على أرض الدلتا، وقد شجعهم على ذلك القبائل التي هاجرت من شمالي أفريقيا، وكذلك هجرة أهل البحار الذين كانوا آنئذ ينقَضُّون على بلاد الشرق من كل حدب وصوب. غير أن «مرنبتاح» على الرغم من شيخوخته كان لا يزال فتيَّ القلب يضم بين جوانحه روحًا وثابًا، فأعد لهذا الخطر عدته بكل ما لديه من مال وعتاد، فوقف الغزاة عند تخوم بلاده بعد أن صدَّهم خارجها في موقعة فاصلة، ولكن شبح الخوف من هؤلاء الغزاة كان لا يزال

مائلًا أمام أعين المصريين، وقد ترك لنا «مرنبتاح» أنشودة عظيمة يصف لنا فيها الهزيمة الساحقة التي أنزلها بهؤلاء اللوبيين، كما أشار فيها إلى ما قام به من أعمال جليلة وما صبه من نكبات وأنزله من ويلات بأقوام البلاد الأخرى المجاورة التي تألبت عليه، وقد ذكر من بينهم قوم بني إسرائيل للمرَّة الأولى في تاريخ العالم على ما نذكر، ومن ثم تشعبت الآراء وتضاربت الأقوال في حادثة خروجهم من مصر، وفي اسم الفرعون الذي غادروا البلاد في عهده، لدرجة أن بعض المؤرخين أنكروا حادثة خروج هؤلاء القوم من أرض الكنانة، وهي التي جاء ذكرها في التوراة، وقالوا إنها مستعارة من حادثة أخرى وهي خروج الهكسوس من مصر. هذا بالإضافة إلى ما جاء من تضارب في تفسير وإيضاح الطريق التي سلكوها عند خروجهم من أرض الكنانة في شمالي الدلتا وتجاوزهم البحر، وما سكب من مداد في تفسير كلمة البحر الذي غرق فيه فرعون وقومه، وقد دلت البحوث الأخيرة على أن المقصود بالبحر هنا ليس البحر الأحمر أو بحر القلزم كما يُسمى عادة بل هو «اليم» الذي يطلق على النيل. وقد جاء الخطأ من طريق ترجمة عبارة «يام سوف» التي ورد ذكرها في سفر الخروج في الأصل العبري القديم الذي يرجع عهده إلى زمن البطالمة الأول، أي في القرن الثالث قبل الميلاد تقريبًا، ومعناها «يم الغاب» أو البردي، وهو يؤلف جزءًا من بحيرة المنزلة، غير أن المترجمين الذين قاموا بترجمة التوراة في القرن العاشر تقريبًا قد تصرفوا في ترجمة هذا التعبير فترجموه بالبحر الأحمر؛ ومن ثم حاول المؤرخون ارتكانًا على هذه الترجمة إيجاد حلٍّ مرضٍ، فتخبطوا زمنًا طويلًا في هذه السبيل على غير هدًى إلى أن اهتدى بعض الباحثين ومن بينهم مُهندسنا الكبير «علي بك الشافعي» لحل هذا المشكل بطريقة علمية بارعة، وقد شرح لنا الطريق التي اتخذها بنو إسرائيل إلى أن وصلوا إلى مقرِّهم بأرض «كنعان» (فلسطين) موطنهم المختار.

وكان هؤلاء اليهود يسكنون في بقعة من بقاع الجزء الشرقي من الدلتا. وكان «رعمسيس الثاني» قد سخرهم في إقامة عاصمة ملكه التي جاء ذكرها في التوراة باسم «رعمسيس» ودلَّت الكشوف

الحديثة على أنها «بر رعمسيس» (قنتيرا الحالية)، وهي التي خرجوا منها مُوَلِّين وجوههم شطر فلسطين، ومن أجل ذلك أصبح من المرجح أن خروج بني إسرائيل من مصر قد وقع في عهد «رعمسيس الثاني» أو في عهد ابنه «مرنبتاح» غير أن الرأي الأول هو الأرجح. وأنهم خرجوا من «قنتير» إلى «فلسطين» وعبروا بحيرة المنزلة في طريقهم إلى سينا لا البحر الأحمر، ومن ثم إلى فلسطين.

وقد كانت بوادر الأحوال في أواخر عهد «مرنبتاح» تنذر بسوء المنقلب؛ لما حل بالبلاد من فقر بسبب نضوب معينها من جراء الحروب الطاحنة، والقلاقل الداخلية بين أفراد أسرة هذا العاهل؛ إذ لم يكد يختفي عن مسرح الحياة حتى قام التطاحن على عرش البلاد، وتوالى الفراعنة عليه في فترات متقاربة بالعنف تارة وبالمؤامرة تارة أخرى، حتى إن المؤرِّخ الحديث لا يجد أمامه سبيلًا لاستخلاص ترتيب الفراعنة الذين حكموا البلاد في تلك الفترة ترتيبًا تاريخيًّا صحيحًا؛ ولذلك أصبحوا يشبهون عهد هذا العصر بالعصر الذي تلا موت «تحتمس الأول» مع الاحتفاظ للعهد الأخير بأنه كان عهد رخاء للبلاد، بينما كان الأوَّل عهد شقاء ومحن أدَّت بمصر إلى الهاوية وطمع فيها آسيوي غاصب يُدعى «إرسو» غزا البلاد واستولى عليها فترة من الزمن إلى أن هبَّ المصريون وعلى رأسهم الفرعون «ستنخت» أحد أبناء مصر الأماجد، فخلص البلاد من حكم هذا الأجنبي، واستردَّ لمصر استقلالها وسلطانها.

وقد كان حكم «ستنخت» فاتحة عهد جديد لمصر وهو عهد «الأسرة العشرين» بفضل الدم الفرعوني الجديد الذي بدأ يأخذ بزمام الأمور في البلاد، ويوجه سياستها إلى الطريق المؤدِّية لاسترداد مجدها الغابر وسلطانها المضيع في آسيا وأفريقيا. والواقع أننا لا نعلم عن هذا المخلص العظيم إلا القليل الذي على الآثار الباقية له، وما دونه عنه ابنه «رعمسيس الثالث» الذي يُعد بحق من أعظم الفراعنة الذين ساقهم القدر للنهوض بمصر فترة وجيزة من الزمن، فقد جعل الحياة تدب في أوصالها المتداعية، وتعيد الروح لجسمها المنحل، ولكنه لم يكد يُوارى في التراب حتى خلف

من بعده خلف لم يقووا على معالجة الأمراض المنتشرة في جميع نواحي جسم الدولة، وأسرعت الأمور بالدولة إلى الهاوية شيئًا فشيئًا إلى أن انحلت عراها، وتسرب الوهن إلى كل جزء من أجزائها، فعادت سيرتها الأولى من الانقسام إلى مصر العليا ومصر السفلى، ثم إلى مقاطعات.

غير أن عهد «رعمسيس الثالث» (١٢٠٠–١١٦٨ق.م) الذي كان يعدُّ بمثابة صحوة الموت في تاريخ مصر، كان فترة رخاء وقوة ومجد إذا لاحظنا الأحوال والأحداث التي كانت تقع في العالم الخارجي وفي البلاد المجاورة لملكه؛ فقد استطاع «رعمسيس الثالث» هذا في فترة وجيزة أن ينظم شئون البلاد الداخلية، ويصلح حالة الزراعة والمنتجات المحلية، فأثرت البلاد ونعم أهلوها؛ وأصبح في مقدوره أن يقيم القصور الفخمة والمعابد الضخمة التي لا تزال على مر الأيام تغالب الدهر وتجذب إليها أنظار الزائرين من كل أنحاء العالم. كما تمكن من إعداد جيش عظيم قوي الأركان حسن النظام، استطاع به أن يتغلب على أعداء البلاد الذين أرادوا أن يجتاحوها من البحر، والذين طمعوا في استيطانها من الغرب، وأخيرًا استطاع بقوة هذا الجيش المنظم أن يعيد لمصر جزءًا كبيرًا من إمبراطوريتها في آسيا، بعد أن كان قد استولى عليها وعلى مصر «إرسو» عنوة.

وقد دوَّن لنا «رعمسيس الثالث» كل مجهوداته الضخمة التي عادت على البلاد بأعظم المنافع وأبقاها في كتابين ضخمين؛ الأوَّل نقشه على الحجر، والثاني دوَّنه على الورق، وقد أسعد التاريخ الحظ ببقاء الكتاب الأوَّل مصورًا على جدران معبد مدينة «هابو» الذي رفع بنيانه هذا العاهل العظيم في «طيبة الغربية» كما حباه بإنقاذ الكتاب الثاني المدوَّن على القرطاس من غير الدهر وأحداثه؛ إذ عُثر عليه بين أوراق أخرى في أحد مخابئ «دير المدينة»، وتشاء الأقدار والعناية الربانية أن ينقذه مرة أخرى من لهيب النار التي اندلعت في «الإسكندرية» بالقرب من المكان الذي احتفظ فيه «هاريس» بمجموعته من أوراق البردي وغيرها.

وقد صوَّر لنا «رعمسيس الثالث» على جدران معبد مدينة «هابو» الذي كان يشمل في داخل أسواره قصره الفاخر كل مناظر الحروب التي شنَّها على أعدائه، وقد ظهر فيها بمظهر الفاتح المظفر، والجندي الشجاع الذي يغامر بحياته في وسط المعمعة.

هذا بالإضافة إلى ما صوَّر من مناظر تكشف لنا عن حياة الملوك في ذلك العصر في قصورهم الخاصة وقت فراغهم، وكذلك طرادهم وحياتهم الدينية، واتصالاتهم الخارجية ومعاملاتهم للأقوام المهزومين، وغير ذلك من صور الحياة.

والواقع أن الفترة التي عاش فيها «رعمسيس الثالث» تُعد من أحرج الفترات في تاريخ مصر، ومن أهم العهود في تاريخ الجنس البشري؛ إذ في تلك الحقبة من الدهر قامت هجرة عظيمة انحدرت من آسيا الصغرى، ومن شمالي البحر الأبيض المتوسط، وكان غرضها غزو بلاد الشرق، والاستيلاء على مصر. وتدل شواهد الأحوال على أن هؤلاء الأقوام قد أتوا من جزر البحر مثل صقلية وسردينيا، ومن أوروبا، فكان ذلك أول اختلاط لمصر بالأوروبيين، وقد زاد الطين بلة، وعقَّد الأمور أمام «رعمسيس الثالث» للقضاء عليهم أن قام أهل «لوبيا» الأصليون يساعدهم قبائل أخرى، وبخاصة «المشوش»، بالزحف على مصر حتى وصلوا إلى أرض الدلتا، يساعدهم في ذلك أقوام البحار، فأخذ «رعمسيس الثالث» للأمر أهبته، وتقابل مع اللوبيين والمشوش في مواقع طاحنة انتهت بفوز مصر، وردَّ الأعداء على أعقابهم مؤقتًا، وفي تلك الفترة كان أقوام البحار يتأهبون للزحف على مصر بحرًا وبرًّا من جهة فلسطين، وقد كان «رعمسيس الثالث» قد علم بنبأ زحفهم من قبل، فاستعد لملاقاتهم على ما يظهر في بلاد «كنعان» نفسها، وأحاق بهم هزيمة نكراء. أما أولئك الأقوام الذين أرادوا غزو مصر من البحر فقد فوت عليهم غرضهم؛ إذ أقام الاستحكامات، ونصب المتاريس على ساحل البحر عند «دمياط»، ووقف هو على الساحل مع جنوده يعاضد أسطوله الذي أخذ ينازل أسطول العدو في أول معركة بحرية مصوَّرة عُرفت في تاريخ العالم، وقد ترك لنا صورتها على جدران معبد مدينة «هابو» نشاهده

فيها وهو واقف كالعملاق بين جنوده يصب على أسطول العدو وابلًا من سهامه، وقد أسفرت الواقعة عن انتصار عظيم للأسطول المصري.

وبعد هذه الانتصارات على قبائل «لوبيا» وأقوام البحار لم يبقَ أمامه إلا غزوات قام بها على الخارجين من أهل «سوريا» العليا والولايات المتاخمة لها، وقد أحرز النصر المبين عليهم جميعًا، وبذلك أصبحت الولايات الآسيوية تدين له بالطاعة كما كانت تخضع له بلاد لوبيا وقبائلها المختلفة.

أما بلاد «كوش»، فتدل النقوش على أنه كان قد غزاها في بادئ حكمه على أثر بعض ثورات هبَّت فيها، ومن ثم بقيت موالية له تؤدِّي جزيتها سنويًّا.

وتدل الوثائق التي في متناولنا على أن «رعمسيس الثالث» قد قضى البقية الباقية من حياته، أي بعد السنة الثانية عشرة من حكمه في هدوء وسلام، وأنه وجه عنايته لإقامة العمائر والمعابد الضخمة في أنحاء البلاد. ولا أدل على ذلك مما جاء في ورقة «هاريس الكبرى» التي تعد أكبر ورقة وصلت إلينا عن تاريخ فرعون مفصلة أعماله؛ إذ يبلغ طولها أكثر من أربعين مترًا، وقد دوِّنت بالخط الهيراطيقي البديع، ولكن مما يُؤسف له جد الأسف أن محتويات هذه الوثيقة الفذة، إذا استثنينا الجزء التاريخي منها قد سِيء فهمه إلى زمن قريب جدًّا، فقد تناولها كل من الأستاذين «إرمان» و«برستد» بالبحث والتحليل، وخطوا في فهم المتن خطوات واسعة، إلا أنهما ارتكبا أغلاطًا جسيمة شوَّهت الحقائق التاريخية تشويهًا مشينًا إلى أقصى حد، لدرجة أن بعض علماء الآثار، ونخص منهم بالذكر الأستاذ «جاردنر» الضليع في فقه اللغة المصرية، قد تساءل كيف أن علماء اللغة قد فاتهم الغرض الأصلي الذي وضعت من أجله هذه الورقة حتى كتب الأستاذ «شادل» مقاله الرائع عن القوائم التي تحتوي عليها ومغزاها؟ والواقع أن كلًّا من «إرمان» و«برستد» قد فهم خطأ أن المعابد والعمائر والهبات التي ذكرت في ورقة «هاريس» وهي الخاصة بالإله «آمون» في «طيبة» والإله «رع» في «هليوبوليس» والإله «بتاح» في «منف»،

وكذلك معابد الأقاليم كانت تشمل كل ممتلكات المعابد السابقة، وأن «رعمسيس الثالث» قد أقر هذه الممتلكات، وبذلك ثبت دعواه بأنه هو المُنعم بها كلها. ولكن مقال الأستاذ «شادل» قد جاء على العكس من ذلك، فهو يؤكد بصراحة أن محتويات الورقة لا تتناول إلا الإضافات التي وهبها «رعمسيس الثالث» ضياع المعابد أو المعابد التي بناها هو، وعلى ذلك فما جاء في الورقة لا يمكن أن نقدر به مجموع ثروة الكهنة آنئذ؛ يُضاف إلى ذلك أن «شادل» نفسه قد انساق مع كل من «إرمان» و«برستد» في بعض الأخطاء التي ارتكباها، ولم يمكنه التخلص منها، فقد ظنَّ معهما أن الأرقام المتصلة بالمواد المختلفة تمثل مجموع المنح التي قدِّمت خلال مدَّة حكم هذا الفرعون كلها وهي واحد وثلاثون سنة، وعلى ذلك قسمها واحدًا وثلاثين جزءًا؛ لكي يصل إلى متوسط الدخل السنوي للمعابد. ولكن نثبت فعلًا بالبراهين أن هذه الأرقام لا تضع أمامنا إلا الدخل السنوي، لا دخل مدة حكم هذا الفرعون كلها. ويكفي أن نقول هنا إن هذا الخطأ الفاحش وحده قد جعل كلا من «برستد» و«إرمان» يقدِّر دخل المعابد في عهد «رعمسيس الثالث» بجزء من واحد وثلاثين من قيمته الأصلية، فإذا أضفنا الأوقاف الأصلية التي كانت للمعابد الرئيسية الثلاثة والمعابد الصغيرة قبل تولية «رعمسيس الثالث» وما كانت تنتجه اتضح لنا الفرق الشاسع بين ما قدَّره «برستد» من أملاك وتابعين لأملاك الآلهة، وبين التقدير الحقيقي بعد فهم المتن على الوجه الصحيح.

وقد وصلنا في بحثنا هنا إلى أن النسبة المئوية من عدد السكان التي كانت تملكها المعابد قد أصبحت على ضوء فهم المتون حوالي ٢٠٪، وأن ما تملكه من أرض مصر الزراعية بدلًا من ١٠٪ قد أصبح ٣٠٪، وهكذا يتضح أمامنا جليًّا مقدار ثروة الكهنة في تلك الفترة؛ مما مهد لهم السبيل للسيطرة على شئون البلاد الاقتصادية فضلًا عن سيطرتهم الدينية، وقد انتهى بهم الأمر بذلك على إثر سقوط آخر الرعامسة إلى السيطرة السياسية، فتولوا حكم البلاد، وألفوا حكومة دينية في ظاهرها، ولا غرابة في ذلك؛ لأن الناحية الدينية وبخاصة عبادة «آمون» مسيطرة على عقول

الشعب والفرعون معًا، كما سيرى القارئ في الترجمة التي وضعناها لورقة «هاريس»، وكما تدل الأرقام التي استخلصناها من دراستها. وعلى الرغم من أن معظم محتويات هذه الورقة خاص بالآلهة ومعابدهم، فإن الجزء التاريخي منها ينير لنا السبيل لفهم النقوش والمناظر التي صوَّرها «رعمسيس الثالث» على جدران معبد «مدينة هابو» وبخاصة حروبه.

هذا فضلًا عن أنها تقدم لنا فكرة عن حالة البلاد الزراعية ومنتجاتها المعدنية وما فيها من مصانع ومعامل، وكذلك تحدثنا عن تجارة مصر الخارجية، وبخاصة اتصالاتها ببلاد «سينا» و«بنت» — بلاد الصومال واليمن — وما كانت تجنيه البلاد من ممتلكاتها خارج مصر، وقد لمح لنا «رعمسيس الثالث» عن حالة الرخاء والأمن في البلاد حتى إن المرأة أصبحت تسير في الطرقات دون أن يعترضها أي فرد من سفلة القوم وأشرارهم. وكذلك أقام المتنزهات في أنحاء البلاد، وغرسها بالأشجار الوارفة يستظل القوم بوارف ظلالها في حمارة الصيف. كما أنه أقام العدل في كل ربوع البلاد بين مختلف الطبقات على السواء.

وفي الحق إذا أخذنا معيارًا لحالة السكان وقتئذ، وما كانت تملكه الأسرة المتوسطة من الفلاحين التابعين للمعابد، وجدنا أن الأسرة المصرية وقتئذ كانت أسعد حالًا وأرغد عيشًا من الأسرة المصرية الحالية؛ إذ كان رب الأسرة يملك حوالي سبعة أفدنة ونصف فدان يزرعها ويؤدِّي عنها خراجًا بسيطًا، غير أن العمال على ما يظهر لم يكونوا سعداء الحال إذا صدقنا ما جاء في ورقة الإضراب التي تحدثنا أن العمال قد أضربوا في السنة التاسعة والعشرين من حكم «رعمسيس الثالث» بسبب قلة الجرايات، وقد يكون السبب المباشر في ذلك ارتباك الأحوال داخل البلاد، وقيام مؤامرة دبرتها إحدى نساء القصر لاغتيال الفرعون. هذا فضلًا عن ازدياد عدد الأجانب في البلاد، وسيطرتهم على كثير من شئون الدولة، مما أدَّى إلى تدهورها، وإفساح الطريق للكهنة لتولي حكم البلاد بما لديهم من مال وسلطان، وسترى في الجزء التالي إن شاء الله كيف أن الأحوال في مصر

قد أخذت تنحدر شيئًا فشيئًا حتى زال حكم الرعامسة جملة، ودخلت البلاد في طور جديد من تاريخها.

شكر

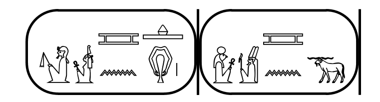
وإني أتقدم هنا بعظيم شكري لصديقي الأستاذ محمد النجار ناظر مدرسة القزلار الأميرية لما قام به من مراجعة أصول هذا الكتاب وقراءة تجاربه بعناية بالغة، كما أتقدم بوافر الثناء على حضرة الأستاذ محمد نديم مدير مطبعة دار الكتب المصرية لما بذله من جهد مشكور وعناية ملحوظة في إخراج هذا المؤلف، ولا يسعني إلا أن أقدِّم شكري للأستاذ محمد إبراهيم الذي أبدى عناية في كتابة أصول هذا الكتاب وبذل مجهودًا مشكورًا في قراءة تجاربه كلها وعمل الفهارس.

والله أسأل أن يوفقني إلى ما فيه خير البلاد ومجدها.

أبريل سنة ١٩٥٠

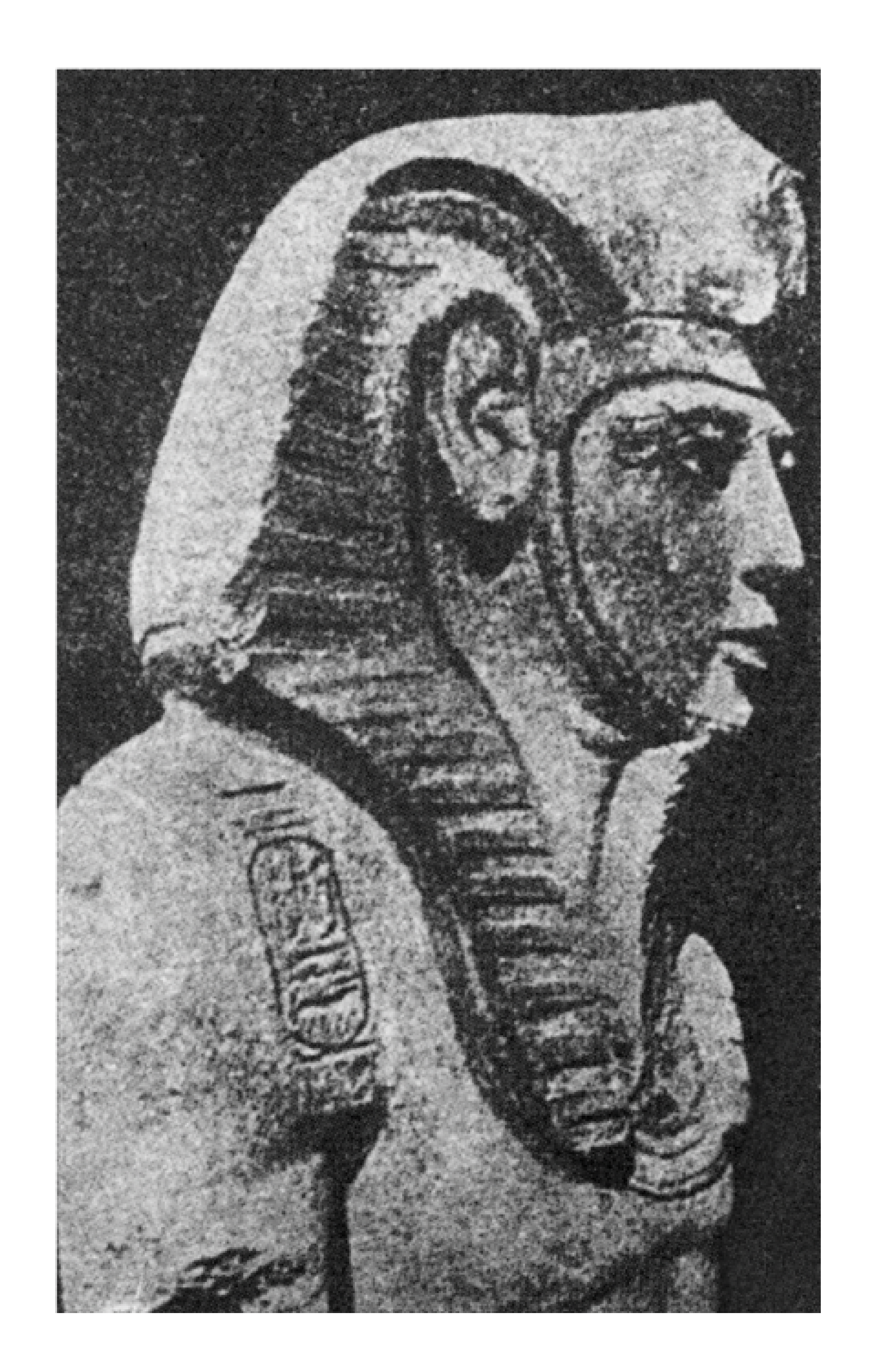
الأسرة التاسعة عشر

عهد «مرنبتاح» ونهاية الأسرة التاسعة عشرة



(١) مقدمة

كان عهد «رعمسيس الثاني» العظيم — على الرغم مما أنجزه من أعمال ضخمة داخل البلاد، وما سار عليه من سياسة خارجية قويمة، استردَّ بها كثيرًا من مجدها وسيادتها — يحمل في تضاعيفه عند نهايته بذور الوهن والضعف والركود، فقامت الثورات في أنحاء الإمبراطورية المصرية الآسيوية، كما طمع اللوبيون فأغاروا على الحدود المصرية الغربية، وناصرهم أقوام البحار بعد أن قويت شوكتهم وعظمت قوتهم، فهاجموا مصر في ممتلكاتها، وأغراهم بها أنهم ظلوا عهدًا طويلًا لم يروا جيوش الفرعون تكيل لهم الضربات وتنزل بهم الهزائم، وتشعرهم بقوَّة مصر ومنزلتها الممتازة بين دول الشرق بعامة.



شكل ١: الفرعون مرنبتاح.

ولا غرابة في ذلك، فقد كان «رعمسيس الثاني» في أواخر حكمه الطويل قد بلغ من العمر أرذله، كما أسرف في أموال الدولة ومواردها إلى حدٍّ بعيد لإشباع شهواته التي كانت لا تقف عند حدٍّ في إقامة العمائر الدينية، ونحت التماثيل الضخمة لنفسه ولآلهته، حتى ملأ بها البلاد وحشدها في المعابد، وقد أفضى ذلك إلى نضوب أموال الدولة في نهاية حكمه، حتى اضطرَّ في آخر أمره إلى نحت تماثيله وإقامة مبانيه من المواد الرخيصة التي لا تكلفه إلا قليلًا من المال الذي نضب معينه في البلاد، وقلَّ وروده من الخارج بصورة بارزة محسة؛ يمكن أن يُشاهدها المؤرخ بعينه ويلمسها بيده إذا وازن بين ما تمَّ في باكورة حكمه، وما أنجزه في أخريات أيامه من الأعمال الباقية. وتدل شواهد الأحوال على أن هذا الفقر المادِّي قد شعرت به البلاد المجاورة، كما فطنت له الممتلكات المصرية في آسيا وغيرها.

وقد زاد الطين بلة أن دولة «خيتا» القوية، التي يرتبط بها وبمصر مصير الشرق قد انحدرت في طريق الانحلال والانهيار، بعد أن كانت صاحبة السيادة على معظم ولايات آسيا الصغرى، فقد أعقب موت عاهلها «خاتوسيل» أزمة داخلية لم تحدثنا الآثار الباقية حتى الآن بشيء كثير عنها، بيد أنه من المحتمل جدًّا أن هذا التدهور قد يرجع إلى هجوم جديد قام به أقوام البحر.

(١-١) بلاد «خيتا»

فقد تولى عرش الملك بعد «خاتوسيل» الملك «توداخليا»[١] الرابع حوالي عام ١٢٥٥ق.م، وفي عهده وعهد خلفه ظل السلام مخيمًا على دولتي «مصر» و«خيتا»، وقد حدَّثتنا وثائق «بوغازكوى» (عاصمة الملك) عن نشاط بلاد «خيتا» في تلك الفترة، فعلمنا أن والدة الملك «توداخليا» قد أمضت المعاهدة مع مصر في صدر حكمه، وقاسمته السلطان في البلاد بوصفها وصية عليه، وكذلك علمنا أن ابن «توادخليا» المسمى «أرنواندا» قد أدار سكان البلاد بمساعدة والدته «تاواسي» Tawasi. والمعتقد أنه في أواخر عهد دولة «خيتا» العظيمة كان ملوكها قد

نهجوا نهج ملوك مصر بأن يتزوج الملك من أخته (راجع H. R. Hall. The Ancient History of the Near East (London and 3rd Edit 1916) P. 374).

وتدل شواهد الأحوال على أن الحروب الطويلة التي شنتها مصر على هذه البلاد قد استنفدت مواردها؛ ففي عهد الملك «توداخليا» نشاهد أن «توكولتي-أنورتا» (١٢٦٠–١٢٣٢ق.م) ابن ملك «آشور» المسمى «سلمانزار salamansar» قد أغار على بلاد «سوريا» العليا حليفة «بوغازكوى» وفصلها عنها، وقد انتهز هذا الملك فرصة نضوب معين بلاد «خيتا» وأخضع بلاد «بابل» حوالي عام ١٢٤١ق.م، وقد خلف «أرنواندا» الرابع ملك آخر يُدعى «توداخليا» الخامس على عرش «خيتا»، الذي انتهى عهده الخامل حوالي ١٢٠٠ق.م، وقد انقطعت عنا فجأة سجلات «بوغازكوى» وتمزقت إمبراطورية «خيتا»، دون أن نعرف على وجه التأكيد الأحداث التي أدَّت إلى تدهورها وسقوطها من بين دول الشرق العظيمة في تلك الفترة، وإن كان في استطاعتنا أن نصل عن طريق الظن إلى الأسباب التي أدَّت إلى ذلك السقوط، فقد كانت دولة «خيتا» — في «بوغازكوى» عاصمتها — يدير شئونها طائفة اسمها «النيزيون»، ولم تصل إلى درجة هامَّة بين دول الشرق القديم إلا في عهد الملك «شوبيليوليوما»، وقد كانت عملية توحيد البلاد حتى عهد هذا الملك، ومنذ وصول أهل «خيتا» الآريي الجنس إلى آسيا الصغرى حوالي عام ١٢٥٠ق.م سائرة على قدم وساق، وتدل الوثائق التي وصلت إلينا من سجلات «بوغازكوى» على أنه كان لا بد من صراع عظيم لتأليف هذه الدولة وتوسيع ممتلكاتها، وهذه الفترة الطويلة التي استغرقت عدَّة قرون للوصول إلى مثل هذه النتيجة العظيمة يمكن تفسيرها بالأحوال التي كانت تجري في هذا العهد، فقد كان «النيزيون» قليلي العدد؛ ولذلك لم يكن في استطاعتهم الاستيطان في البلاد التي فتحوها، كما لم يكن في مقدورهم أن يتركوا فيها حاميات كافية للمحافظة عليها، هذا بالإضافة إلى أنه لم تكن لديهم طرق معبدة تسمح لهم بالقيام بحركات حربية سريعة، ويمكن الإنسان أن يفهم

أهمية طرق المواصلات إذا اخترنا مثلًا من الأمثلة القريبة منا مثل حروب «فندي Vendee» إذ إن أعداءها تعبوا على قوَّتهم؛ لجهلهم بطرقها التي يسلكونها في الفرار ونقل القوَّات والأمتعة.

على أن هذه القرون الطويلة التي سلخت في سبيل توحيد آسيا الصغرى تحت سلطان ملوك «خيتا» ليست من الأمور الشاذة؛ إذ نجد أن أول دولة عظيمة قامت في «مسوبوتاميا» — ما بين النهرين — وهي دولة «سرجون آجادا»؛ لم تمكث فترة طويلة وقد قطعت قرونًا عديدة قبل تكوينها في الاستعداد وفي محاولات عنيفة لتكوينها. وتدل قوائم الأسر التي وصلت إلينا — على الرغم من الخرافات التي تتخللها — على جهود طويلة مستمرة بُذلت في تكوينها.

ولنا أن نتساءل هل كان هذا الاتحاد وثيقًا ثابتًا؟

والجواب على ذلك بالنفي؛ لأن كل هذه القبائل التي تتألف منها الوحدة الخيتية كانت قد اتحدت — على كره منها — بضغط من الحكومة المركزية التي كانت تقبض على أجزاء الاتحاد بيد من حديد، ولم تندمج — يومًا ما — في وحدة قوية، بل كانت كل ولاية تحافظ على مطامعها وشخصيتها، وهذا هو السبب في أن دول الشرق العظيمة كانت — ولا تزال — تتفكك عراها وتتلاشى وحدتها أمام المغير القوي كما حدث «لآشور» و«بابل» ودولة «أخميدة»[٢] وهذا هو بعينه ما أصاب بلاد «خيتا» التي كانت في ظاهرها دولة قوية مترامية الأطراف وفي داخلها متفككة العرا لا يربط أجزاءها صلة قوية؛ فقد أخذت كل القبائل التي أخضعت بالقوة تستعيد استقلالها عند سنوح الفرصة، هذا إلى أن أقوام البحار قد أتوا معهم في هجرتهم بجيوش جرارة جديدة للهجوم على آسيا الصغرى.

وقد رأينا كيف أن ملك «خيتا» «مواتالي» قد استعمل الأقوام الهمج في محاربة مصر، وكيف أنه — بتوجيههم لفائدته — قد أمكنه المحافظة على كيان إمبراطوريته، بيد أن الموقف في هذه المرة كان أشد خطورة، فقد كان هجوم «الإيليريين» الذين استوطنوا الشمال الغربي من شبه جزيرة

البلقان سببًا في هجرة الدوريين الذين يؤلفون جزءًا من سكان بلاد «البلوبونيز» واستيطانهم جزر «سيكليد» وجزيرة «كريت»، وقد طغت مدنيتهم على المدنية المسينية التي حلت بذورها محل الثقافة المنوانية (كريت)، وقد كانت قبائل «تراقيا» قد وصلت إلى آسيا الصغرى عن طريق البسفور (هلسبونت)، وأخذت أقوام «ماسا» و«دردانيا» وغيرها تنضم إلى حركة هذه الهجرة، وكانت قد بدأت موجة جديدة من «الآخيين» تشق طريقها، فقضت على كل هذه الفيالق التي كانت تؤلف جزءًا من أقوام البحر بزحفهم على مملكة «النيزيين» (خيتا) في «بوغازكوى» عاصمة ملكهم، وهي التي كانت قد تألفت فيما مضى بفضل حركة هجرة مماثلة وإن لم تكن في ضخامتها تشبه التي نحن بصددها الآن.

وقد كانت بلاد «آشور» حتى هذا الوقت تعيش في سلام وأمان مع «خيتا» القوية، ولكن عندما تولى زمام الأمور فيها الملك «توكولتي إنورتا» (١٢٦٠–١٢٣٢ق.م) ورأى أن الانحلال قد أخذ يدب في أرجاء بلاد «خيتا» بسبب الثورات الداخلية التي قامت فيها؛ أخذ في الحال يعمل على مدِّ حدود بلاده على حساب جارته، وقد أنجز ذلك بمهارة وحذق، فتحاشى مهاجمة البلاد التي كانت تحت سلطان ملك «خيتا» مباشرة، كما أنه لم يمس البلاد التي كانت تدين لمصر بالطاعة والولاء، بل هاجم بلاد «سوبار»[٣] التي كانت تمتد على الشاطئ الأيسر لنهر «الفرات» وجنوب بلاد «المتنى»، وقد أوغل في هجومه حتى «بابل» وأفلح في الاستيلاء عليها زمنًا. ويدل ما لدينا من معلومات على أن «خيتا» ومصر لم تتدخلا في وقف بلاد «آشور» عند حدها؛ لأن الهجوم كما يظهر لم يكن موجَّهًا لواحدة منهما بالذات، ولا شك في أن ذلك من الأخطاء السياسية العظيمة التي ارتكبها كل من الدولتين. والواقع أن الخطر الأكبر الذي يهدد كيان «مصر» و«خيتا» هو الغزوات التي قامت بها أقوام الهند الأوروبية، وترجع بدايتها إلى الحملات التي شنَّها اللوبيون بمساعدة قبائل الهند الأوروبية في عهد كل من «سيتي الأوَّل» وابنه «رعمسيس الثاني» كما ذكرنا ذلك من قبل (راجع مصر القديمة ج٦).

غير أن هذه الحملات لم تكن حتى نهاية عهد «رعمسيس الثاني» تُعدُّ خطرًا مباشرًا يهدِّد كيان الدولة المصرية أو ممتلكات بلاد «خيتا»، والواقع أن ملك «مصر» كان أحيانًا يستعمل أولئك الأقوام الوافدين جنودًا مرتزقة كما حدث في موقعة «قادش»، فقد رأينا جنود «شردانا» يؤلفون جزءًا مختارًا من جيش «رعمسيس الثاني» عند هجومه على «خيتا»، وكذلك استعان ملك «خيتا» هؤلاء الأقوام في حروبه مع مصر، وقد كان من السهل على كل من الدولتين القضاء على أية قبيلة من هؤلاء الأجانب إذا قامت بعصيان أو ظهر منها أنها خطر يهدِّد كيان البلاد.

ويدل ما لدينا من وثائق تاريخية على أنه — في المدة الأخيرة من عهد «رعمسيس الثاني» — ظهرت حركة هجرة في إقليم بلاد «البلقان» والبحر الأسود قام بها عدَّة أقوام وكان لها أثر سيء في الشرق الأدنى.[٤]

وكانت هذه الهجرة كالسيل الجارف، فانتشرت في «آسيا الصغرى» وفي جزر «بحر إيجا» وفي بلاد «الإغريق» كما أسلفنا، حتى وصلت إلى بلاد «لوبيا»، ولم تكن هناك قوة في العالم تستطيع وقف هذا الزحف الجبار، فقد كان المهاجمون يصلون إلى تلك الجهات جماعات عن طريق البر والبحر كلما هيأت لهم الظروف، جالبين معهم نساءهم وأطفالهم وأمتعتهم. ومن ثم نعلم أن غرضهم الأول كان استيطان تلك البقاع الخصبة الغنية، ولم تستقر فئة منهم في جهة حتى تدهمها أخرى من المهاجرين وتضطرها إلى النزوح نحو الجنوب. وقد كانت «خيتا» أول بلد أغار عليه هؤلاء الهنود الأوروبيون، وقد ذكرنا من قبل احتمال أن يكون هذا الغزو السبب المباشر في الأزمة التي حدثت في داخل بلاد «خيتا» وأدَّت إلى الانهيار السريع الذي حاق بهذه الدولة القوية بعد موت عاهلها «خاتوسيل»، ومن المحتمل أن قوم «خيتا» قد حاولوا بادئ الأمر صدَّ تيار هؤلاء الغزاة الذين أتوا عن طريق البحر ونجحوا فعلًا بعض الشيء في استيطان بلادها، وإذا كان بعض أهل هذه القبائل الهندية الأوروبية قد تمكن من خرق الحصار الذي ضربه أهل «خيتا» في

طريقهم إلى الجنوب والوصول إلى إقليم «سوريا» و«فلسطين»، فإلى «خيتا» يرجع الفضل العظيم في تأخير الهجوم العنيف الذي قام به هؤلاء الأقوام على هذه الجهات.

ومما يؤسف له أن «رعمسيس الثاني» في تلك الفترة كان في أواخر أيام حياته كما كانت بلاده على غير استعداد للقيام بأية حروب على هؤلاء الغزاة.

ولو كان في استطاعة «رعمسيس الثاني» أن يتدخل في صد هؤلاء المهاجرين من أقوام البحر لقضى على الخطر الذي هدَّد كيان الشرق الأدنى كله، ومن ذلك نرى أن الفرعون المسنَّ قد ترك لابنه وخليفته «مرنبتاح» إرثًا مثقلًا بالمصاعب والمشاكل داخل البلاد وخارجها.

وقبل أن نتحدث عن هؤلاء المهاجرين وأصلهم يجدر بنا أن نتحدث بإيجاز عن نشأة الفرعون «مرنبتاح» الذي كان من نصيبه منازلة هؤلاء الأقوام الذين اجتاحوا الشرق من البر والبحر، فضلًا عن خطر اللوبيين الذي كان يلوح من جهة الغرب.

(٢) «مرنبتاح» قبل تولي الحكم

كان ترتيب الأمير «مرنبتاح» في القوائم التي تركها لنا «رعمسيس الثاني» بأسماء أولاده الذكور الثالث عشر، وأمه هي الملكة «است نفرت»، وقد اختاره والده ولي عهد لعرش بلاده في السنة الخامسة والخمسين من حكمه، وذلك بعد موت الأمير «خعمواست» الذي ظل وليًّا لعهد المملكة المصرية مدَّة طويلة.[٥]

وقد وصل «مرنبتاح» إلى مرتبة الكاهن الأعظم للإله «بتاح» (الكاهن سم) وكان يقوم بالمراسيم الدينية في جبانة «السرابيوم» «بسقارة» للعجل أبيس[٦] وقد وجد اسمه — فيما عدا تلك القوائم التي عددت أسماء أولاد «رعمسيس الثاني» — على آثار «تل بسطة» و«تانيس» و«هليوبوليس»؛ ومن ثم نعلم أن ذكر اسمه كان محصورًا في آثار الدلتا في الأغلب الأعم. (راجع مصر القديمة ج٦).

وقد نشر الأستاذ «كيمر» نقوش جعران باسم هذا الأمير من الأهمية بمكان عن حياته قبل تولي الملك. وقد قال بائعو هذا الجعران: إنه عثر عليه مع مجموعة جعارين أخرى مستخرجة من مكان ما شمالي «فاقوس»، والجعران المنقوش باسم «مرنبتاح» في هذه المجموعة من الجعارين مصنوع من حجر «استيتيت» المغطى بطلاء مائل للخضرة وقد جاء عليه المتن التالي:[٧]

> الأمير النائب عن «جب» إله الأرض (أي الملك)، والنطفة الإلهية (أي الابن الإلهي) الذي أنجبه الثور القوي ومن في يده تجمع السهل والحزن (أي البلاد الأجنبية)، واليقظ القلب لتقديم العدالة لأبنائه (أي أسلافه) وللآلهة كلهم، والوحيد الذي لا مثيل له، ومن كل البلاد الأجنبية تحت سلطانه، الكاتب الملكي، وقائد الجيش الأعلى، والابن الملكي «مرنبتاح» المخلد أبدًا.

ومن هذا النقش الهام نعلم أن الابن الملكي «مرنبتاح» كان يشغل وظيفة الكاتب الملكي، وأهم من ذلك أنه كان القائد الأعظم للجيش.

ولا نزاع في أن هذا النقش يشير إلى السنوات الأخيرة من عهد «رعمسيس الثاني» عندما كان طاعنًا في السن، وهو العهد الذي تولى فيه ابنه الثالث عشر «مرنبتاح» القيادة العليا لجيش الفرعون بعد موت إخوته الاثني عشر الذين كانوا أكبر منه سنًّا، ونحن من جانبنا نعلم أن الفرعون «رعمسيس الثاني» بعد حروبه التي شنها في النصف الأوَّل من حكمه جنح للسلم وأخذ يحكم البلاد في هدوء مستمر أربعين عامًا تقريبًا. والظاهر أنه في شيخوخته قد اعتزل كل سياسة تؤدِّي إلى الحرب، وترك أمر حراسة حدود إمبراطوريته بطبيعة الحال لابنه. وتدل شواهد الأحوال على أن هذا الجعران قد عُثر عليه في إحدى المدن الكبيرة التي كان يتخذها الفرعون مقرًّا له في الدلتا، وهذه المدينة بلا نزاع هي «بررعمسيس» (قنتير الحالية)، فإذا كان هذا الاستنباط صحيحًا وأن هذا الجعران قد وجد فعلًا مع غيره في إناء واحد كما ادعى التاجر الذي باعه، فإنه يجوز لنا أن

نتصور أن عظماء القوم في مصر كانوا يقتنون مجاميع تذكارية من الجعارين. وقد لاحظ البعض كثيرًا أن الجعارين التذكارية كانت تُقتنى كما تُقتنى التحف التذكارية الآن.[٨] وهذه الموازنة يمكن أن تكون لها قيمة أعظم من ذلك إذا أمكن البرهنة على أن المصريين كانوا يجمعون هذه الجعارين التذكارية كما نجمع نحن الآن المداليات وطوابع البريد.

والواقع أن لدينا برهانًا مقنعًا قد يكون معضدًا لنظريتنا هذه؛ وذلك أننا نجد بعض الجعارين التذكارية مجموعة معًا أحيانًا كما توجد مجاميع المداليات التذكارية معًا، وهذا ما حدث فعلًا في المجموعة التي وجد فيها جعران الأمير «مرنبتاح»، فقد وجدنا من بينها جعرانًا تذكاريًا للملك «أمنحتب الثالث» الذي حكم قبل «رعمسيس الثاني» بمدة.

والآن يتساءل الإنسان عن تلك المناسبة التي أراد «مرنبتاح» إحياء ذكراها بنقش هذا الجعران الذي لم يصل إلينا منه حتى الآن إلا نسخة واحدة.

والظاهر أن هذه الذكرى كانت بمناسبة تنصيبه وليًّا للعهد وقائدًا للجيش، كما يدل على ذلك لقب «الأمير الوراثي» (ربعتي) الذي كان يعني في هذا الوقت نائب الفرعون وولي العهد في آن واحد كما شرحنا ذلك من قبل (راجع مصر القديمة ج٥).

ويوجد في متحف «برلين» الآن تمثال للإله «بتاح» وعليه اسم «رعمسيس الثاني» وقد كُتب عليه متنان «لمرنبتاح» بوصفه أميرًا، ومن المحتمل أنه كان قد أهداه لهذا الإله في حياة والده.[٩]

(٣) الفرعون «مرنبتاح» وحروبه مع لوبيا وأقوام البحار

يدل ما لدينا من وثائق على أن اختفاء «رعمسيس الثاني» من مسرح الحياة لم يحدث لها أي أثر ظاهر في حالة البلاد، بل سارت الأمور في مصر على ما كانت عليه في عهد والده، ومنذ ذلك العهد استولى «مرنبتاح» على كل السلطات التي كانت في يده عندما كان وليًّا للعهد، ولما حضرت والده الوفاة لم يكن فتيًّا بعد، إذ يُحتمل أنه كان قد وُلد حين كان أبوه في السادسة

والعشرين من عمره، وهي السنة الثامنة من سني حكمه على وجه التقريب، ولم يتولَّ «مرنبتاح» عرش الملك إلا وهو في نحو الستين من عمره، وليس لدينا ما يدل على أنه كان مشتركًا مع والده في الملك كما اشترك «رعمسيس الثاني» مع والده «سيتي الأوَّل».

وآخر أثر لدينا من عهد مؤرخ بالسنة الثامنة من سني حكمه. بيد أن «مانيتون»، على حسب ما نقله عنه «يوسفس»، يقدِّر سني حكمه بتسعة عشر عامًا وستة أشهر؛ أو بعشرين عامًا على حسب قول «أفريكانوس»، ولا بد لنا من أن نقبل هذا التقدير مؤقتًا بشيء من التحفظ حتى تنكشف الحقيقة عن مدة حكمه بما تجود به الآثار الدفينة في تربة مصر، ومن ثم نرى أن ملكًا طاعنًا في السنِّ قد خلفه آخر بلغ أرذل العمر، والبلاد في هذه الفترة بالذات في حاجة شديدة إلى فرعون فتيٍّ ينهض بها، ويدافع عن حدودها المعرضة للخطر، والخطر في هذه المرة بخاصة لم يكن من ناحية آسيا كما اعتاد القوم، بل كان من ناحيتي بلاد «لوبيا» وأقوام البحر؛ لأن العلاقات التي كانت بين الفرعون وممتلكاته وقتئذ في «سوريا» كانت على غاية من الود والصفاء كما يبدو، ولا أدل على ذلك من أن الفرعون قد أرسل الغلال لحليفته «خيتا» في أثناء القحط الذي اجتاح «سوريا».[١٠]

وقد قابل المصريون تولية «مرنبتاح» بالفرح والسرور كما جاء في قصيدة أنشأها لهذه المناسبة وهي:

> افرحي أيتها الأرض قاطبة، قد جاء زمن الخير؛ فقد أُقيم سيد على كل الممالك وأتى الشهود إلى مكانه، وهو الذي يحكم ملايين السنين، عظيمًا في ملكه مثل «حور نبن رع» محبوب «آمون» الذي يفيض على مصر بالأعياد، ابن «رع» «مرنبتاح» منشرح بالصدق. إيه! يا أيها الأتقياء، تعالوا وشاهدوا! قد قضى الصدق على الكذب وخرَّ المذنبون على وجوههم، وولى الطامعون أدبارهم، والماء ثابت لا ينقص، والنيل يحمل

فيضانًا عظيمًا، والأيام أصبحت طويلة، والليالي لها ساعات معدودات، والشهور تأتي في مواقيتها، والآلهة منشرحون سعداء القلوب، والحياة تمر في ضحك وعجب.[١١]

وتدل شواهد الأحوال على أن الأمور في مصر نفسها بعد تولية «مرنبتاح» الملك كانت هادئة كما يقول «إدوردمير»:[١٢] إن «مرنبتاح» في سني حكمه الأولى قد وجه اهتمامه إلى توطيد النظام في ممتلكاته الآسيوية؛ إذ كانت الأحوال قد اضطربت بعض الشيء على أثر التغيير الذي حدث في عرش الملك، وكما يحدث عادة في مثل هذه المناسبات بقيام الأمراء المحليين ببعض الثورات. وقد استند في زعمه هذا على ما جاء في الجزء الأخير من قصيدة النصر التي أُلفت بمناسبة انتصاره على اللوبيين ويقول: إن هذه القصيدة قد أُرخت بتاريخ يوم الانتصار على اللوبيين وهو اليوم الثالث من الشهر الحادي عشر من السنة الخامسة، ولكنها أُلفت بطبيعة الحال فيما بعد، ويظهر أن الحوادث التي ذُكرت في هذه القصيدة قد حدثت في زمن قبل زمن تاريخ اللوحة، وإذا كانت قد وقعت واقعة بعد انتصاره على اللوبيين لفصل لنا القول فيها كما هي العادة. أما قول «برستد» على حسب ما جاء في يوميات موظف حدود مؤرخة بالسنة الثالثة من حكم هذا الفرعون:[١٣] إن الفرعون كان في ذلك الوقت في «فلسطين».

فكلام من الصعب تصديقه، والواقع أن مكان الملك الملك والذي كانت ترسل إليه فيه الرسائل هو مدينة «رعمسيس» بالدلتا وهي «برعمسيس» (قنتير الحالية)، وفضلًا عن ذلك قد وصل إلينا مصادفة عدد عظيم من أوراق البردي من السنين الأولى من حكم «مرنبتاح» تصف لنا هذا المقر كما ذكرنا ذلك من قبل (راجع مصر القديمة ج٦).

وعلى الرغم من وجاهة ما قاله الأستاذ «إدوردمير» في هذا الصدد ظن بعض المؤرخين أن ما جاء من وصف عن حالة البلاد المقهورة في آخر قصيدة النصر لا يخرج عن كونه مجرد تفاخر اعتاده الفراعنة منذ أوَّل عهود تاريخهم وأصبح أمرًا موروثًا.

وصاحب هذه الفكرة وقائدها هو الأستاذ «إدورد نافيل»، إذ نجده بعد أن استعرض التراجم المختلفة للجزء الأخير من قصيدة النصر الذي أحرزه «مرنبتاح» على اللوبيين[١٤] يقول: «إنه لا يوجد بين هذه التراجم ما يؤدِّي المعنى الحقيقي للجمل الأخيرة من هذه القصيدة.» وقد تناول ترجمتها الأستاذ «برستد» وغيره وقالوا عنها إنها تعني أن «مرنبتاح» كان مثله كمثل والده، قد قام بحملة مظفرة في «سوريا» و«فلسطين»! وهذا الزعم لا تحققه صيغة المتن ومحتوياته، بل إن هذا النقش لا يخرج عن كونه مديحًا خاصًّا بالانتصار العظيم الذي أحرزه «مرنبتاح» على اللوبيين وهزيمة رئيسهم «مريي»، وهذا المديح كان قد كُتب بعد الفوز بزمن قليل. ففي السنة الخامسة في الشهر الثاني من الفصل الثالث جاء رسول إلى الفرعون يخبره بهجوم اللوبيين. ويقال إن النقشين العظيمين في مديح الفرعون كانا قد نُقشا في الشهر التالي، وأحدهما في الدلتا والآخر في «طيبة»، وقد وجدت كذلك صورة على لوحة في معبد الكرنك ومما يُؤسف له أننا لم نعثر إلا على جزء منها. وهذه القصيدة تشبه قصائد الأعياد التي كانت — في العادة — تُنشد بعد إحراز انتصار عظيم، أو إشارة إلى الخلاص من كارثة؛ والأمثلة على ذلك كثيرة في التوراة. والظاهر أنه من البعيد جدًّا غزو «مرنبتاح» «سوريا» قبل محاربة اللوبيين؛ إذ لو كان الأمر كذلك لوجدنا إشادة بأعماله العظيمة التي قام بها هناك غير هذه الكلمات القليلة التي جاءت في نهاية متن هذه اللوحة.

ولقد كان من الضروري أن يتحدث المؤلف عن المذبحة العظيمة التي قام بها الفرعون وعن قطع رءوس الأمراء هناك، وكان لا بد له أن يدون لنا الوصف المفخم العادي عن انتصارات «مرنبتاح»، هذا فضلًا عما قاله «مكس مولر» بحق: «إن «مرنبتاح» الذي عاش في سلم مع «خيتا»، والذي كان مهددًا في ملكه «بلوبيا» لا يمكن أن يكون قد قام بفتوح في «سوريا» في السنين الأولى والثانية من حكمه.» وقد أخذ بعد ذلك «نافيل» يفند ما استنبطه «برستد» من

يوميات موظف حدود من وقوع حملة في السنة الثالثة قام بها «مرنبتاح» على «سوريا»، ففند ما جاء في هذه الخطابات بطريقة غير التي استنبطها «إدوردمير» كما أسلفنا.

وقد ختم «نافيل» مقاله بالكلمات التالية:

> وهكذا نرى أن الأسطر الأخيرة من لوحة النصر تدل على أن سلامة البلاد كانت تامة، ففي الجانب الأفريقي كان نصره مبينًا حاسمًا، ومن جانب «خيتا» كانت هذه البلاد معه في سلام منذ حكم والده، أما الممالك الأخرى التي يصح أن تصبح أعداء له فقد صارت لا حول لها ولا قوة.

وليس هناك أية إشارة تدل على أن هذه الحالة كانت نتيجة لانتصار الملك؛ إذ لم يذكر هناك بوصفه فاتحًا، ولم يَقُلْ إنه شخصيًّا قد فعل أي شيء في تخريب «عسقلان» أو «إنواما Inuamma»، ولا نزاع في أنه من غير المعتاد في المتون المصرية كما نعرفها أن يتغاضى كاتبها عن الأعمال الطبيعية التي قام بها مليك البلاد؛ إذ إن كل نصر وكل نضال كان يُعزى إلى الفرعون نفسه. وفي مصر نجد الأساليب التاريخية لا تزال تحمل الصبغة التي نجدها في أصل التاريخ، فقد بدأ المصري كتابة التاريخ بالتراجم والنقوش التاريخية في مصر — وكذلك سرد الحوادث في التوراة — لا نجد فيها إلا تراجم للملوك أو حوادث متعلقة بأشخاصهم، وفي يوميات الموظف التي أشرنا إليها لا نجد فيها سرد فتح للفرعون «مرنبتاح» في «فلسطين»، بل إن الحملة المظفرة المنسوبة إليه في «فلسطين» لا تخرج عن مجرد نظرية تستند على متنين لا يمدنا واحد منهما بأية إشارة عن هذه الحروب، كما أنهما خاليان من أي برهان إيجابي، ومن أجل ذلك يجب أن تُمحى هذه الفكرة جملة من تاريخ «مرنبتاح».

والواقع أن ما أدلى به الأستاذ «نافيل» قد يكون في ظاهره أقرب إلى الصواب، وبخاصة عندما نعلم أن لوحة نصر «مرنبتاح» كانت مكررة في المعابد المصرية كما سنرى بعد؛ فهي تصف ما

كانت عليه البلاد في الداخل والخارج بعد حرب لوبيا وقبلها كما نرى ذلك في بعض القصائد، اللهم إلا إذا عُثر على متن جديد يؤيد ما فرضه «إدوردمير» وما ادعاه «برستد» في أمر غزوة «فلسطين».

(٣-١) لوبيا وأقوام البحر

والواقع أن الخطر الذي كان يهدد البلاد بعد فترة من حكم «مرنبتاح» قد أتى من ناحيتين:

الأولى من جهة بلاد لوبيا، والثانية من جهة أقوام البحر. وقد كان هذا الخطر موجودًا على حدود البلاد منذ زمن بعيد، بيد أن ما كان «لرعمسيس الثاني» من هيبة وسلطان قد عاق أمثال حملات اللوبيين وحلفائهم من الإغارة على التخوم المصرية، ولكن بعد موته بفترة وجيزة نشاهد العاصفة تهب في عهد ابنه «مرنبتاح» على البلاد من الغرب والشمال مما سبب جرحًا بالغًا لأرض الكنانة، وقد ترك لنا «مرنبتاح» نقشًا على جدران «معبد الكرنك» صور لنا فيه الخطر الذي كان يحوم حول البلاد، كما مثل أمامنا المعدات التي أعدها لصد هذا الخطر والقضاء على العدو الذي تحالف أوَّلًا مع أقوام البحار لغزو مصر طلبًا للقوت والاستيطان.

والواقع أن السنين الأخيرة من عهد «رعمسيس الثاني» كانت سني تدهور مستمر، وقد انتهزت القبائل القاطنة على حدود مصر الغربية تلك الفرصة وأخذ جنودها يزحفون على الأرض الواقعة على حافة النيل الخصيب حتى وصلوا في زحفهم إلى جانب النيل. وقد مكثوا هناك عدة أشهر واحتلوا الواحة البحرية وخربوا «واحة الفرافرة»، وقد زاد الطين بلة أن هؤلاء اللوبيين قد ألفوا حلفًا مع أقوام البحر الأبيض المتوسط الذين أخذوا ينقضُّون على الدلتا من «سردينيا» وفي الجهات الغربية من آسيا الصغرى على الشرق، ويُعد ذكر هؤلاء الأقوام في الوثائق التي تركها لنا «مرنبتاح» أقدم ما عُرف من ظهور الأوروبيين في النقوش والمخطوطات المصرية.

وسنحاول هنا أن نأتي ببعض ما وصل إليه الباحثون في أصل اللوبيين ثم نتبعه بكلمة عن أقوام البحار.

ولما كان اللوبيون لهم صلة وثيقة بمصر كالصلة التي بين مصر وأهل السودان كان من الضروري أن نفرد لتاريخهم هنا فصلًا خاصًّا مختصرًا يمكن الباحث أن يعرف منه مدى اتصال هذه البلاد بأرض الكنانة منذ أقدم العهود حتى عهد الأسرة التاسعة عشرة التي نحن بصددها الآن.

(٣-٢) تاريخ لوبيا

(أ) مقدمة

إن موضوع تاريخ «لوبيا» له أهمية خاصة في تاريخ مصر القديم وسنتناول بالبحث تاريخ «لوبيا» — لا بوصفها بلادًا أجنبية كانت علاقتها بمصر علاقته خارجية محضة، كما كانت علاقة آسيا وأقوام البحر الأبيض المتوسط بمصر بل للعلاقات الخاصة التي كانت تربطها بها، والواقع أن العلاقات التي كانت بين «لوبيا» ومصر كانت في ظاهرها مثل العلاقات التي كانت بينها وبين جيرانها من الأمم الأخرى وبخاصة في المنازعات الحربية أو في استخدام الجنود اللوبيين في الجيش المصري جنودًا مرتزقة، ولا نزاع في أن المصري منذ فجر التاريخ لم ينظر للقبائل اللوبية إلا بهذه النظرة، فكانت هذه البلاد في نظره كأي بلاد أجنبية أخرى يعلن عليها الحرب عندما كانت تريد توسيع رقعتها على حساب مصر، أو عند إغارة أهلها على الحدود المجاورة، ولكن العلاقات الداخلية الأصلية التي كانت تربط أحد البلدين بالآخر منذ عهد ما قبل التاريخ كانت تتعدى تلك العلاقات السياسية الظاهرة التي نراها في العهد التاريخي بكثير، وذلك أن المصري نفسه لم يكن يميز ذلك الشريط الضيق من الأرض الزراعية الذي كان يربط بلاده بجارتها «لوبيا» قط، وكذلك كانت الحال في أعين اللوبيين، فلم يكن في استطاعة لوبي أن يميز الحد الفاصل بين بلاده وبين مصر.



شكل ٢: لوبي.

ومن جهة أخرى نجد أن البحوث العلمية الحديثة قد بدأت تفحص تلك العلاقات الوثيقة التي كانت بين البلدين بعد أن كانت كلها موجهة إلى علاقات مصر بآسيا، ومن ثم أصبح من المهم أن نعرف كيف أن الثقافة المصرية كانت تضرب بأعراقها في ثقافة «أفريقيا» وتقاليدها، وكيف أن العلاقات الظاهرة ترجع في أصلها إلى «أفريقيا»، وذلك يُعزى بطبيعة الحال أوَّلًا على الظواهر التي كان لها ارتباط وثيق بحياة القوم الروحية منذ أقدم العهود من حيث الدين واللغة والجنس، وهي عوامل لها تأثيرها الفعال في تقدم القوم ونموهم، وسيتضح لنا مقدار أهمية ذلك عندما نعلم أن كلًّا من هذه العناصر الأصلية كان أفريقي النبعة في الأعم، وأن مصر بذلك قد لعبت — بجوارها المباشر لبلاد السودان جنوبًا وبلاد «لوبيا» غربًا — دورًا هامًّا في تاريخ البلدين.

على أننا — مع ذلك — لا زلنا بعيدين عن الإحاطة التامة بهذا الموضوع، فلا نستطيع إعطاء فكرة واضحة جلية عن العلاقة بين البلدين، وسنحاول مؤقتًا أن نضع هنا بعض الأحجار التي كان الغرض منها إقامة هذا البناء الذي سيقدم لنا عند إتمامه صورة كاملة عن أصل الحضارة المصرية وكيانها.

والواقع أننا — حتى الآن — نجد الاشتغال بالثقافة الأفريقية وعلم الإنسان الأفريقي من الأمور الضرورية في علم الآثار المصرية التي تجب العناية بها.

وفي الحق أنه من الوجهة الأثرية المصرية لم يجمع إلا النزر اليسير من المواد التي تمكننا من الكلام عن العلاقات بين «مصر» و«لوبيا»، فكل ما كتب في هذا الموضوع ينحصر في المصادر التالية:

(1) Maciver and Wilken, Libyan notes.

(2) Oric. Bates. The Eastern Libyans.

(3) MÔller, Die Agypter and ihre Libyschen Nachbarn.

(4) Scharff: Vorgeschitliches zur Libyerfrage (A. Z. 61, 16 ff).

(5) Wilhelm HÔlscher: Libyer und Ägypter.

وهذه المصادر تحوي كل ما كُتب عن هذا الموضوع بالإضافة إلى ما كُتب عن الجبانات النوبية التي كشف عنها كل من الأثري «فرث»، والأستاذ «ريزنر»، وهو خاص بعصر ما قبل التاريخ، وكذلك نجد بعض المادة فيما كتبه الأستاذ «يونكر» والأستاذ «استايندورف» في هذا الصدد (راجع The Archeological Survey of Nubia, Report for 1907-8, 1908-9, 1909-1910, 1910-1911 and also by C. M. Firth.)

ولا شك في أن الإنسان إذا أراد بحث العلاقات الثقافية والجنسية بين مصر و«لوبيا» وتصوير الروابط التي تربط بعضهما بالبعض الآخر، استدعى ذلك بحث ثلاث مسائل كبيرة تختلف كل منهما عن الأخرى اختلافًا بينًا في المصدر، كما أن الوصول إلى صورة كاملة من مجموعها لا يزال من الأمور الصعبة المنال، يُضاف إلى ذلك أن كل مسألة من هذه المسائل في الوقت نفسه تبعد عن الأخرى بمدة طويلة، ومن يطلع على كتاب «أورك بيتس» يفهم بسهولة هذه الصعوبات.

وأول الموضوعات في بحث العلاقات بين البلدين مصدره الوحيد هو المواد الأثرية وحدها؛ لأنه من عالم ما قبل التاريخ وخاص بأقدم العهود المصرية التي يمكن الباحث أن يطلق عليها اسم «العصر الأفريقي» ونقصد بذلك الوقت الذي كانت فيه مصر مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالثقافة الأفريقية المبكرة، أي عندما كانت مولية وجهتها غربًا وجنوبًا، ولم يكن ذلك من الوجهة الجغرافية وحسب، بل من الوجهة الثقافية أيضًا التي كانت تتألف منها ثقافة شرق أفريقيا.

والواقع أن مصر في هذا العهد لم تكن قط حدًّا فاصلًا بين ثقافتين، بل كانت ثقافتها مختلطة، وتعد بمثابة حصن لأفريقيا تحميها من الشرق الذي لم يتسرب منه تأثير ثقافي ما. أما من جهة الغرب فالأمر كان مختلفًا؛ إذ تدل الأبحاث الأثرية التي في متناولنا حتى الآن على أنه في هذا الوقت، أي

حوالي منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد، لم يكن بين مصر وغربيها أية حدود، بل كانت ضمن دائرة ثقافية تشمل جزءًا من شمال الصحراء وشرقيها.

ومنذ منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد تطوَّر موقف مصر هذا بالنسبة لجيرانها من أساسه؛ إذ اختفت الحدود بينها وبين الشرق (آسيا). وقد أغلقت الحدود التي كانت مفتحة بينها وبين البلاد الغربية منها، ومن ثم ابتدأ عصر انفصال مصر عن الأمم الغربية المجاورة لها، وكذلك ابتدأ عصر ثقافة مصرية قائمة بذاتها خلافًا للعصر السابق لهذا التاريخ الذي كانت تُعد فيه الثقافة المصرية جزءًا من الثقافة الأفريقية أو نوعًا منها، ومن ثم أخذت العلاقات بينها وبين الغرب تتغير من أساسها، فأصبح منذ ذلك العهد أقوام غرب النيل يُعدُّون أعداء مصر المتوحشين؛ لأنهم كانوا يهدِّدون أرض الكنانة، ومن أجل ذلك اضطرَّت حكومة البلاد المصرية — محافظة على بقائها — أن تعمل على الفتك بكل من يهدِّد كيانها أو يمس سلطانها.

والواقع أن علاقات مصر بالبلاد الغربية منها وقتئذ كانت علاقات عداء تتمثل إما في السعي لتوسيع رقعة بلادها، وإما في الدفاع عن كيانها من هجمات أقوام هذه البلاد.

أما الروابط الثقافية مع أقوام الغرب فقد أخذ نفوذها يقل منذ تلك الفترة، ومن ثم أصبح نمو مصر وتقدمها يأخذ مجرًى مختلفًا تمام الاختلاف عن الثقافة اللوبية، فأصبح من الصعب معرفة ثقافة تلك البلاد أو جنسيتها؛ ففي الوقت الذي كانت مصر تسير فيه بخطًى واسعة في تقدمها ونموها كانت ثقافة البلاد الغربية منها راكدةً ركودًا تامًّا، فإذا شاهدنا في العصر التاريخي المصري بعض أشياء جديدة قد يعزوها الإنسان إلى أصل لوبي فلا يمكن أن يُعد ذلك علامة على فوق الثقافة اللوبية على الثقافة المصرية، بل يرجع السبب الظاهري إلى العلاقات السياسية الخاصة بذلك العهد، والواقع أن هذا النمو الثقافي المتعدد النواحي ليس إلا نتيجة لحكومة مصرية منظمة مقابل نظام بدوي ساذج.

وتتمثل لنا العلاقة الجديدة بين البلدين جليًّا عندما نجد في المتون المصرية أن مصر تتحدث عن «لوبيا» بوصفها بلادًا أجنبية معادية كغيرها من البلاد الأخرى، ولا شك في أن اللوبيين كانوا قد أصبحوا بالنسبة لمصر قومًا أجانب وقتئذ، وتُمدُّنا المصادر التاريخية الأثرية بمعلومات عن هذا العهد، غير أن ما تحدثنا به وما يهم المؤلف يختلف عما تُحدثنا به الآثار التي من عصر ما قبل التاريخ؛ إذ تقص علينا — بالكلام والصور — ما جرى من حوادث تاريخية كالحروب التي شنها الفرعون على بلاد «تحنو» (لوبيا) الثائرة وهزمهم، كما تقدم لنا صور المعارك الحربية أو سوق الأسرى المختلفين في صفوف مكبلين بالأغلال. ومن هذه المصادر نعرف حقائق عن تاريخ مصر من جهة، ومن جهة أخرى نعلم أشياء عن القبائل اللوبية المختلفة التي ربطتها بمصر علاقة ما فنعرف أسماءها ومظاهرها. ومن المهم أن نرى سكان غربي مصر الذين كانوا يقطنون على حدوها ليسوا من سلالة واحدة، بل إن أجناسهم وقبائلهم كانت تؤلف سلالات مختلفة، ومن ثم يظهر لنا السبب في صعوبة البحث في تاريخ هؤلاء القوم في عصر ما قبل التاريخ بل في عصر التاريخ أيضًا.

وفي البحث الذي سنتناوله هنا عن هذه البلاد، لا يمكننا حتى الآن أن نعرف إلا من باب التخمين من أي القبائل اللوبية يرجع أصل القبائل التي من عصر ما قبل التاريخ؛ وعلى المرء هنا أن يكتفي حتى الآن — بوجه عام — بالتعبير عن هؤلاء القوم بأنهم من اللوبيين إلى أن تنكشف الأحوال أمامنا، ويمكننا أن نتحدث على ضوء معلومات محدودة عن كنههم، بيد أن الموضوع يختلف عندما نقرأ أن «بيتس» قد عثر في «مرسى مطروح» على مقابر لوبية، أو أنه قد وجد في الحفائر التي عملت في جبانات بلاد النوبة آثارًا تثبت وجود علاقة بين «لوبية» والنوبة، ولهذا لا يمكن الأخذ بذلك تمامًا عندما يتحدث الإنسان عن علاقات وثيقة بين أقدم التاريخ المصري وبين اللوبيين في ذلك العصر؛ وذلك لأن القبائل اللوبية تختلف في فروعها الأصلية، وأنها ليست متساوية الجنسية؛ لأننا لا نعرف إلى أي قبيلة منها يُنسب هذا الشيء أو من أين أتى.

ومن المهم لموضوعنا تحقيق الجنسية الحديثة لسكان شمال أفريقية — وإن كان من الصعب جدًّا ذلك — لأن العلاقات في خلال ألف السنة الأخيرة قد تغيرت تغيرًا كبيرًا جدًّا حتى أصبح من الحزم ألا نقرن بين هذه السلالة الحديثة والسلالة القديمة، أو نستخلص من ذلك أية نتيجة، وعلى هذا سيكون بحثنا هنا بوجه عام قاصرًا على تاريخ هذه البلاد وبخاصة في عهد الدولة الحديثة وهو ما حدا بنا إلى بحث موضوع «لوبيا». وقبل أن نتناول بحث هذا الموضوع يجب أن نقول كلمة عن استعمال كلمة «لوبيا»؛ إذ الواقع أن الكلمة التي نستعملها اليوم وهي بالمصرية — ريبو أو ليبو — ليست صحيحة؛ لأنها لا تعني إلا قبيلة خاصة من سكان شمال أفريقيا، وهم الذين يقطنون الإقليم المسمى الآن «سرنيكا» في البقعة المرتفعة من برقة، وهي أقرب جزء من أفريقيا لبلاد اليونان، وكان قد نزل فيها الإغريق وأطلقوا عليها اسم «ليبون»، وقد أطلق هذا الاسم كُتَّاب اليونان القدامى على سكان شمال أفريقيا وشرقيها غربي وادي النيل. وينبغي أن نحافظ هنا على هذه التسمية وإن كان معناها الإغريقي في الواقع لا يُطلق إلا على الأقوام القاطنين غربي مصر، وهذه التسمية ليست لها معنًى من حيث الجنس،[١٥] بل الواقع أنها تُطلق على القبائل الحامية التي تفرَّع منها عشائر بيض البشرة ومن بينها قبيلة لوبيا. على أن الخلط في استعمال هذا الاسم على هذا النحو في الكتابات الحديثة لم يكن فيه للمصريين القدامى أية جريرة؛ إذ إن المصري في عهد الدولة الوسطى كان يستعمل كلمة «تحنو» للدلالة على هؤلاء القوم، كما أن أهل الدولة الحديثة كانوا يعبرون عنهم باسم «التمحو» بالمعنى الذي يُعبَّر به الآن عن اللوبيين، وعلى ذلك فإننا سنستعمل كلمة «لوبيا» ولوبيين في معناها الجغرافي العام، أو في الحالات التي لا يمكن فيها التحقق من قبيلة من قبائل هؤلاء القوم، ولكن عندما نكون على ثقة من أصل كل قبيلة فإننا سنذكرها بالاسم الدال عليها مثل «اللوبيين» و«التحنو» و«التمحو» و«المشوش».

(ب) التحنو

تدل المصادر المصرية التي في متناولنا حتى الآن على أن مجموعات السلالات الرئيسية التي يتألف منها قوم اللوبيين تُنسب إلى أربع سلالات وهي: «التحنو» و«التمحو» و«المشوش» ثم السلالات «اللوبية»، وسنبحث هنا تاريخ هذه السلالات بقدر ما تسمح به الكشوف الحديثة لأهميتها بالنسبة لمصر. وترجع معلوماتنا عن سلالة «تحنو» إلى عهد فجر التاريخ المصري؛ إذ لدينا أثر من مقبرة لملك يُدعى الملك «وازي» (𓆓) لم تُبْقِ منه الأيام إلا على جزء صغير محفوظ الآن «بالمتحف المصري» وهذا الأثر مصنوع من الإردواز، وينقسم الجزء الباقي منه أربعة صفوف أفقية؛ نُقش في الثلاثة الأولى منه صور ثيران وحمير وغنم على التوالي، ونُقش في الصف الرابع صور شجر، وعلى يمين الشجر نُقشت علامة فُسِّرت بأنها رمز للفظة «تحنو».[١٦] وقد عثر على أثر آخر يرجع عهده إلى عصر الملك «نعرمر» أحد أخلاف الملك «وازي» السابق الذكر، وهذا الأثر هو أسطوانة من سن الفيل نُقش عليها اسم الملك «نعرمر» وأمامه أعداء مكبلون بالأغلال نُقش فوقهم لفظة «تحنو» وقد مُثل على هذا الأثر سكان بلاد «تحنو».

والواقع أنه لولا وجود شواهد أخرى من العصور التالية لما أمكننا أن نصدر حكمنا على حقيقة سحنات هؤلاء القوم بصفة قاطعة. وأهم أثر كشف لنا النقاب عن كنه هؤلاء الناس هو ما عُثر عليه من نقوش في معبد الملك «سحورع»[١٧] أحد ملوك الأسرة الخامسة، ولكن مما يؤسف له جد الأسف أنه لم يَبقَ لنا من الوثائق الخاصة بهؤلاء القوم إلا جزء يسير، ومع ذلك فإن البقية الباقية تقدم لنا صورة صادقة عن هؤلاء القوم؛ إذ قد جاء في النقوش الخاصة بهم العبارة التالية: «ضرب تحنو».[١٨] وكذلك وُجد في معبد الملك «ببيي الثاني»[١٩] أحد ملوك الأسرة السادسة نسخة أخرى من المنظر الذي وُجد على جدران معبد «سحورع». والظاهر أن تمثيل هذا المنظر على جدران المعابد قد أصبح من المشاهد الرمزية المألوفة الدالة على قوة الفرعون وتغلبه على ما جاوره من البلاد الأجنبية المعادية لمصر، ويُشاهد في هذا المنظر كذلك الفرعون وهو يضرب الأعداء بمقمعه، كما يُشاهد فيه صورة الغنائم التي غنمها من قوم «تمحو»، وتشمل الثيران والحمير

والغنم، هذا فضلًا عن قطعان من الماعز لم تُمثل في المنظرين السابقين الخاصين بالعهد العتيق. ويُشاهَد كذلك فوق هذه الغنائم وتحتها صور أسرى مكبلين نُقش فوقهم اسما إقليمين وهما: «باش» و«يكت»، وتدل الظواهر على أنهما إقليمان من بلاد «تحنو»، وفي أسفل الصورة نرى أقارب أمير هذه البلاد، وهم: زوجه وابنته وولداه، كما يُشاهَد في الركن الأعلى على اليمين من هذا المنظر خلف الأسرى صورة إلهة الكتابة والحساب «سشات» تكتب وتحصي عدد الأسرى، كما يدل على ذلك اللوحة التي وضعت أمامها. وكذلك نشاهد في أسفل المنظور خلف أسرة أمير «تحنو» إلهين آخرين وهما إله الغرب والإله «عش» سيد بلاد «تحنو»، وقد منح هذان الإلهان الفرعون كل خيرات البلاد الأجنبية، وليس من شك في أن هذا المنظر على جانب عظيم من الأهمية؛ إذ يضع أمامنا صورة واضحة كل الوضوح مثلت فيها سحنات هؤلاء القوم وشكل ملابسهم، ومن أجل ذلك يُعد مصدرًا عظيمًا يُعتمد عليه في هذا الموضوع، وسنصف أولًا ملابس هؤلاء القوم؛ فأول ما يُلاحظ فيها أن الرجال والنساء كانوا يلبسون لباسًا واحدًا مشتركًا، وهذه ظاهرة تدعو للغرابة والدهشة، فيرتدي كل من الرجل والمرأة شريطًا عريضًا على الصدر من الجلد مُحلى بورود صغيرة ومزخرفًا بالأشكال الدقيقة، ويتدلى طرفاه على الظهر عموديًا ثم يلف كل الجسم ويتمنطق بحزام مزين بخطوط عمودية وأفقية، وكذلك يرتدي كل فرد كيسًا خاصًّا بعضو التناسل، ويلبس في وسطه شريطًا عريضًا مستديرًا مُحلًّى من جهة الحزام اليسرى، ولا نفهم الغرض من هذا الملبس الأخير، وقد اعتقد البعض أنه كيس تُوضع فيه السهام وليس ذلك محتملًا، والظاهر أنه مجرد حلية، أما النحر فقد حُلي بعقد ذي خيوط طويلة تختلف في سمكها نُظمت فيها خرزات بيضية الشكل، ويظهر شعر الواحد من هؤلاء القوم طويلًا متموجًا خفيفًا ومسبلًا إلى ما فوق الكتف، ويُشاهد على الجبين خصلة صغيرة نُظمت منتصبة، أما الفرق الوحيد الذي كان يُلاحَظ بين ملابس الرجال والنساء — خلافًا للحية — فهو ذيل حيوان يتحلى به الرجل، وكانت الأميرة ترتدي ميدعة قصيرة ربما كانت مجرد حلية للزينة وحسب.

ومن المدهش أن الأميرة الوحيدة الممثلة في هذا المنظر كانت تلبس تحت كيس عضو التناسل ميدعة قصيرة ربما كانت بمثابة حلية قد أضافها المثال من خياله هو.

أما الأطفال فكانوا يرتدون اللباس الأساسي الذي يحلي الجزء الأعلى من أجسامهم، ولم يُشاهَد واحد منهم يرتدي حزامًا أو كيسًا لعضو التناسل أو ذيل الحيوان، وهي التي كان يرتديها الرجال والنساء، على أن ما يسترعي النظر في هذه الملابس شيئان:

أولًا: أننا لا نجد في المناظر المصرية ملابس للزينة وحدها.

ثانيًا: يظهر عليها أنها كانت ذات صبغة سحرية؛ إذ لا نجد من بينها قطعة واحدة حيكت للوقاية أو للمحافظة على الجسم من تقلبات الجو، أو للوقاية من حيوان مهاجم، هذا إذا استثنينا حزام قراب عضو التناسل، أما سائر الملبس فليس له غرض عملي ظاهر بل كانت كلها تُلبس لمجرد الزينة أو لأغراض دينية، أو لتمييز مكانة الرجل بين أفراد قومه.

على أن تمييز الرجال بالتحلي بذيل الحيوان لم يأتِ من باب الصدفة، بل يرجع إلى عقيدة سحرية خاصة بالصيد؛ ولذلك أصبح التحلي به موقوفًا على الرجال وحدهم، وفضلًا عن ذلك نشاهد أن البالغين من الرجال كانوا يلبسون كيس عضو التناسل والحزام، والظاهر أن ذلك كان له علاقة بالختان الذي كان عادة متبعة في مصر عند الرجال الذين لم يبلغوا الحلم، غير أن المدهش في ذلك أن هذا الكيس كانت تلبسه النساء أيضًا وهذه ظاهرة واضحة على الآثار تمامًا.

وقد فسرها بعض علماء الآثار بأن الغرض المقصود من لبس هذا الكيس عند قوم «التحنو» قد نُسي، غير أن الأستاذ «مولر» يقول إن لباس الرجال كانت تلبسه الأميرات من نساء «التحنو» وذلك لإظهار مكانتهن، بيد أنه لا يمكن تصديقه؛ لأن الغرض الأول من لبس كيس عضو التناسل هو الإشعار بختان هذا العضو.

وفي اعتقادي أن النسوة كن يلبسنه دلالة على ختانهم أيضًا — كما هي الحال في مصر حتى يومنا هذا إذ نجد الفتيات الصغيرات يُختن. يُضاف إلى ذلك أن الختان كان علامة على الطهارة والنظافة فضلًا عن دلالته على العشق والغرام، فإذا لبسته المرأة كان غرضها أولًا إظهار طهارتها مع إشباع شهواتها وميولها الغزلية.

أما الأمر الثاني الذي يسترعي النظر فهو ما نلاحظه من التشابه بين حلية ملوك مصر وحلية أهل «تحنو»، وقد بدا ذلك واضحًا على آثار معبد الملك «سحورع»؛ إذ نشاهد في ملابس هؤلاء القوم الذيل المعلق في الحزام يرتديه البالغون منهم، وهذا نفس ما نشاهده في ملابس ملوك مصر الذين كانوا يتحلون بتعليق الذيل، وهو من أمارات الملك، يُضاف إلى ذلك أن اللوبي كان يتحلى بخصلة من الشعر نظمها وصفها على جبينه بصورة تحاكي صورة «الصل» المقدَّس الذي كان يتحلى به الفرعون ليحميه شر الأعداء إذا هاجموه.

ويقول الأستاذ «مولر» عن خصلة الشعر التي تزين الجبهة إنها توجد كذلك عند الحاميين الذين يسكنون جنوبي مصر وكذلك عند أهل «كريت»، هذا فضلًا عن أننا نراها حتى يومنا هذا في شرق آسيا، وقد ظنَّ البعض في أول الأمر أن هذه الخصلة هي الصل نفسه، بيد أن من ينعم النظر يجدها خصلة شعر وحسب.

سلالة التحنو

ولا نزاع في أن أوجه الشبه التي ذكرناها هنا بين ملابس ملوك مصر، أو بعبارة أخرى حليتهم وحلية قوم «تحنو»، قد برهنت بحق على وجود علاقة وثيقة بين المصريين والتحنو من بعض الوجوه، غير أن هذا التشابه لا يتعدى الملابس أي إنه ليس بين الشعبين أوجه شبه في الملامح إلا كما يدعي «إدوردمير» أن المصريين يرجع أصلهم إلى الجنس اللوبي، وهم الذين وفدوا على وادي النيل في بادئ الأمر واستوطنوه بوصفهم صيادين ورعاة مواشٍ، ثم أصبحوا فيما بعد

زرَّاعًا،[٢٠] وفضلًا عن وجهي الشبه اللذين ذكرناهما بين ملابس ملوك مصر وبين ملابس التحنو فإن لدينا بعض حقائق أخرى تحدثنا عن أصل هؤلاء القوم، فنلاحظ في نقوش الفرعون «سحورع» السالفة الذكر أن الأمراء المغلوبين على أمرهم من «التحنو» قد أُطلق عليهم لقب «حاتي تحنو» أي «أمير تحنو» وقد عثر على أثر نقش عليه هذا اللقب كذلك منحه أمير من هؤلاء القوم في عهد الفرعون «منتوحتب» في بلدة «جبلين»[٢١] والواقع أن منح أمير أجنبي هذا اللقب يُعد أمرًا غريبًا في بابه، إذ جرت العادة على أنه لا يُعطاه إلا أمير مصري، هذا إلى أن الأمراء الأجانب كانوا في العادة يلقبون «حقاو» وفيما بعد «ور»، يُضاف إلى ذلك أن النقش القصير الذي نجده أمام إلهة الغرب في آثار الملك «سحورع» السالف الذكر يقول:

> إني أمنحك أمراء تحنو.

وهذا التعبير غريب في بابه؛ وذلك لأن من يمنح في العادة هم القوم أنفسهم لا الأمراء.

ولدينا متنان قديمان يفسران قيمة هذا التعبير وأهميته وعلاقته بأهل تحنو؛ عُثر على المتن الأول منهما في مدينة «هابو» بين نقوش يرجع عهدها إلى عصر «تحتمس الثالث» وعهد «أمنحتب الثالث». وهذا النص خاص بتقديم معبد فيقول فيه:

> لقد شحنت سفنه بأقوام من بلاد «إيونتو» من أصقاع النوبة ومن أهل «مونتيو» من بلاد آسيا ومن أهل «حاتيوعا» من بلاد لوبيا.[٢٢]

أما المتن الثاني فيرجع إلى عهد الأسرة الحادية عشرة وهو مقتبس من متون اللعنة التي نشرها الأستاذ «زيته»،[٢٣] وقد جاء فيه ذكر «حاتيوعا» (أهل «تحنو») وعلى ذلك يمكن القول بأن «أهل تحنو» كانوا في ذلك الوقت أو في وقت معلوم يسمون بهذا الاسم. وعلى الرغم من أن هذا الاسم كان يطلق على قوم «تحنو» فإنه كان في الوقت نفسه ضمن الألقاب المصرية التي كانت تُخلع على حاكم المقاطعة أو أميرها كما كان لقب شرف، ويعتقد الأستاذ «زيته» أن هذا الاسم قد

أُطلق على جيران مصر من باب السخرية؛ لأن خصلة الشعر التي تحلي جباههم مشكلة في هيئة الصل الفرعوني والذيل الذي يعلقونه كانا من خصائص ومميزات ملوك مصر. وهذا التفسير مقبول في شكله ولكن هل من تفسير آخر يوضح لنا أصل هؤلاء القوم؟

فهل يكمن أن يكونوا من أصل لوبي أو أنهم يرجعون إلى أصل مصري؟

والواقع أنهم قد عُدوا منذ زمن بعيد من أرومة مصرية، ويقوي هذه الفكرة اشتراك البلدين في زي واحد، هذا إلى المشابهة في البشرة الخارجية والوجه في كلا السلالتين، يُضاف إلى ذلك أنه قد وُجد اسمان من أسماء أمراء «تحنو» لهما نظائرهما بين الأسماء المصرية وهما: «وني» و«خوتفس»، فالأول اسم قائد معروف عُثر على لوحته العظيمة في «العرابة المدفونة» التي يرجع تاريخها إلى الأسرة السادسة (راجع مصر القديمة ج١).

والثاني معنى اسمه «المحمي من والده» هو اسم كثير التداول بين الأعلام المصرية؛ يُضاف إلى ذلك أن نفس لفظة «تحنو» ترجع إلى أصل مصري معناه «البراق» — وقد تعزي هذه التسمية إلى الملابس البراقة التي كان يرتديها القوم — وكلمة «تحنو» معناها — كذلك — «زجاج» أو «قاشاني»، وقد استُعملت لفظة «تحنو» لتدل على الزجاج كما أن كلمة «صيني» تطلق على «القاشاني» المجلوب من الصين أولًا. والآن يتساءل المرء كيف يتسنى للإنسان أن يبرهن على اشتقاق كلمة «تحنو» بالحجة الدامغة؟

ويمكننا أن نقرر أنها «مصرية»؛ وذلك لأن «التحنو» يختلفون عن اللوبيين الذين يقطنون بجوارهم، ومما له أهمية في هذا الصدد ما نلحظه من أن قوم «تحنو» لا يتحلون بالريشة المميزة للوبيين وهي شعارهم الخاص، هذا إلى أن أسماء الأقوام الآخرين الذين يسكنون هذه الجهات لا يمتون للمصريين بصلة، بل هم في الواقع لوبيون، في حين أن «التحنو» كانت لهم صلات بمصر، وعلامات مشتركة بين السلالتين، كل ذلك يوحي بالتفكير في أن «التحنو» كانوا في

الأصل مصريين، وأنهم سكنوا الوجه البحري؛ ثم هاجروا منه في وقت ما نحو الغرب وسكنوا إقليم «تحنو» الواقع على الحدود المصرية. حقًّا لم يصل إلينا حتى الآن أي أثر من بلاد الدلتا يحدثنا عن هذه السلالة من الناس، بيد أننا في الوقت نفسه لا يمكننا أن نعد الأثرين اللذين وجدناهما خاصين ببلاد «تحنو» وهما الأثران المنسوبان للملك «وازي» والملك «نعرمر» مجرد صدفة، بل هما في الواقع أثران قد أُقيما ليحدثانا عن انتصار هذين الملكين على هؤلاء القوم، وقد كان ذلك النصر بطبيعة الحال قبل توحيد الوجه القبلي والوجه البحري، وفي استطاعتنا القول بأن أمير هؤلاء القوم الذي كان يُعد أميرًا صغيرًا بمثابة حاكم مقاطعة «حاتي عا» قد أصبح يطلق عليه «أمير التحنو»، وبتقادم الزمن أصبح هذا اللقب يطلق على كل هذه السلالة التي هجرت موطنها الأصلي، وقد كان هؤلاء القوم الجدد في موطنهم الجديد مخاطبين بأقوام لها ثقافتهم الخاصة، وبخاصة أنهم كانوا آنئذ قد انفصلوا عن مصر التي كانت ذات ثقافة راقية، غير أنهم قد أخذوا بعض الشيء عن ثقافة جيرانهم الجدد، ولا أدل على ذلك من أننا نجد اسم غيرهم في نقوش الفرعون «سحورع» وأعني بذلك قوم «وسا»؛ وعلى الرغم من هذا الاختلاط الجديد فإنهم قد حافظوا على شخصيتهم وتقاليدهم وملابسهم بخاصة.

أما استعمال كيس عضو التناسل فيمكن أن نعزوه إلى أصل لوبي؛ وذلك لأنه كان يُستعمل منذ الأزمان السحيقة هناك، وبقي استعماله مستمرًّا في حين أن استعماله في مصر كان قد اختفى منذ عهد مبكر ولم يستعمل بعد إلا في الأحفال الخاصة بالشعائر الدينية، فنشاهد مثلًا الملك «زوسر» يلبسه في حفل «شوط تقديم القربان»،[٢٤] وفيما بعد نجد أن بعض الآلهة كانوا من وقت لآخر يلبسونه، فمثلًا نرى إله النيل يلبسه،[٢٥] وكذلك الإله «بتاح تنن»[٢٦] والإله «جب»[٢٧] (إله الأرض)، هذا إلى بعض آلهة آخرين أقل درجة من السابقين قد ارتدوه.

أما ما قيل من أن الصيادين المصريين كانوا يلبسون هذا الكيس في أثناء الصيد، وأنهم اتخذوا ذلك عادة فقول مردود، وزعم لا يرتكز على مصادر يعتمد عليها، بل يرجع إلى فكرة خاطئة استند

مدعوها على جدران مقبرة حاكم المقاطعة المسمى «سبني» في جبانة بلدة «مير»، ونحن نعلم من جانبنا أن «سبني» هذا وأسرته يُنسبون إلى أصل لوبي، وقد حافظ أفراد هذه الأسرة على تقاليدهم القومية الأصلية التي نقلوها من بلادهم.[٢٨]

وإذا كانت هذه الخصائص المميزة لقوم «تحنو» لا غبار عليها فلدينا أمثلة جديدة قد تعدُّ من الأمور السياسية التي يرجع استعمالها إلى احتفال البلاط بالانتصار على الوجه البحري عند توحيد البلاد، ومع ذلك فإنها لا تُنسب إلى أصل لوبي، فمثلًا نعلم أن شارتي السيادة الملكية في مصر وهما الصولجان والزخمة يعزيان إلى إله «بوصير» المسمى «عنزتي».[٢٩]

وكان الإله المسيطر على شرق الدلتا قبل توحيد البلاد بزمن بعيد، هذا بالإضافة إلى أن الإله «حور» الذي يمثل الملك كان يقطن المقاطعة الثانية الواقعة في غرب الدلتا، ومن ملابس هذا الإله نشأت عادة التحلي بذيل الثور الذي كان يعلقه الملك في الوجه البحري، ومن أجل ذلك ينبغي على الإنسان بهذه المناسبة أن يتساءل: هل «الصل» الذي يضعه الفرعون على جبينه كان صورة الإلهة «وازيت» التي كانت تمثل في هيئة صل، وأن قوم «التحنو» قد قلدوا ملوك الدلتا في ذلك؟ والجواب على ذلك أن هذا تفسير محتمل جدًّا.

أرض «التحنو» وموقعها

لقد أطلقنا حتى الآن اسم «تحنو» على أهل هذه السلالة التي ما زلنا نتحدث عنها حتى الآن، والواقع أن هذه التسمية ليست صحيحة، والصحيح أنها تُسمى «حاتيوعا»، أما كلمة «تحنو» فهي في الأصل اسم الإقليم الذي يسكنه هؤلاء القوم، ولا أدل على ذلك من المثلين القديمين اللذين ذكرناهما فيما سلف وجاء فيهما ذكر قوم «حاتيوعا»، هذا ونجد فضلًا عن ذلك أثرًا من عهد الملك «منتوحتب» أحد ملوك الأسرة الحادية عشرة جاء فيه ذكر هذه البلاد إلى جانب قومي «النوبيين» و«الآسيويين»، وكذلك جاء ذكرهم في قصة «سنوهيت» بأنهم الذين يسكنون بلاد «تحنو»[٣٠]

والآن يجب علينا أن نحدد موقع بلاد «تحنو»، ولا نزاع في أنها تقع غربي مصر، ويُذكر اسم هذه البلاد عادة عندما نسرد أسماء البلاد التي تقع غربي مصر منذ أقدم العصور، وكذلك عندما نذكر جيران مصر فإنها كذلك تذكر بموقعها الغربي منها، وقد ذكرنا في متني «تحتمس الثالث» و«أمنحتب الثالث» أنه تقع في الجنوب بلاد السودان، وفي الشرق بلاد آسيا، وفي الغرب من مصر بلاد «تحنو»، وهذه الأمثلة يمكن مضاعفتها في الأزمان التي تلت عهد هذه المتون، وكذلك نجد أن نقوش «سحورع» قد ذكرت لنا موقع بلاد «تحنو» بأنها في غربي مصر، ومع ذلك فإنه في استطاعتنا تحديد موقع بلاد «تحنو» على صورة أدق، فهذا الاسم يطلق غالبًا على المكان الذي كان يُجلب منه النطرون المستعمل في مصر القديمة لتحضير طلاء أشكال الخزف[٣١] والزجاج، بيد أن هذه البقعة الصحراوية ليس فيها من الخيرات ما يصلح لسكنى عدد عظيم من الناس، وكذلك يُلاحَظ أن تصوير الأشجار ضمن الغنائم التي ظفر بها الملك كما شاهدناه في لوحتي الملك «وازي» والملك «نعرمر» يوحي إلينا بأن أرض «تحنو» لا تشمل بلادًا صحراوية وحسب، بل تشمل كذلك بقاعًا خصبة في غربي وادي النيل، وعلى ذلك لا يسع المرء إلا أن يفكر في وجود واحة في هذه الجهة قد تكون هي واحة «الفيوم»، وقد أكد لنا ذلك الأستاذ «بسنج»، إذ شاهد في نقش من عهد الفرعون «منتوحتب» أحد رؤساء «تحنو» معلقًا في حزامه صور سمك، ومن ثم استنبط أن «الفيوم» هي موطنه، ونعلم فضلًا عن ذلك أن الإله «سبك» (التمساح) منذ القدم كان يُقدَّس في «الفيوم»، وكذلك نجد أن الإله «سبك» في متن يرجع تاريخه إلى عهد الملك «طهراقا» يمثل بلاد «تحنو» كما أن الإله «ددون» كان يمثل بلاد «النوبة» والإله «سبدو» يمثل بلاد آسيا، و«حور» يمثل مصر.

ونشاهد الإله «سبك» نفسه مرات عدة ممثلًا بوصفه سيد بلاد «باش»، وهي كما تحدثنا نقوش الملك «سحورع» جزء من بلاد «تحنو»، وكذلك جاء ذكره في متون الأهرام بأنه «سبك» سيد «باش»، ثم ذكر بعد ذلك مباشرة أهل «أععوا» العظام جدًّا الذين في مقدمة «تحنو»،[٣٢] وكذلك

ذُكر اسم «سبك» في «كتاب الموتى» بوصفه سيد «باش» مرات عدة،[٣٣] وقد تكلم الأستاذ «زيته» بإسهاب عن موقع بلاد «باش» بوصفها غربي مصر، وبعد مناقشة طويلة قال إنه يجب علينا أن نقرر من المادة التي أوردناها هنا — ما دام ليس هناك ما يناقضها وبخاصة نقوش الأسرة الخامسة — أن بلاد «تحنو» تقع في إقليم «وادي النطرون» و«الفيوم» وأن قوم «تحنو» استوطنوه.[٣٤]

وهذا الرأي الذي استعرضناه عن موقع بلاد «تحنو» هو ما أدلى به الأثري «هولشر»،[٣٥] غير أن الأستاذ «جاردنر» قد تناول موضوع موقع بلاد «تحنو» بالبحث من جديد،[٣٦] وسنورد فيما يلي رأيه لنستخلص من الرأيين نتيجة تقرب من الحقيقة إذا أمكن:

إن كلمة «تحنى أو تحنو» هذه هي اسم عريق في القدم عُثر عليه على لوحة تُنسب للملك «وازي»، وكذلك على أسطوانة لخلفه «نعرمر» وقد كانت كلمة «تحنو» أو «تيحنو» اسمًا يُطلق على سكان البلاد الذين يسمون «حاتيوعا» وهذا اللفظ كان يطلق على الأمراء المصريين، وهؤلاء القوم الذين نشاهد أزواجهم ورؤساءهم وأولادهم ممثلين على كثير من معابد الدولة القديمة سمر الوجوه كالمصريين، ويعلقون ذيولًا مثل التي كان يعلقها فراعنة مصر، ويحلون جباههم بخصلة شعر صوِّرت في هيئة الصل الذي كان يحلي به الفرعون جبينه، وهذا أمر يدعو إلى العجب والدهشة، وكذلك كانوا يرتدون قرابًا يضعون فيه عضو التناسل، وكان قدماء المصريين يلبسونه في عصور ما قبل التاريخ، وهذه الخصائص كانت تميزهم عن قوم «تمحو» (اللوبيين)، ويظهر أنه كانت بينهم وبين المصريين قرابة وثيقة، ويُلاحظ على لوحة الملك «وازي» أن اسم «تحنو» قد وُضع بين عدد من الأشجار. ويعتقد الأستاذ «نيوبري» أنه شجر زيتون. ومما له أهمية في هذا الصدد وجود نوع من الزيت قد ذُكر باسم «حاتت تحنو» أي «زيت من الدرجة الأولى». وقد كتبت هنا كلمة «تحنو» كما كتب بها اسم هذه البلاد. وقد برهن الأستاذ «نيوبري» على أن شجرة الزيتون تُعد من الأشجار المتوطنة في الشمال الغربي من أفريقية.

وعلى الرغم من أن ملاحظات الأستاذ «نيوبري» لم تساعدنا على تحديد موقع بلاد «تحنو» بالضبط، فإن رأيه القائل بأنها تقع مباشرة في الغرب من الشمال الغربي للدلتا يتفق مع الحقائق التي نعرفها، ففي الحملة التي قام بها الملك «سنوسرت الأول» على أرض «تمحو» نلحظ أنه قد أحضر معه أسرى — هؤلاء الذين هم في أرض «تحنو» — هذا فضلًا عن إحضاره ماشية كان من المستحيل أن تجد ما يلزمها من طعام إلا في أراضٍ على شاطئ البحر الأبيض المتوسط. هذا ولدينا عدَّة معبودات تربط بلاد «تحنو» بغرب الدلتا، منها الإله «تحنوى» أي «صاحب تحنو» فإنه يوجد ضمن آلهة آخرين من آلهة الوجه البحري، ويمكن توحيده بالإله «حور تحنو» الذي ذُكر في مناسبات مماثلة في كتاب «نافيل» المسمى «قاعة العيد».[٣٧]

وقد وحد الأستاذ «كيس» هذا الإله بالإله «حور تحنو» صاحب الذراع العالية، وقد ذُكر مرات عدَّة في عهد الدولة القديمة، وكذلك نجد الإلهة «نايت» صاحبة «تحنو» قد ذُكرت مرة. ولا بد لنا من أن نفحص هنا بعض الحقائق التي دعت «زيته» وتبعه فيها «هولشر» إلى القول بأن «الفيوم» يمكن أن تكون في الأزمان القديمة ضمن بلاد «تحنو»، فقد دوَّن في مناظر المعبد الجنازي للملك «سحورع» كلمة «باش» وهي المعروفة كثيرًا في النقوش المصرية بلفظة «باخو» أيضًا. وهذا الاسم على الرغم من أنه أطلق فيما بعد على جبل يُعرف بأنه الأفق الشرقي لمصر كان في الأصل جبلًا في الغرب، وكان إله «باخو» هو الإله «سبك» الذي يمثل في صورة تمساح.

ولم تكن عبادة الإله «سبك» قاصرة على «الفيوم»؛ إذ نجد في قائمة مقاطعات القطر المصري الكبرى أنها تصف إله المقاطعة الرابعة من مقاطعات الوجه البحري، وكذلك نرى الإله «سبك» بوصفه ابن الإلهة «نايت» كان يُعبد في المقاطعة الصاوية — نسبة إلى صا الحجر — ومع ذلك فإنه على الرغم من العلاقات الوثيقة التي نجدها بين آلهة الدلتا المختلفين وبين بلاد «تحنو» لا نجد لدينا براهين قاطعة تدل على امتدادها بعيدًا جهة الجنوب.

ونشاهد في نقوش «سحورع» أن الأسرى من بلاد «تحنو» كانوا يقدمون للفرعون بوساطة إله الغرب وبوساطة الإله «عش» سيد «تحنو». وكل ما يمكن استنباطه مما سبق هو أن تحنو تقع في غربي مصر. ومما يلفت النظر في هذه النقوش أنه قد احتفل بالاستيلاء على الغنائم العظيمة التي تشمل ثيرانًا وحميرًا وماعزًا وغنمًا، وأن الماعز كانت غير مذكورة في اللوحة التي كانت من عهد الملك «وازي». وما يستنبط من كل الحقائق السابقة هو أن «تحنو» الدولة القديمة وما فيها من آلهة من الوجه البحري، وكذلك ما فيها من أسماء مصرية الأصل، وملابس رؤسائها التي تتفق تمامًا مع كل مظاهر الملابس المصرية، يدل على أن بلادهم كانت تشمل التخوم الغربية للدلتا، أو كانت تقع على حدودها تمامًا.

والمصادر الخاصة «بالتحنو» في الدولة الوسطى قد فصل فيها القول الأثري «هولشر».[٣٨] أما عن غزوات كل من الفرعونين «مرنبتاح» و«رعمسيس الثالث» — وسأتحدث عنها فيما بعد — فنلاحظ أن كلمة «تحنو» وعبارة «قوم تحنو» أو «أرض تحنو» قد استعملت كلها غالبًا في معنى تقليدي مبهم، ولكن لما كانت نقوش الكرنك العظيمة التي تركها لنا الفرعون «مرنبتاح» تقول إن أمير «لوبيا» قد انقض على أرض «تحنو» فإنه من الممكن أن نعد التعبير يدل على أن هذا الإقليم ما زال هو الملاصق للدلتا مباشرة من جهة الغرب، وفي هذه الفترة كان سكان «تحنو» يُعدون أجانب بالنسبة لمصر، ومن المحتمل أنهم كانوا دائمًا يعدون من أصل لوبي ذوي بشرة بيضاء، ويتكلمون لغة بربرية.

التغير في معنى اسم «تحنو»

أشرنا فيما سبق إلى أن استعمال كلمة «تحنو» بمرور الزمن قد طرأ عليه تغير يُذكر فقد كان لتلك البلاد في بادئ الأمر أهمية جغرافية. ويُلاحَظ أنه في عهد «منتوحتب الأول» كان سكان هذه الجهة يدعون سكان «تحنو»، وقد بدأ التغير الجديد عندما ظهرت سلالة جديدة من اللوبيين يسمون

«تمحو»، والظاهر أنهم استوطنوا بكثرة على طول ضفة وادي النيل من الجهة الغربية، والظاهرة الجديدة في استعمال كلمة «تحنو» نلحظها في قصة «سنوهيت» في عهد الملك «سنوسرت الأوَّل»، فقد ذكر لنا أن ولي العهد قد أرسله والده في حملة إلى ساحة الميدان في بلاد «تمحو» ليقضي على هؤلاء «التحنو». ومما يُلحظ هنا أن كلمة «تحنو» لم تخصص بعلامة الإقليم، وأنه أحضرهم من بلاد «تمحو»، وعلى ذلك فإنه يقصد من لفظي «تحنو» و«تمحو» قومًا واحدًا بعينهم، ولما كانت بلاد «تحنو» حتى الآن تُعد أقرب بلاد في الغرب متاخمة لمصر فقد أصبح يُطلق عليها مجرد كلمة «الغرب». ومن ذلك نكون قد وصلنا إلى نقطتين هامتين؛ أولاهما: أن اسم البلاد أصبح يُطلق على سكانها، وثانيتهما: أن استعمال كلمة الغرب أصبح يُطلق على بلاد «تحنو»، ومن ثم أُطلق على أهل البلاد «سكان الغرب».

وسنرى بعد أن كلمة «تحنو» تدل على اللوبيين. والواقع أنه لم يكن في الإمكان أن نميز بعد الأسرة الخامسة سكان هذه الجهات على وجه التأكيد، ففي نقوش الفرعون «منتوحتب» نجد أن مميزات ملابسهم قد اختفت، ونجد أن المصادر المكتوبة لا تحددهم لنا، والأمثلة على ذلك كثيرة جدًّا.

فإذا أخذنا مثالًا واحدًا من نقوش الملكة «حتشبسوت» اتضح صحة ما نقول، فقد ذكرت لنا هذه الملكة في نقوش قاعدة مسلتها بالأقصر أن الجزية من بلاد «تحنو» كانت سبعمائة سن فيل، وذلك ينطبق بطبيعة الحال على سكان بلاد نائية موقعها في الجنوب.[٣٩]

وبعد ذلك البحث الطويل في قوم «تحنو» يجدر بنا أن نوجه أنظارنا إلى القوم الذين يُسمون بحق «لوبيين» وهم قوم نشأوا في البلاد بطبيعتها ذُكروا لنا في الأزمان التاريخية، ويحق لنا أن نطلق عليهم هذا الاسم بسبب إقامتهم الطويلة ونموهم القومي، ويجب أن نؤكد هنا مرة أخرى أن

«التحنو» كانوا يُعرفون عند المصريين منذ أقدم العهود من الآثار بأنهم اللوبيون في أوسع معاني الكلمة.

(ج) قوم «تمحو»

كانت دائرة نفوذ مصر في عهد الدولة القديمة قد تخطت حدودها السياسية؛ ولذلك ينبغي لنا أن نقتفي الأثر الذي تركه سقوط الأسرة السادسة فيما جاورها من البقاع اللوبية.

والواقع أن ما جلبه الارتباك السياسي الذي حدث في مصر حوالي نهاية الأسرة السادسة قد شلَّ كل مرافق البلاد، وأطمع الأقاليم التي حولها فيها، وقد ظهر ذلك جليًّا عندما شاهدنا الأقوام الذين كانوا يسكنون غربي مصر قد تحرروا من أغلالهم وما فرضته عليهم من سلطان، وأصبحوا في أمان وحرية، ولا نزاع في أن هذا التحرر الذي ناله سكان غربي مصر قد مهد الطريق لهم حتى في عهد الأسرة السادسة — للاختلاط بالمصريين. ولا أدل على ذلك من أننا نجد اسم هؤلاء القوم يظهر للمرة الأولى في عهد هذه الأسرة باسم «تمحو»، وهم يؤلفون نسبة عظيمة من سكان «لوبيا». وهؤلاء القوم ذوو البشرة البيضاء من أهل البربر (شمال أفريقيا)، ونعلم أنهم في العهد الكلاسيكي كثروا حتى إنهم كانوا يؤلفون الجزء الأعظم من السكان، يدل على ذلك ما كتبه كثير من المؤلفين الكلاسيكيين (pseudoskulax, 110, kallimachos hymni II. pp. 85-86 & Lukan Phars X. 129–131)، وهؤلاء القوم ذوو البشرة البيضاء الذين يسكنون شمال أفريقيا وصحراء «لوبيا» لا بد أنهم كانوا قبل أن يظهر اسمهم في المتون المصرية معروفين لدى الشعب المصري؛ لأنه في عهد الأسرة الرابعة قد عُرف أفراد يُنسبون إليهم مُثلوا على الآثار المصرية. والواقع أنه قد صادفنا حالة واحدة لم تتكرر بعد، ولكن تدل شواهد الأحوال على أن هؤلاء «التمحو» هم الذين تتمثل فيهم الثقافة اللوبية. (راجع Hölscher Ibid p. 25).

والآن يتساءل المرء عما إذا كان العنصر الهام في تاريخ مصر قبل الأسرات، وهو الذي يُطلق عليه «عهد الثقافة اللوبية»، ينسب معظمه إلى هؤلاء «التمحو»؟ وسيكون مدار بحثنا فيما يلي إيجاد بعض الأسباب والعوامل التي تحل لنا هذا السؤال؛ وهو ذو أهمية كبيرة للحكم على الثقافة المصرية.

أقدم الأدلة على وجود قوم التمحو

صادفتنا كلمة «تمحو» للمرة الأولى في النقوش المصرية التي ترجع إلى عهد الملك «بيبي الأول» أحد ملوك الأسرة السادسة، ذكرها لنا العظيم «ونى» قائد الجيش الذي سار لمحاربة قبائل آسيا، وكان جيشه مؤلفًا من فرق مختلفة، من بينها فرقة من قوم «تمحو» ثم جاء ذكرهم بعد ذلك في عهد الفرعون «مرنرع» في النقوش التي خلفها لنا الرحالة «خوفوحر» في حملته الثانية الكشفية (راجع مصر القديمة ج١).

ولم تكن علاقة مصر وقتئذ ببلاد «التمحو» وثيقة. ولا يمكن أن نفهم من وجود فرقة من هؤلاء «التمحو» في الجيش المصري إلا أنهم كانوا خاضعين للسيطرة المصرية، ولكن من المحتمل أنه كان يوجد جزء منفصل من قوم «التمحو» يعملون في الجيش المصري. والظاهر من حديث «خوفوحر» أن هؤلاء القوم كانوا يسكنون بعيدًا عن وادي النيل؛ وذلك لأن الرحلة من «إلفنتين» حتى بلاد «يام» التي أشار إليها «خوفوحر» في كلامه والعودة منها كانت تستغرق مدة تتراوح بين سبعة وثمانية أشهر. ويدل المتن على أن بلاد «تمحو» كانت غربي بلاد «يام».

وقد ذكر لنا المصري القديم في نقوشه مبلغ العداوة التي كانت بينه وبين أهالي «تمحو» في العصر الذي يقع بين سقوط الدولة القديمة وقيام الدولة الوسطى على حسب ما جاء في متن «إبور» أو «تحذيرات نبى»، إذ قد جاء ذكر «النحسى» (النوبيين) و«التمحو».[٤٠]

ومما يؤسف له أن المصادر التي في متناولنا عن «التمحو»، وعن «اللوبيين» في عهد الدولة الوسطى ضئيلة. فلا نجد غير ما جاء في قصة «سنوحيت» أي مصدر تاريخي ذي شأن يحدثنا عن علاقة مصر بهذه البلاد، وبخاصة عن تسرب اللوبيين إلى مصر في ذلك العهد الذي كان يُعد بلا شك الفترة التي حدث فيها هذا التسرب. وقد قيل إن اللوبيين قد اختفوا بعض الشيء في عهد الدولة الوسطى، وهذا الزعم لا أساس له من الصحة. ولما كانت المصادر قليلة لدينا في هذا الموضوع فسنحاول أن نضع فكرة عن أحوالهم بقدر ما تسمح به النقوش القليلة التي وصلت إلينا عن اللوبيين في هذا العهد.

لم نعثر على اسم اللوبيين في هذا العهد إلا قليلًا جدًّا؛ فلدينا غير ما ذُكر في «متون اللعنة» وهي ليست متونًا تاريخية ذات قيمة، ومتن تنبؤات الحكيم «نفرو رهو» وهو تحذير أدبي كُتب في عهد «أمنمحات الأول» (راجع كتاب الأدب المصري القديم الجزء الأول) ثلاثة مصادر أخرى جاء فيها هؤلاء القوم؛ الأول: المتون التي من عهد «منتوحتب» وهي التي تكلمنا عنها فيما سبق، والثاني: ما جاء في قصة «سنوهيت» التي يرجع تاريخها إلى بداية الأسرة الثانية عشرة، وهي تقرير مختصر عن حملة قام بها هذا الفرعون على «التمحو» وقد كان قائدها أكبر أبنائه وهو الأمير «سنوسرت» الذي أصبح فيما بعد الفرعون «سنوسرت الأول»، على أن ما جاء عن هؤلاء القوم في هذه الجملة، وما ذُكر عن هزيمتهم كما تنبأ به «نفرو رهو» يذكرنا بالحالة الميئسة التي وصفها لنا الكاتب «إبور» في تحذيراته. أما المصدر الثالث: فهو متن لموظف يُدعى «خعوى» من عهد الفرعون «سنوسرت الثالث» عُثر عليه في «وادي حمامات»[٤١] وكان قد أرسله الفرعون ليحضر له طرائف من بلاد «تحنو».

وليس لدينا غير هذه المصادر عن «لوبيا» شيء يذكر، اللهم إلا بعض متون ليست لها علاقة بهؤلاء القوم مباشرة. فمثلًا لدينا «لوحة الكلاب»[٤٢] المشهورة المنسوبة للأمير «أنتف»، وقد أثبت الأستاذ «شارف» في بحثه عن أصل اللوبيين أن بعض أسماء الكلاب التي ذُكرت على هذه اللوحة

هي أسماء لوبية، وقد حقق منها اسمين وهما: «بحكى» أي (باهك) ومعناه: الغزال، و«إبقور» (أباقر) ومعناه: كلب صيد. والظاهر أنهما اسمان أُطلقا على هذين الكلبين على سبيل التدليل فحسب.

وقد عُثر في «الدير البحري»[٤٣] على نقش صُور عليه أسرى من «التحنو»، والظاهر أنه من المناظر التقليدية، وكذلك لدينا منظر مُثل فيه حاكم مقاطعة «القوصية» المسمى «سبني» من عهد «أمنمحات الأول» وقبره في جبانة «مير» نُقش نقشًا جميلًا، فنشاهد على أحد جدرانه حاكم المقاطعة يصحبه تابع يحمل أسلحته وهو في طريقه إلى الصيد، وملابس هذين الرجلين تلفت النظر؛ إذ يرتدي كل منهما كيس عضو التناسل، وكذلك يُلحظ أن «سبني» يلبس على صدره شريطًا على هيئة صليب كالذي يلبسه النوبيون (راجع Blackman Meir I p. 29 note 6).

هذا إلى أن تابعه كان يتحلى بريشة في شعره وهي المميزة للوبي، وقد ظن أن هذا الكيس من مميزات ملابس الصيادين في الدولة الوسطى، وهذا زعم خاطئ كما شرحنا ذلك من قبل.

وهذا الكيس لم يصادفنا في النقوش المصرية إلا في حالة واحدة وهي التي نحن بصددها الآن، وكذلك في قبر ابنه «وخب حتب».[٤٤] وقد وضع أمامنا «فرشنسكي» التفسير الحقيقي الذي يعزو فيه «سبني» وأسرته إلى أصل لوبي، وهم الذين يميزون بلبس كيس عضو التناسل. وعلى ذلك يكون لبس هذا الكيس عادة من العادات التي جلبت إلى مصر من أفريقيا، وأن أسرة «سبني» قد دخلت مصر في العهد الإقطاعي الأول، وبقي أفرادها محافظين على تقاليدهم الأفريقية. ومن ثم يجب أن نعترف بوقوع هذه الهجرة اللوبية إلى مصر. ويعضد ذلك أنه قد عُثر على تماثيل في مقابر هذا العهد تبرهن على وجود هؤلاء القوم في مصر في عهد الدولة الوسطى؛ إذ قد وُجد[٤٥] تمثال صغير يبلغ حجمه خمسة عشر سنتيمترًا مصنوع من الخشب في مقبرة من مقابر «بني حسن» وهو لامرأة «خادمة» وقد قرنه الأثري «جارستانج» بالصور التي في مقبرة «خنوم

حتب»[٤٦] التي وُجدت على جدرانها صور اللوبيين، ووجد أنه يشبه اللوبيين، غير أن القول بأن هؤلاء القوم الذين مُثلوا على جدران مقبرة «خنوم حتب» هم من الأسرى اللوبيين الذين استولى عليهم كل من «أمنمحات الأول». وابنه «سنوسرت الأول» كما ذكر لنا «إدواردمير»؛[٤٧] قول ينطبق على الحقيقة. هذا إلى أنه ليس لدينا أدلة تاريخية تثبت أن الصدرية المنسوبة إلى «سنوسرت الثالث» وهي التي قد مُثل عليها هذا الفرعون وهو يطأ اللوبيين لها أصل تاريخي، بل هي محض تقليد.[٤٨]

اللوبيون البيض وملابسهم في الأزمان القديمة

اتفقت الآراء منذ ما كتبه الأستاذ «مولر»[٤٩] عن سلالة «التمحو» ذوي البشرة البيضاء أنهم يُنسبون إلى قبائل البربر القاطنين في شمال أفريقية، وأنهم لا صلة لهم بسلالة «تحنو» ذوي البشرة السمراء، وأن «التمحو» ليسوا فرعًا من «التحنو» كما أن «التحنو» ليسوا فرعًا من «التمحو»، وبحثنا في أصل «التحنو» يؤكد لنا ذلك. وتدل المعلومات التي أدلى بها الأستاذ «مولر» على أنه لا يعلم الشيء الكثير عن «التمحو» غير أن الواقع يناقض ذلك؛ فإن هذه السلالة تُنسب بلا شك إلى البيض، أما من جهة تحقيق ملابسهم ونسبتهم إلى لوبيي شمال أفريقيا الآخرين فإن ما لدينا من معلومات لا يرتكز على أساس متين. وسنترك الحكم على ذلك لما سنورده من مادة تاريخية خاصة بهذا الموضوع.

والواقع أننا قد وجدنا أناسًا ذوي بشرة بيضاء يظهر أنهم ينسبون إلى هذه السلالة في مصر منذ عهد الدولة القديمة. وأقدم مثال لدينا عن ذلك يرجع إلى عهد الأسرة الرابعة، إذ نجد في مقبرة الملكة «مريس عنخ» الثالثة بالجيزة صورة والدتها «حتب حرس الثانية» وهي بنت الملك «خوفو»، وهذه الصورة الأخيرة تُميَّز بخاصتين؛ أولاهما: أن «حتب حرس» تختلف في نفس الصورة عن «مريس عنخ» الواقعة معها في نفس المنظر، كما تختلف كذلك عن أولادها الذين

مُثلوا معها؛[٥٠] فلون بشرة محياها قد مُثل باللون الأبيض الناصع، ولون شعرها قد مُثل باللون الأشقر المزين بخطوط حمراء أفقية، ويحلي جبينها خصلة قصيرة. وفي ثانيتها نلحظ أن ملابسها تسترعي النظر؛ لأنها بعيدة عن الزي المصري ولا تمت له بصلة، فتتألف من جلباب أبيض ضيق محبوك بشريطين ملفوفين على الصدر ومربوطين على الكتف بعقدة بارزة، وهذا الطراز من الملابس ليس له نظير في مصر، ولم يُعثر على مثله إلا مرة واحدة في رسوم «جبانة الجيزة» في مقبرة «خوفو خعف»؛[٥١] فنشاهد صورة هذا الأمير — وهو أحد أولاد خوفو — تتبعه والدته لابسة نفس الملابس التي كانت ترتديها «حتب حرس الثانية» في قبر «مريس عنخ» وليس بينهما فرق إلا أن رداءها ليس له إلا عقدة واحدة بدلًا من اثنتين بارزتين على الكتف، ولدينا مثال آخر لهذا الملبس إذ نجد الحظية «مريت نفس» تلبسه (راجع Marriette Mastaba p. 565) وعلى أية حال فإن ملابس هذا الأمير لا يمكن أن يكون لها أية علاقة بملابس «التحنو».

والآن يتساءل المرء عن هذه المرأة، أهي زوجة «خوفو»؟ وأنها هي نفس «حتب حرس» أخت هذا الملك أم لا؟ وقد يزكي ذلك أن ملابسها متشابهة. وبذلك يكون الأمير «خوفو خعف» و«حتب حرس» أخوين؟

وعلى أية حال ليست لدينا صور لأفراد بيض البشرة يمكن نسبتهم إلى اللوبيين، وأول صورة نشهدها من هذا النوع يرجع عهدها إلى الدولة الوسطى. وقد كان «مولر» أول من صادفه أقدم مثال مصور «للتمحوا» في منظر على جدار مقبرة للأمير «خنوم حتب» حاكم مقاطعة «بني حسن» في عهد الفرعون «أمنمحات الأول»،[٥٢] وهذا المنظر يمثل قافلة مؤلفة من رجال أجانب ومعهم نساؤهم وأولادهم وماشيتهم، وكانوا بطبيعة الحال يقدمون إلى سيدهم حاكم المقاطعة، وأشكال هؤلاء الأجانب مدهشة جدًّا؛ فالرجال والنساء على السواء بشرتهم بيضاء، وشعورهم سوداء، وعيونهم زرقاء، ويرتدي الرجال جلابيب طويلة، وكانت الذراع اليسرى لكل منهم مغطاة والذراع اليمنى معراة وكذلك الرقبة، وشعورهم قصيرة، ويحلي رأس كل فرد منهم أربع أو خمس

ريشات، ولكل منهم مقصوص قصير وعثنون، وكان حلي الرقبة يتألف من تعويذة مدلاة بخيط، وهذه التعويذة على حسب قول «فرنشنسكي» محارة عادية تكون أحيانًا بيضية الشكل،[٥٣] وسلاح الرجل منهم كان يتألف من عصا رماية مصنوعة من الخشب يحملها على الجهة اليمنى من صدره. ويحمل على الجهة اليسرى ريشة ضخمة.

أما النساء فكن يلبسن أثوابًا مزركشة أطرافها، ومعقودة من الوسط، وكانت شعورهن مرسلة على القفا وملفوفة من أطرافها، وكن يحملن أطفالهن في سلات على ظهورهن، كما يُشاهد ذلك في أفريقيا حتى الآن،[٥٤] على أن هذه العلامات التي نجدها مميزة «للتمحو» يمكن الأخذ بها على ظاهرها بسبب ما بينها من تشابه في الطراز، وفي لون الجلد والشعر فيما نشاهده في «تمحو» الأزمان التي تلت هذا العصر. ولكن إذا أردنا أن نثبت أنهم أفريقيون أو آسيويون أو غير ذلك؛ فليس لدينا حجة دامغة، ومما يُؤسف له أن هذه الصور لم تُشفع بمتون مفسرة كما يحدث أحيانًا. هذا إلى أن لفظة «لوبيين» لم يأتِ ذكرها في نقوش مقبرة «بني حسن» هذه، أما ما اتخذه «مولر»[٥٥] دليلًا ليبرهن به على أن هؤلاء القوم من «التمحو» — وهي الصورة التي وجدها في الدير البحري، وقد كُتب عليها «رقص التمحو» — فيمكن أن تُتخذ دليلًا عليه لا له؛ إذ إنَّ هؤلاء الراقصين مصريون، ويمثلون رقصة هؤلاء القوم وحسب، هذا فضلًا عن أن وجه الشبه بين اللوبيين الممثلين في مقبرة «خنوم حتب» وبين هؤلاء الراقصين ضعيف جدًّا وبخاصة إذا لاحظنا أن أول ظهورهم في العهد الإغريقي يختلف عن الصور القديمة اختلافًا بينًا. ولا يصح أن نجزم في القول بأن لوبيي مقبرة «خنوم حتب» هم من «التمحو». إذ إن الموضوع لا يزال متعلقًا ويحتاج إلى درس جديد.

ملابس اللوبيين وأسلحتهم في عهد الدولة الحديثة

يُلاحظ في عهد الدولة الحديثة أن اللوبيين كانوا يرتدون ملابس جديدة، بيد أنها لا تختلف اختلافًا أساسيًّا عن ملابس الأقوام اللوبيين في مجموعها. والعناصر الهامة المؤلفة لهذه الملابس هي: عباءة فضفاضة، وكيس عضو التناسل، وميدعة؛ هذا إلى أن كل فرد كان يسرح شعره تسريحة خاصة، ويرسل ضفيرة على جانب صدغه. وهذه الملابس كان يرتديها أولًا — على حسب قول الأستاذ «مولر» — قوم «التمحو»، والواقع أنه يقصد الصورة التي تعرَّف عليها في مقبرة «خنوم حتب» «ببني حسن» وهي التي تحدَّثنا عنها فيما سبق. وحقيقة الأمر أننا قد تعرفنا على ملابس هؤلاء القوم للمرة الأولى في آثار الأسرة التاسعة عشرة. وأن «التمحو» هم الذين كانوا يرتدونها. وأقدم مصدر لدينا في هذا الصدد هو الصورة التي عُثر عليها في مقبرة «سيتي الأول» [٥٦] وهي التي صُور عليها أجناس العالم الأربعة المعروفة عند المصريين.

وهذه الصورة تقدم تصويرًا يُعتمد عليه عن قوم «تمحو» الذين عرفناهم بالاسم فقط منذ عهد الدولة القديمة، أي منذ ألف سنة على ظهور اسمهم. ومن هذا الرسم نعرف للمرة الأولى أن «التمحو» كانوا بيض البشرة. وهذا يؤكد لنا الزعم القائل بأن لوبيي «مقبرة خنوم حتب» كانوا من «التمحو» وسنستعرض هنا شيئًا عن ملابسهم، وتتألف من عباءة فضفاضة تصل من أحد جانبيها إلى طي الساق وتغطي الكتف اليمنى وجزءًا من أعلى الذراع، وفي الجانب الآخر وهو الجانب الأيسر عقدة عريضة، والذراع كلها عارية. ورقعة العباءة قد زُخرفت بألوان مختلفة، وثُبت في ذيلها شريط مخطط عريض. وتحت هذه العباءة كيس عضو التناسل، ولون الشعر أشقر، لا بالطويل ولا بالقصير، وقد زين بخصل صغيرة مرسل بعضها على الجبهة، والبعض الآخر أسدل على القفا، ويحلي الأذنين قرط، ويزين الجيد صدرية، وله ضفيرة جانبية مرسلة على ظهره، وكان كل لوبي يحلي شعره بريشتين، ويرخي لحيته ويربي شاربه. والرجل اللوبي — كما ذكرنا — أبيض البشرة، أسود العينين، ويقول البعض إنهما زرقاوان مثل أعين «التمحو» الذين مُثلوا على جدران مقبرة «مرنبتاح»[٥٧] وأذرعة اللوبيين وسيقانهم محلاة بالوشم بصور معينة الشكل، أو

صلبان مستطيلة، وكثيرًا ما نشاهد في هذا الوشم صورة العلامة الدالة على الإلهة «نايت» كما تدل الصورة على أنهم كانوا حفاة الأقدام. غير أنه قد ذكر لنا في «نقوش النصر» التي تركها لنا «مرنبتاح» على جدران «معبد الكرنك» أنهم كانوا يلبسون أحذية؛ إذ يقول المتن: «إنهم قد تركوا ملابسهم، ومتاعهم، وكذلك أحذيتهم.»[٥٨] ويُلاحَظ أن كل هذه الملابس كانت في مجموعها عليها مسحة أفريقية؛ فنجد أولًا أن العباءة السالفة الذكر هي بلا شك جلد ملوَّن، وقد كانت العباءة التي شاهدناها في ملابس اللوبيين في مقبرة «خنوم حتب» تشمل جلدًا، ولا بد أنها كانت هنا تقليدًا، وليس بالجلد الحقيقي، والجلد في الواقع لباس بدائي في كل مكان، ولا بد أنه كان محببًا في «أفريقيا» بوجه خاص، ولكنه في مصر كان قد أخذ يختفي تمشيًا مع تقدم مدينتها. ومع ذلك نجد صورته فقط في أقدم المقابر المصرية، كما نشاهد ذلك في مقبرة «الكوم الأحمر».[٥٩] وفضلًا عن ذلك نجد أن هذا الجلد كما لا يزال حتى الآن يُتخذ رداء عند القبائل الأفريقية؛ إذ نرى أن قبيلة «توعرج Tuâreg» لا يزال أهلها يرتدون جلد الغزال.[٦٠] وقد ذكر لنا كُتَّاب اليونان الأقدمون أمثال «هيرودوت» و«ديدور» و«سليوس إتاليكوس» الجلود بوصفها ملابس يرتديها أهل «أفريقيا» وذكروا لنا على وجه خاص جلود الماعز، وكثيرًا ما نشاهد هذه الجلود ملونة باللون الأحمر.[٦١]

ويرى الأستاذ «إدواردمير» أن كلمة «خنوتيو» المصرية التي وجدناها في نقوش «توبوس» ببلاد النوبة الخاصة «بتحتمس الأول» تدل على لابسي الجلود. وأنها تعني هنا أهل «تمحو».[٦٢] ولكن حتى إذا كانت هذه الترجمة صحيحة، فإن نسبتها إلى اللوبيين فيها شك كبير. والواقع أن المقصود هنا هم النوبيون الذين كانوا يرتدون الجلود.[٦٣]

وعلى الرغم من أننا لا نجد الجلد مستعملًا لباسًا عاديًّا فإننا نجده في كثير من الأحوال يلبس مظهرًا من مظاهر الشرف، فمثلًا نجد رجال الطب كانوا يرتدون الجلد دلالة على عظمتهم.[٦٤] وكذلك كان الحكام يرتدونه، وكان الكاهن «سم» يلبسه حتى آخر العهد الفرعوني.

ومما يلفت النظر بحق في مظهر هؤلاء القوم بعد ذلك ترجيل الشعر، مما لا نجده على الآثار المصرية، ومع ذلك فإن هذا الزي لا يزال من الأشياء المحببة جدًّا عند القبائل الأفريقية الموجودة الآن. والخاصية التي يمتاز بها ترجيل الشعر عند قوم «التمحو» هي تقسيم الشعر إلى خصلة منفصلة تكون أحيانًا مجدولة وأحيانًا على هيئة «شوشة»، كما يُشاهد ذلك الآن بين قبائل «الماساي Massai» أو قبيلة «كيكيوس Kikuyus».[٦٥] أما عند أهالي «لوبيا» فنشاهد فقط «شوشة» مسدلة على جانب الرأس من وقت لآخر، فتكون الشوشة على كلا جانبي الوجه.[٦٦] ولم توجد أولًا إلا شوشة واحدة على الجانب الأيسر في الجمجمة التي عثر عليها في «قاو الكبير» «زيو بوليس بارفا». وهذه الجمجمة تُنسب إلى لوبي، غير أن تاريخها غير مؤكد.[٦٧] وثانيًا: عُثر على تمثال صغير من الخشب للوبي في «مجموعة بسنج» يحلي رأسه شوشة على الجانب الأيمن، وهذا التمثال يرجع تاريخه إلى العصر المتأخر من الدولة الحديثة[٦٨] ويحدثنا كل من الأستاذ «مولر» والأثري «بيتس» بأن هذه الشوشة لا تزال تُرى حتى الآن في ترجيل الشعر بين القبائل الأفريقية الحالية، مثل قبيلة «أوموش جاه Imushgah» وقبيلة «فولبا Fulbe» القاطنتين في أسفل مجرى نهر النيجر حتى منتصفه[٦٩] ومن المحتمل أن ما رواه «هيرودوت» في الفصل الواحد والتسعين بعد المائة في الكتاب الرابع عن ترجيل شعر اللوبيين يشير إلى ما ذُكر هنا. وليس ذلك مؤكدًا. أما ما قيل عن علاقة هذه الشوشة التي تمثل الطفولة عند المصريين فليس له أصل يُستند عليه،[٧٠] وكذلك ليس لها علاقة بترجيل الشعر عند أهالي «كريت».[٧١]

ومثل الريشة كمثل الجلد والشوشة من الأشياء المحببة عند الأفريقيين بوصفها زينة يزين بها الرأس، فقد كان يتحلى بها الزنوج والنوبيون مثل اللوبيين أيضًا، غير أنها كانت ميزة خاصة عند أهالي «لوبيا» ومن ثم كانت ترمز عندهم منذ القدم للغرب. ولدينا العلامة الدالة على الغرب في اللغة المصرية القديمة ممثلة بصورة ريشة. هذا إلى أن مخصص الكلمة الدالة على بلاد «تحنو» في نقوش الملك «سحورع» هو ثلاثة رجال على رأس كل منهم ريشة. ونجد مخصص كلمة

«منتو»[٧٢] التي تدل على أعداء مصر ثلاثة رجال يحمل واحد منهم ريشة، وهذا يدل على أن أحد هؤلاء الأعداء كان من «التحنو» القاطنين غربي مصر. وأخيرًا يجب أن نلاحظ هنا أنه توجد في هرم الملك «نفركرع» حجرة في الجهة الغربية نقش عليها علامة الغرب وهي رجل وفي يده ريشة.[٧٣] وإذا كان قوم «تحنو» كذلك يسكنون الغرب وحسب فإن الريشة لا تميزهم بوصفها جزءًا هامًّا من ملابسهم، في حين أنها من جهة أخرى تؤلف جزءًا رئيسيًّا من ملابس «التمحو» مميزًا لهم. أما «التحنو» الذين نراهم يلبسون الريشة في نقوش الملك «منتوحتب» فإن ذلك قد أتى من تأثير اختلاطهم «بالتمحو» اختلاطًا فعليًّا. والواقع أن أهالي «تحنو» لم يعرفوا الريشة بوصفها جزءًا من ملابسهم كما سنوضح ذلك هنا.

فالريشة لم يكن يتحلى بها اللوبيون وحسب، بل كان يلبسها السواد أيضًا، ومن ذلك نفهم أن الريشة لم تكن رمزًا لقبيلة، أو لباسًا خاصًّا لقبيلة بعينها، بل كانت علامة شرف أو وظيفة. ولم نشاهد في المواقع الحربية العظيمة التي نشبت في الدولة الحديثة بين المصريين واللوبيين إلا أقلية ممن كانوا يلبسون الريشة. والأمثلة المحدودة التي وصلت إلينا نجدها في السطر السادس من «لوحة إسرائيل» حيث يُقال عن الأمير اللوبي المهزوم المسمى «مريي»:

> الأمير المعادي الذي يرى لحاله من اللوبيين قد هرب تحت جنح الظلام وحيدًا بدون ريشة على رأسه.

وفي السطر الثامن نقرأ:

> وعندما وصل إلى وطنه شكا، وكل إنسان في بلاده كره مقابلة الأمير الذي اختطف منه الحظ ريشته.

وجاء في السطر التاسع من نقوش[٧٤] الملك «بيعنخي» عند الحديث عن أمراء مقاطعات الدلتا في الأسرة الثالثة والعشرين:

كل الأمراء الذين يحملون الريشة.

ولا نزاع في أن المصري عندما كان يندد بفقد أمير «لوبيا» ريشته كان يعلم مقدار ذلك في نظر أهل «لوبيا»؛ فالرجل الذي كانت تُغتصب ريشته مثله كمثل الرجل الذي كان يُغتصب منه درعه، ولكن في أيامنا نجد في «أفريقيا» أن الريشة كانت تعد في الأصل حلية، وفي بلاد الصول تُعد علامة يحملها كل عدو مهزوم في شعره، وهذه عادة منتشرة في الهند.[٧٥]

ومن ذلك نعلم أن الريشة لم تكن جزءًا أصليًّا من ملابسهم، بل كانوا يحملونها في أوقات الحرب، وفي الصيد، ويؤكد ذلك أن المرأة لم تكن تلبس هذه الحلية قط سوى مثال واحد وُجد في «مقبرة خنوم حتب»، ولا يمكننا الجزم بأن الريشة كانت في الأصل تُعد في جملتها لباس حرب، ثم بدأت تدريجيًّا تُتخذ رمز الخدمات الخاصة، أو أنها كانت من أول الأمر قد اتخذت هذا المعنى. ونريد الآن أن نقرر بصفة قاطعة — بهذه المناسبة — الوقت الذي فكر الإنسان فيه في استعمال الرمز الهيروغليفي الذي يدل على معنى كلمة «قائد» وهو الرمز الذي مثل بصورة رجل راكع يحمل قوسًا ونشابًا ويلبس ريشة على قمة رأسه هكذا والواقع أننا نشاهد هذه الملابس الحربية ممثلة على الآثار المصرية منذ عهد ما قبل التاريخ[٧٦] وقد أخذت هذه العلامات تختفي بتقدم المدنية بوصفها ملبسًا حربيًّا كما لاحظنا ذلك في اختفاء الجلود بوصفها ملبسًا، وكذلك كان شأن الريشة.

ومن الأشياء التي تصادفنا في وادي النيل منذ أقدم العهود قراب عضو التناسل وذلك منذ العهد الأفريقي، وهو علامة خاصة رئيسية يتميز بها الأفريقيون. والمسألة التي يجب أن نبحثها هنا الآن هي: هل منشأ هذه العلامة على الآثار المصرية المعترف بها هو قراب عضو التناسل أو عضو التناسل المنتشر؟

والواقع أننا نرى أحيانًا القراب فعلًا وأحيانًا نشاهد عضو التذكير مصوَّرًا منتشرًا في المناظر وفي التماثيل. ويمكن الإنسان أن يقرِّر هنا بحق أن قراب عضو التناسل كان مستعملًا منذ أقدم العصور

في مصر وفي أفريقيا، ولدينا أمثلة من جبانة «نجع الدير».[٧٧] وقد بقيت هذه العادة مستعملة عند قوم «تحنو» بعد أن انفصلوا عن مصر، وكذلك بقيت عند اللوبيين المجاورين لمصر وهم الذين اختلطوا بالمصريين في العهد التاريخي. وكذلك نجد في أفريقيا الحالية بعض القبائل تستعمل قراب عضو التناسل مثل قبائل «توجوس Togos» و«داهومي Dahomey» و«موبا Moba» و«تامبرما Tamberma» وكذلك في غربي وأواسط «كامرون» و«يوغندا» و«كوماي Komai» و«بافيا Bafia» و«دورا Durra»،[٧٨] وسنتحدث عن معنى هذا القراب وأهميته عند الكلام على الختان في لوبيا.

والآن نتكلم عن الوشم الذي نشاهده في بعض الرسوم مثل الصور الجميلة التي نراها مصورة في مقبرة «سيتي الأول» وما نشاهده مرسومًا على قطع الخزف المطلي التي عُثر عليها في مدينة «هابو». هذا بالإضافة إلى الوشم الذي نجده على صور مناظرها.[٧٩] ولدينا أمثلة أخرى من آثار «تل العمارنة» كانت تحلي شرفات الفرعون التي كان يطل منها عند إقامة الأحفال الرسمية،[٨٠] والواقع أن الوشم كان عادة شائعة عند الأقوام البدائيين، والظاهر أن منشأه الأصلي اعتباره علامة مميزة وكان يتحلى به الرجال والنساء على السواء عند إقامة احتفالات خاصة مثل الاحتفال ببلوغ سن المراهقة؛ حيث كان يُوشم النساء والرجال دون استثناء، وكذلك في مناسبات الحزن والانتقام، وقد ذكر لنا «هيرودوت»[٨١] أن اللوبيين كانوا يلونون أجسامهم باللون الأحمر، أما في مصر فإن الوشم كان لا يستعمل إلا نادرًا جدًّا ولا يستعمله إلا النساء، ففي التماثيل المصنوعة من الخزف التي عُثر عليها في «نقاده» نرى الوشم كان يُعمل على هيئة أشكال هندسية، وكان قاصرًا على النساء. وفي الأزمان التاريخية نجد الحظيات والراقصات يستعملن التزين بالوشم (راجع Kees Kulturgesch. P. 89).

وإتمامًا لموضوع وصف ملابس هؤلاء القوم يجدر بنا أن نتحدث بعض الشيء عن أسلحة اللوبيين في عهد الدولة الحديثة. والواقع أن اللوبي لم يعرف إلا القوس والنشاب[٨٢] (راجع نقوش مرنبتاح

بالكرنك سطر ١٣).

غير أن أقواسهم ليست بالأقواس الخشبية البسيطة، ولكنها كانت أقواسًا مركبة، ولا يمكننا أن نتحدث عن تركيبها بشيء من الدقة والتأكد؛ لأن الصور التي تُركت في المناظر التي خلفوها لنا يظهر أنها مختصرة، ولكن بوجه عام يظهر أن أقواسهم كانت من النوع الذي يُطلق عليه «القوس ذو الزاوية» (راجع Wresz. Atlas II. Pl 50 a).

ولم نجد في صور المواقع الحربية للوبيا واحدًا قد شد قوسه ليضرب به، بل نجد قوسه ملقًى على الأرض أو معلقًا على كتفه أو ممسكًا به في يده ومطلقًا لساقيه العنان (راجع Borchardt A. Z. 52, 109 a. e).

ولذلك لم نجد في مثل هذا الوضع للقوس السهم مركبًا فيه، ولا يمكن الإنسان إذن أن يحكم على صورة السهم عند اللوبيين، ولكن مع ذلك ينبغي علينا أن نعتقد أن السهم كان مصنوعًا من حجر النار، وأنه كان ذا أسنان وبخاصة أننا صادفناه بهذه الصورة فيما بعد.[٨٣] ومن جهة أخرى نشاهد في المناظر مرات عدة صورة الكنانة وهي على هيئة قربة (Medinet Habu I, pl. 18, II. Pl. 68 and 70) وقد كان القوس هو السلاح الوحيد الوطني الذي يستعمله اللوبي وظل يستعمله، وهو سلاحهم الوحيد البعيد المرمى، ولم يُعثر قط في يد اللوبيين المحاربين — في الرسوم — على الرمح أو الحربة وهما سلاحان لم يكونا معروفين عندهم، وقد ترجم الأستاذ «برستد» كلمة «خت عا»[٨٤] بكلمة «حربة» وهذا خطأ، ويُحتمل أن الترجمة الحقيقية عصا رماية؛ وذلك لأن نقوش الدولة الحديثة لم تظهر فيها هذه الكلمة بوصفها سلاح حرب، غير أن اللوبيين الذين وُجدت صورهم في مقبرة «خنوم حتب» كانوا يحملون عِصِيَّ رماية، وكذلك نجد في شعائر الإلهة «موت» أنه كان يستعمل هذا السلاح قوم «التمحو» للصيد، وهناك كان يُطلق عليه لفظ «قما» (Hölscher Ibid p. 39).

وأخيرًا يجب أن نعتقد أن هذا السلاح كان نادرًا جدًّا ولا يُستعمل إلا قليلًا في الحروب وبخاصة أنه لم يوجد منه إلا عدد قليل جدًّا في قوائم مدينة «هابو» عند تحديد الغنائم،[٨٥] وقد فسر الأستاذ «ولف» هذا السلاح بأنه مقمعة، وهذا جائز أيضًا.[٨٦]

وكان اللوبي لا يستعمل المقلاع سلاح حرب، أما الضاربون بالمقلاع الذين نراهم ممثلين على آثار «بني حسن» وهم ذوو البشرة البيضاء فليسوا — بأية حال — من السلالة اللوبية،[٨٧] وكان اللوبي يستعمل كذلك — غير القوس في عهد الدولة الحديثة — نوعًا من الأسلحة الجديدة، وأعني بذلك السيف، وكان استعماله قاصرًا على قبيلة «المشوش»، وهذا السلاح لم يكن أصيلًا عندهم، وذلك ظاهر من أنهم كانوا قومًا من البدو الرحل الذين يسكنون الصحراء، ولا بد أنهم قد أخذوه عن أقوام البحر عند اختلاطهم بهم. وهذا السيف يشمل نصلًا من المعدن ومقبضًا من الخشب، وكان طوله عظيمًا جدًّا، وكان يشبه السيف الذي كان يحمله جنود «شردانا».[٨٨] وقد ذكر لنا «رعمسيس الثالث» في قائمة غنائمه سيوفًا طول الواحد منها ثلاث أو أربع أذرع، في حين أن طول السيف العادي يبلغ ما بين ستين وسبعين سنتيمترًا. هذا ونجد نادرًا جدًّا الخنجر مصورًا على الآثار الخاصة باللوبيين.[٨٩]

وبقي علينا أن نذكر أن اللوبيين في عهد «رعمسيس الثالث» كانوا يستعملون العربات، وقد ذكر لنا «رعمسيس الثالث» في قائمة غنائمه اثنتين وتسعين عربة.[٩٠]

وتدل شواهد الأحوال على أن اللوبيين لم يأخذوا العربات — مثلما أخذوا السيف — عن أقوام البحار كما يقول فرشنسكي (راجع Wresz Atlas II, pl 50 a).

وعربات اللوبيين تشبه العربات المصرية اللهم إلا أن عجلتهم لها أربع شوكات بدلًا من ست في العربة المصرية حينئذ، فلا بد من أن نسلم بأن اللوبي قد أخذ استعمال العربة عن المصري (راجع Moller Ibid p. 53)، هذا كل ما كان عند اللوبي من سلاح، ومن ذلك يرى الإنسان أنه كان

ينقصه كل الأسلحة التي يحمي نفسه بها مثل الدرع والخوذة والزرد، وقد ادَّعى بعض علماء الآثار أن اللوبي كان يستعمل الدرع منذ عهد «رعمسيس الثاني» في موقعة «ستورنا»،[٩١] غير أن ذلك لم يثبت بعد.

اختلاف الملابس في لوبيا وأهميته

نبدأ هنا الكلام على ملابس اللوبيين في عهد الدولة الحديثة بوصف ملابس «التمحو» الذين وجدناهم ممثلين على جدران مقبرة «سيتي الأوَّل»، وقد دلت الموازنة على أنهم مشابهون للوبيين الذين مُثلوا على جدران مقبرة «مرنبتاح»؛ على أن عدم وجود الريشة في لباس الرأس عندهم لم يكن بالأمر الهام كما تحدثنا عن ذلك من قبل. ومن أمعن في النظر إلى صور «التمحو» التي رُسمت في منظر الأجناس الأربعة في مقبرة «سيتي الثاني»[٩٢] يجد أنهم لا يختلفون عن الآخرين على الرغم من رداءة الرسم.

وكذلك نجد بينهم وبين صورة مقبرة «رعمسيس الثالث» صلة، غير أنهم يختلفون عن اللوبيين الآخرين في أنهم بدلًا من لبس كيس عضو التناسل كانوا يلبسون قميصًا قصيرًا. وهذا الفرق على الرغم من أنه ضئيل قد لا يلفت النظر إلا أنه من الأهمية بمكان؛ وذلك لأنه يميز لنا بين سلالتين وهما «اللوبيون» و«المشوش» وقد ظهرت الأخيرة في منتصف الأسرة التاسعة عشرة وبدأت تلعب دورها في تاريخ بلاد «لوبيا» كما سنفصل القول في ذلك بعد.

وأوَّل شيء عرفناه عن ملابس «اللوبيين» و«المشوش» جاء عن طريق نقوش «رعمسيس الثالث» في مدينة «هابو»؛ لأن ما ذُكر مفصلًا عن حروب «مرنبتاح» مع اللوبيين من المتون لم يصحبه صور مفسرة للملابس.

ملابس اللوبيين

ولدينا تفاصيل عن ملابس اللوبيين في مناظر الحروب الأولى التي نشبت بينهم وبين «رعمسيس الثالث»، ونرى في هذه المناظر أن ملابس اللوبيين موحدة، وتشمل عباءة فضفاضة تلف الجسم ويظهر منها أحد الكتفين عاريًا، هذا إلى قميص قصير يُلبس تحتها، وكان يحلي الرأس «شوشة» جانبية كما كان يزين ذقنه عثنون، وبهذه الصورة كان يُمثَّل الأمير اللوبي في المنظر الذي رُسم على البرج العالي في مدينة «هابو» مع غيره من الأمراء الأجانب المأسورين.[٩٣] وقد ذكرنا من قبل أنه يندر وجود اللوبي أو «المشوش» في الحروب يلبس الريشة، وليس لدينا إلا أمثلة قليلة من ذلك مما يدل على أن الريشة كانت رمز شرف خاص، فنجد أنه كان يتحلى بها كل أمير من الذين صُوروا على جدران البرج العالي في مدينة «هابو». على أننا لم نشاهد أحدًا يتحلى بها في نقوش جدران المعبد الأخرى إلا مرة واحدة.[٩٤] هذا ويُلاحَظ أن اللوبيين كانوا زرق العيون كما يدل على ذلك أحد المناظر في مدينة «هابو» (راجع Ibid I. pl. 23.)

(د) أصل قوم المشوش وملابسهم

يقول الأثري «بروكش» إن «المشوش» سلالة من اللوبيين الموحدين بقوم «الماساي»، وهم الذين قال عنهم «هيرودوت»[٩٥] إنهم كانوا يقطنون بجوار «تونس». وتدل البحوث على أنهم ذُكروا للمرة الأولى في خطاب المساجلة الهجائية الذي يرجع عهده إلى الفرعون «رعمسيس الثاني»، وهو المعروف «بورقة أنسطاسي الأولى». (راجع كتاب الأدب المصري القديم). وكذلك ذُكر معهم بعض جنود «الشردانا» و«القهق» و«النوبيين»، وقد كانوا يؤلفون فرقة في الجيش المصري، وهذا يدل على أنه ربما تكون قد حدثت حروب لوبية أُخذ فيها أسرى من قوم «المشوش» في عهد «رعمسيس الثاني» أو قبله. أما في عهد «مرنبتاح» فقد اشتركوا فعلًا في الحروب التي شنها أمير لوبيا على مصر، كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد. غير أنهم في هذه الحروب، وفي الحروب الأولى التي شنها «رعمسيس الثالث» لم يقوموا إلا بدور ثانوي، ولكن في الحروب التي قام بها هذا الفرعون فيما بعد — ولم تكن من الحروب العظيمة — نجد أنهم قد

قاموا بالدور الهام فيها، ومنذ ذلك العهد نسمع عنهم بازدياد مطرد، في حين أن نجم اللوبيين كان آخذًا في الأفول.

وكان الملك «شيشنق» الذي اعتلى عرش مصر عام (٩٣٠ق.م) من سلالة «المشوش»،[٩٦] ومن ثم نجد كثيرًا من الأمراء الصغار كانوا يحملون لقب «أمير» مستعملين إما كلمة «ور» (العظيم) أو كلمة «مس» (الأمير)،[٩٧] وغالبًا ما كانوا يكتبون كلمة «مشوش» باختصار «مي». وقد ذكر لنا «برستد» هؤلاء الرؤساء،[٩٨] وفي عهد الأسرة الثانية والعشرين كانوا قد استوطنوا «الواحة الداخلة»،[٩٩] وكذلك داخل مصر. وأحدث إشارة لهؤلاء «المشوش» — إذا استثنينا الإشارات التاريخية كالتي ذكرها الأثري «دي مورجان» في قائمة جغرافية ترجع إلى العهد الإغريقي الروماني في مصر[١٠٠] — هو ما نقرؤه على اللوحة العظيمة التي تركها لنا الفاتح العظيم الأثيوبي «بعنخي» — في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد حيث نجد — على أقل تقدير — ستة من أمراء «مي» قد ذُكرت أسماؤهم بوصفهم حكامًا لمدن «الدلتا» ومن بينها مدينتا «بوصير» و«منديس».[١٠١]

وعلى الرغم من أن «المشوش» كانوا من الجنس اللوبي — كما يدل على ذلك التشابه العام في مظهرهم الخارجي في النقوش — إلا أنه كانت توجد فروق مميزة لهم عن اللوبيين في بعض الملبس، فملابس «المشوش» تكاد تكون موحدة بملابس اللوبيين إلا في شيء واحد، وهو أن اللوبيين كانوا يلبسون تحت العباءة السالفة الذكر قميصًا كما ذكرنا ذلك من قبل، في حين أن «المشوش» كانوا يلبسون بدلًا من هذا القميص كيس عضو التناسل، وخلافًا لذلك نجد أنهم كانوا يلبسون الريشة أحيانًا في شعرهم. وقد ذكر لنا «هيرودوت» كذلك أنهم كانوا يلوِّنون أجسامهم.[١٠٢] على أن هذا الفرق لم يكن من باب الصدفة؛ إذ قد دلت عليه المتون المفسرة للصور، فنجد — فوق المناظر التي مُثل فيها المحاربون بالقميص — أنهم «لوبيون» أو «تمحو»، في حين أن التي كان فيها المحاربون يلبسون كيس عضو التناسل كانوا يدعون «المشوش».[١٠٣]

أهمية الفرق بين ملابس اللوبيين والمشوش والطهارة عند اللوبيين وكيس عضو التناسل

نعود مرة أخرى إلى ذكر العلاقة بين «اللوبيين» وبين «المشوش»، فقد رأينا أن ملبسيهما لا يختلفان في ظاهرهما، بل يتشابهان كثيرًا جدًّا. وأن الفرق الوحيد هو أن اللوبي يلبس القميص بدلًا من كيس عضو التناسل الذي يلبسه «المشوش» وهذا الفرق أساسي وليس من باب الصدفة، وأن القميص كان عنصرًا أساسيًّا في ملبس اللوبي، ولم يأت من تأثير الملابس المصرية كما ذكر «مولر».[١٠٤] وعلى ذلك فلبس اللوبي القميص لا كيس عضو التناسل كان عن قصد. وتدل متون «معبد الكرنك» التي تركها لنا «مرنبتاح» عن حروبه مع اللوبيين، وكذلك بعض النقوش التي تركها لنا «رعمسيس الثالث» في مدينة «هابو»[١٠٥] عن تقديم الأسرى له في حروبه الأولى التي شنها على اللوبيين، تدل على أن من يلبس القميص كان لا يُختن قط، وتلك كانت عادة شائعة عند اللوبيين، وأن المصري كان يقطع عضو التذكير عند أي فرد لم يُختن في الحروب لأن صاحبه كان يُعد نجسًا، ولذلك نشاهد أن اللوبيين وحدهم وهم الذين لم يكونوا يختتنون كانت تُقطع أعضاء تناسلهم لأنهم نجسون، وقد كان بتر عضو من أعضاء الأعداء المقتولين يُعد فقدًا مشينًا لا يتأتى مع رجل قد خُتن. وقد كانت الغنيمة العادية التي يحملها المحارب لهذا السبب هي يد القتيل الذي قتله، وكان اللوبي النجس هو الذي يقطع ذكره.

والواقع أن الطهارة كانت عادية عند هؤلاء القوم، حتى إنه لم يكن من الضروري أن يُتحدث عنها بوصفها شعيرة ضرورية، كما إنه كان من المفهوم أن عدم الختان يُعد رجسًا، ولذلك تقص علينا نقوش الملك «بعنخي» أن أمراء الدلتا، الذين كان من بينهم في ذلك الوقت بطبيعة الحال أمراء من أصل لوبي، لم يسمح لهم بالمثول بين يديه لأنهم لم يُختتنوا، فهم نجسون ومن آكلي السمك. وقد كان ذلك من الأشياء الممقوتة لبيت الملك، ولم يُسمح لأحد بالمثول أمام «بعنخي» إلا «نمارت»؛ لأنه كان طاهرًا نقيًّا ولم يأكل أي سمك.[١٠٦]

ولنعد الآن إلى موضوعنا الخاص بالفرق بين ملابس «اللوبيين» و«المشوش»، لنقرر أن اللوبي الذي لم يُختن كان يلبس قميصًا تحت العباءة لأنه لم يعرف شعيرة الختان، وعلى العكس كان لابسو كيس عضو التناسل هم «المشوش» وغيرهم يعرفون هذه الشعيرة ويقدرونها، فكأنهم كلهم قد أجروا عملية الختان.

وقد كان المفروض في بادئ الأمر أن كيس عضو التناسل يُلبس لضرورة حفظ هذا العضو من الإصابة بأي أذًى، من حشرات، أو جروح، أو غير ذلك من أنواع الأذى. غير أن ذلك ليس هو السبب في حالة هؤلاء القوم؛ وذلك لأن كيس عضو التناسل له أولًا أهمية سحرية وشعيرية، وأحيانًا تكون له علاقة قوية بموضوع الحب والغزل، أما استعمال هذا الكيس للمحافظة على هذا العضو من الأذى فليس له أي دخل في ذلك، ويعضد هذا الرأي أنه يُلبس أحيانًا عند بعض القبائل تحت ملابس أخرى، وهذه هي نفس الحال عند اللوبيين الذين يلبسون فوقه عباءة طويلة. ويميل «هولشر» إلى الاعتقاد بأن سن البلوغ — على الأقل — كان يلعب دورًا هامًّا فاصلًا في لبس هذا الكيس، دون أن يكون له أية علاقة بالأمور الجنسية، وذلك أن الولد عندما كان يبلغ سن المراهقة يُختن ثم يلبس عقب ذلك كيس عضو التذكير.[١٠٧] وهذا يذكرنا بالرسوم التي على معبد «سحورع» حيث نجد الأطفال لا يلبسون كيس عضو التناسل والبالغين منهم كانوا يلبسونه، ولا نجد هنا أن الغرض من هذا الكيس هو تغطية هذا العضو استحياء، بل على العكس كان يُعد بمثابة زينة لهذا العضو، عندما يكون الغرض الأول من لبسه هو العشق والغرام. وفي اعتقادي أن لبس المرأة كيس عضو الإكثار يعد بمثابة إعلان على أنها قد خُتنت، وأنها طاهرة وناضجة للزواج أيضًا، لا كما يقول البعض أنها كانت تلبسه بسبب عادة سيء استعمالها.

(ﻫ) «تمحو» الدولة الحديثة هم «لوبيو» نفس هذه الدولة

إن موضوع فحص ملابس «اللوبيين» و«المشوش» قد أصبح مرتبطًا بظهور القميص في ملابس «التمحو» في مقبرة «رعمسيس الثالث»، التي نجد أن «التمحو» فيها يختلفون عن الذين وجدناهم في مقابر الملوك الآخرين، والمناقشة في هذين البابين ينبغي أن يستفاد منها في تحديد اسم «تمحو».

وقد رأينا فيما سبق أن اسم «تحنو» في مجرى التاريخ قد أخذ يدل على اللوبيين تدريجًا، وعلى ذلك فليس من العجيب أن نجد في الدولة الحديثة أن اللوبيين في ملابس «التمحو» يدعون «تحنو» [١٠٨] على أنه يكون من المدهش إذا حدث العكس فيُدعى اللوبي وهو مرتدٍ ملابس «التحنو» القديمة في الكتابات المفسرة «تمحو». [١٠٩]

وأخيرًا نجد أنه منذ العهود الأولى كان الملبسان مختلطين بعضهما بالبعض الآخر. فنجد في بعض الرسوم مثلًا أن لباس الرأس الجديد الذي كان يُحلى بشوشة جانبية كان يصحبه الشريط الذي يحلي الصدر على هيئة صليب قديمًا. [١١٠] وهذا دليل على اختلاط القومين بعضهما بالبعض الآخر. ولا نزاع في أن اختلاط الملبس كما يظهر على الآثار لم يأتِ عن طريق النقل، بل جاء عن اختلاط الاسمين في التعبير وتوحيدهما. وعندما نرى بعد أن ملبس «التمحو» الجديد الذي عرفنا كل تفاصيله أولًا في عهد الأسرة التاسعة عشرة في مقبرة «سيتي الأول»، وفي عهد الأسرة العشرين كان بالضبط نفس الملبس الذي يلبسه قوم «المشوش». ومن جهة أخرى وجدنا أن ملابس «التمحو» في مقبرة «رعمسيس الثالث» هي نفس ملابس اللوبيين. ويمكننا أن نستخلص من ذلك أن «التمحو» في تلك الفترة لم تكن قبيلة ثالثة بين «اللوبيين» و«المشوش» بل إنها تمثل فكرة جامعة أصبح يُعبر بها باختصار عن «لوبيي الدولة الحديثة» وعلى ذلك يكون مثل «اللوبيين» كمثل «المشوش» يُعدون من «التمحو» كما يُعد عندنا الآن أهل الصعيد وأهل الدلتا مصريين.

على أنه ليس ثمة ما يعوقنا عن أن نرى في مقبرة «سيتي الأول» أن «التمحو» المصور على جدرانها من قوم «المشوش» الذين نعلم بوجودهم منذ عهد «تحتمس الثالث» وإن كان الأستاذ «جاردنر» لا يقبل هذا الرأي.[111] وبخاصة لأن «سيتي الأول» في حروبه مع «اللوبيين» كان — على ما يظهر — على صلة بقوم «المشوش» كما يُفهم من قبر «رعمسيس الثالث» أنهم هم نفس اللوبيين، وقد ظهروا قبل حكمه بنحو ثلاثين سنة في عهد «مرنبتاح».

والواقع أن أسلوب الكتابة والتعابير العامة التي نشاهدها في النقوش الملكية، لا يمكن أن تقدم للباحث معلومات دقيقة يمكنه أن يستخلص منها استعمال اسم «تمحو». فإذا فحص الإنسان عبارة المتون، وجد بنفسه قيمة استعمال اسم «اللوبيين» و«المشوش» وغيرهما من أسماء الأقوام. فمثلًا نجد أن «رعمسيس الثالث» بعد حروبه الأولى مع «اللوبيين» يصف نفسه بأنه «صادُّ التمحو»، وبعد نهاية الحرب الثانية معهم نجده يصف نفسه «بمهلك المشوش». وهذا القول في ظاهره يبرهن على عكس وجهة النظر المنتظرة؛ إذ إنه من البدهي أن الملك قد اكتفى في هجمته الأولى على قوم من أهل لوبيا، وأطلق عليهم الاسم العام وهو «اللوبيون»، ولكن لما كان اسم «التمحو» يظهر كثيرًا في التقارير الخاصة بتلك الحروب فإنه ذكره في حربه الثانية ليميزها عن الحرب الأولى. والواقع أن اسم «التمحو» كذلك قد اختفى تقريبًا في المتون والإيضاحات الخاصة بالحرب الثانية التي شنها «رعمسيس الثالث»، وفُضل عليه اسم «المشوش»، ونجد في قوائم القتلى والأسرى التي تركها لنا كل من «مرنبتاح» و«رعمسيس الثالث» ما يقوي هذا الرأي بصفة قاطعة، وكذلك في المناظر المفسرة بمتون تتبعها، وهي التي نشاهد فيها — الأسرى اللوبيين يخاطبون الفرعون — أن اسم «التمحو» لم يُذكر، بل كان يُذكر فقط اسما «اللوبيين» و«المشوش».

وأهم من ذلك الحالات التي نجد فيها في الأزمان القديمة اسم «التحنو» قد استُعمل بدلًا منه في الدولة الحديثة اسم «التمحو» في متن قصة «سنوهيت» التي يرجع تاريخ كتابتها إلى الأسرة

العشرين، أو الواحدة والعشرين، وكان في النسخة الأصلية التي يرجع عهدها إلى الدولة الوسطى يُذكر «تحنو». غير أننا لا نعلم تاريخ مثل هذه التغييرات، كما لا نعلم العهد الذي يمكن أن تكون قد حدثت فيه. وكل ما نفهمه هو أن كاتب الأسرة الواحدة والعشرين قد أراد أن يصحح لكاتب الدولة الوسطى — على حسب المعلومات التي لقنها في عهده.

موطن التمحو وهجرتهم

أرسل الفرعون «مرن رع» أحد ملوك الأسرة السادسة الرحالة «خوفوحر» أحد أمراء «إلفنتين» كما ذكرنا من قبل لاستمالة أمير «يام» ومصالحته — وإقليم «يام» يقع في جهة شمال الشلال الثاني — وعندما وصل «خوفوحر» وجد أنه ذهب ليشن حربًا على أرض «التمحو».[١١٢] والظاهر أنه من ضروب المستحيل توحيد أرض «التمحو» هذه بالإقليم الشمالي الذي يحمل هذا الاسم الذي سمعنا عنه فيما بعد، وأحسن نظرية وأجرؤها نقترحها هنا هي أن عبارة «أرض التمحو» كانت تُطلق على أي إقليم يغتصبه اللوبيون ذوو البشرة البيضاء، فمثلًا من الجائز أن الجنود الذين جندهم القائد «وني» من أرض «تمحو» في جيشه كانوا قد أتوا من الواحة الخارجة؛ لأنهم لم يذكروا في الجزء الأول من نفس الفقرة التي تتحدث عن الدلتا. ولكنهم ذكروا في الوقت نفسه مع قبائل نوبية عدة، بيد أن مما يدعو إلى الحيرة والارتباك كثيرًا الإشارة في ترجمة «خوفوحر» لنفسه[١١٣] حيث يذكر لنا كيف أنه لما أُرسل للمرة الثالثة إلى بلاد «يام» شمالي «وادي حلفا» وجد أن رئيس هذه القبيلة قد سافر إلى بلاد «تمحو» ليضرب «تمح» حتى الركن الغربي من السماء.

والظاهر أن قيام رئيس قبيلة صغيرة من النوبيين بحملة إلى «الواحة الخارجة» يُعد مشروعًا مستحيل المنال، هذا فضلًا عن أن «الواحة الخارجة» في اتجاه مخطئ مخالف لموطن «خوفوحر» وهو «إلفنتين» كما أنها بعيدة جدًّا من «يام». وعند وصوله إلى هناك وجد أن

رئيسها قد ذهب لمحاربة اللوبيين الذين يُنتظر أن يكونوا على حسب ذلك في مكان أبعد في جهة الجنوب الغربي. وإذا سار الإنسان في هذا الاتجاه لا يصادف أماكن صالحة للسكنى حتى يصل إلى «دنقلة» كما أن واحة «سليمة» لا تكاد تكون في هذه المنزلة، وحتى «دنقلة» فإنه من غير المحتمل أن تكون أرض «التمحو» التي كان ينشدها «خوفوحر» أكثر من «الواحة الخارجة». والواقع أن هذه العبارة كما جاءت في نقوش «خوفوحر» لا يمكن تفسيرها. وأرض «التمحو» التي غزاها «سنوسرت الأول» كما جاء في قصة «سنوهيت» كانت تقع في الشمال الغربي من الدلتا. ومن الجائز إذن أنه في هذا الاتجاه الممتد حتى بلاد «طرابلس» يجب أن يكون موطن قوم «تمحو» الذين ذُكروا فيما بعد، ويُلاحَظ أن عبارة قوم «تمحو» في عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين كانت تستعمل على ما يظهر بمعنًى مبهم تقليدي في حين أن التسمية الأكثر دقة هي «ليبو (اللوبيون)»، و«مشوش» كما ذكرنا من قبل.

وإذا كان هناك أي فرق بين هذه العبارة والتعبير الآخر التقليدي أي «التحنو» فإنه ينحصر في أن أرض «تحنو» كانت تقرب إلى مصر من أرض «التمحو».

اسم «التمحو»

ذكرنا أن بلاد «التمحو» تمتدُّ على الحدود الغربية المصرية حتى «طرابلس» وكذلك في بلاد النوبة، غير أن «مولر» يعتقد أنهم كانوا يسكنون في غربي «مريوط». وعلى ذلك يرى أن «التمحو» الذين ذُكروا في قصة «سنوهيت» قد بقي اسمهم هنا حتى العهد الإغريقي في لفظة «درماح» ومنه اشتُق الاسم اللوبي «دورماح-ثورناح» وفي المصرية القديمة «ترماح».[١١٤]

والواقع أن هذا الاشتقاق في ظاهره مغرٍ وبخاصة عندما نعلم أن الكلمة اليونانية الأصلية «إترماخ» معناها «أزرق العينين» كما ذكر لنا «فروبينوس»[١١٥] غير أن هذا الاشتقاق لا يرتكز

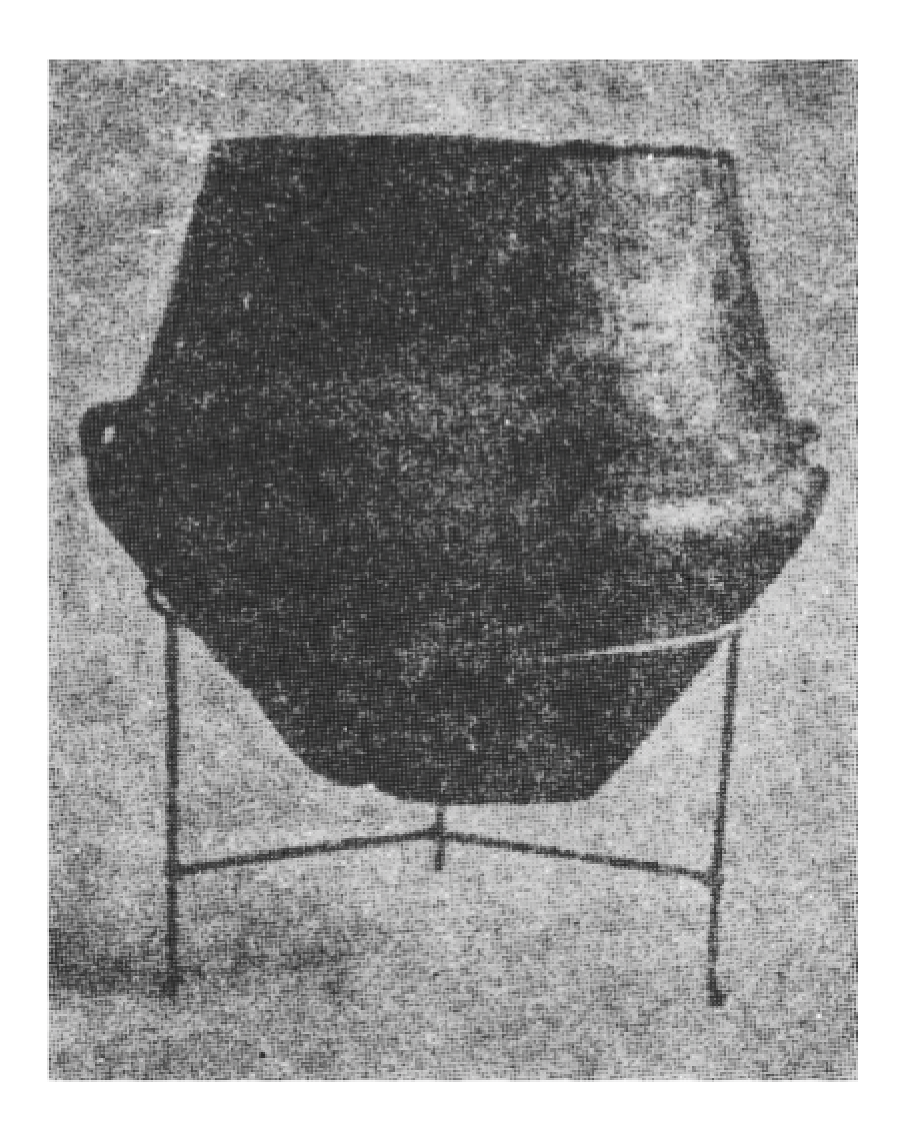
على قواعد علمية صحيحة كما ذكر لنا ذلك «هولشر»[١١٦] ولا نعلم من جهة أخرى إذا كان حجر «تمحى» له علاقة باسم «تمحو» إذ لا يزال الموضوع معلقًا.[١١٧]

والواقع أنه لا يوجد للآن اشتقاق يُرتاح إليه، ومما تجدر ملاحظته أنه يوجد اشتقاقان قوميان قديمان لهذه الكلمة؛ وذلك لأن الكتابة المعتادة لهذا الاسم تتركب من ثلاثة حروف ساكنة «تمح» كما نشاهد ذلك في نقوش «خوفوحر» وفي قصة «سنوهيت»، ونجد من جهة أخرى في عهد الدولة الحديثة في حالات قليلة اختلافًا بسيطًا في الكلمة مع المحافظة على الأصل، فمثلًا نجد أن الكلمة تُكتب في مقابر الملوك في «متن الأجناس الأربعة» بلفظة «تمحو». وقد قال «بروكش» إن اللفظة الأخيرة مشتقة من «تامح» أي أرض الشمال، وعقب على ذلك بأنه اشتقاق غير صحيح، وقال إنه إما اشتقاق عامي، أو من الجائز أن يكون نوعًا من التورية. ويؤكد صحة هذا الزعم ما جاء في التورية بين كلمتي «تمح» و«تاتمح» في اسمي الأميرتين اللتين من أوائل عهد الأسرة الثامنة عشرة، وهما «أحمس» سيدة تمحو — أي بلاد التمحو. و«أحمس» سيدة تامح — أي أرض الشمال الدلتا — وقد تحدثنا عن ذلك الموضوع بالتفصيل في الجزء الرابع من هذا المؤلف (راجع مصر القديمة الجزء الرابع). وقد ناقش «بروكش» هذا الاسم، وما فيه من تورية في ترجمته لمتن الأجناس الأربعة التي كان يعتقد المصريون أن العالم يتألف منها وهي: «رمث» (المصريون)، و«العامو» (الآسيويون)، و«النحسيو» (السودان)، ثم «التمحو» وهم (سكان الغرب). (راجع A. Z, 29, p. 56 ff).

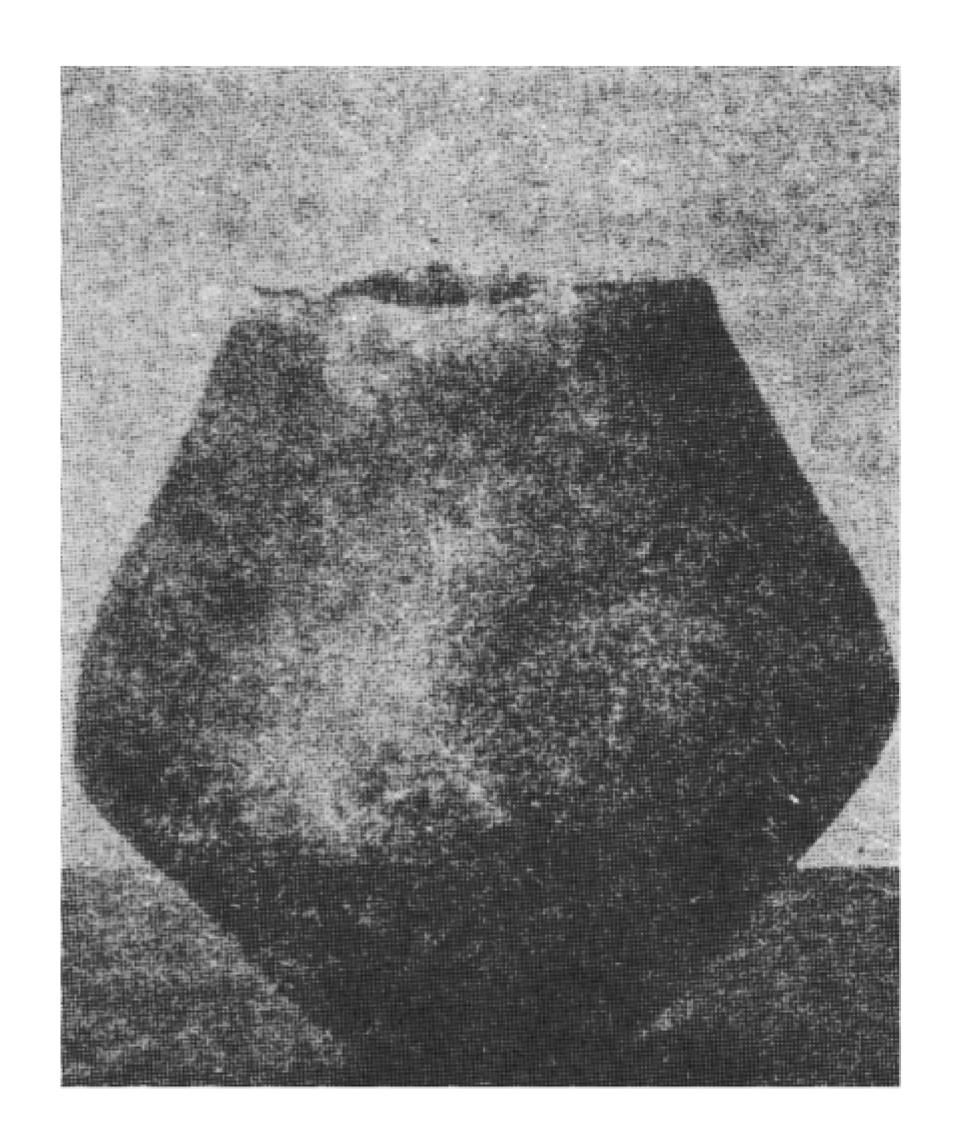
جولان التمحو وخزفهم الذي عُثر عليه في بلاد النوبة على ضوء الكشوف الحديثة

في صيف سنة ١٩٢٣ وجد الرحالة «نيوبولد» في رحلته داخل وادي «هوى» وما جاوره عددًا عظيمًا من قطع الفخار[١١٨] تذكرنا بمجموعة فخار «س» التي كشف عنها الأستاذ «ريزنر» في بلاد النوبة.

ويقع وادي «هوى» هذا على مسافة أربعمائة كيلومتر في الجنوب الغربي من الشلال الثالث، وقد وُجدت قطع فخار أخرى مماثلة لها في رحلة ثانية قام بها بعض العلماء[١١٩] سنة ١٩٣٢، وبعد ذلك بعام واحد قام الأثري «فوربينيوس» برحلة أخرى، وتدل شواهد الأحوال على أن الكشوف الأخيرة من هذا الفخار تشبه فخار مجموعة (س) التي كشف عنها كل من «ريزنر» و«فرت» و«استايندورف» و«يونكر»[١٢٠] في بلدة «كرما» وغيرها من بلاد النوبة، وعلينا الآن أن نلقي نظرة على موضوع قوم «التمحو» فيما يخص الأماكن التي وصلوا إليها في جولانهم وهو موضوع له مساس بوجود الجنس الأشقر الذي يسكن شمالي أفريقيا. وقد اتفقت معظم الآراء في أيامنا على أن هؤلاء القوم كانوا قد قاموا برحلة أو هجرة من الشمال إلى الجنوب، وهذه النظرية المقبولة في ظاهرها قد أدلى بها «فايد هرب»[١٢١] و«بروكا». أما النظرية القائلة بأن أقوام البربر البيض الذين يقطنون شمالي أفريقيا يرجع أصلهم إلى قوم الفندال — وهي النظرية التي نجدها في الكتابات العامة التي لا تستند على أسانيد علمية صحيحة — فقد أصبحت نظرية كاذبة من أساسها، وبخاصة بعدما ظهر أنه وُجد في الصور المصرية أناس ذوو بشرة بيضاء.



شكل ٣: آنية من الفخار من «مدنجن» في شرق «هانوفر» بألمانيا.



شكل ٤: آنية من الفخار من المستجدة بالقرب من البداري.

والواقع أنه لا بد من القيام ببحث جدي يرتكز على مواد أثرية تظهر لنا الرابطة التي ربطت أوروبا بشمال أفريقيا ومصر، وقد عملت في هذا السبيل بعض ملاحظات تقرب فهم الموضوع بعض الشيء، مثال ذلك ما كتبه الأستاذ «شارف» عن أشكال الفخار الأوروبية التي وجد نظائرها في مصر مثل الإبريق الزنبقي الشكل والكئوس والآنية الأنبوبية الشكل التي وُجدت في «نقادة» و«تاسة» وقد كُشف في الثقافة التاسية في قرية «مستجدة» القريبة من «البداري» آنية من الفخار تشبه إلى حد بعيد آنية عُثر عليها في شرق «هانوفر» من عصر البرنز،[١٢٢] وقد ظل الرأي السائد

منذ عشرات السنين يميل إلى الاعتقاد بأن مباني شمال أفريقيا المنسوبة للعصر الميجاليني (الحجري) من أصل أوروبي وأنها تُنسب للجنس الأشقر الذي يسكن هذه البلاد. فهذه الحقائق مضافة إلى العثور على الإبريق الزنبقي الشكل تُعد القنطرة الموصلة إلى المادة الأثرية التي سنتحدث عنها باختصار هنا.[١٢٣]

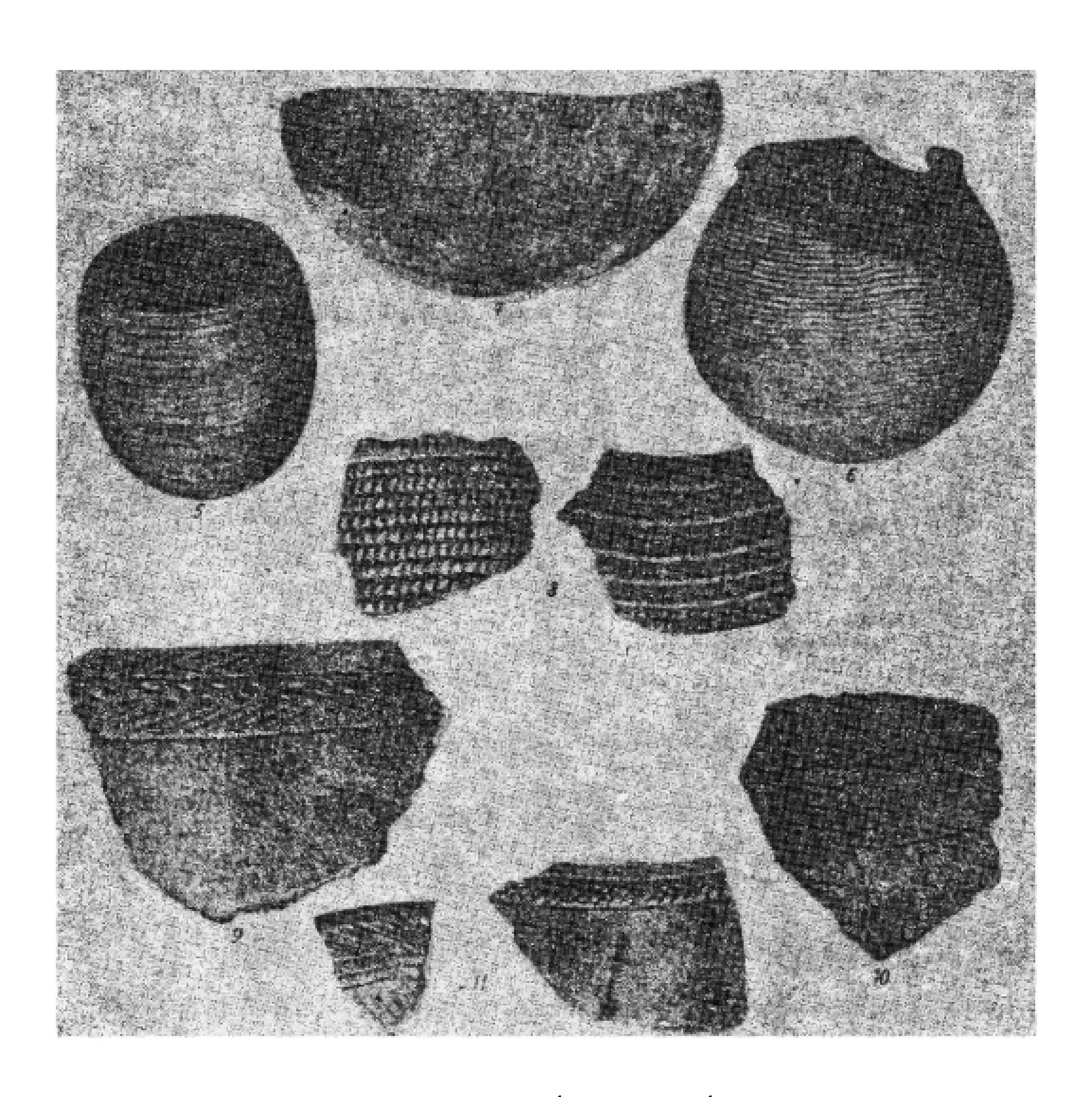
ففي مجموع الفخار المصري نجد أن الأواني المحززة قليلة جدًّا لا توجد حزوزها إلا نادرًا في عصر ما قبل التاريخ على الأواني السوداء وهي المعروفة بفخار «بتري» الأسود المحزز وإليه يُنسب الإبريق الزنبقي الشكل، وأهم أشكاله على هيئة كأس مختلفة العمق.[١٢٤] وأهم مجموعة من الفخار المصري المحززة نراها للمرة الأولى في عهد الدولة الوسطى — وهو العصر الذهبي النوبي الذي يُطلق عليه مجموعة C، والشكل السائد في هذه المجموعة هو الكأس العميق وكذلك الصحن، وعلى الرغم من الفروق الزمنية الكبيرة. فمن الجائز أن نبحث الروابط بين هذا الفخار والفخار الأوروبي، وبخاصة العلاقة بين المجموعة C وفخار الشمال، وقد كتب الأثري «بيتز» فصلًا ممتعًا عن بعثة ثقافة مجموعة C في الصحراء الغربية، وقال: «إن وجود الفخار هناك يُعزى إلى قبيلة من أصل لوبي هاجرت إلى هناك، ويرى أنها من قوم «التمحو».»[١٢٥] وقد كان سنده الأكبر في ذلك هو التشابه العظيم بين الجماجم التي وُجدت في مقابر مجموعة C والتي وُجدت في المقابر الميجالينية في شمال أفريقيا، وقد عضد هذا الرأي الأثري «هولشر» ببعض البراهين أهمها ما يأتي:

(أولًا) يمكن تحديد تاريخ المجموعة C من أواخر الأسرة السادسة حتى الأسرة الثامنة عشرة، وهذه الفترة تُعد العصر الذهبي الهام في تاريخ قوم «التمحو». وعندما نؤكد أن «التمحو» على ما يظهر قد سلكوا طريقهم من الجنوب الغربي للصحراء متجهين نحو الشمال فإن الكشوف الجديدة تدعم ذلك؛ فعلى مسافة حوالي أربعمائة كيلومتر في الجنوب الغربي من الشلال الثالث يقع في الجهة الشمالية الشرقية منها المكان المسمى وادي «هوى».[١٢٦]

وهذه البقعة الواقعة في صحراء لوبيا الغربية كان قد زارها بعض الرواد مرات فيما بعد، ولكن في السنين الأخيرة قامت صوبها عدة بعوث كان للكشوف التي تمت فيها على يد هذه البعوث أهمية في الحكم على مجموعة C وسنتحدث هنا عنها:

ففي صيف سنة ١٩٢٣ وجد الرحالة «نيوبولد» في أثناء رحلته في مجاهل وادي «هوى» وما جاوره عددًا عظيمًا من قطع الخزف تذكرنا نقوشها وأشكالها بنقوش وأشكال مجموعة C، وقد عثر الميجر «باجنولد» في أثناء بعثته التي قام بها في ربيع سنة ١٩٣٢م على قطع أخرى مماثلة للأولى،[١٢٧] وبعد ذلك بسنة جاء كشف الأثري «ليوفروبينيوس Leo Frobenius» والكشوف الأخيرة تشبه مجموعة C الخزفية بصورة مدهشة من حيث الشكل والنقش، وقبل أن نبحث هذه الكشوف لا بد أن نذكر كشفًا آخر ذكره «نيوبولد» إذ يصف لنا مبنًى قد كشف عنه فيقول: إنه يشمل جدران حاميات من الأحجار المسطحة المنحوتة كانت قد اختيرت بدقة، وقد تخللها فراغ مُلئ «بالدبش» (الأحجار الصغيرة) وعلى الجانب الشمالي الشرقي يُوجد جداران صغيران متجهان نحو السور من جهة الجدار الرئيسي.[١٢٨]

وهذا الوصف لا يدع مجالًا للشك في أن هذا الطراز من المباني هو طراز القبر الخاص بشمال أفريقيا المعروف.[١٢٩] وقد أُقيم هنا في المساكن الشمالية الشرقية لا في المساكن الجنوبية الشرقية كما هي العادة هناك.



شكل ٥: أوانٍ، وقطع أوانٍ من وادي «هوى».

والآن نعود إلى التحدث عن الخزف الذي عُثر عليه في هذه البقعة:

فقد عثر «فروبينيوس» على ثلاثة أوانٍ سليمة؛ وهي طبق كبير شكل رقم ٥ وقدر شكل رقم ٥ وآنية كرية الشكل ذات حافة غائرة شكل رقم ٥. أما القطع الصغيرة التي عثر عليها هناك فلا يمكن الحكم منها بطبيعة الحال على حجم الآنية أو شكلها بصفة مؤكدة، فلدينا مثلًا قطعة من حافة إناء شكل رقم ٥، يمكن الحكم منها على أن طولها يبلغ حوالي نصف متر وأنها كانت بسيطة جدًّا

في هيئتها وأن فتحتها كانت كبيرة، وهذه الأواني تنقسم مجموعتين لكل منها نقش خاص، فواحدة تشمل فخارًا صغيرًا مائلًا للحمرة لطيف المنظر مطليًّا بطبقة رقيقة من نفس اللون، وهذه المجموعة تمتاز بطراز من الزخرف يمثل في شكله جدل السلات المختلفة الأنواع شكل رقم ٥، وقد يصادف أن يكون بين القطع المجموعة من هذه الجهات واحدة تفوق الأخرى في العدد بما فيها من قطع خشنة وهشة ذات لون أحمر مائل للسمرة، أو رمادي أسود تكون الزخرفة السائدة عليها خطوطًا، وغالبًا ما تكون الحافة مزخرفة أو بارزة بوجه خاص. وفي كلتا المجموعتين تكون «العينات» مطبوعة غائرة، ووجه الشبه بين الأواني التي نحن بصددها الآن وبخاصة المجموعة الثانية وبين حرف مجموعة C لا يمكن تجاهله وبخاصة القعب شكل رقم ٥؛ فإن الإنسان يمكنه أن يقرنه بما جاء في تقرير «ريزنر» لوحة (٦١ ب رقم ٥).[١٣٠]

وعلى الرغم من التبادل في الشكل بين خزف وادي «هوى» وخزف مجموعة C وما يمكن الإنسان أن يستخلصه منه من نتائج فإنه لا يكون مفيدًا وذا قيمة إلا إذا كان مقرونًا بتأريخ ما كُشف عنه من خزف في وادي «هوى». ولكن مما يؤسف له أن هذه الكشوف لم توجد في طبقات معينة من سطح الأرض بل وُجدت كلها سطحية؛ ولذلك لا يمكن تأريخها على حسب الطبقات التي كانت توجد فيها، وبخاصة أن الآلات التي عثر عليها «فروبينيوس» مع هذا الفخار وهي المصنوعة من الحجر قد وُجد أنها من أزمان مختلفة؛ إذ قد عُثر على خنجر من العهد الشلياني كما عُثر على بلطة من العهد النيوليتيكي وأخرى مما يوجد مثلها على شاطئ النيل منذ العصر النيوليتيكي حتى عهد الدولة الوسطى،[١٣١] وقد وُجدت بلطة كذلك في عهد مجموعة C.[١٣٢]

وعلى ذلك يمكن أن تكون القطع المستخرجة من وادي «هوى» من نفس عصر الخزف الذي وصفناه، غير أن ذلك ليس بالأمر المجزوم به، أما كون صناعة أواني وادي «هوى» أقل دقة وأخشن صنعًا من صناعة مجموعة C فإن ذلك لا يؤثر شيئًا في تاريخها بل كل ما هناك يدل على أنها صناعة ريفية إذا ما قُرنت بالأواني النوبية، وكذلك لا يؤثر كونها مطبوعة بدلًا من أن تكون

غائرة فإن ذلك لا يمكن الاستفادة منه في تحديد زمنها، فمثلًا في بلاد النوبة وجدنا في باكورة العصر التاريخي أواني خزف مطبوعًا عليها زخرفها.[١٣٣]

ونجد أن الخزف الأثيوبي والخزف الذي خلف مجموعة C قد أُبدل فيه النموذج الغائر بالنموذج المطبوع.[١٣٤]

وإذا عجزنا عن معرفة زمن كشف وادي «هوى» فلا يكون ذلك عقبة في طريقنا وإن سبقت في التبكير مجموعة C؛ لأن مكان الكشوف يحمل في طياته الشيء الكثير، ومن الأهمية بحيث يمكننا أن ننتزع منه نتيجة عن موطن فخار مجموعة C؛ وذلك لأننا إذا أخذنا بالرأي القائل إن الطريق التي سلكها جالبو هذا الفخار المتقدم في الصناعة كانت من الشرق إلى الغرب في الصحراء؛ كان ذلك من الأمور المستحيلة تقريبًا، هذا فضلًا عن أننا في هذه الحالة نقف أمام سؤال هام تجب الإجابة عنه، وهو ما مصير هؤلاء الذين قاموا بهذه الهجرة؟ وبخاصة أننا لا نجد لهم أي أثر! … وعلى ذلك فالواقع إذن أن هجرة الأقوام الأفريقية العامة في مدَّة ألف السنة هذه كانت تسير من الغرب نحو الشرق.

ولا تزال معلوماتنا عن تحديد جنس قوم مجموعة C غير واضحة، ويرى الأستاذ «ستايندورف» أن هذا الموضوع لم يُفصل فيه بصورة قاطعة بعد، ولذلك يقول لنا ما معناه: ونحن نقف هنا أمام سؤال لم تصل فيه البحوث إلى حلٍ مُرضٍ فيجب علينا أن نقنع بأننا نبحث في أصل قوم يخيم على سرهم الأصلي ضباب لا يمكن اختراق حجبه، كما أن تاريخه لم يُكتب بعد.[١٣٥] أما الأثري «فرث» فإنه يميل إلى فرض احتمالات مختلفة في تفسير هذا التاريخ[١٣٦] وأما الأستاذ «يونكر» فيقول: إن قوم مجموعة C قد قفوا في هجرتهم من الجنوب الشرقي مجرى النيل الأزرق ونهر الأتبرة طريقًا طبيعية إلى وادي النيل النوبي، أي إنهم هاجروا من بلاد الحبشة الحالية، وهذا ما يخيل لي أنه الطريقة التي انتشر بها قوم مجموعة C الذين وُجدت جبانتهم الجنوبية في «فرس»

أي شمال الشلال الثاني. وهذا القول يعضد الرأي الذي يرجحه الأستاذ «ستايندورف» إذ يقول إن قوم مجموعة C قد أتوا من الجنوب الغربي من «كردفان» واستوطنوا أولًا جهة الشلال الثاني للنيل.[١٣٧] فليس من المدهش أن نجد صناعة الخزف في كل مكان في «النوبة» وفي «كردفان» ولا يمكن فصلها عن صناعة مجموعة C؛ ولذلك فليس لدينا أي شك في أن هذه الصناعة تعد خلفًا للصناعة القديمة.[١٣٨] على أن جهود الباحثين عن موطن صناعة مجموعة C في هذه الأصقاع، أو في أقصى الجنوب تقف في وجهها مشاهدات علم الأجناس، إذ — على حسبها — أصبح من المعلوم أن العنصر الزنجي في قوم مجموعة C قليل نسبيًّا، وعلى ذلك لم يستطع هذا العلم أن يلعب دورًا معلومًا. والواقع أن كل أصقاع شمال السودان كانت ممرًّا حيث نجد أن هجرة أصحاب الخزف الغائر قد تركت فيها بقايا منه، ويعضد ذلك ما جمعه «نيوبولد» من خرافات قبائل السودان وتقاليدهم الخاصة بنزوحهم من الشمال،[١٣٩] ففي مثل هذه الأساطير التي انتشرت حتى غربي بحيرة «تشاد» نجد هنا وهناك أفرادًا شقر الشعر، حمر العيون، وهؤلاء يمكن أن ينعكس في وجودهم ما قام به في الأزمان الغابرة الجنس الأبيض من هجرة عظيمة. ولا يوجد شك في الرابطة التي بين أصحاب الشعور الشقراء وهذه التقاليد، ومن هذا يمكن تفسير وجود الجنس الأبيض في أفريقيا. وكما يقول «نيوبولد» إن هذه الحقيقة في نظره بعيدة عن الشك.

وأخيرًا يجب أن نضيف إلى بحث هذين النوعين من الخزف الملاحظات التالية أيضًا: مما لا شك فيه أنه لا توجد أوانٍ سابقة مباشرة لأواني فخار مجموعة C في بلاد النوبة، بل قد ظهرت فجأة كأنها نبتت من الأرض. فلا بد أن نقبل الرأي القائل بضرورة وقوع غزوة أجنبية، غير أننا وجدنا في منطقة مجاورة أواني مماثلة ربما كانت معاصرة لها ولا يوجد شيء بجوارها كما شاهدنا في الحالة الأولى، ويحتمل أنها قد لا تكون في موطنها الأصلي، بل هي في الواقع في محط في طريق المهاجرين، أو الجالسين للفخار النوبي. ونعتقد أننا لسنا على خطأ إذا قلنا إن الآثار التي عُثر عليها في «وادي هوى» هي برهان على فكرتنا في أن هذا كان في طريق هجرة «التمحو». وقد نذهب

بعيدًا إذا تساءلنا عن آخر ما وصل إليه هذا الخزف؟ وهذا يتطلب بحوثًا أثرية خاصة، ومع ذلك فإن النتيجة التي نستخلصها من مثل هذا البحث كما يظهر لنا هي: لا بد أن تكون الصلة المسلم بها بين «التمحو» — وهم سكان شمال أفريقيا الشقر — وبين هذه الأواني الفخارية ثابتة لا غبار عليها؛ لأنه بعد استطاعتنا الموازنة التي بها عرفنا أن الفخار المصري كانت الزخرفة الغائرة فيه أجنبية كما أوضحنا ذلك فإن ذلك يحدو بنا بطبيعة الحال إلى الموطن المحتمل للقوم الذين نحن بصددهم؛ ونعتقد أن يكون إما «أوروبا» أو إقليم البحر الأبيض المتوسط؛ وذلك لأن الفخار المصري فوق أنه يمتاز بزخرفة خاصة وهي التلوين بوضع طبقة من الدهان كان يفضل من جهة أخرى فخار البحر الأبيض المتوسط، وكذلك غربي وشمالي أوروبا في عهد ما قبل التاريخ؛ بسبب الزخرفة المحززة.

والواقع أن هناك صلة مدهشة من حيث الشكل والزينة بين هذا النوع من الزخرفة وبين الزخرفة الأفريقية لا يمكن أن تكون وليدة الصدفة أو توافق الأفكار. ولا شك في أنه توجد هنا روابط عظيمة قديمة لها أهميتها وضرورتها البالغتان؛ لأنها تجعلنا نطل على دور لعبه هؤلاء القوم لا بظهوره في حالات خاصة في الثقافة المصرية وحسب، بل كذلك في إقامة بنيانها.

وعلى الرغم من القليل الذي نعرفه اليوم في هذا الموضوع فإن المكانة الهامة الخاصة التي يشغلها قوم «اللوبيين» في أعماق التاريخ المصري لها قيمتها التامة.

حقًّا توجد أشياء عدة ليست مصرية في مظهرها في العصر التاريخي تمامًا، بل يجب أن تعبر كذلك عن الثقافة المصرية تعبيرًا صريحًا، ومع ذلك فإنها تُنسب إلى أصل لوبي. ولكن يعوقنا عن التعرف عليها والوصول إلى كنهها قلة المادة التي لدينا عن «لوبيا» في عصر ما قبل التاريخ، ويُلحظ ذلك بصفة بارزة في الديانة حيث نجد أن العلاقة في الأزمان الموغلة في القدم بعيدة الوصول إليها، فلدينا علاقات مختلفة خاصة بالآلهة المصرية، والآلهة اللوبية مثل الإلهة «نايت»

والإله «ست» وعلى وجه خاص الإله «آمون» في مظاهره الدينية المختلفة، وكل هؤلاء الآلهة كانوا يُعبدون في «لوبيا» وفي الصحراء بداهة، ولكن لا بد من إيضاحات أخرى عن عبادتهم في هذه الأصقاع أكثر مما نعلمه حتى الآن لنفهم الصلات الأساسية التي تربط هذه الآلهة ببلاد «لوبيا».

(٣-٣) هجرة أقوام البحر الأبيض المتوسط وهجومهم على وادي النيل

ذكرنا في الجزء السادس من «مصر القديمة» أن أقوامًا من البحر الأبيض المتوسط ظهروا في مصر، وبخاصة قوم «شردانا» وقلنا إن ظهورهم لا بد أن يكون قبل عهد «رعمسيس الثاني» ويحتمل أن يرجع عهد هؤلاء القوم بالذات إلى أوائل الدولة الحديثة، وقد فصلنا القول بعض الشيء في تاريخهم، وأنهم لم يأتوا إلى مصر في أوَّل الأمر إلا لغزوها. ولا نزاع في أن أقوام البحر الآخرين كانوا على اتصال بمصر منذ أزمان سحيقة في القدم، وتدل شواهد الأحوال على أنه منذ أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد قد وفدت من «أوروبا» والبحر الأبيض المتوسط أقوام من الغرب إلى الشرق.

وكانت أوَّل موجة وصلت إليه في أواخر الدولة القديمة، وكانت قد بُذرت في هذه الفترة أولى بذور العداء بين المصريين واللوبيين، ولم تُعد بعد الحملة التي قام بها «سحورع» على قوم «التحنو» ضمن هذا العداء؛ لأن هذه الحملة لم يقم بها «التحنو» بدون شك، بل كان غرض «سحورع» منها توسيع نفوذ مصر، ومد حدودها من جهة الغرب. وعلى الرغم من أن المصادر المصرية — حتى عهد الدولة الوسطى وعهد الانحطاط الذي تلاه — ليست واضحة، وعلى الرغم من أن المسابقة بين الأقوام الوافدين من الغرب كانت غاية في الأهمية، فمن المسلم به أن الحدود المصرية قد هدِّدت؛ فقد كانت هناك هجمة لوبية محسة في العهد الإقطاعي الأوَّل — وإن كانت المصادر قد سكتت عنها، وقد كان زحفهم حتى بداية الدولة الحديثة لا ضرر فيه نسبيًّا، ولم يكن صده يحتاج

إلى مجهود كبير، وقد بدأت الهجرة بصورة جدية مستمرة من الشمال الغربي في عهد الدولة الحديثة فزحفت أقوام كثيرة على وادي النيل، وواجهت مصر في عهد الأسرتين التاسعة عشرة، والعشرين أخطر الصعاب في صد هجومهم. وقد كان هجوم اللوبيين في هذا الوقت يسير جنبًا إلى جنب مع الهجرة العظيمة التي كانت قائمة في ذلك الوقت في أصقاع شرق البحر الأبيض المتوسط، وهي التي كان يطلق عليها «هجرة أقوام البحر الأبيض المتوسط»، وقد جاءت في نهاية عهد الثقافة «المنوانية» في «كريت». وفي «بلاد اليونان» كان قد بدأ الزحف الإغريقي الخاص في العهد الذي يطلق عليه «الهجرة الدورية».

والواقع أن البقاع التي حول البحر الأبيض المتوسط في ذلك الوقت كانت في حركة هائلة. ومن المحتمل أن يسلم الإنسان بأن الهجرة «الإليرية» التي كانت متجهة نحو احتلال الأراضي الواقعة حول البحر الإيجي، وهي «البلقان» و«تراقيا» و«آسيا الصغرى»، وكذلك سيل الهجرة الذي كان يتدفق عن طريق بوغاز «جبل طارق» وانتشر في شمال «أفريقيا» — يرجع كله إلى نفس الأصل أي إنه كان هجرة لقوم جدد وفدوا من قلب «أوروبا».[١٤٠]

ومن المدهش أن هؤلاء الأقوام الذين يدعون «بأقوام البحر» في المتون المصرية التي يرجع عهدها إلى الدولة الحديثة لم يتسن لنا أن ندرس أسماءهم إلا عن طريق قرنهم بما جاء في متون «العصر الكلاسيكي»، أي بعد كتابة النقوش المصرية بنحو ألف سنة تقريبًا. وهذه الموازنة كانت مفيدة بطبيعة الحال لأنها توحي — عندما نقابلها في الوثائق المصرية — بأسماء بعض القبائل الآتية من شمال البحر الأبيض المتوسط، ومن «آسيا الصغرى» — وكانوا يهاجرون إلى المواطن التي سينالون شهرة فيها، مثال ذلك قوم «شردانا» وقوم «شكلش» وقوم «بلست» (فلسطين) وقوم «أقابواش» وقوم «مشوش» وهجرتهم جعلت تحديد موطنهم على وجه التحقيق في آسيا الصغرى مستحيلًا، لأنه عند حلول العهد الكلاسيكي كان كثير من أسماء هؤلاء الأقوام قد ازدوج. فنجد واحدًا في الشمال الغربي، وآخر في الجنوب، أو في الجنوب الشرقي. فمثلًا نجد «الكليكيين» في

«الطرواد» وكذلك نجدهم في «كليكيا» كما نجد «بداسوس» في «الطرواد» و«بداسا» في «كاريا»، وكذلك نجد مملكة «ليسيا» على الساحل الجنوبي والبلاد التي حول نهر Aesepus في «طروادة» وكانت تسمى «ليسيا». وقد أصبح من المستحيل الآن أن نحدد من هذه الأسماء المكان الذي بدأ منه قراصنة البحر، أو أقوام البحار عندما نجدهم يقتحمون «سوريا» و«مصر».

غير أنه في السنوات الأخيرة كان لحل رموز اللغة «الخيتية» شأن كبير في الكشف عن عدد كبير من أسماء أقوام البحر. ولا شك في أن الحقائق التي سنحصل عليها من اللوحات «الخيتية» عند درسها تمامًا ستكون مرضية أكثر من التي وصلنا إليها من المتون الكلاسيكية؛ وذلك لأن الوثائق «الخيتية» معاصرة للوثائق المصرية. وكثيرًا ما نعرف منها الأقوام المجاورين لهذه الممالك التي نحن بصددها، وهذه المعلومات ستساعدنا يومًا على تحديد هذه البلاد زمن حروبهم مع مصر. وصعوبة الموضوع الآن تنحصر في أن درس جغرافية «آسيا» في طفولتها لا يزال غاية في الارتباك، فمثلًا نجد أن «إخيخياوا Ahhiyawa» قد حدد موقعها كل من الأستاذين «ماير» و«جارستانج» في «كليكيا».[١٤١] وقد رأى رأيهم الأستاذ «سومر» كذلك،[١٤٢] في حين أن «فورر» قد وضعها في بلاد اليونان.[١٤٣]

أما «جوتز» فوضعها في «طروادة» مع إبداء الشك. وقال عنها «هورزنى»: إنها «رودس».[١٤٤] وقد كان اقتراح «فور» الأول أن يضعها في «بمفيليا» كما فعل «إدوردمير»، غير أن ذلك لم يقبل،[١٤٥] وهكذا نرى بلبلة في تحديد هذه الأماكن. وسنتأكد من مواقع هذه الأقاليم على مر الزمن كما حُدد موقع «قزواتنا» أخيرًا، فقد كانت في وقت من الأوقات تُوضع على ساحل البحر الأسود، وقد حُدد موضعها الآن على وجه التأكيد بأنها «كاتاؤنيا» في الجبال الواقعة في الشمال الشرقي من «كليكيا» كما ذكرنا ذلك من قبل (راجع الجزء السادس)، وقد ذكرنا كذلك في الجزء السادس عند التحدث في موقعة «قادش» عن أسماء الأقوام الذين حاربوا «رعمسيس الثاني» مع ملك «خيتا» ووازنا أسماءهم — كما ذُكرت في النقوش المصرية — بنظائرها في النقوش

الخيتية. وتدل الموازنة على أن كل الأسماء المصرية التي وُجدت لها نظائر في الوثائق الخيتية هي أسماء حلفاء «خيتا» على «رعمسيس الثاني» في موقعة «قادش» وعلى أية حال نجد أن «لوكي» أو «لوكا» (ليسيا) قد ذُكرت قبل ذلك بمائة عام في خطابات «تل العمارنة»، كما أنها ذُكرت بعد «قادش» بخمسين سنة في عهد «مرنبتاح» أما القبائل الأخرى التي لم تظهر أسماؤها في موقعة «قادش» فهي «أقايواشا» (أخخياوا) وقد هاجمت «مرنبتاح» ثم «تورشا»، وقد هاجمت هذا الفرعون ومن بعده «رعمسيس الثالث» كما سنرى بعد.



شكل ٦: فلسطيني.

وفضلًا عن ذلك فإنه مما يدعو إلى الدهشة أن نجد بعض القبائل البارزة جدًّا في الوثائق المصرية لم تذكر على ما يظهر في المتون الخيتية، ونخص بالذكر منها «شردانا» و«بلست» (فلسطين). وقبائل «شردانا» — كما نعلم — كان لها أهمية تفوق أية قبيلة أخرى، وكان يحارب منهم عدد عظيم في صف مصر، أو عليها في فترة من الزمن تبلغ حوالي مائتي سنة. أما قبائل «بلست» وهم الفلسطينيون الذين ذُكروا في التوراة فلم يأتوا إلا متأخرين؛ إذ لم يظهر اسمهم إلا في عهد «رعمسيس الثالث». وقد كان لهم أهمية عظمى في ذلك الوقت.[١٤٦] أما القبائل الأخرى الباقية التي لم يأتِ ذكرها في النقوش الخيتية فلم تكن من الأهمية بمكان، وهي «الشكلش»،[١٤٧] و«المشوش»، وأخيرًا قبيلة «تكر» أو «ثكل»[١٤٨] (زكاروا) ثم قبيلة «وشش» وقد ظهرت قبيلتا «الشكلش» و«مشوش» بوصفهما محاربتين «مرنبتاح» و«رعمسيس الثالث» في حين أن «ثكر» (زكاروا) و«وشش» قد ظهرتا بعد في الحروب التي شنها أقوام البحار على «رعمسيس الثالث».

ومما سبق يمكن تقسيم أقوام البحار الذين ذُكروا على الآثار المصرية قسمين؛ الأوَّل يشمل الأقوام الذين كانوا معروفين عند دولة «خيتا»، والثاني هم الأقوام الذين لم يُذكروا في النقوش الخيتية، وقد ذكرنا هؤلاء الأقوام الذين كان «لخيتا» بهم صلة، وكان معظمهم بطبيعة الحال حلفاءها في موقعة «قادش» (راجع مصر القديمة ج٦). أما أولئك الأقوام الذين أتوا من وراء أفقهم أقوام «دنى» أو «دنونا»[١٤٩] «وشردانا» «دردنى» و«إروننى» و«شكلش»، و«مشوش» و«بليست» و«ثكل» (زكارو) و«وشش». وإذا استثنينا قومي «ثكل» و«وشش» وجدنا أن كل هؤلاء قد ظهروا قبل «عهد رعمسيس الثالث» أي قبل الوقت الذي استولى فيه على «بوغازكوى» عاصمة «خيتا»، وانتهت بعدها وثائق الدولة الخيتية، وعلى ذلك ينبغي أن يكون اسمها في الوثائق الخيتية إذا كانت دولة «خيتا» لها معاملة معهما. ولكن لما لم نجدهما مذكورين فمن حقنا أن نقرر هنا أنهما لم يكن لهما مع خيتا أي اتصالات سياسية، ومن جهة أخرى نرى بعض هذه القبائل قد حذف اسمه لأنه لم يكن له أية أهمية تُذكر. ومن الجائز أن هذا ينطبق على الفلسطينيين؛ لأنه لم يصبح

لهم شأن يذكر حتى عهد «رعمسيس الثالث» أي عند سقوط «بوغازكوى». وقد كان عدد الفلسطينيين على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط لا يُذكر كما يدل على ذلك صورة الحامية عند «قادش» غير أن هذا القول لا ينطبق على «شردانا»؛ لأن قومهم كانوا قد برزوا على مسرح التاريخ منذ ما يقرب من مائتي سنة.

وتنقسم أقوام البحر قسمين؛ الأوَّل هم الذين ذكرهم المصريون و«الخيتا» على السواء، والثاني هم الذين لم يُذكروا، وهذا يكشف عن حقيقة هامة ذلك أننا إذا تركنا جانبًا قوم «لوكى» أو «لوكا»، وحلفاء «خيتا» في موقعة «قادش» وجدنا أن القومين اللذين جاء ذكرهما مشتركًا في المتون المصرية والخيتية هما: «أقايواش» و«تورشا». ومما يستحق الذكر هنا أنهما حاربا «مرنبتاح». ومن المعترف به الآن لدى علماء الآثار أن «أقايواش» هم قوم «الأخيين Achaens» إحدى ولايات بلاد اليونان (أخيا) وهي «أخخيياوا Ahhiyawa»، ومن المحتمل أن قوم «تورشا» — في المتون المصرية — هم «تارشا» في المتون «الخيتية». ويوجد تفسير آخر عن موقع هذه القبيلة وهو مقبول في ظاهره، وهو الذي يجعل «تورشا» و«أقايواش» متقاربين في المكان. وذلك إذا قبلنا توحيد «تورشا» المصرية بقبيلة «تارشا» الخيتية، وقد ذكرت مع «آدانيا» على حدود «قزوادنا». وعلى ذلك تكون بلا شك هي «ترسوس» الواقعة في «كليكيا»[١٥٠] وإذا كان هذا الزعم صحيحًا أصبح من الحقائق الهامة أن عددًا من العلماء يريدون أن يضعوا «آخياوا» في «كليكيا» كما ذكرنا آنفًا، وأن أهالي «كليكيا» كانوا يُسمون قديمًا «هيباخيين».[١٥١] وعلى ذلك يصبح من الممكن أن تكون «تورشا» في المتون المصرية تمثل أهالي «ترسوس» لا أهالي «طروادة». على أن كل ذلك من باب الاستنباط وحده. والواقع أننا لا زلنا بعيدين عن الوصول إلى الحقيقة، وقد ذكرنا كل الاحتمالات في مواقع هذه الأقاليم عند الكلام على موقعة «قادش».[١٥٢] ولقد كانت هذه القبائل في الوقت الذي ظهرت فيه الوثائق الخيتية والمصرية تسكن حول جبال «تورس» وخلفها — وبخاصة على الشاطئ الجنوبي «لآسيا الصغرى». ولا نزاع في أنهم قد

بدءوا زحفهم من هناك على «سوريا» ومصر، غير أننا لا نعلم إذا كانوا قد اتخذوا دائمًا موطنهم هناك، أو أنهم قد أتوا من مكان آخر، وإذا كان الأمر كذلك فمن أين؟ ومن المحتمل أن بعضهم أتى في زمن مبكر عن هذا من أقصى الشمال الغربي للقارة.

والإنسان بعد هذا الاستعراض يجد أنه لا يزال أمامنا كثير لتحقيق مواقع هذه الأماكن، والدور الذي لعبته كل قبيلة أو إقليم في غزوهم لمصر في عهد كل من «مرنبتاح» و«رعمسيس الثالث».

ونعود الآن بعد هذا البحث الطويل في شرح الأقوام الذين كانت تتألف منهم بلاد «لوبيا»، وكذلك الأقوام الذين حاربوا ملك مصر في عهد الأسرة التاسعة عشرة — وبخاصة أقوام البحر في عهد الفرعونين «مرنبتاح» و«رعمسيس» إلى بحث المصادر التي تركها لنا «مرنبتاح» عن حروبه مع «لوبيا» وأقوام البحر الأبيض المتوسط كما تسميها المصادر المصرية، ثم استخلاص ما يمكن استخلاصه منها. وسنبدأ أولًا — كما هي عادتنا — بوضع هذه المصادر أمام القارئ، ثم التعليق عليها.

(٤) حروب «مرنبتاح» مع «لوبيا»

تنحصر المصادر التي نستند عليها في فهم حروب الفرعون «مرنبتاح» مع «لوبيا» في أربعة مصادر أصلية. وهي:

(١) نقوش «الكرنك» الكبيرة.

(٢) عمود القاهرة.

(٣) لوحة «أتريب».

(٤) أنشودة النصر.

(٤-١) نقوش «الكرنك» الكبيرة

يُعد هذا المتن من أطول الوثائق المحفوظة على جدران المعابد المصرية، ويقدم لنا — على ما به من تهشيم — أتم وصف باقٍ عن انتصار «مرنبتاح» على «لوبيا» وقد كانت هذه الوثيقة في الأصل تشمل ثمانين سطرًا نُقشت على داخل الجدار الشرقي من جهة الغرب الذي يربط «معبد الكرنك» الأصلي بالبوابة السابعة. ولكن مما يؤسف له أن نهايات الأسطر العليا من هذا المتن قد فقدت بما يقدر بنحو خمس كلمات في آخر كل سطر. وقد كان أول من نشر هذا المتن بأكمله «دميخن»،[١٥٣] وقد نشره فيما بعد «مريت»[١٥٤] ثم «دي روجيه».[١٥٥] غير أنه لا توجد واحدة من هذه النسخ صحيحة تمامًا؛ إلى أن جاء «برستد» فنقل هذا المتن بإتقان إلى حد ما؛ ووضع ترجمة له، وقد عثر «لجران» على بعض القطع الضائعة،[١٥٦] وكذلك نقله «مولر»،[١٥٧] وهي أحسن نسخة نُقلت حتى الآن. وهاك الترجمة حرفيًّا مع بعض تعديلات بسيطة في ترجمة «برستد».[١٥٨]

العنوان

(بداية النصر الذي أحرزه جلالته في «لوبيا») … «أقايواش» «تورشا»، «لوكا»، («ليسيا») «شردانا»، «شكلش»، الشماليون الزاحفون من كل البلدان.

شجاعة «مرنبتاح»

(٢) … شجاعته في قوة والده «آمون» ملك الوجه القبلي، والوجه البحري «بررع مري آمون» بن «رع» «مرنبتاح حتب-حرماعت» معطي الحياة، تأمل هذا الإله الطيب النضر … (٣) … (والده) كل الآلهة دروعه، وكل مملكة في خوف عند النظر إليه، الملك «مرنبتاح» (٤) … أقفرت، وصيرت خرابًا، وآمرًا أن كل من يغزو حدًّا من حدود مصر يمني نفسه في زمنه … (٥) … وكل خططه، وحكمه نفس الحياة، وقد جعل كل الناس خالين من الهموم في حين أن الرعب من قوته كان في … (٦) …

الاستعداد للدفاع

... ليحمي «هيلوبوليس» بلدة «آتوم»، وليحمي «انب انى» بلدة «بتاح تاتنن» ولينجي ... من الشر ... (٧) ... لأنهم (ضربوا) الخيام أمام «بوبسطة» (بربرست) وجعل مسكنهم في بقعة «آتى».[١٥٩]

اعتداء اللوبيين

... (٨) ... لم يعتنِ بها، وقد تُركت لتكون مرعًى للماشية بسبب أقوام «الأقواس التسعة»، وقد تُركت خرابًا منذ زمن الأجداد، وكل ملوك «الوجه القبلي» يسكنون في أهرامهم (٩) ... وملوك «الوجه البحري» ظلوا في وسط مدنهم محصورين في القصر الحكومي لقلة الجنود، ولم يكن لديهم رماة ليجيبوا عنهم.

تولي «مرنبتاح» عرش الملك واستعداداته

وقد حدث ... (١٠) استولى على عرش «حور»، وقد نُصب ليحفظ بني الإنسان أحياء، وقد رُفع ملكًا ليحمي عامة الشعب، وقد كان لديه القوة ليفعل ذلك بسبب ... في (١١) ... «مابارا» (اسم بلدة أجنبية) ونخبة رماته قد صُفوا، وفرسانه قد أُحضروا من كل جانب، وكان طليعة جنوده في ... في (١٢) ... ولم يحفل بمئات الألوف في يوم النزال، وقد تقدم مشاته، ووصل الجنود المجهزون بالأسلحة الثقيلة في مظهر جميل قائدين الرماة على كل أرض.

خبر تحالف اللوبيين «وأقوام البحار» على مصر

... (١٣) ... الفصل الثالث قائلين:

إن رئيس «لوبيا» الخاسئ «مريي» بن «دِد» قد انقض على إقليم «تحنو» برماته (١٤) ... «شردانا» و«شكلش» و«أقايواش» و«لوكا» و«تورشا» آخذًا كل محارب

حسن، وكل رجل قتال في بلاده. وقد أحضر زوجه وأولاده، (١٥) ... قواد المعسكر، وقد وصل إلى الحدود الغربية في حقول «بر-إر Pirire».

خطاب «مرنبتاح»

تأمل، لقد كان جلالته ثائرًا كالأسد على تقريرهم، (١٦) وجمع رجال بلاطه، وقال لهم: اسمعوا أمر سيدكم. إني أعطي ... كما ستفعلون. قائلًا: إني أنا الحاكم الذي يرعاكم، وإني أصرف وقتي في البحث عن (١٧) ... أنتم كالواحد الذي يحفظ أولاده أحياء، في حين أنكم تنزعجون كالطيور، وأنتم لا تعلمون فضل ما يفعله. هل من أحد مجيب في (١٨) ... هل ستخرب البلاد وتهجر عند غزو كل بلد في حين أن أقوام الأقواس التسعة ينبهون تخومها، والثوار يغزونها كل يوم؟ كل ... يأخذ (١٩) ... لينهب هذه الحصون، ولقد نفذوا إلى حقول مصر مرات حتى النهر العظيم، ولقد نزلوا وأمضوا أيامًا كاملة وشهورًا قاطنين (٢٠) ... ولقد وصلوا إلى تلال الواحة واستولوا على صقع «تا-إحه» أي «واحة الفرافرة»، وقد كانت منذ عهد ملوك «الوجه البحري» في سجلات الأزمان الأخرى، ولم تكن معروفة (٢١) ... كالديدان لا يهتمون بأجسامهم، بل كانوا يحبون الموت ويحتقرون الحياة، وقلوبهم متعالية على أهل مصر (٢٢) ... رؤساؤهم، وقد صرفوا أقواتهم يجوسون خلال الديار محاربين لإشباع بطونهم يوميًّا، وقد أتوا إلى أرض مصر ليبحثوا عن طعام لبطونهم، وقد كان غرضهم (٢٣) ... أن أحضرهم كالسمك الذي وقع في الشبك على بطونهم، ورئيسهم كالكلب، فهو رجل تفاخر، خلو من الشجاعة، فهو لم يمكث (٢٤) ... وقد أفنيت «بد-تي-شو» (الآسيويين) الذين جعلتهم يحملون حبوبًا في السفن للإبقاء على حياة بلاد «خيتا» (يشير هنا إلى أن «خيتا» كانت ضمن الحلف الذي كان يحاربه) تأمل، إني من الآلهة — كل نفس (٢٥) ... تحيى الملك «مرنبتاح» معطي الحياة، وبحياة حضرتي، وبأل — كما أفلح بوصفي «حاكم

الأرضين»، فإن الأرض ستصير (٢٦) ... مصر. وقد أوحى[١٦٠] «آمون» بالموافقة عندما تكلم الواحد (الملك) في طيبة، وقد ولى كشحه عن «مشوش» ولم يلتفت إلى أرض «تمحو» عند ما يكون (٢٧) ...

بداية الحملة: ... (والظاهر هنا أن خطاب الفرعون قد انتهى في الجزء الضائع من المتن وبدأ بعد ذلك سير الجنود):

ويقود الرماة في المقدمة هناك ليهزموا أرض «لوبيا». وعندما انقضوا كانت يد الله معهم، وحتى «آمون» كان معهم درعًا لهم، وقد أمرت أرض مصر قائلًا. (٢٨) ... مستعد للسير مدة أربعة عشر يومًا.

حلم «مرنبتاح»

وبعد ذلك رأى جلالته فيما يرى النائم كأن تمثال «بتاح» واقف أمام الفرعون له الحياة والفلاح والصحة، وكان مثل ارتفاع (٢٩) ... فتكلم إليه: خذه أنت عندما مد إليه يده بالسيف، وأقص عنك أنت القلب الخائف، فتكلم إليه الفرعون له الحياة والفلاح والصحة: تأمل (٣٠) ...

اقتراب الجيشين

المشاة والفرسان قد عسكروا بعدد عظيم أمامهم على الشاطئ أمام صقع «برإر»، تأمل إن رئيس «لوبيا» الخاسئ ... في مساء اليوم الثاني من الشهر الثالث من الفصل الثالث (أي الشهر الحادي عشر) عندما سمح الضوء بالتقدم نحوهم. وقد حضر رئيس «لوبيا» الخاسئ المهزوم في تاريخ اليوم الثالث من الشهر الثالث من الفصل الثالث. وقد أحضر (٣٢) ... حتى وصلوا. وقد انقض مشاة جلالته وخيالته سويًّا وكان «آمون رع» معهم، والإله «ست» صاحب «أمبوس» يقدم لهم يد (المساعدة).

الواقعة

وكل رجل (٣٣) ... ودمهم ولم يوجد فارٌّ من بينهم، تأمل فإن رماة جلالته قد أمضوا ست ساعات يخربون بيوتهم وقد أسلموا للسيف على (٣٤) ... للبلاد. تأمل: وعندما كانوا يقاتلون ... وقد وقف خاسئ «لوبيا» وقلبه خائف وانسحب ثانية ووقف ثم ركع (٣٥) ... نعلاه وقوسه وكنانته بسرعة خلفه وكل شيء كان معه ... وساقاه، وجرى رعب عظيم في أعضائه (٣٦)، تأمل فإنهم ذبحوا ... ممتلكاته، وعدته، وفضته، وذهبه، وأوانيه من البرنز، وأثاث زوجه، وعرشه وأقواسه وسهامه، وكل ممتلكاته التي أحضرها من بلاده (٣٧) مشتملة على ثيران، وماعز، وحمير، وكل ذلك قد حُمل إلى القصر ليوضع فيه الأسرى، تأمل! فإن خاسئ «لوبيا» كان مسرعًا ليهرب بنفسه، في حين أن (٣٨) كل الناس بين الضباط ... وبين من جرحوا بالسيف. تأمل: فإن الضباط الذين كانوا على جياد جلالته اقتفوا أثرهم ... وسقطوا بالسهام (٣٩) وحُملوا قتلى ...

لفتة إلى الماضي

لم ير ذلك إنسان في تاريخ ملوك «الوجه البحري» (لأن الحرب كانت في الدلتا) تأمل! إن أرض مصر هذه كانت في يدهم، في حالة ضعف في عهد ملوك «الوجه القبلي» (٤٠) وعلى ذلك لم يكن من المستطاع صد يدهم ... هؤلاء ... حُبًّا لابنهم العزيز ليحموا مصر لربها، ولنجاة معابد مصر ولتعلن (٤١) قوة الإله الطيب الجبارة ...

هرب رئيس «لوبيا»: وقد أرسل قائد حصن الغرب تقريرًا إلى بلاط الفرعون له الحياة والقوة قائلًا ما يأتي:

إن «مريي» المهزوم قد حضر، وإنه قد أرخى لساقيه العنان جبنًا منه، وقد مر بي في جنح الظلام في سلام (٤٢) ... حاجة، وإنه قد سقط وكل إله في صف مصر، وإن الافتخارات التي فاه بها أسفرت عن لا شيء، وكل ما قاله فمه قد عاد على رأسه هو،

وحالته ليست معروفة أميت هو أم حيٌّ ... وإنك ... من شهرته فإذا كان لا يزال حيًّا فإنه لن يقود (الجنود) ثانية؛ لأنه قد وقع عدوًّا لجنوده هو. وإنك أنت الذي أخذتنا لتجعلنا نذبح. (٤٤) ... في أرض «تمحو» (ولوبيا) وقد نصبوا في مكانه آخر من بين إخوته، وهذا الآخر يحاربه عندما يراه، وكل الرؤساء حانقون (٤٥) ...

العودة المظفرة

ثم عاد ضباط الرماة، والمشاة، والفرسان، وكل فرقة في الجيش سواء أكانوا من المجندين، أو من الجنود حملة الأسلحة الثقيلة (٤٦) (وحاملين الغنيمة ...) وسائقين حميرًا أمامهم تحمل أعضاء التناسل التي لم تُختن (دلالة على عدد القتلى) من بلاد لوبيا ومعها الأيدي (التي قُطعت دلالة على الموتى) من كل بلد كانت معه (مثل السمك على الكلا) والممتلكات (٤٧) ... أعداء بلادهم. تأمل: لقد كانت كل البلاد مبتهجة حتى عنان السماء وقد رحبت المدن والأقاليم بهذه العجائب التي حدثت. والنيل (٤٨) ... بمثابة جزية تحت الشرفة (أي شرفة القصر الملكي التي كان يطل منها الفرعون على الشعب) ليجعل جلالته يُشاهد انتصاراته.

قائمة بالأسرى والقتلى

قائمة بالأسرى الذين سبقوا من أرض «لوبيا» هذه، والبلاد التي أحضرها معه، وكذلك المتاع (٤٩) ... بين قصر «مرنبتاح حتب حرماعت» (مهلك «التحنو») الذي في «برإر» حتى المدن العليا من البلاد مبتدئًا بـ ... الخاصة «بمرنبتاح حتب حرماعت» (٥٠) أولاد رئيس «لوبيا» الذين قطعت وأحضرت أعضاء تناسلهم غير المختونة، ٦ رجال.

أولاد الرؤساء، وإخوة رئيس «لوبيا» الذين قُتلوا، والذين أُحضرت أعضاء تذكيرهم ...

(٥١) ... «اللوبيون» الذين حُملت أعضاء تناسلهم غير المختونة: ٦٣٥٩.

مجموع أولاد الرؤساء العظماء:

(٥٢) ... «شردانا»، و«شكلش» و«إقوش» من ممالك البحار الذين لا غلفة لهم (أي مختونين):

شكلش ٢٢٢ رجلًا.

المجموع ٢٥٠ يدًا.

ترشا ٧٤٢ رجلًا (في لبسيوس ٧٥٠).

المجموع (٧٩٠) يدًا؟

شردانا (٥٤) ... ...

المجموع ... ...

الإقوش الذين خُتنوا وهم المقتولون الذين حُملت أيديهم لأنهم (٥٥) (مختونون) ... في أكوام الذين حُملت أعضاء تذكيرهم إلى المكان الذي فيه الفرعون ٦١١١ رجلًا ... ...

فيكون مجموع أعضاء التذكير غير المختونة (٥٦): ... ...

والذين حُملت أيديهم ٢٣٧٠رجلًا.

و«الشكلش» و«التورشا» الذين أتوا بوصفهم أعداء تابعين «للوبيا» (٥٧) ... ...

«قهق» و«لوبيون» الذين سيقوا بوصفهم أسرى ٢١٨ رجلًا.

نساء خاسئ «لوبيا» المهزوم اللائي أحضرهن معه أحياء ١٢ امرأة لوبية.

المجموع الذي أسر (٥٨) ... ٩٣٧٦ من الناس.

قائمة الغنائم: أسلحة الحرب التي كانت في أيديهم، وحملوا غنيمة: سيوف نحاس خاصة بالمشوش ٩١١١.

(٥٩) ... ١٢٠٢١٤ (أسلحة صغيرة؟).

الخيل التي أتى بها — وهي التي كانت تحمل خاسئ «لوبيا» المهزوم — وقد جيء بها أحياء أزواجًا: ١٢.

(٦٠) ممتلكات ... «مشوش» التي استولى عليها جيش جلالته له الحياة والفلاح والصحة الذي حارب مهزوم «لوبيا»: ماشية مختلفة ١٣٠٨ ماعز (٦١) ... ... مختلفة ٦٤.

كئوس شراب من الفضة: (تركت فضاء في الأصل).

أواني «ثا-بور»، أواني «رهدت» وسيوف، ودروع، وسكاكين وأواني مختلفة ٣١٧٤.

وقد حملوا (٦٢) ... وأشعلت النار في المعسكر، وخيامهم المصنوعة من الجلد.

مظاهر النصر في القصر

وقد ظهر سيدهم الملك له الحياة والفلاح والصحة في القاعة الواسعة من القصر في حين كان البلاط يرحب بجلالته له الحياة والفلاح والصحة في القاعة الرحبة من القصر في حين كان البلاط (٦٣) يرحب بجلالته له الحياة والفلاح والصحة مبتهجين عند ظهوره الذي فعله. وخدم جلالته صاحوا فرحًا حتى عنان السماء، والحاشية على كلا الجانبين ...

خطاب «مرنبتاح»

(٦٤) (وقال جلالته) ... بسبب الخير الذي فعله «رع» لحضرتي، لقد ألقيت خطابهم متكلمًا بوصفي إلهًا يُعطى قوة، ومن مرسومه قد جعل الملك «مرنبتاح» له الحياة والفلاح والصحة ... (٦٥) ... يجب أن يضم ... بمثابة رعايا في وسط مدنهم، وكذلك بلاد «كوش» تحمل جزية المقهورين، وقد جعلته يراها في يدي في ... (٦٦) ... رئيسه محضرًا جزيته كل سنة في ... مذبحة عظيمة قد وقعت بينهم، ومن يعيش منهم سيملأ المعابد (٦٧) ... ورؤساؤهم المهزومون هاربون أمامي، وقد وضعت في ... ذبحه، وقد عمل شواء اصطيد كطير بري، وقد أعطيت الأرض (٦٨) ... لكل إله. وقد وُلدوا من فم سيد مصر الوحيد، والمتعدِّي قد سقط ... (٦٩) ... ... ومنتصر «رع» وجبار على أقوام الأقواس التسعة، والإله «ستخ» يعطي النصر والقوة «لحور» الملك مبتهجًا بالعدالة، وضاربًا — الملك «مرنبتاح» له الحياة والفلاح والصحة — وإني (٧٠) ... القوي، لم يؤخذ. وقد تآمر «اللوبيون» على أشياء أثيمة ليرتكبوها في مصر. انظر إن حماتهم قد سقطوا، ولقد ذبحتهم وقد عملوا (...) (٧١) ... ولقد جعلت مصر تفيض بنهر، والناس تحبني كما أحبهم، وأعطيهم نفسًا لمدنهم، واسمي يُفرح به في السماء والأرض (٧٢) ... وجدوا، وزمني قد نفذ فيه أشياء جميلة في أفواه الشباب على حسب عظم ميزة الأشياء التي أنجزتها لهم وإنها صحيحة كلها (٧٣) ... عابدًا السيد الممتاز الذي استولى على الأرضين. الملك «مرنبتاح» له الحياة والفلاح والصحة.

جواب البلاط

قالوا: ما أعظم هذه الأشياء التي حدثت لمصر! ... (٧٤) ... و«لوبيا» كالمتوسل الذي قد أُتي به أسيرًا، ولقد جعلت أهلها كالجراد؛ لأن كل طريق قد امتلأت بأجسامهم ... مانحًا مؤنك إلى فم المحتاج، وإنك تنام مرتاح البال في أي وقت إذ لا يوجد (٧٦) ...

(٤-٢) عمود القاهرة

جزء من عمود الجرانيت محفوظ الآن «بمتحف القاهرة»، وقد كان أول من لاحظه في ساحة بناء وزارة المعارف في القاهرة هو «بروكش» الأثري.[١٦١] وقد نُقل بعد ذلك إلى المتحف، ونشره أولًا «ماسبرو» بدون صور.[١٦٢] وتحتوي نقوش هذا العمود على ملخص مختصر عن إعلان الغزو للفرعون، وبذلك يصير النقش الذي نجده في نقوش «الكرنك» الكبرى التي تسبق إعلان الحرب.

والمحتويات التاريخية لهذه الوثيقة هي ما يأتي:

> نجد في الجزء الأعلى منظرًا يُشاهَد فيه «مرنبتاح» يتسلم سيفًا من إله يقول له: إني أجعلك تقطع رءوس رؤساء «لوبيا» الذين قد صددت غزوهم. وفي أسفل نجد نقشًا في خطوط عمودية لا يُرى منها الآن إلا ما يأتي:
>
> > (١) السنة الخامسة، الشهر الثاني من الفصل الثالث (الشهر العاشر) أتى إنسان ليقول لجلالته: إن رئيس «لوبيا» الخاسئ قد غزا مع … رجالًا ونساء من «الشكلش» (٢) …

(٤-٣) لوحة السنة الخامسة من حكم «مرنبتاح»

هذه اللوحة التي يسميها «برستد» «لوحة أتريب»[١٦٣] ليس لتسميتها أصل. والواقع أن هذه اللوحة عُثر عليها في عام ١٨٨٢ في «الكوم الأحمر» التابع لقرية «شبرا، زنجي» على مسافة خمسة كيلومترات شرقي «منوف». وقد بقيت هذه اللوحة في مكانها مدة عشرة أعوام، وقد نُقلت بعدها بطريق ترعة «الباجورية» لتُوضع في «متحف القاهرة» غير أنها غرقت وبقيت في قعر القناة مدة خمس وثلاثين سنة، ورُفعت بعدها ووصلت إلى المتحف في يناير سنة ١٩٢٧ وقُيدت برقم ٥٠٥٦٨.

وهي لوحة من الجرانيت الوردي، وقد كُسرت وضاع جزء طولي منها، وهي منقوشة من كلا الجانبين، فعلى الوجه دُوِّن عشرون سطرًا، وعلى الظهر دُوِّن واحد وعشرون سطرًا، وقد نشر

«ماسبرو» هذه اللوحة من صورة «شُفت» من الأصل Stempage[١٦٤] إلا بعض أسطر نشرها أخيرًا «لفبر» بإتقان بعد مراجعتها على الأصل.[١٦٥] والجزء الأعلى المستدير من هذه اللوحة قد حُلي على كلا الجانبين بمنظرين متناسبين ظهرًا لظهر حيث نجد الملك واقفًا أمام إله.

فعلى الوجه نجد من جهة اليمين الإله «آمون رع»، ومن جهة الشمال يُحتمل أنه الإله «بتاح» والمنظر الذي على اليسار غير تام، ولم يبقَ منه إلا جزء من صورة الإله «بتاح»، وعلى ظهر اللوحة نجد على اليمين الإله «آتوم»، وعلى اليسار الإله «حوراختي» يقبض بيده على سيفه، ويلبس التاج الأزرق (خبرش) ويلوِّح بالسيف، ويقدم إلى الإله «حوراختي» أسيرًا راكعًا. وفي المنظر الذي على اليمين لم تبقَ إلا صورة الإله «آتوم». وهاك ترجمة اللوحة مع ما فيها من نقص في كلا الجانبين.

(٤-٤) متن وجه اللوحة

السنة الخامسة، الشهر الثالث من الفصل الثالث، اليوم الثالث (١) في عهد جلالة «حور» الثور القوي الذي يبتهج بالعدل، ملك الجنوب والشمال (… …) (٢) صاحب السيدتين، والذي ينفذ قوَّته على أرض «تمحو» والملك يصد أعداءه (… …) (٣) والمهزومين بالخوف الذي ينبعث منه، ملك الجنوب والشمال «بان رع مري آمون بن رع مرنبتاح حرماعت» (… …) (٤) انتصاراته. ويتحدث عن أعمال شجاعته لبلاد «مشوش» (… …) (٥) «مرنبتاح حتب حرماعت» معطي الحياة، وهو الذي جعل مصر تستسلم للنوم حتى الإصباح، وعلى ذلك فإنه يأخذ (… …) (٦) الرعب، كل يوم بسبب الخوف الذي يبعثه في النفوس جاعلًا بلاد «لوبيا» تصير تحت قوة الخوف الذي ينبعث منه ملك الجنوب والشمال (… …) (٧) محوِّلًا معسكرهم إلى مكان قفر، ومستوليًا (… …) (٨) وكل عشب تنبته حقولهم. ولم يبقَ حقل بعد خصبًا ليعيش منه.

(... ...) (٩) والصهاريج مختنقة كالناس العطشى. كالثور القوي الذي يحارب على الحدود (... ...) (١٠) وقد نطق «رع» نفسه باللعنات على الناس منذ أن تعدوا (... ...) (١١) بفم واحد وهو تابع للسيف الذي في يد «مرنبتاح حتب حرماعت» الابن الذي خرج من جسمه (... ...) (١٢) «مرنبتاح حتب حرماعت» معطي الحياة. وقبائل اللوبيين منتشرون على الجسور مثل الفئران (... ...) (١٣) قابضين عليهم مثل الطيور المفترسة ولم نجد منهم من قد أفلت ومحل (... ...) (١٤) مثل الإلهة «سخمت»، وسهامه لا تطيش عن غرضها في أجسام أعدائه، وأيًّا كان قد تبقى منهم (... ...) (١٥) فإنهم يعيشون على الأعشاب مثل الأنعام، والواقع أنه سيد الآلهة، رب «طيبة» هو الذي (... ...) (١٦) ابنه الذي يحبه، يتمتع باسمه ... ... (... ...) (١٧) ابن «رع» «مرنبتاح حتب حرماعت» وهذا ما فعله «آمون رع» سيد تيجان الأرضين القاطن في الكرنك (... ...) (١٨) ذبح (؟) سكان الصحاري ... ... (... ...) (١٩) «مرنبتاح حتب حرماعت» ... (... ...) (٢٠) وهو ...

النقوش التي على ظهر اللوحة

(١) (... ...) نهاية الحدود، ملك الجنوب والشمال «بان رع مري آمون بن الشمس مرنبتاح حتب حرماعت» الأسد ذو النظرة النافذة، المملوءة بالفزع (٢) (... ...) ... ... في موضوع قومه وقبائل الأقوام التسعة أمامه مثل نساء الحريم ملك الوجه القبلي والوجه البحري «بان رع مرنبتاح» بن «رع حتب» «حرماعت» المتوج (٣) (... ...) منشرحًا عند مشاهدة الانتصارات (التي تشمل) ما أحرزه سيفه البتار جاعلًا رجال حاشيته ينظرونها (٤) (... ...) مثل الأسرى والشاطئان خلفهم مهللين، ومصر في عيد (٥) (... ...) قوم «مشوش» قد هُزموا أبديًّا بقوة المحارب الشجاع، والثور القوي الذي يهزم الأقواس التسعة (٦) (... ...) تعداد الأسرى الذين أحضرهم سيف الفرعون البتار

له الحياة والصحة والقوة بين الأعداء اللوبيين (٧) (... ...) الذين كانوا في الجزء الغربي من (الدلتا) الذين أعطاهم «آمون رع» ملك الآلهة، و«آتوم» سيد الأرضين صاحب «عين شمس» و«حوراختي» و«بتاح القاطن جنوبي جداره» سيد «منف» و«ستخ» (٨) (... ... للملك) «بان» (رع مري آمون ابن «رع» «مرنبتاح حتب حرماعت») وقتلى صاروا أكوامًا من الجثث بين قصر (٩) (مرنبتاح ...) الذي في «برإر» وجبل نهاية الأرض §.

(٤-٥) قائمة هؤلاء الناس

أولاد رئيس الأعداء اللوبيين الخاسئ (١٠) (... ...) ستة رجال.

أولاد الرؤساء وإخوة الخاسئ رئيس «لوبيا» المعادي الذين ذُبحوا وحُملوا بوصفهم الـ.

(١١) (... ...) أسر «لوبيا» الذين قُتلوا والذين أُحضرت أعضاء تناسلهم ٦٢٠٠ وفي «متن الكرنك ٦٣٥٩» (١٢) (... ...) أسر لوبية قُتلوا وأُحضرت أعضاء تناسلهم ... (... ...) رجالًا (١٣) (... ...) ... مائتي رجل «إقوش» وأقوام البحر الذين أحضرهم معه الرئيس الخاسئ (١٤) (... ...) وهم الذين أُحضرت أيديهم، ١٢١٣ رجلًا، وهذا العدد يخالف ما ذكره «مسبرو» وهو ١٢٠١ ومن «شكلش» ٢٠٠ رجلًا، ومن «طرشا» ٧٢٢ رجلًا (وهذان العددان السابقان قد ذُكرا في متن الكرنك ٢٢٢، ٧٤٢ على التوالي في السطر ٥٣) (١٥) (... ...) ... عشرة + س رجلًا مجموع «اللوبيين» و«الشردانا» الذين ذُبحوا (... ...) رجلًا (١٦) (... ...) ...: ٣٢ رجلًا.

نساء الخاسئ رئيس لوبيا (... ...) امرأة (في نقوش الكرنك سطر ٥٧: ١٢ امرأة) (١٧) (... ...) الأعداء اللوبيون رءوس مختلفة (؟)٩٢٠٠.

(١٨) (... ...) ...: ٨٢٢٤ أقواس ...: ١٠٠٠ (+ س) ذكر «مسبرو» في نسخته ٢٠٠٠ (١٩) (... ...) آنية «قبت» واحدة وآنية «تبو» من الذهب ٢٠ (+ س) ... (٢٠) (... ...) مازا (؟) (٢١) (... ...) ...: ١٥٩٠ ...

(٤-٦) قصيدة عن انتصار «مرنبتاح»

(راجع كتاب الأدب المصري القديم الجزء الثاني) هذه القصيدة منقوشة على لوحة تذكارية من الجرانيت الأسود وهي المسماة «لوحة إسرائيل»، وقد أُقيمت في معبد الملك الجنازي، وكذلك على لوحة في معبد «الكرنك» كما يُستدل على ذلك بقطعة وُجدت هناك، وقد كانت بلا شك قصيدة ذات أهمية كبرى لدى الملك، وهي في مجموعها فخار بالنصر العظيم الذي أحرزه الملك على اللوبيين في السنة الخامسة من حكمه ١٢٣٠ق.م، وبه نجت مصر من خطر عظيم، والقصيدة تزخر بالاستعارات والتشبيهات المختارة مما أسبغ عليها صورة أدبية، وقد وصف فيها الشاعر هزيمة الأعداء بمهارة تدعو إلى الدهشة فكأنها صورة رسمها المثَّال أمامنا غير أن هذه صورة ناطقة، يُضاف إلى ذلك أن الشاعر وسط هذه المدائح وتلك الأعمال الجسام التي قام بها «مرنبتاح» للذود عن حياض بلاده وتخليصها من غارات «اللوبيين» وكسر شوكتهم لم يَفُتْهُ أن وصف الفرعون بالاستقامة والعدل، فهو يعطي كل ذي حق حقه، فالثروة تتدفق على الرجل الصالح، أما المجرم فلن يتمتع بغنيمة ما، وما أحرزه الإنسان من ثروة أتت عن طريق غير مشروع تقع في يد غيره لا في يد أطفاله، ثم نرى الشاعر ينتقل إلى وصف السلام والطمأنينة والرخاء التي سادت البلاد بعد هذا الانتصار بصورة هي المثل الأعلى لما يتطلبه الإنسان في الحياة الدنيا، فحتى الحيوان قد تُرك جائلًا بدون راعٍ، في حين أن أصحابهم يروحون ويغدون مغنين، وليس هناك صياح قوم متوجعين. ولا شك في أن هذا هو عين السلام الذي يتطلبه الإنسان في كل زمانٍ ومكان. وفي ختام هذه القصيدة الرائعة يعدد لنا الشاعر القبائل أو الأقاليم التي أخضعها «مرنبتاح» ومن بينها قبيلة بني إسرائيل، وهذه أول مرة ذُكر فيها هؤلاء القوم في المتون المصرية، ولذلك سُميت هذه اللوحة

باسمهم، وكذلك قيل عن «مرنبتاح» إنه فرعون موسى الذي ذُكر في القرآن وغيره من الكتب المقدسة، وهذا طبعًا لا يرتكز على حقائق تاريخية.

(أ) المتن

التحدث عن انتصاراته في جميع الأراضي، وكل الأراضي جميعًا قد أخبرت بذلك، وصارت تشاهد جمال أعمال الفروسية.

الملك «مرنبتاح» الثور القوي الذي يذبح أعداءه، جميل الطلعة في ميدان الشجاعة حينما يهاجم.

إنه الشمس بدَّدت الغيوم التي كانت تخيم على مصر، وقد جعل «تامرى»[١٦٦] تشاهد أشعة الشمس.

وهو الذي أزاح تلًّا من النحاس من فوق ظهور الشعب حتى يتمكن من منح من كانوا في الأسر الهواء.

وهو الذي جعل أهالي «منف»[١٦٧] يفرحون على أعدائهم، وجعل «بتاح تنن» يبتهج ويشمت بخصومه، وهو الذي فتح أبواب «منف» بعد أن كانت قد أُغلقت وجعل معابدها تتسلم أرزاقها.

وإنه الملك «مرنبتاح» الواحد الفرد الذي يبعث القوة في قلوب مئات الألوف، ويدخل نفس الحياة في أنوفهم عند رؤيته.

بلاد «التمحو»[١٦٨] كُسرت في مدة حياته، وأدخل الرعب أبد الدهر في قلب «مشوش»، وإنه الذي جعل «اللوبيين» الذين وطئوا أرض مصر ينكصون على أعقابهم، والوجل العظيم في قلوبهم من مصر، وزحفهم قدمًا قد انتهى، وأقدامهم لم تقوَ على الوقوف فولوا هاربين.

والمحاربون منهم بالسهام ألقوا بأقواسهم، وقلب المسرعين منهم قد أعياه المشي وفكوا قرب مائهم، ثم ألقوا بها على الأرض، وحقائبهم قد مزقت وألقي بها.[١٦٩]

ورئيس «اللوبيين» التعس المهزوم[١٧٠] هرب تحت ستار الليل وحيدًا، والريشة ليست على رأسه، [١٧١] ولكن قدميه قد خانتاه (؟) وأزواجه قد اغتُصبن أمام وجهه، ومأكولات وجبته قد استُولي عليها، ولم يكن لديه ماء في القربة ليعيش منه.

وكان محيا إخوانه يبدو مفترسًا يريد الفتك به، وقد تحارب ضباطه فيما بينهم وحُرقت خيامهم وتحولت إلى رماد، وكل متاعه صار طعامًا للجنود.

وقد وصل إلى بلاده محزونًا، وكل فرد قد تخلف في أرضه كان يستشيط غضبًا (؟) ... الذي عاقبه القدر هو الذي يحمل الريشة الحقيرة!

هكذا كان يتحدث أهل كل مدينة عنه، وأنه صار تحت سلطان كل آلهة «منف» ورب مصر قد لعن اسمه، وأصبح «مريي»[١٧٢] لعنة «منف» يتناقلها ابن عن ابن من أسرته إلى الأبد، و«بن رع» محبوب «آمون»[١٧٣] يقتفي أثر أولاده، و«مرنبتاح» منشرح بالصدق قد نصبه القدر له.

وقد أصبح «مرنبتاح» أسطورة «للوبيين» ليتحدث بها جيل عن جيل بانتصاراته قائلين:

> هل سيكون ضدَّنا ثانية ... «رع»؟ وهكذا يقول كل شيخ لابنه: «وا أسفاه على «لوبيا» لقد أصبح أهلها لا يعيشون بحالتهم الطيبة يمرحون في الحقول. ففي يوم واحد قضى على تجوالهم، وفي عام واحد فنى «التحنو»، وقد حول الإله «ستخ»[١٧٤] ظهره عن رئيسهم وخربت مساكنهم بسلطانه، ولا يوجد عمل لحمل ... في هذه الأيام،[١٧٥] إنه لحسن أن يخبئ الإنسان نفسه، ففي الكهف سلامته.»
>
> إنه رب مصر العظيم والقوة الشجاعة متاع له، فمن يجسر على الحرب الآن وهو يعلم كيف يخطو قدمًا؟
>
> إن من ينتظر هجومه لغبي أحمق، ومن يتعدَّ على حدوده فلا يعلم ما يخبئه له الغد.

ويقول الناس منذ زمن الآلهة: إن مصر هي الابنة الوحيدة «لرع» وابنه هو الذي يجلس على عرش «شو»[١٧٦] ولن يشرع أحد في التعدِّي على سكانها، وعين كل إله سترقب كل من ينهبها، ولا شك في أنها ستقضي على أعدائها، ويقول … عن نجومهم وكل العقلاء عندما ينظرون إلى الريح.[١٧٧] وقد حدثت أعجوبة كبرى لمصر فكل من يهاجمها يصير أسيرًا في يديه (؟) بقرار مجلس الملك الذي يشبه الإله وهو الذي حكم له بالفوز على أعدائه في حضرة «رع».[١٧٨] و«مريي» الخبيث الفعل، ولعنة كل إله في «منف»، هو الذي قد حوكم في «عين شمس» ووجده التاسوع مجرمًا.

وقد قال رب العالمين:[١٧٩]

> أعط السيف[١٨٠] ابني المستقيم القلب، الشفيق «مرنبتاح» محبوب «آمون» الذي عنى «بمنف» ودافع عن «عين شمس»، وفتح البلاد التي أُغلقت ليطلق سراح الجم الغفير من المعتقلين في كل إقليم، وليتمكن من تقديم قرابين للمعابد، وليجعل البخور يدخل أمام الآلهة وليتمكن من السماح للعظماء ليحفظوا ممتلكاتهم، ولصغار القوم ليعودوا إلى مدنهم.

وهذا ما يقوله أرباب «عين شمس» خاصًّا بابنهم «مرنبتاح» محبوب «آمون»:

> سيكون له عمر كرع ليدافع عن الضعيف أمام كل أرض أجنبية، وجعل مصر فوق … للذي نصبه ليكون ممثله الدائم ليتمكن من تقوية سكانها.

> انظر إن الإنسان يعيش في أمان في عصر (الملك) الشجاع، ونفس الحياة يأتي من يد الواحد القوي، والثروة تتدفق على الرجل الصالح، ولن يمتع مجرم بغنيمته (؟) والثروة التي يحرزها الإنسان من طريق غير مشروع تقع في يد غيره لا في يد أطفاله.

وقد قيل هذا:

حينما أتى التعس الساقط «مريي» اللوبي ليغزو جدران «تنن»[181] الذي جعل ابنه الملك «مرنبتاح» يعتلي عرشه عندئذ قال «بتاح» عن خاسئ لوبيا:

«لتنقلب كل ذنوبه جميعًا على رأسه، وليسلم إلى يد «بتاح» ليجعله يتقايأ ما ابتلعه كالتمساح» انظر! إن الأسرع عدوًّا يلحق بالسريع، والملك يوقع في أحبولته من يعرف قوته. إنه «آمون» الذي يحطمه بيده ليقدمه إلى روحه[182] في «هرمنتس»[183] إلى الملك «مرنبتاح» قد أشرق السرور العظيم على مصر، وانبعث الفرح من بلدان «الدميرة» (مصر) وتتحدث الناس عن الانتصارات التي أحرزها «مرنبتاح» على «التحنو» (اللوبيين).

ما أعظم حبهم للأمير المظفر، وما أكثر تعظيمهم له بين الآلهة، ما أسعده حظًا رب القيادة، آه! إنه لحسن أن يجلس الإنسان يتحدَّث والناس تغدو وتروح ثانية دون عائق ما في الطريق، وليس هناك أي خوف في قلوبهم.

وقد تركت المعاقل وشأنها، وأصبحت الآبار مفتحة،[184] ومسالكها سهلة. ومعاقل الحوائط أصبحت هادئة، ولا يوقظ حراسها إلا الشمس، وجنود «المازوي»[185] نيام راقدون بلا حركة، أما «النياو» «والتكتن» فإنهم يطوفون بالحقول على حسب رغبتهم، وماشية الحقول قد تُركت تذهب جائلة بدون راع وتعبر ماء النهر.[186]

وليس هناك نداء لليل: قف قف؟ بلغة الأجانب.

والناس يروحون ويغدون مغنين، وليس هناك صياح قوم يتوجعون، والمدن أصبحت كرة أخرى معمورة، وذلك الذي زرع غلة سيأكل منها أيضًا.

ولقد وجهه «رع» إلى مصر ثانية، وقد ولد مقدَّرًا له حمايتها، هو الملك «مرنبتاح».

ويقول الرؤساء مطروحين أرضًا: السلام.

ولم يعد يرفع واحد من بين قبائل البدو تسعة الأقواس[١٨٧] رأسه «التحتو» قد خربت.

وبلاد «خاتي» أصبحت مسالمة.

و«كنعان» أُسرت مع كل خبيث.

وأزيلت «عسقلان».

و«جيزر» قُبض عليها.

و«بنوم» أصبحت لا شيء.

وإسرائيل[١٨٨] خربت وليس بها بذر.[١٨٩]

«وخارو»[١٩٠] أصبحت أرملة لمصر.

وكل الأراضي قد وجدت السلم.

وكل من ذهب جائلًا أخضعه ملك الوجه القبلي والوجه البحري «بن رع» محبوب «آمون» ابن الشمس «مرنبتاح» منشرح بالصدق.

معطي الحياة مثل «رع» كل يوم.

(٥) الموقعة الكبرى التي دارت بين اللوبيين والفرعون «مرنبتاح»

سردنا فيما مضى ترجمة حرفية للمصادر التي في متناولنا حتى الآن عن الحرب التي قامت بين «مرنبتاح» وبين غزاة «لوبيا» وحلفائهم من أقوام البحار، وكذلك تحدثنا عن أقوام البحر هؤلاء بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا، ويُلاحظ في كل ما سردناه أن معظم هذه المصادر قد وصلت إلينا من جهة مبتورة مشوَّهة بفعل الزمن، ومن جهة أخرى لم نجد فيها من الحقائق التاريخية الخالصة ما يمكن المؤرِّخ من وضع صورة صادقة عن سير الموقعة، ويرجع السبب في ذلك كله كما هي الحالة في كل النقوش المصرية — إلى أنها وضعت لتكون عقود مدح للفرعون معدِّدة ما قام به من أعمال خارقة للمألوف، ومع كل ذلك ففي استطاعة المؤرخ الذي خبر المتون الفرعونية أن يميز منها ما يدخل حيز التاريخ، وما وُضع عقود مدح وثناء لا يمت إلى التاريخ بصلة، وسنحاول هنا أن نضع صورة عن حروب «مرنبتاح» مع هؤلاء «اللوبيين» الذين فصلنا القول في تاريخهم بعض الشيء لصلتهم الوثيقة بأرض الكنانة في كل عصور التاريخ، كما شرحنا ذلك شرحًا وافيًا.

فقد تحدثنا في الجزء السادس عن حروب «سيتي الأوَّل» ومن بعده «رعمسيس الثاني» مع «لوبيا» (راجع مصر القديمة ج٦).

والواقع أن حكومة «رعمسيس الثاني» القوية، وما كان لها من نفوذ بين دول العالم كان له تأثير على ما جاورها من الأمم حتى إن قيام هجمات معادية كرة أخرى من جانب «اللوبيين» لم تكن لتحدث في تلك الفترة، ولكن نجد بعد موت هذا العاهل العظيم أنه قد هبت العاصفة، وبخاصة أنه في أواخر أيام «رعمسيس» كان قد بدأ الانحلال والوهن يدبان في أرجاء الإمبراطورية المصرية، وقد كان على ابنه «مرنبتاح» أن يتحمل تبعة ما خلفه له والده من إرث مثقل بالصعاب والأخطار المحدقة، وبخاصة إذا صدَّقنا ما يزعمه بعض المؤرِّخين من قيام ثورات في أوائل حكمه في آسيا، وأنه كان له بعض المنازعين على عرش البلاد كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

(٥-١) النقش العظيم الذي تركه لنا «مرنبتاح» على جدار معبد الكرنك

والنقش العظيم الذي تركه لنا «مرنبتاح» على جدران معبد الكرنك يضع أمامنا صورة عن الخطر الذي كان يتهدد البلاد، كما يصف لنا الاستعدادات التي اتخذها «مرنبتاح» لصدِّ أعداء البلاد المغيرين بصورة لا بأس بها.

وتدل ما لدينا من معلومات على أنه قد ظهر مع قومي «مشوش» و«قهق»[١٩١] للمرَّة الأولى قوم «اللوبيين» الذين تحالفوا مع قوم البحار لاقتحام أرض الكنانة، وقد كان عدد جنود قوم «قهق» بالنسبة «للوبيين» و«المشوش» قليلًا، إذ قد انسحبوا من بينهم على ما يظهر غير أننا نجد أنهم كانوا لا بد يؤلفون جزءًا لا يُستهان به من الجنود المرتزقة في الجيش المصري ولعبوا فيه دورًا هامًّا، ولا أدل على ذلك من أنه في ورقة «أنسطاسي» الأولى التي من عهد «رعمسيس الثاني» نسمع عن جيش يتألف من خمسة آلاف مقاتل منها ١٩٠٠ من المصريين، و٥٢٠ من جنود «شردانا» و٨٨٠ من «السود» ومائة من «المشوش» و١٦٠٠ من جنود «قهق» (راجع Pap Anast I, 17, 4)، وكذلك جاء ذكر جنود «شردانا» وجنود «قهق» في ورقة «هاريس» الكبرى مرتين وأنهم يسكنون في مصر بكثرة،[١٩٢] ولا نعلم غير ذلك عن هؤلاء القوم شيئًا.

وقد تألف بقيادة الأمير اللوبي المسمى «مريي بن دد» حلف معادٍ لمصر في السنة الخامسة من عهد الملك «مرنبتاح» في بلاد «تحنو»، ثم زحف على مصر، وتؤكد العبارة التي جاءت في متن «الكرنك» الكبير في السطر الثاني والعشرين وهي: «وقد أتوا إلى مصر ليبحثوا عن طعام بطونهم.» أن الغرض من هجومهم هو البحث عن مواطن جديدة، ووسائل للحياة التي نضب معينها في بلادهم.

والواقع أن لدينا هنا كتلًا بشرية كانت منذ مائة سنة في حركة مستمرة لا يستقرُّ بها مكان، مما لا يسمح لنا عند التحدُّث عنها القول بأنه كانت توجد للأقوام التي تتألف منها حكومة أو مملكة مستقرَّة في «لوبيا». وقد كان الفرعون «مرنبتاح» قد ذهب إلى الجنوب الشرقي من الدلتا ليحصن

الجهات الواقعة في منطقة «تل بسطة» — لا «بلبيس» — كما برهن على ذلك الأستاذ «جاردنر»، وكذلك أقام تحصينات في «هليوبوليس» على ما يظهر، لمقاومة زحف البدو من الصحراء، وهناك وصلت إليه الأخبار بالخطر الداهم من تقدُّم «اللوبيين» نحو بلاده، وقد فهم بحق الأستاذ «إدوردمير» أن التصريح الذي جاء في السطر السادس من نقوش «الكرنك» وهو:

> إنه قد وصل إلى «هليوبوليس» بلدة الإله «تاتنن» ليحفظها وليقيها الشر عند المكان المسمى «ترعة إتي» … لأنهم كانوا قد ضربوا خيامهم أمام «بوبسطة» واتخذوا مساكنهم في أرض «إتي».

لا يمكن أن يكون ذا علاقة بموضوع الحرب مع «اللوبيين»، بل إن تاريخ هجوم هؤلاء القوم يبتدئ في هذا المتن بالسطر الثالث عشر وما بعده، وفضلًا عن عدم صحة الرأي القائل بأن «اللوبيين» لم يكن لديهم عائق عن الإيغال بعيدًا في داخل مصر، فإن نقوش السطر التاسع عشر تدل بصراحة على أنهم وصلوا فقط حتى النهر الكبير، أي إنهم وصلوا حتى فرع النيل «الكانوبي»، وهذا هو المكان الذي وقف عنده الهجوم اللوبي الذي حدث فيما بعد، وفي السطر الثلاثين حُكي عن الجيش المصري:

> إن مشاته وفرسانه قد عسكروا هناك في عدد عظيم، وكان أمامهم على الشاطئ بالقرب من المكان المسمى «برإر».

ومن ذلك نفهم أن جيش لوبيا المعادي لم يقتحم قط أرض الدلتا.

وقد قام «مرنبتاح» على جناح السرعة بالاستعداد للقيام بهجوم مضادٍّ للعدو في مدة لا تتجاوز أربعة عشر يومًا. وفي اليوم الثالث من الشهر الثالث من فصل الفيضان صمم الفرعون على منازلة العدوِ في مكان يقع بين «برإر» وجبل «وب تا»، وقد شجعه على ذلك — كما يحدثنا الملك — حلمٌ رأى فيه الإله «بتاح» يقدِّم له سيفًا، وقد كانت أقوى فرقة مهاجمة من جنود العدو

هي فرقة قوم «إقوش» ثم يليها فرقة «الترشا» ثم «الشكلش» و«الشردانا» في حين أن قوم «لوكا» (ليسيا) كان لا يمثلهم في هذه الحرب إلا عدد قليل. أما «اللوبيون» أنفسهم فكان معظم الجيش منهم، وقد انضم إليهم عربات «المشوش» ثم قلة لا تُذكر من قوم «قهق»، وأما تعداد الجيش فإن ما ذكره «مرنبتاح» في نقوشه عن مقدار قتلى الموقعة يعطينا فكرة تقريبية عنه، فيذكر أن من صُرع في ساحة القتال من اللوبيين يبلغ ٦١١١ — وفي رواية أخرى ٦٢٠٠ رجلًا. أما أقوام البحر فبلغ عدد قتلاهم ٢٣٧٠ رجلًا، وكان مجموع عدد الأسرى نحو ٩٣٦٧ رجلًا وامرأة، وعلى ذلك يكون قوام الجيش اللوبي وحلفائه حوالي ثلاثين ألف مقاتل، وهذا يدل على أن غزوة «اللوبيين» لمصر لم تكن للسلب والنهب — كما كانت حال الهجمات التي قاموا بها من قبل — بل كان جيشًا له قيادته العليا، ولا شك في أن غرضه الأول كان استيطان مصر واحتلالها.

وقد شجع «مرنبتاح» رؤياه التي رآها في منامه فقام بالهجوم على العدو فعلًا، واستمرَّت الواقعة ست ساعات حمي خلالها وطيس الحرب وانكشفت عن اندحار العدو اندحارًا مشينًا، وما بقي منهم أرخى لساقيه العنان مع قائدهم وأميرهم «مريي»، وقد وصف لنا «مرنبتاح» هذه الهزيمة وصفًا شيقًا في قصيدة النصر التي ذكرناها من قبل. وهكذا أمكن «مرنبتاح» أن يعود إلى عاصمة ملكه مظفرًا بعد أن حفظ مصر من خطرٍ كان يهدد كيانها لم تكن قد رأت مثيله منذ حوالي خمسمائة سنة، أي عندما غزا «الهكسوس» أرض الكنانة.

وتدل البحوث الأخيرة على أن «برإر» على الأرجح تقع في المقاطعة الثانية من مقاطعات الوجه البحري (راجع Hölscher Ibid p. 63) أما المكان الذي أطلق عليه هنا جبل «وب تا» فلا يمكن تحديد موقعه على وجه التحقيق.

(٦) قصة خروج بني إسرائيل من مصر وأنشودة انتصار «مرنبتاح»

رأينا في القصيدة الرائعة التي نقشها «مرنبتاح» تخليدًا لذكرى انتصاراته على أقوام لوبيا والبحار وما جاء فيها من وصف خلاب لمدى هذا الانتصار، وما صارت إليه حالة أمير «لوبيا» وأسرته من بؤس وشقاء، وكذلك حالة الأمن والطمأنينة التي سادت البلاد بعد أن أبعد خطر الغزو عنها، هذا وقد جاء في آخرها وصف شامل يدل على استتباب السلام في أنحاء الإمبراطورية المصرية آنئذٍ وخضوع أهلها لمصر خضوعًا تامًّا، وقد كان أهم ما لفت نظر المؤرِّخين في هذه الأنشودة هو ذكر قوم بني إسرائيل، وبخاصة لأنه المثل الوحيد الذي عُثر عليه على الآثار المصرية بل لم نجدهم يذكرون بعد ذلك على الآثار إلا بعد انقضاء أربعة قرون من ذلك التاريخ وذلك في الكتابات المسمارية، يُضاف إلى ذلك أن الجملة التي جاء فيها ذكر هؤلاء القوم قد لفتت الأنظار بصورة مدهشة لما فيها من إشارة خفية وإبهام سُكب في تفسيره والإماطة عن أسراره مدادٌ يغرق ما تبقى من بني إسرائيل في أيامنا. وهذه العبارة هي: «وإسرائيل قد خربت وانقطعت بذرتها.» وعلى الرغم من وجود هذه العبارة في اللغة المصرية القديمة في غير هذا المكان، فإن استعمالها بالذات هنا بالنسبة لبني إسرائيل كان ذا أهمية عظيمة جدًّا في بحث موضوع خروجهم من مصر — سواء أكان في ذلك الوقت أم قبله.

وتاريخ بني إسرائيل في مصر لم نجده في النقوش خلافًا للإشارة التي جاءت في الجملة السابقة، ولكن تاريخ هؤلاء القوم كما ذكره مؤلف التوراة — وهو إسرائيلي المنبت — قد أضفى على حوادثه أهمية لم يخطر ببال مؤلف مصري أن يسبغها عليه في هذا العهد بعينه، بل ربما كان لا يعرف شيئًا عنها، وحتى إذا كان يعلمها فإنها كانت في نظره من الحوادث التافهة التي لا تستحق ذكرًا أو تدوينًا، إذ إن كل ما كان يهم المؤرِّخ المصري في عصوره التاريخية كلها هو تدوين انتصارات الفرعون ومفاخره، وما قام به للآلهة الذين كانوا يؤازرونه وينصرونه في المواقع كلها.

وما ذكره لنا كتاب التوراة عن إقامة إسرائيل في مصر ينحصر في العهدين اللذين شملا حياة كل من «يوسف» و«موسى». وإذا كان «موسى» هو المؤلف لهذا التاريخ كما يدَّعي كل من الأستاذ

«نافيل» والأستاذ «سايس»[١٩٣] فإنه من الطبيعي أن تكون محتويات هذا الكتاب كما هي. أما بالنسبة لعهد يوسف، فإنه كان من الطبيعي أن نرى أعمال بني إسرائيل غير مذكورة في الوثائق المصرية في عهده، إذ إن «يوسف» على الرغم من أنه كان ذا مكانة في حكومة الفرعون غير أنه لم يتعدَّ أن كان وزير مالية وحسب — كما يُقال — وأن كل عمل عظيم يقوم به ويستحق التسجيل كان لا بد من نسبته إلى الفرعون الذي كانت النقوش تهدف إلى تعظيمه والإشادة بذكره؛ لأن كل شيء كان من وحيه هو، وعلى ذلك فإن اسم «يوسف» لم يكن ليظهر بطبيعة الحال.

وكان «موسى» من الوجهة المصرية أقل شأنًا من «يوسف»؛ فقد كان كما تقول التوراة لقيطًا في قصر الفرعون ثم هاربًا من وجه العدالة ثم متكلمًا عن عبيد غرباء.

أما عن الإسرائيليين أنفسهم في أرض «غوشن» (وادي طميلات) فلم يكن لهم مكانة اجتماعية أو سياسية تُذكر، فقد كانوا في عهد «يوسف» من رعاة البدو، وكان كل راعٍ يعدُّ في نظر المصري لعنة، وفي زمن موسى كان الإسرائيليون فوق ذلك كله عبيدًا، ومن ذلك نفهم أنهم لم يكونوا بأية حال من هؤلاء الناس الذين كانوا يعنون عادة بتدوين أعمالهم في السجلات الرسمية، غير أنه وُجدت حادثة واحدة تتصل بإقامتهم في مصر كان لها من الوجهة المصرية أهمية سياسية واقتصادية، وذلك أن قيامهم بعمل مشترك وهو قصة خروجهم جملة من الديار المصرية — إذا كان هذا قد حدث فعلًا — كان يهم الحكومة وقتئذ لما كانوا يقومون به من أعمال السخرة للفرعون في إقامة مبانيه، وعلى ذلك فإن الإشارة إليه في السجلات الحكومية الخاصة بهذا العصر ممكنة، وبخاصة إذا كان هؤلاء القوم يقومون بأعمال جسيمة كبيرة مفيدة للبلاد عامة وللفرعون خاصة، كما نوَّهنا بذلك.

وبخروج بني إسرائيل من مصر انتهت إقامتهم في تلك الديار على وجه عام، وعلى ذلك تكون هذه الحادثة التي جاء ذكرهم فيها في المتون المصرية من الأهمية بحيث استرعت اهتمام المؤرخ

المصري وكانت في الوقت نفسه آخر ما ذُكر عنهم، ولذلك كان من الطبيعي أن نستنبط من ذلك كله: أنه إذا كان هناك ذكر للإسرائيليين في تلك النقوش المعاصرة لإقامتهم في مصر، فإن ذلك لا بد يشير إلى خروجهم، وفضلًا عن ذلك فإنه ينتظر من المتن أن يسجل لنا انقطاع علاقة هؤلاء القوم بمصر.

وإذا كان ما ذكرناه هنا من فروض مقبولًا في منطقه فإن اللوحة التي كشف عنها الأستاذ «فلندرز بتري»[١٩٤] (انظر عهد «مرنبتاح» ونهاية الأسرة التاسعة عشرة) وهي التي دُون عليها الأنشودة السالفة الذكر تكون قد ذكرت لنا إسرائيل للمرة الأولى والأخيرة أيضًا، وعلى ذلك ننتظر أن تكون الإشارة إلى هؤلاء القوم هنا تشير إلى حادثة الخروج، وعدم وجودهم في مصر. على أن صحة هذا الاستنباط يمكن الوصول إليه بفحص أمرين هامين؛ الأول: العلاقة بين تاريخ الخروج وتاريخ نقوش اللوحة. والثاني: معنى الجملة التي جاءت في الأنشودة خاصة بإسرائيل. وليس لدينا شك في تاريخ النقوش؛ إذ قد وُجد في متن اللوحة التي نُقشت كما ذكرنا لتخليد الانتصار الذي أحرزه «مرنبتاح» على اللوبيين وأقوام البحر الذين غزوا أرض الكنانة في السنة الخامسة من حكم «مرنبتاح».

أما تاريخ خروج بني إسرائيل فلا يمكن تحديده بصفة قاطعة، ومن هنا جاء الاختلاف في وضع تاريخ هذه الحادثة في أزمان متباعد بعضها عن بعض بسنين عدة أحيانًا، فقد وضعه البعض قبل عهد «أمنحتب الثالث»، ووضعه آخرون في عهد «رعمسيس الثاني»، غير أن كلًّا من الأستاذ «نافيل» و«بتري» و«سايس» وغيرهم قد اتفقت آراؤهم على أن خروج بني إسرائيل قد حدث في عهد الفرعون «مرنبتاح»؛ فيقول الأستاذ «نافيل»:[١٩٥]

> إني لا أزال مسلمًا بوجهة النظر التي أدلى بها «لبسيوس» عن موضوع خروج بني إسرائيل — وهي التي يقتفيها معظم الأثريين — أن مضطهد اليهود هو «رعمسيس

> الثاني» الذي كان حكمه الطويل بداية انحلال الإمبراطورية المصرية، وأن الفرعون الذي يُنسب إليه خروج بني إسرائيل هو ابنه «مرنبتاح.»

أما الأستاذ «سايس» فيقول:

> إن الآثار المصرية تحصر هذه الحادثة في حكم الفرعون «مرنبتاح».

ولدينا بين الأوراق البردية المحفوظة في «المتحف البريطاني» وثيقة تُعرف بورقة «أنسطاسي السادسة» وتشمل خطابًا من كاتب الملك «مرنبتاح» جاء فيه ما يأتي: (راجع مصر القديمة ج٦):

> إن بعض بدو (شاسو) إيتام (إدوم) قد سمح لهم على حسب التعليمات التي لديه أن يجتازوا حصن إقليم «سكوت» (تل المسخوطة) في «وادي طميلات» ليتاح لهم رعي ماشيتهم بالقرب من بلدة «بتوم» في ضياع الفرعون العظيم.

وهذا الخطاب كُتب في السنة الثامنة من حكم هذا الفرعون «مرنبتاح»، ويظهر منه أن هؤلاء الشاسو كان قد سمح لهم بالاستيلاء على بعض أرض التاج في «غوشن» (وادي طميلات) ومن البدهي أن هذه الحالة لا يمكن أن تحدث إذا كان الإسرائيليون لا يزالون يقيمون في أرض «غوشن» في السنة الثامنة من حكم هذا الفرعون، وعلى ذلك فلا بد أن تكون حادثة الخروج قد وقعت في وقتٍ ما قبل هذا التاريخ، وهذا يجعل تاريخ الخروج على أية حال قريبًا من تاريخ نقش اللوحة، وهذا البرهان لا يسمح بتقريب زمن خروجهم أكثر من ذلك، بل يجوز أنه قد يتقدم بهم وسنتحدث عن ذلك بعد.

وقد جاء في بحوث تاريخ الخروج أن غزو اللوبيين لمصر في السنة الخامسة من حكم «مرنبتاح» يحتمل أن يحدث أمورًا في شرقي مصر حيث توجد أرض «غوشن» تساعد على هروب الإسرائيليين، وقد كانت الأحوال وقتئذ تتطلب أن تُسحب الحاميات التي على الحدود الشرقية لتقوية الجيش الذي كان يقوم بصد المغيرين من جهة غربي الدلتا وشماليها، وبذلك لا تُترك إلا قوة قليلة

لحماية الحدود، وهذا برهان — إذا صح — يعضد الرأي القائل إن الحادثتين — حرب لوبيا والخروج — قد وقعتا في زمن واحد.

والآن نعود لبحث العبارة التي جاءت عن إسرائيل في لوحة أنشودة «مرنبتاح»، وقد تناول بحثها الأستاذ «نافيل» في مقالٍ خاص، والعبارة الخاصة بإسرائيل قد اقتبسها بعض المحققين دلالة على أن إسرائيل كانوا في الوقت الذي كُتبت فيه اللوحة في «فلسطين»، وقد رأى هذا الرأي الأستاذ «بتري»،[١٩٦] غير أن برهانه ليس مقنعًا، وقد عاضد «بتري» الأستاذ «إدورد مالر»[١٩٧] أما الأستاذ «نافيل» فإنه في مقاله السابق قد عارض كل ما قاله زميلاه، وبرهن على أن هذا النقش لا يقدم أي برهان على النتيجة التي وصل إليها الدكتور «إدورد مالر» عندما يقول:

> لا بد أن نعترف نتيجة للوحة التي كشف عنها «فلندرز بتري» حديثًا بأنها تدل على أن بني إسرائيل قد خرجوا من مصر قبل «مرنبتاح»، كما أنه لا يعترف باعتقاد «بتري» أن نقش اللوحة يشير إلى حرب وقعت في «سوريا» انتصر فيها الفرعون «مرنبتاح»، وأن الإشارة إلى إسرائيل تدل على أنه كان يوجد في «فلسطين» وقتئذ بعض الإسرائيليين.

وقد ترجم علماء اللغة والآثار الجملة التي جاء فيها ذكر إسرائيل بأوجه مختلفة ننتخب منها ما يأتي:

(١) وإسرائيل قد أقفروا وبذرتهم قد انقطعت (برستد).

(٢) وقوم إسرائيل قد صاروا قفرًا، ومحاصيلهم قد ذهبت (جرفث).

(٣) وقوم إسرائيل قد أُتلفوا، وليس لديهم غلة (بذر) (بتري).

(٤) وإسرائيل قد مُحي وبذرته لا وجود لها (نافيل).

والواقع أن كلمة «بذرة» في ترجمة كل من «برستد» و«نافيل» تدل على الخلف، وهذا يطابق ما نجده في اللغات الأخرى بمعنى أن البذرة والنسل واحد، ولا نزال نسمع حتى يومنا هذا: إذا انقطع نسل واحد من الناس فإنه يُقال: «قد انقطعت بذرته»، وهذه الترجمة تخالف بطبيعة الحال ترجمة «بتري». ويُلاحَظ أن في الأصل المصري تفصيلًا في كتابة كلمة إسرائيل له أهميته؛ فحينما نجد في كتابة اسم قوم من الأقوام الذين ذُكروا مع إسرائيل مخصصًا في نهاية الاسم دل ذلك على البلاد الأجنبية، وهذا المخصص في كلمة إسرائيل غير موجود، بل كُتب بدلًا منه مخصص يدل على أنهم قوم أجانب. والنتيجة التي يمكن استخلاصها من كتابة هذا المخصص هي: أن إسرائيل كانوا أجانب لا وطن لهم، فقد كانوا كما تسميهم التوراة «أبناء إسرائيل» وأنهم ليسوا سكان هذه البلاد أو تلك، ومن ذلك نعلم أن عناصر النقش نفسه تعارض الرأي القائل: بأن الإسرائيليين كانوا يسكنون «فلسطين»، بل على العكس يميل إلى الرأي القائل بأن البلاد التي كانت تفيض بالمن والسلوى ولم تكن قد احتلت بعد، فقد كانت «كنعان» (فلسطين) لا تزال الأرض الموعودة لا الأرض المملوكة، وإذا اعترفنا بذلك بالإضافة إلى أهمية الرموز المختلفة المخصصة التي استُعملت للأقوام المختلفين الذين ذُكروا في النقش، وكذلك إذا قبلنا ترجمة الأستاذ «نافيل» ورأيه في كلمة «بذرة» فإنه يصبح من الطبيعي إذن أن يقول: إن النقش يشير هنا إلى خروج بني إسرائيل، وكذلك يعني أنه طُرد من أرض مصر جنس أجنبي من البدو يُدعى «إسرائيل»، ومعهم أولادهم وكل ما يتبعهم، ومن ثم أصبح لا وجود لهم بالنسبة لمصر (راجع Jer XXI, 3–6).

والواقع أن ما جاء في متن هذه اللوحة على ما يُظن يعدُّ سجلًّا معاصرًا لخروج بني إسرائيل مع حوادث أخرى، كما يدل دلالة واضحة على أنه قد وقع في السنة الخامسة من عهد «مرنبتاح» كما يعتقد «نافيل». ولا نزاع في أن نقوش اللوحة فضلًا عن تسجيل الانتصار على اللوبيين تحدثنا عن أحوال الممالك المجاورة بالنسبة لمصر؛ فتدل على أن العلاقات مع الممالك كانت مرضية فيما يمس أحوالها مع مصر، وبهذه المناسبة قُصد ذكر بني إسرائيل، ولا بد أن حادث خروجهم كان من

الأهمية بمكان — إذا كان معاصرًا حقًّا للحوادث التي سُجلت على اللوحة — حتى أصبح من الطبيعي أن يحتل مكانًا في متنها، ولكن إذا نظرنا إلى هذا الموضوع من حيث الأسلوب الفرعوني فإن خروجهم من مصر يمثل في صورة طرد قوم بإرادة الفرعون لا هربًا منه، والواقع أن مؤلف هذه الأنشودة قد كتبها بوجهة نظر غير وجهة نظر مؤلف الرواية التي جاءت في التوراة، وعلى الرغم من ذلك فإن ترجمة الأستاذ «نافيل» لا تتعارض مع التعبير الذي استُعمل في سفر الخروج ١٢–٣١:

> فدعا موسى وهارون ليلًا وقال: قوما فاخرجا من بين شعبي أنتما وبنو إسرائيل … الخ.

وفي سطر ٣٩ جاء:

> لأنهم طُردوا من مصر ولم يقدروا أن يتلبثوا حتى إنهم …

وأقوى من ذلك ما جاء في سفر الخروج الفصل الحادي عشر السطر الأول:

> وقال الرب لموسى قد بقيت ضربة واحدة أنزلها على فرعون والمصريين، وبعد ذلك يطلقكم من ههنا، وعند إطلاقه لكم جملة يطردكم من ههنا طردًا.

وإذا سلمنا بصحة النتائج التي استنبطناها مما سبق فإن الأجزاء المختلفة من تاريخ إسرائيل في مصر تتآلف بعضها مع البعض الآخر ظاهرًا، وتصبح متحدة تمامًا مع ما جاء في التوراة وما جاء على الآثار المصرية القديمة.

على أن كل ما ذكرناه هنا عن تاريخ خروج بني إسرائيل ومكثهم في أرض مصر لا يرتكز على حقائق تاريخية تشفي الغلة، إذ على الرغم من كل ما استعرضناه في هذا الموضوع فإن بعض علماء الآثار لا يزالون ينظرون إلى موضوع خروجهم وأنه حقيقة تاريخية تنطبق على بني إسرائيل — بعين الحذر والحيطة، ونخص من بينهم الأستاذ «جاردنر» فقد قام بينه وبين الأستاذ

«نافيل» الذي استعرضنا آراءه فيما سبق نقاش طويل حول هذا الموضوع، وقد ادعى الأستاذ «نافيل» أن «جاردنر» لا يعترف بموضوع الخروج، ولا الطريق التي ساروا فيها، غير أن «جاردنر» في رده على هذا الادعاء لم ينكر طريق الخروج وقصته إنكارًا تامًّا إذ يقول: لم يدر بخلدي أن أتعرض لصحة تاريخية خروج بني إسرائيل أو عدمه. ولكن إذا فحصت الآراء التي اعتقدها في هذا الموضوع فسيكون ذلك من باب الإيضاح؛ إذ ليس هناك مجال لشك أي مؤرخ في أن الإسرائيليين كانوا في مصر في صورة ما، وذلك لأن أسطورة قوية تمثل لنا الأحوال الأولى لقوم في صورة لا يحسدون عليها لا يمكن إلا أن تكون انعكاسًا لضوء حوادث حقيقية قد وقعت مهما كانت الصورة التي وصلت إلينا عنها مشوهة، ولكن غزو الهكسوس ثم طردهم منها فيما بعد يمكن أن يكوِّنا مادة هذه الأسطورة، على أن ذلك لن يحدث فرقًا ما في هذا الزعم إذا أمكننا البرهنة على أن الهكسوس ليس بينهم وبين الإسرائيليين أي اتصال من جهة الجنس؛ وذلك لأن الأمم ترث بكل سهولة تقاليد البلاد التي احتلوها على مضي الزمن. أفلا يكون غريبًا حقًّا ألا يترك عهد الهكسوس أثرًا بل آثارًا في قصة العبرانيين؟ وفضلًا عن ذلك إذا لاحظنا أن مجيء يوسف على حسب التقديرات المعقولة كان قد حدث في عهد الهكسوس، فليس هناك كبير شك في أن حوادث عهد الهكسوس قد صُوِّرت بشكل ما في قصة خروج بني إسرائيل. غير أن ذكر مدينة «رعمسيس» (قنتير الحالية)، تدخل في القصة عنصرًا من عهد متأخر. وعلى ذلك فليس من المستحيل أن تكون الاقتباسات التي اقتبسها «يوسفس» من «مانيتون» و«كارمون» توحي بأن حوادث قد وقعت فيما بعد في أوائل الأسرة التاسعة عشرة، وأنها قد اختلطت بذكر حوادث الهكسوس، ولدينا مادة مفسرة تدل على مثل هذه العلاقات الموجودة بين مصر وقبائل البدو الذين يعيشون على تخومها ذُكرت في ورقة «أنسطاسي» السادسة، ولكن ليس لدينا أي أثر يبرهن على وجود احتلال جدي لأي صقع مصري تكون من نتائجه حدوث مأساة كانت مُثلت في كتاب الخروج، وإلى أن يظهر في الأفق براهين تختلف في شكلها عن التي في متناولنا حتى الآن فإني

أؤمن بأن تفاصيل القصة يجب أن تُعد أسطورة، مثلها كمثل قصة بدء الخليقة المذكورة في سفر التكوين، وعلينا أن نسعى في تفسير هذه التفاسير على فرض أنها أسطورة.

وعلى ذلك فإني بعيد عن القول بأن كل قصة الخروج خرافية، وقد أوضحت وأكدت بكل صراحة اعتقادي بأن القصة في مجموعها تعكس لنا صورة حادثة تاريخية معينة وهي طرد الهكسوس من مصر، ويجب أن أضيف هنا بأن هذه النظرية ليست جديدة، فقد دافع عنها الدكتور «هول» في كتابه «تاريخ الشرق الأدنى القديم».[١٩٨]

والقول بكذب القصة من أولها إلى آخرها شيء، وكون تفاصيلها خرافية شيء آخر بالمرة، وإني على استعداد للاعتراف بأني إذا كنت قد ظننت أن تفاصيل قصة الخروج خرافية وحسب فإني أكون قد عرضت نفسي لنقد محق، غير أن الأمر على غير ذلك؛ لأن طريقة بحثي في هذا المقال كانت سليمة، إذ سألت القارئ أن يسلم بأن تفاصيل القصة من الجائز أن تكون خرافية … بل ذكرت استنباطاتي ثم برهنت على صحتها بطريق الحوار المعتادة.

ولا يفوتني هنا أن أشير — قبل الانتقال إلى التفاصيل — إلى كشف جديد يظهر أنه مضاد للفكرة القائلة بصحة الخروج التقليدي، وذلك أن الحفائر التي قام بها الأستاذ «فشر» في «بيسان» قد وجد فيها قلعة مصرية، وعثر فيها على لوحات من عهد «سيتي الأوَّل» و«رعمسيس الثاني»، وأهم من ذلك تمثال «لرعمسيس الثالث»، ويقول «فشر»: إن هذه الآثار المؤرخة تقدم لنا برهانًا كافيًا على أن البلدة قد بقيت في أيدٍ مصرية من عام ١٣١٣ حتى ١١٦٧ق.م. وعلى ذلك فإن اليهود كانوا قد هاجروا في عهد ملك ما وفلسطين في حوزة مصر، وعندئذ يكون مثلهم في ذلك كمثل المستجير من الرمضاء بالنار.(راجع J E A vol 10 p. 87 ff).

والواقع أن البرهان الأخير ليس ذا قيمة تُذكر؛ لأن بني إسرائيل قد هربوا من مصر، أو خرجوا منها أو طُردوا؛ لتذمرهم من أعمال السخرة التي كانوا يقومون بها للفرعون، وبخاصة في بناء

المدن وإقامة المعابد، وهم إذا كانوا قد هاجروا إلى «فلسطين»، فقد كان ذلك هربًا من تلك السخرة.

وقبل أن نتحدث عن الطريقة التي سلكها بنو إسرائيل عند خروجهم من مصر إلى فلسطين، أريد أن أستعرض هنا رأي الأستاذ «أولبريت» في هذا الصدد، إذ إنه على ما يظهر يقرب من الحقيقة فهو يقول: «إن التقاليد التي نجدها في كتاب الخروج، الفصل الأول، وهي التي تُحدثنا بأن الإسرائيليين قد أُجبروا على السخرة في إقامة مباني مدينتي «بتوم» و«رعمسيس» اللتين كانتا تُستعملان مخازن، قد دلت الحفائر التي عملت في «تل رطابة» (بتوم) و«بررعمسيس»، على أن الأولى قد أُعيد بناؤها، وأن الثانية قد أُقيمت في عهد «رعمسيس الثاني».»

والواقع أن معلوماتنا الطوبوغرافية عن شرق الدلتا قد أكدت صحة الرواية التي جاء ذكرها في بداية سفر الخروج، كما جاءت في سفر الخروج نفسه ١٢–٣٧، ١٣–٢٠، يُضاف إلى ذلك أن الأستاذ «ألن جاردنر» الذي كان يعارض في صحة تاريخ هذا الحادث من الوجهة الطوبوغرافية قد اعترف بصحته أخيرًا كما ذكرنا من قبل،[١٩٩] هذا ولدينا فضلًا عن ذلك كثير من البراهين على صحة هذا الخروج تاريخيًّا، وعن طواف هؤلاء القوم في أقاليم «سينا» و«مدين» و«قادش»، ويرجع الفضل في ذلك إلى التقدم المطرد، الذي حصلنا عليه من الوجهتين الطوبوغرافية والأثرية، ويجب أن نكتفي هنا بأنه قد أصبح من المؤكد ألا محل للنقد المبالغ فيه الذي كان يوجه إلى التقاليد التاريخية المبكرة لبني إسرائيل، هذا فضلًا عن أنه قد أصبح من المستطاع الآن تحديد تاريخ خروجهم في حدود مدة معقولة، وقد كان ذلك موضوع جدال طويل — كما ذكرنا من قبل — إذ في عام ١٩٣٧م كُشف في خرائب «لاجاش» (تلو الحالية) الكنعانية عن نقوش هيراطيقية مؤرخة بالسنة ١٢٣١ق.م — أو بعد ذلك بقليل، ولكن ليس قبل هذا التاريخ — مما يبرهن على أن سقوط هذه المدينة في يد الإسرائيليين كان في هذه السنة أو بعدها، وفضلًا عن ذلك فإن متن لوحة إسرائيل المعروفة من زمن بعيد — الذي سيء فهمه — مؤرخ بالسنة ١٢٣٩ق.م؛ وهذا يبرهن

على أن إسرائيل كانوا فعلًا في غربي فلسطين، وكانوا أصحاب قوة، غير أنهم لم يكونوا قد استوطنوا بعد بصفة قاطعة، وإذا أضفنا مدة القرن أو الجيل الذي تتطلبه التقاليد الإسرائيلية لاحتلالهم شرقي فلسطين، وصلنا إلى تاريخ لا يتجاوز ١٢٦٠ لتاريخ الخروج، ومن المحتمل جدًّا أن نقدر جيلًا لاحتلال إسرائيل شرقي فلسطين وتقدمهم غربًا فيها بقوتهم، وعلى ذلك يكون تحديد خروجهم في باكورة القرن الثالث عشر في حد المعقول، وإذا وضعناه حوالي ١٢٩٠ق.م، فإنا لا نكون قد حدنا عن الصواب؛ وذلك لأن السنين الأولى من عهد «رعمسيس الثاني» كانت قد قامت فيها عمارة بلد «بررعمسيس» (قنتير الحالية) على قدم وساق وهي التي سماها الإسرائيليون «رعمسيس».[٢٠٠]

والواقع أن هذا الرأي على ما يظهر هو أصوب الآراء التي استعرضناها حتى الآن، غير أن الأستاذ «أولبريت» قد أخطأ في تفسير «بررعمسيس» «بتانيس»؛ إذ إنها هي «قنتير» الحالية، وسنرى بعد أن سير بني إسرائيل عند خروجهم كان من «قنتير»، وأن هذه كانت بداية الطريق المعقولة لخروجهم.

(٦-١) الطريق التي سلكها بنو إسرائيل عند خروجهم من مصر

تحدثنا فيما سبق عن آراء العلماء في موضوع طرد بني إسرائيل من مصر، وما ذُكر فيه من آراء متضاربة، وجدال لا يزال بابه مفتوحًا حتى الآن، ولم يثبت في التاريخ حدوثه بصفة قاطعة؛ لقلة المصادر الحاسمة في هذا الصدد، اللهم إلا ما جاء عن طريق الكتب المقدسة، أما مسألة الطريق التي اتخذها هؤلاء القوم عند مغادرتهم البلاد المصرية إلى فلسطين فقد ظهر أنها أكثر تعقيدًا من تحديد تاريخ خروجهم، وقد زاد تعقيدها أنه عند تطبيقه على ما جاء في الكتب الدينية، وما أظهره «موسى» من معجزات في أثناء سيره في طريقه إلى «فلسطين» وبخاصة اختراقه البحر يجعل المؤرخ الذي لا يستند إلا على آثار مادية أو كتابة معاصرة لها يقف مكتوف اليدين، معقود اللسان،

لا يحير جوابًا شافيًا، ومن أجل ذلك كان هذا الموضوع الشائك هدفًا لبحوث طويلة، ونظريات خلابة عديدة طرحها الباحثون على مختلف أنواعهم، فنجد منهم الأثري مثل «بروكش» و«فلندرزبتري» و«نافيل» و«هول» و«جاردنر» و«أولبرايت». ومنهم المهندسون مثل «لينان دي بلفوند» و«ولككس» و«هنري براون». ومنهم الكيميائيون مثل «لوكاس». وكذلك منهم الضباط الحربيون مثل الكولونل المساعد «روبرتسون»، يُضاف إلى ذلك ما كتبه رجال الدين وعلماء طبقات الأرض. وقد كان آخر من تناول هذا الموضوع بالبحث الدقيق المهندس المصري «علي بك الشافعي».[٢٠١] والواقع أنه قد جمع في مقاله الآراء التي أدلى بها في هذا الموضوع، وأضاف إليها ملاحظاته وبحوثه الخاصة، وخرج منها بنتيجة تُعد حتى الآن أحسن ما وصل إليه العلم الحديث في هذه المسألة الشائكة المعقدة، وقد ناقشت صديقي «علي بك» في هذا الموضوع، واقتنعت إلى حد بعيد بما جاء في مقاله، على الرغم من أن الموضوع في أساسه لا تزال تحوم حوله الشكوك من حيث تفاصيله، وإن كان قد أصبح من المسلم بصحته من حيث إنه واقعة تاريخية حدثت فعلًا، غير أن التقاليد والرواية قد حرفتها في كثير من نواحيها؛ وذلك لأن كتاب العهد القديم لم يصلنا بروايته الأولى التي وُضع عليها أولًا؛ إذ ليس له أسانيد يرتكن عليها، كما نجد ذلك في الأحاديث التي رُويت عن «محمد» — عليه السلام — وهي التي على الرغم من أسانيدها قد وصل بعضها محرفًا أو مدسوسًا.

وسنحاول هنا أن نضع صورة واضحة لهذه الطريق بقدر المستطاع، وسيكون أساسنا في ذلك المصور الجغرافي الذي وضعه «علي بك شافعي» شرحًا لمقاله الممتع الذي سنسير على هديه في كثير من النقط.

وتدل شواهد الأحوال — على الرغم من كل ما قيل عن طرد بني إسرائيل من مصر — على أن هذا الحادث لم يكن ذا تأثير مستمر في كراهية المصريين لشعب بني إسرائيل، فقد كان في المجتمع المصري طوائف يهودية منتشرة في طول البلاد وعرضها حتى «إلفنتين» (أسوان)

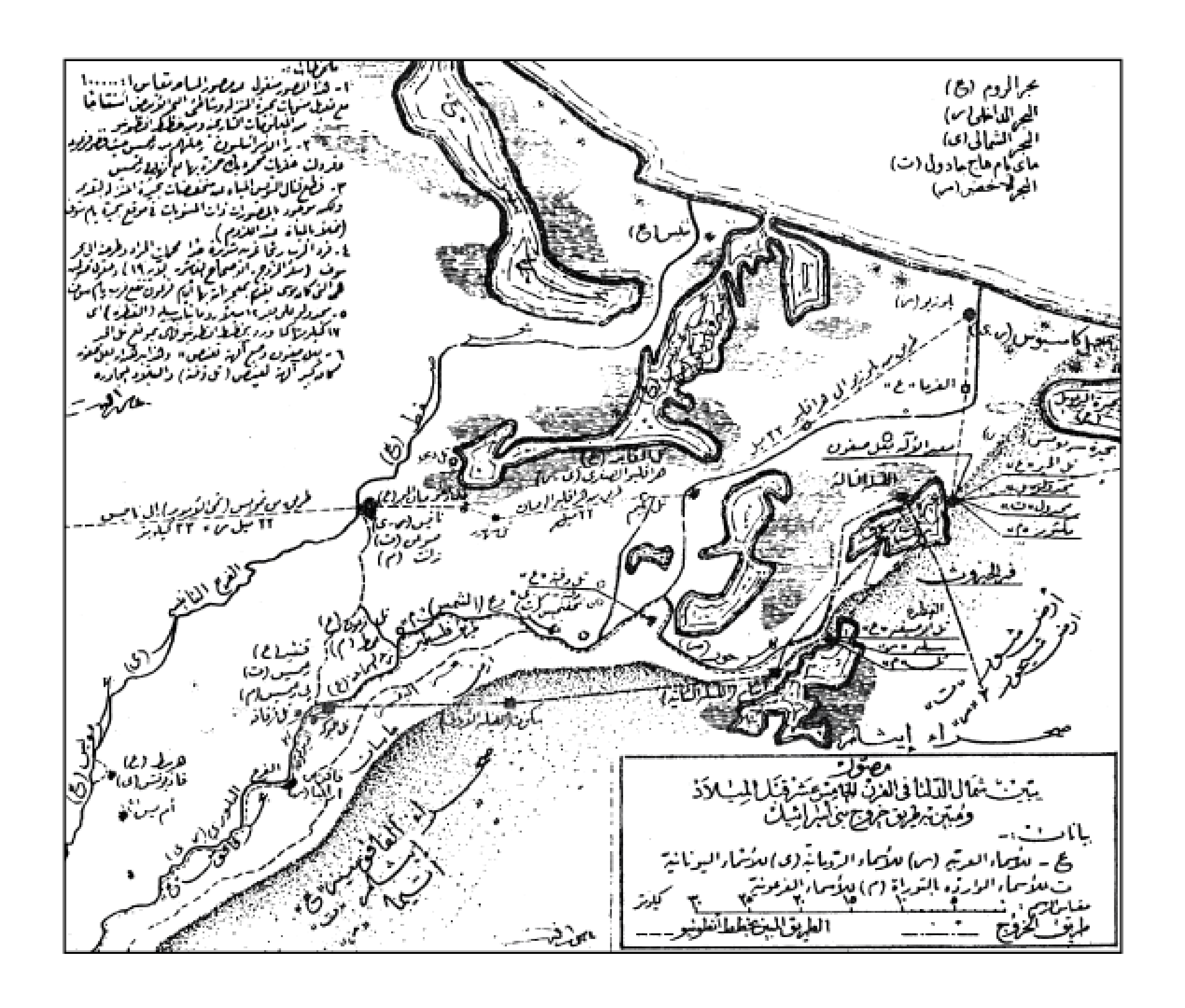
جنوبًا في مصر القديمة، وقد كانوا أحرارًا في إقامة معابدهم وعبادة إلههم «يهوا» دون أية مضايقة أو اضطهاد من جانب المصريين، فقد جاء في الشكوى التي قدمتها طائفة اليهود عام ٤٠٧ق.م إلى حاكم اليهود المسمى «باغوس»، بسبب هدم كهنة الإله «خنوم» رب الشلال معبدهم، والتي قالوا فيها: إن معبد «يهوا» هذا كان قد أقامه آباؤهم في عهد ملوك مصر، وعندما سار «قمبيز» بجيشه على مصر وجد هذا المعبد مقامًا هناك، وعلى الرغم من أن كل معابد آلهة المصريين قد خربت فإنه لم يمد أي إنسان يد الأذى إلى المعبد السابق الذكر.[٢٠٢]

وأهم ما تجب ملاحظته في موضوع خروج بني إسرائيل واقتفاء الطريق التي سلكوها حتى وصلوا إلى «فلسطين»، أن تكون طوبوغرافية البلاد متمشية مع قصة الخروج، وكذلك الخطوات التي اتبعوها.

والواقع أن هذه القصة قد قُصت في وقت لم تكن الأحوال الجغرافية قد تغيرت في مصر فيه. فأسماء البلاد المصرية كانت عند خروج بني إسرائيل كما هي، وكذلك التفاصيل الصغيرة التي جاء ذكرها في سياق الكلام، مثل الطوار الذي كان بجانب حصن «دفنة» (إدفينا)، وهو الذي جاء ذكره في التوراة، فقد كشف عنه حديثًا «فلندرزبتري».[٢٠٣]

ويرجع الفضل إلى أعمال الحفر والبحوث التي قامت حديثًا في «قنتير» وتوحيدها مع «بررعمسيس» وما كتبه الأستاذ «جاردنر» و«بتري» في تسهيل عمل مصور جغرافي للطريق التي سلكها هؤلاء القوم في هجرتهم من مصر إلى «فلسطين»، وقد بدءوا طريقهم من بلدة «رعمسيس» (قنتير)، التي كانت وقتئذ مقر قصر الفرعون وكان موسى يحاور الفرعون فيها، ويلتمس منه السماح لقومه بالخروج من مصر، وقد أمضوا الليلة الأولى في بلدة «سكوت» (تل اليهودية)، وعسكروا الليلة الثانية في «إيتام» على حافة الصحراء، وبعد ذلك حوَّلوا طريقهم وضربوا خيامهم في الليلة الثالثة أمام المكان المعروف باسم «فم الحيروث» بين «مجدول»

والبحر، وفي هذا المكان لحقهم الفرعون وجيشه في عرباته التي كانت تجرها الصافنات الجياد، يمتطيها الفرسان الذين كانوا من خيرة جنوده، وقد استولى الفزع على بني إسرائيل عندما رأوا الفرعون وجنوده، وعندئذ رفع موسى يده إلى الله فأرسل الله لإغاثته هو وقومه ريحًا شرقية عاتية هبت طوال الليل، وفي الصباح جف مجرى البحر المسمى آنئذ ببحر «يام سوف» — أي يم سوف أو بحر سوف، ومعنى كلمة سوف: البوص — وقد تُرجم خطأ بالبحر الأحمر أو بحر القلزم، فعبروه واستمروا في سيرهم، مما برهن على أن البحر لم يكن عميقًا ولا واسعًا، وقد قاس «علي بك شافعي» عرض خليج السويس قبالة الطور في المكان الذي عبر فيه الكولونيل المساعد «روبرتسون» ووجده حوالي ثلاثين كيلومترًا، مما يبرهن على أن اختراقه من المستحيل، وبعد ذلك ساروا في صحراء «إيتام» مدَّة ثلاثة أيام دون أن يجدوا ماء، وهذا يبرهن على أنهم لم يسلكوا المنطقة الرملية ذات العيون المائية المتعددة المتكونة من مياه المطر الساقط على الساحل، ولا بد أنهم كانوا قد ساروا جنوبًا، ومن البدهي أن موسى كان موليًا وجهه شطر «مدين» حيث كان حموه وزوجته. ومما سبق نلحظ أن القصة بسيطة في ذاتها إذا استطعنا أن نجد المدن والأماكن التي مروا بها، وكذلك إذا أمكننا في الوقت نفسه أن نبرهن على أنها تتفق مع متوسط المسافة التي تقطعها قبيلة في سيرها يوميًّا.



وهاك أسماء المدن والأماكن كما ذُكرت في التوراة:

(١) «رعمسيس»، (٢) «سكوت»، (٣) «بيداء إيتام»، (٤) «طريق الفلسطينيين»، (٥) «فم الحيروث»، (٦) «بحر سوف»، (٧) «مجدول»، (٨) «بعل زيفون».

وكل هذه الأماكن قد حققها «علي بك شافعي» ووضعها على مصوره الجغرافي الذي يتفق مع الأحوال التي كانت سائدة زمن الخروج بقدر المستطاع، وعلى حسب أحدث البحوث (راجع المصور الجغرافي). وهذه البحوث تشمل درس رواسب شمال الدلتا وتآكل البحر، كما أظهر ذلك على المصور الذي وضعه «بطليموس» عام ١٤٢ قبل الميلاد، وقد حُفظت منه صورة في

«الفاتيكان»، وقد ساعد على وضع هذه الخريطة ما كتبه الأستاذ «جاردنر» و«فلندرزبتري» عن الطريق الحربية من مصر إلى فلسطين (راجع مصر القديمة ج٦).

وسنتناول بالبحث هذه الأماكن واحدًا فواحدًا على حسب ترتيبها الطبعي:

(أ) بلدة «رعمسيس»

برهنت البحوث الحديثة على أن هذه البلدة هي «بررعمسيس» التي وُجدت بقاياها في «قنتير» الحالية، وكان قد اتخذها «رعمسيس الثاني» مقرًّا لحكمه في شمال الدلتا، وقد أسهبنا القول في وصفها، والبحوث التي كُتبت عنها في الجزء السادس من مصر القديمة فلتراجع ثم. وقد كتب «جوتييه» عن هذه البلدة:[٢٠٤] أنها كانت المقر الصيفي لكل من ملوك الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين تقريبًا ومن بينهم «سيتي الثاني»، وقد وجد الأستاذ «حمزة» في «قنتير» لوحة باسم «سيتي الثاني»، وجاء في قصة الراهبة «أيثيريا» — وهي السيدة التي قامت بأداء فريضة الحج من «جاليا نربونس Gallia Narbunis»، وحفظت رواية أسفارها في البلاد المقدسة (٥٣٣–٥٤٠م) في مكتبة «أرزو»؛ أن بلدة «رعمسيس» تقع على بعد أربعة أميال من «أرابيا».[٢٠٥]

وبلدة «أرابيا» على حسب المصور الجغرافي الذي وضعه الأمير «عمر طوسن» باشا نقلًا عن وصف «جرجس القبرصي» الذي عاش في نهاية القرن السابع الميلادي هي «فاقوس» وكذلك جاء في قائمة الأبرشيات (المقاطعات) المحفوظة في «أكسفورد» أن «أرابيا» هي «فاقوس».

ونحن من جانبنا نعلم أن «فاقوس» تقع على مسافة خمسة أميال من «قنتير» بيد أن خرائب «تل الضبعة» ومعبد «أمنمحات الأول» وأحدهما على اليمين، والآخر على الشمال من ترعة «الديدمون» ويقع كل منهما على نفس المسافة من «فاقوس»، ومن المحتمل أنهما امتداد للخرائب التي لا نهاية لها التي تتحدث عنها هذه السيدة الحاجة، وهاك ما قصته: ولكن بلدة «أرابيا» على بعد أربعة أميال من «رعمسيس» ولكي نصل إلى «أرابيا» وهي محط رحالنا كان علينا أن

نخترق وسط «رعمسيس»، وبلدة «رعمسيس» هذه تتألف من حقول لدرجة أنها لا تشمل مسكنًا واحدًا.

حقًّا إنها كانت ظاهرة للعيان لأن سورها كان ضخمًا وفيه مبانٍ عديدة، وعلى أية حال فإن مبانيها ساقطة على الأرض وتظهر الآن كأنها لا نهاية لها، بيد أنه لا يوجد شيء الآن منها إلا حجر ضخم طيبي قد نُحت فيه تمثالان ضخمان يُقال إنهما للقديسين «موسى» و«هارون»؛ لأنه يُقال: «إن بني إسرائيل قد وضعوهما هناك تذكارًا لهما.»

والرأي المرجح الآن هو أن «قنتير» كانت عاصمة الملك المسماة «بررعمسيس» وهذا يتفق مع الطريق التي سلكها بنو إسرائيل.

(ب) سكوت (تل اليهودية)

كانت أول مسافة قطعها بنو إسرائيل في هجرتهم من «قنتير» إلى «سكوت» وهي التي يجب أن نبحث عن موقعها بين الخرائب المجاورة للصالحية؛ إذ قد ذُكر في التوراة: أنهم لم يسلكوا طريق «فلسطين» (راجع سفر الخروج الفصل الثالث عشر السطر الثالث عشر):

> ولما أطلق فرعون الشعب لم يصيرهم الرب في طريق أرض «فلسطين» مع أنه قريب؛
> لأن الله قال: لعل الشعب يندمون إذا رأوا حربًا فيرجعون إلى مصر.

وهذه المسافة تبلغ نحو عشرين كيلومترًا، هذا مع العلم بأنهم قد بدءوا خروجهم في شهر أبريل. (راجع سفر العدد ٣٣: ٢).

وقد غادروا «رعمسيس» في الشهر الأول في اليوم الخامس عشر منه، وفي اليوم التالي للخروج ذهب بنو إسرائيل إلى الخارج بيد سامية أمام كل المصريين. وبعد الفيضان عندما يكون النيل في منسوب منخفض وكل الحياض جافة؛ يستطيع الإنسان أن يفهم كيف كان من السهل عليهم أن

يسيروا دون أن يبتلوا، وكان كذلك في استطاعتهم أن يعبروا أية ترعة أو مصرف يعترضهم في طريقهم، والواقع أنه كان من الصعب على «موسى» وقومه، ومعهم قطعانهم أن يعبروا بهم في قوارب وقت الفيضان، ويقطعون في يوم واحد عشرين كيلومترًا.

وأهم برهانٍ يمكن الاستناد عليه في تحقيق موقع بلدة «سكوت» وأنه عند «الصالحية»؛ قد استقيناه من ورقة «أنسطاسي» التي يرجع عهدها إلى الأسرة التاسعة عشرة، وهي التي تصف لنا «سكوت» بأنها أرض متاخمة؛ أو على الحدود ويسكنها أجانب، وفيها قلعة تُدعى «ختم سكوت» ومستنقعات تُعرف باسم بحيرات «بتوم مرنبتاح» التابعة لبلدة «سكوت» وهذه البحيرات لا تخرج عن كونها بحيرة «مهيشر» ومستنقعات «سعده» و«أكياد» وقد كان الفراعنة مغرمين بالصيد والقنص في أعشاب هذه المستنقعات، وكانوا يستعملون قوارب من الغاب للسير فيها، ولا يبعد أنها كانت مخصصة لفراعنة الرعامسة الذين كانوا يسكنون «قنتير» على مسافة خمسة عشر كيلومترًا من الشمالي الغربي لهذه الجهة.

والطريق إلى «فلسطين» من «بررعمسيس» لا بد أن يكون بمحاذاة الشاطئ الأيمن للنهر؛ غير أن التوراة تقول:

> إن بني إسرائيل لم يسيروا فيها على الرغم من قربها، ولما كان موسى يخاف على قطيعه وكذلك كان يخشى أن يتبعه الفرعون وجنوده فإنه اتخذ طريق الصحراء بدلًا من طريق «فلسطين».

وقد أسعفتنا وثيقة أخرى من أوراق «أنسطاسي» في تحديد بلدة «سكوت»، وهذه الورقة خاصة بهرب عبد من القصر الملكي جاء فيها (راجع كتاب الأدب المصري القديم ج١):

> وبعد، فقد أرسلت من بلاط القصر الملكي وراء هذين العبدين في اليوم التاسع من الشهر الثالث من فصل الصيف وقت المساء. ولما وصلت إلى حصن «سكوت» في اليوم

العشرين من الشهر الثالث علمت بأن أخبار الجنوب تقول: فَرَّا ذاهبين ... اليوم ... من الشهر الثالث من فصل الصيف، ولما وصلت إلى القلعة أخبرت أن السائس قد حضر من الصحراء (وأعلن أنهما تخطيا الحدود شمالي حصن «مجدول سيتي» ... الخ).

وليس لدينا قصور ملكية إلا في «قنتير» و«سكوت» لا تبعد إلا مسيرة يوم واحد من «قنتير» وهي في اتجاه الصحراء، وهي الطريق الوحيدة التي يتمكن الهاربون من القصور الملكية من اتخاذها.

(ج) سكوت (تل اليهودية)

والمرحلة التالية من سير بني إسرائيل هي من «سكوت» إلى «إيتام»، والأخيرة ليست بلدة بل «بيداء» كما وُصفت في التوراة (سفر العدد ٢٣: ٢):

وغادروا من أمام «فم الحيروث»، ومروا من وسط سطح البحر إلى صحراء، ومكثوا مسافرين في صحراء «إيتام» ثلاثة أيام، وضربوا خيامهم في «مارا».

ومن ذلك نعلم أن «إيتام» بيداء وهي العبرية «مدبار»، ومعناها صحراء أو بيداء حيث ترعى الغنم، وكان معسكرهم في «إيتام» على حافة الصحراء (راجع سفر الخروج ١٣: ٢٠):

ثم ارتحلوا من «سكوت» ونزلوا من «إيتام» في طرف البرية.

وهذا الوصف يؤكد لنا ماهية «إيتام» دون أي شك، وقد كانت أرض «إيتام» (إدوم) يسكنها العرب البدو الذين يسميهم المصريون «شاسو»، وقد كانوا ينزحون حتى الحدود المصرية جريًا وراء الكلأ عندما تتنكر لهم السماء وتحجب مطرها دونهم، وقد جاء ذكر أهل «إيتام» (إدوم) في ورقة «أنسطاسي» كما ذكرنا ذلك من قبل (راجع مصر القديمة ج٦).

(د) طريق الفلسطينيين

وصف لنا «سيتي الأوَّل» عودته المظفرة من أرض «كنعان» على جدران معبد الكرنك بعد حروبه التي شنها على «الشاسو» وقد أسهبنا القول في وصف هذه الطريق (راجع ج ٦).

وتدل شواهد الأحوال على أن الفرع الرئيسي للمواصلات بين مصر وفلسطين كان فرع «بلوزيم» فقد كان يمتد إلى ما وراء «دفنة» (إدفينا) و«هرقلة»، ومن ثم إلى «بلوزيم»، وقد كان هناك فرع يأخذ ماءه عند «دفنة» ويسير حتى «ثارو» (تل أبو صيفه). والمصور الذي وضعه لنا «سيتي الأول» ممثلًا بالصور تظهر فيه بلدة «ثارو» وقد جعل مكانها على مجرى فيه تماسيح ليبرهن على أنها عند نهاية الملاحة النيلية، وفي شرق «تل ثارو» توجد بلدة «مجدول»، وقد كانت أوَّل الأمر معروفة على الطريق المؤدية إلى «فلسطين»، ولا بد إذن أنها كانت على حافة الدلتا، وتحدثنا التوراة عن مكان يُدعى «سافنة» (أسوان) وآخر يُدعى «مجدول» بوصفهما الحدين لمصر جنوبًا وشمالًا، وسنرى بعد أن «مجدول» هذه هي «مجدول» التي عبر الإسرائيليون عندها الماء في طريقهم إلى فلسطين، والطريق التي اتخذها «سيتي» إلى «فلسطين» فيها عدد من الآبار في الصحراء (راجع مصر القديمة ج٦ حيث تجد وصفًا مسهبًا لهذه الطريق وعيون الماء فيها). والآن يتساءل المرء، لماذا لم يختر بنو إسرائيل طريق فرع «بلزيم» ثم يسيرون في محاذاة البحر؟ الواقع أن سبب ذلك يرجع إلى وجود مساحات جبلية على الساحل تُسمى جبل «كاسيوس»، وفي جنوب هذا الجبل توجد بحيرة «سربونيس» ويعتقد «علي بك شافعي» أن جبل «كاسيوس» كان يتألف من كثبان رملية تكدست هناك، كما يُشاهد في «بلطيم» وقد وصفها لنا لحسن الحظ المؤرخ «هيرودوت» كما وصف لنا البحيرة، ومن خليج «بلنثنيتيك Plinthinitic» حتى بحيرة «سربونيس» التي تمتد إلى سفح جبل «كاسيوس» واحد وثمانون ميلًا.[٢٠٦]

وبعد «يونيوس» أتى السورين ثانية وساروا حتى بحيرة «سربونيس» بالقرب من المكان الذي يدخل فيه جبل «كاسيوس Cassios» في البحر.

ولهذا السبب كانت بداية الطريق البرية إلى «فلسطين» هي قلعة «ثارو»، ويُلاحَظ أن غربي «ثارو» كان فرع النيل الصالح للملاحة حتى «دفنة» وكل بلاد مصر، وقد كان شاطئا النيل في تلك الأزمان هما الطريقان البريان، وكان الفرع المتجه نحو «ثارو» يُدعى «ماء حور» في حين أن الفرع البلوزي الأصلي كان يُسمى «ماء رع».

(ﻫ) فم الحيروث

كان «حور» الإله المحلي لبلدة «ثارو»، وكان يُسمى على الآثار التي عثر عليها هناك «سيد شاسو» أو «المستنقعات»؛ لأنها تقع بين بحيرات البلح وبحيرة المنزلة. وقد جففت «قناة السويس» هذه المستنقعات؛ لأن مياهها في مستوى ماء البحر، وقد منعت كل مياه النيل عن المستنقعات الواقعة شرقيها، والمقاطعة التي تقع فيها «ثارو» تُسمى «مسن»، وكان «حور» يُدعى هنا سيد «مسن».

وبلدة «ثارو» لا تقع على الفرع البلوزي كما يدل على ذلك مذكرات «أنتونين»، ولكن من جهة أخرى يقول إن بلدة «دافني» تقع عليه، وهذا هو السبب الذي جعل «جاردنر» يسمي هذا الفرع مياه «حور»، وقد جاء ذكرها في خطاب الكاتب «بيبسا» (راجع ج٦)، وكان الملح الذي يأتي منه يُستخرج من بحيرات البلح ومن الجزء الجنوبي الشرقي لبحيرة المنزلة، وكان ماء هذا الفرع من النيل يصب فيهما — ولم يكن لهذه البحيرات منفذ إلى البحر، ولذلك أصبحت مياهها ملحة، كما هي الحال في كل البحيرات التي لا منفذ لها إلى البحر، وهذا الملح هو الذي كان يتحدث عنه الكاتب «بيبسا» في خطابه، وفي عصرنا تُستخرج كميات عظيمة منه من بحيرة المنزلة عند «دمياط»، وقد رسمه «علي بك شافعي» في مصوره الجغرافي شمالي «ثارو» قليلًا فجعل مياهه تنصب في منخفض كتب عليه: «يمكن ملؤه بالماء إذا احتاج الأمر.» ويمكن ترجمة اسم مصب هذا الفرع من الإغريقية بعبارة «فم حور» وهذه التسمية لا تختلف كثيرًا عن تسمية «فم

الحيروث». وجاء في التوراة: «تكلم إلى بني إسرائيل حتى يتحولوا ويعسكروا أمام «بيها هيروت»، بين «مجدول» والبحر.» وعلى ذلك كان على «موسى» ألا يسير في خط مستقيم؛ ولذلك وصل أمام «فم الحيروث» بعد مسيرة يوم واحد.

(و) بحر سوف («يام سوف»، أو «يم البوص»)

يعتقد كثير من الكتاب الذين تناولوا موضوع خروج بني إسرائيل أن «بحر سوف» هذا هو البحر الأحمر، بيد أن الحقائق التاريخية والبحوث الحديثة تكشف عن غير ذلك، وسنتحدث هنا عن كل ذلك ببعض الاختصار.

كُتبت التوراة في الأصل باللغة العبرية، وفي خلال القرن الثالث قبل الميلاد أمر «بطليموس» الثالث على ما يُقال بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الإغريقية، وهذه الترجمة تعرف بالترجمة السبعينية نسبة إلى الكهنة السبعين الذين ترجموها، ومما يؤسف له جد الأسف أنه لم تصل إلينا نسخة واحدة من الأصل القديم الذي ترجم عنه، وأقدم نسخة لدينا بالعبرية يرجع عهدها إلى القرن العاشر الميلادي، وبالموازنة بين النسختين وجد أنه لم تحدث اختلافات كبيرة بين نسخة القرن الثالث قبل الميلاد المترجمة ونسخة القرن العاشر بعد الميلاد. وحيثما وُجدت فروق فإنها أتت عن طريق المترجمين الذين أرادوا أن يتصرفوا في ترجمتهم بدلًا من تتبع الترجمة الحرفية، ومن ذلك أنهم وضعوا بدلًا من عبارة «يام سوف» (بحر سوف) عبارة «البحر الأحمر» أو «بحر القلزم»، ولا نزاع في أن هذا التغيير كان ذا أثر بيّن فيما كتبه أولئك الذين فحصوا هذا الموضوع، كما ظهر أثره كذلك في بحوث علماء الآثار الذين قاموا بأعمال الحفر في خرائب «وادي طميلات»، فمثلًا نعلم أن وجود تمثال «رعمسيس الثاني» قد جعلهم يعتقدون أن خرائب «تل المسخوطة» هي «بررعمسيس»، وكذلك لما رأوا السور الضخم الذي بُني حول المعبد من اللبن في هذه البقعة تأكدوا أن الإسرائيليين كانوا مسخرين ههنا لصنعها.

وقد كان خروج بني إسرائيل من الموضوعات الخلابة في عصرنا لكل طائفة من العلماء الباحثين، فنجد مثلًا «لينان دي بلفون» الذي كان عمله الأصلي درس قناة السويس البحرية قد اندفع إلى درس خروج بني إسرائيل[٢٠٧] ولكي يصل إلى حل مشكلة البحر الأحمر وعبوره جعله يمتد شمالًا حتى بحيرة التمساح ليجعل التفاصيل التي ذُكرت في التوراة مطابقة للواقع.

وفي عام ١٩٣٦ قام «روبرتسون» بعبر خليج السويس، ولكنه كان على نقيض «لينان»؛ إذ نجد الأخير قد رفع مستوى البحر الحمر وجعله يصل حتى بحيرة التمساح، على حين أن «روبرتسون» قد خفضه بما يتراوح بين خمس عشرة وعشرين عقدة ليجعل عبره من قبالة الطور ممكنة، وبذلك يقدم للناس اتساعًا معقولًا بين سلسلة الجبال المعروفة باسم «جلال» الشمالية والجنوبية، غير أن كل هذه النظريات السمجة المتكلفة قد تلاشت أمام الكشف الحديث الذي أثبت أن «بررعمسيس» هي «قنتير» الحالية، ونظرة بسيطة إلى المصور الجغرافي تفسر ما نقصده من ذلك.

ولا تزال كلمة «سوف» باقية في المتون العربية والعبرية، وتعني بالعبرية (البوص)، وهي نبات يكثر وجوده في المياه الضحضاحة في بحيرة المنزلة، وعند مصبات الترع والمصارف بخاصة، ولا يزال يعيش عليه حتى الآن قطعان من البقر عند فم مصرف بحر البقر، وقد ذكر لنا الكاتب «بيبسا» أن «بررعمسيس» كانت تأخذ حاجتها من البردي من المستنقعات، كما كانت تأخذ حاجتها من البوص من مياه «حور» والبردي الذي يُسمى الآن «سمار» ينمو عادة في المياه الحلوة نسبيًّا، ولكن البوص لا ينمو إلا في المياه الملحة تقريبًا كالتي في البحيرات، ولهذا السبب يقول الكاتب «بيبسا»: إن مياه «حور» كانت تنتج ملحًا، ولا تزال حتى يومنا هذا عادة إقامة أكواخ من البوص شائعة، كما يُشاهَد ذلك في «رأس البر» حيث يقيم عظماء القوم عششهم في فصل الصيف من هذا النبات لسهولة تخلل هواء البحر العليل سيقانه، وذكر لنا «بيبسا» أن البوص كان يُجلب من مياه «حور» مما يدل على أنه كان ينمو بكثرة في هذه الجهة وبارتفاع عظيم حتى

إن بني إسرائيل سموا هذه البحيرة باسمه «يام سوف»، يُضاف إلى ذلك أن كلمة «سوفي» معناها بالمصرية القديمة «البردي» وهو نبات ينبت في الدلتا والحدائق وتُصنع منه الحصير، وهذه الكلمة لم تظهر في اللغة المصرية القديمة إلا في عهد الدولة الحديثة، ويُسمَّى كذلك بالعبرية «سوف»، وعلى ذلك فإن «يام سوف» يقع في شرقي «تانيس» و«بررعمسيس»، فقد ذُكر في التوراة أن الله أرسل ريحًا عاتية غربية ليبعد وباء الجراد فأقصته عن حقول «تانيس» إلى «بحر سوف» الذي تُرجم خطأ بالبحر الأحمر أو بحر القلزم:

> فرد الرب ريحًا غربية شديدة جدًّا فحملت الجراد وطرحته في «بحر القلزم» ولم تبقَ جرادة واحدة في كل تخوم مصر

(راجع سفر الخروج ١٠: ٢٠).

ويُشاهَد على المصور الجغرافي الذي وضعه «علي بك شافعي» أن «يام سوف» تقع على نفس خط عرض «تانيس» وأن امتداده هو بحيرات البلح قبالة «قنتير».

(ز) مجدول

ذكرنا فيما سبق أن التوراة قد جعلت كلًّا من بلدتي «سفنة» و«مجدول» حدًّا جنوبيًّا وشماليًّا لمصر على التوالي، والمقصود بذلك الحد الجنوبي والشمالي لمصر من جهة بلاد «كنعان»، ويدل على ذلك مصور «سيتي الأوَّل» الذي وضع «مجدول» قبل بلدة «ثارو» على الطريق من «فلسطين» ولم يضعها على مجرى ماء قابل للملاحة مثل «ثارو» وقد كانت معروفة بأنها أول بلدة مصرية على الطريق المؤدي إلى «فلسطين»، وقد جاء ذكرها في مذكرات «أنتونين» على الطريق من «سرابيو» — الواقعة عند نهاية وادي طميلات حتى «بلزيو» — وقد جعل «بتري» «تل الهر» المكان الذي يُحتمل أن يكون هو موقع «مجدول» والقلعة العربية التي على هذا الموقع

الآن لا بد أنها أقيمت على مبنًى قديم من هذا النوع يُسمى بالعربية «مجدل» أو «برج» (راجع ما كتبه علي بك شافعي عن هذا المكان).

(د) بعل زيفون

لقد بقي اسم «بعل زيفون» سرًّا غامضًا على أولئك الكتاب الذين كتبوا عن خروج بني إسرائيل إلى أن كشف حديثًا في «سقارة» عام ١٩٤٠م عن ورقة فينيقية في إحدى الآبار الأثرية ومعها أوراق ديموطيقية، وقد كتب عن محتوياتها الأثري «نويل جيرون».[٢٠٨] ولما كانت إحدى الأوراق الديموطيقية قد ذكرت الملك «أحمس الثاني»، وكذلك كانت بعض مميزات الورقة الفينيقية تشير إلى أنهما من عهد واحد، فقد استنبط «جيرون» أن هذه الأوراق قد كُتبت خلال القرن الخامس قبل الميلاد. وتدل محتويات الورقة الديموطيقية على أنها خطاب شخصي يتضرع فيه كاتبه إلى الإله «بعل زيفون» وكل آلهة «دافني» (أدفينا)، وهذا يدل على أن «بعل زيفون» كان الإله الرئيسي لبلدة «دافني» وقد ختم «جيرون» مقاله بقوله إذا قبلنا النظرية القائلة: إن «مجدول» هي «تل الهر» وأن «يام سوف» هي بحيرة المنزلة فإن «بعل زيفون» كان إذن هو الإله الرئيسي لهذا المكان.

(٦-٢) خط سير بني إسرائيل من حدود مصر إلى فلسطين

هذا من جهة مصر، أما عن «سينا» و«نجب» فلسطين وهي الأماكن التي مرَّ بها بنو إسرائيل في طريقهم إلى الأرض الموعودة، فقد ألقت الكشوف الحديثة بعض الضوء على جغرافيتها، والواقع أنه لم يكن يوجد حتى ذلك العهد مدن ومعسكرات ثابتة إلا في «إيتام» على ما يظن، فقد كشف «نلسن جلوك» موطنًا ثابتًا يرجع عهده إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وكذلك في المكان القديم المسمى «إزيون جبر» الآن — وهو القريب من «العقبة» — دلت الحفائر التي قام بها الأثري (١٩٣٩-١٩٤٠) على أن أول مبانٍ كانت قد أُقيمت على أرض بكر في هذه الجهة يرجع

عهدها إلى القرن العاشر ق.م. وفي «قادش برنيا» (عين القديرات) ظهر أن أقدم حصن فيها يرجع تاريخه إلى القرن العاشر أيضًا. أما في «سينا» نفسها فقد وُجدت مناجم من النحاس مشغولة في جهات متفرقة في «وادي مغارة» وفي «سرابة الخادم»، غير أن الأولى كانت — على ما يظهر — قد هُجرت بعد الدولة الوسطى في حين أن الأخرى كانت قد ثمرت بدرجة عظيمة في عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين حتى عهد «رعمسيس الخامس» حوالي عام ١١٤٠ق.م، وقد وُجدت للفرعون «رعمسيس الثاني» بوجه خاص نقوش كثيرة هناك، وقد كشف عنه «بتري» عام ١٩٠٥م، و«استار» عام ١٩٣٠. ونعلم من الفخار الذي جمعه «جلوك» من حول مناجم النحاس في «عرابة» الواقعة جنوبي «إيتام» أنه كانت تقوم هناك أعمال عظيمة في عصر الحديد المبكر، بيد أنه لا يمكن تحديد تاريخ بعينه لذلك. ولما كان إقليم «مدين» الواقع في الجنوب، والجنوب الشرقي من «العقبة» أغنى بكثير في النحاس الغفل من كل من «سينا» و«إيتام» فإنه لا يبعد أن يكون أهل «موسى» قد بدءوا تثميرها وبخاصة أنه كان بالقرب منهم عملاء ممتازون لشراء هذا المعدن، وأعني بذلك مصر وكنعان، وقد أصبح من المعروف على حسب التقاليد الإسرائيلية المعروفة أن «موسى» قد تزوج من ابنة كاهن مديني يُدعى «جنترو» أو «روئيل» على وجه التأكيد؛ إذ قد جاء ذكره في مناسبات مختلفة؛ هذا إلى أن أسرة «هوبان» بن «روئيل» وصديق «موسى» قد اعتنقا الديانة الإسرائيلية (راجع سفر العدد فصل ١٠ سطر ٢٩، وسفر القضاة ٤: ١١) وكانت عشيرة مدين فضلًا عن ذلك تُنعت كثيرًا بلفظ «القينيين» (أي النحاسين) جاء في سفر التكوين ٤–٢٢:

و«صلة» أيضًا ولدت «توبل قاين».

وهو أول صيقل لجميع المصنوعات النحاسية والحديدية.

وبالاختصار نفهم من كل ما سبق أن بلاد «سينا» وبلاد «مدين» كانتا في ذلك الوقت بعيدتين عن رعاة الجمال المتوحشين، وكان يسكنهما قبائل شبه متوطنة تربطهم بمصر وكنعان روابط صناعية وتجارية.

ومما يستحق الملاحظة هنا أن الجمال لم تُذكر في أسفار «موسى» الخمسة إلا مرة واحدة، هذا إذا ضربنا صفحًا عن ذكرها في بعض فقرات قليلة في غير موضعها التاريخي في سفر التكوين أو عند ذكرها مع الحيوانات النجسة، ومن ثم نعلم أن الإسرائيليين الذين شُردوا في الصحراء كانوا على وجه التأكيد يستعملون الحمير في أسفارهم، وعلى ذلك كانوا مقيدين بالسير في طريق مثل التي حددت لهم في سفر العدد ٣٣، حيث نجد أنهم لم يسيروا قط بعيدًا عن الواحات أو عن مراعي أرض «نجب» وشرق الأردن.[٢٠٩]

والآن بعد كل هذه الإيضاحات التي كان لا بد منها عن الأماكن التي مر بها هؤلاء القوم يمكننا أن نتتبع طريق خروجهم واقتفاء أثرهم يومًا فيومًا (انظر المصور الجغرافي Bull. Soc. Geog. XXi P. 27-6).

(أ) اليوم الأول

> ثم ارتحل بنو إسرائيل من «رعمسيس» إلى «سكوت» بنحو ستمائة ألف ماشٍ من الرجال خلا الأطفال.

(سفر الخروج ١٢: ٣٧)

ويقول السير «فلندرزبتري» في كتابه عن إسرائيل:

> والكلمة المترجمة هنا بلفظة ألف لها أحد المعنيين: ألف، أو أسرة.

وعلى ذلك يُخفض العدد إلى خمسين وخمسمائة وخمسة آلاف نسمة؛ وذلك لأن عيون الماء التي كانت في طريقهم لا تكاد تمون عددًا أكبر من ذلك، ويعضد هذا الرأي حادثة القابلتين اليهوديتين اللتين طلبتا أمام الفرعون:

> وكلم ملك مصر قابلتي العبرانيات اللتين اسم إحداهما «شفرة» والأخرى «فوعه» وقال: إذا استولدتما العبرانيات فانظرا عند الكراسي فإن كان ذكرًا فاقتلاه، وإن كانت أنثى فاستبقياها.
>
> (راجع سفر الخروج ١: ١٥-١٦)

وإذا فرضنا أن عددهم ستمائة ألف بغض النظر عن النساء والأطفال فإن عددهم في مجموعه لا بد أنه كان يبلغ حوالي ثلاثة ملايين نسمة، ونحن نعلم من جانبنا أن متوسط عدد سكان القرية المصرية على وجهٍ عام هو ألفا نسمة، فكيف يتسنى لقابلتين أن تقوما بخدمة مجتمع يبلغ ثلاثة ملايين نسمة، ولكن من المعقول أن هاتين القابلتين يمكنهما أن يرعيا شئون ستة آلاف أسرة، يُضاف إلى ذلك أن عيون الماء لم تكن كافية لمثل هذا العدد، بل إنه لم يكن في الصحراء من خشب الوقود للطهي ما يقوم بحاجة هؤلاء القوم.

وقد كان لزامًا على الإسرائيليين في أول مرحلة من سفرهم أن يعبروا مجاري مياه، ولذلك فإنهم لو بدءوا خروجهم وقت الفيضان لكان من الصعب عليهم أن يحصلوا على القوارب اللازمة لعبورهم، وقد كانت طريقة ري الحياض مستعملة وقتئذ، وعندما تكون الحياض ممتلئة يضطر الأهلون أن يسافروا على شواطئ الحياض إذا أرادوا ألا يلفتوا الأنظار إليهم كثيرًا، ولهذا السبب يظهر أنهم بدءوا خروجهم في شهر «أبريل».

> رحوا من «رعمسيس» في الشهر الأول في اليوم الخامس عشر منه، في غد الفصح خرج بنو إسرائيل بيدٍ سامية على مشهد جميع المصريين.

(سفر العدد ٣٣: ٢)

(ب) اليوم الأول

وارتحلوا من «سكوت» ونزلوا «بإيتام» في طرف البرية.

(راجع الخروج ١٣–٢٠)

(ج) اليوم الثالث

وفي اليوم الثالث كان محرمًا عليهم المسير نحو المشرق:

وكلم الرب «موسى» قائلًا: مُرْ بني إسرائيل أن يراجعوا وينزلوا أمام «فم الحيروث» بين «مجدل» والبحر، أمام «بعل زيفون» تنزلون تجاهه على البحر (راجع الخروج ١٤: ١-٢).

وهذا التحول عن الطريق المستقيم جعل المصريين يظنون أن الإسرائيليين قد احتبلوا في طريقهم، واستولى عليهم الخوف من أن يضلوا في البيداء، وعلى ذلك نزلوا عن فكرتهم؛ لأنه في اليوم الثالث كان سيرهم في دلتا النيل، وقد كان أثر ذلك هو:

وقسى الرب قلب فرعون ملك مصر فتبع بني إسرائيل، وبنو إسرائيل خارجون بيد سامية.

(راجع الخروج ١٤: ٨)

(د) اليوم الرابع

وكان «موسى» حذرًا؛ لأنه على الرغم من أنه قد حصل على إذن من فرعون بالخروج من البلاد مع أتباعه كان يخاف أن يغير رأيه، ولذلك سلك طريقًا غير الطريق المعتادة، فلم يأخذ طريق الفلسطينيين على الرغم من أنها كانت قريبة كما شرحنا ذلك من قبل.

وعلى الرغم من حذره فإن الفرعون غير رأيه فعلًا وتبع موسى وقومه في ستمائة عربة من خيرة عرباته يسوقها نخبة من فرسانه، وقد لحق المصريون بالإسرائيليين في معسكرهم بالقرب من «يام سوف» ومعناها العبري حرفيًّا «بحيرة البوص». واليم بالعربية: (البحر)، وخُص بنيل مصر كما جاء في لسان العرب ج٥، (ويمكن الإنسان أن يراها على المصور)، وتشغل منخفضًا قد بقي حتى الآن تحت مستوى البحر، وقد كُتب عليه في مصور المساحة المصرية «يمكن ملؤه بالماء إذا احتاج الأمر» أي إنه إذا عمل قطع في الشاطئ الشرقي من قناة السويس فإن ماء البحر يملؤه. وقد منعت قناة السويس مياه مصرف بحر البقر القديم من إمداده بمياه النيل مما منع نمو البوص فيه. ويمكن أن يؤخذ منه الملح كما كانت الحال أيام الكاتب «بيبسا»، وقد أصبح موسى بهذا الموقف في مأزق حرج، فقد كانت «بحيرة البوص» على يمينه، وحصن «مجدول» بما فيه من حامية أمامه، سادًّا الطريق من جهة الشمال، وعلى يساره مستنقعات فرع النيل البلوزي، وخلفه الفرعون وجنوده، فلم يكن لديه أية وسيلة غير طلب العون والرحمة من الله، وقد نالهما، وأشار بعصاه نحو البحيرة على يمينه، ثم أرسل الله ريحًا شرقية. وقد جاء في التوراة أنها ريح شرقية عاتية ظلت تهب طوال الليل، وهذه هي المعجزة، فكان الريح يهب في الاتجاه الصحيح في الوقت المناسب، وكان هبوبه شديدًا حتى جفف الأرض، وبذلك سار موسى وقومه على اليابس:

> ومد «موسى» يده على البحر فأرسل الرب على البحر ريحًا شرقية طول الليل حتى جعل البحر جفافًا، وانشق الماء.

(راجع الخروج ١٤–٢١)

ولا يزال منسوب الماء حتى الآن متأثرًا بدرجة عظيمة بالريح في بحيرة «المنزلة» و«البرلس»، ويُلاحَظ أن الطريق من «بلطيم» حتى «برج البرلس» تُغطى بالمياه عندما يهب الهواء غربًا ثم تصبح جافة عندما يهب الهواء من الشرق، ويمكن الإنسان أن يسير عليها بالعربة.

أما موضوع غرق فرعون فهو أمر قد فُهم خطأ على حسب ما جاء في الكتب السماوية، والواقع أنه لا يمكن الإنسان أن يتصور غرق الفرعون وعربته ومن معه في ماء ضحضاح لا يزيد عمقه على قدمين أو ثلاث، بل المعقول أن خيل الفرعون وعرباته قد ساخت في الأوحال وسقط بعض ركابها مغشيًّا عليه، وهذا يفسر ما جاء في سفر الخروج ١٤–٢٥:

وخلع دواليب المراكب فساقوها بمشقة.

ومما سبق نعلم أن خرافة غرق الفرعون في البحر الأحمر وموته لا أساس لها من الصحة، وقد جاء كل ذلك الخلط من ترجمة «يام سوف» بالبحر الأحمر أو بحر القلزم، هذا فضلًا عن أن ما جاء في القرآن الكريم لا يشعر بأن الفرعون الذي عاصر موسى قد غرق ومات، بل على العكس نجاه الله ببدنه ليكون آية للناس على قدرة الخالق. والتعبير ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ يعادل التعبير العامي «خلص بجلده»، هذا ويُلاحظ أن كلمة «البحر» في اللغة العربية كما جاء في لسان العرب ج٥: «تطلق على الماء المالح والعذب على السواء»، وقد سبق أن قلنا إن اليم يُطلَق على النيل، وعلى ذلك يمكن فهم الآية القرآنية التي جمعت القصة كلها في اختصار رائع على حسب ما ذكرنا من إيضاحات وبراهين سابقة: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (سورة يونس الآيات ٩٠–٩٢).



شكل ٧: مومية مرنبتاح.

(هـ) الأيام الخامسة والسادسة والسابعة

وبعد عبر هذه البحيرة بالكيفية السابقة سار بنو إسرائيل في صحراء «شور» مدة ثلاثة أيام، وهكذا أحضر «موسى» إسرائيل من البحر، وذهبوا في بيداء «شور» ومشوا ثلاثة أيام في الصحراء، ولم يجدوا ماء.

والبيداء التي على الضفة الأخرى من «يام سوف» تُسمَّى «بيداء شور»، ونحن نعلم من جانبنا أن «مياه حور» التي ذُكرت في خطاب «ببيس» وهي التي كان يُستخرج منها الملح تسمى بالمصرية «شيحور» أي بحيرة (حور)، فمن المحتمل أن البيداء التي تقع شرقي هذه البحيرة كانت تسمى بيداء بحيرة «حور» (شيحور). أما باقي الصحراء التي ضل فيها الإسرائيليون ثلاثة أيام فتسمى في فقرة أخرى من التوراة «بيداء إيتام» وهذه البيداء هي الأرض الصحراوية التي على حدود الدلتا الشرقية، وكانت تسمى قديمًا عند المصريين «إدوم»، وكان يسكنها «الشاسو» أي البدو، ويدل ما جاء في التوراة على أنه الموقع الذي حدده «علي بك شافعي». وكانت مساكنهم من «حويلة» إلى «شور» التي تجاه مصر (راجع سفر التكوين ٥: ١٨). وكذلك جاء في سفر «صمويل الأوَّل» ١٥: ٧:

وضرب «شاول» عماليق من «حويله» حتى مجيئك إلى «شور» التي تقابل مصر.

وبعد ذلك سار بنو إسرائيل في شبه جزيرة سينا و«مدين» حتى وصلوا إلى أرض «كنعان» وكانت كل هذه الجهات معمورة كما ذكرنا قبلًا.

هذه هي قصة خروج بني إسرائيل كما حدثتنا بها التوراة وكما تتبعناها على الآثار الباقية بقدر المستطاع، ونريد هنا أن نكرر القول بأن هذا الحادث كان ثانويًّا بالنسبة للمصريين، حيويًّا عند الإسرائيليين، ولذلك لم نجده في النقوش المصرية إلا عرضًا على حين فصلت آياته في التقاليد العبرية تفصيلًا تامًّا، وتدل الأحوال كلها على أن هذا الحادث قد وقع فعلًا، غير أن تفاصيله قد

دُونت على حسب العقل والتفكير والتقاليد الإسرائيلية، ولذلك يصعب علينا نخله وتمحيصه من الوجهة التاريخية المحضة.

(٧) آثار «مرنبتاح»

(٧-١) مقبرة «مرنبتاح»

أقام «مرنبتاح» لنفسه مقبرة في «وادي الملوك» على مقربة من مقبرة والده «رعمسيس الثاني» وقد نُهب قبره على ما يظهر بعد موته بقليل؛ ونُقلت موميته إلى مقبرة «أمنحتب الثاني» حيث وُضعت خطأً في تابوت الفرعون «ستنخت». وعندما كُشف عن المكان الذي خُبئت فيه المومية في عصرنا عُرفت شخصية هذا الفرعون من كتابة خشنة دُونت على لفائف موميته، وقد كان الكاشف لمومية هذا الفرعون الأستاذ «لوريه» عام ١٨٩٨م عندما كشف عن مقبرة «أمنحتب الثاني». وقد أُحضرت المومية إلى «المتحف المصري» عام ١٩٠٠م. ويقول الدكتور «إليوت سمث»:[٢١٠] إنه حتى مع عدم وجود البرهان الكتابي على كتف هذا الفرعون باسمه فإنه توجد تفاصيل عدة تحتم وضع هذه المومية في طائفة موميات «رعمسيس الثاني» و«سبتاح» و«سيتي الثاني»، وكذلك تدل هيئة المومية نفسها على أن بينها وبين كل من «رعمسيس الثاني» و«سيتي الأوَّل» اتصالًا كبيرًا في الشبه؛ ولهذه الأسباب لا نشك في أن هذه مومية الفرعون «مرنبتاح». ويدل جسمه على أنه كان رجلًا طاعنًا في السن، ويبلغ طوله حوالي أربعة عشر ومائة مليمتر ومتر، ويدل رأسه على أنه كان أصلع تقريبًا؛ إذ لم يبقَ في رأسه إلا إطار ضيق من الشعرات البيض على القفا والصدغين، هذا إلى بعض شعرات سود مبعثرة على شفته العليا، وشعرات قصرت على الخدين والذقن.

ويدل منظر وجهه العام على أن محياه يشبه «رعمسيس الثاني» في قسماته بصورة ناطقة، غير أن شكل الجمجمة وأبعاد الجبهة تتفق إلى حد بعيد مع جده العظيم «سيتي الأول».

وتدل المومية على أن عملية التحنيط التي أُجريت فيها كانت ناجحة إلى حد بعيد؛ إذ كان الجسم محفوظًا لم يَشبه أي تشويه وخاليًا من اللون الأسود الذي نشاهده في موميات الأسرة الثامنة عشرة.

ويُلاحظ أن الجزء اللين من الأنف قد تفرطح بعض الشيء مما شوه منظر الوجه، وقد حشا المحنطون حفرة الجمجمة بعد استخراج نخاعها بقطع صغيرة من الكتان الجميل الصنع، وبعض البلسم، أما المنخران فقد حُشيتا بعجينة راتنجية، وكذلك وُضعت طبقة من نفس المادة على الفم والأذنين، كما وُضعت لطعة سوداء في مكان الحاجبين، وخلافًا لذلك وُضعت طبقة رقيقة من اللون الأحمر على الوجه، ويُلاحَظ أن هذا اللون قد ذهب في بعض المواضع، وظهرت تحته لطع بيضاء، وكانت أذناه مثقوبتين مدة حياته، غير أن الثقبين كانا صغيرين جدًّا.

ولوحظ أن فتحة التحنيط كانت في الجنب في المكان الخاص الذي كانت تعمل فيه الأسرات التاسعة عشرة والعشرين والحادية والعشرين أي أمام الحفرة الحرقفية، وبعبارة أخرى لم تكن بعيدة إلى الخلف أو عمودية كما نجد ذلك في بعض موميات الأسرة الواحدة والعشرين وما بعدها، وقد وُضع فوق الفتحة عجينة بلسم، ثم وُضع فوقها لوحة يُشاهَد جزء من طبعتها.

وقد أُزيلت كل الأحشاء من الجسم إلا القلب على ما يظهر، ولا نعلم إذا كان المقصود هنا ترك القلب بأكمله في الجسم كما كانت العادة في عهد الأسرة الواحدة والعشرين أم لا. وعلى أية حال فلا يمكن الجزم بذلك.

وقد دل البحث على أنه كان مصابًا بالتهاب الأورطي إذ قد وُجدت لطع كلسية عليه ظاهرة.

ويدل الفحص على أنه الجسم قد عبث به اللصوص إلى حد كبير، وعلى الرغم من أن الجسم قد صار هيكلًا عظميًّا يغطيه الجلد وحسب، فإن ما يُلاحظ من غلظ جلد البطن والخدين يدل على أن صاحبه كان بدينًا بعض الشيء. وقد نُظفت مقبرة هذا الفرعون في أوائل القرن العشرين على يد الأثري «كارتر»، وقد كشف عن غطاء تابوته تحت التراب في حجرة الدفن وهو الآن ظاهر

للعيان في مكانه الأصلي. وقد حُفر قبره في أعماق الصخر إلى مسافة بعيدة، ويُشاهَد على عتب الباب قرص الشمس وفيه الجعران الذي يمثل الشمس عند الفجر، وصورة إنسان في هيئة كبش يمثل الشمس عند المغيب. كما تُشاهَد الإلهتان «إزيس» و«نفتيس» كل منهما على جانب من جانبي الباب، وبعد ذلك يهبط الإنسان في ممر منحدر انحدارًا عظيمًا، ويُرى على اليسار منظر ملون جميل يمثل الفرعون يتعبد للإله «حور-ماخت». وبعد ذلك بقليل نُقشت ثلاثة أسطر عمودية تحتوي على عنوان كتاب مديح «رع» الذي كُتب على هذا الجدار كاملًا، وبقيته على الجدار المقابل، وبعد ذلك تُشاهَد صورة رمزية لقرص الشمس يمر بين الأفقين. وفي القسم الثاني من الممر يُشاهَد على اليسار صورة الإلهة «إزيس» راكعة وبالقرب منها صورة ابن آوى (آنوب) إله الجبانة، وتحدث «إزيس» الفرعون بأنها تمد حمايتها عليه، وتمنح خيشوميه النفس، وعلى الجهة المقابلة على الجدار منظر مماثل للسابق، تأخذ فيه الإلهة «نفتيس» مكان «إزيس». وفي الممر الثالث نشاهد على اليمين صورة جميلة لسفينة الشمس تخترق العالم السفلي يجرها الآلهة، وعلى الجدار المقابل نشاهد سفينة الشمس ثانية وفيها يقف الإلهان «حور» و«ست»، ومن ثم نعلم أن «ست» في هذا العهد كان إلهًا طيبًا لا إله الشر كما هو معروف عنه. وبعد ذلك يلتوي الممر ويؤدي إلى حجرة مُثل على جدرانها ملائكة وآلهة من عالم الآخرة، فنشاهد على اليسار عند نهاية هذه الحجرة صورة الإله «أنوب» يقف أمامه اثنان من الملائكة الذين يخدمون «أوزير»، وعلى الجانب المقابل صورة «حور» حامي والدته، وأمامه الملكان الآخران.

ويمر الإنسان بعد ذلك في حجرة يستند سقفها على عمودين، وشمال الإنسان مباشرة يُشاهَد الفرعون أمام «أوزير»، وفوق الجدار المتصل بذلك تُلاحظ قطعة ضخمة من الظران ناتئة من السقف لم يهتم العمال بإزالتها، والحجرة التي على اليمين لم تتم بعد، ثم نصل بعد ذلك بوساطة السلم إلى الحجرة التي فيها غطاء التابوت العظيم المصنوع من الجرانيت، والظاهر أن هذا الغطاء لم يُنقل من مكانه إلى حجرة الدفن بل تُرك حيث هو لصعوبة نقله. وبعد ذلك يمر الإنسان في ممر

إلى قاعة الدفن المهدمة تهديمًا شديدًا، وكان سقفها المقبب محمولًا على ثمانية عمد محطم معظمها الآن، والمناظر التي على جدران هذه الحجرة قد عُبث بها كثيرًا، ولكن الشيء الذي يلفت النظر فيها بصفة خاصة هو غطاء التابوت الداخلي الذي لا يزال موضوعًا في مكانه الأصلي، فقد كانت مومية الفرعون موضوعة في تابوت من الخشب وكان هذا التابوت داخل تابوت من الجرانيت لم يبقَ منه إلا الغطاء، وقد كان المقصود وضع هذا التابوت في آخر لا يزال غطاؤه يُرى في مكانه في حجرة أخرى كما أسلفنا، وتدل شواهد الأحوال على أنه لم يكن لدى العمال ما يكفي من الوقت للقيام بهذا العمل.

فلدينا قطعتان من الاستراكا عُثر عليهما في «وادي الملوك» نُقش عليهما متون خاصة بقبر هذا الفرعون، والاستعدادات التي اتخذت لتجهيزه في السنة السابعة من حكمه، أي السنة التي توفي بعدها الفرعون على حسب بعض الأقوال، وقد كُتبت كل منهما من الوجهين، غير أنه مما يؤسف له ضياع الجزء الأول من أسطر إحداها من الوجه، ونهاية الأسطر من الظهر، وقد أُرِّخت بالسنة السابعة الشهر الرابع من حكم «مرنبتاح»، ومما تبقى من نقوش هذه الاستراكا نعرف بعض أسماء المؤلفين الذين كانت لهم علاقة بإنجاز هذا القبر، ونخص بالذكر منهم «بانحسي» الوزير، و«ثاي» مدير المالية.

أما الاستراكا الثانية فتبحث في نفس الموضوع، وقد ذُكر فيها حاكم المدينة والوزير «بانحسي» الذي كان يشرف على هذا العمل، وسنتحدث عنه فيما بعد، وكذلك ذُكر مدير المالية «ثاي». والمتن الذي على ظاهر هذه الاستراكا يتحدَّث عن الكاتب «امبو محب» وعن رئيسي الشرطة «نخت مين» و«حورا» اللذين ذُكرا على الاستراكا رقم ٢٥٢٣٧ «بالمتحف المصري» ومنها مؤرَّخ بالسنة السادسة والستين من حكم «رعمسيس الثاني»، وقد اختفى الاسم الأخير من أسماء هؤلاء الموظفين، بيد أن لقبه قد بقي دالًّا عليه، وهؤلاء الموظفون الثلاثة قد ظلوا إذن أكثر من

ثماني سنين معًا في وظائفهم، وسنورد هنا ترجمة الاستراكا الثانية على الرغم مما أصابها من تهشيم ثم نفسر ما جاء عليها:

السنة السابعة الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم الواحد والعشرون وهو اليوم الذي ذهب فيه مدير الخزانة «ثاي» … (٢) عند إغلاق حجرة الدفن لنداء العمال الذين كُتبت أسماؤهم في القائمة … (وقد أعطى) (٤) أربع عشرة جرة من الشراب لأيدي الـ … (٥) الاثنان والعشرون، وقد ذهب مدير الخزانة لأجل … (في السنة السابعة الشهر الرابع من فصل الصيف. اليوم الثاني عشر من الشهر، وفي هذا اليوم جرت التماثيل المقدسة إلى ملك الوجه القبلي وملك الوجه البحري «بان رع مري آمون» له الحياة والفلاح والصحة إلى مكانها في حضرة الوزير «بانحسي» (٧) (وفي اليوم الثالث عشر من الشهر الرابع) من فصل الصيف، في هذا اليوم ذهب الوزير «بانحسي» ولم يجد عمالًا في حجرة الدفن فقال: فلتُحمل إلى المصنع … قطعتان من الحجر لكي … (٩) وقال: فليؤت بالرؤساء مع … السنة السابعة اليوم الرابع والعشرون، الشهر الرابع من فصل الصيف. وفي هذا اليوم جاء إلى المصنع المشرف «رعمسو محب» والوزير «بانحسي» لكي يضعوا على المنزلق … لوازم التحنيط — اللفافات وغيرها من الأدوات اللازمة لتحنيط الجسم كالعطور ونحوه — الخاصة بالفرعون له الحياة والصحة والعافية في مكانها، وفي اليومين الرابع عشر والخامس عشر … أتى لإغلاق حجرة الدفن … وأمر الوزير «بانحسي» أن يكون العمال بالقرب منها.

النقوش التي على ظهر الاستراكا:

السنة السابعة، اليوم الثالث من الشهر الثاني من فصل الفيضان، وفي هذا اليوم جاء الكاتب «انبو محب» ورئيس الشرطة «نخت مين» وقال رئيس الشرطة (المازوي)

«حورا»: المقابر ... (٣) فلترفع الحراس، ثم قال عن إرسال الفرعون (له الحياة والفلاح والصحة والعافية) مدير الخزانة «مريوبتاح» وكاتب بيت التحنيط «حوى» ... فليذهبا إلى حيث مدخل الوادي لكي يستقبلوا صديق الفرعون (له الحياة والصحة والعافية) (٥) الشهر الثاني من فصل الفيضان. اليوم الرابع عشر، لم يكن قد أتى الوزير «بن سخمت» مع رجال الشرطة فأمر حراس القبور الملكية بالاستمرار في حراستها (٦) إلى أن يعلن قيام رجال الشرطة بذلك، وقد ذهب في اليوم السادس عشر من الشهر الثاني من فصل الفيضان مع الكاتب «حوى» ...

(وبقية المتن مهشم).

وهذا المتن على الرغم مما أصابه من تهشيم يكشف لنا عن عدَّة حقائق غاية في الأهمية؛ فمنه نعلم أن العمل في قبر هذا الملك كان قائمًا على قدم وساق وبخاصة لأنه كان متقدِّمًا في السن؛ وعلى الرغم من ذلك لم يكن في الإمكان إنجازه كما يدل على ذلك غطاء التابوت الخارجي الذي أُنزل في القاعة الخارجية، ولم يتم نقله إلى حجرة الدفن عند موت الفرعون الذي قضى في السنة الثامنة من حكمه على ما يظهر — وقد كانت كل أدوات التحنيط يؤتى بها في مكان خاص بالقرب من القبر حتى تتم عملية التحنيط بجوار مكان الدفن نفسه، كما شرحت ذلك في الجزء الثالث من أعمال الحفر بالجيزة.[٢١١]

والواقع أن آخر تاريخ لدينا على الآثار من حياة هذا الفرعون هو السنة الثامنة اليوم السابع والعشرون من الشهر الثالث من فصل الفيضان كما جاء على ورقة «بلوني» رقم ١٩٠٤ أي بعد ثلاثة وأربعين يومًا من التاريخ الذي نقرؤه على ظهر الاستراكا التي نحن بصددها الآن. وهذا يدل على أن الاستعداد لدفن الملك إذا صح أنه مات في العام الثامن من حكمه كان على وشك الانتهاء.

ويدل المتن من جهة أخرى على أن القائمين بإنجاز ذلك العمل هما الوزير ورئيس المالية وهما أكبر موظفين في الدولة، وكانت حراسة المقابر الملكية في يد الشرطة يتسلمونها من حراس الجبانة، وكان على الوزير كذلك أن يسلم المقبرة لرئيس الشرطة ليحافظ على ما فيها من أثاث ثمين خوفًا من عبث اللصوص بها حتى يأتي يوم دفن الملك فتغلق نهائيًّا.[٢١٢]

وغطاء التابوت الذي وُجد في حجرة الدفن يُعد من أجمل الآثار التي عُثر عليها للفراعنة في هذا العهد في هيئة طغراء (خرطوش)، وعلى هذه الطغراء صور سرير عليه صورة الفرعون مضطجعة ومتقنة النحت إلى درجة ممتازة، ويلبس الفرعون «كوفية» على رأسه يحليها الصل الملكي وذراعاه مطويتان على صدره. أما الجزء الأسفل من الجسم فعلى شكل مومية مزملة بالكتان، وقد رُسم عند رأسه الإلهة «نفتيس» راكعة على علامة الذهب رافعة ذراعيها، ونشاهد عند القدمين الإلهة «إزيس» كذلك على علامة الذهب بجناحين مبسوطين، وعلى كلا جانبي رأس الفرعون صورة الإلهة «ماعت» وعلى بطنه إلهة تحمل قرصين، وفي أسفلَ قاربان للإله «حور»، وبجانب ذلك نجد عدة مناظر ونقوش دينية تشغل سطح الغطاء كله، وقد كُرر فيها ألقاب الملك، ويبلغ طول هذا الغطاء حوالي خمسة وعشرين سنتيمترًا وثلاثة أمتار، وعرضه حوالي متر ونصف، وارتفاعه نحو متر، وقد عُثر في البقايا التي وُجدت في حجرة الدفن على أجزاء من أواني أحشاء مصنوعة من المرمر، وكذلك على بعض أجزاء من التماثيل المجيبة.[٢١٣]

وقد عثر اللورد «كارنرفون» و«كارتر» بالقرب من مدخل هذه المقبرة على أوانٍ هامة من المرمر ذات حجم كبير عليها اسم «مرنبتاح»، وقد كُتب على كثير من منها أسماء محتوياتها.[٢١٤]

(٧-٢) معبد «مرنبتاح» الجنازي

تقع بقايا معبد «مرنبتاح» الجنازي في شمال معبد «أمنحتب الثالث» على حافة الصحراء. والظاهر أنه أقام هذا المعبد على مقربة من معبد «أمنحتب الثالث» عن قصد؛ لأن الفقر الذي كان

ضاربًا أطنابه في البلاد بحالة مزعجة بعد أن أنهكها والده بإقامة مبانيه الضخمة في كل جهات القطر وخارجه؛ جعله يقيم معبده الجنازي في جوار معبد «أمنحتب الثالث» الفخم ليستعمل أحجاره في إقامة معبده، فهشم ما فيه من لوحات وتماثيل، وانتزع أحجاره وأقام بها معبده، وقد ظهر ذلك بصورة مشينة عندما أخذ لوحة «أمنحتب الثالث» العظيمة (راجع مصر القديمة ج٦) واستعمل ظهرها لنقش أنشودة انتصاراته العظيمة التي ذكر فيها مفاخره وما أحرزه من انتصارات على الأعداء وهي اللوحة المعروفة بلوحة بني إسرائيل، ويبلغ ارتفاعها نحو عشر أقدام، وعرضها خمس أقدام. وقد بالغ «مرنبتاح» في إسرافه في استعمال مواد معبد «أمنحتب الثالث» حتى إنه استعمل اللبنات في بناء معبده.

وقد قلد النظام الذي اتخذه والده في بناء معبده الجنازي وهو المعروف باسم الرمسيوم، غير أنه لفقره لم يبلغ به إلا نصف حجم معبد والده. ومن عظات التاريخ وسخرية القدر وانتقامه أن نرى «مرنبتاح» يخرب في معبد «أمنحتب الثالث» ويعبث به إلى هذا الحد، بيد أن ذلك ليس إلا مثلًا سبقه إليه «أمنحتب الثالث» نفسه، إذ قد أظهرت الكشوف الحديثة أنه ارتكب مثل هذه الجريمة مع أسلافه من فراعنة مصر، ولا أدل على ذلك من أن البوابة التي أقامها «أمنحتب الثالث» هذا في معبد الكرنك، وهي المعروفة الآن بالبوابة الثالثة قد حشى داخلها بأحجار معبدين من أجمل المعابد التي خلفها لنا الفراعنة. فالأول: للملك «سنوسرت الأول» أحد فراعنة الأسرة الثانية عشرة، والثاني: للملكة «حتشبسوت» من فراعنة الأسرة الثامنة عشرة (راجع ج٥). وقد وُجد لحسن الحظ معظم أحجارها وأُقيم واحد منها في جهة من الكرنك ثانية، والثاني وشيك أن قام هناك، وهكذا يكون انتقام التاريخ، وسنرى أن ما جناه «رعمسيس الثاني» على آثار غيره من الملوك قد جناه «مرنبتاح» ابنه على آثار والده وجده، وقد كانت هذه هي الحال في كل عصور التاريخ المصري.

ولم يبقَ من معبد «مرنبتاح» إلا بعض أحجار وأكوام من الخرائب. والطريق من مدينة «هابو» إلى معبد الرمسيوم تمر الآن في وسط خرائب هذا المعبد، وقد كان في الأصل يشمل بوابتين أمام

البناء، وقد اختفتا الآن، وخلفهما كانت توجد قاعة ذات ستة عمد على كل من جانبيها، وفي هذه القاعة لوحة «بني إسرائيل» المشهورة، وبعد هذه القاعة يمكن رؤية بقاياها حتى الآن، وخلفها كان الجزء الأصلي للمعبد، وقد كشف عن بقاياه الأستاذ «بتري» عام ١٨٩٦م،[٢١٥] ولم يبقَ لنا منه سوى اللوحة التي اغتصب حجرها من معبد «أمنحتب الثالث» وإلا بقايا تمثالين من الجرانيت الرمادي حفظ لنا في واحد منهما أحسن صورة لهذا الفرعون.[٢١٦] ومن الأشياء التي تلفت النظر في هذا المعبد وجود صهريج كبير خارج المعبد في الجهة الجنوبية يوصل إليه باب من المعبد نفسه.

(٨) آثار «مرنبتاح» الأخرى

رأينا أن نهاية عصر «رعمسيس الثاني» وما تم فيه من عمائر، وما أحدث فيه من فن كان ضئيلًا إلى حدٍّ بعيد! إذا ما قُرن بما أنجز من أعمال ضخمة في باكورة حكمه؛ ولذلك لما تولى ابنه «مرنبتاح» لم يجد إرثًا عظيمًا ينفق منه على إقامة المعابد والقصور كما فعل والده بادئ حكمه، ولذلك كان ما خلفه من مبانٍ عظيمة لا يكاد يذكر، وقد عوض ما فاته في هذا المضمار باغتصابه كل ما حلا في عينيه من آثار أسلافه، ولم يفلت منه والده ولا جده المباشر، وقد اتبع في ذلك طريقة وحشية خشنة تدل على انعدام الروح الفنية عنده وعند أولئك القوم الذين قاموا بتنفيذ تعليماته وخططه؛ فقد رأينا أنهم أخذوا ينقشون اسم «مرنبتاح» على كل أثر جميل بعد محو اسم صاحبه بصورة تزور عنها العين وتشمئز منها النفس، ويعافها الذوق السليم، ويأباها الفن الرفيع والوضيع معًا، فكم من تماثيل جميلة للملوك السالفين قد مُحي اسمها المنقوش نقشًا جميلًا، ثم كتب مكانها بحروف غليظة سمجة فجة اسم الفرعون «مرنبتاح» مما شوه الأثر وأضاع معالمه أحيانًا، وإن كان العلم الحديث قد استطاع إلى حد بعيد في كثير من الأحيان نسبة الآثار إلى أصحابها الأصليين بعد فحص دقيق، وتدل شواهد الأحوال على أن «مرنبتاح» أراد أن يقلد والده العظيم في تخليد ذكره على الآثار في كل مكان بأية طريقة ولذلك نجد اسمه على كل الآثار التي كانت باقية حتى

عهده، فالأثر الذي لم يكن في استطاعته نسبته كله لنفسه كان ينقش اسمه عليه بجانب اسم صاحبه الأصلي أو المغتصب، إذ كثيرًا ما نشاهد والده قد اغتصب أثرًا من ملك سالف أو كتب اسمه عليه وحسب، ثم جاء من بعده «مرنبتاح» فمحا الاسمين ونقش اسمه، أو اكتفى بنقش اسمه وحده، ولذلك لا يدهش الإنسان عندما يرى اسم «مرنبتاح» في كل مكان أثري، وليس من عمل فيه إلا نقش اسمه. وسنذكر هنا الآثار التي قام بصنعها فعلًا، مفصلين القول فيها بقدر المستطاع، كما سننبه إلى الآثار التي اغتصبها من غيره أو اكتفى بكتابة اسمه عليها.

(٨-١) سرابة الخادم

يظهر أن «مرنبتاح» قد قام ببعض النشاط في «شبه جزيرة سيناء» إذ نجد في «سرابة الخادم» مصراع باب عليه اسمه، وكذلك وُجدت بعض الأواني التي عليها طغراؤه.[٢١٧]

(٨-٢) أبو قير

عُثر في هذا المكان على تمثال من الجرانيت الأحمر عليه اسم «مرنبتاح» ولكنه كان في الأصل لوالده «رعمسيس الثاني» وهو محفوظ الآن بالمتحف المصري.[٢١٨]

(٨-٣) الإسكندرية

وبالقرب من عمود السواري وُجد الجزء الأعلى لتمثال من الجرانيت الأسود عليه اسم «مرنبتاح»، ودل البحث على أنه اغتصبه من «سنوسرت الأول» أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة، أما الرأس فقد عُثر عليه في الحي الغربي.[٢١٩]

(٨-٤) تانيس

لم يترك «مرنبتاح» في هذه العاصمة الدينية الكبرى من الأعمال الأصلية إلا تمثالين من الجرانيت.[٢٢٠] أما ما اغتصبه من الآثار من سلفه في هذا البلد فكثير، نذكر منه ما يأتي:

أولًا: تمثال «بو الهول»، وهو محفوظ الآن «باللوفر» (S. 23) نُقش عليه اسم «مرنبتاح» على الصدر والكتف، ويرجع عهده إلى الدولة الوسطى، وكان قد اغتصبه من قبل «سيتي الأول» فكتب اسمه على قاعدته وكتفه،[٢٢١] وكذلك كتب اسمه على تمثال يمثل «بو الهول» وهو الآن «بمتحف القاهرة»، وقد نقش «سيآمون» على كتف التمثال الأيسر اسمه، كما كتب «سيتي الأول» اسمه على القاعدة.[٢٢٢]

ثانيًا: ثلاثة تماثيل نقش عليها «مرنبتاح» اسمه، وكلها مغتصبة من «سنوسرت الأول» واحد منها في «برلين» والآخران «بمتحف القاهرة» وكلها من الجرانيت الأسود.[٢٢٣] وكذلك وجد له في «صان الحجر» قاعدة تمثال ضخم من الجرانيت الرمادي جالس اغتصبه من «سنوسرت الأول».[٢٢٤]

ووجدت له قطعة من الحجر عليها اسمه، وقد استعملها ثانية «سيآمون» في محرابه الذي أقامه في «صان الحجر»،[٢٢٥] ووجد له تمثال في «تانيس» أيضًا،[٢٢٦] وكذلك قاعدة تمثال وقطع صغيرة من مجموعة تماثيل تمثل «مرنبتاح» بين الإله «بتاح» وإلهة،[٢٢٧] وأخيرًا وُجد له قطعة جرانيت باسمه مثل فيها وهو يتعبد أمام الإله «نفرتم» وأمام الإله «حور» الممثل برأس صقر.[٢٢٨]

(٨-٥) نبيشه

وفي «نبيشه» وُجد له أثر فريد في بابه وهو عمود من الجرانيت الأحمر ليس له تاج، ولكن على سطح قمته الأسطواني المنبسط يقف صقر يحمي صورة الفرعون الراكع، ويمكن قرن هذا الأثر بالأعلام التي على دعامات منصوبة على كلا جانبي التماثيل، والظاهر أنه دعامة ضخمة من هذا النوع نصب في هذا المعبد.[٢٢٩]

(٨-٦) تل بسطة

لم يُعثر للملك «مرنبتاح» في هذه البلدة إلا على قطع من تمثال جالس مصنوع من الحجر الجيري الأبيض ومعه ابنه «سيتي مرنبتاح» الذي أصبح فيما بعد «سيتي الثاني» وقد عُثر عليها في المعبد في قاعة «نخت حر حب» (نقطانب) في الجانب الشمالي من المدخل، وهذه القطع محفوظة الآن «بالمتحف المصري».[٢٣٠]

(٨-٧) تل الربع: (منديس)

وهي عاصمة المقاطعة السادسة عشرة من مقاطعات الوجه البحري، وجد فيها قطع ودائع أساس باسم «مرنبتاح».[٢٣١]

(٨-٨) تل المقدام

عُثر في هذا التل على الجزء الأسفل لتمثال من عهد الدولة الوسطى اغتصبه لنفسه «مرنبتاح» بعد أن كان قد اغتصبه «نحسي» أحد ملوك الأسرة الثالثة عشرة، وهو الآن «بالمتحف المصري» ويرجع عهده إلى الأسرة الثانية عشرة.[٢٣٢]

(٨-٩) تل أم حرب (أو تل مصطاي: بالقرب من محطة «قويسنا» (مديرية المنوفية))

وُجد في هذه القرية بقايا معبد من العهد المتأخر، وقد استُعملت في بنائه أحجار من معبد قديم كما تدل على ذلك الأحجار التي وُجدت منه باسم «رعمسيس الثاني» وكذلك باسم ابنه «مرنبتاح»، فقد جاء ذكره على ثلاث قطع مختلفة، وقد جاء ذكره مع والده مرتين، وربما يدل على ذلك أنهما كانا مشتركين في الملك غير أن ذلك لم يثبت بعد. (راجع A. S. XI p. 165 ff).

(٩) كفر متبول (مركز كفر الشيخ)

يُوجد في قلب هذه القرية مجموعتان من التماثيل، ملقاتان على الأرض تمثل كل منهما الملك «مرنبتاح» واقفًا على قاعدة وبجانبه إله واقف أيضًا ويبلغ ارتفاع كبراهما حوالي خمسة وسبعين

سنتيمترًا ومترين، وعرضها حوالي متر واثنين وعشرين سنتيمترًا ١,٢٢، ولا يقل وزن كل منهما عن اثني عشر طنًّا، وقد كان أول من رآهما وكتب عنهما «أحمد بك كمال» عام ١٨٩٣م، وقد زار المكان الأثري «جوتييه» عام ١٩٢٢م ونقل نقوشهما ثانية ووصفهما، فقال عن المجموعة الكبيرة إنها ملقاة على الأرض على ظهرها، وإن الكتابة التي على الظهر لم يكن في استطاعته مراجعتها بدقة، ويظهر فيها الفرعون على اليمين مرتديًا «الكوفية» وقرص الشمس المحلى بالصل يعلوه عقاب منتشر الجناحين، وذراعه اليمنى مطوية على صدره، ويقبض بيده على رمز من رموز الملك لم تمكن رؤيته، على حين أن الذراع اليسرى مرسلة على فخذه، ويقبض على جريدة نخل، وهي رمز السنين العدة التي حباه بها الإله، وقد كُتب عليها نقش يدل على كثرة الأعياد الثلاثينية للملك في سلام ... الخ، وعلى سرة الفرعون نُقش طغراؤه، وعلى يمينه الإله «رع» برأس إنسان، ولباس رأسه مثل لباس رأس الملك وعلى ظهر المجموعة كُتبت ستة أسطر، مقسمة قسمين أعلى كل منهما مجموعة آلهة، ظهر كل منهما للأخرى، وفي كل مجموعة ترى الإله «رع» أو «آتوم» جالسًا يقدم رمز الحياة «لحور» الذي يمثل الملك، والنقوش تحتوي على الصيغ العادية، والألقاب الفرعونية لهذا الملك. أما المجموعة الثانية فأقل حجمًا من السابقة وهي ملقاة على الأرض بظهرها.

والظاهر أن الملك هو الذي على اليسار والإله على اليمين، وتدل شواهد الأحوال على أنهما ممثلان من حيث الملابس والشكل على نمط صور الفراعنة، ويلفت النظر في نقوش هذين التمثالين ظهور الاسم الحوري للفرعون بصورة جديدة لم تكن معروفة من قبل وهو المفيد «لرع» أو المفيد «لآتوم» وقد جاء في هذا المتن خلافًا للألقاب الفرعونية الصيغة الآتية:

إني أمنحك الأراضي الأجنبية تحت سلطان الخوف منك كل يوم.[٢٣٣]

(٩-١) بلبيس

وعُثر على قطعة من الجرانيت الأحمر منقوش عليها اسمه في «بلبيس».[٢٣٤]

(٩-٢) تل اليهودية

وفي «تل اليهودية» وُجد «لمرنبتاح» عمود عليه اسمه في المعبد الذي أقامه «رعمسيس الثاني» وهو مهدم الآن.[٢٣٥]

(٩-٣) هليوبوليس

وُجد في «هيلوبوليس» مجموعة تماثيل تمثل «رعمسيس الثاني» وابنه «مرنبتاح» والإله «أوزير».[٢٣٦]

(٩-٤) عرب الأطاولة

وُجد في «عرب الأطاولة» جبانة للعجول المقدسة عُثر فيها على تابوت للعجل «منفيس» مؤرخ بعهد «مرنبتاح» وهو محفوظ الآن «بمتحف بروكسل». (راجع Speelers. Rec. Des. Insc. Egypt p. 66 (277) and Porter and Moss IV p. 59).

(٩-٥) قها

عثر «دراسي» على قطعتين من مسلة باسم الفرعون «مرنبتاح» وهما محفوظتان الآن «بالمتحف المصري» ويبلغ طولهما نحو ستة أمتار تقريبًا، والنقوش التي عليهما تدل على كبرياء «مرنبتاح» وتشبهه بالإله «آتوم».[٢٣٧]

(٩-٦) أتر النبي

في عام ١٩٢٩ كشف «حمزة» بك عن تمثال مهشم للملك «مرنبتاح» لم يتبقَّ منه إلا الجزء الأسفل، ويمثل الفرعون راكعًا، قابضًا بين يديه على محراب صغير في داخله تمثال الإله «رع

حور» برأس صقر، وعلى رأسه تاج مؤلف من قرص الشمس يكنفه ريشتان ويستند على قرنين، وعلى قمة المحراب صورة جعل مجسم يرمز به لإله الشمس «خبرى». وتدل تفاصيل قميص الفرعون وتفاصيل نعليه على فن جميل، ويبلغ طول التمثال حوالي متر، ومساحة قاعدته (٠,٣٣ × ٠,٥٧٥ مترًا) وقد كتب على واجهة المحراب لقبه الحوري وهو: «حور الثور القوي المبتهج بالعدالة»، ونُقش كذلك على مصراع المحراب الأيسر ألقابه المعروفة وهي: «المنسوب للإلهتين المشرق مثل «بتاح» في مقر مئات آلاف السنين، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «بان رع مري نترو» (روح «رع» محبوب الآلهة) ابن «رع» «مرنبتاح» «حتب حرماعت» (محبوب «بتاح» المنشرح بالعدالة) محبوب «حعبي» (النيل) والد الآلهة.»

وعلى المصراع الأيمن نجد لقب «حور» الذهبي للفرعون، وهو: «حور الذهبي الذي يجعل مصر عظيمة …» — وهذا اللقب الخاص بحور الذهبي ليس له نظير في النقوش التي كشف عنها حتى الآن — ملك الوجه البحري … الخ.

وعلى الجانب الأيسر للمحراب نُقشت طغراء الفرعون يسبقها بعض نعوته. وعلى جانب المحراب الأيمن نقوش تماثل التي على الجانب الأيسر. وكذلك على ظهر العمود الذي يرتكز عليه تمثال الفرعون نُقشت طغراؤه وألقاب مماثلة.

وحول القاعدة نقش:

ملك الوجه القبلي والوجه البحري، والده «حعبي» (النيل) محبوب الآلهة … الخ.

وعلى قمة المحراب جعل كبير مجسم وهو رمز إله الشمس «خبرى» يكنفه طغراءان، والمهم في ذلك كله هو صورة الجعل الذي على قمة المحراب، وصورة الإله «رع حور» التي في داخله؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى المكان الذي وُجد فيه هذا التمثال الممثل بهذه الصورة الغريبة في بابها.

وإذا فحصنا عن هيئة التمثال والصورة الداخلية للمحراب والجعران الذي على قمته اتضح لنا جليًّا أن «مرنبتاح» كان قد قدمه في معبد من معابد الشمس، ولا بد أن المكان الذي وجد فيه وهو «أتر النبي» هو موضعه الأصلي؛ وتحتم شواهد الأحوال وجود معبد في هذا المكان للإله «آتوم» أقدم الآلهة الشمسية في منطقة «عين شمس»، وهذا الإله كان يوحد بإله الشمس «رع حور» الذي وُجدت صورته في قلب المحراب.

وقد حدث أن الأستاذ «جولنشف» زار هذا الموقع الذي وجد بجواره التمثال عام ١٨٨٩م، ورأى في مكان «الجنابية» القريبة من سكة الحديد بالقرب من المكان الذي وجد فيه التمثال بقايا لتمثال «بو لهول» بدون رأس (وبو لهول هو رمز الشمس) من الجرانيت الأحمر؛ وعليه طغراء الملك «أحمس الثاني» أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين كما وُجد كذلك قطع من الحجر الجيري عليها نقوش في نفس الجهة، وقد قال عنها ما يأتي: «وكل هذه البقايا الأثرية الخاصة بمبنًى قديم قد وُجدت عند سفح تلٍّ صخري ذي نتوء متجه نحو وادي النيل، ولا بد أن هذا المبنى القديم كان يستند على هذا النتوء، بل من الجائز أن هذا النتوء الصخري كان يؤلف جزءًا من المعبد الذي كان فيه تمثال «بو لهول» وقطع الأحجار الجيرية السالفة الذكر.»

وتدل الظواهر على أن الموقع الذي يحتله هذا المعبد القديم بالنسبة لمدينة «منف» هو «خرعحا» (أي مصر القديمة). هذا بالإضافة إلى أن هذا المعبد يحتمل أنه كان قد أُقيم عند «سفح التل» وقطع في جزء منه، وقد أوحى موقع هذا المكان بالرجوع إلى الفقرة التي جاءت في لوحة «بعنخي» الأثيوبي الأصل التي يذكر لنا فيها هذا الفاتح الحوادث التالية بعد استيلائه على «منف»:

> وعندما أشرقت الأرض استأنف جلالته المسير شرقًا في الصباح المبكر، وقدم قربانًا «لآتوم» صاحب «خرعحا» وتاسوع «بربسزت» وكهف الآلهة الذين كانوا فيها.[٢٣٨] ثم

تقدم جلالته نحو «هليوبوليس» على جبل «خرعحا» على طريق «سب» حتى مدينة «خرعحا».

والواقع أن كشف هذا التمثال في «أتر النبي» في المكان الذي عثر فيه «جولنشف» على الآثار التي ذكرناها قد ألقى بعض الضوء على مكان المعبد الذي زاره «بعنخي» وهو الذي زخرفه فيما بعد الفرعون «أحمس الثاني»، وبعبارة أخرى يمكن أن نقول إن «أتر النبي» هو موقع «خرعحا» القديمة على وجه التأكيد؛ وكذلك معبد «بربسزت» حيث كانت معابد «آتوم» والتاسوع، وكذلك مكان الكهف. ولا نزاع في أن المحراب الذي يشمل في داخله صورة الإله «رع حور» وصورة الإله «خبرى» رمز الإله «رع» على قمته يجعل من الواضح أننا أمام موقع معبد لإله الشمس قد أهدى له التمثال الذي نحن بصدده الآن، وأن هذا المعبد هو كما ذكرنا معبد «آتوم» الذي زاره «بعنخي». وتدل الأحوال على أن معبدي «خرعحا» و«بربسزت» كانا موجودين قبل عهد «مرنبتاح»، كما تدل على ذلك لوحة «رعمسيس الثاني» المؤرخة بالسنة الثامنة من حكمه (راجع مصر القديمة ج٦). وقد جاء فيها: إن «رعمسيس» كان يتنزه في صحراء «هليوبوليس» جنوبي معبد «رع» وشمالي معبد التاسوع، وأمام معبد «حتحور» سيدة الجبل الأحمر. ولهذه التوضيحات الجغرافية أهمية عظيمة؛ لأنها تحدد لنا مكان معبد التاسوع بالنسبة لمعبد «رع» في «هليوبوليس». إذ تدل على ما يظهر على أن «رعمسيس» كان يتنزه في طريق هام معروف يربط «هليوبوليس» ببلاد المقاطعة الهليوبوليتية على الشاطئ الشرقي للنيل بما في ذلك «خرعحا» و«بربسزت» وهما اللذان زارهما «بعنخي».

والطريق التي ذُكرت في لوحة «رعمسيس الثاني» تقع بين «هليوبوليس» في الشمال، و«خرعحا» و«بربسزت» في الجنوب. والظاهر أنه كانت توجد طريق مقدسة تخترق الصحراء، وتربط هذه المدن التابعة لمقاطعة «هليوبوليس» بعضها بالبعض الآخر. وتذكر لنا اللوحة اسم هذه الطريق «طريق سب» إلى «خرعحا» (راجع ما كتبه حمزة بك عن هذا الطريق A. S.

XXXVII p. 240 f). وبهذه المناسبة نذكر أن «مرنبتاح» قد أقام معبدًا في «هليوبوليس» نفسها يُدعى مقام «مرنبتاح حتب حرماعت في بيت رغ»، وهذا المعبد لم يأتِ ذكره إلا في ورقة «فلبور» ص٢٨، كما لم يأتِ ذكره على أي أثر آخر. أما «بحنو» الذي ذُكر اسمه مع ضياع هذا المعبد فهو مالك الأطيان التي جاء ذكرها في الصفحات ٢٨، ١٣، ٣١. (راجع Wilbour Papyrus Vol II p. 137 No 79.)

(٩-٧) منف

أقام «مرنبتاح» معبدًا لا تزال بقاياه في «كوم القلعة»[٢٣٩] وقد عثر «كوبيل» منه على عتب باب، [٢٤٠] وقد استعمل «مرنبتاح» في إقامته أحجارًا من الأسرة الخامسة؛ وكذلك من آثار أخيه «خعمواست».[٢٤١]

هذا وقد نقش اسمه على جدران معبد «ميت رهينة»[٢٤٢] كما ذكر ألقابه المعروفة ونقش اسمه على عمود في نفس البناء الذي أقامه «أمنمحات الثالث» وله قاعدة تمثال محفوظة الآن بمتحف «فرانكفورت» وُجدت في هذه الجهة.[٢٤٣]

(٩-٨) قصر مرنبتاح

وقد كُشف له عن بقايا قصر شرقي المعبد السالف الذكر. عُثر على بعض بقاياه في «كوم القلعة» وكان أول من كشف عن هذا القصر الأثري «إدجار».[٢٤٤] وقد جاء كشفه عفوًا على يد بعض العمال الذين كانوا يستخرجون السماد من هذه الجهة عام ١٩١٤م، إذ عثر على بعض قطع منحوتة في الحجر الجيري الأبيض، وقد قام «إدجار» ببعض الحفائر في هذا المكان أدَّت إلى كشف قاعة كبيرة مؤدية إلى أخرى، وقد وجد على مصاريع الأبواب اسم الفرعون «مرنبتاح»، وكان أول شيء لفت نظر الكاشف في هذه الأحجار أن الرموز الهيروغليفية التي عليها كانت مرصعة بالخزف الأخضر على الأحجار، وهذه الصناعة الغريبة تعيد إلى الذاكرة زخرفة حجرات

«رعمسيس الثالث» في مدينة «هابو» و«تل اليهودية» كما سنتحدث عن ذلك بعد، ومن ثم استنبط «إدجار» أن هذه الأحجار تدل على وجود قصر «لمرنبتاح»، وهذا القصر يقع فعلًا في الجنوب الشرقي من معبده الذي كشف عنه «بتري» في «ميت رهينة» عام ١٩٠٩، وقد كشف «إدجار» عن الباب الأصلي الواقع في الجهة الشمالية، ووجد في كل من الجدارين الجانبيين بابًا صغيرًا يؤدي إلى قاعة. وجدران هذا القصر من اللبن كما هي العادة في المباني الدنيوية، ولا يزال بعضها باقيًا حتى الآن. وتدل شواهد الأحوال على أنها كانت كلها ملونة، بيد أن الرطوبة قد طغت عليها، وكذلك كانت رقعة القاعة الرئيسية مكسوة بالحجر الجيري الأبيض، وكان ارتفاع سقفها حوالي خمسة أمتار ونصف متر، وكل نقوش العمد كانت مرصعة بالزخارف، على حين أن الصور التي كانت على قواعدها محفورة في نفس الحجر وملونة بالأزرق، وكان في وسط كل عمود صورة للفرعون محفورة حفرًا بارزًا تمثله وهو خارج من قصره، وتنحصر أهمية هذا الكشف أولًا في أنه قصر ملكي، وثانيًا في أن كل الزخرف الذي زينت به العمد والأبواب مرصع بالخزف بكمية وفيرة.

وقد قام الأستاذ «فشر» بالكشف النهائي عن كل هذا القصر، فكشف عن البوابة الجنوبية، وعلى جدرانها يُشاهَد الفرعون «مرنبتاح» يتقبل علامة العيد الثلاثيني من الإله «بتاح».[٢٤٥]

وقد وُجد في هذا القصر لوحة تذكارية لكاهن الإله «بتاح» المسمى «معي». وفي قاعة العرش نشاهد السدة الملكية محلاة بمناظر تمثل بعض الأجانب،[٢٤٦] وكذلك وُجدت فيه بعض وحدات للموازين.[٢٤٧]

ومن المحتمل أن معبد «مرنبتاح» أو قصره هو الذي أشير إليه في ورقة «فلبور».[٢٤٨]

(٩-٩) أهناسية المدينة

وُجد في معبد الإله «حرشف» (حرسفيس) «بأهناسيا المدينة» بعض عمد من الجرانيت الأحمر من عهد الأسرة الثانية عشرة، وقد استعملها «رعمسيس الثاني»، وابنه «مرنبتاح» في مبانيهما.[٢٤٩]

(٩-١٠) كوم العقارب

وفي «كوم العقارب» القريبة من «أهناسيا المدينة» يوجد تمثالان ضخمان «لرعمسيس الثاني»، وقد كتب «مرنبتاح» اسمه على أصغرهما حجمًا، ويرجع عهده إلى الأسرة الثانية عشرة، ويبلغ طوله ٣٫١٧ مترًا، ويزن حوالي ٢٨٠٠ كجم، وهذان التمثالان قد أُقيما في معبد بُني في هذه الجهة، وهما الآن في «المتحف المصري»، والظاهر أنهما كانا في الأصل للفرعون «سنوسرت الثالث» وعلى الرغم من بعض التشويه الذي أصابهما فإنهما يُعدَّان من القطع الفنية التي تمثل الفن المصري في عهد الدولة الوسطى في الأسرة الثانية عشرة.[٢٥٠]

(٩-١١) الأشمونين

في عام ١٩٠١ عثر «شعبان أفندي» مفتش الآثار على تمثال للفرعون «مرنبتاح»، وقد صُوِّر على جانبه الأيسر صورة الأمير «سيتي مرنبتاح». ومعه الألقاب التالية: الأمير الوراثي، رئيس الأرضين، وكاتب الملك، وقائد الجيش الأعظم، بكر الملك المسمى «سيتي مرنبتاح». وهذه هي الألقاب التي كان يحلها ولي العهد في ذلك العصر، وقد خلف والده على عرش الملك، والتمثال نفسه ممثل واقفًا على قاعدة في هيئة ◡ «حب» وهي رمز العيد، ويلبس جلد الفهد، ويقبض في كل من يديه على إضمامة نقرأ على سمكها اسم «مرنبتاح»، وقد كُتب على قميصه: «يعيش الإله الطيب الذي يقيم الآثار، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «مرنبتاح» بن «رع» «حتب حر ماعت مري آمون» محبوب «تحوت».» وعلى ظهر العمود الذي يرتكز عليه التمثال نُقش سطران عموديان وهما: (١) «حور الثور القوي» — ويُلاحظ هنا أن كلمة «ثور» معناها «السيد

الشديد البأس» وهذا المعنى معروف في العربية. الذي يبتهج بالعدالة، وهي التي أعطاكها «رع» قربانًا، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «بان رع»، محبوب الآلهة ابن «رع»، وسيد التيجان «حتب حرماعت»، محبوب «آمون» رب الأشمونين. (٢) حور الثور القوي الذي يبتهج بالعدل: إني أمنحك مكان صدق «رع» بوصفك ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين «بان رع»، محبوب «آمون» ابن الشمس الخ. والظاهر أن «رعمسيس الثاني» كان يشعر بأنه سيُعامَل بمثل ما عامل الآخرين من اغتصاب آثاره، فنقش اسمه على رقعة قاعدة التمثال من أسفل حتى يظل اسمه باقيًا، وهكذا نرى أن الغاصب كان ابنه من صلبه.

وقد عُثر على هذا التمثال أمام المعبد الذي كشف عنه فيما بعد «شعبان أفندي»، وتدل النقوش التي عليه على أنه كان قد اشترك في بنائه عدد من ملوك الأسرة التاسعة عشرة.

وعلى واجهة المعبد من الجهة اليمنى الشمالية نشاهد «مرنبتاح» يقدم القربان للإله «تحوت» ولستة آلهة آخرين، وأسفل ذلك نقش طويل يشمل دعاء من الملك للإله «تحوت» رب «الأشمونين» وللآلهة الأخرى الذين معه، وقد عدَّد فيه القرابين التي قر بها لهم كما ذكر فيه مناقب الإله «تحوت» وصفاته.[٢٥١]

وفي هذه الجهة وُجدت كذلك قطعة من الحجر عليها بقايا اسم «مرنبتاح».[٢٥٢]

(٩-١٢) محاجر تل العمارنة

وُجد اسم «مرنبتاح» على محاجر «تل العمارنة».[٢٥٣]

(٩-١٣) السريرية

نحت الفرعون «مرنبتاح» محرابًا للإلهة «حتحور» في الصخور في هذه الجهة.[٢٥٤] ويُشاهَد على أحد جانبي المدخل لهذا المحراب الملك، وعلى الجانب الآخر الإله «أوزير».[٢٥٥] وعلى الجدار

الأيسر للقاعة ثلاثة مناظر يُشاهَد فيها الملك والملكة (مهمشة) أمام إله وإلهة، وأمام «حتحور» وأخيرًا أمام «آمون رع». وكذلك نشاهد طغراء «سيتي الثاني» أسفله، وفي الجدار الخلفي ثلاثة تماثيل للملك والملكة و«حتحور»، وعلى الجدار الأيمن للقاعة نفسها يرى الملك وهو يقدم خبزًا للإله «أنوبيس» وصاحبها للإلهة «حتحور» ورمز العيد الثلاثيني للإله «بتاح».[٢٥٦]

(٩-١٤) العرابة المدفونة

وُجد لهذا الفرعون ثلاثة تماثيل أوزيرية الشكل، وقد ترك منها «مريت» اثنين في مكانهما، وواحد منهما بدون رأس محفوظ «بالمتحف المصري»[٢٥٧] وقد أصلح «مرنبتاح» على يد كل من «أحمس» كاهن أوزير، و«يويو» الكاهن الأول لأوزير تمثال صقر «لأمنحتب الثاني» كان قد أهداه «أمنحتب» لهذا الإله (راجع ج٦).

(٩-١٥) طوخ (نبت)

يُوجد في هذه البلدة معبد للإله «ست» يرجع تاريخه إلى عهد الأسرة الثامنة عشرة، وقد أعاد بناءه «رعمسيس الثاني»، ولكنه الآن مهدم، وقد وُجد على بوابة «رعمسيس الثاني» نقش مُؤرَّخ بالسنة الخامسة من عهد «مرنبتاح».[٢٥٨]

(٩-١٦) معبد الأوزريون

(راجع مصر القديمة ج٦): تحدثنا عن هذا المبنى العجيب في الجزء السادس، وقلنا إن معظم النقوش فيه ترجع إلى عهد «مرنبتاح»، وتحوي فصولًا من كتاب البوابات، وكتاب ما في العالم السفلي، و«كتاب الموتى».

وقد نُقش على الجدار الغربي كتاب البوابات، وهو في الواقع رواية أخرى للنقوش التي على تابوت الفرعون «سيتي الأول» المحفوظ الآن «بمتحف ساوون». والواقع أن كل النقوش التي على هذا

الضريح قد قام بها «مرنبتاح» إلا نقوش الحجرة الداخلية، ولا نزاع في أن هذا المبنى كما ذكرنا قد وضع تصميمه الفرعون «سيتي الأول» ليكون ضريحًا له.[٢٥٩]

(٩-١٧) معبد سيتي

وفي معبد «سيتي» في الجزء الذي أقامه «رعمسيس الثاني» نجد في القاعة الأولى منظرًا يمثل موكبًا يسير فيه أولاد «رعمسيس الثاني»، وتحته متن باسم «مرنبتاح»،[٢٦٠] وعند مدخل باب هذه القاعة نجد بقايا متن على عتب وألقاب الفرعون على سمك المدخل الأيسر.[٢٦١]

(٩-١٨) دندرة

يوجد في الجهة الغربية من معبد «دندرة» القديم محراب صغير للإلهة «حتحور» سيدة «ايونت» (دندرة) أقامه الفرعون «منتوحتب الثاني» أحد ملوك الأسرة الحادية عشرة، وهذا المحراب يشمل حجرة صغيرة تبلغ مساحتها مترين وعشرين سنتيمترًا طولًا في مترين وخمسة وأربعين سنتيمترًا عرضًا. وبابها نحو الشرق، وكل نقوشها الداخلية من عهد «منتوحتب»، وتقدم لنا مثالًا رائعًا عن جمال الفن في عهد الأسرة الحادية عشرة (راجع مصر القديمة ج٣)، وقد أضاف «مرنبتاح» نقوشًا باسمه على مدخل هذا المحراب، وغير بعض الشيء أبعاده الأصلية، إذ نلحظ من الأحجار التي نقشها «منتوحتب» أن هذا المحراب في الأصل كان لا يزيد عرضه عن ١,٣٢ مترًا، وطوله ١,٨٠ مترًا، وبقية الأبعاد نقشها «مرنبتاح» بنقوش غائرة، غير أنها على ما يظهر لم تبقَ في مكانها، أو انتزعت منه.[٢٦٢] والنقوش الباقية «لمرنبتاح» تشمل اسمه وألقابه وإهداء بابه للإلهة «حتحور» سيدة «دندرة» وربة السماء وسيدة الأرضين.

(٩-١٩) المدمود

عُثر في معبد «المدمود» على قطع من الحجر الرملي وعليها اسم «مرنبتاح».[٢٦٣]

(٩-٢٠) «طيبة» (الكرنك) معبد منتو

وُجد طغراء «مرنبتاح» وبقايا تاريخ على الجدار الخلفي لمعبد «منتو» بالكرنك،[٢٦٤] وكذلك كُتب اسمه على مسلة «تحتمس الأول» الشمالية.[٢٦٥]

وفي الجزء الأوسط من معبد الكرنك نجد «مرنبتاح» مصورًا في صفين يقدم الأزهار «لآمون» و«امنت»، وكذلك أمام «آمون رع».

ووُجد لهذا الفرعون تمثال راكع في قاعة الأعياد التي أقامها «تحتمس الثالث».[٢٦٦]

وفي خبيئة «الكرنك» وُجد له تمثال من الجرانيت الأسود يبلغ ارتفاعه مترًا وخمسة وثلاثين سنتيمترًا، وهذا التمثال صناعته متقنة جدًّا إلا أنه مُثل في صورة جامدة خالية من الرشاقة، وتدل نقوشه على أن الفرعون كان قد أهداه إلى الإله «آمون» ملك الآلهة عندما ذهب ليرى والده الذي يحبه في السنة الثانية من حكمه.[٢٦٧]

(٩-٢١) الأقصر

نقش «مرنبتاح» اسمه في معبد الأقصر،[٢٦٨] وكذلك وُجد له خارج قاعة «رعمسيس الثاني» تمثالان جالسان على كلا جانبي الباب الشرقي، هما الآن في «نيويورك» بمتحف «متروبوليتان».[٢٦٩]

(٩-٢٢) معبد الدير البحري

وفي معبد الدير البحري وُجد لهذا الفرعون الجزء الأسفل لمتن مؤرخ بالسنة الثالثة من حكمه في قاعة العمد العلوية،[٢٧٠] وفي معبد الفرعون «سبتاح» وُجدت نقوش باسم «مرنبتاح» على آنية مؤرخة بالسنتين الثالثة والرابعة من حكمه.[٢٧١]

وبالقرب من معبد «الرمسيوم» وُجد «لمرنبتاح» تمثال في حفرة وهو الآن «بمتحف القاهرة».[٢٧٢]

وفي معبد مدينة «هابو» نشاهد له متنًا خارج المحراب مؤرخًا بالسنة الثانية من عهده.[٢٧٣]

(٩-٢٣) أرمنت

كانت علاقة «مرنبتاح» «بأرمنت» ومعبدها وثيقة، فقد أصلح سلسلة التماثيل الأوزيرية الشكل التي وُجدت في ردهات المعبد، كما أضاف اسمه على البرج.

ومن الطريف أن «مرنبتاح» محا اسم والده الذي كان على نقوش بوابة معبد «أرمنت» ووضع مكانها اسمه، غير أن طريقة المحو التي اتبعها كانت غير متقنة؛ إذ وضع طبقة من الجص فوق اسم والده، ثم كتب اسمه عليها، ولكن الجص سقط، وظهر اسم «رعمسيس الثاني» ثانية.[٢٧٤]

(٩-٢٤) السلسلة

نحت «مرنبتاح» لنفسه محرابًا في صخر السلسلة،[٢٧٥] ويُعد هذا المحراب من الآثار الهامة التي تركها لنا «مرنبتاح»، ويحتوي على كوة واسعة مرتفعة مقطوعة في الصخر، وفي نهاية هذه الكوة لوحة كبيرة مُثل على جانبيها سلسلة آلهة، وعلى جانبي المدخل عمود رشيق المنظر، وقد حلى أعلى المحراب «كورنيش»، ولا تزال بقايا ألوانه الزاهية التي كانت تحليه ظاهرة بعض الشيء حتى الآن. وعلى قمة اللوحة التي في هذا المحراب يُشاهد «مرنبتاح» يتعبد لثالوث «طيبة» وهم «آمون» و«موت» و«خنسو»، ولثالوث آخر من «حرمخيس» و«بتاح» و«حعبي» (النيل). وقد أُرِّخ هذا المحراب بالسنة الأولى من حكم هذا الفرعون في متن أنشودة للنيل، أُشير فيها إلى تأسيس عيد للنيل يقدم له فيها قرابين كثيرة، أصدر بها الفرعون أمرًا خاصًّا، وعلى الجدار الشمالي نشاهد أربعة صفوف من الصور الإلهية، ففي الصف الأول يظهر الملك

مقدمًا القربان «لأوزير» و«إزيس» و«رعمسيس الثاني»، وفي الصف الثاني يقرب القربان للإله «سبك» رب «أمبوس» وإلهة، وإلى «حور»، وفي الصف الثالث يقدِّم للإله «سبك» رب «السلسلة» و«حتحور» وإلهتين أخريين، وفي الصف الرابع نشاهد صورتين للإله «حعبي» (النيل).

وعلى الجدار الجنوبي نشاهد في الصف الأعلى الملك يقرب القربان «لرعمسيس الثاني» ولإلهين، وفي الصف الثاني يقرب للآلهة «أنحور» و«تفنوت» و«جب»، وفي الصف الثالث تقدم الملكة «است نفرت» للآلهة «تاورت» و«تحوت» و«نوت»، وفي الصف الرابع نشاهد صورتين لإله النيل «حعبي» ثانية.

وبين هذا المحراب والمحراب الذي يليه نُحتت لوحة صغيرة أخرى نشاهد عليها «مرنبتاح» يقدم صورة العدالة للإله «آمون رع». وخلف الفرعون ترى صورتين لعظيمين من كبار رجال دولته، أحدهما «بانحسي» وزيره المعروف.[٢٧٦]

وكذلك توجد لوحة لهذا الفرعون منحوتة في الصخر، يُشاهد فيها يتبعه «رومع روى» الكاهن الأول «لآمون» أمام الإله «آمون رع».[٢٧٧]

(٩-٢٥) أسوان

شُوهد تمثال ضخم من الجرانيت الأحمر يمثل «أوزير» بالقرب من معبد «الفيلة»، وكذلك وُجد متن فيه طغراء «مرنبتاح» يحتمل أنه قطعة من ظهر التمثال السالف الذكر.[٢٧٨]

(٩-٢٦) بلاد النوبة

يدل ما لدينا من كشوف حتى الآن على أن «مرنبتاح» لم يكن له نشاط كبير في بلاد النوبة، وكل ما وُجد له حتى الآن نقش على جدران مدخل معبد «أمدا» يتألف من ثلاثة عشر سطرًا، تشير إلى

حملة قام بها هذا الفرعون على هذه البلاد. (راجع Rec. Trav XVIII p. 195).

(٩-٢٧) عمارة غرب

تقع بلدة «عمارة غرب» على الشاطئ الأيسر للنيل، على مسافة ١١٥ كجم جنوبي «وادي حلفا»، وقد وُجد فيها بقايا بلدة قديمة من عهد الدولة الحديثة، وتقع على تل عظيم بالقرب من النهر، وقد كُشف فيها عن معبد بقي من جدرانه الأجزاء الخارجية، وقد زُينت بالنقوش والمناظر، فنشاهد عليها صورة الإله «آمون رع» و«حور» و«مين» و«بتاح» و«رعمسيس الثاني». أما داخل المعبد فقد كان أحسن حفظًا من خارجه، إذ إن كل الصف الأسفل من النقوش محفوظ، وفي كثير من الأماكن بقيت ألوان الأشكال الأصلية محفوظة، ولم تُشوه الصور بيد أن الزمن قد عدا عليها، ومدخل هذا المعبد الرئيسي من الشمال. ونشاهد على نهاية الجدار الجنوبي للبوابة نقشًا أُرخ بالسنة السادسة من عهد «مرنبتاح»، ويقص علينا عودة جيش منتصر في السنة الخامسة، وهذا النقش بطبيعة الحال يشير إلى حروب «مرنبتاح» مع بلاد «لوبيا» وانتصاره عليها، والمتن نفسه يظهر أنه صورة مطابقة للوحة في معبد «أمدا».[٢٧٩]

وقد عُثر لهذا الفرعون على آثار أخرى مبعثرة في متاحف العالم، نخص بالذكر منها ما يأتي:

(١) جذع تمثال بدون رأس موجود الآن بمجموعة «مرى كوفر». (راجع Weidemann, Gesch. 497).

(٢) قاعدة تمثال في متحف تورين. (راجع Lanzone, Catalogue Turin 1382).

(٣) قطعة من تمثال في متحف كوبنهاجن. (راجع Schmidt Musee de'Copenhgne, 19).

(٤) لوحة يقدم فيها أسرى للإله «بتاح» محفوظة الآن بمتحف فلورنس. (راجع Schiaparelli, Catalogue, Florence 1601).

(٥) تمثال «بو لهول» باسم «مرنبتاح» من الجرانيت الأحمر بمتحف باريس. (راجع De Rouge Mon. Egyptien du Louvre, 23).

(٦) ذكر الأستاذ «جاردنر» عدة تماثيل اغتصبها هذا الفرعون وقد كتب عليها أنه محبوب الإله «ست» سيد «أواريس»، ونخص بالذكر منها تمثالًا ضخمًا يوجد الآن بمتحف برلين، اغتصبه من «أمنمحات الثالث». (راجع J. E. A. vol 5 p. 255).

(١٠) أسرة مرنبتاح

لم يُعرف حتى الآن زوجة للفرعون «مرنبتاح» غير الملكة «إست نفرت»، يُحتمل أنها التاسعة في ترتيب أولاد «رعمسيس الثاني» وقد ذكر اسمها على لوحات السلسلة وكانت تُلقب ربة الأرضين، وهذا يدل على أنها كانت الوارثة للملك.

وكذلك لم يكن من أولاد هذا الفرعون على الآثار على ما نعلم حتى الآن إلا ولد واحد وهو «سيتي مرنبتاح الثاني» الذي خلفه على عرش الملك على حسب إحدى الروايات كما سنفصل القول في ذلك بعد. هذا ولم يُعرف له من الإناث إلا ابنة واحدة تُدعى «إري نفرت» وقد جاء ذكرها على بردية إحصاء لتوريد الأغذية، وهاك ما جاء فيها خاصًّا بهذه الأميرة: توريد للحظية «إري نفرت» بنت الفرعون مرنبتاح: خمس فطائر «سعب» من الخبز الجيد، وخمسة أرغفة للأكل، وإناءان من الجعة (راجع Rec. Trav. XVII, p. 152).

(١١) عبادة مرنبتاح

لم نصادف في النقوش المصرية ما يدل على تأليه هذا الفرعون إلا لوحة واحدة عُثر عليها في معبد «السرابيوم» حيث نشاهده يُعبد عليها (راجع Petried, Hist. III, p. 106).

وقد وُجد له جعارين عدة مثل فيها مع «تحتمس الثالث» أو مع سلفه «رعمسيس الثاني» (راجع Petrie, Hist of Egypt III p. 106).

(١٢) الموظفون والحياة الاجتماعية في عهد «مرنبتاح»

(١٢-١) الوزراء في عهد مرنبتاح

(أ) وسرمنتو

كان «وسرمنتو» من أسرة عريقة في المجد يرجع عهدها إلى حكم الفرعون «رعمسيس الثاني» فقد كان والده يشغل وظيفة الكاهن الأول لمقبرة الفرعون «تحتمس الثالث» ويُدعى «خنسو»، وقد تزوج من خمس نساء رزق منهن بأسرة كبيرة العدد، كانت كلها تشغل وظائف هامة في الدولة (راجع مصر القديمة ج٦). وقد أنجبت زوجه «معيا» التي كانت تحمل لقب مغنية «آمون» «وسرمنتو» وكان يحمل لقب الأمير الوراثي، وحاكم المدينة، ولا نعلم عنه شيئًا غير ذلك.

(ب) بانحسي

لم يُعثر حتى الآن على قبر هذا الوزير غير أنه ترك لنا بعض آثار تدل على مكانته عند الفرعون «مرنبتاح»، وكان يحمل الألقاب التالية: العامل بإرشادات جلالته، وحامل المروحة على يمين الفرعون، والوزير القاضي، ونائب «نخن» وكاهن «ماعت» وحاكم المدينة، والوزير، والأمير والوراثي، ورئيس الأرض قاطبة، ووالد الإله المحبوب (لقب كاهن)، وكاتم أسرار بيت المال، ومدير الملابس كلها، والمشرف على كهنة الآلهة كلهم، ومن يقترب من الملك (بجواره) ويعرف تعاليمه.[٢٨٠]

وقد نحت لنفسه مقصورة في المحراب العظيم الذي نحته لنفسه «حور محب» في جبل السلسلة، وقد تحدثنا عنه فيما سبق، وتقع مقصورة «بانحسي» في الجهة الجنوبية، ونشاهد على سمك المدخل في الجزء العلوي الفرعون «مرنبتاح» والملكة «است نفرت» والأمير «سيتي مرنبتاح» والوزير «بانحسي» أمام الإلهين «آمون رع» و«بتاح» يتعبدون لهما، وفي الجزء الأسفل نرى الفرعون «مرنبتاح» واثنين من حاملي المروحة ثم الوزير «بانحسي» أمام الإلهين «حوراختي» و«ماعت» وجزءًا من متن،[٢٨١] وكذلك نشاهد عليها منظرين يتعبد فيهما «بانحسي» للفرعون «مرنبتاح».[٢٨٢]

ونشاهد في رواق محراب «حور محب» على الجدار في الجزء الأسفل لوحة تمثل عليها «مرنبتاح» يتبعه موظف واقف أمام الآلهة «آمون رع» و«منتو» و«سبك» و«حتحور» ونرى في الأسفل «بانحسي» راكعًا ومعه أنشودة للإله «آمون رع».[٢٨٣]

وكذلك نجد في هذا المحراب لوحة نشاهد عليها «مرنبتاح» تتبعه الملكة «است نفرت» حاملة الصاجات، والوزير «بانحسي» يقدم رمز العدالة للإله «آمون رع» و«موت»، وقد أُرخ هذا المنظر بالسنة الثانية من عهد هذا الفرعون.[٢٨٤]

ونشاهد من جهة أخرى هذا الوزير مُصورًا على جدران معبد «وادي حلفا».[٢٨٥]

وقد جاء ذكر هذا الوزير على الاستراكا التي تحدثنا عن أعماله في حفر مقبرة الفرعون «مرنبتاح» وتجهيزها بالأثاث وما يلزم من مواد لعملية التحنيط.

(٢-١٢) الكهنة في عهد «مرنبتاح»

يدل ما لدينا من نقوش على أن «رومع روى» كان يقوم بدور الكاهن الأول للإله «آمون» في عهد الفرعون «مرنبتاح» كما فصلنا القول في ذلك (راجع ج٦ مصر القديمة).

(أ) «أنحورمس» الكاهن الأكبر للإله «أنحور»

يُعد تاريخ «أنحورمس» بمثابة واحة من الواحات التي نصادفها في وسط مجاهل التاريخ المصري القاحل في كثير من نواحيه، وسنرى أن حياته تكشف لنا عن صفحة مجيدة من شئون هذا العهد المختلفة.

موقع قبره وأهميته

نحت الكاهن «أنحورمس»[٢٨٦] الذي عاش في عهد الفرعون «مرنبتاح» قبره في سفح منحدر من الجبل المطل على الشاطئ الغربي للنيل، الواقع خلف قرية «نجع المشايخ»، وتُوجد في هذه الجهة قبور عارية من النقوش. ومن جهة أخرى نجد طائفة من المقابر بعضها من هذا العصر في جنوب الوادي الضيق الذي يقع خلف هذه القرية، فهناك نجد قبر الكاتب الملكي لأراضي الفرعون ويُدعى «ايمي سبا»، ويحتوي على بعض مناظر من الحياة الريفية. ومما يؤسف له أنه لم يُنشر شيء يستحق الذكر عن هذه المقابر المعروفة منذ زمن بعيد، وكل ما نعلمه هو ما نشره «مسبرو» ويشمل بعض أسطر ذكر فيها طائفة من ألقاب «أنحورمس».[٢٨٧]

وبعد ذلك زار الأثري «سايس» هذا القبر عام (١٨٨٣-١٨٨٤) واقتصر على تدوين بعض ملاحظات ضئيلة.[٢٨٨] وقد قال في أول الأمر إنه ليس عنده من الوقت ما يكفي لنقل نقوش هذا القبر، وبعد ذلك قال إنه نقل ما بقي من نقوشه، ويقول «مسبرو» إنه منذ سنة ١٨٨١ قامت حفائر في قرية «نجع المشايخ» للكشف عن معبد أقامه «رعمسيس الثاني» وهو الذي جدده ابنه «مرنبتاح» وقد كُشف فيه عن تماثيل ولوحات كثيرة، ويذكر لنا «سايس» نقوشًا من عهد «أمنحتب الثالث» و«رعمسيس الثاني» في هذا المعبد وتمثالًا للإلهة «سخمت»، وهذه حقيقة هامة لمعرفة كنه المعبد. والواقع أن نتائج الحفر في هذا المعبد لم تسفر إلا عن ثلاث مجموعات للكاهن «أنحورمس» محفوظة «بالمتحف المصري» وحسب.[٢٨٩]

وكان ضمن ما عُثر عليه خلالها تمثال كاتب ملكي، ومدير ضياع «أوزير» ويُدعى «توري» ومعه زوجه (راجع مصر القديمة ج٦) وكذلك حامل علم يُدعى «منمس» من عهد «رعمسيس الثاني».[٢٩٠]

وفي يناير سنة ١٩١٣ قام الأستاذ «كيس» الأثري و«بسنج» بزيارة مقابر «نجع المشايخ» ونقلا جزءًا كبيرًا من النقوش هناك، وفي عام ١٩٣٧ زار الأستاذ «كيس» المقبرة مرة أخرى، ونقل باقي النقوش وصوَّر ما أمكن تصويره لصعوبة التصوير في هذا المكان، والواقع أن الشريط الضيق من الأراضي الزراعية الواقع على الشاطئ الشرقي للنيل قبالة «جرجا» حتى جنوبي «جبل طريف» يدخل ضمن مقاطعة «طينة»، وكذلك يدخل في نطاقها كل من «نجع الدير» و«نجع المشايخ». وقد كان هذا المكان في الأزمان القديمة يُدعى «بحدت».[٢٩١]

ويُرى في قوائم البلدان ثلاث مدن بهذا الاسم، فغير «بحدت» هذه «بحدت أدفو» و«بحدت» الشرقية الواقعة في غربي الدلتا، وقد سمى اليونان هذا المكان «ليبدو تنبوليس Lepidotonpolis» وهو اسم سمكة كان الأهلون يعبدونها في هذه الجهة،[٢٩٢] وكانت المعبودة المحلية الخاصة في «بحدت» هذه هي زوج الإله «أنحور» رب «طينة» التي تُدعى «محيت» أو «منت» وتمثل في صورة لبؤة، وكانت تتصف بكل صفات الإلهة «سخمت» إلهة «هليوبوليس».[٢٩٣]

وقد اتخذت مكانها المختار هنا كما اتخذت مثيلاتها في الشكل أماكنها في «الكاب» و«دير الجبراوي» و«سبيوس أرتميدوس» و«طهنا» وكذلك في «أخميم» المجاورة. وقد دلت النقوش فضلًا عن تمثال «سخمت» الذي كشف عنه «سايس» في رقعة المعبد، على أن معبد «نجع المشايخ» كان قد أُقيم بنوع خاص للإلهة «محيت». وتشاهد صورة صغيرة لإلهة برأس لبؤة، وقرص الشمس بجوار اسم «رعمسيس الثاني» على تمثال «منمس» الذي عُثر عليه في «نجع

المشايخ» سنة ١٨٨٨،[٢٩٤] وقد كُتب على كتف تمثال «أنحورمس» الذي قدم نذرًا في عهد الفرعون «مرنبتاح» اسما الإلهين: «انحور – شو» بن «رع» و«محيت» القاطنة في «بحدت»، وكذلك نجد صيغة تقديم القربان الموجهة إلى الفرعون «أمنحتب الأول» الذي كان يحمل محراب تمثاله أمامه، وإلى الإلهة «محيت» القاطنة في بحدت لكي يقدم له كل المأكولات التي مُنعت عنه، وبدهي أن «أنحورمس» على الرغم من أنه كان صاحب سيطرة في عهد «مرنبتاح» بوصفه الكاهن الأول للإله «أنحور»، ورئيس كهنة كل آلهة «طيبة»، كان له علاقة وثيقة بالمعبد الجديد الذي أقامه «رعمسيس الثاني» للإلهة «محيت» صاحبة «بحدت» (نجع المشايخ) وهو يقع بجوار قبره مباشرة، في حين أن أسرة الكهنة الأول قد دُفنت كلها في عهد «رعمسيس الثاني» في «العرابة المدفونة»، ومن المحتمل أن «أنحورمس» نفسه الذي كان يحمل لقب «الذي يملأ قلب رب الأرضين، ومدير أعمال في كل آثاره»[٢٩٥] هو الذي قام بالإصلاح الذي عُمل في عهد «مرنبتاح» في هذا المعبد، ولذلك وضع تمثاله فيه.

وتنحصر أهمية ترجمة «أنحورمس»، كما رواها هو عن نفسه، في أننا نجد فيها حالة ظاهرة تدل على أن موظفًا حربيًّا قد انتقل إلى وظيفة كاهن متقاعد يعيش منها، وهاك ترجمته لنفسه:

> الكاتب الملكي وكاتب المجندين لرب الأرضين، والكاهن أعظم الرائين «لرع» في «طينة»، ورئيس الحجرة للإلهين «شو» و«تفنوت»، والكاهن الأكبر للإله «أنحور»، «أنحورمس» المرحوم، والذي يرجو لسيده الملك «مرنبتاح» الأعياد الثلاثينية والصحة، رب التيجان، معطي الحياة مثل «رع» أبديًّا يقول: لقد كنت الطفل النبيه عند الفطام، والمستقيم صبيًّا، والمدرب غلامًا، العارف فقيرًا. وكنت مسكينًا فأجيء في الفصل دون مخالفة، وكنت إنسانًا ألاحظ وأجيد «الحل»، وكنت محبوبًا من سيده «الفرعون» ومفيد الآلهة دون أن يمل قلبي العمل على نفعهما، وكنت يقظًا للسفينة فلم تسمح لي بأي نوم، وكان في استطاعة الحراس أن يناموا بسببي، وكنت شجاعًا في البر

دون أن يصيبني إعياء وقطعت فيه مسافات عديدة إنسانًا يمشي على الأرض، وكنت كاتب الفرسان المجندين الذين يخطئهم العد ولا يقدر إنسان أن يحصيهم، وكنت ترجمانًا لكل أرض أجنبية لسيدي، وكاتبًا قويًّا في خدمته، وكان سيدي يخاطبني أمام الأرض قاطبة ممتدحًا، وكنت محظوظًا أمام الملك بسبب الاستشارات اليومية وبسبب إطرائه لي، ولذلك كان الرفاق يقولون: «ما أعظم حظوتك» وكنت إنسانًا نشأه قومه وحماه أتباعه منذ جعل الملك مكانتي قوية باختياري نديمًا له، وكنت كاهنًا وحاجبًا ملكيًّا للإله «شو» ملأت بيت ماله، وكنت مشرفًا على مخازن غلاله التي جعلتها طافحة بالغلال، وكنت نافعًا لبيت الإله، وقويًّا في الحقل ... والناس الذين خُلقوا من أجل «شو». وكنت منتبهًا ومستعدًّا في كل يوم لخدمة سيدي، وكنت مفيد الرأي للآلهة و... على رأس (المجلس)، وكنت إنسانًا يسير على طريقة الإله دون اعتداء على «قوانينه»، وكنت امرأ ينحني عندما يدخل قدس الأقدس، وامتدح الإله مرات لا عداد لها، وكنت ...

تعليق

طفولة «أنحورمس» ومدة دراسته: إن التقرير الذي قدمه لنا «أنحورمس» عن سني حياته الأولى غريب في تعبيراته؛ فقد ذكر لنا أدوار مدة رضاعه حتى فطامه، ثم تكلم عن حياته وهو طفل صغير فغلام، وكذلك تحدث لنا حتى عن فقره في صباه، أي إنه كان رجلًا لا وظيفة له ولا دخل يستولي عليه. والواقع أن افتخار القوم بالعدم كان من الأمور المألوفة التي جرى عليها العرف في عهد «تل العمارنة»، فكان موضع فخر لأولئك الذين وصلوا إلى مكانة عالية بعد فقر مدقع. فقد كنا نسمع في هذا العهد كثيرًا أنه مما يفخر به الرجال الذين كانوا بجانب الفرعون وقاموا له بأعظم الخدمات أنهم من أصل وضيع، وأنهم نالوا ما نالوه من رفعة ومكانة بجدهم واستقامتهم في خدمة الفرعون بما لهم من شخصية. ولدينا أمثلة ناطقة تحدثنا بذلك، وأهم ما يلفت النظر من أولئك: حامل المروحة على يمين الملك وكتاب الفرعون وكاتب المجندين والقائد «معي» (راجع الجزء الخامس) حيث يقول: كنت رجلًا وضيع الأصل أبًا وأمًّا، ولكن الأمير وطد مكانتي فقد

جعلني أعظم ... بفيضه عندما كنت رجلًا لا أملك شيئًا ... الخ. وفي عهد الرعامسة الأول نجد مثالًا لذلك في كتابة رسام على لوحة محفوظة الآن في «ليدن

Lyden VI

» حيث لم يستعمل فيها كلمة «نمح» الدالة على الفقر في الأصل كما هي الحال في عهد العمارنة، بل استعمل الكلمة الكلاسيكية «حورو» (فقير الحال)، فيقول:

> لقد كنت إنسانًا فقير الحال من جهة أسرته وصغيرًا في قريته، ولكن سيد البلاد قد تعرف عليَّ ... ورفعني على الندماء.

ومما يجذب النظر في العلاقة بين هاتين الحالتين: حالة «انحورمس» وحالة الرسام أن الأب في كل من الحالتين كان يشغل وظيفة مماثلة للتي كان يشغلها الابن، فقد كان والد «انحورمس» المسمى «بن نب» يشغل وظيفة كاتب المجندين لرب الأرضين مثل الابن، وأن والد المفتن المذكور كان حفارًا مثل والده.

ولكن مما لا نزاع فيه أننا بدأنا نجد في عهد الدولة الحديثة خروجًا عن العادة المعروفة التي كانت تخول للولد أن يرث والده في وظيفته أو عمله، وذلك عندما ظهر أفراد أخذوا يثيرون شخصيتهم ويخلعون عن أنفسهم قيود هذا التقليد الأعمى ويشقون طريقهم في الحياة كل على حسب استعداده وما أوتي من قوة وعزيمة ونفس طموح وشخصية ممتازة، وقد تحدثنا عن ظهور الفرد وشخصيته في مثل هذه الأحوال، وبخاصة عندما أخذ يناجي ربه ويظهر ورعه بشخصيته لا بالتعاليم التي ورثها عن آبائه وأجداده (راجع مصر القديمة ج٦).

حياته الحربية: تدل شواهد الأحوال على أن مدة خدمة «أنحورمس» في الجيش يقع معظمها في عهد «رعمسيس الثاني» وهذا فضلًا عن خدمته في مدة «مرنبتاح» التي لم تتجاوز عشرة الأعوام.

وقد كانت وظيفته الرئيسية «كاتب المجندين الملكي لرب الأرضين»، ومن ترجمته لنفسه يمكننا أن نعرف الخطوات الأولى التي خطاها نحو العلا؛ فقد كان في بادئ الأمر يعمل في الأسطول في وظيفة ثانوية، إذ كان يعمل بوصفه مشرفًا على المجدفين، ثم ترك هذه الوظيفة واشتغل في الجيش البري، ثم تنقل فيه في أماكن عدة وأخيرًا ارتقى إلى وظيفة «كاتب مجندين» — وعلى ذلك لم يعد بعد جندي ميدان — لجنود عربات الحراس الخاص. وهناك قام بخدمات خاصة؛ إذ كان يعمل في جيش «مرنبتاح» الذي حارب اللوبيين وأقوام البحار، وكذلك عمل ترجمانًا في «فلسطين» وغيرها، وقد كانت خدماته المتصلة، والوظائف التي تقلب فيها نحو المجد سببًا في لفت أنظار الفرعون إليه وجعله ممتدحًا أمام الأرض كلها من شرفة قصره كما كانت العادة. هذا إلى أنه رفعه إلى رتبة «نديم».

وفي ترجمة حياته لنفسه يذكر لنا قبل تقلده وظيفة الكهانة أنه كان «كاتب مجندين»، ونحن نعلم من تراجم حياة أفراد آخرين عدة أن وظيفة «كاتب مجندين» كانت ذات أهمية عظمى، وأن حاملها كان يعد من أقرب المقربين إلى الفرعون، وسنذكر فقط على سبيل المثال «أمنحتب بن حبو» الشهير الذي شغل هذه الوظيفة في عهد «أمنحتب الثالث» (راجع مصر القديمة ج٥)، والواقع أن «أنحورمس» كان يحمل أرفع ألقاب الدولة على حسب ترتيبها المعتاد، فكان يلقب «بالأمير الوراثي، والحاكم، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير الوحيد»، هذا فضلًا عن أنه كان يُنعت «عين ملك الوجه القبلي، وأذني ملك الوجه البحري، والكاهن والد الإله المحبوب، ومن يملأ قلب سيد الأرضين.»

ومن المعلوم أن الموظفين الحربيين ورؤساءهم كانوا في وقت السلم يكلفون بالأعمال المدنية العادية، ومن الجائز أن «أنحورمس» كان قد كُلف من قبل «رعمسيس الثاني» ومن بعده ابنه «مرنبتاح» بالقيام بتجديد معبد «نجع المشايخ»؛ ولذلك كان يُلقب «الذي يملأ قلب سيد الأرضين، ومدير الأعمال على كل آثاره.»[٢٩٦]

والظاهر أنه كان ذا علاقة وثيقة بالفرعون «مرنبتاح»؛ نعلم ذلك من بداية الترجمة لنفسه وهو: «الذي يتمنى لسيده أعيادًا ثلاثينية وصحة.»

ومثل هذه التعبيرات نصادفها كثيرًا في تراجم كهنة «آمون» في عهد الأسرة الثانية والعشرين «بالكرنك». فمثلًا نجد أن الرجل الذي يحمل النعوت: «عيني ملك الوجه القبلي في الكرنك» و«لسان ملك الوجه البحري» يتبع ذلك بذكر: «الذي يتمنى أعيادًا ثلاثينية لسيده بجانب الآلهة التي في هذه الأرض.»[٢٩٧]

ويظهر ذلك جليًّا فيما يقوله كاهن آخر من كهنة «آمون» في نفس العصر:[٢٩٨]

> لقد قدمت إلى القصر في عيد تتويج الملك طاقة حملتها للفرعون من «طيبة» وتمنيت لرب الأرضين أعيادًا ثلاثينية.[٢٩٩] ولا بد إذن أن هذا الرجل كان عضوًا في حفلة تتويج الملك في «منف» ضمن الكهنة الذين اجتمعوا من كل أنحاء البلاد حاملين طاقات الأزهار التي تحمل السعادة في طياتها من معبد «آمون» ليقدموها إلى الفرعون.

وكذلك كانت الحال مع «أنحورمس» فلا بد أنه فكَّر في أن يقدم للفرعون طاقة أزهار لمناسبة عيد تتويجه أو لمناسبة أخرى، كما شاهدنا عظماء القوم يقدمون طاقات الأزهار إلى «سيتي الأول» حينما عاد منتصرًا من «سوريا» (راجع مصر القديمة ج٦)، وقد يجوز أن الفرعون كان يقوم في هذه الحالة بزيارة إلى «طينة» تلك المدينة المقدسة من قديم الزمان.

مجال حياته في الكهانة: ليس لدينا في ترجمة حياة «أنحورمس» ما يدل على أنه بعد أن ختم حياته في سلك الوظائف الحربية قد أصبح كاهنًا إلا فقرة مهشمة، ومع ذلك فإن فيها ما يكفي. ولدينا هنا برهان لا يتطرق إليه الشك في وجود وظيفة كهانة في معابد البلاد كانت تعطي معاشًا للموظفين الذين تقدمت بهم السن، وكان أول ظهور هذه الوظيفة في عهد الرعامسة، ولكي نحكم على «أنحورمس» في تقلده هذه الوظيفة يجب أن نعرف إذا كان لوالده أو لأمه أي حق في تقلد

وظيفة دينية في «طينة» ومثل هذا الادعاء في أحقية وراثة هذه الوظيفة قد لعب دورًا حاسمًا في مصير أسرة «بنيتز» في «الهيبا» في العهد الساوي.

وقد تحدثنا قبل (انظر مصر القديمة ج٦) عن أسرة في عهد الأسرة التاسعة عشرة شغل أفرادها منصب «الكاهن الأول» للإله «أنحور» مع وظائف أخرى ثانوية مدة أجيال عدة، ولا نعلم أية علاقة للكاهنين «حورا» و«منمس» وعلاقتهما بالكاهن «أنحورمس». ولا يمكن أن نقطع في الواقع إذا كان من باب الصدفة توافق اسمه «أنحورمس» مع اسم إله «طينة» الأكبر المسمى «أنحور» أم لا، وبخاصة أن «مرنبتاح» قد دعاه للقيام بإنجاز أعمال لهذا الإله، هذا على الرغم من أن والده «بن نب» لا يحمل على تمثاله المحفوظ «بمتحف القاهرة» أي لقب كهانة (رقم ١١٣٦).

وقد كان الكاهن الأكبر لهذا الإله في عهد «رعمسيس الثاني» هو «منمس». وتدل شواهد الأحوال على أن «أنحورمس» كان رجلًا حديث العهد «بطينة» جيء به في عهد «مرنبتاح» ليشغل هذه الوظيفة، ولا نزاع في أنه عاش قبل ذلك العهد مع أسرته في «طيبة» وقد تزوج من اثنتين. ولدينا له في معبد «نجع المشايخ» تماثيل مثل عليها معها (القاهرة رقم ١٠٩٣)، وقد كانت إحداهما تُدعى «تاورت حتب» وتُلقب «ربة البيت» زوجته الأولى. وكانت كل من زوجتيه سواء أكانت المتوفاة أم التي مُثلت معه في مقبرته «بنجع المشايخ» وهي التي تُدعى «ربة البيت» «سخمت نفرت» — تحمل لقب «مغنية آمون» ملك الآلهة أو «آمون رع» سيد «الكرنك».

وقد نالت «سخمت نفرت» زوجه لقب «رئيسة» حريم الإله «أنحور»، وهذا اللقب كان يحمله نساء وكهنة «أنحور» العظام، غير أن «أنحورمس» نفسه كان يحمل لقب الكهانة: صاحب اليدين الطاهرتين أمام «آمون رع»، ملك الآلهة في العاصمة الجنوبية. ويدلنا على العلاقة الوثيقة التي كانت بين «طيبة» و«أنحورمس» — وبخاصة المدينة الغربية — ما نشاهده في تمثاله الراكع (رقم ٥٨٢)، إذ يحمل محرابًا فيه صورة الملك «أمنحتب الأول» المعروف بأنه الإله الحامي

«لطيبة الغربية». والواقع أن «أنحورمس» كان قد ترعرع في «طيبة» وتزوج هناك، ومن المحتمل أنه قام بأول خدمة كهانة فيها في عيد الوادي، وتدل الآثار على أن وظائف الكهانة في معبد «آمون» «بطيبة» كان يشغلها بعض رجال البلاط في عهد ملوك «اللوبيين» في الأسرة الواحدة والعشرين.[٣٠٠]

وقد كان من نتائج الحكومة اللاهوتية التي كان فيها الإله هو المسيطر الوحيد على أقدار البلاد أن وجدنا علاقات أخرى له بالكهنة، ومن المهم هنا أن نعرف شيئًا عن كيفية تغذية الموظفين الحربيين في عهد الرعامسة.

وورقة «هاريس» الكبرى تقدم لنا في هذا الصدد أمثلة كثيرة من عهد «رعمسيس الثالث» لم يلتفت إليها أحد حتى الآن أو كان قد أُسيء فهمها من قبل؛ فنقرأ في قوائم الهبات لمعابد الأقاليم التصريح التالي: «بيت رعمسيس» في ضيعة الإله «مين» صاحب «إبو» (أخميم) يقول «إنشفنو» مدير البيت — كان فيما مضى قائدًا[٣٠١] — وفي ضياع معبد «وبوات» إله «أسيوط» نجد كذلك اثنين من القواد يعيشان من ضياع هذا المعبد وهما: «تحوت محب» و«إنشفنو» السالف الذكر، وقد فهم «شادل» المعنى المقصود من ذلك بأنهما كانا يعيشان من هبات الملك الحاكم «رعمسيس الثالث». ومن ثم نفهم أن مثل هذا القائد المسمى «إنشفنو» كان من الممكن أن يجمع بين وظائف أخرى هامة غير وظيفة «مدير البيت» التي كان يتقلدها، وإذا قرنا ذلك بحالة «أنحورمس» فإن وظيفة الإشراف التي كان من المحتمل أنه يشغلها في عهد كل من «رعمسيس الثاني» و«مرنبتاح» في إقامة المباني الجديدة في «نجع المشايخ» تكون مماثلة لذلك. ولا نزاع في أن تعيينه في وظيفة الكاهن الأكبر للإله «أنحور» صاحب «طينة» وكذلك تقليده منصب «المشرف على كل الكهنة في طيبة» يؤكد ذلك أو يتفق مع ما نقول إلى حد بعيد.

وتدل شواهد الأمور على أن الطريقة في ملء وظيفة الكهانة في المعابد الرئيسية في عهد الرعامسة كانت تجري على حسب القاعدة القديمة الأصلية المبنية على توارث «وظيفة الكهانة» على وجه عام على شريطة أن يكون أمر الاختيار موكولًا إلى الإله نفسه، وهذا نفس ما حدث في اختيار «نب وننف» في عهد «رعمسيس الثاني» عندما انتخب رئيسًا لكهنة «آمون» في «الكرنك». وقد كان من الطبيعي أن يسلم المرء بوجهة النظر بأن كل عظماء بيته من أصغر موظف إلى القائد الأعلى في الجيش بما لهم من مكانة ومستقبل كانوا أهلًا لملء وظائف الكهانة، وأن يتقلدوا كل وظائف الكهانة الثانوية دائمًا، ومن جهة أخرى كان المنتظر إذن من الفرعون الذي يعين الكهنة للإله كما جاء في لوحة الإصلاح أن ينتخب الكاهن المطهر والكاهن خادم الإله حتمًا من أولاد أشراف، وأن يكون كل منهما ابن رجل معروف المكانة، وقد ذكرنا من قبل أن عهد «اخناتون» كان على نقيض هذه الفكرة، وأنه ترك المجال لكل شخص على حسب ما تؤهله له مواهبه الشخصية، وبذلك فتح طريق الرقي أمام كل فرد ذي مقدرة وفطنة، وقد كان «أنحورمس» يعمل على محو هذه الفكرة التي كانت لا تزال باقية في عهد «مرنبتاح»، فقد نال مركزه الديني فقط بما أظهره من إخلاص وتفانٍ للإله؛ ولما كان في الأصل من بيت فقير فإنه لم يكن له الحق في أن يُحتسب له معاش مثل أولئك الذين ورثوا الوظائف التي تخول لهم حق التمتع بمرتب دائم. وقد كان هذا الإجراء صحيحًا في دائرة ضيقة، والواقع أن القبول في المدارس التي كانت تعد الأفراد للوظائف الكبيرة كان لها شروط معلومة، وبخاصة من حيث مركز الوالدين، وبقيت هذه الحال كذلك إلى أن اتسعت دائرة حق التعليم لرجال الجيش وجنوده في عهد الدولة الحديثة عندما كان لرجال الجندية شأن يُذكر، ولكن على مر الأزمان وتغير الأفكار وتفاوت الطبقات بخاصة في العصور المتأخرة نشأت هذه الفروق الاجتماعية، وفاضلت بين طبقات الشعب، وقد ظهرت جليًّا عند التعيين في وظائف الكهنة، فكانت القيود القديمة من حيث الحسب والنسب لا بد منها، ولا أدل على ذلك من المثل الذي ذُكر في تقرير الطبيب العالم المسمى «وزاحور رسنت» عندما أراد أن

ينشئ مؤسسة جديدة للطب في «سايس» في حكم «دارا الأول» ملك الفرس الذي فتح مصر إذ يقول: «إني أضع أساسها وكل تلاميذها من أولاد رجالٍ معروفين، فلا يكون فيها ابن فقير.» ومن ذلك نعلم أن التقديرات الرسمية لم تكن وحدها في مختلف الأوقات المتغلبة على ما يجب أن يكون، بل كان من البداهة أن نجد مستلزمات الحكم يكون لها القول الفصل بصفة بارزة، فنجد أنه كان بطبيعة الحال في أوقات الحرب؛ من المحتم أن ينظر نظرة خاصة لمعاش الجنود الذين قضوا زهرة شبابهم في خدمة البلاد للدفاع عنها.

وفضلًا عن ذلك نرى أن الكاتب. على الرغم من أنه كان يمجد صناعته ويرفع من قدرها في عهد الدولة الحديثة؛ كانت الوظائف الحربية ووظائف الكهانة في رأيه ليست بعيدة عن وظيفته في قدرها وخطرها، حتى إنه عندما كان يدخل في خدمة المعبد يشعر بضيق داخلي في نفسه، وكانت هذه هي الحالة حقًّا كما نعلم من مجال حياة الكاهن الأكبر «باكنخنسو» في عهد «رعمسيس الثاني»، فقد كانت العادة الجارية آنئذ أن أبناء الكهنة بعد تمضية المرحلة الأولى من تعليم المدرسة؛ يقومون بتأدية خدمة حربية إلى حين. ويُلاحظ ذلك بوجه خاص مدة الحرب كما حدث في حالة خاصة معروفة اضطرت الشبان من الكهنة أن ينخرطوا في خدمة الجيش، كما يدل على ذلك عهد «مرنبتاح»، وقد كان لذلك تأثير لا بأس به، والواقع أنه من مثل هذه الأدوار المحددة يمكننا القول بأن معظم الكهنة ذوي الزعامة في أواخر عهد الرعامسة كانوا في الأصل موظفين.

وقد أشرنا قبل إلى مستقبل «حرحور» وسلفه «أمنحتب بن حبو».

وقد أبرز لنا «أنحورمس» في ترجمته لنفسه بوجه خاص إدارته لأموال معبد الإله «أنحور»؛ فقد ملأ خزانته، وجعل مخازن غلاله ملأى بالحبوب بوصفه «المشرف على المخازن». ولا نزاع في أن بيت المال ومخازن الغلال كانتا الإدارتين الاقتصاديتين اللتين يعتمد عليهما أمر المعبد وحسن سير الأمور فيه، وكذلك نجد الحال عند تنصيب «نب وننف» الذي كان عمله حتى لحظة تعيينه

قاصرًا على الإشراف على كهنة الآلهة كلهم في الجنوب حتى «حراي حر-آمون» (طيبة الغربية) وشمالًا حتى «طينة»، فإن الملك قد نزل عن هاتين الإدارتين لكاهن «آمون» الأكبر الجديد، وقد ذكر صراحة؛ إذ يقول الملك له: «إنك الكاهن الأكبر «لآمون» وخزانة ماليته، وقد أصبحت تحت خاتمك مخازن غلاله.» (راجع مصر القديمة ج٦).

ويشير أحد ألقاب «أنحورمس» الأخرى إلى إدارة أموال المعبد، وهو المشرف على مخازن غلال «أنحور»، وكذلك اللقب النادر: «المشرف على قرى الباب الكبير» (القصر) التابعة للإله «شو» بن «رع» في الوجهين القبلي والبحري. ومن ثم نعلم أن الكاهن الأول للإله «أنحور» كان القيم على ضياع «شو أنحور» في قرى القطرين جميعًا، وكانت هذه الضياع بدورها تحت إدارة «مدير بيت» محلي. وقد كان «أنحورمس» بوصفه أكبر كاهن في دائرة هذا الإله يحمل لقب المشرف على كهنة آلهة «طينه» كلهم أي مقاطعة «تاور» وما تحتويه من قرًى وبلدان وبخاصة «نجع المشايخ».

وقد كان امتداد «الأبراشية» أو المقاطعة، يختلف في حدوده على حسب شخصية الكاهن الذي يديرها، وكان ذلك بطبيعة الحال وقفًا على إدارة الفرعون.

ففي أوائل حكم «رعمسيس الثاني» مثلًا كان تحت إدارة «نب وننف» الذائع الصيت بوصفه رئيس كهنة هذه الجهة كل الإقليم الذي على الشاطئ الأيمن من «طينة» حتى «طيبة». وتشعرنا ألقاب أسرة كهنة «أوزير» في «العرابة» في عهد «رعمسيس الثاني» أن دائرة نفوذ مقاطعة «طينة» التابعة للعرابة لم تكن تحت إدارة الكاهن الأكبر للإله «أنحور» — إله «طينة»؛ وقد وصل إلينا من مقاطعة «طينة» في عهد «تحتمس الثالث» — وتلك حالة خاصة نوَّه عنها صراحة — أن الفرعون قد كلف كاهنها الأكبر للإله، «أوزير» صاحب «العرابة» بالقيام بأعباء

هذه الوظيفة ست سنوات، على أن يكون في الوقت نفسه قائمًا بعمل رئيس كهنة الإله «حور» في معبد «مين» إله «أخميم» (المقاطعة التاسعة من مقاطاعات الوجه القبلي).

والألقاب الثانوية التي كان يحملها «أنحورمس» بوصفه كاهنًا أكبر نجدها برمتها تقريبًا في ألقاب أسرة رؤساء كهنة هذا الإله في «طينة» وبخاصة الكاهنين «حورا» و«منمس» اللذين عاشا في عهد «رعمسيس الثاني» (راجع مصر القديمة الجزء السادس).

وقد كان من نتائج التفسير القائل بأن الإله «شو» (أنحور) في عهد الدولة الحديثة — هو إله شمسي — أن نقل رؤساء كهنة «طينة» اللقب الهيليوبوليتي القديم: «أعظم الرائين» إليه، كما حدث ذلك في «أرمنت» و«الكرنك». ومنعًا للبس بإله «هليوبوليس» سموه «أعظم الرائين لرع في طينة».[٣٠٢] وقد كان الكاهن الأكبر «منمس» يُسمى كذلك الكاهن «سم» أعظم الرائين في «طينة».

ومن ألقاب كهنة «طينة» في الدولة الحديثة لقب ثانوي يدل على الرابطة التي بين الإله «أنحور» والإلهة «محيت» من جهة، وبين الإلهين القديمين «شو» و«تفنوت» من جهة أخرى، وهذا اللقب هو: سيد حجرة «شو» و«تفنوت». وهذا اللقب كانت تحمله أسرة «منمس» في عهد «رعمسيس الثاني» بصورة منتظمة، وبعد ذلك نجده منتشرًا جدًّا في الأزمان المتأخرة.

ونعرف من جهة أخرى أن «أنحورمس» كان يُلقب «حاجب الإله «شو» عندما يظهر». وهذا اللقب كان يحمله موظف بوصفه المتكلم عن الفرعون، غير أننا لم نجد أحدًا من الآلهة يحمله.

ومما يؤسف له أننا لا نعلم إذا كان «لأنحورمس» أسرة في «طينة» أم لا؛ والواقع أنه لم يُشاهَد له أي طفل ممثل أو مذكور على جدران قبره، بيد أنه في الدعاء الذي نُقش بجوار زوجته «سخمت نفرت» على جدار المدخل، نجد أن لها أمنية تخاطبه بها قائلة «أن تكافأ على ما فعلته، وأن يتسلم ابنك وظيفتك «الكاهن الأول للإله «أنحور».» ولكن هذا مجرد دعاء اعتاد القوم ذكره.

(ب) «ثانفر» الكاهن الثالث للإله آمون

وقبره في «ذراع أبو النجا» رقم ١٥٨، وقد عاش في عهد الفرعون «مرنبتاح»[٣٠٣] وقد صور عليه «القبر» صورة مزار نفس القبر على الجدار الغربي من الحجرة الأولى على يسار تمثالين جالسين، وسنتكلم عنه فيما بعد.

(ج) «رع إيا» الكاهن الرابع للإله «آمون»

وقبره في «ذراع أبو النجا» رقم ١٥٩، وليس في هذا القبر ما يلفت النظر من جهة الزخرف إلا سقفه المحلى بطيور جاثمة على نبات البشنين،[٣٠٤] ومن جهة أخرى رسم على جداره الجنوبي صورة مزار صاحب المقبرة الجنازية، وهذه الصورة وغيرها مما وُجد على جدران مقابر هذا العصر تعطينا فكرة عن هيئة مزار القبر، وبخاصة عندما نعلم أننا لا نكاد نجد مزارًا حافظًا لصورته الأصلية الخارجية لما أصابها من التهديم والتخريب على كر الأيام الدهور. وقد عُني بجمع صور هذه المزارات التي صورها المصري بنفسه على جدران المقابر الأثري «ديفز» وكتب عنها مقالًا ممتعًا وضحه بالصور، بيد أنه لم يجزم بأن هذه الرسوم تمثل الحقيقة (راجع JEA vol. 24 p. 25 ff).

ومعظم هذه الرسوم يرجع عهدها إلى الأسرة التاسعة عشرة، وقد نقلها «ديفز» من مقابر «شيخ عبد القرنة» ومقابر «الخوخة» ومقابر «ذراع أبو النجا» ومقابر «قرنة مرعي»، هذا إلى رسمين من «دير المدينة».

وقد جمع أحد الأثريين مادة كافية أمكنه بها أن يعيد بناء مزار صغير أصبح في استطاعتنا به أن نتصوره كما كان على حقيقته، وهو من مزارات الأسرة الثامنة عشرة.[٣٠٥]

والواقع أن بداية هذه الأسرة لا تمدنا بأنواع مختلفة هندسية في هذا الصدد، إذ نجد المقابر المصورة في تلك الفترة لا تحتوي إلا على مجرد باب له إطار و«كورنيش» في أعلاه، وموضوع

على طوار وأسكفة، ولكن في نهاية هذه الأسرة يظهر ضمن أجزاء المزار — كما يُشاهد في الصور — خط من المخاريط تحت «الكورنيش» (راجع Winlock. Bull. M. M. A. Fb. 1982 p. 6) & AZ. 70. p. 29)).

وفي عهد الأسرة التاسعة عشرة نجد نموذج مزار صغير فوق بناء المزار، وتدل القطع التي عُثر عليها على أن هذه الأهرام كانت منتشرة في «دير المدينة».[٣٠٦] لا نجد أثرًا لهذه الأهرام على منحدرات تل «شيخ عبد القرنة» على الرغم من أنها كانت تظهر في صور المقابر المتأخرة، ويوجد هرم في «العساسيف» يُحتمل أنه تابع لمقابر العصر الصاوي المجاورة. وفي ذراع «أبو النجا» سلسلة أهرامات مقامة من اللبنات على المرتفعات العلوية، ويمكن أن تكون في الأصل للأهرام المصورة في مقبرتي «رع إيا» و«ثا نفر» اللتين تكلمنا عليهما سابقًا. ونهاية قمة الهرم المصور كانت ملونة باللون الأسود وأحيانًا باللون الأزرق كما نشاهد ذلك في مقبرة «نفر رنبت» المسمى «كنرو» (راجع مصر القديمة ج٦). وحجارة قمة الهرم الأصلية التي وجدت في «دير المدينة» من الحجر الجيري، وقد نُقش عليها صورة إنسان يتعبد ويصلي للآلهة الشمسية.[٣٠٧] وتُوجد كوة صغيرة في منتصف وجه الهرم عُثر عليها في نفس الجبانة، والمعتقد أنها كانت تنتظم صورة بارزة خلف لوحة ولها ما يقابلها في صورة وجه ينظر إلى المتفرج من فوق اللوحة الملونة فتظهر كأن رجلًا ممسكًا بها من الخلف، كما يُشاهد ذلك في مقبرة «باسر»[٣٠٨] ومقبرة «نخت آمون» (رقم ٣٤١) على الجدار الجنوبي الغربي.[٣٠٩]

وقد كانت الواجهات ذات العمد معروفة في مقابر عهد الأسرة الثامنة عشرة، ولكن على قدر ما وصلت إليه معلوماتنا لم نجدها مصورة على جدران هذا العصر، ولكنها كانت منتشرة في عهد الأسرة التاسعة عشرة.

كما يُشاهَد ذلك في مقبرة «امنمأبت» رقم ٤١ وترجع إلى عهد «رعمسيس الأول» أو «سيتي الأول»،[٣١٠] وكذلك مقبرة «ثاي»[٣١١] وسنتكلم عنه فيما بعد، ومقبرة «ثانفر».[٣١٢]

وقد وُجدت اللوحات التي صُوِّرت عليها هذه المزارات في أثناء تنظيف ردهات المقابر، وكذلك وُجدت منحوتة على الجدران المصقولة خارج المقبرة أو في الداخل، وهذه اللوحات كانت تصور غالبًا كما نشاهدها في مقبرة «نفرر نبت» السالف الذكر[٣١٣] وفي مقبرة «خنسو» رقم ٣١ وهي من عهد «رعمسيس الثاني».[٣١٤]

ولقد أصبح المكان العادي لرسم صورة المقبرة منذ عهد «أمنحتب الثالث» يُوضع في نهاية الموكب الجنازي عند النقطة التي كانت تؤخذ منها المومية من تابوت المتوفى وتُنصب أمام المزار، ويوضع أمامها وخلفها طاقات من الأزهار، وكانت النسوة الحزينات يعانقنها كما كان يسندها أحد المشتركين في الجنازة، ذكرًا كان أو أنثى أو كاهنًا في صورة الإله «أنوب» رب الجبانة، ويُشاهَد على جانبي المقبرة خط يمثل تل الصحراء المنحدر، وهو الذي كان يظن أن الحجرات الداخلية تخترقه، ومن هذا التل كانت تخرج إلهة الغرب وتمثل عادة في صورة امرأة، وأحيانًا تمثل في صورة البقرة «حتحور» كما يُشاهَد ذلك في مقبرة «نفر سخرو» كاتب القرابين المقدسة لكل الآلهة،[٣١٥] وفي مقبرة «نخت آمون» رئيس المديح في «الرمسيوم» رقم ١٩،[٣١٦] ويُلاحَظ أن الإلهة «حتحور» هنا كانت تمد ذراعيها مستقبلة المتوفى الذي يكون في هذه اللحظة قد نزع عن نفسه غطاء موميته وخرج من تابوته كأنه خارج من شرنقة، وعندئذ تُوضع عليه ملابس الأحياء ثانية ويدخل في الحياة الجديدة التي سيعيش فيها خلف القبر ويصل إليها من بابه، كما يُشاهَد ذلك في مقبرة «امنمأبت» السالف الذكر.[٣١٧]

ورسوم هذه المزارات يمكن ترتيبها كالآتي:

(١) إطار باب بسيط محلى بكورنيش وله مدخل في الوسط، وأحيانًا نجد صفًّا من المخروطات تحت الكورنيش، كما نشاهد ذلك في مقبرة «رع موسى» رقم ٥٥.[٣١٨]

(٢) نشاهد نفس الصورة السالفة، ولكن نجد على الباب صورة هرم، وأحيانًا نرى عمدًا تكنف الباب، وغالبًا ما نشاهد لوحة أمامه.[٣١٩]

(٣) نشاهد مبنًى له كورنيش وعلى قمته هرم وله مدخل على الجانب ثم لوحة.[٣٢٠]

(٤) نشاهد قاعة ذات عمد وبجانبها هرم قائم بذاته فيه باب على طوار ذي كورنيش بمثابة قاعدة يرتكز عليها.[٣٢١]

هذه نظرة عاجلة لأشكال المزارات في عهد الأسرة التاسعة عشرة، ومنها نعلم أن المصري لم يكن جامدًا في تطور المباني، بل كان يفكر ويخترع باستمرار. ونعود الآن إلى منظر المزار الذي في مقبرة «رع إيا» وقد نشره «بورخاوت» بمناسبة الكلام على الكرانيش المحلاة بقوالب مخروطية الشكل.[٣٢٢]

ونجد صورة المزار في هذا القبر على الجدار الجنوبي، ويُلاحَظ أنها تمتد حتى نهاية الجدار، ولذلك لم تكن هناك مسافة كافية لتستقبل إلهة الغرب المتوفى، أو لتمتد الصحراء إلى ما بعد باب المزار كما كان ذلك في غير هذه المقبرة، ويُلاحَظ هنا صفان من المخروطات عند قمة الهرم، وفي أسفل الكورنيش نشاهد طاقة من الأزهار مستندة على يسار المزار خلف موميتين تقفان على طوار. وحجرة الدفن قد مثلت أسفل الصورة.[٣٢٣]

(٣-١٢) «بن إزن» (ويسمى «رعمسو امبر آمون» أو «مر إيونو»)

يدل ما عُثر عليه من آثار لهذا الرجل على أنه كان ذا مكانة ممتازة في بلاط الفرعون «مرنبتاح»، وقد وُجدت له لوحتان؛ إحداهما «بمتحف القاهرة»، والأخرى بمتحف «بروكسل»، ويُرى على

لوحة القاهرة يتعبد للإله «أوزير»، وقد أخطأ الأثري «رو» في قوله: إن «بن إزن» يتعبد للفرعون «مرنبتاح»؛ لأنه في الواقع يتعبد للإله «أوزير»، والطغراء التي بجواره لا تدل إلا على اسم الملك الذي عاش في عهده (راجع Gardiner, Wilbour Pap. II, p. 12 ff).

والمتن الذي نجده على لوحة القاهرة — وهو الذي ذُكر فيه اسم الفرعون «مرنبتاح» — يدل على ما يظهر على أن «بن إزن» قد وفد إلى مصر في عهد «رعمسيس الثاني» من بلدة «زار باسان» وهي بلا شك «زير بباشاني» التي ذُكرت في لوحات «تل العمارنة» أي «بيسان» الحالية، ويدل هذا المتن أيضًا على أنه في عهد «مرنبتاح» قد سُمي باسمين مصريين وهما «رعمسو امبررع» و«مر إيونو»، وتقلد مناصب «حاجب الفرعون الأول» و«حامل المروحة على يمين الفرعون» والساقي «طاهر اليدين أمام رب الأرضين» و«ساقي الفرعون الأكبر لحجرة القربان الفرعونية» و«ساقي الفرعون العظيم للجعة».

ويقول الأثري «رو» استنباطًا مما سلف: إن حياة «بن إزن» يمكن موازنتها بحياة «يوسف» الذي سماه الفرعون بعد دخوله مصر بوقت ما باسم مصري وهو «زافيناث» ورفعه إلى مكانة علية.[٣٢٤]

أما اسم والد «بن إزن» الآسيوي فلا يُعرف وقد سُمي باسم مصري، على أنه — على الرغم من ذلك — مخصص بعلامة تدل على أنه اسم أجنبي وهو «إي-باعا» ولا نعرف شيئًا عن أمه ولا اسمها.[٣٢٥]

وقد عُثر على نقش صغير محفوظ الآن بمتحف «بروكلين» عليه «رعمسو امبررع» يتعبد أمام الإلهة «حتحور» سيدة الجميزة الجنوبية، وكان والده يُدعى «إيوبا» الكبير كما يقول «كابار».[٣٢٦] ويُحتمل أنه هو نفس «إيوبا» الذي كان يعمل خازنًا في عهد «رعمسيس الثاني».

وقد عُثر له كذلك على لوحة في «غراب»[٣٢٧] قد رُسم عليها نفس هذا الموظف يتعبد أمام تمثال «تحتمس الثالث»، وإذا لخصنا ما في الوثائق السالفة عرفنا أن هذا الآسيوي كان يشغل منصبًا من أعظم المناصب في بلاط «مرنبتاح»، وقد أثبت تعلقه بمدينة «هيلوبوليس» المقدسة بتعبده للإلهة «حتحور» التي كان لها محاريب في كل عهد من عهود التاريخ المصري في آسيا وفي شبه جزيرة «سينا» وفي «ببلوص» (جبيل). وكذلك تعبد للفاتح الكبير «تحتمس الثالث» بوصفه الفاتح لآسيا والمحسن إلى أهلها؛ ولذلك كانت عبادته شائعة في مدنها، وقد أكد الأستاذ «إرمن» منذ زمن بعيد، الأهمية التي كانت لهؤلاء الساقين العظام والحجاب في بلاط ملوك الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين.

وقد ذكر الأستاذ «شيرني» أنه نشر في سجل استراكا «المتحف المصري» وثيقتين جاء فيهما أن «رعمسيس امبررع» هذا كان مكلفًا مع الوزير بإعداد مقبرة «مرنبتاح» سيدهما.

ومن كل ما سبق نفهم أن هذا الآسيوي الذي كان مغمور الذكر قد أصبح في نظرنا شخصية بارزة.

(١٢-٤) «ثاي» ويُسمَّى كذلك «تا»

الكاتب الملكي لمراسلات رب الأرضين، وقبره في جبانة «شيخ عبد القرنة»[٣٢٨] رقم ٢٣، وتُعد مقبرة هذا العظيم من أجمل المقابر التي بقيت لنا من عهد الأسرة التاسعة عشرة. وإن كان بعض مناظرها قد طُمس، فعلى جدران الردهة في الصف الأسفل نشاهد منظرًا يمثل الإدارة الملكية،[٣٢٩] وفي أسفل هذا نشاهد قردًا يهاجم إوزة.[٣٣٠] وفي الصف الأوسط نشاهد تكفين الموميات،[٣٣١] وفي هذه الردهة نشاهد قاعدة لمشاعل مخروطية الشكل صُوِّرت في قاعة هذا القبر، وهي جديرة بالفحص لأنها غريبة في بابها حتى إنها لم يُفهم كنهها في بادئ الأمر، وقد ظهرت في عهد الرعامسة وأشرنا إليها في المقبرة رقم ٥١ (راجع مصر القديمة ج٦)، ولا غرابة في أن تظل غير مفهومة إذا علمنا أن كل مقابر عصر الرعامسة لم تُنشر بعد نشرًا علميًّا اللهم إلا المقبرتين اللتين

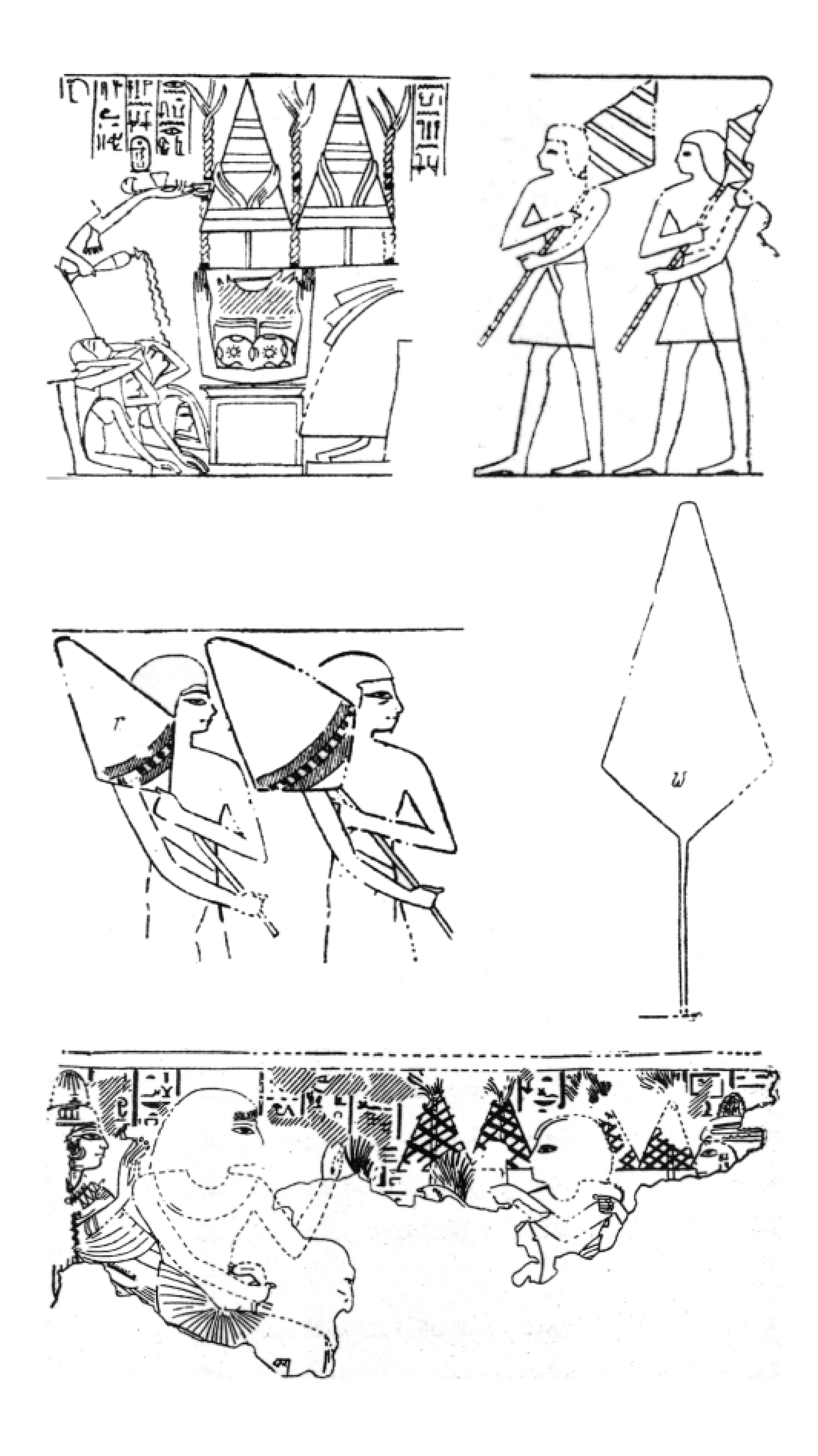
نشرهما «ديفز» وتحدثنا عنهما ببعض التفصيل في الجزء السادس، وسنتحدث عن موضوع هذه المشاعل، أو المصابيح بعد الفراغ من ذكر بعض مناظر هذه المقبرة.

ففي القاعدة نشاهد منظرًا فوق مدخلها مُثل فيه سفينة الإله «آتوم» يقدم له «مرنبتاح» القربان.[٣٣٢]

وفي الصف الأعلى من جدار القاعدة نشاهد «ثاي» أمام «أمنحتب الأول» والملكة «أحمس نفرتاري» وهو يتعبد لهما، وقد كانا يُعدان من أكبر الآلهة الحامين لجبانة «طيبة» الغربية.[٣٣٣] وفي ممر المقبرة نرى في الجزء الأسفل موكبًا جنازيًّا تنتحب فيه النسوة[٣٣٤] ومعهن أقارب المتوفى.[٣٣٥] وفي الصف الأعلى نقرأ متنًا للمتوفى وزوجه يقدمان للإله «أوزير» بوساطة الإله «حور» ابنه،[٣٣٦] وفي الحجرة الداخلية نُقش على الجدار ألقاب المتوفى في منظر تطهير،[٣٣٧] وفي المحراب نشاهد صورة الملكة «أحمس نفرتاري» وصورة «أمنحتب الأوَّل» وصورة «رعمسيس الثاني» أمام المائدة، كما نشاهد صورة البقرة «حتحور» خارجة من الغرب.[٣٣٨]

(١٢-٥) الشعلة

وموضوع المشاعل أو المصابيح في مصر القديمة له أهمية كبرى، ولذلك سنفحصه هنا على ضوء الشعلة أو الشمعة الجديدة التي ظهرت في مقابر الأسرة التاسعة عشرة، وهذه المشاعل التي سنتخذها نقطة البداية في بحثنا هنا توجد في مقبرة «وسرحات» رقم (٥١)،[٣٣٩] وقد لُوحظ أنها موضوعة بجانب مائدة القربان بين صاحب المقبرة وزوجه، من جهة كاهن يقوم بتأدية واجبه بمبخرة وإناء ماء، وتحتوي على مخروطين أبيضين محليين بأشرطة حمر وصفر وموضوعين على عمودين قصيرين مثبتين في الأرض يكنفهما ثلاث فتائل مشعلة، كل منها مؤلف من ثلاثة خيوط مجدولة كالحبل ومربوطة من الوسط ومن النهاية بخيط، وكل حبل يظهر أنه يحتوي فتيلته الخاصة لوجود ثلاثة ألسنة من اللهب منفصلة فيه راجع شكل ٨.



شكل ٨: المشاعل (١).

ووجود هذين المخروطين من المشاعل المتقدة يجعلنا نستخلص من هذه الأشكال الهرمية المنظر نوعًا من المصابيح، وبخاصة عندما نرى في مقابر أخرى من عهد الرعامسة مصابيح هرمية الشكل مشتعلة عند نهايتها.[٣٤٠]

والأمر الذي لا يمكن الفصل فيه بصفة قاطعة هو فائدة هذه المخاريط التي أصبحت شائعة الاستعمال في عهد الأسرة التاسعة عشرة، وهل كانت للاستصباح مثل المشاعل التي معها أو كانت للتبخير، أو أنها كانت تُستعمل في كلتا الحالتين؟ ومن المدهش أنه على الرغم من أنها للإضاءة، أو للإيقاد، فإن الكيفية التي كانت توقد بها لم يستدل عليها قط، وحتى في عهد الأسرة الثامنة عشرة لم نعرف ذلك إلا عند ختامها، فقد رأينا المشعلة وهي توقد، ولا نعلم إذا كان المفروض في ذلك أن يقوم بذلك المتوفى في أثناء الليل، أو عند الأعياد المسائية، أو لسبب شعيري أو خرافي.

ولا بد أن الشريط كان لا يُستحب القبض عليه باليد عند استعماله، كما لا يمكن أن يستمر مشتعلًا طويلًا؛ ولذلك كان من الطبيعي أن يبحث الإنسان عن طريقة أفضل من كلتا الطريقتين السابقتين، وبخاصة عندما أصبح من المعتاد عند أصدقاء المتوفى أن يقدموا له الشعلة شخصيًّا. والفتائل التي استُعملت فيما بعد كانت كذلك أكبر من هذه، وأحيانًا تكون ثلاثية الشكل، وكانت تُنصب مستقيمة على قاعدة موضوعة على الأرض.

وفي خلال الأسرة الثامنة عشرة كان تقديم فتيلتين لإقامة الشعيرة يقوم به في العادة كاهن، كما نشاهد ذلك في رسوم مقبرة «بوم رع» (٣٩)، ومقبرة «حوى» نائب «كوش» (٤٠)، ومقبرة «حوى» نحات «آمون» (٥٤)، ومقبرة «قن آمون» مدير بيت الفرعون (٩٣). هذا إلى أنه في مناسبة الأعياد كان أهل المتوفى يمكنهم أن يقدموها مثنى مع علبة من الشحم لتموينها، وهذا هو ما

يُعرف بتأدية شعيرة تقديم النور للمتوفى في الجبانة المظلمة.[٣٤١] وهذه الشعيرة كانت تختلف منطقيًّا عن شعيرة تقديم إناء من البخور للتضميخ حيث نجد شريطًا يُوضع منتصبًا في القدح.[٣٤٢] ونشاهد على الجدران الغربية لمقابر الأسرة التاسعة عشرة في «دير المدينة» شريطًا أو شريطين أو ثلاثة منتصبة في مسرجة واحدة يقدمها إله يُسمى «سزتي» يُنعت برب اللهيب للإله «أوزير» أو للإله «أنوبيس» عندما تغيب الشمس وراء التلال الغربية، وأحيانًا تمثل عين «حور» على مثل هذه المسرجة، وقد عُنْوِنَ ذلك في مقبرة (٢١٨) بالعبارة التالية: «إشعال نورٍ لك»، وفي هذه الحالات تكون المشاعل على هيئة فتائل أو أقراص مخروطية الشكل وتُضاء من طرفها راجع شكل ١٠.

أما الشمعدان الذي عُثر عليه حديثًا في مقبرة «توت عنخ آمون» فيشبه المسارج التي وصفناها فيما سبق، وهو شريط كالحبل منتصب في قدح له مقبض يُمون بالزيت على الدوام، أو يُصب فوقه الشحم، أو يُوضع في المسرجة. ولا نعلم على وجه التحقيق الغرض الأول من هذا الشمعدان الذي يشبه تمامًا الشمعدان الحديث، أكان للإضاءة أم للبخور؟ وإذا كان الغرض منه الإضاءة فإنه لم يكن يخلو من دخان ينبعث منه.

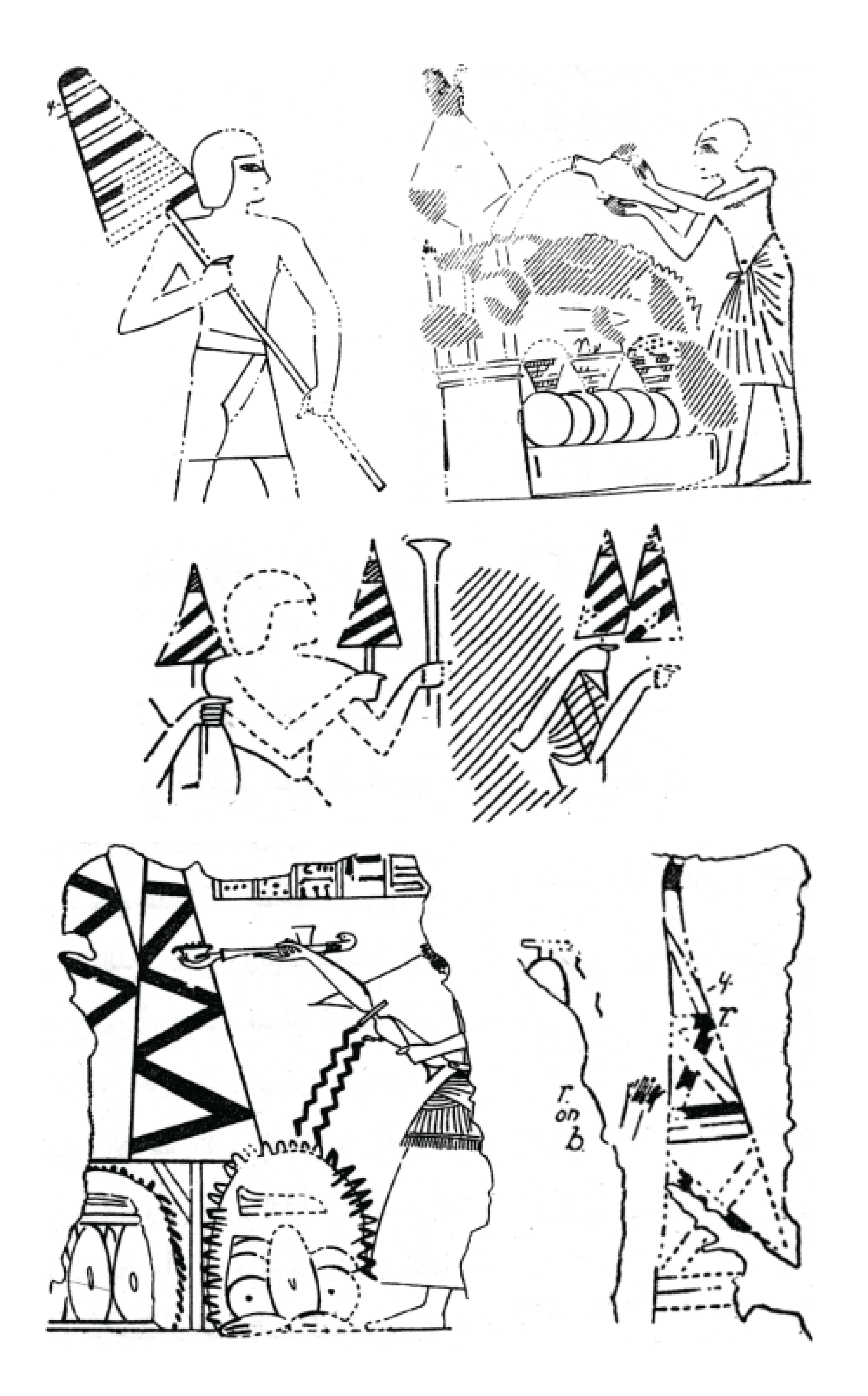
ولم تكن الفتيلة هي النوع الوحيد المستعمل للإضاءة حتى في الأسرة الثامنة عشرة، إذ نشاهد في المناظر التي على جدران المقابر مصابيح هرمية الشكل يؤتى بها للمتوفى للإضاءة، وإن كانت تظهر بأشكال قد يخطئ الإنسان تفسيرها بالنسبة لأشكال الإضاءة التي استعملت فيما بعد فهي معينة الشكل. ويظن الإنسان لأول وهلة أن كلًّا منها يحتوي على مخروط من الشحم مقلوب على مقبض مخروطي الشكل أيضًا. ولكن يُحتمل أن هذا لا يخرج من كونه كتلة من الشحم، أحد طرفيها مدبب ليوقد منه، والثاني مستطيل في وسطه عصا يُحمل منها، ولم يُرَ في الصورة أي نور يدلنا على طريقة إشعاله. وقد كان أول ظهوره في المقبرة رقم (٧٥) وهي مقبرة «أمنحتب ساسي» الكاهن الثاني للإله «آمون» في عهد «تحتمس الرابع»[٣٤٣] انظر شكل ٨ (راجع مصر

القديمة الجزء الخامس)، حيث نجد ثلاثة أو أكثر من هذه المصابيح محمولة خلف حامل أواني القربان، وكان الغرض منها أن تستعمل في وقت تناول المتوفى وجبته.

وأخيرًا نجد في مقبرة «موسى» كاتب الخزانة والمشرف على ضياع «تي» في أملاك «آمون» رقم (٢٥٤) — وقد عاش في نهاية الأسرة الثامنة عشرة — منظرًا قد رُسم رسمًا خشنًا نشاهد فيه بخورًا أحمر، أو شحمًا معطرًا يلقيه رجل على واحدة من ثلاث الشمعات المنصوبة فوق المائدة، اثنتان منها على هيئة فتيلتين عاديتين تحترقان، والثالثة على هيئة مخروط هرمي معين الشكل مضيء من أعلاه انظر شكل ٩، ومن ذلك نجد تقاربًا بين المصابيح والمشاعل التي ظهرت في عهد الأسرة التاسعة عشرة.

والصورة التي بدأنا بها البحث في المقبرة رقم (٥١) تُعد بداية عصر جديد لأشكال المصابيح التي وجدنا لها الآن نظائر في العصور التي قبلها، وفي هذه الحالة نرى أن الفتائل هي التي تحترق، لا المخاريط التي نلحظ عليها من الآن فصاعدًا أنها مسطحة القاعدة ومزينة بأشرطة أفقية، وما عدا ذلك نجد أشرطة ملفوفة حول المخاريط لتجعلها متماسكة، والشعيرة التي كانت تُستعمل من أجلها هذه المصابيح المخروطية الشكل كانت تُسمى «إيقاد النور»، وكان يتبعها تبخير القربان وتطهيره بالماء. ثم النساء النائحات على المتوفى، وكانت الشعيرة الأخيرة من الإضافات المميزة التي أُدخلت في عهد الرعامسة، وذلك على نقيض اشتراك أهل المتوفى في تناول وجبة رجوعه إلى الحياة التي كانت تُقام وسط مظاهر الفرح والابتهاج في عهد الأسرة الثامنة عشرة. والظاهر أن هذا النوع المتين من المشاعل أو المصابيح قد أصبح شائع الاستعمال، وأصبحت العادة بين أصدقاء المتوفى أن يأتوا بالمشاعل إليه مثنى مشتعلة ويثبتونها بوساطة مقابضها في الأرض أو على مائدة، وهذه الموائد كانت في الغالب على هيئة الأصص المصنوعة من الطين لغرس الأشجار فيها[٣٤٤] انظر شكل ٨، ١٠ وكانت هذه في الواقع طريقة مناسبة لغرس مقابض المصابيح التي كان شكلها من باب الصدفة يشبه شكل الشجر، وهذا النخيل كان يعجب خيال المصري كثيرًا،

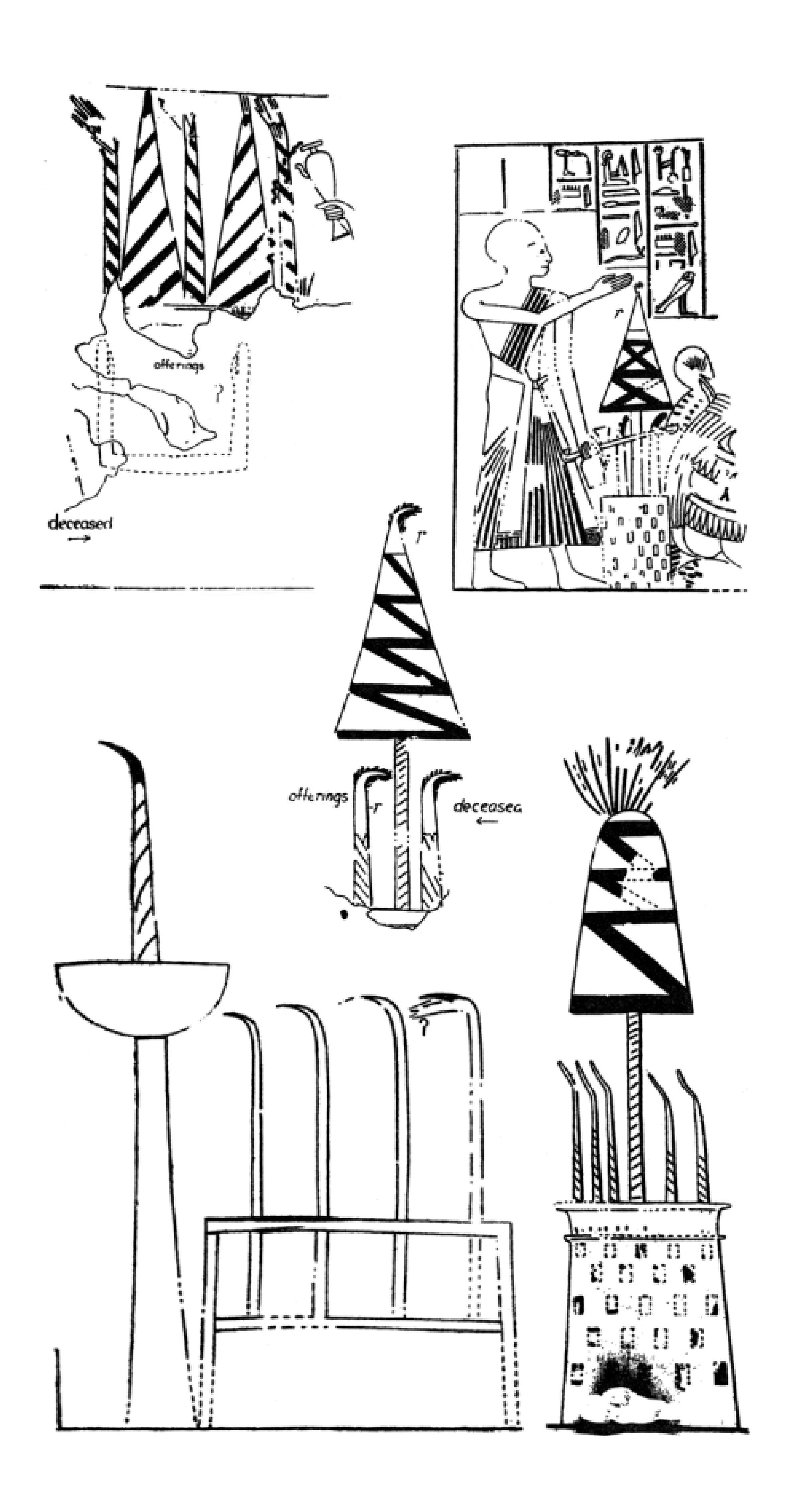
وبخاصة إذا كانت هذه المشاعل مستعملة للتضميخ — حتى ولو كان ثانويًّا — لأن ذلك يعيد إلى خيال المصري صور الأشجار التي تحمل البخور، وهي التي أحضرها المصريون من بلاد «بنت» وزرعوها في أصص في معبد «الدير البحري» وغيره.



شكل ٩: الشعلة (٢).

والواقع أن المشاعل المخروطية الشكل لم تُصوَّر إلا في مقبرة «بنبي» خادم مكان الصدق. (راجع مصر القديمة الجزء السادس) انظر الشكل ٨، ٩ وقد عاش في عهد «رعمسيس الثاني» ولكنها لم تُرسم إلا على جدارين منها؛ لأن المقبرة كان يملكها مع رجل آخر يُدعى «كاسا»،[٣٤٥] ويظهر من الدخان واللهيب اللذين يمكن رؤيتهما يتصاعدان من شكل رقم انظر الشكل ٨ أمام المشاعل المحمولة أن مخروطين أو فتيلتين قد ثبتا إما على المائدة أو بجانبها. ولا نعلم إذا كان الغرض منهما هو إحراق القربان أو الإضاءة. ويُلاحَظ في هذا المثل الذي ذكرناه أن العمود الأبيض الذي يُحمل على المخروط يمتد في داخله حتى القمة وأنه ملتهب في نهايته، ومن الجائز إذن أنه غابة سريعة الالتهاب، أو شعلة جامدة مستعملة بمثابة شريط وأن ما حوله من الشحم كان لتغذيته وجعله يضيء مدة طويلة.

ويُلاحَظ أن الشعلات المقدمة هنا لا يقدمها كهنة، بل يقدمها أطفال المتوفى بوصفها مظاهر إضافية لهدايا أخرى، لا بوصفها شعيرة دينية.


offerings
deceased
offerings
deceased

شكل ١٠: الشعلة (٣).

وتدل شواهد الأحوال على أن كل صور الشعل المخروطية التي كانت تُقدم في المقابر كانت تُرسم منتصبة على قواعد أو موائد، أو في أصص بالقرب من القربان، وكان معها فتيلتان. وأحيانًا كانت تبلغ الفتائل خمسًا كلها مضاءة.

وعلى الرغم من أن لدنيا براهين غير مباشرة على أن المخاريط — أو من المحتمل الفتائل أيضًا — كانت لها قوة التبخير، فإن هذه الشعيرة لم تكن تتم بإضاءتها فقط، إذ لم يكن بدٌّ من وجود كاهن، أو ابن للمتوفى يقوم مقام الكاهن ليبخر ويطهر القربان؛ ولذلك نجد أن تقديم الشعلة لا يصحبه عادة متن. ولكنا نجد في ردهة مقبرة «ثاي» رقم (٢٣) متنًا طويلًا مضافًا للمنظر يذكر لنا الصفات المفيدة التي تنجم عن وجود المضيء، وفي هذا المنظر كذلك نشاهد كاهنًا على اليمين يبخر ويطهر القربان أمام المتوفين — الرجل وزوجه — وبين القربان والمقرِّب لهما أُقيمت قاعدة شعلة انظر الشكل ٩، كما توجد كذلك قاعدة أخرى لقربان ومعها إناء عطور أو دهن، وإناء مشتعل للبخور موضوع على عمود ذي رأس بردي الشكل، وهاك ما جاء في هذا المتن: (أوله مهشم) …

للسنة الجديدة مقدمًا قربانًا «لأوزير» (تا) — (وهو اسم ثانٍ «لثاي» صاحب المقبرة) — كاتب سجلات رب الأرضين، في اليوم المذكور، معطرًا بزيت (مزت) ومشعلًا نورًا، وواضعًا قربانًا «لأوزير تا».

سلام عليك يا شعلة «أوزير تا»، سلام لك يا عين «حور»، يا من ترشدين الآلهة في الظلام، ويا من تقودين «أوزير تا» من أي مكان له إلى المثوى الذي يرغب أن يكون فيه روحه. وإني أمد مصباح «أوزير تا» الجميل بالشحم الجديد … والدك «جب»

وأمك «نوت» و«أوزير» و«إيزيس» و«ست» و«نفتيس» حتى يضيئوا وجهك. ولكي يفتحوا بتلك الأصابع الخمس من الزيتون (خمسة مشاعل من زيت الزيتون؟) وهي التي يُفتح بها فم الإله، وقد أعطيت ... وأعطى على الأرض، وقد أعطى في حقول «يارو» في ليلة عيد أول السنة السعيد (؟) إلى ... وقد أعطيت ماء الآلهة العذب، وقد أعطاك الآلهة كذلك من الماء العذب الـ ... النجوم الطاهرة التي لا تغرب، والنجوم الثابتة. ليت شعلة «أوزير تا» هذه الجميلة تكون سرمدية، وليت شعلة «أوزير تا» هذا تفلح كما يفلح «آتوم» سيد ... في «هليوبوليس»، ليت شعلة «أوزير تا» الجميلة تفلح كما يفلح اسم «شو» وكذلك «تفنوت» و«جب» و«نوت» و«إيزيس» و«نفتيس» و«حور» و«وازيت» ... و«تحوت». ليت هذه الشعلة الجميلة ملك «أوزير تا» تسعد في سفينة المساء، وفي سفينة الصباح، وليتها لا تخيب ولا تتلف أبدًا. إن «أوزير تا» قد ضوعف طهوره، وإن السماء مفتوحة لك، والسماء مدحوَّة أمامك، والطرق في الجبانة ممهدة لك، وإنك تروح وتغدو مع «رع»، وتمرح في مشيتك مثل أرباب الأبدية، وإن «حعبي» (إله النيل) هو الذي سيعطيك الماء، وإن «نبر» (إله الغلال) سيعطيك الخبز، و«حتحور» تقدم لك الجعة، والبقرة «حسات» (إلهة) تقدم لك اللبن، أنت يا «أوزيرثاي» يا من طهوره «مضاعف» ا.هـ.

ويُلاحظ في هذا المتن أنه موجه لشعلة واحدة جميلة، ولا بد أن ذلك يشير إلى الشعلة المخروطية الشكل، وأن الغرض منها هو الإضاءة، ومع ذلك نجد أنه قيل عن استعمالها الثانوي للتبخير إن له صدًى في نهاية هذا المتن حيث نلحظ أن الغرض المطلوب من إقامة هذه الشعيرة كان طهور المتوفى؛ ففي مقبرة «أمنمحات» رقم (٨٢) وهو كاتب «آمون» وحاسب غلاله، نجد — كما نجد هنا — أن العيد الذي كان يحتفل به هو عيد أيام النسيء الخمسة التي تأتي في آخر السنة،[٣٤٦] فكانت إضاءة المشاعل مساء يوم رأس السنة من مظاهر هذا العيد الخاصة؛ ففي مقبرة

«أمنمحات» نجد أنه قد استُحضرت خمس شعلات لهذه الأيام الخمسة التي كانت تُعد الأيام التي وُلد فيها «أوزير» و«حور» و«ست» و«إيزيس» و«نفتيس» على التوالي. وكذلك كانت تُجلب شعلتان أخريان ليوم رأس السنة، ولعيد اتحاد الأرواح، وكذلك الشعلة اليومية.[٣٤٧] وهذه الشعلات الخمس قد أُحضرت في مقبرة «ثاي» ووُضعت على المنضدة؛ ولهذا نجد إشارة خاصة لأولاد «جب» و«نوت» الأربعة: «أوزير» و«ست» و«إيزيس» و«نفتيس». ومن المحتمل أن الشعلة المخروطية الشكل الكبيرة كانت مخصصة ليوم رأس السنة نفسه.

(١٢-٦) بنتاور

ويُلقب ساقي الفرعون

وقد وُجدت له لوحة في «العرابة» مؤرخة بالسنة الأولى من حكم «مرنبتاح» (راجع Marriette Abydos II, p. 49).

(١٢-٧) رعمسيس حرو

وُجدت له لوحة مؤرخة بالسنة الأولى من عهد «مرنبتاح» وهي محفوظة الآن «بمتحف اللوفر» وهي مهشمة، ويحمل عليها لقب «موظف حجرة الملك»، كما كان يُلقب «غاسل يدي سيده» (راجع Boreux, Guide. Cat. I, p. 92).

(١٢-٨) معي

مدير عيد «آمون» في كل أعياده (Champ. Notices Desc. I, 649 to 262 I, 18).

(١٢-٩) حورا

الكاتب المشرف على مائدة الفرعون (راجع Pierret Rec. Insc, 9) وُجد له تمثال محفوظ الآن «بمتحف اللوفر».

(١٢-١٠) خع امتير

وقبره في جبانة «شيخ عبد القرنة» (راجع L. D. III, 199, g).

(١٢-١١) قن حر خبشف

كان يُلقب كاتب القبر، أي إنه كان كاتبًا مكلفًا بالمراسلات الخاصة بالعمال الذين كانوا يشتغلون في مقبرة الفرعون «مرنبتاح» في «أبواب الملك»، كما كان مكلفًا بتموين العمال الذين يعملون في حفر هذه المقبرة. وقد عدد الأستاذ «شيرني» المصادر التي ذُكر فيها اسم هذا الكاتب، كما ذكر لنا ذلك الأستاذ «جاردنر» فيقول: إن الكاتب «قن حر خبشف» كان شخصية معروفة جدًّا. وقد ظهر بوجه خاص في النقوش التي على الصخور التي نقلها الأستاذ «اسبيجلبرج». والنقش رقم ٥٨٠ من هذه النقوش مؤرخ بالسنة الأولى من حكم «مرنبتاح»، وقد ذُكر هذا الكاتب مرتين في ورقة «صولت» رقم ١٢٤، ويرجع تاريخها إلى عهد «سيتي الأول» أو بعده بقليل، ولكنها على أية حال قبل عهد الفرعون «ستنخت»، وأقدم تاريخ للكاتب «قن حر خبشف» جاء على استراكا «بالمتحف البريطاني» بتاريخ العام الثاني والأربعين من حكم «رعمسيس الثاني» وقد جاء ذكره على عدة مجاميع من الاستراكا المحفوظة «بالمتحف المصري» (راجع No. 25779, 25780, 25783, 25784, 25785) وقد أُرِّخت بالسنين الأولى والثانية والرابعة ما بين حكم «مرنبتاح» و«سيتي الثاني» وفي استراكا «بمتحف القاهرة» (No. 25882. Rt) سطر «قن حرخبشف» الكاتب خطابًا للوزير «خعي» — وهو الذي كان يتولى الوزارة في عهد «رعمسيس الثاني» في السنة الثانية والأربعين، وكذلك في السنة الرابعة والأربعين، هذا وقد وُجد اسمه في القبر رقم ٢١٦ «بدير المدينة»، ويرجع تاريخ هذا القبر إلى عهد «رعمسيس الثاني»، ولا بد أن قبره كان في «دير المدينة» أيضًا غير أنه قد خرب تمامًا أو أنه لا يزال قائمًا ضمن المقابر التي لم يُعرف اسم صاحبها للآن، وقد ذكر الأثري «بليت» أن قبره يرجع إلى عهد الأسرة العشرين.

وقد عثر على بعض آثار باسمه، ولا شك في أنها من قبره؛ منها مائدة قربان،[٣٤٩] وحوض قربان،[٣٥٠] وعارضة باب،[٣٥١] وحوض قربان آخر.[٣٥٢] وفي «متحف القاهرة» عدة استراكا يظهر أن كاتبها هو «قن حرخبشف»؛ ويدل الخط المكتوب به ظهر ورقة كتاب الأحلام على أنه من تحبيره.

وقد وصل إلينا منه خطاب كتبه للوزير «بانحسي» الذي تحدثنا عنه فيما سبق والجزء الخاص بالتحيات للوزير والثناء على الفرعون من هذا الخطاب سهل الترجمة، ولكن الجزء الذي يتحدث عن مطالب العمال ورؤسائهم تظهر فيه صعوبات لغوية لم يمكن التغلب عليها، هذا بالإضافة إلى أن المتن فيه فجوات، وهاك ما أمكن ترجمته: إن الكاتب «قن حرخبشف» لمقبرة الملك «بان رع» العظيمة، محبوب «آمون بن رع» «مرنبتاح» المسرور بالصدق في بيت «آمون» يرسل أخبارًا سارة لسيده حامل المروحة على يمين الفرعون وعمدة المدينة ووزير الوجهين القبلي والبحري «بانحسي» في حياة وسعادة وصحة، وهذا خطاب لإعلام سيدي، وإخباره بما يسر، ذلك أن المكان العظيم (القبر الملكي) للفرعون الذي تحت سلطان سيدي في نظام حسن، وجدرانه في أمان ولم يصبه أي ضرر. وفضلًا عن ذلك فإن العمل في المكان العظيم للفرعون يسير بنظام تام، ويعمل الإنسان فيه على حسب إرادة الفرعون، سيده الطيب، وقد أنجز البناء الأبدي بإتقان. ليت الفرعون سيدي يمضي حياته بوصفه سيد كل أرض، وليته يحكم كما حكم «رع» والده مسيطرًا على كل ما يحيط به قرص الشمس، في حين أن كاتب الملك الحقيقي محبوبه وحامل المروحة على يمين الفرعون، والفم الذي يهب الطمأنينة في الأرض قاطبة، وصاحب الحظوة الأولى عند جلالته، والستار العظيم للأرض جمعاء، والبوابة العظيمة الحامية لجلالته، ومن أوامره مطاعة كلها، ومن مشاريعه كلها لا يخطئ واحد منها، عمدة المدينة والوزير «بانحسي» في حظوته كل يوم. أخبار سارة أخرى لسيدي إذ إننا لسنا … بالمعاول والجبس وعمال الفرعون قد أنجزوا … المعاول التي كانت في أيديهم، وأرجو أن يقصها على المشرف على خزانة الفرعون ويكتب إلى «بياي» وكيل

خزانة الفرعون، وأرجو أن يورد معاول ومكاتل، وليته يكتب إلى وكيلي العمال ليمدانا بالجبس، وليته يكتب إلى الكتاب ليجعلهم يعطوننا أرزاقنا؛ لأن المشرف على مائدة القربان المسمى «بياي» كان هنا حتى اليوم ولم نرهم … وبسبب بعد المسافة عنهم التي من أجلها سيدنا الفرعون يكون …

والأسطر القليلة الخاصة بحاجيات العمال في مقبرة «مرنبتاح» لها أهمية عظيمة، وقد كشفت لنا بحوث علماء الآثار الحديثة في هذا الصدد كثيرًا عن حياة هؤلاء القوم وشخصياتهم، غير أننا لم نعلم إلا القليل عن كبار الموظفين الذين كانوا يشرفون عليهم والمسئولين عن إطعامهم.[٣٥٣]

(١٣) حالة البلاد بعد «مرنبتاح»

يدل ما لدينا من الآثار الباقية على أن «مرنبتاح» لم يمكث على عرش الملك أكثر من ثماني سنوات، وليس لدينا حتى الآن ما يثبت أنه قد حكم عشرين عامًا كما ذكر لنا «مانيتون» (راجع مصر القديمة ج٦)، وتُعد الفترة التي تلت موت «مرنبتاح» فترة اضطراب وقلاقل في داخل البلاد بسبب الثورات التي قامت من أجل عرش الملك والتطاحن عليه بين أفراد أسرة هذا العاهل. وهذه الفترة من الزمن في حكم البلاد تشبه الفترة التي مرت علينا في تاريخ التحامسة بعد موت «تحتمس الأول»، وهاتان الفترتان من تاريخ البلاد لا زالتا غامضتين على الرغم مما بذله المؤرخون والأثريون للوصول إلى كشف النقاب عنهما.

والواقع أن البلاد بعد عهد «مرنبتاح» كانت في حالة إعياء وفقر داخلي بالغين؛ فقد كانت — قبل عهد «مرنبتاح» — منهمكة في الحروب التي شنها «رعمسيس الثاني» على البلاد المجاورة، كما أنه كذلك كان قد استنفد مواردها في إقامة المباني الدينية والتماثيل الهائلة التي ملأ بها البلاد من أقصاها إلى أقصاها، حتى إن ابنه «مرنبتاح» أي ابن «رعمسيس الثاني» لما تولى عرش الملك لم يجد من المال ما يمكنه من إقامة آثار لنفسه، فاغتصب آثار أسلافه كما ذكرنا، وقد زاد الطين بلة تألب بلاد «لوبيا» عليه ومهاجمة ممالك البحر لمصر، ولم يكن في استطاعته صدهم عن

احتلال الدلتا إلا بشق الأنفس، ومع ذلك نجد أن هؤلاء الأقوام كانوا قد أخذوا يتسربون إلى البلاد ويتخذون لأنفسهم مساكن فيها، بل وكانوا يشغلون أيضًا بعض وظائف الدولة الهامة، ومن أجل ذلك نجد أنه لما تُوفي «مرنبتاح» كانت الأمور مهيأة لقيام الاضطرابات وتأليف الأحزاب التي نجدها تنمو وتترعرع في مثل هذه الأحوال لانعدام الشخصية القوية التي تضرب على أيدي العابثين والنفعيين؛ وقد بقيت البلاد حقًّا في اضطراب مستمر منذ نهاية حكم «مرنبتاح» حتى مجيء «رعمسيس الثالث» الذي خلصها زمنًا من الفوضى التي كانت تهدد كيانها وتسير بها نحو الانحلال أولًا ثم الفناء آخرًا.

وتتجلى مظاهر الفوضى في البلاد في تلك الفترة فيما نشاهدها من انعدام الآثار التي تحدد لنا تتابع الملوك الذين جاءوا بعد «مرنبتاح»، ولا يزال المؤرخون مختلفين في أمرهم في هذا الشأن حتى الآن، وقد طلع علينا الأثري «إمري» برأي جديد لحل بعض المشكلات التي تجعل ترتيب أواخر ملوك هذه الأسرة هو الرأي الذي أخذ به «بتري» مقبولًا، وأن ما اتبعه «مسبرو» من ترتيب لا يتفق مع الواقع،[٣٥٤] وقد أصبح الترتيب المتفق عليه حتى الآن مؤقتًا عند معظم المؤرخين وعلماء الآثار المصرية هو:

(١) سيتي مرنبتاح (سيتي الثاني)، (٢) «منموس»، (٣) «رعمسيس سبتاح»، وأخيرًا: (٤) الملكة «توسرت».

وتدل البراهين التي أوردها «إمري» على أن ترتيب «بتري» هو الصحيح (راجع Petrie Hist. of Egypt III, p. 120 ff)، ومع ذلك فإن وجود طغراء «سيتي الثاني» منقوشًا على اسم «رعمسيس سبتاح» لا يمكن أن يتفق مع ترتيب «بتري» في تتابع أسماء هؤلاء الملوك، وقد فسر «مسبرو» ذلك بقوله: إنه عند موت «سبتاح» تزوجت «توسرت» الفرعون «سيتي الثاني». وقد أكد هذا الرأي الأساور الفضية التي وُجدت لها باسم هذا الملك، والنظرية المعقولة بالنسبة

لخلافة الملوك وتتابعهم في تلك الفترة تتوقف على أمر واحد كما يقول «إمري» وهو: هل كان هناك ملك ثالث يُدعى «سيتي»؟ ونحن من جانبنا نعلم بوجود أمير على بلاد «كوش» في تلك الفترة يُدعى «سيتي» (راجع مصر القديمة ج٥). وقد شغل هذه الوظيفة في عهد «سبتاح» إلى أن تولى وظيفته هذه آخر يُدعى «حورا» (راجع مصر القديمة ج٥) في السنة السادسة من حكم هذا الفرعون، ويتساءل «إمري» هل تزوجت الملكة «توسرت» بعد موت «سبتاح» من «سيتي» نائب بلاد «كوش» وجعلته شريكًا لها على عرش البلاد؟ فإذا كان الرد بالإيجاب فإنها تكون نظرية مقبولة تحل المشكلة، وعلى ذلك يمكن أن يكون القبر رقم ١٥ للملك «سيتي الثاني» وأن الطغراءات التي وُضعت زورًا في مقبرة «توسرت» رقم ١٤ «بأبواب الملوك» لحاكم بلاد النوبة «سيتي» زوجها أي «سيتي الثالث»، وبذلك يمكن تفسير وجود مقبرتين لملك واحد. وكذلك تشير الأساور الفضية إلى «سيتي الثالث» — حاكم بلاد النوبة. وعلى هذا الزعم يمكن تفسير السبب الذي من أجله نجد أن الزوجة الملكية العظيمة التي نقشت عليها هي «توسرت» لا «تاخعت»، وهذه النظرية التي طلع علينا بها «إمري» براقة خلابة في شكلها جذابة في موضوعها غير أنه ينقصها السند التاريخي الصحيح، وسيبقى الموضوع معلقًا إلى أن تجود الآثار المغمورة تحت الأرض في منطقة «أبواب الملوك» ببرهان جديد لا يحتاج إلى فروض.

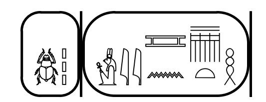
---

[١] راجع: G. Contenau, La Civilisation Des Hittites et Des Hurrites Du Mitanni P. 107 ff (Paris 1948).

[٢] راجع: Maspero, The passing of the Empires p. 455 ff.

[٣] «سوبار» و«سوبارتو». وهذه التسمية قد أُطلقت فيما بعد على «سوريا» الشمالية ومنها اشتُق على ما يظهر اسم «سوار» و«سوارا» وأخيرًا «سوريا» (راجع Hrozny, Histoire De

سيتي مرنبتاح



تولى الملك بعد «مرنبتاح» ابنه الأكبر «سيتي مرنبتاح» أو «سيتي الثاني». وتدل النقوش التي لدينا على أنه كان في أيام والده هو الوالي على العرش، إذ كان يحمل الألقاب التالية: الأمير الوراثي، والحاكم، ورئيس الأرضين، وكاتب الملك، والقائد الأعلى للجيش؛ هذا فضلًا عن لقب الكاهن «سم» الذي كان يحمله. وهو الكاهن الأكبر للإله «بتاح».



شكل ١: الفرعون سيتي (الثاني) مرنبتاح.

وفي تل «بسطة» عُثر على قاعدة تمثال جالس «لمرنبتاح» ومعه ابنه «سيتي مرنبتاح» ويُلقب بولي العهد.[١] وكذلك يُشاهد مع والده على مناظر مقصورة «بانحسي».[٢]

وقد تولى الحكم في السادسة والخمسين من عمره تقريبًا، وإذا كانت «تاخعت» هي بنت «رعمسيس الثاني» كما تدل على ذلك الألقاب التي تحملها وهي: البنت الملكية، والزوجة الملكية العظيمة، والتي ضمت إليها «حور» فإنها كانت لا تزال في السنة الثالثة والخمسين من حكم «رعمسيس الثاني» أميرة، إذ كانت آنذاك تبلغ الخامسة والعشرين من عمرها تقريبًا. وكان «سيتي مرنبتاح» نفسه وقتئذ في السنة الثالثة والعشرين من عمره، ويُحتمل أنهما قد تزوجا بعد ذلك مباشرة.[٣]

(١) مبانيه

وقد دلت الكشوف الحديثة على أن هذا الفرعون كان ذا نشاط نسبي في إقامة المباني في معبد الكرنك بنوعٍ خاص، وربما كان السبب في ذلك رغبته في إرضاء كهنة «آمون» وطمعه في أن ينحازوا إلى جانبه في ذلك الوقت المضطرب، ولذلك نجد له بعض إضافات ونقوش في أنحاء هذا المعبد.

وقد أثبتت الحفائر التي قام بها «شڤرييه» في السنين الأخيرة في «الكرنك» أنه أقام معبدًا صغيرًا للإله «آمون» هناك. (راجع Chevrier: Le Temple Reposoir De Seti II, a Karnak).

(١-١) معبد استراحة «آمون»

كان أول من نوه عن وجود معبد باسم هذا الفرعون هو الأثري «لجران»[٤] في عام ١٩١٣م، وقد لمح «مريت» إلى وجود مباني هذا المعبد الخارجية؛ لأنه تكلم عن بعض الصيغ الدينية، وقد نسبه

بحق «لسيتي الثاني».[٥]

ويحتوي هذا المعبد على ثلاث محاريب متوازية لتُوضع فيها السفن المقدسة لثالوث «طيبة» وهم: «آمون» و«موت» و«خنسو».

ويقع في الجزء الشمالي الغربي من الردهة الكبيرة لمعبد «آمون»، ومحوره عمودي على محور المعبد الكبير. وتركيب المعبد بسيط في ذاته، فواجهته الرئيسية يخترقها أبواب ثلاثة يؤدي كل منها إلى أحد المحاريب الثلاثة؛ فالباب الأوسط يؤدي إلى محراب «آمون» وهو في العادة أكبر من الآخرين، ويحتوي على ثلاث مقاصير في الجدار الخلفي، والمحراب الغربي مُهدًى للإلهة «موت» ولا يحتوي إلا على مقصورتين في الجدار الخلفي، والمحراب الشرقي مهدًى للإله «خنسو» ويحتوي على مقصورتين في الجدار الخلفي أيضًا، ولكن يشمل فوق ذلك ثلاث مقاصير منحوتة في الجدار الشرقي.

والظاهر أن «سيتي الثاني» قد عُني عناية خاصة بمباني هذا المعبد فلم يغتصب من مباني أسلافه، بل وضع أساسه بأحجار من الكوارتسيت المستخرج من «الجبل الأحمر» القريب من القاهرة، وهو الذي تباهى «أمنحتب الثالث» بعمل تماثيله منها في «طيبة» الغربية، وقد وُضعت على طبقة سميكة من الرمل.

وجدران هذا المعبد سميكة جدًّا أكثر من اللازم لمبنًى بهذه الأهمية؛ «فالمدماك» الأول الذي فوق الأساس من الكوارتسيت، وكذلك إطارات الأبواب. أما باقي المباني فمن الحجر الرملي العادي المستخرج من «جبل السلسلة» والظاهر أن الجدار الغربي لم يكن قد تم تنسيقه.

(أ) المناظر الخارجية

زُينت واجهة المعبد الرئيسية بصف واحد من المناظر يشاهَد فيها بعض الشخصيات وهم واقفون، والملك يقدم القربان لآلهة مختلفين، وعلى عتب الباب الكبير نقش تام يشمل اسم الملك ولقبه، ولكن

نقوش عارضتي الباب المصنوعتين من الكوارتسيت لم تتم بعد، وقد رُسمت دون تفصيل.

وعلى الواجهة الشرقية على الجدار الشرقي الرئيسي بعض إشارات في ثلاثة صفوف عمودية. ونجد المناظر على الجدار نفسه مقسمة صفين يمثل كل منهما منظر قربان يقدمه «سيتي الثاني» لآلهة «طيبة»، وهم من جانبهم يكافئونه بطول العمر والسلام والسيطرة على الأقواس التسعة، وبالأعياد الثلاثينية إلخ، وهكذا على الجوانب الخارجية الأخرى.

(ب) النقوش الداخلية

نشاهد على جدران المحاريب تمثيل المناظر التي تتحدث في هذه المحاريب، أي نشاهد الملك يقدم القربان أمام السفن المقدسة «لآمون» و«موت» و«خنسو» ثم أمام الثالوث معًا.

وكان الملك مرسومًا يسبق ابنه، غير أن الأخير قد مُحي — ولا بد أن خلفه هو الذي فعل ذلك بسبب المشاحنات التي كانت قائمة على تولي العرش بعد «سيتي الثاني» — في محراب «آمون». وكانت المناظر مصورة بحيث تواجه الناظر إليها في المحراب الرئيسي، كما كانت في محراب «موت» ولكن الأمر لم يكن كذلك هنا؛ لوجود ثلاث كوات في الجدار الشرقي، والجدران الخلفية لهذه المحاريب الثلاثة يحتوي كل منها على صف من النقوش فوق الكوات مُثل فيها الآلهة جالسين. وفي المحراب الأوسط — أي محراب «آمون» — نجد الكوات يعلوها قرص الشمس المجنح وسطر من المتون على جزأين محورهما وسط الجدار. وهذه العناصر لا توجد فوق كوات المحرابين الآخرين. وجوانب الأبواب ليست مزخرفة على نسق واحد في المحراب الأوسط وفي المحاريب الأخرى الجانبية، ففي المحراب الأوسط نجد جانبي الباب قد زُخرفا بأربعة أسطر أفقية بطغراءات موزعة عمودية، وسطر أفقي من الكتابة يقدم لنا روايات مختلفة لألقاب الفرعون يفصل الأسطر التي تحتوي الطغراءات. أما جوانب الأبواب في المحرابين الآخرين فيحتوي كل منهما على منظر قربان في صف واحد.

ويُلاحظ هنا أن نقوش هذا المعبد قد حُفرت بالنقش الغائر على حسب طراز هذا العصر، غير أنها ليست عميقة في نقشها، كما نشاهد ذلك في معابد «رعمسيس الثاني» وأخلافه.

وأهم النقوش التي في محراب «آمون» ما نجده في المقصورة فوق السفينة المقدسة؛ خطاب «آمون رع» سيد الأرضين:

> يا بني من ظهري، ومن أحبه، يا سيد التيجان «سيتي مرنبتاح»، إني مسرور مما فعلت، وإن قلبي مغتبط، وإني أهب جمالك الحياة والسعادة، وإني أعطيتك القوة في كل البلاد الأجنبية، وأمراؤها يقومون بالتضرع إلى وجهك، وهم يأتون منحنين وجزيتهم محملة على ظهورهم خوفًا منك.
>
> وزينة رأسك على وجهك الجميل، وشعرك المستعار يتآخى مع الصلين اللذين على جبينك، وإني أجعله يلمع بقدر ما تمكث الآثار التي أقمتها لي في «الكرنك» حتى الأبدية.

وتجد على طول الجدار الشرقي تحت الصف الرئيسي المتن التالي الذي يحدثنا عن تقديم المعبد للإله «آمون» وهو:

> «حور» الثور المنتصر المحبوب من «رع» سيد التاجين، حامي مصر. وغال البلاد الأجنبية — «حور»، قاهر «نبتي»، عظيم الانتصارات في كل الممالك — ملك الوجهين القبلي والبحري، سيد الأرضين «وسر خبرو رع مري آمون» — ابن «رع» سيد التيجان (سيتي مرنبتاح)، لقد أقام هذا أثرًا لوالده «آمون رع» ملك الآلهة مثوًى له لملايين السنين من الحجر الأبيض الجميل الرملي، وبأبواب من الأرز الحقيقي، واسمه الجميل هو (مثوى «سيتي مرنبتاح» في معبد «آمون») وقد أقام (هذا) له ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر خبرو رع مري آمون» ابن الشمس «سيتي مرنبتاح» محبوب «آمون».

وكذلك نجد في محراب «خنسو» الفرعون يقدم المحراب لإلهه «خنسو» في «طيبة» الملقب «نفر حتب» «حور» الثور المنتصر، محبوب «رع»، سيد الإلهتين، حامي مصر، وغال البلاد الأجنبية «حور الذهبي»، عظيم الانتصارات في البلاد الأجنبية كلها، ملك الوجهين القبلي والبحري، وسيد الأرضين، «وسر خبر ورع مري آمون» ابن «رع» سيد التيجان «سيتي مرنبتاح». لقد أقام هذا بمثابة أثره لوالده «خنسو» في «طيبة» «نفر حتب» بانيًا له مكانًا جديدًا «عظيمًا» من الحجر الرملي الأبيض الجميل المتقن الصنع. وعمل هذا له ابنه ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر خبرو رع» محبوب «آمون» ابن «رع» «سيتي مرنبتاح» محبوب «خنسو» في «طيبة» «نفر حتب».

وفي محراب الإلهة «موت» نشاهد على الجدار الشرقي في الجزء الجنوبي الملك يحلق فوق العقاب. ويتبعه أمير ملكي لا يزال في طفولته يصب الماء أمام المقصورة الصغيرة التي تستر القارب المقدس المحلى برأس «موت»، وقد كتب فوق الفرعون ألقابه: «المحبوب من «موت» العظيمة سيدة «إشرو» وملكة الآلهة كلهم.»

وكُتب فوق الأمير الصغير:

> التعبد «لموت» العظيمة، وانشراح روحها، وتقبيل الأرض أمام (عين رع) سيدة كل الآلهة … الساحرة الكبيرة التي تسكن في المحراب «رعيت» سيدة الواحة (؟).
>
> ليتها تحرس ابنها سيد الأرضين «وسر خبرو رع» محبوب «آمون» لكل الحياة والثبات والسعادة بطول عمر مثل الشمس مخلدًا ليتها (؟) تعطي الخطوة … في صحة على الأرض، وأن أكون محترمًا … جلالته لهذا الإله المفخم «آمون رع» ملك الآلهة. الأمير الابن الأكبر للملك «سيتي مرنبتاح» «المبرأ».

ولا نعلم من هو هذا الأمير؛ لأن اسمه لم يُذكر في النقوش.

أما باقي نقوش المعبد فليس فيها ما يلفت النظر، بل كلها تحتوي على تقديم القربان والعطور بوساطة الفرعون، ومخاطبة الآلهة شاكرين له صنعه وما يحبه وكل ما يتمناه في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

أما آثار هذا الفرعون الأخرى في معبد الكرنك فهي كالآتي:

(١) نجد له سطرين من النقوش على البوابة الرابعة، وكذلك نُقش اسمه وألقابه مع متن «لتحتمس الرابع».[٦]

(٢) نقش متنًا على عارضة باب في معبد «آمون» الكبير بالقسم الشرقي مع نقوش «لتحتمس الثالث» (راجع Porter and Moss, II, p. 33).

(٣) عثر «لجران» في الزاوية الجنوبية الشرقية من قاعة العمد الكبرى لمعبد «آمون» على عدة أحجار منقوشة كانت تؤلف الجزء الأعلى من الجدار، وقد أُرخت بعهد الفرعون «رعمسيس الثاني» غير أن «سيتي الثاني» قد وضع عليها اسمه عليها. والمتن الذي نُقش على هذه الأحجار يشمل أنشودة للإلهة «وازيت» وقد وُجدت هنا مهمشة، غير أنها موجودة برمتها في معبد «رعمسيس الثالث» الذي أقامه «لآمون» في معبد الكرنك العظيم، وقد نشر هذا المتن «بركش».[٧]

(٤) البوابة السابعة: نجد عند مدخل هذه البوابة كوة صور عليها «سيتي الثاني» مع ثالوث «طيبة» (راجع Jequier, L'Architecture I, pl, 56 (3)).

(٥) البوابة العاشرة: نجد اسم «سيتي الثاني» منقوشًا على قطعة جرانيت في هذه البوابة (راجع Porter and Moss, II, p. 63).

وله لوحة من الجرانيت عُثر عليها بين تماثيل «بو لهول». (Rec. Trav. XIV, 30, 31).

(٦) معبد «موت»: أقام هذا الفرعون بوابة هذا المعبد وقد زيد فيها في عصر البطالسة، وأمام البوابة الأولى أقام هذا الفرعون مسلتين صغيرتين لم يبقَ منهما إلا واحدة الآن (راجع Mariette, Karnak p. 17).

(٧) البوابة السادسة: نقش اسمه على البوابة السادسة من معبد الكرنك (راجع Mariette, Carnak p. 30). وكذلك قام بإصلاحات في الردهة التي في شرق البوابة السادسة (راجع Champ. Notices II, p. 139). وعلى الجدار الغربي بين البوابة الثانية والبوابة الثامنة كتب اسمه (راجع Champ. Notices II, 194).

(٨) البوابة التاسعة: نجد على هذه البوابة أنشودة للإله «آمون رع» (راجع L. D. III, 237 c; A. Z. XI, 174). وكذلك وُجد عند هذه البوابة تمثال «لبو لهول» كُتب عليه اسمه ولكنه مغتصب (راجع Champ. Notices II, 174).

(٩) معبد «خنسو»: كتب هذا الفرعون اسمه على «كرنيش» هذا المعبد (راجع Weidemann. Gesch, 482).

(١٠) معبد الأقصر: نقش اسمه على قاعة عمد «أمنحتب الثالث» (راجع Ibid).

(١١) الرمسيوم: وُجدت ألواح من الخزف باسمه (راجع Quibell, Ramasseum p. 9).

(١٢) : مدينة «هابو»: توجد خلف المعبد لوحة منحوتة في الصخر باسمه اغتصبها من «ستنخت» (راجع L. D. III, p. 204 d).

(١٣) الحمامات: وُجد اسم «سيتي الثاني» على صخور وادي الحمامات (راجع Golenischeff Hammamat, II).

أما سائر آثاره في أنحاء القطر فهي كالآتي:

(١) الإسكندرية: يُوجد بها عمود من الجرانيت باسم «سيتي الثاني» (راجع Rec. Trav VII, P. 178 and L. D. Text I, p. 217).

(٢) تانيس: قطع من الحجر عليها اسم هذا الفرعون (Petrie, Tanis II, pl. VII, p. 11, 19).

(٣) تل بسطة: وُجدت صورته وهو أمير على تمثال من Naville, Bubastis p. 45.

(٤) تل الفراعين: يوجد في «متحف برلين» سيف عليه طغراء «سيتي الثاني» يحتمل أنه من هذا المكان.[٨]

(٥) هليوبوليس: وفي «متحف جلاسجو» قطعة حجر عليها اسم هذا الفرعون[٩] وكذلك عُثر على جزء مسلة «لرعمسيس الثاني» اغتصبها «سيتي الثاني» لنفسه.[١٠]

(٦) منف: وُجد في معبد «ميت رهينة» قطعة من عمود عليها اسمه[١١] وكذلك نُقش اسمه على قطعة من معبد «بتاح».[١٢]

(٧) أطفيح: عُثر في هذه الجهة على الجزء الأسفل من تمثال راكع يقبض على محراب فيه تمثال «إزيس حتحور». وقد عُثر عليه في أساس بناء في الجنوب الشرقي لهذه القرية،[١٣] وهذا التمثال من الجرانيت الصلب، ارتفاعه ٦١ سنتيمترًا، ويمثل «سيتي الثاني» راكعًا على قاعدة مستطيلة، وقد وُجد اسمه وبعض ألقابه على القاعدة، وعلى عمود ظهر التمثال.

وهذا الفرعون قد أقام لنفسه قصرًا في الفيوم أيضًا[١٤] وآخر في «منف».

(٨) الأشمونين: وُجد اسمه على تمثال مغتصب من «رعمسيس الثاني»[١٥] وقد كشف «ريدر» عن بقايا معبد وقصر له في هذه الجهة.[١٦]

(٩) جبل أبو فودة: نقش «سيتي الثاني» اسمه بحروف ضخمة جدًّا على الصخور المطلة على النيل على الشاطئ الأيسر، قبالة محط «بني قرة»، ويبلغ ارتفاع الطغراء ثماني أقدام وعرضها أربع أقدام.[١٧]

(١٠) العرابة: وُجد اسمه على قطعة من الحجر عثر عليها «بتري» في مقبرة «إتم حتب».

(راجع porter and moss, v, p. 100).

(١١) دشنا: عُثر على قطعة حجر عليها اسم «سيتي الثاني» مستعملة في أسكفة شيخ.[١٨]

(١٢) المدمود: قطعة من عمود باسم «سيتي الثاني» مستعملة في أرضية الكشك الجنوبي.[١٩]

(١٣) أرمنت: نقش اسمه على بوابة «تحتمس الثالث».[٢٠]

(١٤) السلسلة الغربية: نجد على سمك الباب الجنوبي الأوسط للقصور الكبيرة لوحة للفرعون «سيتي الثاني» أمام ثالوث «طيبة» ومتنها مؤرخ بالسنة الثانية.[٢١]

(١٥) بلاد النوبة: لم يُذكر اسم «سيتي الثاني» في بلاد النوبة إلا على آثار قليلة؛ فذُكر مرتين على جدران معبد «بوسمبل» (L. D. III, 204, e f) ومرة في جزيرة «بجة» (راجع Champ. Notices I, p. 614 and L. D. Text IV, p. 175) وأخرى في جزيرة «سهيل» (راجع De. Morgans. Cat, de. Mon. I, 95 (No. 144)).

(٢) تماثيل «سيتي الثاني»

يوجد لهذا الفرعون تمثال ضخم يبلغ ارتفاعه ٤٫٦٥ مترًا مصنوع من الجرانيت الأحمر، ويلبس على رأسه التاج المزدوج، ونُقش اسمه وألقابه على قاعدته وعلى العمود الذي يستند عليه وعلى العصا التي يمسكها بيده اليسرى، أما ما يقبض عليه في اليد اليمنى فلا يُعرف كنهه بالضبط، ويقول «اسبيجلبرج»: إنها علبة تشمل الألقاب الملكية.[٢٢]

وفي «المتحف البريطاني» يوجد له تمثال جالس من الحجر الرملي.[٢٣]

وفي «المتحف المصري» له تمثال مع الملكة زوجه.[٢٤]

وأخيرًا يوجد له تمثال في «تورين».[٢٥]

(٣) آثار أخرى له

وقد وُجد له لوحة من الخشب يتعبد فيها للإلهين «آمون» و«بتاح».[٢٦] وفي «متحف أشموليان» يوجد له طبق من حجر استياتيك عُثر عليه في بلدة «غراب».[٢٧]

وفي «متحف ليفربول» قاعدة تمثال اغتصبها لنفسه «أمنمس» أحد أخلافه.[٢٨]

وفي «تورين» و«ليدن» له لوحات صغيرة محفورة باسمه (راجع Aegypt. Monuments). وجعارينه كثيرة معظمها مطلي بلون زاهٍ.

(٤) أسرته

لم يُعرف لهذا الملك إلا زوجة واحدة وهي «تاخعي»، وأولاده الذكور هم — على ما يُقال: «أمنمس» و«سبتاح» و«ستنخت»، وابنته الوحيدة هي «تاوسرت». وقد تولوا الحكم كلهم — على حسب بعض الآراء — على التوالي كما سنرى بعد.

ولا نعرف على وجه التأكيد من أولاد الملكة «تاخعي» إلا «أمنمس» أما الباقون فلا نعرف أمهاتهم.

(٥) قبر «سيتي مرنبتاح»

يقع قبر «سيتي الثاني» على مسافة قريبة من مقبرة «تاوسرت» ابنته، ويحمل رقم (١٥)، وقد حكم هذا الفرعون خمس سنين، وموميته أخفاها الكهنة في مقبرة «أمنحتب الثاني» حوالي عام

(٩٦٠ق.م) عندما أخذت اللصوص تعبث عبثًا مشينًا بموميات الملوك، وقد عثر عليها الأستاذ «لوريه» ضمن المومياث التي كانت محفوظة بهذا القبر.

وقبره يُعد الأول من نوعه الذي قُطع في الصخر دون انحدار إلى أعماق بعيدة في الصخر. وتدل نقوشه على تقدم كبير في أسلوب الحفر بالنسبة للمقابر الملكية التي سبقته. ويظهر ذلك جليًّا في نقوش دهليزه الجميلة.

ومما يلفت النظر في نقوشه أن طغراءات هذا الفرعون وصوره القريبة من المدخل قد مُحيت ثم نُحتت من جديد، وتدل شواهد الأحوال على أن الطغراءات نفسها قد أُزيلت ونُقش مكانها غيرها. وتخطيط المقبرة نفسه لا يدع مجالًا للظن في أن هذا القبر كان قد بدأه ملك آخر قبله. والظاهر أن «سيتي الثاني» كان قد أقصى عن الملك مدة فمُحيت أسماؤه من المقبرة، ولكنه لما عاد من نفيه أعادها ثانية. ويشاهَد على نقوش الدهليز من اليسار الملك يتعبد للإله «بارع» والإله «نفرتم»، وعلى اليمين يتعبد للإلهين «رع» و«سكر». وهذا الدهليز يؤدي إلى آخر يُشاهد على جدرانه المغطاة بطبقة من الملاط أن ألوانه لم تكن قد تمت بعد.

وهذا الدهليز الأخير يؤدِّي إلى حجرة صغيرة نُقش على جدرانها أشكال مختلفة للملك وعدد كبير من الرموز المقدسة كل منها في محرابها الخاص، ثم يدخل الزائر بعد ذلك قاعة محمولة على أربعة عمد يتفرع منها ممر آخر منحدر، وقد صُور على هذه العمد الآلهة «نفرتم» و«حور» و«حرمخيس» و«بتاح» و«أنوبيس» و«حور» عماد والدته، و«ماعت» و«جب». وبعد ذلك ينتهي القبر فجأة بعد مسافة قليلة؛ مما يدل على أن الملك قد تُوفي قبل أن يتم. ويُلاحَظ أن الجدران قد تم تلوينها بسرعة، ويُشاهد على السقف صورة كبيرة للإلهة «نوت» إلهة السماء رُسمت كذلك على عجل. وقد وُجد في القبر قطع من بقايا تابوت هذا الفرعون،[٢٩] ولدينا قائمة عن الأيام التي كان يشتغل فيها العمال والأيام التي كانوا يستريحون فيها في فترة تبلغ ثمانية وخمسين يومًا. ومما

هو جدير بالملاحظة في سجل هذه الأيام أنها تتفق مع الأيام المحددة للراحة في الشهر وهي الأيام التالية: الأول، والتاسع، والعاشر، والتاسع عشر، والعشرون، والتاسع والعشرون، والثلاثون، هذا غير الأيام العديدة التي كان يقف فيها العمل.

والظاهر أنهم كانوا يعملون في حفر قبر الفرعون «سيتي». وهذا المتن قد كُتب على قطعة من الخزف مؤرخة بالسنة الأولى في الشهر الثالث من فصل الزرع، اليوم الثالث والعشرون من عهد «سيتي الثاني»،[٣٠] وهذه الاستراكون (الخزف) تشبه الاستراكون الأخرى التي كتب عنها «دارسي» أيضًا،[٣١] ومنها نعلم اليوم الذي تُوفي فيه هذا الفرعون وهو التاسع عشر من الشهر الأول في فصل الشتاء من السنة السادسة، والاستراكون الأخيرة سجل للعمل الذي تم في «جبانة طيبة»، ولا نزاع في أنه كان في قبر هذا الملك. وقد كان له سجل لكل يوم من السنة السادسة الشهر الثاني من فصل الصيف، اليوم السادس عشر وما بعده. ولم يحدث أي تغيير في سنة الحكم في أول السنة الجديدة، أي في اليوم الأول من الشهر الأول من فصل الفيضان، والتواريخ المختلفة التي تلت ذلك تدل على أن السنة السادسة قد استمرت حتى يوم موت الملك، ومن ذلك يتضح جليًّا أن سني حكم الفرعون كانت تُعد في ذلك العهد من أول يوم تولية الملك العرش، ففي اليوم التاسع عشر من الشهر الأول من فصل الشتاء نجد الملاحظة التالية:

> إنه اليوم الذي أتى فيه رئيس الشرطة «نخت مين» قائلًا: إن الصقر قد طار إلى السماء (أعني «سيتي الثاني») وإن آخر قد اعتلى مكانه.

وبعد ذلك توجد ملاحظة تشبه السابقة، جاء في أولها:

> السنة الأولى لتاريخ سني حكم الملك الجديد، اليوم التاسع عشر من الشهر الأول من فصل الشتاء.

وتدل شواهد الأحوال — من إشارات أتت بعد — على أن الملك الجديد هو «سخن رع ستبن رع رعمسيس سبتاح»، وهذا الرأي هو رأي الأستاذ «جاردنر»[٣٢] وهو يخالف ما قررناه سابقًا في ترتيب هؤلاء الملوك؛ إذ المتفق عليه هو أن «أمنمس» كان خليفة «سيتي الثاني».

(٦) معبد «سيتي الثاني» الجنازي

لم يُعرف حتى الآن مكان المعبد الجنازي الذي أقامه «سيتي الثاني» لنفسه، ولكن جاء ذكره في الوثائق المصرية التي ترجع إلى عهد هذا الفرعون. فمثلًا نشر الأستاذ «جاردنر» لوحة «بلجاي»،[٣٣] ونجد فيها اسمي موظفين كانا يقومان بجمع الضرائب لهذا المعبد الذي كان يُدعى «بيت سيتي مرنبتاح» في ضيعة «آمون»، وكذلك نجد آنية خمر ذُكر عليها اسم «كرم بيت سيتي مرنبتاح»، وقد وُجد هذا الإناء في ودائع الملكة «تاوسرت».[٣٤]

ولدينا خطاب نموذجي مفروض أن موظفًا إداريًّا قد كتبه، ومضمون هذا الخطاب ما يأتي:

> سافر موظف من معبد «سيتي الثاني» الجنازي من «طيبة» منحدرًا في النهر نحو «نارعمسيس» ومعه عدة سفن تسير في قناة «بتي» حيث تقع كروم الفرعون، وبعد أن أجرى التفتيش على الموظفين تسلم النبيذ والمحاصيل الأخرى من الكروم وحملها على ظهر السفن، ثم سار منحدرًا في النيل حتى مقر الملك «بررعمسيس» حيث سلم حمولة سفنه إلى المراقبين وعمال المعبد الجنازي، وقد كان واجبهم بطبيعة الحال أن يرسلوها إلى «طيبة» في الوقت المناسب.[٣٥]

ومن هذا الخطاب نعلم أن معبد «سيتي الثاني» كان له شأن كبير، وأن «بررعمسيس» كانت مركز الإدارة العامة، وأن «طيبة» كانت العاصمة الدينية وحسب. وهاك نص الخطاب برمته:[٣٦]

> تحية أخرى لسيدي مخبرًا إياه أني قد وصلت «نارعمسيس مري آمون» الواقعة على شاطئ قناة «بتي» بالفلك التابعة لسيدي، وكذلك بقاربي تعدية الماشية ملك (قصر ملايين

السنين) للملك «سيتي الثاني» في ضيعة «آمون» (اسم معبد «سيتي الثاني»). لقد جمعت كل عمال البساتين التابعين لبساتين قصر ملايين السنين ملك «سيتي الثاني» في ضيعة «آمون»، ووجدت أن هناك سبعة بستانيين، وأربعة شبان، وأربعة رجال مسنين، وستة أطفال، ومجموعهم واحد وعشرون. وأحيط سيدي علمًا أن كمية النبيذ التي وجدتها مختومة في يدي رئيس البساتين «ثاتري» هي (١٥٠٠) مكيال من النبيذ، و(٧٠) مكيالًا من نبيذ العنب غير المطبوخ، و(٥٠) مكيالًا من الباور، و(٥٠) حقيبة رمان، و(٥٠) سلة «بتر» من الفول، و(٦٠) كرحت، وقد حملت معها سفينتي المواشي التابعتين لقصر ملايين السنين ملك «سيتي الثاني» في ضيعة «آمون»، وسافرت منحدرًا في النهر إلى بيت «رعمسيس» محبوب «آمون» الروح العظيمة للشمس، «حور» الأفق، وسلمتها إلى مراقبي قصر ملايين السنين ملك «سيتي الثاني» في ضيعة «آمون». وإني مرسل ذلك لأخبر سيدي.

وفي هذا الخطاب إشارة واضحة لمقدار ما كان يحبسه على مثل هذه المعابد من الأطيان في مختلف جهات القطر، إذا علمنا أن ما جاء به هنا كان من خراج الكروم وحدها. هذا فضلًا عما تدل عليه هذه المقادير من حياة البذخ والترف التي كان يتمتع بها موظفو المعابد وكهنتها من الأرزاق الوفيرة التي كانت تأتيهم من هذه الأوقاف الطائلة، وسنرى بعد أن هذا الملك كان مهتمًّا بالأوقاف الإلهية، وبخاصة أوقاف آلهة «طيبة» العظام وعلى رأسهم «آمون رع» ملك الآلهة، فقد أمر بإعادة بناء المؤسسات الخاصة بتموين معبده وبخاصة حظيرة الدواجن والطيور، ويحتمل كذلك مخازن الغلال أيضًا وهي التي كانت تشرف على البحيرة المقدسة الواقعة في داخل المعبد العظيم كما سنرى بعد.

(٧) الموظفون والحياة الاجتماعية في عهد «سيتي الثاني»

(٧-١) الوزراء في عهد «سيتي الثاني»

لم يأتِ ذكر وزراء بارزين إلى الآن في عهد هذا الفرعون، وكل ما لدينا هو بعض أسماء وزراء جاء ذكر أسمائهم عرضًا على الأوراق البردية التي من هذا العصر.

(أ) مري سخمت

جاء اسم هذا الوزير في ورقة «بولوني» وكان يحمل لقب «الوزير»،[٣٧] وسنتحدث عن الورقة التي ذُكر فيها فيما بعد.

(ب) بارع محب

ذُكر اسم هذا الوزير في ورقة «صولت»،[٣٨] وكذلك ذُكر في نقوش «وادي الحمامات»،[٣٩] وعلى حسب ما جاء في ورقة «صولت» يُعد أنه جاء قبل الوزير «أمنمس» وكان يحمل الألقاب التالية: «الأمير الوراثي، والحاكم، ونائب «نخن»، والكاهن الأول، وعمدة المدينة، والوزير.»

(ج) أمنمس

ذُكر اسم هذا الوزير في ورقة «صولت»[٤٠] أيضًا، كما جاء ذكره على قطعة من إناء،[٤١] وذُكر اسمه كذلك على آثار «الكرنك»[٤٢] ويحمل اللقب العادي: «عمدة المدينة، والوزير».

(د) «مس سوى»

نائب الفرعون في بلاد السودان (راجع الجزء الخامس.)

(٧-٢) كهنة الإله «آمون الأوَّل» بالكرنك في عهد «سيتي الثاني»

(أ) محوي

دلَّت الكشوف الحديثة على أن الكاهن الأكبر للإله «آمون» في «الكرنك» في عهد «سيتي الثاني» هو «محوي»، وأن ما استنبطه الأثري «لفبر» عن هذا الكاهن كان صحيحًا، وما قاله «لجران» من أنه عاش في عهد «رعمسيس الثاني» ليس له نصيب من الصحة كما سنبين ذلك فيما يلي. فلهذا الكاهن تمثالان محفوظان «بالمتحف المصري» أحدهما صغير الحجم جميل الصنع، والثاني نُحت بالحجم الطبيعي تقريبًا.[٤٣] وكل من التمثالين يمثله راكعًا وممسكًا مرة بيده أمامه محرابًا صغيرًا به صورة الإله «آمون»، ومرة مائدة قربان، ويرتدي شعرًا مستعارًا مجدولًا مسبلًا على كتفيه، ويأتزر بالثوب الفضفاض المتثني ذي الكمين الواسعين، وهو الثوب الذي كان يلبسه الكاهن الأول في الاحتفالات في عهد الأسرة التاسعة عشرة، ونشاهده في غير ذلك ممثلًا على نقوش «جبل السلسلة» في مقصورة «حور محب».

ألقابه

يحمل «محوي» على تمثال «متحف القاهرة» رقم (٤٢١٥٧) الألقاب التالية: الأمير الوراثي، والحاكم، وكاتب الملك الحقيقي الذي يحبه الملك، والمشرف على كل كهنة الآلهة في الوجهين القبلي والبحري، والمشرف على بيت المال، والمشرف على مخازن «آمون»، ورئيس كهنة «آمون». وفي نقوش «السلسلة»[٤٤] يُلقب كذلك: الأمير الوراثي، والحاكم، ورئيس كهنة كل آلهة «طيبة»، والكاهن الأعظم «لآمون» في «الكرنك».

أما على تمثال «متحف القاهرة» رقم (٣٦٨١٠) فلا يحمل إلا لقب «الكاهن الأعظم لآمون»، وقد وضع «لجران» هذا الكاهن في السنة الأربعين من حكم «رعمسيس الثاني» في حين أن «لفبر» وضعه في عهد «سيتي الثاني»،[٤٥] وهذا الرأي الأخير هو الذي أثبتته النقوش التي وُجدت على اللوحة الجديدة التي عثر عليها «شفربيه» في معبد «الكرنك».[٤٦] ونقوش هذه اللوحة وما يحيط بالمكان الذي وُجدت فيه تكشف لنا عن صفحة جديدة في تاريخ «معبد الكرنك» وعناية الملوك به

في هذا العهد وغيره، وعما كان للكاهن «محوي» من منزلة ويد طولى في خدمة إلهه الأعظم «آمون رع» ولذلك آثرنا أن نفصل القول في محتوياتها بعض الشيء.

عثر المهندس «شفرييه» في أثناء الحفائر التي قام بها في الجهة الجنوبية من البحيرة المقدسة في معبد «الكرنك» على لوحة من عهد «سيتي الثاني». وتدل شواهد الأحوال على أن هذا الأثر له علاقة ببقايا المبنى الذي وُجدت فيه، وهو ما سنفحصه هنا، وهذه البقايا هي التي يُطلق عليها اسم مباني الفرعون «بساموت» أحد ملوك الأسرة التاسعة والعشرين، والجزء المحفوظ من هذه اللوحة المنحوتة في الحجر الرملي كان في الأصل من قطعة حجر ضخمة من باب في مدخل صغير أو جدار يبلغ ارتفاعها ١٨٢سم، وعرضها متر واحد، وسمكها يبلغ حوالي ٣٤سم. ولا بد من أن هذه اللوحة كانت مسندة إلى جدارٍ؛ لأن سمكها الضيق لا يسمح بنصبها قائمة بذاتها، بل كانت ترتكز على ما يظهر على كتلة عالية من الحجر متصلة بها يبلغ ارتفاعها حوالي ٢٥سم، وتحتوي على الجزء الأسفل المكمل للنقوش، وكذلك الجزء الضائع.

ويُشاهَد على الجزء الأعلى المستدير لهذه اللوحة صورة الفرعون «سيتي الثاني» يقدم القربان أمام ثالوث «طيبة»، وقد نُقش فوقه: «سيد الأرضين «وسر-خبرو-رع محبوب آمون»، وسيد التيجان «سيتي مرنبتاح» معطي الحياة مثل «رع» سرمديًّا.» ويرتدي ثوبًا فضفاضًا يتدلى منه ذيل الثور، وينتعل حذاء، ويلبس على رأسه قبعة محلاة بالصل الملكي وبشريطين، وقد وقف أمام مائدة قربان وبإحدى يديه علامة الحياة وبالأخرى صولجان يشير به. وقد بدت مائدة القربان عالية لما كُدس عليها من طيور، ويتدلى في أسفلها طائران، ووُضع فوقها آنية فيها ثلاث فتائل، مما يدل على أن المنظر يمثل إحراق قربان، وعلى يسار مائدة القربان يجلس الإله «آمون رع» سيد عروش الأرضين، ورئيس «الكرنك» على عرشه يحلي رأسه ريشتان عاليتان، وفي إحدى يديه علامة الحياة، وفي الأخرى الصولجان «واس»، وخلفه تقف الإلهة «مورت» سيدة السماء، وأميرة الآلهة، ويحلي رأسها تاج مصر المزدوج، وخلفها يقف الإله «خنسو نفر حتب» يتدلى من

رأسه جديلة شعر مسبلة على صدره وله لحية، ويحلي جيده عقد، وفي أسفل هذا المنظر المتن التالي:

«حور» الثور القوي، محبوب «رع» صاحب السيدتين (التاجين)، حامي مصر، قاهر البلاد الأجنبية «حور» قاهر نبتي «أي ست»، عظيم الانتصارات في الأراضي كلها، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، وسيد الأرضين «وسر خبرو رع» محبوب «آمون» بن «رع» رب التيجان «سيتي مرنبتاح» محبوب «آمون» ملك الآلهة، معطي الحياة. يحيا الإله الطيب ابن «آمون رع» البذرة الإلهية لرب الآلهة، والبيضة الطاهرة الخارجة من «رع»، وحامي أرباب الكرنك، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر خبرو رع» محبوب «آمون» ابن «رع» «سيتي مرنبتاح» معطي الحياة، الملك المحبوب مثل «آمون»، الطويل العمر مثل «رع»، العظيم في ملك «منتو» وابن «منتو» والمارد الشجاع القلب، الفتى، والثور الغاضب الحاد القرنين، وصاحب الخطوات الواسعة مثل «ست» ابن «نوت» ملك الوجه القبلي والوجه البحري، وسيد الأرضين، «وسر خبرو رع» محبوب «آمون» بن «رع» رب الآلهة.

لقد عمل هذا أثرًا لوالده «آمون رع» ملك الآلهة، فقد جدَّد له حظيرة دواجن ملأى بالأوز والكراكي، وطيور «زنزن» ودواجن مستنقعات، وطيور ماء، وحمام ويمام (قمري)، وطيور (سشا) لتموين مائدة قربان الإله من أجل والده «آمون».

وقد أقامها رجاء أن يعطي ابنه سيد الأرضين «وسر خبرو رع» محبوب «آمون» الحياة.

وتحت هذا المتن سبعة أسطر أفقية وتشمل دعاء، ولم يبقَ منها إلا أوائل الأسطر، بيد أنه في استطاعتنا معرفة طول الأسطر من جلسة الكاهن الأول للإله «آمون» راكعًا أمام هذه الأسطر، رافعًا يده تضرعًا وهو يقرأ الدعاء. ولحسن الحظ قد حفظ لنا اسم الكاهن «محوى» سليمًا، وهو

الذي حدث اختلاف عن العهد الذي عاش فيه، كما ذكرنا ذلك قبلًا. ومن النص الذي أمامنا لم يصبح لدينا أي شك في أن هذا الكاهن الأكبر للإله «آمون» كان يقوم بأداء وظيفته في عهد «سيتي مرنبتاح» في عهد «رعمسيس الثاني» كما ذكر ذلك لنا «لجران».

وما تبقى من هذا الدعاء هو:

> «صلاة» (لآمون رع ... يأتي بعد ذلك نعوت مختلفة، والذي) «موت» سيدة «اشرو» (... نعوت أخرى (و) خنسو) شو في — طيبة وخنسو — (نعت ...) (١٤) أنت رب الأرضين (وسر خبرو رع مري آمون) ... وعلى ذلك يعطيك حياة جميلة في (بيت آمون ...) (١٦) آمون لأجل الروح ... (ألقاب مختلفة رئيس كهنة كل الآلهة) ورئيس كهنة «آمون» بالكرنك «محوى» المرحوم.

ويُلاحظ أن المتن مهشم لا يكاد يُفهم منه إلا القليل جدًّا، ولكنا نعرف منه أن «محوى» كان رئيس الكهنة.

ومن محتويات المتن كله نفهم أن «سيتي الثاني» قد أمر بإقامة حظيرة دواجن من جديد «لآمون» رب الكرنك لتموين موائد الآلهة بالطيور على غرار من سبقه من الملوك كما يدل على ذلك ما جاء في لوحة «نوري» في عهد «سيتي الأول» (راجع مصر القديمة ج٦) إلخ الذي حصد المزارع الشاسعة لإمداد قربان «أوزير» بالطيور ومختلف أنواع الحيوان، ومثل «رعمسيس الثالث» الذي رصد حظائر الدواجن اللازمة للإله «بتاح» في «منف».[٤٧]

والسؤال الهام الذي لدينا الآن هو: أين كانت حظيرة الدواجن من معبد الكرنك؟ وما الذي تبقى منها حتى الآن؟

ولا بد من أن نبحث عن هذه الحظيرة التي كانت تزخر بالأوز وطيور الماء في المباني التي كانت على ضفاف البحيرة المقدسة، وهي التي كانت مغمورة بقطعان الأوز في عهد «تحتمس الثالث»،

[٤٨] وقد دل البحث الذي قام به الأستاذ «ركي» على أنها تقع في الجهة الجنوبية من البحيرة بالقرب من المكان الذي وُجدت فيه لوحة «سيتي الثاني»، وليس هناك أي شك في أنها قد أُقيمت في المباني التي على البحيرة.

ويُلاحظ حتى الآن أن البقعة الواقعة بين الشاطئ الشرقي والشاطئ الجنوبي من البحيرة، وكذلك السور الكبير، لم تُحفر كلها على الرغم من أن مبانيها تبشر بنتائج غاية في الأهمية، ولا بد من أنه في هذا المكان الذي لم يُكشف عنه بعد كانت توجد مبانٍ للمصالح المختلفة لإدارة أملاك المعبد. وتدل الظواهر على أنه يوجد في هذه الجهة بقايا مبنى عظيم يقع مباشرة جنوبي البحيرة المقدسة، ويُنسب إلى الملك «بساموت» أحد ملوك الأسرة التاسعة والعشرين. وقد بقي إلى مدة قريبة لم يعرف كنهه، غير أن الموضوع كما يقول الأستاذ «ركي» ليس معقدًا إلى هذا الحد، لأنه يمكن عمل تصميم له قد لا يختلف كثيرًا عن الذي وضعه «لبسيوس». هذا فضلًا عن أنه لدينا ما يكفي من بقايا النقوش التي وُجدت فيه مما نستطيع به الكشف عن ماهية هذا المبنى، والغرض الذي أُقيم من أجله، ويمكننا أن نستخلص من النقوش الباقية على الجدران ما يأتي:

> لقد أقام ملك الوجه القبلي والوجه البحري «بساموت» لوالده «آمون رع» سيد عروش الأرضين، ورب السماء، وملك الآلهة والإلهات للوجهين القبلي والبحري، والمسيطر على «طيبة» ورئيس الكرنك، مخزن غلال نظيفًا جديدًا مملوءًا بالمأكولات، وكل الأشياء الطيبة لتجهيز مائدة قربان الإله، وإمدادها يوميًّا؛ ولذلك سيصبح محبوبًا من الإله «آمون» وكل الآلهة، ويمنح الحياة مثل «رع» إلى الأبد.

ومن ثم نفهم أن المبنى المنسوب إلى الفرعون «بساموت» هو مخزن غلال يتألف من جزءين وحوله يمتد شريط من الأرض عرضه ٥٥,٥ مترًا وعمقه ٢٨,٧٥ مترًا في الجزء الأول، وعمق الجزء الثاني ١٦,٧ مترًا، ومقسم إلى عدَّة ردهات أمامية. أما حجرات المخازن التي كانت تُملأ

بالغلال فكان يحلي مدخلها أحواض من الحجر، أو أوانٍ ذات مقاعد يصل إليها الإنسان من ثلاثة مداخل عُملت حول البناء، وفي المدخل الجنوبي منها بُنيت مقصورة، وفي نهاية كل مدخل باب من الحجر المنحوت يؤدِّي إلى حجرة منفصلة في نهايتها محراب صغير من الحجر الرملي. ومن بقايا النقوش التي في هذا المبنى نعرف منها أن الفرعون «بساموت» يقف أمام ثالوث «طيبة» مقدمًا القرابين، وقد نُقل جزء من أحد المحاريب إلى «برلين»، ومنه نعلم أنه كان في قسم من أقسام مخازن القربان. وعند مدخل القسم الأوسط من هذه المخازن على مسافة مترين أمام المقصورة حاجز من خشب في وسطه باب.

وأمام الجزء الأوسط من القسم الشمالي من بيت المخازن أُقيم في الردهة الأمامية صف من العمد مؤلف من ثمانية وحدات كثيرة الأضلاع محمل عليها السقف. ويتصل بالردهة الوسطى الأمامية مكان جانبي لا يوجد فيه حجرات لخزن الغلال يمكن معرفة الغرض منه من مدخله المصنوع من الحجر الذي بُني بانحدار في جدار الردهة الشمالية.

وقد تعرَّف الأستاذ «هربرت ركي» على هذا الباب، وفسره بأنه باب نفق ضخم للأوز تصعد إليه الطيور من البحيرة إلى حظائرها المتصلة بالردهة الأمامية من الجهة الغربية.

(راجع[٤٩] ما كتبه «كابار» عن هذا الموضوع).

والظاهر أن هذا المخزن قد أقامه «بساموت»، وقد وُجد اسم هذا الملك على عوارض الأبواب، وعلى نقوش المحاريب الصغيرة. وعلى أية حال فإن البناء لا يظهر أنه بناء جديد برمته، بل يدل ما تبقى من النقوش التي على العمد، وعلى باب المخزن الغربي، على أنه جُدد: «وإن ما قد تداعى قد عُمل من جديد للأبدية»، ومن ثم نعلم أنه كان يوجد هنا مبنًى قديم، ولذلك يُحتمل أن القطع التي عُثر عليها فيه باسم «رعمسيس الثاني» كانت من هذا المبنى. وقد شاهد هذه النقوش «ماريت»،

[٥٠] وكذلك جدد «سيتي الثاني» فيه حظيرة الطيور فحسب. هذا بالإضافة إلى أنه قد وُجد اسم الفرعون «بساماتيك»[٥١] على عمود مُلقًى في الردهة الأمامية.

وعلى ذلك يمكننا القول بأنه توجد أجزاء من مبانٍ قديمة في البناء المنسوب للفرعون «بساموت» من بينها نفق الأوز الذي أشرف على إقامته «محوى» رئيس الكهنة في «الكرنك».

و«محوى» هذا لا يفخر مثل أسلافه رؤساء الكهنة بمواهبه في إقامة العمائر على الرغم من أنه قد أقام هذه الحظيرة من جديد، كما قام برحلة لقطع الأحجار من جبل السلسلة، وهي التي بنى منها «سيتي الثاني» أجزاء من معبد «آمون» الصغير الذي أسسه في «الكرنك». ولكن نجده في مقابل ذلك يحمل بين ألقابه وظيفة كان لا يحملها إلا القليل جدًّا من الشخصيات الذين تقلدوا وظيفة «الكاهن الأكبر لآمون»، وهذه الوظيفة هي «كاتم سر الملك» أو «كاتب الملك الحقيقي». ولا نشك في أن «محوى» كان متصلًا بشخص الفرعون الذي كان يحبه، وقد رقاه الفرعون تقديرًا له في مجال الكهانة، وجعله الكاهن الأول لآمون.

ويتساءل الإنسان: هل بقي «محوى» كاهنًا أول «لآمون» حتى مماته أو لا؟ وشواهد الأحوال تدل على أنه لم يبقَ في وظيفته هذه حتى أواخر أيام حياته؛ وذلك لأن تمثال القاهرة رقم (٣٦٨١٠) قد اعتُدِيَ عليه اعتداءً شائنًا، فقد شُوه وجهه ثم أُصلح إصلاحًا فاسدًا. وكذلك يُلاحَظ أن اليدين وماء القربان التي كان يحملها قد اختفت، هذا إلى أن المتن الذي كان منقوشًا على التمثال قد هُشم منذ الأزمان القديمة عمدًا. ومع ذلك فإنه كما رأى «لجران» يمكن أن نخمن في وسط هذا التهشيم الذي أصاب التمثال — وبخاصة على الميدعة — أن عبارة «الكاهن الأول» قد مُحيت وحدها من بقايا لقب «محوى» المصحح فيما بعد، في حين أن اسم «آمون» قد بقي في كل مكان لم يُمس بسوء.

وليس لهذا المحو معنًى إلا أنه قصد به إخفاء شخصية «محوى»، فأُزيل اسمه ووظيفته على يد أعدائه في أيام حياته بمجرد تخليه عن وظيفته، وليس من الضروري أن نفرض لتبرير هذا العمل

المشين أن الملك الذي رقاه هو نفس الملك الذي غضب عليه وجرده من حظوته التي أنعم بها عليه.

والواقع أن الارتباك الذي حدث في أواخر الأسرة التاسعة عشرة كان كفيلًا بتفسير ما حاق بتمثال «محوى» وإن كان تمثاله الآخر لم يُصب بأي سوء، ويرجع السبب في ذلك أن رجال الدين كانوا وقتئذ في تقلب مستمر لا يكاد الواحد منهم يمكث عهدًا طويلًا في وظيفته. وقد جاء في ورقة «هاريس» الأولى — التي سنفحصها في حينها — وصف موجز للفوضى التي كانت تعم البلاد، وبخاصة بعد نهاية عهد «سيتي الثاني» (راجع Pap. Harris I, pl. 752–6).

وهذا ما يفسر لنا في أي أحوال عاش الكاهن الأكبر «محوى» فقاسم أهل البلاد حظوظها وربما كان نصيبه أن جُرد من وظيفته (راجع A. Z, 73 p. 124 ff).

(ب) إيري

الكاهن الأكبر في «منف»، وقد وُجد له تمثال صغير محفوظ الآن «بمتحف اللوفر».[٥٢]

(٧-٣) سيأمون

كاتب وُجد اسمه في «أسبايدا» على الصخر.[٥٣]

(٧-٤) مري

وُجد لهذا الرجل لوحة منقوشة في صخور «بوسمبل»،[٥٤] ويحمل لقب الوكيل، وكاتب خزانة رب الأرضين ورئيس جيش الأرضين في بلاد النوبة، ووكيل بلاد «واوات». وهذا النقش عُثر عليه في معبد «بوسمبل» جنوبي المعبد.[٥٥]

(٧-٥) نخت مين

رئيس الشرطة «المازوي»، وقد مات في حياته «سيتي الثاني»، وهو الذي جاء بخبر الوفاة مكتوب على «استرا كون».[٥٦]

(٧-٦) «باسر» كاتب

وقد كتب نبأ تولية «سيتي الثاني» على استراكون أيضًا.[٥٧]

(٧-٧) كاما

المشرف على اصطبل الفرعون، وُجد اسمه على نقش في «وادي حلفا».[٥٨]

(٨) الثقافة في عهد «سيتي مرنبتاح»

تدل أوراق البردي التي أُرخت بعهد الفرعون «سيتي مرنبتاح» على أن الأدب كان مزدهرًا إلى حد ما في عهده، وبخاصة أن قصة الأخوين المشهورين تُنسب إلى «سيتي مرنبتاح» عندما كان لا يزال ولي عهد للبلاد، وهذا يبرهن على أنه كان من أصحاب الذوق الأدبي في تلك الفترة. وقد وصل إلينا حتى الآن عدد من أوراق البردي من عهده أهمها «ورقة أنسطاسي الرابعة»، وقد أُرخت بالسنة الأولى من حكمه،[٥٩] و«ورقة أنسطاسي الخامسة»، وتشمل خطابًا كتبه قائد رديف إلى قائدين آخرين للرديف على الحدود، ويسأل فيه عن عبدين قد هربا، (راجع كتاب الأدب المصري القديم الجزء الأول).

نص الخطاب:

> إن قائد رديف «زكو» «كماكور» يكتب إلى قائد الرديف «آني»، وإلى قائد الرديف «بكنبتاح» (داعيًا لهما) بالحياة والفلاح والصحة، وأن يكونا في حظوة «آمون رع» ملك الآلهة، وفي حظوة حضرة الملك «سيتي الثاني» سيدنا الطيب. وإني أقول «لرع-حوراختي»: (احفظ فرعونا) سيدنا الطيب في صحة، ودعه يحتفل (بملايين) الأعياد

الثلاثينية، ونحن كل يوم في حظوته. وبعد: فقد أرسلت من قاعات القصر الملكي وراء هذين العبدين في اليوم التاسع من الشهر الثالث في فصل الصيف وقت المساء، ولما وصلت إلى حصن «زكو» في اليوم العاشر من الشهر الثالث من فصل الشتاء، علمت أن الأخبار من الجنوب تقول إنهما قد مرَّا ذاهبين … اليوم من الشهر الثالث من فصل الصيف، ولما وصلت إلى القلعة أُخبرت أن السائس قد حضر من الصحراء (وأُعلن) أنهما تخطيا الحدود شمال حصن (مجدول) «سيتي» الذي … مثل «ست» (الإله).

وعندما يصل خطابي إليكم اكتبوا إليَّ بكل ما حدث عندكم. أين وجد أثرهما؟ وأي حارس عثر عليهما؟ ومن هم الرجال الذين اقتفوهما؟ اكتبوا إليَّ بكل ما عُمل من أجلهما، وكم رجلًا اقتفى أثرهما؟ ولتعيشوا سعداء.

وكذلك لدينا «ورقة أنسطاسي السادسة» التي كُتبت في عهد هذا الفرعون،[٦٠] وكذلك عُثر على الجزء الأخير من خطاب يُقال إنه من عهد «سيتي الثاني» في مدينة «غراب»، وهذا الخطاب من سيدة من عِلية القوم خاص ببعض الأجانب الذين كانوا تحت رعايتها، لتقوم على تعليمهم أو تدريبهم على شيء ما، وقد أعقب ذلك الخطاب مذكرة ذُكر فيها قصر «سيتي الثاني» في «منف» ومؤرخ بالسنة الثانية من حكمه، وقد ذُكر في السطرين الأخيرين من هذه المذكرة:

تسلم إيصالات بسمك قد ورد بمثابة ضرائب.

وعلى ظهر هذه الورقة نجد ذكر توريد زيت أو توزيعه، كما نجد كذلك توريد سمك، هذا إلى توزيع الخبز والجعة.[٦١]

أما «ورقة أوربني» التي تشمل قصة الأخوين، فقد تكلمنا عنها فيما سبق. (راجع الجزء السادس من مصر القديمة)، و(كتاب الأدب المصري القديم الجزء الأول).

وأهم ورقة لدينا من عهد هذا الفرعون على ما يظهر هي «ورقة بولوني» رقم (١٠٦٨)، وتشمل خطابًا حقيقيًّا يكشف لنا عن بعض الأحوال في مصر[٦٢] في هذا العهد، ويصف لنا بخاصة دقة النظام والحراسة على الحدود بين مصر و«سوريا»، وعن عمل السخرة واستخدام العبيد الأجانب من الآسيويين فيها، وما لأصحابهم عليهم من حقوق، وأنه لم يكن من حق أي فرد الاستيلاء عليهم غير ملاكهم ما داموا ليسوا ملكهم، وأن القضاء كان يفصل في مثل هذه الأحوال عند حدوث أي اعتداء، ولو كان المعتدي هو وزير البلاد نفسه؛ إذ كان عليه أن يبرئ نفسه لأنه كان يُعد نبراس العدالة، حتى إن البيت الذي كان يقضي فيه للناس كان يُسمى «بيت ماعت في المدينة».[٦٣]

وهاك نص ما جاء في هذا الخطاب حرفيًّا:[٦٤]

العنوان

(من) كاتب مائدة الشراب «باكنأمون» (إلى) كاهن معبد «تحوت» «رعموسي».

إن كاتب مائدة الشراب «باكنأمون» يحيي والده «رعموسي» كاهن المعبد المسمى «تحوت» مسرور في منف بحياة وعافية وصحة في حظوة «آمون رع» ملك الآلهة. إني أتحدث إلى «رع حوراختي» عند شروقه وعند غروبه، وإلى «آمون» وإلى «برع» وإلى «بتاح رعمسيس مري آمون» (له الحياة والعافية والصحة)، وإلى كل الآلهة والإلهات أرباب بيت «رعمسيس مري آمون» (له الحياة والعافية والصحة)، وإلى روح «برع حوراختي» العظيمة: ليتهم يعطونك العافية، وليتهم يعطونك الحياة، وليتهم يمنحونك الصحة، وليتني أراك سليمًا، وليتني أضمك إليَّ. وبعد: لقد تسلمت من البريد معلومات دوَّنتها أنت تحييني بها، وإن «برع» و«بتاح» يشاطرانك فيها. ولست أعلم إذا كان غلامي قد وصل إليك؟! والواقع أنني عندما أرسلته إلى بلدة «سخم بحتي» أعطيته

خطابًا في يده ليوصله إليك. وبعد: لا تسكت عن الكتابة باستمرار، فاجعلني إذن أسمع عن آرائك.

انظر: إن عندي معلومات جمعتها عن سوري معبد «تحوت» وهو الذي كتبت لي عنه، وقد عرفت عنه أنه كان عاملًا في حقول معبد «تحوت» تحت إشرافك في السنة الثالثة، الشهر الثاني من فصل الصيف، اليوم العاشر. وهو الآن أحد عبيد سفينة نقل قد أحضره قائد الحامية. واعلم أن اسمه السوري «نقدي» بن «سررث» وأمه تُدعى «قدي» من أرض «إرواد» وهو عبد لسفينة هذا البيت في سفينة الضابط «كنر». والملاحظ عليه يقول: إن رئيس نائب الجيش لجنود «إيوعتي» الفرعونية (له الحياة والعافية والصحة) المسمى «خعمؤبي» هو الذي استولى عليه واستخدمه بوصفه مالكه الذي جلبه. وقد أسرعت إلى نائب الجيش الأعلى لجنود الفرعون (له الحياة والعافية والصحة) فنفى ذلك قائلًا بشدة: إن الوزير «مري سخمت» هو الذي استولى عليه ليستخدمه، وإنه هو سيده الذي جلبه. فأسرعت إلى الوزير «مري سخمت» فنفى هو وكاتبه قائلين: إنا لم نره. وقد كنت يوميًّا وراء رئيس جنود «سكت» الأعلى قائلًا له: مر بأن يرد الفلاح السوري التابع لمعبد «تحوت»، وهو الذي استوليت عليه لأن كاهنه هو الذي جلبه. والآن قد رفعت عليه دعوى أمام محكمة العدل العليا «قنبت».

وبعد: فقد سمعت بموضوع عصا «تحوت» التي كتبت لي عنها إنه لم يحضر[٦٥] لي «حبت» (أي عصا تحوت)، وإني سأرسلها فلا تشغل نفسك بها، غير أنه من الخير أن تجعلها تُحمل إليَّ، وسأردها (أي عندما تحمل إليه يردها ثانية بعد قضاء مأربه منها). وبعد؛ لا تفكر في الأمر الخاص بالحبوب، لقد فحصته ووجدت أن ثلاثة رجال وشاب، أي (أربع نسمات) يعملون سبعمائة حقيبة، ولقد تباحثت مع رؤساء من يمسكون دفاتر

الغلال وقلت لهم: خذوا ثلاثة الزراع الخاصين بالإله ليقوموا بالخدمة هذه السنة، (أي جندوهم هذا العام في العمل)، وقد أجابوا: سنفعل ذلك. سنفعل ذلك. سنصغي لطلبك.

وهكذا تحدثوا إليَّ، وإني الآن أمكث معهم إلى أن يرسلوا الكتابات الخاصة بالتسجيل إلى الحقول، وإنك تعلم كل ما سأجعلهم يفعلون لك. فكل رجل يورد مائتي حقيبة وهو ما قرر وجوب عمله، والنتيجة التي تكون لك من رجلين وشاب هي ٥٠٠ حقيبة. أما عن هذا المزارع السوري الذي كنت أعطيته، فإنه قد أعطيت إياه مدة شهور الصيف، وعلى ذلك فإن صيفه سيعد مضيعًا عليك ما دام حيًّا. (راجع Wilbrur Pap. II, p. 115).

والمفهوم من هذا الخطاب أن الكاهن على ما يظهر كان يأمل نظرًا لاختفاء العبد السوري، أن مقدار سبعمائة الحقيبة التي كان ينتظرها وهي ما ينتجه ثلاثة رجال وشاب سينقص إلى خمسمائة حقيبة أي بنقص رجل واحد. والظاهر أن الأستاذ «ولف» قد أخطأ فهم هذه القطعة جملة عند ترجمة هذا الخطاب، وبخاصة أنه لم يفهم أن الذين قاموا بهذا العمل هم جنود. والجنود في أوقات السلم كانوا يقومون بأعمال الفلاحة وغيرها.

---

[١] راجع: Naville, Bubastis pl. XXXVIII, p. 45; A. S. VIII, p. 211.

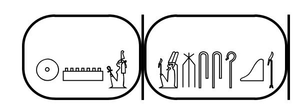
[٢] راجع: Porter & Moss, V. p. 210.

[٣] راجع: Maspero, Guide p. 149 & Petrie, Hist, III, p. 123.

[٤] راجع: Legrain, Karnak p. 75.

[٥] راجع: Mariette, Karnak p. 8.

الفرعون «أمنمس»



إن مكانة هذا الفرعون في ترتيب ملوك الأسرة التاسعة عشرة لا تزال غامضة، فقد وضعه — كما قلنا من قبل — «إدوارد مير» بعد الفرعون «مرنبتاح» مباشرة. وقد تبعه في رأيه بعض المؤرخين.

وإذا كان هو الأمير الذي لم يُسمَّ باسمه على آثار معبد والده الذي نشره «شفربيه» حديثًا، وقد مثل مرارًا يتبع والده، ويحمل لقب ولاية العهد الأمير الوراثي، والابن الأكبر للمك «سيتي مرنبتاح» — فلا بد أنه تولى الملك وهو صغير، وربما قامت من أجله المنازعات على العرش. والظاهر أنه هو ابن «تاخعت» التي تزوج منها «سيتي الثاني» وهي إحدى بنات «رعمسيس الثاني» وقد رُسمت معه في قبره.[١]



شكل ١: الفرعون «أمنمس».

ويحتمل إذن أن المشاحات التي قامت بينه وبين خلفه قد جاءت عن طريق الحزبية والتشيع لابن آخر ربما كانت والدته تنتمي إلى أرومة ملكية عريقة. والواقع أننا لا نعرف للملوك الذين خلفوا هذا الملك أمًّا، أو أمهات معينات، ولذلك يعتقد أن حزب هذا الأمير قد تغلب على حزب «توسرت» التي صوَّرت نفسها مع والدها في قبرها بوصفها وارثة للعرش. وكانت تحمل لقب «سيدة الأرضين» كما فعلت «حتشبسوت» مع والدها «تحتمس الأوَّل». وقد كانت أسباب عدم استيلائها على العرش — على ما يظهر — في بادئ الأمر هي نفس الأسباب التي حالت بين «حتشبسوت» وبين عرش البلاد في أول أمرها (راجع مصر القديمة الجزء الرابع).

ومما يؤسف له جد الأسف أنه ليس لدينا آثار مؤرخة لهذا الفرعون، ويُحتمل إذن أن حكمه كان قصيرًا للغاية، واللوحة التي وُجدت له «بالقرنة» وهي التي تحدثنا عنها فيما سبق كانت من عمله؛ لأن لقبي الملك فيها يتفقان مع ما ذُكر على آثار أخرى له.[٢] ولكننا — من جهة أخرى — نجد أن اسم «رع» في ألقابه يختلف هنا عن اسم «أمنمس».

ويوجد في «متحف ليفربول» قطعة من منظر[٣] يُشاهَد فيها الإله «آمون» يقدم رمز العيد الثلاثيني لهذا الفرعون، مما يشعر بأن فترة هذا العيد قد حلت في عهده. غير أن هذا كان تقليدًا أعمى لا يدل على شيء من هذا القبيل في كثير من الأحوال (راجع الجزء السادس من مصر القديمة). والمظنون أنه حكم خمس سنوات (راجع مصر القديمة الجزء السادس) على حسب رأي «مانيتون».

ولدينا لوحة من «العرابة المدفونة» مثل عليها موكب تبعه منظر رقص وليس عليه إلا طغراء باسم «أمنرع مس Amenra messes». ولا بد أنه من عهده،[٤] كما يقول «بتري».[٥]

هذا ونجد اسم هذا الملك في بعض الجهات. فقد نُقش اسمه فوق اسم «مرنبتاح» في معبد «القرنة»،[٦] وكذلك نجده اغتصب قطعة من الحجر نقش عليها اسمه — وكانت باسم «مرنبتاح» — خلف «الرمسيوم».[٧]

وفي مدينة «هابو» نجد اسمه منقوشًا على الجدار الأمامي.[٨]

وفي «وادي حلفا» يحتمل أنه نُقش اسمه على المعبد «الجنوبي».[٩]

آثاره

أما الآثار التي عُثر عليها له حتى الآن فقليلة جدًّا، وهي قاعدة تمثال مغتصبة من «سيتي الثاني» محفوظة الآن بمتحف «ليفربول».[١٠]

وقد وُجدت جعارين باسمه،[١١] وجزء من خاتم أزرق.[١٢]

مقبرة «أمنمس»

قبر هذا الفرعون في «وادي الملوك» وقد كتب اسمه عليه «رع-بن-ماعت ستبن رع أمنمس، حاكم طيبة»، وهذا القبر يواجه زائر هذا الوادي عندما يسير متجهًا نحو الجنوب على الطريق الرئيسية. ولما كان أخلاف هذا الفرعون لم يعترفوا بتمليكه فقد محا أحدهم — عن قصد — النقوش والأشكال التي على جدران قبره حتى لا يكاد يُرى منها الآن شيء.

وتدل شواهد الأحوال على أن هذا القبر كان مخفيًّا عن الأنظار ولا يعلم بمكانه أحد بعد موته، ولا أدل على ذلك من أن الفرعون «ستنخت» الذي تولى عرش الملك بعده بما لا يزيد عن اثنتي عشرة سنة قد أخذ يحفر قبره في هذه الجهة، ولكن لم يلبث أن وجد العمال في أثناء العمل أنهم قد نفذوا إلى قبر الفرعون «أمنمس» غير عالمين بوجوده هناك. وهذا دليل على أن قبور الملوك كانت تُحفر في الخفاء وبكل تكتم من جانب العمال وإلا فكيف يمكن تفسير هذه الظاهرة؟ ومن المحتمل أن «ستنخت» أو «رعمسيس الثالث» هو الذي أخفى النقوش، ويُحتمل كذلك أن المومية الملكية قد حُملت من «وادي الملوك» ودُفنت في مكان حقير، إذ لم يُعرف لها أثر حتى الآن. وهذا القبر لم يُنظف بعد، ومن المحتمل أن المومية لا تزال فيه تحت الأنقاض. ويُستعمل الآن مكانًا مختارًا يتناول السياح فيه الغداء.[١٣]

وقد عُثر على جزء من تابوته.[١٤] وقد صوِّرت الملكة «باكت ورنرو» على جدران هذا القبر.[١٥]

---

[١] راجع: Petrie, Hist. of Egypt III, p. 38.

[٢] راجع: Lepsuis, Konigsbuch p. 478 a-c.

الملك «مرنبتاح سبتاح» والملكة «تاوسرت»



يوجد[١] على الآثار ملكان باسم «سبتاح» أحدهما يُدعى «مرنبتاح سبتاح»، والثاني يُدعى «رعمسيس سبتاح». والأوَّل يُلقب «أخن رع ستبن رع»، والثاني يُلقب «سخعن رع ستبن رع»، وقد كان الأخير إلى زمن قريب يعتبر أنه «رعمسيس التاسع» أحد ملوك الأسرة العشرين، إلى أن برهن الأثري «دارسي» على أنه أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة؛ ولذلك اقترح تسميته «رعمسيس الثالث»، وبذلك يجعل الملوك الذين يحملون هذا الاسم اثني عشر فرعونًا لا أحد عشر. غير أن الأثري «جوتييه»[٢] على العكس تبع رأي «ماسبرو» القائل بأن طغراء «رعمسيس التاسع» هي في الواقع الطغراء التي استعملها «مرنبتاح سبتاح» في السنة الأولى من حكمه، ويُحتمل في السنة الثانية أيضًا. ويقول «جاردنر»: إن هذا الرأي ليس مقطوعًا[٣] به.



شكل ١: الفرعون «سبتاح».

ولما كان التاريخ يحدثنا أن بعض الملوك قد غيروا ألقابهم التي سُموا بها في بادئ الأمر، فمن المحتمل أن رأي «جوتييه» على جانب من الصحة، وبخاصة أننا لا نعرف لهذا الملك المسمى «رعمسيس سبتاح» أي أثر بعينه، كما أننا لا نعرف له قبرًا ولا معبدًا جنازيًّا، ولذلك سنغض الطرف عنه — سواء أكان ملكًا حقيقيًّا أم اسمًا آخر للفرعون «مرنبتاح سبتاح».

والظاهر أن «مرنبتاح سبتاح» قد تولى عرش الملك بعد أخيه «أمنمس» وتزوَّج من «تاوسرت» التي أقصاها — على ما يظهر — حزب «أمنمس» عن العرش. وقد كان حامل خاتم الملك «باي» قد اشترك في قلب عرش الملك؛ لأنه كان من أنصار «تاوسرت»، يدل على ذلك ما جاء في أحد نقوشه: «حامل الخاتم الأعظم لكل البلاد حتى حدودها، مثبتًا الملك على عرش والده»[٤] وقد وُضع اسمه على قطعة من الحجر، وعلى ألواح من الذهب وخواتم في قطع ودائع الأساس كلها التي وُجدت للملك «سبتاح» كالتي وضعها الملك لنفسه، وذلك يدل على أنه قد استمر في إدارة شئون البلاد بصورة بارزة تدل على قوة عظيمة بعد أن ثبت سيده على العرش.

ويُعد «باي» الموظف الوحيد الذي كان له امتياز في أن يُدفن مع الملوك في واديهم. وقد قام «سبتاح» بدوره بعد أن استتب له الأمر في محو آثار الملك «أمنمس» البغيض، ونقش اسمه واسم زوجه «تاوسرت» بدلًا من اسم «أمنمس». ولدينا جُعَل نُقش عليه اسمه واسم الملكة «تاوسرت» معًا.[٥]

وليس لدينا متون كثيرة عن حكمه وما حدث فيه. وأهم ما عندنا نقش عن بعثة أرسلها — إلى بلاد «كوش» لجلب الجزية — «سيتي» نائب «كوش» في عهده، من رجالها «بياي» الذي كان يحمل الألقاب التالية: «حامل المروحة على يمين الفرعون، وكاتب الملك، ورئيس المالية، والكاتب الملكي لإدارة الخطابات الفرعونية، ومدير القصر في «برآمون: بياي».» وقد أتى ليتسلم جزية بلاد «كوش».[٦] و«بياي» هذا هو ابن «سيتي» سالف الذكر. وجاء معه «حورا» رسول الفرعون عن كل البلاد.[٧]

وفي السنة السادسة أُرسلت بعثة ثانية، وقد كان «حورا» هذا وقتئذ قد رُقي إلى وظيفة حاكم «كوش» وحل مكانه ابنه «وبختا» في وظيفة «رسول الفرعون». ولا نرى — غير ما ذكرنا — لهذا الفرعون على الآثار تواريخ قط حتى الآن.

وفي اعتقادي أن الملكة «توسرت» التي يقول عنها «مانيتون» إنها حكمت أكثر من سبع سنين قد استمرَّت في حكم البلاد بعد زوجها «سبتاح» الذي على ما يظهر حتى الآن قد مات بعد السنة السادسة من حكمه، ولدينا فضلًا عن هذا آثار تدل على أن «توسرت» قد ظلت في الحكم حتى السنة الثامنة كما سنذكر ذلك (وقد اشترك معها في الملك «سيتي الثالث» كما يقول «إمري».) وقد أقام «سبتاح» لنفسه معبدًا جنازيًّا ومقبرة على غرار الملوك الآخرين.

(١) المعبد الجنازي

أقام «مرنبتاح» لنفسه معبدًا جنازيًّا يقع شمالي معبد «أمنحتب الثالث»، وقد قام الأستاذ «بتري» بحفائر لتنظيف بقايا هذا المعبد عام ١٨٩٦ (راجع Petrie, Six Temples at Thebes pp. 16-17). وقد وجد كل أبنيته مخرَّبة وتبلغ مساحته ثلث معبد الملكة «توسرت» تقريبًا. ولم يتبقَّ منه إلا الخنادق التي كانت قد قُطعت في الصخر ووُجدت مملوءة بالرمل. وليس لدينا علم بما تم من بنائه في عهد صاحبه. وقد عُثر في أساسه على ثماني ودائع أساس انتثرت منها في أنحاء العالم، وتوجد منها قطعة في متحف «مرسليا»، (راجع Rec. Trav. XIII, p. 112)، وهذه الودائع في الأصل كانت تحتوي على حوالي مائة وخمسين لوحة صغيرة مطلية، وجعارين أيضًا، وحوالي مائتين وثلاثين خاتمًا، ومائة لوحة صغيرة مصفحة بالفضة والذهب، وكلها باسم الفرعون «سبتاح»، هذا إلى حوالي مائة لوحة من هذه الأشياء باسم حامل الخاتم الملكي «باي»، وأكثر من مائتين وألف من النماذج المطلية والخواتم، وحوالي مائة وخمسين من نماذج آلات. تُضاف إلى ذلك الأواني الملونة المصنوعة من الفخار والأحجار وغيرها. وقد وُجد في مكان كل وديعة قطعة من الحجر الرملي عليها طغراء هذا الفرعون وأخرى مشابهة باسم «باي» وألقابه.

وليس لدينا للفرعون «سبتاح» صور إلا التي في قبره. ويقول «بتري»: إنها رءوس للملك «سيتي الثاني» أو رءوس للفرعون «ستنخت» على أن هذا الموضوع يحتاج إلى بحث دقيق (راجع

.(Petrie, Hist III, p. 132

(٢) مقبرة سبتاح

كشف عن هذا القبر الأثريان «ديفز» و«أيرتون» (The Tomb of Siptah, Davies and Ayrton). ويقع على الممر الشمالي المؤدي إلى مقبرتي «توسرت» و«سيتي الثاني»، وتُرى صور هذا الفرعون بجانب الملكة على جدران الدهاليز الأولى للمقبرة، وقد دخل أنصار الملك الذي كان يناهض «سبتاح» بعد دفنه بمدة وجيزة المقبرة ومحوا اسمه أينما وجدوه، وقد حمل الكهنة موميته إلى مقبرة «أمنحتب الثاني» ودفنوها هناك، وقد ظلت فيها إلى أن كشف الأستاذ «لوريه» عن مقبرة «أمنحتب الثاني» هذا. والظاهر أن الكهنة الذين وضعوه في مقبرة «أمنحتب» قد أعادوا كتابة طغراء «سبتاح»، والحجرات الداخلية من قبره قد تداعت على مرِّ الزمن، ولا يمكن الزائر الآن إلا مشاهدة الدهاليز الأولى وهي محلاة بالمناظر الدينية الجميلة، فيُرى على اليمين والشمال عند المدخل صورة آلهة العدل المجنحة، وعلى اليسار صورة جميلة للفرعون «سبتاح» يخاطب «حور مأخت» إله الشمس، وبعد ذلك يُشاهد صور الشمس العادية وهي تمر بين الأفقين، وبقرب قعر الجزء الذي يمكن الوصول إليه من القبر يُرى على اليسار منظر فيه مومية الملك أو «أوزير» تحرسها الإلهتان «إزيس» و«نفتيس» والإله «أنوب»، وفوق ذلك وأسفل منه صور لابن «آوى» حامي الجبانة يجلس عند أبواب العالم السفلي (Weigall, Guide p. 226 ff). ويلفت النظر في هذا القبر كذلك رسوم السقف على الرغم مما أصابها من تهشيم (راجع Capart Thebes p. 310 fig. 229). وصندوق هذا الملك في «متحف القاهرة».[٨]

وتماثيله المجيبة في «متحف متروبوليتان» بنيويورك،[٩] ومجوهراته في «متحف القاهرة».

(٣) آثار «سنبتاح»

وليس لهذا الفرعون آثار منقولة تذكر غير ما ذكرناه إلا ما يأتي:

(١) محراب صغير فيه «آمون رع»، وهو «بالمتحف البريطاني».[١٠]

(٢) قطعة من تمثال عليها اسمه محفوظة الآن «بمتحف الفاتيكان».[١١]

(٣) وجعارين هذا الفرعون قليلة، بل نادرة. وقد وجد اسمه مع اسم «توسرت» على جعران.[١٢]

(٤) آثاره في بلاد النوبة

وُجدت له نقوش عدة في بلاد النوبة سنذكرها عن التحدث عن رجال عصره.

(٥) الموظفون والحياة الاجتماعية في عهد «مرنبتاح سبتاح»

باي

لا نعرف من الآثار التي لدينا موظفًا يحمل لقب «وزير» في عهد هذا الفرعون، ولكن الرجل الذي كان مسيطرًا على زمام الأمور في عهد كل من «سبتاح» و«توسرت» هو حامل الخاتم «باي»، ويؤخذ — من اسمه — أنه من أهل الدلتا. ومعناه «الروحي» نسبة إلى الكبش رب «منديس». وقد ترك لنا هذا العظيم لوحة منقوشة على الصخور الغربية من «أسوان»[١٣] تدل على ما كان له من نفوذ وسلطان في طول البلاد وعرضها، وقد نوهنا عن ذلك من قبل. فنشاهد على هذه اللوحة الملك «سبتاح» على عرشه، وخلفه حامل الخاتم «باي»، وأمام الفرعون يقف «سيتي» متمدحًا. والنقش الذي فوق «باي» هو: «حامل الخاتم الملكي، والسمير الوحيد، ومقصي الكذب، ومقدم الصدق، وممكن الملك من عرش والده، ومدير مالية البلاد الأعظم «رعمسيس-خع-م-ترو-باي» (= رعمسيس المضيء بين الآلهة) «باي».» وفوق «سيتي» كُتب المتن التالي:

> المديح لك يا أيها الملك العظيم، من ابن الملك صاحب «كوش» وحاكم بلاد الذهب ملك «آمون»، وحامل المروحة على يمين الفرعون، والمدير العظيم لبيت الملك، وكاتب

وثائق الملك (له الحياة والفلاح والصحة) «سيتي».

ولدينا نقش آخر في «السلسلة» مماثل للسابق يظهر فيه الملك «سبتاح» يقدم الأزهار «لآمون» ويظهر فيه «باي» خلف الفرعون، وفوقهما معًا المتن التالي:

> تقديم المديح «لآمون رع» وتأدية الطاعة لحضرته، ليته يحفظ ابنه رب الأرضين «أخن رع ستبن رع» (سبتاح).

ونُقش فوق «باي»:

> ليتهما (أي آمون وسبتاح) يمنحان — اعترافًا للعدل — ويكافئان من يعمله (العدل) الحياة السعيدة، والقلب الرضي، وبهجة اللب، وتملك الصحة، لروح رئيس المالية الأعظم للأرض كلها، من يثبت الملك على عرش والده، ومن يحبه (الملك) «باي».[١٤]

وكذلك نجد اسمه على صورة العجل «منفيس» التي عُثر عليها في «العرب» وهي موجودة الآن «بالمتحف المصري».[١٥]

وقبر هذا العظيم بين مقابر الملوك في جبانة «وادي الملوك»، ويقع في نهاية الوادي الجنوبية على يمين الطريق المؤدية لمقبرة الملكة «توسرت»، ويحمل هذا القبر رقم (١٣).

وأهمية هذا القبر تنحصر في أنه هو القبر الوحيد الذي أُقيم لغير ملك بحجم المقابر الملكية، ولم يُنظف بعد في أيامنا، وهو مفعم الآن بالأتربة.[١٦]

وفي معبد «أمدا» نجد في قاعة العمد على جانبي الباب المؤدي إلى الممر نقشين هامين من عهد الملك «سبتاح». فعلى الجهة الجنوبية صورة «توسرت»، وعلى الجهة الشمالية صورة حامل الخاتم «باي»، وبالقرب منه طغراءان «لسبتاح» بدون صورته.[١٧]

سيتي

ابن الملك صاحب «كوش»، وهذا الحاكم هو الذي يقترح «إمري» في مقاله عن ترتيب أواخر ملوك هذه الأسرة أنه «سيتي الثالث» الذي تزوج من «توسرت» بعد موت «سبتاح»، وقد وُجدت له خمسة نقوش في بلاد النوبة ذكرنا منها ما اشترك فيها مع «باي».

وله غير ذلك نقش في معبد «بوسمبل» نشره «برستد» ونصه:[١٨]

(١) الحمد لآمون، ليته يتفضل بالحياة والسعادة والصحة لروح رسول الفرعون في كل الأراضي، ورفيق قدمي سيد الأرضين، والمقرب من «حور» في قصر (الملك)، وسائق عربة جلالته الأول المسمى «رخ بحتوف»، لقد أتى جلالته ليثبت ابن الملك صاحب «كوش» «سيتي» على كرسيه في السنة الأولى من حكم رب الأرضين «رعمسيس سبتاح».[١٩]

(٢) وكذلك له نقش على الجدار الشمالي من معبد «بوسمبل»[٢٠] وهذا النقش مقسم صفين أحدهما فوق الآخر. ففي الجزء الأعلى مُثل الملك يقدم البخور لخمسة آلهة وهم: «آمون رع» رب عروش الأرضين، والإلهة «موت» سيدة «أشرو»، والإله «بارع حوراختي» الإله العظيم، والإله «ست» عظيم القوة محبوب «رع»، والإلهة «عشتارت» ربه السماء.

والصف الأسفل قد خُصص كله لنائب الملك في «كوش» وأسرته والصلاة التي يتضرع بها للآلهة الذين في الصف الأعلى. وقد مُثل «سيتي» في الوسط مرتديًا الجلباب الأبيض الطويل الواسع من الأمام رافعًا يديه وأمامه النقش التالي:

> أقدم التضرع «لآمون رع» و«حوراختي» ليمنحا الحياة والعافية والعمر الطويل أتباع أرواحهم، لأجل روح الأمير الوراثي، والحاكم، وابن الملك صاحب «كوش»، والمشرف على بلاد الذهب «لآمون» وحامل المروحة على يمين الملك، وكاتب رسائل الفرعون. والرئيس الأول في اصطبل ملك الوجه القبلي، وملك الوجه البحري، والكاهن الأول لإله

القمر (تحوت)، والمشرف على المالية، والمشرف على خطابات الفرعون في بلاط «قصر رعمسيس مري آمون.»

ويقف خلفه ابنه كاتب الملك، ومدير قصر رعمسيس محبوب «آمون» «حور محب» وخلف الأخير ابن آخر يُدعى «مري رع» الكاهن والد الإله «لآمون» ملك الآلهة. وقد وُجدت لابنه الأوَّل «حور محب» نقوش أخرى.[٢١]

(٣) وفي معبد «بوهن»[٢٢] نجد النقش التالي:

السنة الأولى من حكم الإله الطيب «رعمسيس بتاح» معطي الحياة. الثناء لحضرتك يا «حور» سيد «بوهن»، ليته يمنح الحياة والسعادة والصحة، والقدرة على الخدمة والحظوة والحب روح رسول الملك في كل الأراضي الأجنبية، وكاهن إله القمر (تحوت) الكاتب (المسمى) «نفر حور» بن «نفر حور» كاتب سجلات الفرعون (له الحياة والفلاح والصحة) عندما حضر بمكافآت لموظفي النوبة، وليحضر لابن الملك صاحب «كوش» في رحلته الأولى.

(أي إنه دُوِّن هذا النقش في هذه المناسبة).

(٤) وفي جزيرة «سهيل» نجد نقشًا[٢٣] مؤرخًا بالسنة الثالثة من حكم هذا الفرعون وهو:

السنة الثالثة، الشهر الأوَّل من الفصل الثالث، اليوم العشرون، الثناء لحضرتك يا أيها الملك القوي، ليته يمنح الحظوة روح حامل المروحة على يمين الملك وابن الملك صاحب «كوش» وحاكم البلاد الجنوبية «سيتي».[٢٤]

حورا

سائق جلالته، ورسول الفرعون لكل أرض: وُجد لهذا الموظف نقش في «معبد بوهن»[٢٥] مؤرخ بالسنة الثالثة من حكم «سبتاح» جاء فيه:

> سائق جلالته الأول، ورسول الفرعون لكل البلاد، لأجل أن يمكن الرؤساء على كراسيهم وسار قلب جلالته «حورا» بن «كاما» المظفر، التابع للإصطبل العظيم الفرعون الخاص بالبلاط،عمله (أي النقش) في السنة الثالثة.

ووُجد له نقش آخر مؤرخ بالسنة السادسة في نفس المكان[٢٦] جاء فيه:

> السنة السادسة من عهد ملك الوجه القبلي والوجه البحري «آخن رع ستبن رع» بن «رع» القائم بعمل السائق الأول لجلالته، ورسول الملك لكل بلد «وبخوش» (؟) ابن الملك صاحب «كوش» «حورا» (هكذا) (؟).

بياي

رئيس الرماة

كانت وظيفة رئيس الرماة من الوظائف الهامة في حكومة السودان التابعة لنائب الفرعون مباشرة، وقد كان صاحب هذه الوظيفة على رأس القوات التي تُوضع تحت تصرف ابن الملك صاحب «كوش» لحفظ النظام في بلاد النوبة. والظاهر أن الحملات التأديبية الكبيرة كانت تحت إشراف الفرعون مباشرة، أو تحت إشراف ضباط عظام من الجيش يرسلون بقوات خاصة، وقد كان يحمل وظيفة «رئيس الرماة» في عهد الملك «سبتاح» الضابط «بياي»، فقد عُثر له على نقوش عدة في بلاد النوبة وهي:

(١) نقش في «بوهن»[٢٧] ويحمل فيه الألقاب التالية: «حامل المروحة على يمين الملك، وكاتب الفرعون، والمشرف على المالية، وكاتب ديوان الملك لرسائل الفرعون، ومدير القصر في «بر آمون» بياي.» لقد أتى ليتسلم جزية أرض «كوش». والنقش مؤرخ بالسنة الثالثة.

(٢) وله نقش مؤرخ بالسنة الثالثة أيضًا في نفس المكان، ويحمل فيه الألقاب التالية: «حامل المروحة على يمين الفرعون، والمشرف على خزانة رب الأرضين.»[٢٨]

(٣) وكذلك له نقش آخر غير مؤرخ في نفس المكان[٢٩] ربما كان قبل النقش السابق في تاريخه ونقوشه مهشمة بعض الشيء، وهي: «رسول الفرعون (لكل أرض)، والذي يمكن موظفي ابن الملك من أماكنهم، وسائق جلالته الأول … «بياي» التابع للبلاط.»

(٤) وأخيرًا وُجد له نقش في «أمدا» نُقش عليه: «حامل المروحة على يمين الملك، ورئيس الرماة.»[٣٠]

---

[١] قد تحدَّث إلينا بهذه المناسبة الأستاذ «ريزنر» في مقاله عن نواب «كوش» (J. E. A. 6, p. 49) عن ترتيب ملوك الأسرة التاسعة عشرة فيقول: إن ترتيب ملوك هذه الأسرة الذين جاءوا بعد الفرعون «رعمسيس الثاني» قد استقر الأمر فيه نهائيًّا بعد المقال الذي كتبه «دارسي» عن الملك «رعمسيس سبتاح» (Rec, Trav, XXXIV)، والاستراكون التي نشرها تبرهن على أن «رعمسيس سبتاح» قد خلف الملك «سيتي الثاني» مباشرة في السنة السادسة من حكمه، وهو العام الذي تُوفي فيه. والتغير الذي حدث في نقوش جدران الرمسيوم يبرهن على أن «أمنمس» قد جاء بعد «مرنبتاح» في حين أن نقوش «العرابة» تبرهن على أن «أمنمس» كان قبل «مرنبتاح سبتاح». والنقطة الوحيدة التي تحتاج إلى إجابة هي توحيد اسمي «رعمسيس سبتاح» و«مرنبتاح سبتاح». وقد حاول «مسبرو» أن يقدم البراهين على ذلك (راجع A. S, 10 pp. 131–138) فيقول: إن نائب «كوش» «سيتي» قد عُين في السنة الأولى من عهد «رعمسيس سبتاح» وإنه كان لا يزال في وظيفته في السنة الثالثة من حكم «مرنبتاح»، ثم عُين بدلًا منه «حورا» قبل نهاية السنة السادسة. والألقاب التي يحملها في نقوش معبد «بوسمبل» (راجع A. S. 10, p. 138)

الملكة «توسرت»



لقد وضع «مانيتون» الملكة «توسرت» في آخر قائمة ملوك الأسرة التاسعة عشرة، وقال عنها إنها حكمت سبع سنين. وتدل الآثار التي لدينا على أن لها تواريخ حتى السنة الثامنة من حكمها، غير أن الرسوم التي تركتها لنا مبهمة، لغموض العصر الذي عاشت فيه، وللتطاحن على عرش الملك في تلك الفترة. وأظن أن أكبر عقبة وقفت في سبيلها إلى اعتلاء العرش منفردة طوال المدة التي عاشت فيها أنها كانت امرأة على الرغم من أنها — على ما يظهر — كان لها من الألقاب الشرعية ما يؤهلها لتولي العرش. وإذا أخذنا بنظرية «إمري» في أنها تزوجت من فرد آخر يُدعى «سيتي» بعد وفاة «سبتاح» فإنه يكون «سيتي» الذي كان حاكمًا لبلاد النوبة، وبخاصة إذا علمنا أنه لم يُذكر على الآثار بعد السنة السادسة نائبًا للنوبة. وعلى ذلك يعد «سيتي» هذا «سيتي الثالث» بين ملوك مصر كما ذكرنا من قبل. غير أن العقبة الوحيدة التي تقوم في وجه هذا الحل هو أننا وجدناها تؤرخ لنفسها وحدها بالسنة الثامنة كما جاء على استراكون نشرها «دارسي»[١] وهي محفوظة الآن «بالمتحف المصري» على الرغم من اشتراك «سبتاح» معها. وهذا هو نفس ما فعلته «حتشبسوت» التي ادعت أنها وارثة «تحتمس الأول» في حياته واشتركت معه في الملك، وكما ادعى «تحتمس الثالث» أنه فرعون البلاد منذ زمن والده «تحتمس الثاني» متجاهلًا حكم «حتشبسوت» على مصر، ويُخيل إلي أنه بعد موت «سبتاح» قوي حزب «توسرت» وظلت على العرش حتى ماتت أو خلعت، على أن ذلك لا يمنع أنها تزوَّجت من «سيتي الثالث» المزعوم.



شكل ١: الملكة توسرت.

معبد «توسرت» الجنازي

وقد بدأت في إقامة معبد جنازي في الشمال من معبد «مرنبتاح»، وهو الآن مخرب تمامًا، ومُغطًّى بالأتربة، ويقع في داخل مساحة مُهدت في الصخر، وقد قام بالكشف عن بقاياه الأستاذ «بتري» عام ١٨٩٦م.[٢]

وقد كان هذا المعبد في حجمه يقرب من معبد «مرنبتاح»، وقد عُثر فيه على تسع ودائع أساس في خنادق كانت مملوءة بالرمل. وهذه الودائع تشمل كل منها لوحة من الحجر نُقش عليها طغراء الملكة، وعلى فخار وجعارين مطلية عددها ٢٤٦، وصور بط مطلية، ورءوس ثيران وعجول، وأفخاذ بقر وسمك، وأزهار بشنين وغير ذلك، ويبلغ عددها ١٢١٤، وعلى خواتم عددها ٤٣، ونماذج آلات من النحاس عددها[٣] ٧١ الخ.

ولكن مما يؤسف له أنه لم يبقَ من المعبد أي أثر من الأحجار المنقوشة. والمظنون أن هذا المعبد لم يسرِ العمل فيه، وإلا بقيت لنا منه بعض البقايا التي تخلفت من أحجاره عند نقلها إلى مكان آخر إذا فُرض أنه قد خرب فيما بعد. ومن المحتمل إذن أنه لم تنجز فيه مبانٍ كثيرة فعلًا، ولا بد أنه كان قد بدئ فيه قبل البدء في بناء معبد «سبتاح» بزمنٍ قليل. كما يقول «بتري»[٤] لأن طراز كل الأشياء التي وُجدت فيه تختلف عن طراز ما وُجد في معبد «توسرت»، ومع ذلك فقد وُجد في مجموعة الجعارين ما يدل على أنه لم يمضِ طويل زمن بين إقامة كل منهما.

ويُلاحَظ أنها قد نظمت نقش طغرائها بمهارة ليشبه طغراء جدها العظيم «رعمسيس الثاني» «وسرماعت رع». وقد كُتب طغراؤها الثاني بأربعة أشكال، غير أنها كلها بقراءة واحدة: «ست رع» «محبوب آمون»، وهذه الملكة قد ظهرت في تاريخ «مانيتون» باسم «توريس» وحكمت سبع سنوات. وهذا يتفق مع الاستراكون التي وُجدت باسمها المؤرخة بالسنة الثامنة كما ذكرنا على وجه التقريب.

ومن الطريف ما يُقال من أن سقوط «طروادة» كان في عهدها، وهذا دليل — إن صح — له قيمته عن مقدار ما لتواريخ «مانيتون» من الصحة.

ولم تحدِّثنا الآثار عن كيفية انتهاء حكم هذه الملكة، غير أننا نعلم من نقوش «رعمسيس الثالث» أن البلاد قد وقعت في فوضى وانحلال وسوء نظام أدت إلى تسلط رجل آسيوي من دم غير ملكي

على البلاد وهو «إرسو»، إلى أن جاء والد «رعمسيس» العظيم «ستنخت» وأنقذها مما حل بها من مصائب وويلات، ودرج بها نحو العلا مرة أخرى بفضل خلفه العظيم «رعمسيس الثالث» الذي أحيا مجد البلاد، وناضل عن استقلالها في فترة من أحرج الفترات في تاريخ أرض الكنانة.

وقبرها في «جبانة وادي الملوك»، وهو الذي اغتصبه «ستنخت» لنفسه، وسنتحدث عنه فيما بعد.

---

[١] راجع: Daressy Ostraca No. 25293.

[٢] راجع: Petrie, Six Temples at Thebes pp. 13–16. Plan pl. XXVI cf. XXII.

[٣] راجع: Ibid XVI, XVII.

[٤] راجع: Petrie, Hist. of Egypt III. p. 128.

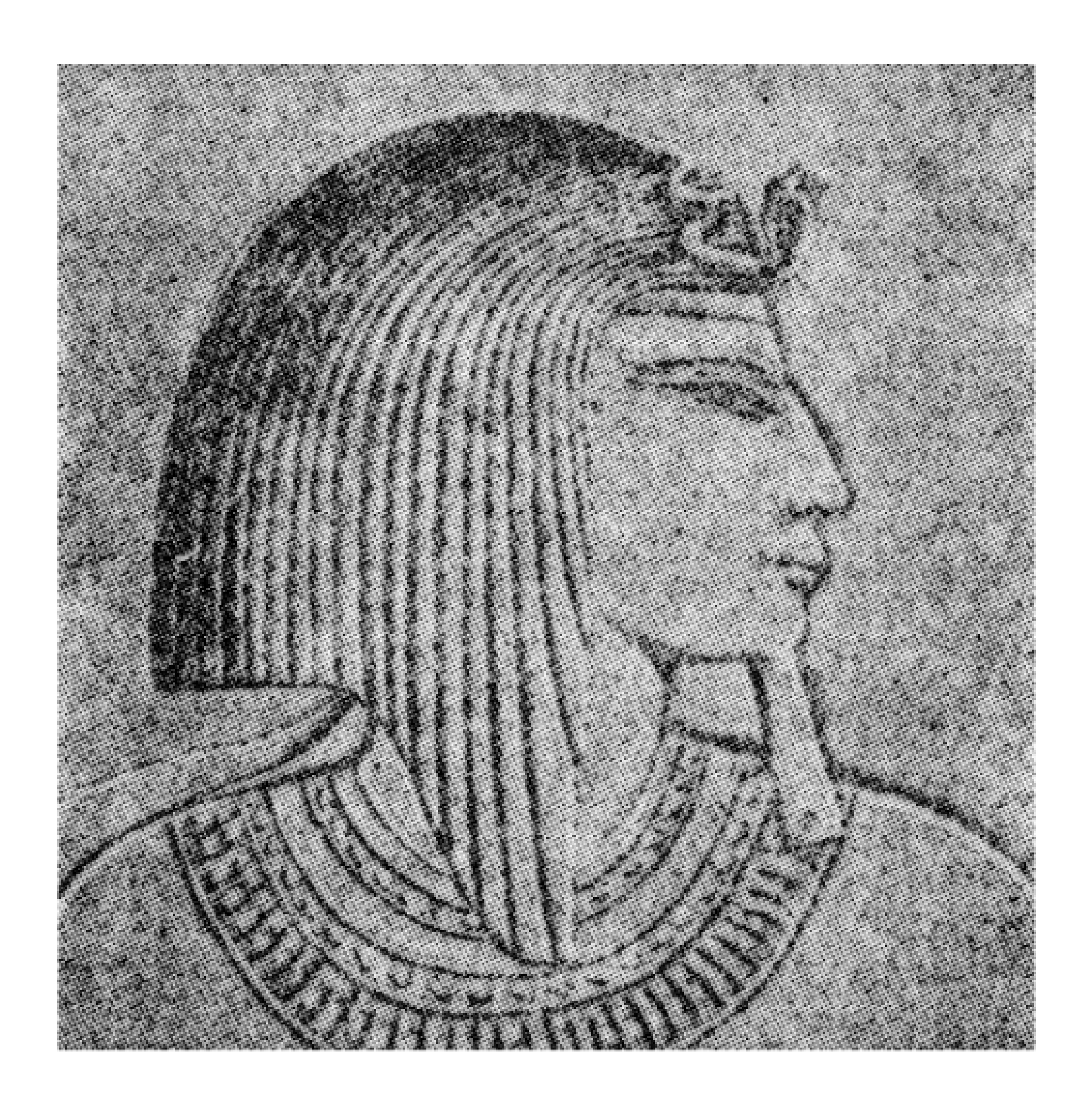
الأسرة العشرون

نهاية الأسرة التاسعة عشرة

الملك ستنخت



رأينا فيما سبق أنه كان من الصعب — ولا يزال — أن نحدد تتابع الملوك الذين خلفوا الفرعون «مرنبتاح»، كما أن الآثار لم تمدنا بمعلومات وثيقة تبرر لنا ما صلة النسب بين هؤلاء الملوك. وقد اضطررنا أن نثبت فيما مضى المقترحات المختلفة التي جادت بها قرائح المشتغلين بالتاريخ والآثار المصرية في هذا الصدد. ولعل لمؤرخي مصر القديمة عذرًا في بلبلة آرائهم في هذا الموضوع، وعدم الاستقرار على رأي واحد ثابت؛ فقد وصف لنا «رعمسيس الثالث» في وثيقة تركها لنا تُعد من أعظم ما خلفه التاريخ المصري من حيث الروعة والإتقان والمعلومات القيمة عن حالة البلاد في نهاية الأسرة التاسعة عشرة، وأعني بذلك «ورقة هاريس» العظيمة الأولى المشهورة وسنتكلم عنها بإسهاب فيما بعد.



شكل ١: الفرعون ستنخت.

والواقع أن هذا الوصف يشعر بالارتباك والخراب اللذين حلقا بالبلاد في تلك الفترة، وقد نطق بهما «رعمسيس الثالث» عندما أراد أن يظهر لعظماء قومه ورجال بلاطه وقواد جيشه ومواطنيه ما قام به من أعمال جليلة للبلاد هو ووالده من قبله، فاستمع إليه:[١]

قال الفرعون (وسرماعت-محبوب آمون) «رعمسيس الثالث» (له الحياة والفلاح والصحة) الإله العظيم للأمراء، وقواد البلاد، والمشاة، والخيالة، وجنود «شردانا»،

وللرماة العديدين، وكل مواطن مصري.

الفوضى السابقة

اسمعوا حتى أخبركم بأنعمي التي عممتها عندما كنت ملكًا على الشعب. لقد غُزِيَتْ مصر من الخارج، وأقصى كل رجل عن حقه، وظل الناس بدون رئيس (فم أعلى) سنين عدة من قبل حتى أتى عليهم حين من الدهر كانت مصر في أيدي أمراء، وحكام مدن، وذبح الرجل جاره، عظيمًا كان أو حقيرًا. وقد توالى على ذلك وقت فيه سنين عجاف، وكان معهم «أرسو» وهو سوري المنبت، الذي نصب نفسه رئيسًا (على البلاد)، وقد جعل كل البلاد تابعة له قاطبة، وجمع كل رفاقه، ونهب ممتلكاتهم (أي ممتلكات المصريين)، وقد ساووا بين الناس والآلهة فلم يقربوا قربانًا في المعابد.

حكم «ستنخت»

ولكن عندما جنح الآلهة للسلم ليضعوا البلاد في مكانها الحق على حسب حالتها العادية، مكنوا ابنهم الذي خرج من أعضائهم أن يكون حاكمًا (له الحياة والفلاح والصحة) على كل أرض يملكها عرشهم العظيم، وهو «وسرخع رع ستبن مري آمون» (له الحياة والفلاح والصحة) ابن «رع» «ستنخت» «مررع» محبوب «آمون»؛ وقد كان مثل «خبري-ست»[٢] في بطشه، وأعاد تنظيم البلاد كلها بعد أن كانت في فتن، وذبح الخارجين الذين كانوا من أرض مصر، وظهر على عرش مصر العظيم، وكان حاكمًا (له الحياة والفلاح والصحة) للأرضين على عرش «آتوم»، وقبل المقبلين بوجوههم الذين كانوا قد اختبئوا، وكل رجل عرف أخاه الذي كان قد حُوصر (أي الذي كان في مكان محصن)، ومكن المعابد بالقرابين لخدمة تاسوع الآلهة على حسب قوانينها المعتادة.

وقد نصبني وارثًا لعرش «جب»، وكنت الرئيس الأعظم لأراضي مصر، والمشرف على كل الأرض بوصفها وحدة مجتمعة، ثم ذهب ليستريح في أفقه مثل تاسوع الآلهة، وعُملت له المراسيم التي عُملت «لأوزير»؛ فنُقل في سفينته الملكية على النهر، وثوى في مضجعه الأبدي غربي طيبة (Harris Pap. I, pl. 75).

ولا نزاع في أن ما قصه علينا «رعمسيس الثالث» يظهر لنا بوضوح تام أن معلوماتنا تصير ضئيلة إذا لم تستند على صور تاريخية.

والواقع أن ما وصل إلينا من آثار لا يحدثنا بأي شيء عن هذا الآسيوي «إرسو» الذي ذكر «رعمسيس الثالث» أنه حكم البلاد، كما أنها قد صمتت صموتًا تامًّا عن الدور الحاسم الذي لعبه «ستنخت» في تطهير البلاد وإعادتها إلى ما كانت عليه من طمأنينة وسلام.

وكل ما لدينا من عهد «ستنخت» بعض آثار ضئيلة لا تشرفه قط بوصفه مخلصًا للبلاد.

آثاره

في «سرابة الخادم» «بسينا» لوحة أقامها «أمنمأبت» و«سيتي» اللذان عاشا في عهده.[٣] ومما يُدهَش له أن معظم آثاره — إن لم يكن كلها — مغتصبة من الملوك السابقين، ونخص بالذكر منها ما يأتي:

(١) «نبيشة»: وُجد في هذه البلدة تمثالان في صورة «بو لهول» من الجرانيت الأسود يرجع عهدهما للدولة الوسطى. وقد اغتصبهما نخبة من ملوك الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين كل بدوره، فقد كُتب اسم «سيتي الثاني» على الصدر، واسم «ستنخت» على الكتف، واسم «رعمسيس الثالث» على مقدمة الشعر المستعار، وعلى القاعدتين نجد اسم «باي» حامل خاتم «سبتاح»[٤] ولا يُعرف كيف يمكن تعليل مثل هذه الظاهرة إلا بما نراه في أيامنا من أعمال تشويه الآثار بكتابة الأسماء عليها، والغرض منها التذكار.

(٢) «قبة توفيق»: وُجد في هذه الجهة عقد باب من الحجر الرملي مبني في بوابة، وقد نُقش عليها اسم هذا الفرعون.[٥]

(٣) «القاهرة»: وُجد فيها عمود مؤلف من قطع باسم «أمنحتب الثالث»، وقد اغتصبه «مرنبتاح» ثم «ستنخت»، ويُحتمل أنه مجلوب من «هليوبوليس»، وقد وجد مبنيًّا في جامع التركمان عند باب البحر.[٦]

(٤) «العرابة»: وُجدت في «العرابة» لوحة باسم كاهن هذا الفرعون المسمى «مرسأتف»، وقد ظهر فيها الفرعون يتعبد للفرعون «ستنخت» وللملكة «تي مرن أست» زوجه، في حين نرى في أعلى اللوحة الفرعون «رعمسيس الثالث» يقدم القربان للآلهة وقد وُجد كذلك لوحان آخران عليهما اسم هذه الملكة استعملا ثانية في رقعة في معبد «العرابة» عام (١٩٠٣).[٧]

(٥) معبد «موت» بالكرنك: وُجدت طغراءاته على البوابة.[٨]

(٦) مدينة «هابو»: وُجدت له لوحة مُثل عليها مع «رعمسيس الثالث»[٩] وأخرى اغتصبها من «سيتي الثاني»[١٠] وقد وُجد له جعران باسمه في مجموعة «فلبور».[١١]

وقد جاء في ورقة «فلبور» أن هذا الفرعون كان له ضيعة في بلدة «منعنخ» الواقعة على مقربة «جبل الطير» و«السريرية»، والظاهر أنها كانت وقفًا على قربان تمثال له كما يدل المتن على ذلك صراحة.[١٢]

قبر «ستنخت»

وقد دُفن هذا الفرعون في مقابر «وادي الملوك»، وتقع مقبرته في أقصى الجنوب من هذه الجبانة، وتحمل الآن رقم ١٤. والواقع أن هذه المقبرة كانت قد حفرتها في الأصل الملكة «توسرت»؛ ولذلك نجدها مصورة هي وزوجها الملك «سبتاح» في ممراتها الأولى. ولكن لم يكد يتقدم العمل

في الممر طويلًا — كما يقول «ويجول» في أعماق الجبل في القاعات الداخلية — حتى مات «سبتاح» على ما يظهر، وتزوجت «توسرت» من «سيتي الثالث» (؟) كما يقترح «إمري». وعلى ذلك نرى صور هذا الفرعون في حجر هذا القبر الداخلية مع «توسرت». وبعد موت هذه الملكة حدث الارتباك والفوضى اللذان تحدثنا عنهما في مصر. ومن المحتمل أن هذا القبر قد نُهب في تلك الفترة، وعندما أعاد «ستنخت» النظام والسلام إلى ربوع البلاد بدأ في نهب قبره رقم ١١. ولكنه غض الطرف عنه، وفضل اغتصاب مقبرة «توسرت». فغير الصور والنقوش ووضع فوقها طبقة من الجص، وزاد في حجم المقبرة، وقد أفلتت بعض مجوهرات هذه الملكة من أيدي اللصوص والنهابين، ووُضعت في مكان أمين بأمر من «ستنخت» نفسه على ما يظهر، فقد عُثر عليها في المقبرة رقم ٥٦ من مقابر «وادي الملوك» وهي غير منقوشة، ولا نعلم من الذي دُفن فيها.[١٣] وقد عثر عليها المستر «تيودور ديفز» في عام ١٩٠٨ ويُقال إن جسمها قد تُرك في مكانه في المقبرة. أما مومية «ستنخت» فقد أصابها على ما يظهر التمزيق والعطب بأيدي اللصوص إذ لم يُعثر عليها قط.

وتدل الأحوال على أن الكهنة الذين أخفوا موميات بعض الملوك في مقبرة «أمنحتب الثاني» قد دخلوا قبر «ستنخت» ووجدوا هناك مومية ظنوا أنها لهذا الفرعون، من أجل ذلك وُجد القبر بطبيعة الحال في ارتباك، ومحتوياته مشتتة، فوضعوا هذه المومية في تابوت «ستنخت» وحملوها إلى مخبئها، إلى أن كشف عنها «لوريه» في عصرنا. وعندما فُكَّت لفائفها عُرفت أنها لامرأة. ومن المحتمل أنها مومية الملكة «توسرت»؛ وذلك لأن ملكات كل هذا العصر كن يُدفن في مقابر «وادي الملكات». وقد بقي هذا القبر مفتوحًا يزوره السياح في العهد الإغريقي، وقد نُظف الآن. وعندما يدخل الإنسان الدهليز الأول يُشاهد على اليمين صور «توسرت» و«سبتاح» في حضرة الإله «بتاح» والإلهة «حرمخيس» وآلهة آخرين، وعلى الجدار المقابل نشاهد الملكة «توسرت» والفرعون «سبتاح» واقفين أمام الآلهة «حرمخيس» و«أنوب» و«إزيس» وغيرهم. والدهليز

الثاني مخرَّب. وفي الثالث نشاهد على اليمين والشمال طغراءات وصورة للفرعون «ستنخت» مصورة على طبقة من الجص وُضعت فوق الصور الأصلية لصاحبة القبر «توسرت». وبعد ذلك ننتقل إلى قاعة صغيرة تؤدي إلى حجرة كبيرة، ونشاهد فوق بابها الإلهين «أنوب» و«حور» يتعبدان للإله الأعظم «أوزير»، وبعد ذلك نستمر منحدرين إلى قعر المقبرة، فنشاهد في طريقنا حجرتين لوَّنت جدرانهما بأشكال خشنة من عهد «ستنخت» على طبقة من الجص وُضعت فوق نقوش «توسرت» الأصلية. وبعد ذلك نصل إلى قاعة يرتكز سقفها على ثمانية عمد، وهذه كانت حجرة الدفن الأصلية للملكة «توسرت».

وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الحجرة عندما نُحتت كان «سبتاح» قد مات، وأن «سيتي الثالث» — على حسب رأي «إمري» — قد حلَّ محله زوجًا لها؛ وذلك لأننا نرى صورة الملك الأخير على أحد عمد هذه القاعة من اليسار، وقد أضاف بعد هذه الحجرة الملك «ستنخت» دهليزين عندما اغتصب القبر. وأخيرًا نصل إلى القاعة التي دُفن فيها «ستنخت» وفي وسطها نجد غطاء تابوته ملقًى على جانبه، وهو مصنوع من الجرانيت وقد نُقش نقشًا جميلًا، ويصور لنا صورة «أوزير» مضطجعًا. أما حوض التابوت نفسه فقد هُشم. والظاهر أنه لم يُغتصب من مكان دفن الملكة «توسرت» بل عمل خاصًّا به.

وتدل النقوش على أن هذا الفرعون قد بدأ لنفسه حفر المقبرة رقم ١١ التي دُفن فيها بعد ابنه «رعمسيس الثالث»، ولكنه بعد أن استمرَّ في العمل مدة تركها واغتصب مقبرة «توسرت» كما ذكرنا. والمدهش في تاريخ الفرعون «ستنخت» أننا لا نعرف كيف أصبح صاحب السيادة في البلاد ثانية بعد أن غزاها الآسيويون، ولا نعرف الصلات التي كانت تربطه بالأسرة البائدة. وكل الدلائل تشعر بأنه لم يكن ملكًا شرعيًّا كما يُقال إنه ابن «سيتي الثاني»؛ إذ لو كان الأمر كذلك لتكلم ابنه «رعمسيس الثالث» بنغمة أخرى عندما وصف لنا حالة البلاد في عهد والده. ولدينا معلومات يكنفها الغموض والإبهام عن هذه الحوادث الأخيرة التي وقعت قبل تولي «رعمسيس الثالث» في

الأساطير القومية عندما تحدث «مانيتون» عن الملك «أوزارسيف Osarsiph» على حسب رأي الأستاذ «إدواردمير».[١٤] إذ نعلم أنه عندما قص قصة الحركة الدينية التي قام بها «أمنحتب الرابع» نجد أنه قلبها ووضعها في عهد «مرنبتاح» الذي جعل اسمه هناك «إمنوفيس» وجعل ابنه «رعمسيس الثالث». وفي عهد «إمنوفيس» هذا اقتحم الأعداء البلاد المصرية آتين من «أورشليم» وهم — كما يُقال — من نسل «الهكسوس» الذين طُردوا من أرض الكنانة، وأمام هذا لم يجسروا على القيام بأية مقاومة، بل على العكس ولوا الأدبار نحو بلاد «إتيوبيا» (النوبة)، وقد جعل ابنه «رعمسيس» في كفالة صديق له. وقد اتحد الأجانب مع المجذومين تحت قيادة «أوزارسيف» وخربوا الأرض، ومدنها، ومعابدها، مدة ثلاثة عشر عامًا. وبعد ذلك عاد «إمنوفيس» ثانية، وقضى عليهم مع ابنه «رعمسيس»، وطاردهم من البلاد مقتفيًا أثرهم في الصحراء حتى بلاد «سوريا».

ولا شك في أن المدقق يرى في هذه الأسطورة المشوهة صدًى لسيطرة «إرسو» على البلاد المصرية؛ لأن ذلك كان حادثًا قد وقع وانقضى زمنه دفعة واحدة، في حين أن «أمنحتب الرابع» وأخلافه من بعده كان لهم دائمًا السيطرة على جزء من بلاد «سوريا». أما «ستنخت» فقد نُسي ولم تُدون أعماله، وكذلك ابنه العظيم «رعمسيس الثالث». وقد نُسبت هذه الحادثة في الحال إلى «مرنبتاح» لاتصاله به. وهكذا نرى مؤرخنا المصري «مانيتون» يشير إلى هذا الحادث من بعيد، على الرغم من أنه لا يفهم ترتيب الحوادث من الوجهة التاريخية.

---

[١] راجع: Harris pap. I, pl. 75, Br. A. R. IV, § 397 ff.

[٢] إله الحرب وقتئذ.

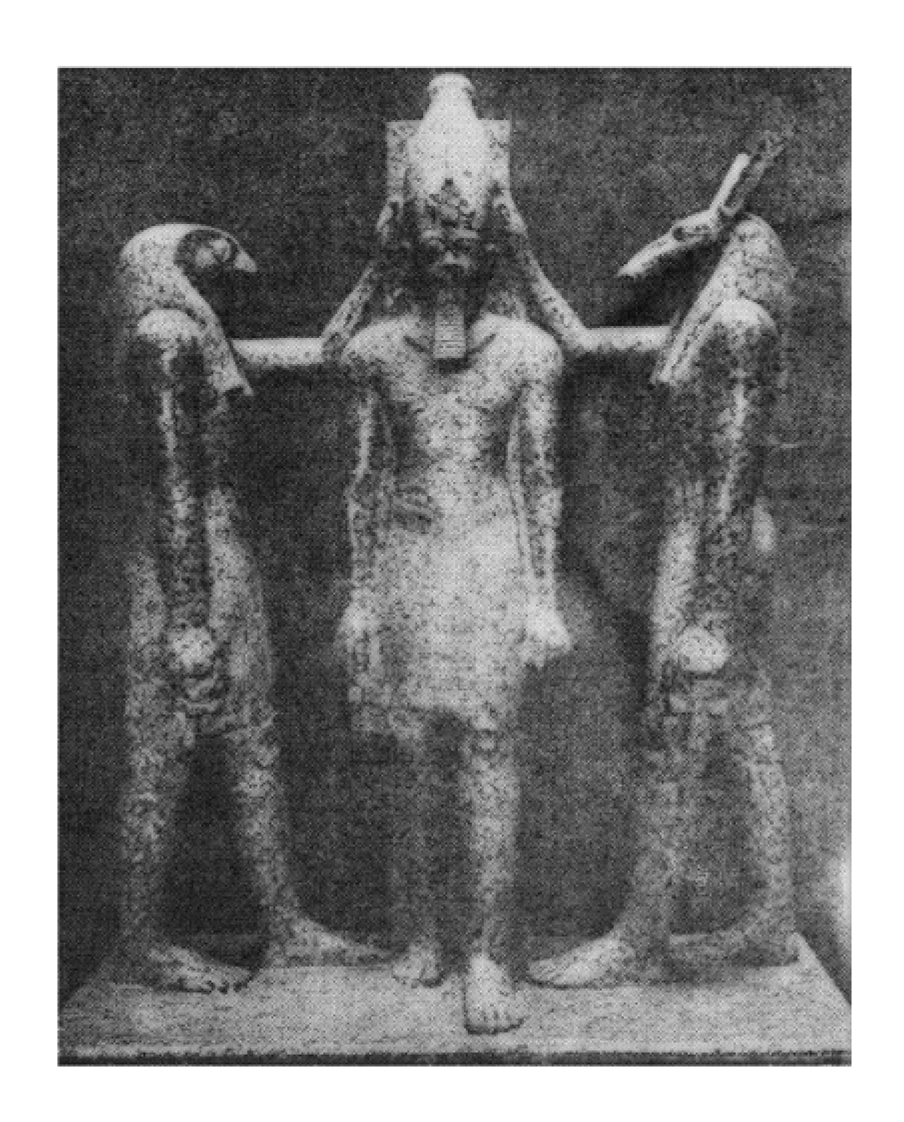
رعمسيس الثالث

١٢٠٠–١١٦٨ق.م



تولى «رعمسيس الثالث» الحكم بعد موت والده «ستنخت» الذي لم يمكث على عرش الملك أكثر من عامين كافح في خلالهما — على ما يظهر — كفاحًا عنيفًا لطرد الغزاة وتثبيت نظم الحكم في البلاد. والظاهر أنه قد أشرك ابنه «رعمسيس الثالث» في الحكم. فلما انفرد «رعمسيس» بالحكم أثبت للعالم والتاريخ أنه خلف صالح لوالده، كما أثبت أن الدم الملكي الجديد كان له خطره في إنهاض البلاد من كبوتها التي سقطت فيها خلال عهد آخر ملوك الأسرة التاسعة عشر الضعاف.

والواقع أن مثل هذه الأسرة في بدايتها كمثل الأسرة التاسعة عشرة عندما تولى ملوكها زمام الأمور في البلاد؛ إذ ساروا بها قدمًا حتى بلغت في عهدهم مكانة عليَّة. ولسنا مبالغين إذا قلنا إن «رعمسيس الثالث» قد جمع في شخصه تلك القوة الحربية، والقدرة السياسية التي امتاز بها «سيتي الأوَّل» ومن بعده ابنه «رعمسيس الثاني». ولا غرابة في أن نرى «رعمسيس الثالث» ينحو دائمًا في أعماله نحو «رعمسيس الثاني»، وإن لم تكن الأحوال مُهيأة له لتنفيذ مقاصده.



شكل ١: الملك «رعمسيس الثالث» يُتَوِّجُهُ الإلهان «حور» و«وست».

ووجه الشبه بين أعمال الملوك الأول للأسرتين التاسعة عشرة والعشرين عظيم جدًّا، فالأولى أنقذت البلاد من الفوضى الداخلية التي ورَّطها فيها «إخناتون» وأخلافه كما أعادت للبلاد مجدها المضيع في الخارج بعض الشيء. والثانية خلصت البلاد من أيدي الأجنبي الغاصب الذي استولى عليها، كما دافعت عن حدود البلاد ووقفت زحف اللوبيين من الغرب، وأقوام البحار من الشمال والبحر، وقد كان خطرهم عظيمًا جدًّا، ولولا شجاعة «رعمسيس الثالث» وحسن تدبيره لحلت بالبلاد كارثة أعظم ضررًا وأشد خطرًا من غزو الهكسوس الذين اجتاحوا البلاد في عهد الأسرة

الثالثة عشرة. ولكن كان من سوء طالع مصر أن عدد الملوك العظام في كلتا الأسرتين لم يكن كبيرًا، ففي الأولى يتوالى ثلاثة فراعنة عظام، وفي الثانية لم يتوالَ على عرشها إلا ملكان عظيمان، ثم خلف من بعدهما خلف من الملوك الضعاف ساروا بالبلاد نحو الهاوية. ومن ثمَّ أخذ ضوء مصباح الملك يخبو شيئًا فشيئًا حتى انطفأ جملة في عهد «رعمسيس الحادي عشر».

وعهد «رعمسيس الثالث» حافل بالأعمال العظيمة والأحداث الجسيمة؛ فقد ناصره الحظ، ورافقه حسن الطالع طوال مدة حكمه إلا السنين الأخيرة التي كدرت صفوها بعض الأحداث الداخلية المحضة التي لا تخلو منها بلاد في كل زمان ومكان مما سنفصل فيه القول بعد.

ولقد ظل اسمه لامعًا حتى بعد مماته؛ إذ حُفظت لنا أعماله العظيمة إلى الآن بصورة رائعة لم يحظَّ بمثلها ملك من الملوك الذين سبقوه. وقد وصلت إلينا كما دونها هو وكما يريد في كتابين ضخمين: الأول نقش على الحجر على معبده الجنازي الذي يُعد أضخم بناء لملك مصري بقي لنا سليمًا، وهو المعروف باسم مدينة «هابو». ويُعد من أحسن المعابد التي بقيت محفوظة لنا حتى الآن. أما كتابه الثاني فهو وثيقته الكبرى التي دونها مدة حياته عن أعماله السياسية والدينية العظيمة، وهي أكبر وأضخم وثيقة بقيت لنا من عهد الفراعنة، ويبلغ طولها أكثر من أربعين مترًا. وقد دُونت بأحسن خط هيراطيقي عُرف حتى الآن.

ومن هاتين الوثيقتين الفذتين سنحاول أن نضع صورة عن الحياة المصرية في هذا العهد في الداخل، ونصف ما كان للبلاد من علاقات مع الممالك المجاورة من وجوه شتى. والظاهر أن «رعمسيس الثالث» لم يقم بأية حروب في أول حكمه كما جرت العادة عند معظم ملوك مصر، بل وجَّه معظم عنايته إلى إصلاح الأداة الحكومية، وتنظيم الجيش وتقويته، ووضع أسس معابده. وقد كان ذلك من الأمور الضرورية التي تحتمها الأحوال لرجل مثل «رعمسيس الثالث» يريد أن يجعل مصر صاحبة السيادة والسلطان في الشرق كما كانت من قبل. وقد وصف لنا الحالة بنفسه

عند توليه العرش، وما عمله للبلاد، وسندعه يحدثنا بنفسه عن ذلك كما جاء في «ورقة هاريس» فاستمع إليه:[1]

توليته العرش:

> وبعد ذلك توَّجني أبي[2] «آمون رع» سيد الآلهة، و«رع آتوم» و«بتاح» جميل الوجه بوصفي سيد الأرضين على عرش من أنجبني، وقد تسلمت وظيفة والدي بسرور، وارتاحت البلاد وابتهجت بنعمة السلام، وكانت مسرورة عندما رأتني حاكمًا (له الحياة والعافية والصحة) للأرضين مثل «حور» عندما دُعي ليحكم الأرضين على عرش «أوزير»، وقد تُوجت بتاج «أنف» الذي يحمل الصل، وقد لبست التاج ذا الريشتين مثل الإله «تاتنن»، وجلست على عرش «حوراختي»، ولبست شعار الملكية مثل «آتوم».

(١) حالة البلاد الداخلية

ونظمت مصر طوائف تحتوي سقاة القصر، والأمراء العظام، ومشاة عديدين، وفرسانًا يُعدون بمئات الألوف، وجنود «شردانا» وجنود «قهق» الذين لا يُحصون، وتابعين يُعدون بعشرات الألوف، وعبيد سخرة لمصر.

حروبه:

> وزِدْتُ في حدود مصر، وهزمت الذين غزوها في بلادهم، وذبحت قوم «دنين» الذين يسكنون في الجزر؛ وقوم «ثكل» والفلسطينيين الذين قد صاروا رمادًا، و«شردانا» و«مشوش» سكان البحر أصبحوا كأن لم يغنوا بالأمس، فقد أخذوا أسرى دفعة واحدة، وأحضروا أسارى إلى مصر مثل رمل الشاطئ، ووضعتهم في حصون مكبلين باسمي. وقد كانت طوائفهم عديدة يُعدون بمئات الألوف، وفرضت عليهم كلهم جزية من الملابس والحبوب من المخازن وشون الغلال سنويًّا، وأهلكت قوم «سعر» وقبائل «الشاسو»

(البدو) فنهبت خيام قومهم وممتلكاتهم، وكذلك ماشيتهم مما يخطئه العدُّ، وقد كُبلوا وسِيقوا أسرى جزية لمصر، وقدمتهم للآلهة عبيدًا في معابدهم.

تأمل فإني سأخبرك عن أشياء أخرى حدثت في مصر في زمن حكمي. فقد كان «اللوبيون» «والمشوش» يسكنون مصر، ونهبوا مدن الشاطئ الأيمن من «منف» حتى «كربن»[٣] (كارابانا)، وقد وصلوا حتى النهر العظيم على شاطئيه، وهم الذين نهبوا «كارابانا» وقد وصلوا حتى النهر العظيم على شاطئيه، وهم الذين نهبوا مدن «جوتوت» (كانوب) خلال سنين عديدة في أثناء إقامتهم بمصر.

تأمل لقد أهلكتهم وذبحتهم في وقت واحد، وأخضعت «المشوش» واللوبيين، و«الاسبت» (أساباتا) و«الكيكش» (كايكاشا) و«الشاي» (شاي) و«الهس» (هاسا) — و«البكن»[٤] (باكانا) وقد طُرحوا أرضًا مكدسين مضرجين بدمائهم، وجعلتهم يولون الأدبار دون أن يطئوا تخوم مصر، وحملت منهم أسرى عديدين ممن أُفلتوا من سيفي مُكَتَّفِين كالطيور أمام خيلي، وكانت زوجاتهم وأولادهم يُعدون بعشرات الآلاف، وماشيتهم تُعد بمئات الآلاف، وقد أسكنت قوادهم في حصون باسمي، وأعطيتهم ضباطًا من الرماة، ورؤساء من القبائل، وقد وُسموا وأصبحوا عبيدًا مطبوعًا عليهم اسمي، وأصبحت زوجاتهم وأطفالهم على هذه الحالة، وقيدت ماشيتهم لحساب بيت «آمون»، وقد أصبحت قطعانًا له مدى الدهر.

هذا وصف موجز قدمه لنا «رعمسيس الثالث» عن حالة البلاد عندما تولى عرش الملك وما قام به من أعمال عظيمة في بابي السياسة والحرب لوضع الأمور في نصابها. ونرى منه أن الخطر الأكبر الذي كان يتهدد البلاد هو غزو اللوبيين لها، وقد أشار لنا فيه إلى حروبه الأولى مع هؤلاء القوم.

والواقع أنه ترك لنا تقارير مفصلة، ومناظر حربية شاملة عن حروبه التي شنها عليهم وعلى غيرهم من أقوام البحار الذين انضموا إليهم لاغتيال مصر. وسنتحدث فيما يلي عن حروبه التي اشتبك فيها مع هؤلاء الأعداء على حسب الترتيب التاريخي الذي تركها لنا مصورًا على جدران معبده الجنازي في مدينة «هابو».

(٢) حروب «رعمسيس الثالث»

لقد ترك لنا «رعمسيس الثالث» مناظر ممتعة، ومتونًا ضافية عن حروبه مع الممالك المجاورة لبلاده، والنائية عنها، على جدران معبده الكبير الذي أقامه في «طيبة» الغربية، وهو المعروف الآن بمعبد مدينة «هابو». والظاهر أنه رتبها ترتيبًا تاريخيًّا كما فعل «سيتي الأوَّل» على جدران «معبد الكرنك».

(٢-١) حروبه في النوبة

وتدل المناظر والمتون التي تركها لنا هذا الفرعون على أنه قام بحروب مع بلاد النوبة في أوائل حكمه. غير أن المناظر هنا مهشمة ولا يمكن معرفة كنهها إلا بقرنها بمناظر الحروب الأخرى التي جرت في بلاد النوبة، وصُوِّرت على المعابد الأخرى مثل معبد «بيت الوالي» و«معبد الدر» ومعبد «بوسمبل». وقد دلت الموازنة على أن هذه المناظر كنت في معظم الأحيان تقليدية.[٥]

ولا ندري هنا أقام «رعمسيس الثالث» بحروب فعلية على بلاد «كوش» لتعدِّيهم على حدود البلاد المصرية كما يقول هو أو لم يقم؟! وقد ساق «رعمسيس الثالث» أقصاهم الذين تعدوا على حدوده.
[٦]

فنشاهد في منظر (Pl. 10) «رعمسيس الثالث» في عربته يساعده جنود مصريون وآخرون أجانب يهاجم بلدة نوبية، ثم يذكر لنا المتن أنه كان شجاعًا في قيادة عربته … وجميلًا في ساحة

الشجاعة عندما هاجم العدو. وقد كان ينظر للرماة من الأعداء كأنهم نساء، وقد صير بلاد «كوش» كأن لم تغنَ بالأمس، مضرجين بدمائهم أمام خيله، وبعد أن أحرز النصر نجده يقود أمامه (Pl. 10) ثلاثة صفوف من الأسرى السود وبصحبته جنود من المصريين، وفي منظر آخر نجده (Pl. 11) يقود هؤلاء الأسرى ويقف أمام «آمون» و«موت» في محراب. ويُشاهد بين الملك والإلهين الجزية النوبية مكدسة. ويقول المتن الذي نُقش أمام الفرعون:

> تقديم الجزية على يد الملك لوالده «آمون رع» ملك الآلهة بعد أن عاد جلالته وقد أحرز النصر على ممالك «كوش» الخاسئة، ورؤساء هذه الممالك في قبضة يده، وجزيتهم أمام جلالته، وتشمل ذهبًا، ولازوردًا، وفيروزجًا، وكل حجرٍ غالٍ. وإنها قوة والده «آمون» التي رسمت له الشجاعة والنصر على كل مملكة. وأرض «كوش» أصبحت مكبلة، ومذبوحة في قبضته، كما أن الآسيويين وأقوام الأقواس التسعة في وجلٍ منه.

وقد أجابه الإله «آمون» على مقاله هذا بالكلمات التالية:

> لقد عدت في سلام بعد أن نهبت الممالك، ووطئت بالأقدام قراهم، وقد سقت الأعداء أسرى — على حسب ما قررت لك من شجاعة ونصر.

وأخيرًا تذكر لنا النقوش أن هؤلاء الأسرى طلبوا إلى الإله «آمون» أن يمنحهم النفس الذي هو منحته:

> تأمل، إننا تحت نعليك.

وكذلك يقولون للفرعون:

> الثناء لك يا ملك مصر، وشمس الأقواس التسعة، امنحنا النفس الذي هو منحتك حتى نخدم صليك.

ومما سبق نفهم أنه كانت قد حدثت بعض اعتداءات من جانب النوبيين على الحدود المصرية، وأن «رعمسيس الثالث» نفسه قام على رأس جيش من المصريين والجنود المرتزقة، وهزم الأعداء بعد أن خرب قراهم، وأجبرهم على دفع الجزية — هذا إذا صدقنا ما جاء في النقوش، وهو ليس ببعيد؛ لأن البلاد المصرية كانت في هذه الفترة في حالة من الضعف. ويُحتمل جدًّا أن القبائل المتاخمة لمصر قد انتهزت الفرصة، وأغارت على الحدود المصرية، ولذلك قيل عن «رعمسيس»: «إنه ساق أقصاهم الذين تعدوا على الحدود»، يُضاف إلى ذلك أنه كان من عادة كل فرعون أن يبدأ حكمه ببعض الحروب جريًا على نهج أسلافه؛ ليظهر ما له من قوة وبطش.

(٢-٢) الحرب الأولى على اللوبيين

ترك «رعمسيس الثالث» عن حروبه الأولى مع اللوبيين سلسلة مناظر رائعة، ومتنًا مؤرخًا بالسنة الخامسة يمكن الباحث أن يستخلص من مجموعها صورة مفهومة عن هذه الحروب. وهذه المناظر مصورة على الجدارين الغربي والشمالي الخارجين للمعبد الكبير وهي:

(أ) المناظر

المنظر الأوَّل

(Ibid pl. 13) يُشاهَد فيه «رعمسيس الثالث» يتسلم سيفه المعقوف من الإله «آمون» في حضرة الإلهين «تحوت» و«خنسو»، وهذا المنظر يرمز إلى التصريح الإلهي بنشوب الحرب ومنح الفرعون النصر. وبعد ذلك نشاهد «رعمسيس الثالث» يخرج من المعبد بعد أن تسلم العهد بالحرب من الإله «آمون» وفي يده سيف معقوف وقوس، ويتبعه إله الحرب «منتو»، ويسبقه كهنة يحملون أربعة أعلام لأربعة آلهة وهم على التوالي: الإله «وبوات» فاتح الطريق و«خنسو» و«موت» والإله «آمون»،[٧] وقد نُقش أمام الملك المتن التالي:

لقد سار جلالته وقلبه قوي في شجاعة وبطولة إلى بلاد «تمحو»، هذه الخاسئة التي تحت سلطان جلالته، وإنه والده الذي سيره في رزانة من قصر «طيبة»، وقد منحه سيفًا ليصد به أعداءه، ويهلك من لم يكن خاضعًا له، وإن الطرق التي لم تكن مطروقة من قبل قد فُتحت أمامه أبديًّا …

نشاهد بعد ذلك كل إله من الآلهة يخاطب الملك ويعده بالمساعدة كل على حسب ما امتاز به؛ فالإله «منتو» «إله الحرب» يذبح له الأعداء، والإله «وبوات» يفتح له كل طريق يؤدِّي إلى النصر، والإله «خنسو» يجعل يديه قويتين على الأقواس التسعة، والإلهة «موت» تكون له حرزًا سحريًّا إلى الأبد. أما الإله «آمون» فإنه سيذهب معه إلى المكان الذي يرغب فيه جاعلًا قلبه مبتهجًا في الأراضي الأجنبية، ولأجل أن ينشر الرعب منه، ويولد الرهبة في كل أرض أجنبية. وهكذا نجد أن الآلهة كانت تلازم الفرعون في حروبه، كل منهم يحمل علمه، ويؤدِّي وظيفته الخاصة به. وهذا دليل على تغلغل نفوذ رجال الدين في كل أمور الدولة — حتى في حروبها. وبعد ذلك نشاهد الفرعون يركب عربته على رأس جيشه يشن أول حرب على «لوبيا».

والمنظر يصوِّر لحظة تمثيلية عند بداية إعلان الحرب؛ إذ عندما ينفخ في البوق إيذانًا بالحرب، ويستعد الجيش يركب الفرعون عربته، وخلفه أتباعه المقرَّبون والأمراء، وأمامه يسير حرسه الخاص.[٨] ثم يقول لنا المتن الذي أمام الملك إنه قد حضر إنسان ما ليخبر جلالته أن «التحنو» يتحركون، وهم يتآمرون. وقد تجمعوا واحتشدوا في جمع ما لا يُحصى من «لوبيين» و«سبد» و«مشوش»، وهم أهل بلاد قد احتشدوا ليزحفوا قاصدين أن يجعلوا أنفسهم سادة مصر. وقد وصل جلالته عند أفق الإله المسيطر (أي في معبد «آمون رع») ليصلي من أجل النصر ولأجل أن ينال سيفًا بتارًا من والده «آمون» سيد الآلهة. وقد بعثه بالقوة ويده معه ليقضي على أرض «تمحو» التي تعدَّت على حدوده. فالإلهان «منتو» و«ست» هما حمايته السحرية عن يمينه وعن شماله، والإله «وبوات» يخترق الطرق أمامه، وقد جعلوا سلطانه قويًّا، وقلبه شجاعًا، ليطرح أرضًا البلاد

المتفاخرة. وبعد ذلك نجد «رعمسيس» في عربته سائرًا نحو «اللوبيين» ويتبعه جنود من المصريين والأجانب، وأمام الملك عربة تحمل علم الإله «آمون» الذي لم يكن بدٌّ من وجوده مع الفرعون في ساحة القتال، وعندئذ ينفخ في البوق إيذانًا بالمسير. وقد كانت طوائف الجنود الأجنبية تسير على اليسار على حسب جنسيتها[٩] (Ibid pl. 17).

بعد ذلك نشاهد «رعمسيس» في عربته يهاجم اللوبيين الفارِّين، يساعده جنود من المصريين والأجانب، ويحدث في صفوفهم الذعر، فينقض «رعمسيس» على اللوبيين الذين فقدوا روحهم المعنوي. ويظهر أنهم كانوا يحاربون في مكان صحراوي قد خُضب بدماء غزيرة، وقد كان يؤازر الفرعون فرسانه المصريون، والمشاة الأجانب (راجع Ibid pl. 19).

وقد وصف الفرعون معمعة الوغى بما يأتي:

> الإله الطيب في صورة «منتو»، عظيم البطولة مثل ابن «نوت» (ست) قوي الساعد، عظيم الفزع منه عندما يُرى في المعمعة مثل اللهيب المبتلع أمامه (الصل)، ثابت الذراع الأيمن عندما يشدُّ عنه القوس، وسريع الساعد الأيسر … قابضًا على القوس، وهاجمًا إلى الأمام، وهو عالم بقوَّته في النزال، وأنه يضرب مئات الآلاف، وقد هزم قلب أرض «تمحو»، وأعمارهم وأرواحهم قد انتهت؛ لأن ابن «آمون» قوي الساعد يتابعهم كالشبل عالمًا ببطشه، وهو ثقيل الصوت، تخر الجبال لاسمه عندما ينطلق زئيره، سيد الأرضين «رعمسيس الثالث».

وبعد ذلك نشاهد «رعمسيس الثالث» في شرفة يحتفل بانتصاره على اللوبيين فيُرى واقفًا في الشرفة، وعربته منتظرة خلفه، وهو يخاطب موظفيه الذين يجيبون بكل احترام. ثم نرى الضباط المصريين يقودون الأسرى من اللوبيين، في حين أن الكتبة يُحصون عدد الأيدي. وأعضاء الإكثار التي كانت أمامهم في كومتين. وهذا المنظر قد وقع في حصن من الحصون المصرية، وقد كُتب

فوقه متن مهشم … القوي للفرعون «له الحياة والفلاح والصحة» المهزومون من اللوبيين أمام البلدة «وسرماعت رع محبوب آمون طارد التمحو»، وهذه البلدة كان لها شأن في الحروب اللوبية ثانية وسنتكلم عنها فيما بعد.[10] وقد أخذ الفرعون يخاطب موظفيه ورفاقه الذين كانوا بجانبه إذ يقول:

تأملوا الإنعامات العديدة التي أتمها ملك الآلهة «آمون رع» على الفرعون ابنه، فإنه قد أودى ببلاد «تمحو» و«سبد» و«مشوش» الذين كانوا لصوصًا يعيثون الفساد في مصر يوميًّا، ولكنهم أصبحوا مطروحين أرضًا تحت قدميه، وأقدامهم قد بُترت ولم يبقَ منهم أحد. وقد انقطعت أقدامهم عن أن تطأ مصر أبدًا بالنصيحة الطيبة التي عملها جلالته، وهي أن تحافظ على مصر التي كانت قد خربت، فافرحوا وابتهجوا حتى عنان السماء؛ لأنه قد ظهر كالإله «منتو» مادًّا في حدود مصر، وإن ساعدي لعظيم وقوي، قاهر الأقواس التسعة بما عمله لي والدي سيد الآلهة «آمون» ثور والدته، ومبدع جمالي.

وقد أجابه الموظفون على ذلك بالجواب العادي الذي كله إطراء وتعظيم.

وقد كُتب فوق كومتي أعضاء الإكثار والأيدي ما يأتي:

مجموع أعضاء الإكثار (١٢,٥٣٥)، مجموع الأيدي (١٢,٥٣٥).

مجموع أعضاء الإكثار (١٢,٦٨٠)، مجموع الأيدي ١٢,١٢,٥٣٢ + …

مجموع الأيدي (١٢,٦٦٠).

(وكل هذه الأعداد يجب أن تُقبل بتحفظ؛ لتهشم المتن).

وبعد هذا يأتي منظر نشاهد فيه «رعمسيس الثالث» يحتفل بنصره على اللوبيين — على الجدار الجنوبي للردهة الثانية من المنظر الذي في الشرق الأقصى من الصف الأسفل — فيُرى

«رعمسيس» جالسًا بدون تكلف في عربته يُلاحظ إحصاء ثلاث كومات من الأيدي، وكومة من أعضاء الإكثار، كما نشاهد موظفين يقودون إليه أربعة صفوف من الأسرى اللوبيين. وقد استرعى نظرنا هنا في الجزء المحفوظة ألوانه في المنظر أن قزحية العين زرقاء.[١١] وكُتب فوق كومات الغنيمة ما يأتي:

> تقديم الغنائم في حضرة جلالته و«التحنو» الساقطين من اللوبيين، وقد بلغوا ألف رجل، وثلاثة آلاف يد، وثلاثة آلاف عضو إكثار.

وبعد ذلك يخاطب الفرعون الأمراء، و«تشريفاتي» الملك، والموظفين، والرفاق، وكل قواد المشاة، والفرسان قائلًا:

> ابتهجوا حتى عنان السماء؛ لأن ساعدي قد هزم «التحنو» الذين أتوا مسلحين وقلوبهم واثقة من مناهضة مصر، ولقد برزت لهم كالأسد؛ فدستهم وحولتهم إلى أكداس، وقد كنت أتتبعهم كالصقر المقدس عندما يلمح طيرًا صغيرًا في وكر، وكان سيفي … إلى أن يُوضع في غمده (؟) وسهمي لم يطش عن إصابة سيقانهم، وكان قلبي يخور كالثور في ساحة الوغى مثل «ست» عندما يثور، ونجبت مشاتي، وحميت الفرسان، وغطت ذراعاي القوم، وهدمت أرواحهم، وانتزعت أقواسهم، وحرق قلبي قراهم، وإني مثل «منتو» بوصفي ملك مصر، والفزع مني قد هزم الأقواس التسعة، ووالدي «آمون» الفاخر قد خصني بكل البلاد تحت قدمي في حين أني ملك مخلد على عرشه.

بعد ذلك يعود «رعمسيس» إلى أرض الوطن من حملته على بلاد «لوبيا» فيُرى وفي ركابه جنوده، وموظفوه يسوقون الأسرى من اللوبيين أمام عربته مكبلين في السلاسل والأغلال.[١٢] وبعد وصوله نراه يقدم هؤلاء الأسرى للإلهين «آمون» و«موت» فنشاهده يقود ثلاثة صفوف من اللوبيين «لآمون» و«موت» الموضوعين في محراب، وبعد ذلك يشكره «آمون» قائلًا:

فلتشكر لأنك قد أسرت هؤلاء الذين هاجموك، وهزمت من اعتدى على حدودك، وإني منحتك هيبتي في شخصك حتى يصبح مقدورك قهر الأقواس التسعة، ويدي درع لصدرك تمنع عنك الشر، وإني قد منحتك ملك «آتوم»، وإنك تظهر على عرش «رع».

أما الإلهة «موت» سيدة السماء فترحب به قائلة:

مرحبًا في سلام يا بني، يا محبوبي «حور» الكثير السنين، الذي يحمل شجاعة ساعد والده «آمون» ونصره عندما تظهر على عرش «رع».

وبعد ذلك يجيبهم الفرعون بأنه هزم بلاد «التحنو» وأفناهم، وحطم قوى «المشوش» الخ.[١٣]

وفي المتن خمسة وسبعون سطرًا، ولكن لُوحظ عند تحليل محتوياته أنه يشمل سرد حوادث تُؤرَّخ عادة بالعام الثامن.[١٤] وقبل أن نضع أمام القارئ نص هذا المتن، ونستخلص منه ومن المناظر التابعة له سير الموقعة؛ يجدر بنا أن نحلله هنا باختصار حتى يتسنى فهم سير الحوادث فيه؛ لما يحتويه من أساليب وجمل كلها فخار وأوصاف تغطي على لب الموضوع الأصلي.

(١) نقرأ تاريخ الموقعة والإطراء العادي للفرعون (من سطر ١–١٣).

(٢) إشارة إلى هزيمة حاقت بالآموريين (من سطر ١٣–١٧).

(٣) كل الأراضي التابعة لـ «رعمسيس الثالث» (من سطر ١٧–٢٠).

(٤) الوصف المحزن لحالة مصر قبل عهد «رعمسيس الثالث» (من سطر ٢٠–٢٢).

(٥) صفات القائد «رعمسيس الثالث» وشجاعة جيشه (من سطر ٢٢–٢٠).

(٦) الحروب الأولى اللوبية التي تؤرخ تقليدًا بالسنة الخامسة (من سطر ٢٦–٥١).

وفي هذه الفقرة نجد خطط اللوبيين وهجومهم (من سطر ٢٦–٢٨).

ثم فشل خططهم بحكمة «رعمسيس» وقوته، وهذا الجزء يحتوي بعض سياسات غامضة، ثم هزيمة اللوبيين (٣٣–٣٦) وانتصار «رعمسيس» واستعباد الأسرى (٣٦–٣٩) ونصيب اللوبيين الذين بقوا على قيد الحياة، وما أصابهم من عنت (٣٩–٤٢). اللوبيون يندبون سوء حظهم (٤٢–٥١).

(٧) الحروب الشمالية التي يؤرخها الأثريون بالسنة الثامنة (٥١–٥٩)، وتشمل جزية أهل الشمال برًّا وبحرًا (٥١–٥٤)، تسليم أهل الشمال وأسراهم (٥٤–٥٩).

(٨) كل بلد أصبح لا حول له ولا قوة أمام بطش «رعمسيس» (٥٩–٦٦).

(٩) إدارة الملك الحكيمة الماهرة التي ضمنت السلام والسعادة لمصر (٦٦–٧٥).

والواقع أن هذا المتن قد اختصر بعض الحوادث التاريخية اختصارًا مخلًّا، وما على القارئ إلا أن يقرن ما جاء في الجزء الذي يشمل من سطر (٢٥–٧٥) في هذا النقش بما جاء تمثيله في «ورقة هاريس».

وهاك نص المتن كما جاء على جدران المعبد:

> (١) السنة الخامسة من عهد جلالة «حور»: الثور القوي، الذي مدَّ حدود مصر، صاحب السيف البتار، القوي الساعد، وذابح «التحنو»، ومحبوب الإلهتين، عظيم الأعياد الثلاثينية مثل والده «بتاح»، (٢) ومحطم «التمحو» في أكوام في أماكنهم، «حور» الذهبي، الشجاع، رب القوَّة، وجاعل الحدود أينما أراد في اقتفاء أعدائه … (٣) والخوف منه والرعب درع لمصر، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، السيد الفتى اللامع، والمنير مثل القمر عندما يولد ثانية … (وسرماعت رع-مري آمون) (٤) ابن «رع»: «رعمسيس الثالث»، بداية النصر الذي بدأه «رع» بقوة مصر، وقد عاد حاملًا السلام، والتاسوع جعل … (٥) قويًّا السيد المقدام السباق، ومن منظره مثل ابن «نوت» (الإله

«ست») ليجعل الأرض قاطبة كإنسان واحد فرح ... (٦) ملك الوجه القبلي والوجه البحري: (وسرماعت رع مري آمون)، ابن «رع»: «رعمسيس الثالث» الحاكم العظيم الحب، وسيد السلام، ومن منظره مثل «رع» عند الفجر، ومن الفزع منه ... (٧) لصله، الممكن على عرش «رع» بوصفه ملك الأرضين، والبلاد من أقصاها إلى أقصاها قد نجت، والغني والفقير ... (٨) قد جُمعوا واتحدوا معًا في حكمه، ملك الوجه القبلي، والوجه البحري: (وسرماعت رع-مري آمون) ابن «رع»: «رعمسيس الثالث»، الملك الجبار الشجاع الموجد (حبه) وإنه يرى ... عندما يثور، الحامي الذي يوثق (٩) فيه، ومن قد ظهر في مصر، صاحب الغايات البعيدة، والسريع الخطا، والضارب كل أرض، والمستشار، صاحب الخطط الممتازة، والمجهز بالقوانين، والجاعل قومه في سرور (١٠)، ومن اسمه قد نفذ في قلوبهم إلى الظلام نفسه (عالم الآخرة)، وفخاره والرعب منه قد وصلا إلى نهاية الأرض، وقد صيرت الأرض إلى _ وخربت في آن واحد (١١) ولا يعرفون أسيادهم. وقد أتوا خاشعين يرجون نفس الملك الذي في مصر من «حور» (الملك): الثور القوي، عظيم الملك، ملك الوجه القبلي والوجه البحري: (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع»: «رعمسيس الثالث» جدار مصر (١٢) العظيم، حامي أجسامهم. وقوته كقوة «منتو» مخضع «الأقواس التسعة»، وهو طفل إلهي عندما يطلع مثل «حوراختي»، وهو يشبه «آتوم»، في أي وقت يظهر فيه ويفتح فمه بالنفس (١٣) للناس؛ لأجل أن يمد الأرضين بطعامه كل يوم، وإنه الابن الشرعي، حامي تاسوع الآلهة الذين يخضعون له الممالك العاتية.

إشارة عامة لهزيمة «الآموريين»

إن رئيس «آمور» قد أصبح رمادًا (١٤) وبذرته لا وجود لها. وكل قومه أخذوا أسرى، وشتتوا وأخضعوا، وكل من بقي على قيد الحياة في بلاده كان يأتي بالثناء (١٥) ليرى

شمس مصر العظيمة تطلع عليه، وجمال قرص شمس مصر أمامهم — الرعان[١٥] (الشمسان) اللذان يطلعان ويضيئان (١٦) على الأرض: شمس مصر والشمس التي في السماء، ويقولون: الرفعة «لرع»، إن أرضنا قد خربت، ولكنا (١٧) في أرض حياة قد محي فيها الظلام، ملك الوجه القبلي والوجه البحري: (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع»: «رعمسيس الثالث».

كل البلاد تابعة «لرعمسيس»

وقد اجتثت السهول والأقاليم الجبلية (١٨) وحملت إلى مصر عبيدًا، وقدم أهلها كلهم معًا للتاسوع، والرضا، والطعام والمؤن غزيرة في الأرضين (١٩)، والجمهور يبتهج في هذه الأرض، ولا حزن فيها؛ لأن «آمون رع» قد مكن ابنه في مكانه، حتى إن كل ما يحيط به قرص الشمس قد أصبح موحدًا (٢٠) في قبضة يده. والأعداء من الآسيويين واللوبيين قد سيقوا، وهم الذين قد خربوا مصر فيما مضى حتى جعلوا الأرض أصبحت قاحلة في خراب تام منذ بدء الملوك، في حين أنهم اضطهدوا الآلهة، وكذلك كل فرد، ولم يكن هناك بطل (٢٢) يستقبلهم عندما ثاروا.

صفات الفرعون في القيادة، وجسارة جيشه

والآن لقد وُجد شاب مثل المارد المجنح (ست)، وهو قائد داهية مثل «تحوت» كلماته ... (٢٣) وإنها تخرج منه كأنها تعويذة من ... التي تخرج من فم رب الكل، وجنوده أصواتهم ثقيلة فهم كالثيران (٢٤) على استعداد ... في ساحة الواقعة، وخيله كالصقور عندما تلمح طيورًا صغيرة (...) ... (٢٥) زائرًا مثل الأسد، وهو مستفز وهائج. وفرسان العربات لهم من القوة ما للإله «رشف» (إله الحرب) فهم ينظرون إلى عشرات الألوف كأنهم نقط، وقوته أمامهم كقوة الإله «منتو» (٢٦)، واسمه والفزع منه يحرقان السهول والأقاليم الجبلية.

(ب) الحرب اللوبية الأولى التي يؤرخها علماء الآثار تقليدًا بالسنة الخامسة

خطط هذه الحرب وهجوم «اللوبيين»

لقد أتى أهل بلاد «التمحو» مجتمعين معًا في مكان واحد، ويشملون «اللوبيين» و«السبد» و«المشوش» … (٢٧) … وقد اعتمد جنودهم في خطتهم، وأتوا بقلوب واثقة: «سنتقدم بأنفسنا»! وخططهم التي كانت في نفوسهم هي: «سنعمل»! وقلوبهم كانت مليئة (٢٨) بالأعمال الخاطئة وبالضلال، غير أن خططهم قد حُطمت وقُلبت جانبًا في قلب الإله. وقد طلبوا رئيسًا بأفواههم، غير أن ذلك لم يكن في قلوبهم. وإنه الإله الواحد الممتاز (٢٩) هو الذي عرف خطة (صائبة)، وهذا الإله الآن سيد الآلهة قد عمل لعظمة مصر بالنصر المخلد، ليجعل أهل الممالك الأجنبية يطلبون بقلوبهم (٣٠) من الملك العظيم أن ينصب رؤساء لهم.

وقد كان جلالته نافذ البصيرة داهية مثل «تحوت»، وقد رُئيت قلوبهم وخطتهم، وحكم عليها في حضرته، وكان جلالته قد ربى ولدًا صغيرًا من أرض «تمحو» وهو طفل، وقد عضده (٣١) بقوة ساعديه، ونصبه عليهم رئيسًا لينظم الأرض. وهذا لم يُسمع به من قبل منذ أن بدأ الملوك.[١٦] والآن كان قلب جلالته مريعًا وباطشًا كالأسد المختبئ (٣٢) متحفزًا للوثوب على الماشية الصغيرة، وقد كان حقًّا كالثور القوي الساعدين، والحاد القرنين ليهاجم الجبال نفسها مقتفيًا أثر من هاجمه. وقد سخر الآلهة من (٣٣) خططهم؛ لأنهم جعلوا قوَّته تناهض من تعدَّى حدوده. وقد انقض عليهم جلالته كلهيب النار المنتشر في هشيم كثيف، وكالطيور التي في شبكة (٣٤) فدُرسوا كأنهم حزم القمح وأصبحوا هشيمًا، وأُلقوا على الأرض مخضبين بدمائهم، وكانت هزيمتهم ثقيلة (٣٥) لا حدَّ لها: تأمَّل! لقد كانوا في حالة سيئة بلغت عنان السماء؛ لأن جموعهم الكثيفة قد اجتمعت سويًّا في مكان ذبحهم، وأُقيم منهم هرم في عقر دارهم (٣٦) بقوَّة الملك، الشجاع في شخصه،

السيد الأوحد، القوي مثل «منتو» ملك الوجه القبلي والوجه البحري: (وسرماعت رع) «رعمسيس الثالث».



شكل ٢: أحد رؤساء اللوبيين الذين هزمهم «رعمسيس الثالث».

وقد أُحضر كل من بقي حيًّا أسيرًا إلى مصر. أما الأيدي، (٣٧) وأعضاء الإكثار فكانت لا تُحصى، وسِيقوا أسرى، وكُبلوا تحت شرفة الملك، وقد اجتمع رؤساء الممالك الأجنبية ناظرين إلى بؤسهم. أما محكمة الثلاثين (٣٨) وحاشية الفرعون فقد كانوا باسطين أيديهم

على رحبها، وتهليلهم قد ارتفع حتى عنان السماء بقلوب راضية وقالوا: إن «آمون رع» هو الذي قرر الحماية للملك أمام كل أرض والسياح (٣٩) والرسل من كل أرض قد أُزيلت قلوبهم وانتُزعت، ولم تبقَ بعد في أجسامهم، واتجهت وجوههم إلى الملك كما تتجه إلى «آتوم» (الشمس).

وقد كسر العمود الفقري لأهل «التمحو» طوال الأبدية، ولم تعد بعد أقدامهم (٤٠) تطأ حدود مصر. أما قوادُّهم فقد نُظموا وصُفوا زمرًا بالانتصارات، ووُسموا باسم جلالته العظيم، والذين هربوا كانوا تعساء (٤١) يرتعدون، ولم يكن في مقدور أفواههم أن تستذكر طبيعة أرض مصر. وأهل «التمحو» هربوا وجروا، وقوم «المشوش» كانوا في حيرة في أرضهم (٤٢) واجتثت جذورهم، ولم يكونوا في حالة واحدة، وكل جزء من أجسامهم صار ضعيفًا من الفزع، وقالوا: إنها هي التي تقصم ظهورنا — مشيرين إلى مصر — (٤٣) وسيدها هو الذي قد قضى على أرواحنا إلى أبد الآبدين، وكانت حالتهم تسوء عندما يرون ذابحيهم مثل جزاري الإلهة «سخمت» (إلهة الحرب) وهم الذين كانوا يقتفون أثرهم. وإن الإنسان ليصيبه الفزع، ويتملكه الخوف أمامهم (٤٤) «وإذا لم تجد خطواتنا طريقًا للسير فإنا نقطع الأراضي حتى نهايتها.» وإن جنودهم لن يحاربوا في جانبنا في أي موقعة. فهناك تهاجمنا (٤٥) نيراننا برغبة منا، ونحن قانطون! وقلوبنا قد نُزعت، وقوتنا قد نفدت! فسيدهم مثل «ست» محبوب «رع»، ونداؤه للواقعة مسموع (٤٦) مثل نداء المارد المجنح، وإنه يقفو أثرنا مذبحًا، ولا رحمة عنده. ويجعلنا نولي الأدبار عند ذكر مصر أبديًّا. ولقد كان اندفاع أنفسنا نحو (٤٧) الموت سخيفًا، فكنا الموقدين النار التي أدخلنا فيها أنفسنا، وبذرتنا قضى عليها، وبخاصة «دد» و«مشكن» و«مريي»، هذا إلى «ورمر» و«تثمر» (٤٨) وكل رئيس معًا هاجم مصر من «لوبيا» أصبح في النار من أوله إلى آخره. وقد رد الآلهة الجواب بذبحنا؛ لأننا قمنا بهجوم قصدًا

على مقاطعاتهم. ونحن نعلم قوة مصر العظيمة! إن «رع» قد وهبها حاميًا جبارًا يظهر مضيئًا مثل ... (٥٠) دعنا نقبل الأرض! فسيفه عظيم وبتار ... (٥١) ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسرماعت رع مري آمون»: «رعمسيس الثالث».

(ج) الحرب الشمالية التي يؤرخها علماء الآثار تقليدًا بالسنة الثامنة من حكم «رعمسيس»

لقد ارتعد أهل الممالك الشمالية في أجسامهم، وهم الفلسطينيون (بلست) و«الثكر» ... (٥٢) وقد قُطعوا عن بلادهم، وأتوا وأنفسهم كسيرة، وقد كانوا محاربين (ثر) على اليابسة، وطائفة أخرى على البحر. أما الذين أتوا على البر فقد هُزموا وذُبحوا ... (٥٣)، وكان «آمون رع» خلفهم قاضيًا عليهم، والذين دخلوا في مصبات النيل كانوا مثل الطيور التي وقعت بالأحبولة، وصيروا ... (٥٤) أسلحتهم، وقد أُزيلت قلوبهم وانتزعت، ولم تعد بعد في أجسامهم، وقوادهم سِيقوا وذُبحوا وأُلقي بهم على الأرض، وكُتفوا ... وصاحوا قائلين (٥٥): يوجد أسد مهاجم، مفترس قوي قابض بمخالبه، وهو السيد الوحيد الذي أتى إلى مصر ولا نظير له، وهو محارب مسدد السهم لا يطيش قط ... (٥٦) نهايات المحيط، وكانوا يرتعدون جميعهم (قائلين): إلى أين نذهب؟ ويلتمسون السلام آتين بخضوع خوفًا منه، عارفين أن قوتهم قد نفدت، وأن أجسامهم أصبحت ضعيفة (٥٧)؛ لأن هيبة جلالته أمامهم كل يوم، وهو كالثور الواقف في ساحة القتال، وعينه على قرنيه متأهبًا لمهاجمة منازله برأسه، وهو محارب جبار ... (٥٨) نداء الواقعة، العدَّاء، رب القوة، ناهب كل أرض، حتى إنهم يأتون مسلمين بخضوع فزعًا منه، وهو فتًى غض مغوار مثل «بعل» في ... (٥٩) الملك الذي ينجز الخطط، ورب النصائح، وما يفعله لا يخيب بل يحدث مباشرة، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع»: «رعمسيس الثالث».

والويل لها، تلك الأراضي (حتى ما تحيط به الأرض) ... (٦٠) التي يتآمر أهلها — في قلوبهم — على مصر. فإنه السيد العظيم المنتصر، ملك الأرضين، والرعب منه والفزع قد طوح بالأقواس التسعة؛ لأنه كالأسد — ضخم (٦١) الزئير على قمم الجبل — والإنسان يخاف من بعيد بسبب هيبته، وهو مارد مجنح، واسع الخطا، ذو جناحين، وهو الذي في نظره ملايين الأميال (إتر)[١٧] كأنها (٦٢) مجرد خطوة، وهو فهد عارف بفريسته، قابض على منازله، ويداه تحطم صدر من يتعدى على حدوده، وهو ثائر رافعًا ذراعه اليمنى (٦٣) ومقتحمًا المعمعة، وقاتلًا مائة ألف في أماكنهم أمام خيله؛ لأنه ينظر إلى تكتل الجمع كأنهم جنادب مهزومون منحلون (٦٤) طُحنوا كالدقيق، وإنه قوي القرنين، معتمد على قوته حتى إن الملايين وعشرات الألوف يحتقرون أمامه، وصورته كصورة «منتو» عندما (٦٥) يبرز. وكل بلد تجهد نفسها له عند مجرد ذكر اسمه: وهو حاكم ممتاز الخطط مثل الإله «تاتنن» يمد البلاد قاطبة بكل قانون (٦٦) قوي الساعد، عظيم القوة في السهل والحزن، وكل شيء عمله يحدث مثل أعماله، ساكن «هرموبوليس» (تحوت) ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسرماعت رع مري آمون» ابن «رع»: «رعمسيس الثالث».

وإن قلب مصر لفرح بتمليك بطل مثله، حتى إن الأرض أصبحت على (٦٧) ارتفاع ظهرها (أي مرتاحة) لا تذمر فيها، وهو مرسل ظلًّا للناس يجلسون (في راحة) في زمنه، وقلوبهم واثقة لأن قوته هي حمايتهم (٦٨). وإنهم يعرفون ساعديه، وإنه الصقر الإلهي الذي يضرب ويقبض. وإنه قد أوجد جيوشًا بانتصاراته، وملأ مخازن (٦٩) المعابد بغنائم ساعده جاعلًا الآلهة راضين بإنعاماته، وبذلك كانوا على يمينه وعلى شماله ليطرحوا أرضًا الأقواس التسعة: ليتهم (الآلهة) يجعلون قوته (٧٠) على كل من يهاجمه كالتي أعطاها إياه «آمون» والده الفاخر وهو الذي تجتمع الأرضان تحت قدميه، ملك

الوجه القبلي والوجه البحري: (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع»: «رعمسيس الثالث».

أما «حور»: فهو عظيم السنين، وبذرة «رع» الإلهية (٧١) التي خرجت من جسمه، والصورة الفاخرة الحية لابن «إزيس»، الذي خرج من الفرج مُحلًّى بالتاج الأزرق مثل «آتوم»، والعظيم الفيضانات النيلية التي تحمل طعامها لمصر (٧٢)، في حين أن القوم والمواطنين يتمتعون بالأشياء الطيبة، والملك الذي يقيم «العدالة» لرب الكل، ويقربها كل يوم أمامه، ومصر والأرض في سلم في عهده (٧٣)، والأرض كلها كلوح (سهلة منبسطة)؛ لأنه لا يوجد طمع، وفي استطاعة المرأة أن تذهب حيث شاءت بملابسها على رأسها دون أن تعاق خطواتها إلى المكان الذي ترغب فيه. والممالك الأجنبية تأتي منحنية (٧٤) لشهرة جلالته بجزيتهم وأطفالهم على ظهورهم، وأهل الجنوب وأهل الشمال على السواء يمتدحونه، وينظرون إليه كما ينظرون إلى «رع» عند الفجر، وهم خاضعون لخطط وقوانين الملك الجبار، الحاكم صاحب الخطط ذات الأثر (٧٥)، مثل خطط صاحب الوجه الجميل «بتاح» ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين صاحب الساعد القوي: «وسرماعت رع مري آمون» ابن «رع»: «رعمسيس الثالث» معطي الحياة مثل «رع» في الخلود.

ولا نزاع في أن القارئ يجد نفسه غارقًا في بحر لجي من الصفات والنعوت، وعبارات المدح والإطراء للفرعون عند قراءة سطور هذا المتن الطويل، وإذا أردنا تصفيته وغربلته وجدنا أن الحقائق التاريخية التي يحتويها ضئيلة جدًّا، ولكن هذا هو الواقع في معظم متون الأسرة التاسعة عشرة بوجه خاص؛ إذ قد نحا الملوك نحو «رعمسيس الثاني» في قصيدته المشهورة التي نقشها على جدران معابده العظيمة.

وعلى أية حال فإنها لا تزال مصدرنا الوحيد عن هذه الحروب.

ومن جهة أخرى إذا فحصنا محتويات هذا المتن، الذي تُنسب حوادثه إلى السنة الخامسة من حكم هذا الفرعون، لوجدنا أنه لا يقتصر على حروب الفرعون لبلاد «لوبيا» كما هو المشهور، بل نجده يشير إلى وقوع حروب أخرى بينه وبين ممالك الشمال أو أقوام البحار، كما يُعرفون بذلك الاسم.

على أنه من المعلوم لدى علماء الآثار أن الحروب التي وقعت بين «رعمسيس الثالث» وهؤلاء الأقوام تؤرخ بالسنة الثامنة كما سنرى بعد. فهل الإشارة في المتن الذي بين أيدينا الآن تشير إلى حرب وقعت قبل السنة الخامسة، وهي السنة التي حارب فيها «اللوبيين»، أو أن هذا المتن عندما نُقش على جدران معبد مدينة «هابو» سبق الحوادث وأشار إلى حروب السنة الثامنة مع أنه مؤرخ بالسنة الخامسة؟ وذلك لأن النقوش في كثير من هذه المعابد تُكتب بعد وقوع الحوادث بسنين عدة، ومع ذلك تؤرخ بالتاريخ الهام الأول كما حدث ذلك في وثيقة الإهداء الكبرى التي نقشها «رعمسيس الثاني» على أحد جدران معبد «العرابة المدفونة» وأرخها بالسنة الأولى من حكمه. ومع ذلك ففيها من الحوادث ما يشير إلى أعمال جرت بعد هذا التاريخ (راجع مصر القديمة الجزء السادس). هذا فضلًا عن أن العبارات التي جاءت في هذا المتن ومتن السنة الثامنة فيها تشابه كبير.

وعلى أية حال فإن كلا الرأيين جائز، ولكن المرجح أن المتن قد كُتب سابقًا لزمنه.

(د) الحملة الأولى اللوبية (حوالي عام ١١٩٤ق.م)

لقد انتهز «اللوبيون» فرصة عدم استقرار الأحوال الداخلية بعد وفاة «مرنبتاح» في مصر، كما فعلوا ذلك من قبل في مدة الفوضى التي حدثت بين عهدي الدولتين القديمة والوسطى، وسعوا فيها ليحصلوا لأنفسهم من جديد على مكان في مصر؛ ولذلك أعلنوا الثورة وصمموا على احتلال البلاد

الواقعة على الحدود، والإقامة فيها، والاستيلاء على الوديان العالية، وسلب أماكنها، وقالوا: «إنا نريد أن نستقر في مصر»، وهكذا تكلموا بصوت واحد، وهجموا على حدود مصر. وقد ظلوا سنين عديدة يضطهدون سكان غربي الدلتا حتى قام «رعمسيس الثالث» بحملته الأولى التي نحن بصددها الآن في السنة الخامسة، محاولًا طردهم من الحدود المصرية والقضاء عليهم.

وقد ذكر «مولر»[١٨] أن «ستنخت» قام بطردهم في عهد مبكر، غير أنه لم يذكر لنا المصدر الذي استقى منه هذا الخبر. ولكن يجب أن نسلم هنا بأن حماية الحدود وتحصينها قد حال بين هذا العدو وبين استيطانه في الدلتا فعلًا، وتدل الوثائق التي لدينا على أن هؤلاء القوم كانوا على الحدود، وأنهم لم يتعدوها في سكناهم، ويؤكد ذلك الوصف الذي جاء في «ورقة هاريس» الكبرى؛ إذ نعلم منها أن «اللوبيين» و«المشوش» قد هجموا على مصر، ونهبوا المدن الواقعة على إقليم الشاطئ الغربي من «منف» حتى «كاربانا»، وقد وصلوا في زحفهم حتى النهر العظيم على كلا شاطئيه. ولا بد أن اعتداء هؤلاء القوم على البلاد، ووصولهم حتى فرع النيل الكانوبي كان حادثًا فرديًّا. وعلى ذلك تكون الحدود التي وقفت عندها اعتداءات «اللوبيين» تنحصر في مدن إقليم الشاطئ الغربي، والظاهر أنها كانت تمتد في خط من «منف» حتى «كربانا»، وكانت «منف» تُعد أهم مدينة في جنوبي الدلتا قبل تفرع فرع «كانوب». وبلدة «كاربانا» هذه التي جاء ذكرها في «ورقة هاريس» تقع جنوبي بلدة «كانوب» المسماة باسم هذا الفرع من النيل عند مصبه.[١٩] وقد علمنا فيما سبق بوساطة الملابس أنه يوجد فرق ظاهر بين الحربين اللتين شنهما «رعمسيس الثالث» على «اللوبيين»، إذ شن إحداهما على قوم «اللوبيين» والأخرى على قوم «المشوش»، ويؤكد لنا ذلك ما جاء في المتن العظيم الذي دوناه فيما سبق، وكذلك المناظر التي تركها لنا «رعمسيس الثالث» عن هذه الحرب، وما يستنبط «فرشنسكي» من متون الحرب اللوبية الأولى؛ إذ نجد اسم «التمحو» قد ذُكر بكثرة بالنسبة لاسمي «اللوبيين» و«المشوش»، وأن أعداء «رعمسيس» في هذه الحرب هم في الأصل أهل «التمحو»، ولكن من جهة أخرى قد رأينا أن كلمة «التمحو» في

هذا الوقت لا تعني ما كانت تعنيه في الأزمان السالفة لهذا الوقت، وأن «رعمسيس» قد اكتفى هنا بذكرهم في هذه الحروب الأولى بصفة عامة بدلًا من تعداد أسماء القبائل الأخرى التي كان يتألف منها الشعب اللوبي؛ لأنهم كانوا الجنس السائد. والواقع أنه في حين أننا نجد بنوع خاص كلمة «تمحو» تُستعمل فقط في التعبيرات العامة فإنا نجد النقوش في المواقف المعينة تستعمل الاسمين الآخرين — اللوبيين والمشوش — كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

ولدينا فقرات في المتن الكبير تكشف بصفة قاطعة عن الأعداء الذين حاربوا مصر في الموقعة الأولى. ففي سطر (٤٧) من نقوش السنة الخامسة نجد أن قواد الأعداء في هذه الحرب هم «دد» و«مشكن» و«مريي» و«رمر» و«ثتمر» وكل رئيس معاد قد هاجم مصر من «لوبيا». ويُضاف إلى ذلك أننا نجد في الصور التي تمثل تقديم الأسرى صورة المدينة التي وقعت فيها الواقعة ومعها بقايا متن قصير يذكر لنا الانتصار الذي أحرزه الفرعون «رعمسيس الثالث» على الأعداء اللوبيين أمام المدينة، وهاك النص:

> … الفرعون (له الحياة والفلاح والصحة) الخاسئين اللوبيين أمام بلدة «وسرماعت رع مري آمون طارد التمحو».[٢٠]

وهذا البرهان يعززه برهان آخر نجده في نقش كتب في الحرب اللوبية الثانية كما سنرى وهو يتكلم عن انتصار المصريين على «المشوش» الذين كانوا يزحفون على مصر. وهاك النص[٢١] الذي كُتب فوق الحصن:

> المذبحة التي أوقعها جلالته بين أعداء البلاد من «المشوش» الذين أتوا إلى مصر مبتدئين من بلدة «رعمسيس الثالث» الواقعة على جبال «وب تا» إلى «حوت شع» (قرية الرمل)، وقد وقعت مذبحة بينهم امتدت ثمانية أميال.[٢٢]

وهذه الموازنة تدل دلالة واضحة على أن أغلبية القوم الذين حضروا الحرب الثانية كانوا من «المشوش»، وهذا لا يحتاج إلى برهان آخر.

وعلى أية حال نجد أن محصول المتن الطويل المفعم بالأوصاف والاستعارات لا يتعدى ما جاء فيه عن الحربين إلا حقائق ضئيلة. وقد قرأنا في المتن الأول ذكر عدد من الأمراء ومن بينهم الأمير «ثتمر»، وقد ذكر كثيرًا بدون سبب بأنه هو القائد للأعداء في الحرب الأولى. وليس لدينا ما يدل على ذلك في المتن، وكذلك لدينا اسمان من بين الأمراء الخمسة الذين ذُكروا في هذا المتن وهما: «دد» و«مريي». ويُلاحَظ أنهما ذُكرا في متون «مرنبتاح». وتدل شواهد الأحوال على أن هذين الأميرين لم يشتركا في حروب «رعمسيس الثالث» بل نُقل اسماهما من نقوش «مرنبتاح» وحُشرا هنا كما أثبت لنا ذلك المؤرخ «بيتس».[٢٣] حقًّا كان للأمير «مريي» في حروب «مرنبتاح» ستة أولاد، ولكن ليس من المعقول حسابيًّا أن «دد» كان لا يزال على قيد الحياة وقت نشوب المعركة بين «لوبيا» و«رعمسيس الثالث». هذا فضلًا عن أننا سمعنا عن الأمير «مريي» أنه هرب من ساحة الواقعة، وأن «مرنبتاح» نصب مكانه أخاه. ولذلك يخامرنا الشك في ذكر هذا الاسم في هذه الحروب والتي قبلها، اللهم إلا إذا كانا شخصين مختلفين باسم واحد، وهذا جائز أن يُسمى الابن باسم والده.

وتدل المناظر التي تركها لنا «رعمسيس الثالث» على أنه أبعد عن مصر خطر «التمحو» في موقعة دارت رحاها أمام بلدة «رعمسيس مري آمون طارد التمحو»[٢٤] ويُحتمل أنها كانت في السنة الخامسة من حكمه؛ لأنه ليس لدينا تاريخ معين ليوم الموقعة، والسنة التي حدثت فيها.

وبعد الموقعة خاطب الفرعون جنوده قائلًا:

> تأملوا النعم الجمة التي أداها «آمون رع» ملك الآلهة للفرعون طفله. فقد قضى على أرض «تمحو» و«سبد» و«مشوش»، فقد كان أهلها لصوصًا ينقضون على مصر

يوميًّا، غير أنهم أصبحوا ساجدين تحت قدمي، وقد اجتُثت جذورهم، وليس لهم وجود بأية حالة، وقد انقطعت أقدامهم عن أن تطأ أرض مصر إلى الأبد؛ وذلك بفضل النصائح الغالية التي قدمها جلالته للعناية بمصر التي كانت قد خربت، فافرحوا وهللوا حتى عنان السماء؛ لأني قد ظهرت مثل «منتو» مادًّا حدود مصر، وإن ساعدي عظيم وقوي يهزم الأقواس التسعة بفضل ما فعله لي والدي رب الآلهة «آمون كمفيس» مبدع جمالي.

وقد جاوبه الضباط ورجال البلاط بالإجابة العادية. وبعد ذلك نرى الفرعون يشرف على عد الأسرى وغنائم الحرب وهي تُقدم له. وقد بلغ عدد القتلى (١٢٥٣٥) قتيلًا. والأسرى ألف أسير.[٢٥] أما عن أعمال الشجاعة وما فعله الفرعون فتوجد في المتن الكبير التي ذكرناه آنفًا. وكذلك فيما جاء في «ورقة هاريس».

(٢-٣) حروب «رعمسيس الثالث» في آسيا مع أقوام البحر المؤرخة بالسنة الثامنة من حكمه

(أ) المصادر

لم يكد يستقر الأمن في ربوع مصر إلا سنين قلائل جدًّا؛ إذ في السنة الثامنة من حكم «رعمسيس» أخذ أقوام البحر الذين تحدثنا عنهم فيما سبق ينقضون على مصر من البر والبحر. والمصادر التي نستقي منها أخبار هذه الحروب هي:

(١) المتن الكبير المؤرخ بالسنة الثامنة، وقد نُقش في الردهة الأولى على الجدار الغربي شمالي الباب الكبير في داخل معبد مدينة «هابو».[٢٦]

(٢) المناظر التي خلفها «رعمسيس الثالث» على الجدار الشمالي (Ibid, pls. 29–44).

(٣) ما جاء في «ورقة هاريس»، وقد ذكرناه فيما سلف.

والمتن الذي نُقش على البوابة الثانية خاص كما قلنا بالحروب الشمالية التي شنها «رعمسيس الثالث» على أقوام البحر كما تحدثنا المتون المصرية، ولحسن الحظ نجد أن الجزء الخاص في هذا المتن بالأحداث التاريخية قد أخطأته يد التخريب؛ لأن الجزء المتآكل موجود على اليسار، والثغرة الكبيرة التي على اليمين — على ما يظهر — لا تحتوي إلا عقود مدح نُظمت للفرعون. ولدينا من أمثال هذه المدائح الشيء المكرر الكثير.

وهذا المتن بوجه عام أقرب فهمًا للقارئ الحديث من أي قصيدة أخرى من قصائد «رعمسيس» التي نُظمت في مواقعه الحربية، وتنقسم ثلاثة أقسام كالعادة وهي: (١) مقدمة مديح، (٢) تقرير بليغ عن انتصارات الفرعون، (٣) وأخيرًا أنشودة نصر.

ويُلخَّص المتن فيما يأتي:

(١) التاريخ، ومديح عام للملك ١–١٢ سطرًا.

(٢) خطبة للفرعون ١٢–٣٨ وتحتوي:

(أ) «رعمسيس» بوصفه مختار الإله «آمون» للملك، ومخلص مصر من ويلاتها (١٢–١٦).

(ب) الحروب الشمالية (١٦–٢٦).

(جـ) هجوم الشماليين (١٦–١٨).

(د) «رعمسيس» مستعد لمواجهة الهجوم (١٨–٢٣).

(هـ) هزيمة الشماليين (٢٣–٢٦).

(٣) ذكر المنافع التي عادت على مصر في عهد «رعمسيس الثالث» ٢٦–٣٨ وهاك النص:

(١) السنة الثامنة في عهد جلالة «حور»: الثور القوي، والأسد الشديد البأس، الجبار الساعد، وذو الذراع القوي، وآخذ الآسيويين أسرى؛ ومحبوب الإلهتين: الضخم القوة مثل والده «منتو»، مهلك الأقواس التسعة المطرودين من أراضيهم؛ «حور» الذهبي: الإلهي عندما خرج من الفرج، والابن المختار الشرعي (٢) «حوراختي» والملك، ووارث الإلهة المنعم، وصانع صورهم على الأرض، ومضاعف قربانهم، ملك الوجهين القبلي والبحري، سيد الأرضين: «وسرماعت رع مري» ابن «رع»: «رعمسيس الثالث»، الملك والسيد الشجاع، بعيد مرمى الساعد، وسالب النفس (٣) الممالك بحرارة جسمه، عظيم الشهرة، الهاجم عندما يرى الواقعة مثل «سخمت» وهي تهاجم ساعة الغضب، الماهر، الشجاع في الفروسية، والآسر وهو على قدميه، والسريع كالشهب المنقضة التي في السماء، ملك الوجه القبلي والوجه البحري: «وسرماعت رع مري آمون»؛ (٤) ابن «رع» رب التيجان: «رعمسيس» الهاجم في معمعة القتال كالإنسان المبتهج. وإنه ينظر إلى الملايين منهم كأنهم مجرد قطرة، والفزع منه عظيم، وإنه كلهيب ممتد حتى أقاصي الأرض، وجاعل الآسيويين يولون الأدبار — من حربه — في ساحة القتال. أما الثوار الذين لا يعرفون مصر أبدًا فإنهم يسمعون بقوته، (٥) ويأتون مادحين، وأعضاؤهم ترتعد بمجرد ذكره، ومسلمين بقلوبهم خوفًا منه، وإنهم يتحدثون عن ظهوره، ويقولون لقومهم: إن شكله وجسمه هما شكل «بعل» وجسمه تمامًا، وإنه شجاع في الحشد لا مثيل له، وإنه يقتل (٦) الملايين بمفرده، وكل البلاد في نظره حقيرة لا أهمية لها. ويُقال «إنه يظهر تمامًا كالشمس». والسياح والرسل الذين يُشاهدونه في مصر ينحنون وينثنون أمامه. وإنهم يقولون يوميًّا: إن «منتو» في صورته الحقيقية هو الذي في مصر! (٧)، وإنكم لن ترفعوا رءوسكم لأن ساعده قوي! دعنا نذهب، دعنا ننظم له مديحًا سويًّا، دعنا نلتمس منه صلحًا، راجين نفسًا لأنفسنا لأنه في قبضة يده، ملك الوجه القبلي والوجه البحري:

(وسرماعت رع محبوب آمون) ابن «رع»: «رعمسيس الثالث». وإنه جميل عندما يظهر ملكًا مثل ابن «إزيس»، (٨) المنتقم، أسن أولاد «آتوم»، والسيد الوحيد عندما يكون مزدانًا بالألوان، مرتديًا التاج الأبيض، ولابسًا التاج المزدوج، جميل الطلعة عندما يتحلى بالريشتين مثل «تاتنن»، وإن حبه وجماله مثل جلالة «رع» عندما يشرق في الفجر، وجميل عندما يجلس على العرش مثل «آتوم» بعد أن تسلم شارة ملك «حور» و«ست»، والإلهتان: إلهة الجنوب، وإلهة الشمال، (٩) يحتلان مكانتهما على رأسه في حين أن يديه تقبضان على الصولجان المعقوف والسوط أيضًا، وإنه محارب شاعر بقوته مثل ابن «نوت» وهيبته في قلوب الأقواس التسعة، والمؤن والذخائر غزيرة في عهده كما كانت في عهد والده صاحب الوجه الجميل، «الفيضان العظيم»، وإنه الواحد المحبوب بوصفه ملكًا مثل «شو» بن «رع»، (١٠) وعندما يطلع على الناس يكون الفرح به كالفرح بالشمس، وإنه قوي مقدام في تنظيم الأراضي، ومصر، ولبه فطن مثل لب «تحوت»؛ وإنه يتكلم ويعمل فتوجد الأمور (ومثله في ذلك مثل) «بتاح» القاطن جنوبي جداره، وقوانينه حاضره ممتازة، وهو منقطع النظير، وهو مثل «رع» في ملكه عندما بدأ العالم، ملك الوجه القبلي والوجه البحري: (وسرماعت رع محبوب «آمون») ابن «رع»: «رعمسيس الثالث» الغني بآثاره، والغزير المخلفات، والعظيم الأعاجيب، وجاعل المعابد في عيد بالطعام والذخيرة (١١) وابن «رع» حقًّا الذي خرج من ظهره، ومن أنجبه أسن الآلهة ووالدهم، ومن عهد إليه وهو صبي ملك الأرضين، والحاكم على كل ما تحيط به الشمس، والدرع العظيم (١٢) حامي مصر في زمنه، وبذلك يجلس الناس تحت ظل ذراعيه الجبارتين، ومن جعل الأراضي تقول: «إن شهرتك — قوية — وُضعت فوق بلادنا.» ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين: (وسرماعت «رع» مري «آمون») ابن «رع» رب التيجان: «رعمسيس الثالث».

والملك نفسه يقول:

اصغوا إليَّ (١٣) يا أهل الأرض مجتمعين معًا، يا رجال الحاشية، وأبناء الملك، وحُجَّاب القصر، وكل سكان مصر، وطوائف الجنود، وكل شاب في هذه الأرض! وجهوا التفاتكم إلى أقوالي لتعرفوا طريقة إمدادي لكم (١٤) ولتعرفوا قوة والدي الجليل «آمون كمفيس» خالق جمالي. إن سيفه العظيم البتار هو سيفي بوصفه مددًا ليجعل كل أرض طريحة تحت إخمص قدمي. وإنه كتب لي النصر، ويده معي. كل فرد يتعدى على حدودي يُذبح في قبضتي، وإنه يختار ويجد (١٥) من يختاره من بين مئات الألوف. وعلى ذلك فإني ممكن على عرشه في سلام. ولقد كانت مصر ضالة لا راعي لها في حين أنهم كانوا يحملون أحزانًا بسبب الأقواس التسعة، غير أني أحطتها وثبتها بساعدي الشجاع. ولقد ظهرت مثل «رع» ملكًا في مصر وحميتها (١٦) وأقصيت عنها الأقواس التسعة.

أما أهل الممالك الأجنبية فقد تآمروا في جزرهم. وقد أُزيلت الأراضي وشُتتت في ساحة الوغى في وقت واحد، ولم تكن هناك أرض يمكن أن تقف أمام أسلحتهم من بلاد «خاتي» و«قودي» و«كركميش» و«يرث» (١٧) (إزراوا «كليكيا») و«يرس» (ألاشيا = قبرص) ولكنهم سُحقوا في وقت واحد. وقد نصبوا معسكرات في مكان في «آمور» فأتلفوا أهلها، وأصبحت أرضها كأن لم تغنَ بالأمس. وقد كانوا آتين قُدمًا نحو مصر عندما كان اللهيب مجهزًا أمامهم.

وقد كان حلفهم مؤلفًا (١٨) من (أقوام) «بلست» (فلسطين) و«ثكر» و«شكلش» و«دنين» و«وشش»، وقد استولوا على الأراضي حتى دائرة الأرض وقلوبهم آمنة واثقة قائلين: إن خططنا ستنجح.

وكان قلب هذا الإله رب الآلهة على (١٩) استعداد ليحتبلهم كالطيور، وقد جعل قوتي ثابتة كما جعل خططي تفلح ... يخرج متدفقًا كمعجزة. وقد نظمت حدودي في «زاهي»، وجهزت أمامهم الأمراء وقواد الحاميات، وجنود (٢٠) «مريانو» (وهم طائفة الجنود الممتازين في آسيا)، وأمرت بتحصين مصب النيل ليكون بمثابة جدار قوي بالسفن الحربية والسفن المسطحة وسفن السواحل المسلحة؛ لأنها كانت مجهزة تمامًا من مقدمتها حتى مؤخرتها بمحاربين مسلحين. أما رجال الرديف (٢١) فكانوا يتألفون من خيرة رجال مصر، وكانوا كالأسود الزائرة على قلل الجبال، وكذلك كان الفرسان يتألفون من عدَّائين من الرجال المنتخبين من كل فارس طيب كفء، وكانت جيادهم ترتعد فرائصها، مستعدة لسحق (٢٢) الممالك تحت سنابكها. وقد كنت «منتو» المقدام واقفًا ثابتًا على رأسهم حتى يروا ما تأسره يداي، ملك الوجه القبلي والوجه البحري: (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع»: «رعمسيس الثالث». وإني رجل أعمل بدون قيد، شاعر بقوته، وبطل مخلص جيشه (٢٣) في يوم الوغى. وهؤلاء الذين وصلوا إلى حدودي قد أفنيت بذرتهم، وقلبهم وروحهم قد أُفنيا إلى أبد الآبدين. والذين أتوا قدمًا على البحر كان اللهيب الشامل أمامهم عند مصبات النيل، في حين أن سياجًا من الحراب قد أحاط بهم (٢٤) على الشاطئ مقتلين ومكدسين أكوامًا من أولهم إلى آخرهم، وسفنهم وسلعهم قد سقطت في الماء.

ولقد جعلت الممالك ترتد عند ذكر مصر؛ لأنهم ينطقون باسمي في أرضهم فإنهم عندئذ يحرقون (٢٥) ومنذ أن جلست على عرش «حوراختي» و(الصل) ثبت على رأسي مثل «رع»، لم أدع الممالك تشاهد حدود مصر حتى تتفاخر هناك بذلك للأقواس التسعة. ولقد استوليت على أرضهم، وحدودهم أُضيفت إلى حدودي. ورؤساؤهم (٢٦) وأهل قبائلهم

أصبحوا ملكي، وهم يمجدونني لأني أسير على هداية خطط «رب الكل» والدي الإلهي الجليل، سيد الآلهة.

ابتهجي يا مصر حتى عنان السماء؛ لأني حاكم الأرضين على عرش «آتوم»، وقد أوجدتني الآلهة لأكون ملكًا (٢٧) في مصر لأقويها، ولأصد عنها (أهل) السهول والممالك الجبلية، وقد خصوني بالملك عندما كنت لا أزال فتيًّا، وفاض زمني بالأرزاق والمؤن. وقد وهبت ساعدًا قويًّا بسبب أنعمي للآلهة والإلهات بقلب رضي، وإني أبدد آلامكم (٢٨) التي في صدوركم، وأجعلكم تجلسون آمنين بلا انقطاع. وإني أهزم الآسيويين ... أراضيهم، وإنهم لمرضى؛ لأنهم يتذكرون اسمي يوميًّا. ملك الوجه القبلي والوجه البحري: «وسرماعت رع مري آمون» ابن «رع»: «رعمسيس الثالث». لقد (٢٩) سترت مصر وحميتها بساعدي الشجاع منذ أن بدأت أحكم بوصفي ملك الوجه القبلي والوجه البحري على عرش «آتوم» ... بمثابة غنيمة يدي، مثل التي غنمتها رهبتي من الأقواس التسعة. ولم تقف أرض ثابتة عند سماع اسمي، ولكنهم (٣٠) يتركون مساكنهم مبتعدين عن أماكنهم مشتتين ... أمامهم. وإني ثور هاجم معتمد على قرنيه، ويدي تصبح مماثلة لقلبي (٣١) على حسب قوتي. وإن قلبي يقول لي: «اعمل» ... وظيفتي مثل «رع» ومثل الإله «ست»، ثائرًا في مقدمة سفينة الشمس، وإني آتيكم بالابتهاج في حين يكون البكاء (٣٢) في البلاد الأجنبية، والرعب في كل أرض ... الذي عملته. وقلبي يثق في إلهي (رب الآلهة)، «آمون رع» الشجاع، رب السيف؛ لأني علمت أن قوته أعظم (٣٣) من قوة الآلهة الآخرين، والعمر المقدر من السنين هو الذي في يده ... شجاع. ولا تمر لحظة واحدة في حضرتك لا يكون فيها خراب بفضل الخطط والنصائح (٣٤) التي في قلبي لخلق مصر من جديد، وهي التي كانت قد دُمرت. أما عن الممالك (الأجنبية) ... ... التدمير لمدنهم. خربت في وقت واحد، وأشجارهم وكل

قومهم قد أصبحوا هشيمًا (٣٥)، وإنهم يستشيرون قلوبهم: إلى أين سنذهب؟ ورؤساؤهم يأتون … … وجزيتهم وأطفالهم على ظهورهم إلى مصر.

وإني قوي شجاع، وخططي ناجحة، ولن يخيب ما فعلته، وأخلاقي ممتازة لأني (٣٦) تعلقت بهذا الإله، والد الآلهة … (والدي) وإني منتبه لمحرابه، وتزداد رغبتي في مضاعفة قربانه من الطعام بالإضافة (٣٧) لما كان له من قبل، وقلبي يحمل الصدق يوميًّا، وما أمقته هو الغش … … الذي تعلمه الآلهة الراضون به، وأيديهم درع لصدري (٣٨) ليزيلوا الشرور والآلام التي في جسمي. ملك الوجه القبلي والوجه البحري، حاكم الأقواس التسعة، سيد الأرضين: «وسرماعت مري آمون» ابن «رع» من صلبه، محبوبه، رب التيجان: «رعمسيس الثالث» معطي الحياة والثبات والرضا مثل «رع» أبد الآبدين.

هذا هو المتن الذي تركه لنا «رعمسيس» عن هذه الحروب، أما المناظر التي صُوِّرت على جدران المعبد لتمثل سير هذه الحرب فتنحصر في عدة مشاهد طريفة تساعد على فهم المتن.[٢٧]

ومما تجدر ملاحظته هنا أن المتون المفسرة لهذه المشاهد تكاد تكون منقولة برمتها إلا أشياء ضئيلة من المتن الكبير الذي ذكرناه الآن، ولذلك لم نجد هنا داعيًا لإعادة ترجمتها ثانية. وهاك وصفًا مختصرًا لهذه المشاهد على حسب ترتيبها على جدران المعبد.

(ب) اللوحة «٢٩»

«رعمسيس الثالث» يوزع المهمات لجنوده لمحاربة أقوام البحر — ويُشاهد «رعمسيس» واقفًا على منصة، يشرف على توزيع العدة لجيشه، وفوق هذا المنظر يُرى نافخ بوق ينفخ في نفيره، في حين نرى حاملي الأعلام الموظفين يحيون الفرعون، وأسفل هذا يُشاهد أمير يصدر أوامر يدونها كاتب. وهناك كتبة آخرون يسجلون وحدات

الجيش، ويرصدون المهمات التي صُرفت. ويُشاهد الإنسان من بين هذه قبعات وحرابًا، وأقواسًا، وسيوفًا، ودروعًا، وزردًا، وكنانات ودرعًا واحدًا بين الأسلحة، وعدد الحرب التي وُزعت، والأمير الذي مُثل هنا هو ولي العهد.

(ج) اللوحة «٣١»

«رعمسيس الثالث» في طريقه إلى بلاد «زاهي» لمحاربة أقوام البحر في عربته. هذه الصورة مُثلت على الجدار الخارجي الشمالي للمعبد، ويُرى فيها «رعمسيس الثالث» في عربته ذاهبًا لمقابلة أقوام البحر، ويصحبه جنود من المصريين والأجانب، وأمام الملك عربة تحمل علم «آمون». ويُشاهد الجنود الأجانب يمشون في وحدات منفصلة على حسب جنسياتهم.

(د) اللوحات «٣٢–٣٤»

«رعمسيس الثالث» في موقعة برية مع جيوش أقوام البحر البرية، ويُشاهد في المنظر «رعمسيس الثالث» في عربته يهجم في قلب قوات «أقوام البحر» الذين ساد بينهم الارتباك وسوء النظام. وقد كان يساعده مشاة مصريون وفرسان، وجنود أجانب مرتزقة. ويُشاهد أقوام البحر يرخون لسيقانهم العنان، كما يفرون في عرباتهم. وكان نساؤهم وأولادهم يفرون بأمتعتهم المحملة على عربات ثقيلة تجرها الثيران.

(ﻫ) اللوحة «٣٥»

«رعمسيس» يصطاد أسودًا[٢٨]

في هذا المنظر «رعمسيس الثالث» في عربته يصطاد أسودًا، وعلى قاعدة المنظر فرق من الجنود تسير، ويحتمل أنهم كانوا ينتقلون من الواقعة البرية على اليمين[٢٩] إلى الواقعة

البحرية على اليسار.[30] وهذا المنظر غاية في الاختصار. والظاهر أن «رعمسيس الثالث» أراد أن يروح عن نفسه بين الموقعتين فقام بصيد الأسود، كما فعل سلفاه العظيمان: «تحتمس الثالث» (راجع الجزء الرابع) و«أمنحتب الثالث» (راجع مصر القديمة الجزء الرابع).

(و) اللوحات «٣٧–٣٩»

«رعمسيس الثالث» وأسطوله في ساحة القتال مع أسطول «أقوام البحار».[31]

في هذه المناظر خمس سفن لأقوام البحر تطاردها بشدة أربع سفن مصرية، وقد صُور انحلال أسطول أهل الشمال بصورة بارزة. ويُرى على الشواطئ «رعمسيس الثالث» ورماته يرسلون وابلًا من السهام على العدو المهزوم، وتحت الموقعة صفان من الأسرى يُقادون لينضموا للاستعراض العام.[32]

(ز) لوحة «٤٢»

«رعمسيس الثالث» يحتفل بانتصاره على أقوام البحر[33]

يُشاهَد «رعمسيس الثالث» في مكان مشرف أمام حصن، يقدم له موظفوه أسرى أقوام البحار، والكتاب يسجلون إحصاء كومتين من الأيدي المقطوعة. وعلى اليمين في أسفل المنظر يُساق الأسرى إلى موظفين يَسِمُونهم بالنار على الكتف، وبعد ذلك تُقيد أسماؤهم طوائف.

(ح) لوحة «٤٣»

«رعمسيس الثالث» يقدم أسرى من اللوبيين وأقوام البحر لثالوث «طيبة»

يقود «رعمسيس الثالث» صفين من أسرى أقوام البحار واللوبيين لثالوث «طيبة» الذي وضع في محراب.[٣٤]

(ط) لوحة «٤٤»

«رعمسيس الثالث» يقدم أسرى أقوام البحر للإلهين «آمون» و«موت»

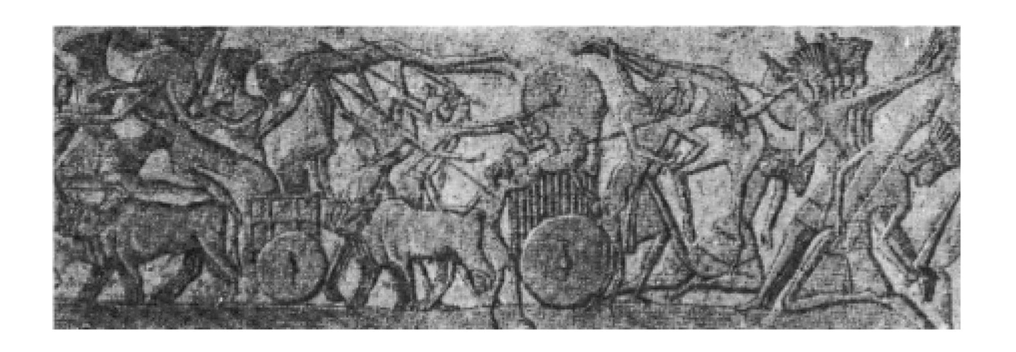
«رعمسيس الثالث» يقود ثلاثة صفوف أسرى من أقوام البحر «لآمون» و«موت»، ويُشاهَد الإله يمد سيفًا نحو الملك.

(ي) نظرة عامة في محتويات هذه المصادر وسير الموقعة

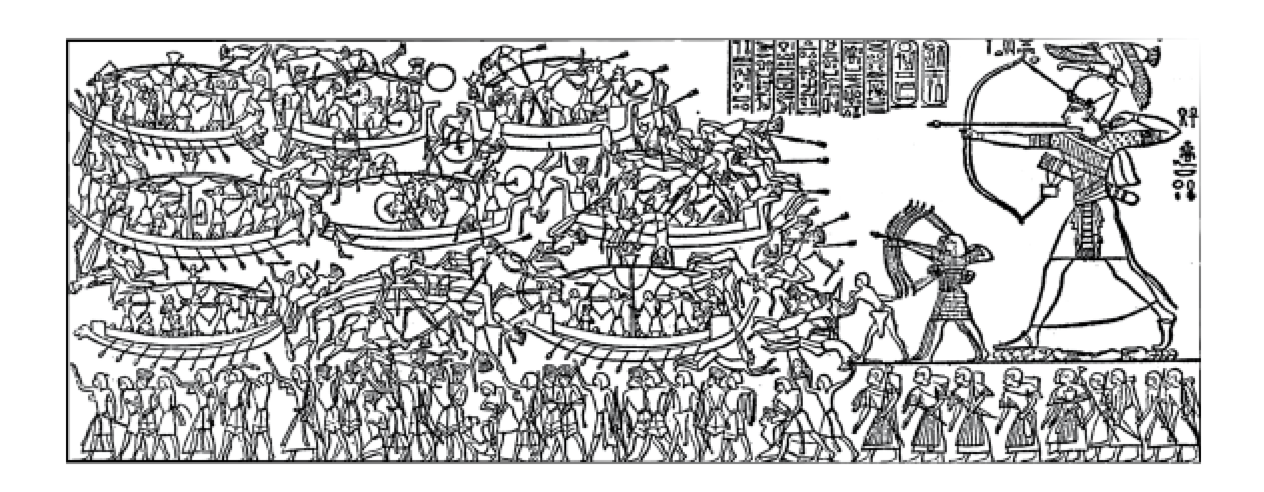
وعلى الرغم مما يحتويه هذا المتن الطويل من حشو في إطراء أعمال الفنان، فإنه — بالإضافة إلى المناظر التي خلفها لنا «رعمسيس الثالث» لتفسير سير القتال وما جرى فيه من أحداث — يُعد من أوضح الوثائق التي وصلت إلينا إلى الآن عن سير الحروب في مصر القديمة.

ففي السنة الثامنة من حكم هذا الفرعون نشاهد الفرعون يقوم بالإشراف على توزيع المهمات لجنوده استعدادًا للواقعة التي كان يُنتظر أن تدور رحاها بينه وبين أقوام البحر الذين تحدثنا عنهم فيما سبق برًّا وبحرًا. والمهم هنا أن نجد الفرعون نفسه — بوصفه القائد الأعلى — يقوم على هذه العملية، يعاونه فيها ولي عهده. وقد وُزعت على الجنود خوذات الحرب، والحراب والأقواس، والسيوف، والدروع، والزرد، والكنانات، ومن ثم عرفنا الآلات التي كانت تُستعمل عند المصريين في شن الحروب وقتئذ. ويُلاحَظ أن الفرعون كان يشرف على تسجيل وحدات الجيش على مختلف أنواعهم وجنسياتهم، وبعد أن تم إعداد الجيش وتنظيمه نرى الفرعون في عربته في طريقه لمقابلة جيش «أقوام البحر» في بلاد «زاهي» التي كانوا قد احتلوها بعد أن استولوا على بلاد «خيتا» و«قودي» و«قرقميش» و«قبرص» و«كليكيا»، وقد كان آخر مطافهم أن وضعوا رحالهم في بلاد «آمور». وقد سار «رعمسيس الثالث» في المقدمة ولم يسبقه إلا عربة نُصب فيها علم الإله

«آمون» الذي كان يرجو منه النصر على هؤلاء الأعداء الأقوياء الذين كانوا يجتاحون كل ما في طريقهم. وقد سارت فرق الجيش الذي كان يتألف من مصريين وأجانب وفق المكان الخاص بها، وما أن وصل «رعمسيس الثالث» إلى مكان الأعداء من أقوام «البلست» (الفلسطينيين) و«الثكر» و«الشكلش» و«الدنين» و«قوم وشش» حتى كان على أهبة الاستعداد، إذ كان الفرعون سبقهم في تحصين حدود البلاد وبخاصة «زاهي» فقد أمد قوات الحاميات بالعتاد وجنود «مريانا» الذين امتازوا بشجاعتهم وقوة بطشهم في «آسيا»، هذا فضلًا عن أنه كان قد أعد تحصين مَصابِّ النيل بالسفن الحربية وسفن السواحل وغيرهما من أنواع السفن التي كانت تحمل الزاد والعتاد حتى أصبحت كأنها جدار قوي لا يقوى أحد على اختراقه والاقتراب منه. وقد شدَّ من أزر هذه التحصينات جيش قوي من الرديف من خيرة أبناء مصر الذين كانوا كالأسود الكواسر، يزأرون وينتظرون الاندفاع إلى حومة الوغى، كما ينتظر الأسد فريسته على قلل الجبال، وبجانب هؤلاء جيش من الفرسان المهرة انتخبهم الفرعون من خيرة أبناء مصر وعلية القوم أصحاب الكفاية، وقد جُهزوا بجياد تهتز أعطافها فرحًا للنزول في ساحة الوغى لتدك جثث الأعداء تحت سنابكها. وفوق كل ذلك أحاط «رعمسيس الثالث» الشاطئ الذي كان يُنتظر أن يغزو العدو البلاد منه بسياج غُرست في جوانبه الحراب.



شكل ٣: عربات الفلسطينيين وحلفائهم.



شكل ٤: الموقعة البحرية بين «رعمسيس الثالث» وأقوام البحر.

ولم يكد «رعمسيس الثالث» يلتقي بعدوه في «زاهي» على ما يظهر برًّا، حتى انقض على قلب قوات «أقوام البحار» الذين قد ساد بينهم الارتباك، وحل في صفوفهم سوء النظام. وقد اشترك في هذه المعركة المشاة المصريون والفرسان والجنود المرتزقة، وبعد قليل أسفرت الواقعة عن هزيمة ساحقة لأقوام البحر؛ إذ نشاهدهم يولون الأدبار على أقدامهم وفي عرباتهم. أما أولادهم ونساؤهم فكانوا يهربون بأمتعتهم التي حُملت على عربات ثقيلة تجرها الثيران.

والظاهر أن «رعمسيس الثالث» بعد أن أحرز هذا النصر المبين على «أقوام البحر» في هذه الواقعة البرية التي لا نعرف مكان وقوعها بالضبط أراد أن يسري عن نفسه بالصيد والقنص تشبهًا بما كان يفعله الفراعنة العظام في عهد الأسرة الثامنة عشرة من أمثال «تحتمس الثالث»، و«أمنحتب الثاني»، ولذلك نراه يصوب سهامه على الأسود التي كانت تقع صرعى أمامه، ولا يبعد أن يكون ذلك في طريقه إلى مصر للدفاع عن مصب النيل الذي كان يُتوقع أن يدخل منه العدو بسفنه إلى أرض الكنانة.

(ك) الموقعة البحرية

كان «رعمسيس الثالث» كما أسلفنا قد اتخذ العدَّة لحماية مصب النيل من هؤلاء المغيرين الذين أرادوا أن يغزوا مصر برًّا وبحرًا، وقد شاهدنا أنهم أخفقوا كل الإخفاق في الوصول إلى حدود مصر؛ ولذلك يقول «رعمسيس»:

> هؤلاء الذين وصلوا إلى حدودي قد فنيت بذرتهم، وقُضي على قلبهم وروحهم إلى أبد الآبدين. أما الذين أتوا قدما بحرًا إلى الشاطئ فإن اللهيب الملهب كان ينتظرهم عند مصبات النيل، في حين أن سياجًا من الحراب قد أحاط بهم على الشاطئ، وانتهى بهم الأمر إلى أن جُروا إلى الشاطئ محاصرين ومطروحين أرضًا على الجسور قتلى مكدسين أكوامًا عن بكرة أبيهم، وأمتعتهم سقطت في الماء. وحقًّا فإنا نشاهد أسطول العدو المؤلف من خمس سفن تطاردها أربع سفن من الأسطول المصري بكل قوة وعنف حتى انحل الأسطول المعادي انحلالًا تامًّا. وقد كان «رعمسيس الثالث» خلال نشوب المعركة يقف على الشاطئ ومعه رماته يرسلون وابلًا من السهام على العدو المنهزم. وقد انتهت المعركة بالنصر المبين للمصريين، وهي أول موقعة حربية بحرية[٣٥] مصورة عُرفت في التاريخ العالمي. وقد ظهرت فيها كل الحركات الحربية التي جرت خلال المعركة بشكل رائع. وبعد الواقعة نشاهد صفين من الأسرى سِيقوا لاستعراضهم أمام الفرعون الذين قدمهم بدوره إلى «ثالوث طيبة» الذين كتبوا له الفوز، وأمدوه بنصر من عندهم. وقد ترك معظم الفارِّين البلاد، ولم يتخلف عنهم إلا الفلسطينيون الذين استوطنوا الإقليم الساحلي الذي يمتد بين «غزة» و«جبل الكرمل». وهؤلاء هم الذين سُمِّيَ باسمهم الإقليم الذي سكنوه، وقد بقي كذلك حتى أيامنا. أما قوم «الثكر» — وهم قوم بحارة — فقد كانوا يحترفون القرصنة في البحر الأبيض المتوسط.

(٢-٤) الحرب اللوبية الثانية

قامت الحرب الثانية التي نشبت بين مصر وسكان «لوبيا» في السنة الحادية عشرة من حكم «رعمسيس الثالث». والمصادر التي وصلت إلينا عن هذه الحرب خمسة وهي:

(١) المتن الكبير المؤرَّخ بالسنة الحادية عشرة، وهو منقوش على الجدار الشرقي داخل الردهة الثانية لمعبد مدينة «هابو» الكبير.[٣٦]

(٢) يوجد في منظر الواقعة المصورة على الجدار الشرقي جنوبي البوابة الكبيرة من الردهة الأولى نقشان، وهما بداية النقش الكبير الثالث، ونقش آخر[٣٧] لا يحتوي إلا على جمل اصطلاحية في تمجيد الفرعون وذكر نعوته، وبعض إشارات بسيطة عامة عن الحرب.

(٣) القصيدة التي أُنشئت احتفالًا بحروب السنة الحادية عشرة.

(٤) المناظر التي تركها لنا «رعمسيس» على جدران المعبد.[٣٨]

(٥) ما جاء في «ورقة هاريس» وقد ذكرناه من قبل.

وسنحاول هنا أن نضع ترجمة للمتن الكبير على الرغم مما أصابه من تهشيم وتكسير. هذا فضلًا عما به من صعوبات لغوية لم يمكن التغلب عليها حتى الآن. ومع ذلك يمكن الإنسان أن يتتبع منه سير الحوادث كما قُصت من الوجهة المصرية.

وتسهيلًا لمتابعة المتن نضع التحليل التالي:

(١) التاريخ والعنوان والمديح العام للملك (من سطر ١–١٤).

(٢) الحرب اللوبية الثانية (من سطر ١٤–٣٥).

وتشمل:

(أ) هجرة قوم «المشوش» لاستيطان مصر (من سطر ١٤-١٥).

(ب) إحباط خطط «المشوش» واستعداد «رعمسيس الثالث» للوقوف أمامهم عند زحفهم على مصر (من سطر ١٥–١٨).

(جـ) سير «رعمسيس» لحماية حدوده (من سطر ١٨–١٩).

(د) الواقعة (من سطر ١٩–٢٣).

(هـ) هزيمة «المشوش» (من سطر ٢٣–٢٥).

(و) فرار «المشوش» واختفاء أثرهم (من سطر ٢٦–٣٥).

(٣) «المشوش» يندبون حظهم (من سطر ٣٥–٤٨).

(٤) تسليم «المشوش» (من سطر ٤٨–٥٦).

(٥) فخار «رعمسيس» بأعماله (من سطر ٥٦–٦١).

(٦) خاتمة ومديح «رعمسيس» (من سطر ٦١-٦٢).

وهاك نص المتن:

(١) السنة الحادية عشرة، الشهر الرابع من الفصل الثالث، اليوم ١٠ + س من عهد ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين: (وسرماعت رع) ابن «رع» رب التيجان. «رعمسيس الثالث»: فاتحة نصر مصر (٢) الذي سجله الملك العظيم، الذي يتقبل عرش الابتهاج، ويدبر ملك «رع»، ويوسع ملك مصر، ويصد «الأقواس التسعة». إن الفزع قد حل في كل أرض على يد السيد (٣) الأوحد، الذي خلق السموات والأرض منذ كانت الدنيا «آمون رع» ملك الآلهة، والثور الجبار حاد القرنين، والآن قد خلق قلب هذا الإله الأرض مرة أخرى ليضع بصورة فاصلة (٤) حدود مصر، بفضل الانتصارات العظيمة، وقد انتخب (الإله) سيدًا واحدًا قد خلقه، وهو البذرة (٥) التي خرجت من

صلبه، شاب إلهي، وصبي (٦) وجيه، عظيم البطش، قوي الساعد، صاحب الخطة النافذة، رب النصائح، ثابت الجنان، (٧) ماضي الخطط، ومن يعرف الحياة مثل «تحوت»، فطن مثل «شو» بن «رع» (وسرماعت رع مري آمون) (٨) وهو البيضة التي قد خرجت من «رع»: «رعمسيس الثالث» السيد الفتى الشجاع، ومن قد وعد (٩) بالنصر وهو في الفرج، والقوة العظيمة السامية مثل «منتو»، وقد كلف بتحطيم (١٠) الأراضي وهزيمة أهلها، وصدهم عن مصر. والإلهان «منتو» و«ست» معه في (١١) كل واقعة، و«أنات» و«عشتارت» درع له، في حين أن «آمون» يميز (١٢) كلامه (أي يوجه قراراته). وإنه لا يولي الأدبار عندما يحمل بقوة مصر على الآسيويين، ولم تبقَّ أرض يرفع (١٣) أهلها رءوسهم مناهضين مصر؛ لأن الإله قد جعلهم يُسحبون بعيدًا ليُقضى عليهم، وإن السيد الأوحد هو الأسد القوي الشجاع؛ لأن مخلبه على استعداد كأنه أحبولة، وإنهم يمشون بعيدًا ويأتون وأجسامهم ترتعد ليضعوا (١٤) أنفسهم تحت ذراعيه كالفئران، ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع» رب التيجان: «رعمسيس الثالث».[٣٩]

وقد كان رئيس «المشوش» السابق آتيًا من قبل أن يُرى — أي من قبل أن يعرف المصريون مجيئه — مهاجرًا ومعه أهله، وانقضوا على «التحنو»[٤٠] الذين أصبحوا رمادًا، فقد خربت وأقفرت مدنهم، ولم يعد لبذرتهم (١٥) وجود.

وإن وصية هذا الإله الطيب أن يُذبح كل غازٍ لمصر دائمًا ويقول: «الويل له؛ لأنه يسير قدمًا نحو النار.» وقد قالوا بصوت واحد: «سنستوطن مصر»! واستمروا في اختراق حدود الكنانة، وهناك حاصرهم الموت (١٦) وهم في طريقهم، وقد حاق بخططهم السيئة الفشل في أجسامهم، وصُدت تهديداتهم بفضل … الإله واتجهوا نحو السموات والشمس رافعين أكفهم أمامهما، وقد ضيعوا زمنًا طويلًا (١٧) خلفهم ولم يبقَ أمامهم إلا لحظة.

وبعد ذلك دخلوا في العهد السيئ؛ لأنهم وجدوا جلالته كأنه الصقر المقدس الذي يستولي عليه الغضب عندما يرى الطيور الصغيرة ... راحة ... في وجهه. وكان الحامي له «آمون رع»، وقد كانت يده معه لتحوّل عنه وجوههم، وليهلكهم (١٨) ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع»: «رعمسيس الثالث».

وقد سار جلالته بشجاعة، وساعده قوي، وقلبه معتمد على والده سيد الآلهة، وقد كان كالثور الجبار ... مزودًا بقطعان من الماشية البحرية، ومشاته (١٩) وفرسانه ملكت النصر، والرجال الأقوياء الذين دربهم على القتال حاربوا بشجاعة في حين كان هو جدارًا صلبًا، وثابتًا في زمنهم ... شادًّا القوس، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين: (وسرماعت رع مري آمون).

وقد كان جلالته مختبئًا ومختفيًا ... (٢٠) ليأخذ أسرى، وكان صوته يزأر ويرعد «كبو لهول» المجنح (يعين الإله «ست») ... على أعدائه، ولم يُصد ... وسهمه يصيب المرمى ... وأنفه ومخلبه ... (٢١) وكل ... أمامه على أعدائه، وقد كان خطرًا وقويًّا كالفهد، جاريًا وواسع الخطا، ومندفعًا إلى ... خيل، وحراب، وسهام. وقد (٢٢) ذُبحوا في أماكنهم، وقلبهم قد أُتي عليه، وأرواحهم هُزمت على الأرض، وأُسكتت أفواههم عن الفخار عند ذكر مصر لأنهم قد صاروا إلى ... ... وروحهم ... ... (٢٣) وأسلحته كانت عليهم كالشبكة، ويده على رأسهم. وهو يقطع إربًا إربًا، وهو يحيط خياشيمهم وأجسامهم. وقد انضم «مششر» بن «كبر» ورئيسهم إلى ... ... وانتشروا على الأرض ... ... يد ... ... (٢٤) وارتمى تحت أقدام جلالته، وأولاده وأهل قبيلته وجيشه قد أصبحوا لا شيء، وعيناه لم تريا وجه الشمس، وجنوده المحاربون قد أُسروا ... ... ونساؤهم وأطفالهم ... (٢٥) وكُبلت أيديهم ووُضعت الأغلال في أعناقهم بوصفهم أسرى، وأُثقلت ظهورهم بأولادهم وسلعهم، وأُحضرت إلى

مصر ماشيتهم وخيلهم، واغتُصبت ... ... ولم يُرَ ذلك منذ زمن الإله، وقد أُحضروا ...

(٢٦) وقد أخذوا درسًا لمدة ألف ألف جيل، وقد سجدوا على وجوههم، واغتُصبت أرضهم (؟)

وقد انقطعت افتخاراتهم ولم يفلحوا. وقد وضعهم «آمون رع» أمام (البطل) ... ... الثور القوي المعتمد على قرنيه، (٢٧) والقادر على الخوار، ومهاجم منازله بقرنيه، رب الأرضين «وسرماعت رع مري آمون بن رع»: «رعمسيس الثالث» الطارد بقوته، والذابح بسيفه، والغاصب ... ... وإنسان عينهم قد أصابه الحول فصار غير قادر على النظر. (٢٨) والطرق قد سُدَّت في وجوههم، والأرض كانت كالدوامة خلفهم تبتلع أهليهم. وأسلحتهم سقطت من أيديهم، وذهب عن قلوبهم الثبات ... ضالين ومرتعدين، يتصبب منهم العرق، والصل ... ... (٢٩) الذي كان رأس شمس مصر عليهم وحرارة «سخمت» (إلهة الحرب) العظيمة قد اختلطت بقلوبهم، حتى إن عظامهم أصبحت محترقة في وسط أجسامهم، والشهاب المنقض كان مريعًا في اقتفاء أثرهم، وكانت البلاد في سرور مبتهجة برؤية أعماله الظافرة، رب الأرضين: «وسرماعت رع مري آمون» ابن «رع»: «رعمسيس الثالث». (٣٠) وكل الباقين على قيد الحياة من يده قد فروا إلى بلادهم، ومستنقعات الدلتا خلفه ... ... كانت شعلة عظيمة ترمي باللهيب من السماء باحثة عن أرواحهم لتقضي على بذرتهم التي كانت لا تزال في أرضهم. وتعاويذ «تحوت» السحرية قد حولت وجوههم وسقطوا من أولهم إلى آخرهم في أماكنهم، (٣١) ومزقت يده صدر المعتدي على حدوده وسُدَّت حناجرهم وخياشيمهم، وخربت ... ... ولا ينفك — عندما يكون غاضبًا — سنه ولا مخلبه عن رأس «المشوش»: ملك الوجه القلي والوجه البحري رب الأرضين: «وسرماعت رع مري

آمون» ابن «رع» رب التيجان: «رعمسيس الثالث». (٣٢) والويل «للمشوش» وأرض «تمحو»؛ لأن غالّ رأسهم هو ملك مصر وملك كل أرض، وقد انحنوا له كما انحنوا «لست» بوجوه منكسة وقد أصبحوا عرجًا. وقد أصبح «المشوش» و«التمحو» في حزن ويأس. وقد نهضوا وفروا إلى أقاصي الأرض (٣٣) وأعينهم كانت على الطرق ناظرة وراءها جادين في الهرب، وفارين في ذعر شامل متقهقرين، والسكين على مرأى منهم ... ... والآلهة ... ... في وسط مصر، (٣٤) وحرارتهم قد انتُزعت واسمهم قد دُمر على الأرض، وأقدامهم أصبحت خفيفة على الأديم، وقد ذهب الثبات عنهم، وسيد مصر العظيم ... ... كان عليهم، قويًّا، تأمل! ... ... كل لحظة (٣٥) ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب التيجان: «وسرماعت رع مري آمون» ابن «رع»: «رعمسيس الثالث».

ويقول من رأوه لأهل قبيلتهم: إن الذي يقفو أثرنا هو «منتو» في صورة إنسان منقض علينا ... ... لدرجة الإعياء (٣٦) وإنه يتبعنا مثل «ست» عندما يرى العدو، وإنه ينظر إلى مئات الآلاف كأنهم أرجال، تأمل! إن الحالة تسوء معنا حتى عنان السماء كالماشية البرية التي تمر بباب أسد ... ... يقرض (٣٧) ... ... لهم، وإنا كالتبن الذي يُذرى وخلفه الريح، فأسلحتنا أصبحت لا شيء، شُتتت بين أيدينا، وروحهم تعس، وقلبهم قد فني ... ... عظيم ... ... بين الأقواس (٣٨)، لقد احتبلنا وقد جَرُّونا كأننا في شرك، وقد جعلتنا الآلهة ننعم بنجاح عظيم، وما ذلك إلا لتقربنا لنُهزم على يد مصر. دعنا نعقد هدنة مع ... ... ليخربونا، وإن مصر (٣٩) لظافرة منذ زمن الآلهة والأبدية، وإن قوتها هي التي تجري في أجسامنا، وسيدها هو الذي في السماء؛ لأن طبيعته مثله.[٤١] ونحن نرى ... ... رب التيجان: «رعمسيس الثالث»، (٤٠) وهو يظهر مثل أشعة الشمس، وفخاره ورهبته مثل «منتو»، ونحن مأخوذون

بنوبة رعدة ... (٤١) مسيطرًا في الواقعة. وإنه يخلق وقت إعياء لهم متزنًا يمينًا وشمالًا دون خطأ حتى إننا أصبحنا مثل غابة كثيفة يقذف بها الهواء، ومقتحمًا ... ... وإنه (٤٢) يقفو أثرنا، يذبحنا مثل الصقر الإلهي، ونحزم حزمًا مثل حصيد القمح، وإنه يرسل علينا السهم تلو السهم كالشهب المنقضة ... ... (٤٣) يحوطنا، وبذلك نحبل أمامه، والطريق إلى الخلاص قد انعدمت، ولكن النور في مكانه. وإن الإله قد استولى علينا فريسة كالماشية البرية التي احتبلت في وسط غيضة، وقد كان مريعًا ... ... (٤٤) هائجًا على مئات الألوف ... في قلبه، وقد رفعنا أكف الضراعة أمامه بأيدينا على رءوسنا، غير أنه لم يلتفت، ولم ينظر إلى مديحنا. بل إنه يطيل فقط في إعيائنا. ومن يبقى في الظلام يُجر (٤٥) إلى الخارج.[٤٢] ونحن ... ... وقد ألقى بنا أمام أنفسنا، وقد هلك قبلنا مثل ... ... كالأدغال. وقد سمعنا بذلك من آباء والدنا، وقد قالوا (٤٦) عن مصر: إنها هي التي تقصم ظهورنا، وقد رجونا لأنفسنا حتفها بإرادتنا، وأرجلنا تسوقنا إلى النار. وقد تسبب «اللوبيون» في ارتباكنا وارتباكهم أنفسهم لأننا أصغينا إلى نصائحهم، والآن قد انتُزعت قلوبنا (٤٧) ونحن في طريق الجريمة مثلهم.[٤٣] وقد أخذنا درسًا أبديًّا، وإن حالتهم لتسوء عندما يرون حدود مصر؛ لأنه سيطأ بنفسه الأرض المقدسة،[٤٤] وإن الذي (٤٨) فيها هو «منتو» قوي الساعد والجبار، و... في الواقعة وإنكم لن تقتربوا منه، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع» رب التيجان: «رعمسيس الثالث». وقد أبيدت أرض «مشوش» دفعة واحدة. أما «اللوبيون» و«السبد»[٤٥] فقد أُهلكوا حتى إن بذرتهم أصبحت لا وجود لها. (٤٩) وأمهاتهم وحظياتهم أصبحن عقيمات في وسطهم، وبذلك لم تُولد لهم أطفالهم من قبل ... ... في الرعب والخوف محزونين، ومسلمين بقلوبهم بفضل بطش جلالته. (٥٠) وحرارتك تحرق (؟) وأجسامهم مثل نار أتونٍ ... وفزع وهيبة (٥١) الثور، الجبار،

الهاجم، ناشر الصل،[٤٦] ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين: (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع» رب التيجان: «رعمسيس الثالث» … … الفزع منك، وهناك يقبض عليهم … (٥٢) … الضعف والخطأ، وسيعقدون اتفاقًا حاملين جزيتهم على ظهورهم … آتين بالمديح ليجعلوه (٥٣) الإله الطيب، رب الأرضين، الذي يجعل حدود بلاده كيف شاء في السهول والممالك الجبلية. ملك الوجه القبلي والوجه البحري … الخ.

وأما «حور» فهو الغني بالسنين، والبيضة التي خرجت من «رع» من صلبه، (٥٤) فقد أمره بأن يكون السيد الوحيد الممكن على عرشه، وأرض «زاهي»، وأرض «نحسي» (النوبة) تحت نعليه، وساعده يمد مصر، وإنه يصنعها بجواره، وإنه يسلب النفس من الممالك وبذلك لا يفلحون، وجلالته (٥٥) مثل «بعل» على قمم الجبال، ملك عظيم الملك مثل «آتوم». وإن قلب مصر لفرح بالنصر؛ لأن «آمون رع» قد ردَّ الجواب في صالحها، في حين أن ابنه يظهر (٥٦) ملكًا على عرش «آتوم»، وكل ما تحيط به الشمس قد أصبح في قبضته، ملك الوجه القبلي والوجه البحري … الخ.

وإنه يخاطب الأمراء الملكيين، وكبار الموظفين وقواد المشاة (٥٧) والفرسان قائلًا: أعيروا التفاتكم لكلماتي وعوها لأني أتحدث إليكم، وأعرفكم بأني ابن «رع» الذي خرج من صلبه، وإني أجلس على (٥٨) عرشه بفرح منذ أن مكنني ملكًا وسيدًا على هذه الأرض، وإن نصائحي لطيبة، وخططي منفذة، وإني أحمي مصر وأدافع عنها، وأجعلها تثوي راضية في (٥٩) زمني؛ لأني أقهر لها كل بلدٍ تغزو حدودها، وإني كثير الفيضانات التي تحمل المؤن، وحكمي قد غُمر بكل الأشياء الطيبة، وإني ملك منعم على من يوثق به (٦٠) ورحيم، ومانح النفس لكل خيشوم، وقد هزمت «المشوش» وأرض «التمحو» بقوة ساعدي، وقد جعلتهم مطروحين أرضًا. انظروا (هنا) إنهم أمامكم. (٦١)

ولست مبالغًا؛ لأن قوة «آمون» هي التي استولت عليهم، ليته يمنح ملايين الأعياد الثلاثينية ابنه رب الأرضين: (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع» رب التيجان: «رعمسيس الثالث» معطي الحياة أبديًّا. وإن الملك (٦٢) مثل «رع» الثائر، وقلبه قوي مثل قلب والده «منتو»، وساعده قد استولى على سجناء أسرى، وأهل بلاد «المشوش» و«التمحو» قد كنفوا في حضرته، وأصبحوا هم وجزيتهم من نصيب بيت والده الفاخر «آمون» الذي كتفهم تحت نعليه، رب الأرضين: (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع»: «رعمسيس الثالث».

(١) قصيدة عن الحرب اللوبية التي وقعت في العام الحادي عشر من حكم «رعمسيس الثالث»

هذا المتن الطويل يعالج موضوع الحرب اللوبية الثانية، أو حرب المشوش، غير أنه كُتب بروح شعري مصطنع أكثر من المتن السابق. وقد أصاب المتن تهشيم محزن بفعل الزمن. هذا إلى أن لغته صعبة، وترتيب حوادثه التاريخية غير مؤكد. ومع ذلك يوجد فيه بعض صور حية، مما يجعلنا نأسف جد الأسف على عدم وصول المتن إلينا سليمًا بأكمله، وسنحاول هنا — قبل ترجمة ما بقي منه — تحليل محتويات بكل تحفظ.

(١) التاريخ والمديح العام الذي يُوجَّه للفرعون (من سطر ١–٧).

(٢) العلاقات السلمية السابقة مع الممالك الأجنبية (من سطر ٧–١٠).

(٣) «رعمسيس» حامي مصر (من سطر ١٠–١٤).

(٤) الفرعون لا يُقهر في ساحة القتال (من سطر ١٤–١٨).

(٥) هزيمة سابقة للأجانب — ويُحتمل أنه يشير إلى الحرب اللوبية الأولى — (من سطر ١٨–٢٣).

(٦) الهجوم الجديد الذي قام به «المشوش» يُسحق (من سطر ٢٣–٢٦).

(٧) «كبر» يحاول عبثًا التدخل من أجل ابنه (من سطر ٢٦–٣٤).

(٨) قطعة مهشمة تهشيمًا عظيمًا، تشمل خطابًا مشرقًا على لسان المصريين، وبعض لمحات عن حالة «المشوش» السيئة (من سطر ٣٤–٥١).

ويُلاحَظ أن كثيرًا مما جاء في هذه القصيدة قد وضح في المنظر الذي على الجدار الشرقي، في الصف الأسفل من الردهة الأولى بالمعبد الكبير.[٤٧] وفي هذه اللوحة نشاهد «مشثر» أسيرًا أمام الفرعون، في حين أن والده «كبر» الذي جاء يطلب الصلح ويرجو العفو عن ابنه، ويُشاهَد ويده مرفوعة. وسنشاهد فيما يلي أن غزوة «المشوش» كانت في الواقع بمثابة هجرة الغرض منها استيطان مصر؛ إذ نجد في المتن الإشارة إلى أسر، وقبائل، ونساء. ويدل على ذلك قوائم الأسرى والغنائم.[٤٨] وفوق متن القصيدة منظر يُشاهد فيه «رعمسيس الثالث» يضحي بأسرى لوبيين من نوعين أمام الإله «آمون» الذي يقدم له أقاليم مختلفة بأسرى، وأسماء الأسرى مأخوذة من قائمة جغرافية نُقشت على نفس برج هذه البوابة.[٤٩] وقد كُتب أمام الملك: «سحق رؤساء كل إقليم.» وكُتب أمام «آمون»: كلمات نطق بها «آمون رع» ملك الآلهة وسيد السماء، وحاكم «طيبة»؛ لقد منحتك كل القوة، تسلم السيف يا أيها الملك الجبار! لقد منحتك السهل والحزن تحت قدميك. وهاك متن القصيدة:

(١) السنة الحادية عشرة، الشهر الثاني من الفصل الثاني، اليوم الثامن، في عهد جلالة «حور» الثور القوي، عظيم الملك، محبوب الإلهتين، العظيم الأعياد الثلاثينية مثل «تاتنن»، «حور» الذهبي: الكثير السنين مثل «آتوم» الملك، حامي مصر، ومكبل الأراضي الأجنبية، (٢) ملك الوجه القبلي والوجه البحري … الخ «آمون رع» ملك الآلهة و«موت» العظيمة سيدة «أشرو» و«خنسو» في — طيبة — «نفرحتب» ليتهم

يمنحون مليونًا من الأعياد الثلاثينية (٣) ومئات الألوف من السنين لابنهم، رب التيجان «رعمسيس الثالث» ... البذرة الإلهية للشجاعة، القوي ... المجيب عن مصر، وصادِّ عدوها (٤) وحاميها، ومنجيها في الحرب ... ... القوي تحت ... المخترق قلوب الآسيويين، القوي ... ... السيد الذي يعمل ... (٥) العامة، والممكَّن الأرض دفعة واحدة دون تراخٍ، الملك الجدير بالابتهاج، سيد الملكية مثل والده «رع» منذ أن بدأ يحكم، جميل الوجه، السيد السار في النصيحة، (٦) جميل الرأس حينما ظهر مرتديًا التاج (اتف) ملك الوجه القبلي والوجه البحري ... الخ، والحاكم الذي جعل اسمه مثل جبل من ... ... (٧) في أعماق الظلام.

ولم تكن هناك ثوار في الأراضي القاصية فيما سبق، ولم يُروا منذ زمن الآلهة، بل كانوا يأتون مسترحمين كلهم، وحاملين (٨) جزيتهم، ومقدمين الخضوع، ومقبلين الأرض له مثلما فعلوا للإله «ست»، وقلبهم وأرجلهم قد غادرت البلاد، وأماكنهم نُقلت، (٩) ولم يستقرُّوا في مكان، وقد أسرعت بهم كل أعضائهم من تلقاء نفسها كأنما كان خلفهم عصا ليطلبوا الصلح، ملك الوجه القبلي والوجه البحري ... الخ (١٠).

وهو الملك الذي يغمر مصر بالسرور، ويهزم الشر والغش في قلب الأرضين، وإنه لرحيم حتى إنه يُقال عنه: معطي الحياة غير متعب القلب (١١) دع النفس يزداد في فمه كل يوم، وإنه مسيطر وصاحب خطط جميلة، فطن حتى وهو طفل، ونصائحه مثل نصائح القمر (القمر هو الإله «تحوت» بعد مجدد الشباب) منذ أن خلقت الأرض، وما فعله يحدث (١٢) ... ممتاز مثل الذي يخرج من فم رب الإله، ابن «آمون» من صلبه، والذي خرج من جسمه، وجلس على عرشه ... ... (١٣) ليهزم «الأقواس» ويسحق كل أرض، ... وهو الشجاع والظافر ... الظافر عليهم مشتتين، ورهبته في كل جزء (١٤) والذعر الذي ينبعث من محياه لكل أرض، ملك الوجه القبلي والوجه البحري،

والحاكم الشجاع، رب الأرضين «وسرماعت رع» الخ ... ... (١٥) المثبت كالثور أمامهم شاعرًا بقوته، وإنه يصوِّب نظره على سحب المختبئين (من الأسرى) وحشدهم ... (١٦) كالجدار، طاحنًا عظامهم المنتشرة على الأرض تحت حافره ... (١٧) وهو ... عند رؤية حشد من المحاربين الأقوياء، عظيم مختبئ ... ... أعضاؤه ثائرة في جسمه ... (١٨) كل بلد يعتدي على حدوده، ملك الوجه القبلي والبحري الخ. الساخطون ... ... سائرين إلى الأمام ليزحفوا (١٩) على مصر، وقد كانوا متخبطين الثانية عشرة، ويبلغ طوله ٣,١٧ مترًا، ويزن حوالي ٢٨٠٠ ومحصورين ومقبوضًا عليهم، وقد أصبحوا ... ... حرارة الـ ... (٢٠) وقد شُويت، وهذان التمثالان قد عظامهم وأُحرقت في وسط أعضائهم حتى إنهم كانوا يمشون على الأرض مثل من يمشي مقيدًا، (٢١) وقد ذُبحت جنودهم الأشداء في المكان الذي كانوا يمشون فيه. وقد حُرموا النطق أبديًّا، وهُزموا دفعة واحدة، وقُبض على عظمائهم الذين كانوا (٢٢) يرأسونهم، وكُتفوا كالطيور أمام الصقر، وكل من هرب أخفى نفسه في وسط الأدغال، وقد جلس ورأسه على حجره (٢٣) أو منبطحًا يقدم تحيات خاشعة.

وقد وضعوا خطة التآمر بالعصيان مرة ثانية لينهوا حياتهم على حدود مصر. وقد جمعوا أهل السهل والحزن (٢٤) من مراكزهم. وقد جلبوا لأنفسهم الموت بسيرهم إلى مصر آتين على أرجلهم إلى ... ... التي في حرارة الرائحة وتحت لهيب جبار (٢٥) وقد هاجمتهم حرارة جلالته مثل «بعل» في السماء. وقد كان كل جزء منه موفور الشجاعة والقوة، وقد وُضعت له خطة طيبة ليستولي على جمعهم، وذراعه اليمنى وذراعه اليسرى (٢٦) يمتدان من تلقاء أنفسهما وتنقضان عليهم كالسهم لتذبحهم في حين أن ذراعه كانت عظيمة وقوية مثل ذراع «منتو» والده.

وقد أتى «كبر» (٢٧) يرجو الصلح كالرجل المغمَّى ... (؟) وقد ألقى سلاحه على الأرض هو وجيشه وصاح حتى عنان السماء متضرعًا لابنه. وهناك جمدت (٢٨) قدماه ويده ولم يبدِ حراكًا في مكانه ولا يعلم دخائل أفكاره إلا الله. وقد انقض عليهم جلالته (٢٩) كجبل من الجرانيت، حتى إنهم طُحنوا وسُحقوا واختلطوا بالأرض وكانت دماؤهم — في المكان الذي كانوا فيه — كالماء، (٣٠) وجثثهم سُحقت في المكان الذي كانوا يمشون عليه. وقُبض على «كبر» وسِيق إلى حيث ذُبح، وأُسِر رجال جيشه الذين كانت قلوبهم تعتمد عليه (٣١) لحمايتهم، وقد ذُبح وهو مكبل ومكتف كالطير على أديم العربة تحت موطئ جلالته (٣٢) وقد كان مثل «منتو»، وقد كانت قدماه جبارتين على رأسه، وقد ذبح قواده أمامه في قبضته. وقد كانت نصائحه (٣٣) موفقة وخططه لقصره نافذة أمامه في حين كان قلبه قد أُنعش. وكان كالأسد المنتصر المزمجر ممزقًا الماشية البرية بنابه، ملك الوجه القبلي والوجه البحري الخ (٣٤).

أما المصريون فإن قلوبهم كانت تبتهج عند رؤية انتصاره ويفرحون جميعًا في كل جهة ويقولون: (٣٥) مرحبًا بك في سلام ... ... والأعداء طُرحوا أرضًا أمام خيلك ... ... (٣٦) ... ... لنا أعمال شجاعة في قلوبنا ... ... (٣٧) مادين ... وسأخلص أهل قبيلتي و... ... (٣٨) ... ... ولم يفلت منهم واحد ليذهب إلى المدينة ... ... (٣٩) ... ... انتهت مدة حياتهم تحت ... ... (٤٠) ابن «رع» «رعمسيس الثالث» ... ... طرقهم ... ... (٤١) ... ... هزموا على أديمها ... (٤٢) ... ... الآلهة خلفهم طاردين ... ... (٤٣) ... ... النصر ليحبلوهم لجلالته مثل الطيور وأسلحته جزرت فيهم (٤٤) ... ... وخيله هجمت تدوس في وسطهم حتى إنهم انتهوا وقضي عليهم ضحية (٤٥) ... ... التفتوا نحو الآلهة والإلهات في عيد يُشاهدون ذبحهم. وكل الذين هربوا من تحت أسلحته قد طُرحوا أرضًا وجُدلوا ... ... مستنشقين النفس لخياشيمهم

ومختبئين وقد اقتربوا في ذلة في الـ (٤٧) ... ... وأجسامهم لا تعرف ... ... (٤٨) ... وأهل قبائلهم قد شُتتوا في الجبال (٤٩) وأُلقوا كالهشيم وقد سِيقوا في السلاسل أسرى وكذلك نساؤهم. وإن حرارة جلالته والرعب (٥٠) منه هو الذي جعلهم يطرحون أرضًا، وصيرهم أذلاء لمصر ملك الوجه القبلي والوجه البحري الثور المخيف، حاد القرنين، ذابح «التمحو» و«المشوش» بساعده الشجاع «وسرماعت رع مري آمون بن رع».

(٢) المناظر التي على جدران المعبد الخاص بحرب السنة الحادية عشرة

ترك «رعمسيس الثالث» عدَّة مناظر خاصة بحروبه الثانية التي شنها على اللوبيين غير أنها ليست أحيانًا صريحة واضحة كالتي تركها لنا عن حروبه الأولى.

وهاك أهم المناظر التي قد نفهم منها شيئًا:

(١) اللوحة ٦٢: «رعمسيس الثالث» واستعراض حاشيته:

يُشاهد «رعمسيس الثالث» في عربته يصحبه جنود من المصريين والأجانب، ورجال الحاشية يأخذون في السير على صوت البوق. وعلى الرغم من أن هذا المنظر ينذر بإعلان حرب فإن النقوش التي جاءت مفسرة أو تابعة له عامة لم تشعر بحرب خاصة، وهذا المنظر قد مثل على الجدار الغربي في نهايته الشرقية في الردهة الأولى.[٥٠]

(٢) اللوحة ٦٨: «رعمسيس الثالث» يشتبك مع «اللوبيين» في موقعة:

وقد مُثل هذا المنظر على البرج الشمالي للبوابة الأولى على الواجهة الغربية الصف الأسفل.[٥١]

ويُشاهد في أسفل هذا المنظر الجنود المصريون ينهون تشتيت شمل اللوبيين، وفي أعلى المنظر نرى «رعمسيس الثالث» وقد نزل من عربته ليربط أسيرين من اللوبيين، ويُلاحَظ أن معظم المتون المكتوبة فوق صورة الفرعون مقتبسة من المتن الكبير.

وقد كُتب فوق الأسرى ما يأتي:

الأجانب الذين استولى عليهم جلالته أسرى: ٢٠٥٢ أسيرًا، والذين قُتلوا في أماكنهم ٢١٧٥ قتيلًا.

(٣) اللوحة ٧٠ «رعمسيس الثالث» يقتفي أثر اللوبيين الفارين:[٥٢]

ويُرى فيه «رعمسيس الثالث» في عربته يطارد اللوبيين البائسين، ويساعده في هجومه جنوده المصريون مشاة وخيالة على السواء، وكذلك يُشاهد جنود مصريون في حصنين يفوِّقون سهامهم ويقذفون نشاشيبهم على العدو الهارب، وقد كُتب فوق الحصنين النقش التالي: «المجزرة التي أوقعها جلالته بالأعداء من أرض «المشوش» الذين أتوا إلى أرض مصر مبتدئين من بلدة «رعمسيس الثالث» التي على جبل «وب تا» (قرن الأرض) إلى بلدة «حوت شعت» (قرية الرمل) موقعًا بهم مذبحة تمتد ثمانية إتر (الإتر = ميلًا وربع ميل تقريبًا).» وقد حدد «جاردنر» موقع هاتين البلدتين في الشمال الغربي من الدلتا، والمسافة بينهما هي ثمانية إتر — أي حوالي عشرة أميال تقريبًا.[٥٣]

(٤) اللوحة ٧٢: «رعمسيس الثالث» يتابع مطاردة العدو الفار:

ويُشاهد «رعمسيس الثالث» في هذا المنظر في عربته يصحبه جنود مصريون وأجانب وموظفون مصريون وهو يطارد اللوبيين الفارين، وهذا المنظر يشبه المنظر السالف الذكر، غير أن النقوش المفسرة تختلف بعض الشيء؛ فيُلاحَظ أنه قد كُتب فوق الموقعة المجزرة التي أوقعها جلالته بالأعداء من بلاد «المشوش» الذين أتوا إلى مصر مبتدئين من بلدة «حوت شعت» حتى بلدة «وسرماعت رع مري آمون» التي على جبل «وب تا» وهي مذبحة تمتد ثمانية إتر، فيُلاحظ في هذا المتن أن ترتيب ذكر البلدين قد عُكس؛ فقد ذُكرت البلدة هنا باسم «وسرماعت رع مري آمون» بدلًا من اسمها «رعمسيس الثالث» في المتن السابق في اللوحة رقم (٧٠).[٥٤]

وقد قال «جاردنر»: إنه لا يمكننا تعليل هذا التغيير،[٥٥] غير أن «شادل» قد علل ذلك بقوله: إن اسم هذين البلدين واحد، ولكن غُيِّر من «رعمسيس الثالث» إلى «وسرماعت رع»[٥٦] لأسباب سنتحدث عنها عند الكلام على ورقة «هاريس».

(٥) اللوحة (٧٣): «رعمسيس الثالث» يسوق رؤساء اللوبيين أسرى:[٥٧]

يُشاهد في هذا المنظر «رعمسيس الثالث» ينزل من عربته ويجر لوبيين خلفه وهما اللذان كانا مكبلين في المنظر الذي على اللوحة رقم (٦٨).

(٦) اللوحة (٧٤): «رعمسيس الثالث» يستعرض ثلاثة صفوف من المسجونين الذين يقودهم ضباط مصريون:

وفي هذا المنظر نجد الفرعون يخاطب ولي عهده بوصفه الكاتب الملكي الأعلى للجيش، ليبلغ عن رأيه في الأعداء المقهورين.

(٧) اللوحة (٧٥): «رعمسيس الثالث» يستعرض الأسرى اللوبيين والغنائم:

وهنا نشاهد ولي العهد والوزيرين يقدمون «لرعمسيس الثالث» الأسرى والغنائم التي استولى عليها في الحرب اللوبية الثانية. ويُرى الملك واقفًا على منصته وفي حضرته موظفوه، كما يُرى الكتاب يسجلون عدد كومة من أعضاء الإكثار والأيدي المقطوعة.

ويُلاحَظ أن الضباط المصريين يقودون الأسرى، ويحمل بعضهم الغنائم التي استُولي عليها منهم. وكُتب فوق هذا المنظر تفصيل للغنائم التي استُولي عليها، ولما كانت من الأهمية بمكان فإنا سنوردها هنا وبخاصة لأنها تدل — على ما يظهر — على أن المهاجمين كانوا يريدون الاستيطان في مصر.

مجموع الأيدي المقطوعة ٢١٧٥.

الغنيمة التي استولى عليها سيف الفرعون البتار من المشوش الخاسئين:

	عدد	
رئيس «المشوش»	١	
العظماء من الأعداء	٥	(رجال)؟
بعض الرؤساء (؟)	٥	
رجال من «المشوش»	١٢٠٠	
الشبان	١٥٢	
أولاد	١٣١	
فيكون المجموع	١٤٩٤	

نساؤهم	٣٤٢	امرأة
عذارى	٦٥	
بنات	١٥١	

فيكون المجموع الذي استولى عليه سيف جلالته البتار من الأشخاص المختلفين = ٢٠٥٢.

«المشوش» الذين ذبحهم جلالته في أماكنهم ٢١٧٥ رجلًا وسلعهم وقطعانهم ... ١٢٩ + س، وسيوف طول الواحد منها أربع أذرع عددها ١١٦ سيفًا، وسيوف طول الواحد منها ثلاث أذرع وعددها = ١٢٣، وأقواس عددها = ٦٠٣، وعربات عددها = ٩٢ ... ... وكنانات عددها = ٢٣١٠، وعمد عربات عددها = ٩٢، وأزواج خيل عربات وحمير عددها = ١٨٤.

وفوق الصف الأسفل من المنظر:

مجموع أعضاء التكاثر ٢١٧٥.

الحيوانات التي استولى عليها سيف جلالته البتار من «المشوش» الخاسئين، وهي التي أُضيفت إلى القطعان التي قررها جلالته من جديد لوالد «آمون رع» ملك الآلهة:

	عدد
ثيران	١٠٥
ثيران طويلة القرون	١٢٢
ثيران مخصية	٧٥ (؟)
عجول عمرها سنة	٩١
عجول	٦١
بقرات	٤٢٠
عجلات بقر	١٢٢

	عدد
عجلات سنها سنة	١٥٢
عجلات بقر	١٦١
مجموع الماشية	١٣٠٩
حمير	٤٦٤
ماعز	٣٤٣٦
غنم	٢٣١٢٨
مجموع الحيوانات المختلفة	٢٨٣٣٧
ماعز	٥٧٠٠
غنم	٥٨٠٠

مجموع الحيوانات التي أُحضرت معه:

ماشية	٣٦٠٩
خيل	١٨٤
مجموع الحيوانات التي استولى عليها سيف الفرعون البتار	٤٢٧٢١

حمير	٨٦٤
ماعز	٩١٣٦
غنم	٢٨٩٢٨ (؟)
مجموع الحيوانات التي استولى عليها سيف الفرعون البتار	٤٢٧٢١

وإذا وازنا بين عدد الحيوانات التي استولى عليها الإله «آمون» وما استولى عليه الملك على ما يظهر نجد أن «آمون» استولى على ثلاثة أثمان مجموع الماشية ولم يستولِ على شيء من الخيل، وعلى ثلاثة أثمان الحمير وأربعة أخماس الماعز — لأنها كانت مقدسة له — وعلى ثلثي كل الحيوانات، والباقي على ما يظهر كان يستولي عليه الفرعون.

(٨) اللوحة (٧٧): «رعمسيس الثالث» يعود حاملًا لواء النصر من حملة لوبيا:

فيُشاهد هنا «رعمسيس الثالث» يسوق أمام عربته صفين من الأسرى اللوبيين ويحيي الفرعون طائفة من الكهنة يحملون في أيديهم طاقات الأزهار الرسمية، وقد رحب به الكهنة بكلمات مدح وثناء، وهذا المنظر يذكرنا بمنظر «سيتي الأول» عندما عاد من حملته في «سوريا» واستقبله عظماء القوم عند الحدود بطاقات الأزهار في أيديهم (راجع ج٦ مصر القديمة).

(٩) اللوحة (٧٨): «رعمسيس الثالث» يقدم الأسرى اللوبيين للإلهين «أمون» وزوجه «موت».[٥٨]

(٣) ملخصي الحرب اللوبية الثانية

لم تكن الهزيمة التي لحقت باللوبيين في العام الخامس على يد «رعمسيس الثالث» في آخر حرب نشبت بين «لوبيا» و«مصر»، بل جاءت على أعقابها حرب أخرى في السنة الحادية عشرة من

عهد هذا الفرعون، ولم يكن الموقد لنارها هذه المرة هم اللوبيون وحدهم بل كان العامل الأكبر في إشعالها قوم «المشوش» الذين نزحوا من شمال أفريقيا يطلبون العيش الناعم في أرض مصر التي عرفوا خيراتها منذ زمن طويل يرجع إلى عهد «رعمسيس الثاني».[٥٩]

وتدل شواهد الأحوال على أن أمير المشوش المسمى «مشاشار» بن «كبر» قد أفلح في عقد حلف مع بعض قبائل من اللوبيين لم يذكر اسمها في المتون وقام بغارة جبارة على الأراضي المصرية، فانقضوا أولًا على أهالي «تحنو» وهم أهالي لوبيا الأصليون القاطنون في صحراء غربي الدلتا مباشرة، وبعد إخضاعهم تمامًا قاموا بحملتهم على الديار المصرية، ولذلك يقول المتن المصري:

> وكان رئيس المشوش سابقًا قد أتى مهاجرًا ومعه أهله، وانقضوا على بلاد «تحنو» الذين أصبحوا رمادًا، فقد خربت مدنهم وأصبحت قفرًا، ولم يعد لبذرتهم وجود.

والمقصود «بالتحنو» هنا كما يقول «هولشر»[٦٠] هم اللوبيون كما جاء في السطر السادس والأربعين من المتن الكبير:

> لقد تسبب اللوبيون في ارتباكنا وارتباكهم؛ لأننا أصغينا إلى نصيحتهم.

وبذلك نسبوا الهزيمة التي حاقت بهم في حروبهم مع مصر إلى هؤلاء القوم من اللوبيين. وقد كان غرضهم الأول هو أن يتخذوا البلاد المصرية وطنًا لهم.

والواقع أن «المشوش» وأنصارهم قد أخذوا يزحفون على البلاد المصرية حتى ضواحي «منف»، وتدل الغنائم التي حصل عليها «رعمسيس الثالث» على أن هؤلاء لم يكونوا من الأقوام الهمج، بل كانوا مسلحين بأحسن الأسلحة ومجهزين بأمتن العدد، فقد كانت سيوفهم عظيمة يبلغ طول الواحد منها أربع أذرع وثلاث أذرع، وكانوا كذلك مسلحين بالأقواس والعربات والكنانات والخيل والحمير لحمل الأثقال، ولذلك نجد أن «رعمسيس الثالث» أخذ يستعد لمنازلتهم، فنشاهده في أحد المناظر يتأهب للمسير مع جنوده من المصريين والأجانب عند سماع بوق إعلان الحرب. ثم سار

بجيشه لمقابلة العدو في موقعة دارت رحاها في اليوم ... عشر من الشهر الرابع من فصل الحصاد «مري» في المكان الواقع بين الحصن المسمى «حوت شعت» (جبل الرمل) والبلدة المسماة «رعمسيس الثالث»، وقد خلف لنا «رعمسيس الثالث» على جدران معبد مدينة «هابو» القصيدة التي دونها بعد هذه الحرب احتفالًا بالنصر الذي أحرزه على العدو، وقد دُونت بعد نشوب الموقعة بنحو ستة أشهر، وتؤرخ باليوم الثامن من الشهر الثاني من فصل الزرع — الثامن من أمشير.

والظاهر أنها أُرِّخت خطأ بالسنة الحادية عشرة، وبذلك يمكن اعتبارها قصيدة كُتبت بمناسبة الاحتفال بالنصر الذي أحرزه «رعمسيس»،[٦١] وليس في استطاعتنا تحديد موقع المكانين اللذين حدثت فيهما — أو بينهما — الحرب على «المشوش» بصفة قاطعة الآن على الأقل.

وقد وصل إلينا وصف مكان هذه الموقعة في متنين صغيرين في النقوش التي على جدران المعبد، جاء في الأول:

> المجزرة التي أجراها جلالته بين الأعداء الذين جاءوا من أرض «المشوش» إلى مصر مبتدئين ببلدة «رعمسيس الثالث» التي تقع على جبل «وب تا» (بداية الأرض) إلى قرية «حوت شعت» (قرية الرمل) موقعا مذبحة طولها ثمانية «إتر» (نحو عشرة أميال).

وجاء في المتن الثاني:

> المجزرة التي أجراها جلالته بين الأعداء من بلاد «المشوش» الذين هاجموا مصر من قرية «حوت شعت» حتى مدينة «وسرماعت مري آمون» التي تقع على جبل «وب تا» موقعا مذبحة طولها ثمانية «إتر» (نحو عشرة أميال).

وأول ما يُلاحظ في هذين المتنين أنه استعمل في اسم المدينة المسماة باسمه، اسمه في الأولى ولقبه في الثانية. على أنه لا يوجد في التسامح والحرية التي استُعملت في هذه التسمية ما يدعونا إلى

توحيد هذه المدينة المزدوجة الاسم بالمدينة المسماة «بروسرماعت رع مري آمون» التي جاء ذكرها في «ورقة هاريس»،[٦٢] ويُحتمل أن في تغيير الاسم في هذين المتنين ما يدعو إلى الظن بأن الموقعة لم تقع في أحد البلدين، بل وقعت في البقعة التي بينهما. ولم تحدثنا المتون بشيء عن اقتفاء أثر العدو من أحد الحصنين إلى الآخر. والمحتمل جدًّا[٦٣] أن المصريين قد حصروا الغزاة بين هذين البلدين وأصلوهم بسهامهم وابلًا من المقذوفات كلما أرادوا الارتداد من حصنٍ إلى آخر. هذا فضلًا عن قتال الجيش للعدو في البقعة التي تقع بين هذين المكانين، ولا بد أن العدو في نهاية الأمر قد اضطر إلى التسليم. ونرى في الصور التي تركها لنا «رعمسيس الثالث» اقتفاءه أثر العدو في عربته يساعده في هجومه المشاة والخيالة، كما نشاهد الجنود المصريين في الحصنين السالفي الذكر يرسلون وابلًا من السهام على «المشوش». وقد حدد «جاردنر» موقعهما في غربي الدلتا. وقد اشترك «رعمسيس الثالث» في هذه الموقعة على الرغم من أن ابنه كان هو القائد الأعلى للجيش، إذ نشاهده يسوق الأسرى بنفسه، كما نراه ينزل من عربته، ويكبل لوبيين ويجرهما خلفه، وفي نهاية الموقعة يستعرض «رعمسيس» صفوف الأسرى ويخاطب الرئيس الأعلى للجيش ويحدثه عن رأيه في الأعداء المقهورين، كما نشاهده في منظر آخر يستعرض الأسرى والغنائم، معًا يقدمهم له ولي العهد والوزيران. ويُلاحَظ أن القواد المصريين قد أجبروا الأسرى على حمل الغنائم وتقديمها.

وقد كان عدد القتلى نحو ٢١٧٥، وكانوا يُحصون إما بعدد الأيدي المقطوعة أو بعدد أعضاء الإكثار المبتورة، كما كانت العادة في الحروب المصرية. أما عدد الأسرى فقد بلغ ٢٠٥٢ نفسًا من بينهم رئيس «المشوش» نفسه «مشاشار»، ومن بينهم النساء والعذارى والأطفال أيضًا. أما الغنائم فكانت كثيرة، وتشمل أسلحة وعربات كما ذُكر ذلك من قبل.

أما الماشية فكان عددها عظيمًا جدًّا بلغ ٤٢٧٢ رأسًا، وتشمل ثيرانًا، وأبقارًا من مختلف الأنواع والأعمار، وماعزًا وغنمًا. وقد أهدى الفرعون الجزء الأعظم منها للإله «آمون» الذي آزره في

ساحة القتال، وقد بلغ ما قدمه له من الحيوان حوالي الثلثين مما يدل على عظم شأن «آمون» وكهنته.

وبعد هذا النصر المبين في ساحة القتال نشاهد الفرعون «رعمسيس الثالث» عائدًا من ساحة المعركة يسوق صفوف الأسرى، وقد استقبله الكهنة يحملون طاقات الأزهار، ويحيون الفرعون بآيات المديح والثناء على ذلك الانتصار الباهر، وبعد ذلك نشاهد الفرعون يقدم الأسرى للإلهين «آمون» و«موت» ليكونوا عبيدًا لهما في معبديهما وضياعهما.

ومما تجدر ملاحظته هنا أن المتون المصرية يُفهم مما جاء فيها من تعداد الأسرى والأطفال والنساء والماشية والحيوانات المنزلية، أن أهل المشوش كانوا يقصدون بغزوتهم هذه هجرة شاملة لسكنى مصر.

ولم يَحِنْ الوقت بعد لأن نحدد القوى الاقتصادية وغيرها، التي كانت تنطوي عليها غزوة «المشوش» لبلاد مصر، غير أنه من المؤكد أنها كانت ذات علاقة بعدم الاستقرار في كل أنحاء البلاد الواقعة في شرق البحر الأبيض المتوسط في هذا الوقت، وبخاصة موجات الغزو التي كان أقوام البحر يقومون بها من جهة، وتحطيم دولة «خيتا» وحصار «طروادة» ومحاولة اللوبيين فيما سبق استيطان مصر من جهة أخرى.

وخلاصة القول أن نتيجة هذه الهجمة العنيفة التي قام بها «كبر» وابنه «مشاشار» الهزيمة الساحقة، وقد أتى «كبر» يرجو الفرعون العفو عن ابنه، وكان الجواب على هذا الرجاء القبض عليه، ثم قتله هو بسيف الفرعون وأسر جيشه. وهكذا كانت نهاية هذه الحرب الضروس في صالح المصريين لوقت ما؛ إذ سنرى بعد أن هؤلاء «المشوش» أنفسهم وسيعودون كرة أخرى لفتح مصر وتكوين دولة فيها.

(٥-٢) الحروب الأخرى التي شنها «رعمسيس الثالث» على الآسيويين

لدينا غير مناظر الحروب التي تمثل لنا انتصارات «رعمسيس الثالث» على «أقوام البحار» مناظر أخرى على جدران معبد مدينة «هابو» عديدة، ليس لها تواريخ معينة. والظاهر أن الغزوات التي توالت من «آسيا الصغرى» قد حطمت أقوام شمال «سوريا»، وقد انتهز «رعمسيس الثالث» هذه الفرصة ليغزوها، فكان أول ما قصد مدينة «أرزاوا Arzawa»؛[٦٤] فيُشاهد «رعمسيس الثالث» في عربته يتبعه مشاة من المصريين يهاجم حصنين، وقد أمطرهما الفرعون وابلًا من السهام، ولم يلبث أن أخذ جنود «خيتا» المدافعون يختل ميزانهم، وتسود صفوفهم الفوضى التامة، ويُشاهد الجنود المصريون وقد دخلوا الحصن الأعلى من القلعة، وقد قُذِفت أبوابه من أعلى، وبعد ذلك يُرى أحد رجال «خيتا» يرفع في يده موقدًا رمزًا للخضوع والتسليم، وقد كُتب على الحصن الأسفل: «مدينة أرزاوا».

(أ) «رعمسيس الثالث» يهاجم مدينة «تونب»[٦٥]

يُشاهد «رعمسيس الثالث» في عربته واقفًا بسيفه مشهرًا يهاجم — بمساعدة رماة من المصريين، ومن مشاة «الشردانا» — مدينة محصنة، ويُلاحَظ أن الفرعون كان يضرب شخصية عظيمة من الأعداء، ويُرى الجنود المصريون وهم يقطعون الأشجار التي حول المدينة، ويحطمون البوابة، ويتسلقون سلالم منصوبة على الجدران، ولكن عندما رفع جندي سوري موقدًا — وهو رمز التسليم — نفخ جندي مصري في البوق علامة على إحراز النصر، وقد كُتب تحت الحصن: «تونب» الخبيثة.[٦٦]

وفي منظر آخر يُشاهد «رعمسيس» يهاجم حصنًا سوريًّا،[٦٧] فينزل من عربته ويهاجم الحصن، في حين أن حرسه وأتباعه ينتظرون خلفه، ولا يمضي طويل زمن حتى نرى السوريين يسلمون. وبعد هذا النصر يُرى «رعمسيس» يستعرض الأسرى السوريين في ثلاثة صفوف، يقدمهم له الضباط المصريون بقيادة ولي العهد،[٦٨] ثم يعود «رعمسيس» بعد هذه الحروب حاملًا لواء النصر

من «سوريا»، فيُرى في عربته سائقًا أمامه صفين من الأسرى الآسيويين،[٦٩] وبعد ذلك نراه في منظر آخر يقدم أسراره وغنائمه للإلهين «آمون» و«خنسو» اللذين كانا في محراب. ومن الغنائم التي يقدمها الفرعون أوان دقيقة الصنع.

(ب) حروب «رعمسيس» في بلاد الآموريين

والظاهر أن «رعمسيس» قام بحملة ثانية لمحاربة «الآموريين» إذ نشاهده في منظر ينزل من عربته ويهاجم حصنًا وهو على قدميه، يساعده في ذلك جنود من المصريين ومن «الشردانا» الأجانب، ثم يُلاحَظ أن السوريين قد نكسوا حرابهم، وفي آن واحد رفع أحدهم الموقد علامة على الاستسلام،[٧٠] وقد كُتب على الحصن المتن التالي:

> كلام نطق به رئيس بلدة «آمور» الخاسئ وأهل قبيلته في حضرة الحاكم الطيب، مثل «منتو»: «امنحنا النفس الذي تهبه حتى نستطيع تنفسه عند التحدث بشهرتك، لابن ابننا، وذكراك …»

وبعد ذلك نرى «رعمسيس» يحتفل بانتصاره هذا على السوريين.[٧١] فنشاهده يقف على منصة يحيط به أتباعه، ثم تُعرض عليه ثلاثة صفوف من الأسرى الآسيويين يقدمهم له ولي العهد وموظفون مصريون، وقد تكلم الفرعون وأجابه الموظفون بالعبارات الاصطلاحية المألوفة. وقد نُقش فوق صورة ولي العهد ألقابه وهي: «ولي العهد، والكاتب الملكي، والقائد الأعلى للجيش».[٧٢] وهو الذي أصبح — فيما بعد — «رعمسيس الرابع».

وأخيرًا نجد «رعمسيس الثالث» في نهاية هذه الحروب كلها يقدم لثالوث «طيبة» أسرى يمثلون الحملات التي قام بها في بلاد «لوبيا» و«آسيا»، وعندئذ يخاطبه ثالوث «طيبة» بكلمات طيبة، ثم يرد عليهم الفرعون معترفًا لهم بالجميل، وبأنهم هم الذين ناصروه وأعزوه حتى استولى على كل هذه البلاد؛ ومن أجل ذلك يقدم لهم كل ما غنمه ويقول مخاطبًا «آمون»:

لقد استوليت على أهليهم وكل ممتلكاتهم، وكل حجر غالٍ فاخر في بلادهم أضعه أمامك يا سيد الآلهة، فهب من تحب! ليتك تعطي تاسوعك مثل ذلك، وإنها قوة ساعدك التي استولت عليهم، فالذكور منهم يعملون في مخازنك، ونساؤهم يَكُنَّ إماء لمعبدك، وإنك قد جعلتني أمد حدودي إلى حيث شئت، دون معارضة في أي أرض ... الخ.[٧٣]

وبعد تقديم هؤلاء الأسرى نرى «رعمسيس الثالث» في آخر الأمر يضحي برؤساء كل الممالك التي تغلب عليها أمام الإله «آمون».[٧٤]

وهنا نشاهده وهو يذبح أسرى من أجناس مختلفة أمام «آمون» الذي يمد له السيف، في حين نرى إلهة مقاطعة «طيبة» تقود له خمسة وعشرين ومائة إقليم أجنبي، يُرمز لكل منها بطغراء فيه اسم الإقليم، كأنه أسير في عنقه الأغلال.[٧٥]

وإذا صدَّقنا ما جاء في هذه القائمة عن البلاد التي فتحها، أو أخضعها «رعمسيس الثالث»، فإن الجيش المصري يكون قد وصل في فتوحه حتى «نهر الفرات»، غير أننا نشاهد على هذه القائمة أقوامًا قد اختفوا منذ زمن بعيد، مما يدل على أنها نُسخت من قوائم قديمة، وبخاصة قوائم «رعمسيس الثاني» الذي كان يريد سميه «رعمسيس الثالث» أن يقلده في كل شيء، وكذلك من قوائم الفاتح العظيم «تحتمس الثالث»؛ ولذلك يجب أن ننظر إلى ما في هذه القوائم بكثير من الحذر والتدقيق؛ إذ لا نعلم حتى في إقليم «الأرنت» إذا كان المصريون قد أمكنهم المحافظة عليه أم لا، ويُخيل إلينا أن الغرض الأساسي الذي من أجله قام «رعمسيس الثالث» بحملته على بلاد «سوريا» وبلاد «آمور»، هو خوفه من التعدي على أملاكه في بلاد «فلسطين»، التي كانت مرتبطة بمصر ارتباطًا وثيقًا منذ أقدم عهود التاريخ المصري، وحتى بلاد «فلسطين» نفسها كادت تفلت من أيدي المصريين؛ لأن كل الإقليم الساحلي قد احتله الفلسطينيون الذين وفدوا مع «أقوام البحار»، واحتلوا هذا الجزء من ساحل «البحر الأبيض المتوسط»، ولكن يدل ما لدينا من آثار

على أنه كان في مقدور مصر أن تستمر في سيطرتها على بلاد «كنعان»، في عهد الملوك الذين خلفوا «رعمسيس الثالث» مدة ما. ولا أدل على ذلك من الكشوف التي عُملت في «مجدو» حديثًا؛ إذ وُجد فيها قاعدة تمثال للفرعون «رعمسيس السادس».[٧٦]

ومما يلفت النظر في هذه الحروب الأخيرة التي شنها «رعمسيس الثالث» على «آسيا» بعد حربه مع بلاد «لوبيا» في السنة الحادية عشرة من حكمه؛ أننا لم نجد في النقوش ما يؤكد لنا بصفة قاطعة تواريخ تدل على أن هذه الحروب قد وقعت بعد الحرب اللوبية الثانية، غير أن شواهد الأحوال تشعر بذلك، وبخاصة ترتيب المناظر التي تركها «رعمسيس الثالث» على جدران معبد مدينة «هابو»؛ لأنها كانت قد نُقشت — على ما يظهر — على حسب ترتيبها التاريخي، كما فعل من قبله «سيتي الأول» في نقوشه التي على جدران معبد «الكرنك» (راجع الجزء السادس من مصر القديمة)، على أنه من الجائز جدًّا أن «رعمسيس» لم يقم بهذه الحروب إلا بعد القضاء على «أقوام البحار» من جهة الشمال، والقضاء على إغارة «اللوبيين» وأقوامهم في الغرب، وإلا لكان قد عرَّض بلاده نفسها لخطر ساحق من جهة «لوبيا» إذا كان قد قام بحرب للغزو والفتح في «آسيا» مع وجود أهل «لوبيا» شوكة لظهره في الغرب.

وعلى أية حال فإن موضوع تاريخ هذه الحروب لا يزال يكتنفه بعض الغموض.

(ج) قصيدة بركات «بتاح»[٧٧]

لم يقتصر «رعمسيس الثالث» على تقديم الأسرى «لثالوث طيبة»، بل نراه في مكان آخر يقدم أسرى من مختلف البلاد التي استولى عليها، أو يدعي أنه استولى عليها للإله «بتاح» أكبر آلهة «منف» عاصمة البلاد القديمة، وقد قاد هؤلاء الأسرى في مجموعة من الأفراد كل منهم يمثل الإقليم الذي أتى منه؛ ومن أجل ذلك نجد الإله «بتاح تاتنن» يلقي خطابًا طويلًا شعريًّا يقرر له فيه

الحياة الطويلة، والحكم المثمر، ثم يرد عليه الملك مجيبًا إياه بوعود عظيمة له. وهذه القصيدة قد دوَّنها «رعمسيس الثاني» لنا بصورة تختلف كثيرًا عن التي نحن بصددها.

والواقع أن الروايتين — على ما يظهر — قد أُخذتا من مصدر ثالث أصلي «منفي» على أية حال (راجع الجزء السادس من مصر القديمة). والقصيدة التي نُقشت على جدران معبد مدينة «هابو» كما هي، تحوي أخطاء كثيرة، ولكنها كُتبت من وجهة نظر «رعمسيس الثالث»؛ ولذلك نجد فيها بعض التغيير، وقد دوَّنها في السنة الثانية عشرة من حكمه، أي بعد فراغه من الحروب التي أخذ على عاتقه القيام بها، وهي التي اضطرته الأحوال العالمية في عصره إلى خوض غمارها. وقبل إثبات نصها هنا نأتي بملخص قصير عنها:

(١) التاريخ ومقدمة (من سطر ١–٣).

(٢) خطاب موجه للملك (من سطر ٣–٣٩):

(أ) الاعتراف بالملك بوصفه ابن الإله (من سطر ٣–٥).

(ب) الابتهاج بولادة الملك (من سطر ٥–٩).

(جـ) هدايا «بتاح» للملك المولود حديثًا (من سطر ١٠–١٣).

(د) «رعمسيس» يمنح الملكية (من سطر ١٣-١٤).

(هـ) الوعد بسعة الرزق (من سطر ١٤–٢٠).

(و) الوعد بالكثرة في المباني (من سطر ٢٠–٢٣).

(ز) العاصمة والوعد بالأعياد الثلاثينية والأعياد والحياة الطويلة (من سطر ٢٣–٢٨).

(ح) الوعد بالنصر والأسرى (من سطر ٢٨–٣١).

(ط) الوعد بالإمبراطورية (من سطر ٣١–٣٥).

(ي) كل الأرض تابعة لرعمسيس (من سطر ٣٥–٣٩).

(٣) جواب «رعمسيس الثالث»: (من سطر ٤٠–٥٤).

(أ) الاعتراف بدينه البنوي (من سطر ٤٠–٤٤).

(ب) مباني معبد مدينة «هابو» وتموينه من أجل الإله «بتاح تاتنن» (من سطر ٤٤–٥٤).

وهاك النص:

السنة الثانية عشرة في عهد جلالة «حور» الثور القوي، عظيم الملك، محبوب الإلهتين، كثير الأعياد الثلاثينية مثل «تاتنن»، «حور» الذهبي، الكثير السنين مثل «آتوم» الملك حامي مصر، وغال الممالك الأجنبية، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين: (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع» رب التيجان: «رعمسيس الثالث».

خطاب وجهه «بتاح تاتنن» والد الآلهة، إلى ابنه ومحبوبه من صلبه، وهو إله مقدس، كثير الحب، كثير في أعياده الثلاثينية مثل «تاتنن» ملك الوجه القبلي والوجه البحري، سيد الأرضين: (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع» رب التيجان: «رعمسيس الثالث».

إني والدك، وقد أنجبتك، فجميع جسمك من الآلهة، لأني قد تقمصت صورة (٤) الكبش، رب «منديس»، وعاشرت والدتك الفاخرة؛ لكي أصور شكلك مثل ... ... لأني أعرف أنك حامي، ومؤدي النعم لحضرتي، ولقد أنجبتك مشرقًا مثل «رع»، ورفعتك أمام الآلهة لتكون ملك الوجه القبلي والوجه البحري: (وسرماعت رع مري آمون): ابن «رع»: «رعمسيس الثالث». وإن رفاق (؟) «بتاح» مبتهجون، وآلهة والدتك «مسخنت» متمتعة

بالسرور، والمبجلات التابعات لبيت «بتاح» و«حتحور» بيت «آتوم» في عيد. وقلوبهن فرحة، وأيديهن تحمل الدفوف مبتهجات عندما يرين طلعتك البهية، وإن حبك مثل حب جلالة «رع» والآلهة والإلهات يتمدحون بجمالك مثنين ومقربين القربان لحضرتك، ويقولون لي: إنك والدنا المبجل، وإنك قد أنجبت لنا إلهًا مثل نفسك، ملك الوجه القبلي والوجه البحري: (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع»: «رعمسيس الثالث».

(١٠) وعندما شاهدتك انشرح قلبي، وطوَّقتك في حضني الذهبي، وأحطتك بالحياة والرضا، وحبوتك بالصحة والسرور، (١١) وأشربتك الغبطة وفرح القلب، والبشر والرفعة، وجعلت محياك قدسيًّا مثلي، لأني اخترتك. (١٢) فطنًا مهيئًا، ولبك مدرك، ونطقك ممتاز، ولا يوجد شيء لا تعرفه؛ لأنك ماهر في نصائح الحياة، وعلى ذلك فإنك تجعل عامة الشعب يعيشون بتدابيرك، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع» «رعمسيس الثالث».

لقد جعلتك ملك السرمدية، وحاكمًا باقيًا أبدًا، وسويت جسمك من ذهب، وهذه (١٤) الإلهة قد ظهرت مثبتة على رأسك، ومنحتك وظيفتي الإلهية، وبذلك تحكم الأرضين ملكًا على الوجه القبلي والبحري.

ومنحتك فيضانات حاملة الميرة لتغدق على هذه الأرض الثراء والطعام والرزق، وبذلك تغمر المياه هذه الأرض في حضرتك، والصيد يوجد في كل مكان تمشي فيه. ولقد منحتك الحب والحصاد (١٦) لتمير مصر، والحبوب هناك تكون كرمال الشاطئ، ومخازن غلالهم تبلغ عنان السماء ارتفاعًا. وأكوامها كالجبال، والفرح والرضا يعمان (١٦) برؤيتها والطعام والأعياد في جوارك نفسه، وهذه الأرض (١٧) بمناصرتك لها، ومنحتك السماء وموجوداتها. و«جب» (إله الأرض) يقدم لك ما فيها، ومستنقعات الطير

تقود لك سكان السموات، و«سخات حور» (البقرة المقدسة أم حور) تحمل رزق أرواح «رع» الأربعة عشرة، وإني وضعتها بجوارك. وإنك تفتح كل فم لتغني من تريد مثل والدك «خنوم» الحي، لتحبو الشجاعة والنصر حكمك مثل (حكم) «رع» عندما حكم الأرضين، ملك الوجه القبلي والوجه البحري: (وسرماعت رع مري آمون) بن «رع»: «رعمسيس الثالث».

وإني أجعل الجبال تخرج لك آثارًا ضخمة قوية، وأن يجلب لك كل حجر ثمين، وكل معدن جميل. وأجعل كل قلب مفيدًا لك بأعمالهم في كل حرفة قيمة، وكل ما يمشي على اثنتين أو على أربع، وكل ما يطير ويرفرف. ولقد جعلت قلب أهل كل أرض يقدمون لك أعمالهم بأنفسهم، والعظيم والصغير على السواء يؤدون منافع لحضرتك، ملك الوجه القبلي والوجه البحري: (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع» (٢٣) «رعمسيس الثالث».

وقد أُقيم لك مقر عظيم شريف لتقوِّي حدود مصر: بيت «رعمسيس الثالث» الكثير الخيرات لمصر (٢٤) وإنه ممكن على الأرض مثل عمد السماء، وجلالتك ثاوٍ في قصره، وأقمت مدنًا مسورة فيها مكان لسكناي؛ لتستطيع الاحتفال بالأعياد الثلاثينية (٢٥) التي احتفلت بها فيها. وإني سأعقد (على رأسي) تيجانك بيدي عندما تظهر على عرشك المزدوج، والآلهة والناس فرحون (٢٦) باسمك عندما تشرق في الأعياد الثلاثينية مثلي. وإنك تسوي الصورة وتبني محاريبها كما فعلت في الزمن الأزلي (٢٧) وإني منحتك سني أعيادي الثلاثينية، وحكمي، وسكني، وعرشي، وإني أمد جسمك بالحياة الطيبة، وحمايتي السحرية تحيطك بمثابة (٢٨) تعويذة وإني أعضدك وبذلك تصبح كل أرض في خوف منك في حين أن مصر مفعمة بجمالك، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وسرماعت رع مري آمون) ابن الشمس «رعمسيس الثالث».

ومنحتك شجاعة ونصرًا، (٢٩) وقوتك في قلوب «الأقواس»، وإني أرسل الرعب في الأراضي من أجلك، والآسيويون تحت قدميك أبد الآبدين، وإنك تشرف يوميًّا (٣٠) ليقدم لك أسرى يديك. ورؤساء كل الممالك تقدم لك أطفالها أمامك، وإني أسلمهم لك جميعًا (٣١) في قبضتك لتفعل ما تشاء بهم، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع»: «رعمسيس الثالث».

إني أضع الرهبة منك أمام الأرضين في حين أن حبك يملأ (٣٢) وجوههم، وإني صوت نذير حربك في الممالك الثائرة في حين أن الخوف منك يحيط بالجبال، والرؤساء يرتعدون فرقًا عند مجرد ذكرك، وهناك تسود (٣٣) مقمعتك فوق رءوسهم، وإنهم يأتون إليك بصوت واحد راجين الصلح من حضرتك، وإنك تجعل من تشاء يحيا وتذبح من تريد، تأمل! إن عرش (٣٤) كل أرض تحت سلطانك، وإني أجعل المعجزات العظيمة تحدث لك، وكل حالة طيبة تصيبك، والأراضي في عهدك في حبور، (٣٥) ومصر تفرح عند طلعتك، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع»: «رعمسيس الثالث». وإني أتحرك[٧٨] (؟) وأعدك بالشجاعة والنصر، والرؤساء (٣٦) والأشراف يساعدونك. والسماء والأرض قد اهتزتا بالفرح، ومن فيهما في سرور بما أُوتيت. أما الجبال والمياه والجدران، وما على الأرض من أشياء فإنها تهتز (٣٧) عند اسمك المنتصر، وذلك عندما ترى القرار الذي قررته، فكل أرض عبيد لقصرك، وإني قد عرفتهم أن (٣٨) يقدموا أنفسهم شخصيًّا في خضوع لحضرتك حاملين جزيتهم، وما سلبه رؤساؤهم وسلعهم بمثابة إتاوة لشهرة (٣٩) جلالتك، وأولادهم وبناتهم عبيد لقصرك ليطمئنوا قلبك مثل ما طمأنوا قلب «رع»، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وسرماعت رع مري آمون) بن «رع»: «رعمسيس الثالث».

(٤٠) كلمات قالها الملك المقدس رب الأرضين، صاحب صورة «خبري» الذي خرج من جسم إله، ومن أنجبه «بتاح تاتنن» سيد الأرضين (وسرماعت رع مري آمون) في حضرة (٤١) والده الذي خرج منه «تنن» والد الآلهة: إني ابنك، ولقد وضعتني على عرشك، في حين أنك أوصيت لي بحكمك، ولقد سويتني (٤٢) في صورة تشبهك؛ في حين أنك منحتني ما خلقت، وجعلتني السيد الأوحد كما كنت لتوطد مصر في (٤٣) حالتها الطبيعية، وإني أسوي الآلهة الذين خرجوا إلى الوجود من جسمك في صورهم وأجسامهم وألوانهم، وقد جهزت لهم (٤٤) مصر على حسب رغبتهم، وبنيتها بـ ... ... والمعابد.

وجعلت معابدك عظيمة على الجبل «سيد الحياة» (اسم لمدينة هابو) وأقمتها بكل عمل ممتاز (٤٥) فأبوابها كانت ... من الذهب الجميل، والزخرف من كل حجر شريف غالٍ، وردهتها ... مثل أفق «رع» مشرق (٤٦) ... عند الفجر ... الناس عند طلعتك ... يفرحون بوجهك الجميل. وإني قد سويت صورك المقدسة (٤٧) التي تثوي في وسطها، وأمددتها بكهنة وخدم آلهة، وبعبيد وحقول وماشية (٤٨) مزيدًا بذلك القرب الإلهية، ومفعمها بالمؤن. وضاعفت لك الأعياد فضلًا عما كانت عليه من قبل لأجعل محرابك في عيد ثانية (٤٩) ... لروحك، أما شحمها فقد وصل إلى عنان السماء، حتى إن الذين في السماء قد تسلموه ... (٥٠) ... الذي عملته لك ... (٥١) ... بنبات أخضر نضر ... لك كل يوم. وقلبي يقدم (٥٢) ... في قوتك أي وإنك في السماء وعلى الأرض، ... (٥٣) وإنك تعطيني حكمًا رفيعًا وانتصارات عظيمة لساعدي، وعلى ذلك فإن كل البلاد تحت قدمي، ومصر ... (٥٤) ملك الوجه القبلي والوجه البحري، سيد الأرضين، حاكم مصر العظيم، وسيد كل بلد أجنبي: (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع» من جسمه، محبوبه، سيد التيجان: «رعمسيس الثالث» معطي الحياة مثل «رع» أبديًّا.

(٣) أعمال «رعمسيس»

(٣-١) ورقة «هاريس» وقيمتها

خلف «رعمسيس الثالث» للتاريخ العالمي أهم إرث مدون بالقلم على القرطاس تركه ملك في تاريخ الشرق القديم، وهو ورقة «هاريس» الأولى العظيمة التي تحدثنا عن كل حياته من البداية إلى النهاية، وما قام به من أعمال عظيمة في ميادين السياسة والدين والاقتصاد والاجتماع؛ ولذلك آثرنا أن نضع أمام القارئ ترجمة كاملة لكل محتويات هذه الوثيقة الفذة، ثم نتناولها بعد ذلك بالتحليل والإيضاحات التي تكشف عن خبايا محتوياتها، وقد ظلت مغلقة أمام الباحثين الذين فحصوها حتى زمن قريب جدًّا مما أدى إلى فهم حالة البلاد في عصر الفرعون «رعمسيس الثالث» بصورة خاطئة لا يمكن تصورها، ولا أدل على ذلك مما كتبه الأستاذ «جاردنر» عن أهمية هذه الورقة وما أدى إليه سوء فهمها من التورط في أخطاء تاريخية مشينة وقع فيها كل من الأستاذين «برستد» و«إرمان» ولا تزال كتب التاريخ مشحونة[٧٩] بها، وهاك نص ما قاله «جاردنر» في هذا الصدد:

> ولقد كان الرأي الذي استقر عليه علماء الآثار منذ خمسة أعوام عن ورقة «هاريس الأولى»؛ النتائج التي وصل إليها في وقت واحد تقريبًا كل من الأستاذين «برستد»[٨٠] و«إرمان» منذ ثلاثين سنة قبل هذا التاريخ، ولكن في عام ١٩٣٦ ظهر في عالم التأليف مقال عن محتويات هذه الورقة سقط كالقنبلة في وسط آرائنا المتفق عليها وهي التي كوَّناها عن هذه الورقة من قبل؛ وذلك أن كلًّا من «برستد» و«إرمان» قد استمسك برأيه، وهو أنه على الرغم من أن ورقة «هاريس» الأولى تذكر بصراحة الإنعامات والهبات التي أغدقها «رعمسيس الثالث» على معابد العواصم الكبيرة، وعلى معابد الأقاليم، فإن هباته المزعومة كانت تشمل كل ممتلكات المعابد السابقة، وأن الفرعون قد أقرَّ هذه الممتلكات القديمة، وبذلك ثبت دعواه بأنه هو المُنعم بها كلها.

وقد جاء المقال الذي كتبه الأثري «شادل»[٨١] على العكس من ذلك مؤكدًا بصراحة من جديد الرأي الأول القائل بأن محتويات الورقة لا يتناول إلا الإضافات التي وهبها «رعمسيس الثالث» لضياع المعابد. وإذا كان هذا الرأي هو الصحيح فإن هذه الوثيقة لا يمكن أن تُستخدم بوجهة النظر التي استخدمها فيها كل من «برستد» و«إرمان» وهي تقدير مجموع ثروة الكهنة. وإني أرغب في أن أضع رأيي كتابة، وهو أن «شادل» قد برهن تمامًا على وجهة نظره، ولو نظرنا إلى الوراء فيما كُتب عن هذه الورقة لوجدنا أنه من الصعب علينا أن نتصور كيف أن الرأي المناقض لما قرره «شادل» قد بقي سائدًا مدة طويلة كهذه.

وعلى الرغم من ذلك نجد أن «شادل» نفسه في بعض تفاصيل هامة لم يكن في مقدوره أن يتخلص من أغلاط بينة شارك فيها سلفيه «برستد» و«إرمان»؛ وذلك أن أقسام الورقة الرئيسية تشمل فصلًا مخصصًا للهبات السنوية التي كانت تُقدم للمعابد من أتباعها خلال الإحدى والثلاثين سنة التي حكمها هذا الفرعون. والجزء الرئيسي من هذه الفصول يحتوي على مواد منفصلة — مثل المعادن والأدوات والحيوانات الخ — مشفوعة بأرقام تدل على المقادير والأعداد. وهذا الجزء الرئيسي مسبوق في أربع حالات من بين خمس بعنوان افتتاحي يختلف قليلًا في الشكل عن كل من هذه الحالات الأربع الأخرى. وهاك ترجمة لأكمل عنوان من بين هذه العناوين، وهو الذي يتصدر المواد في القسم المخصص لمدينة «طيبة»:[٨٢]

> السلع والضرائب وإنتاج الناس، وكل التابعين لقصر الفرعون (وسرماعت رع مري آمون) في ضيعة «آمون»[٨٣] في الأقاليم الجنوبية والشمالية التي تحت إدارة «رعمسيس الثالث» المتحد في السرور في ضيعة «آمون»[٨٤] التابعة «لإبت» (الأقصر) ولمعبد «رعمسيس» حاكم «هيلوبوليس» في ضيعة «خنسو»[٨٥] ولخمسة القطعان من الماشية التي حُفظت لأجل هذا البيت (أي كل ضيعة آمون ملك الآلهة) وهي التي (أي السلع

والجزية والمحصول) وضعها الملك «وسرماعت رع» الإله الأكبر بمثابة هبة في خزائنهم ومخازنهم، وشون غلالهم منحة سنوية.[٨٦]

وإذا نظرنا إلى معالجة «إرمان» لهذا الموضوع وجدناها من الغرابة بمكان، إذ إنه لما فحص الأرقام المتصلة بالمواد المختلفة وجد أنها عالية، فقفز في استنباطه إلى أنها تمثل مجموع المنح التي قُدمت في خلال مدة حكم هذا الفرعون[٨٧] كلها، وعلى ذلك قسمها واحدًا وثلاثين جزءًا؛ لكي يثبت متوسط الدخل السنوي.

وعلى أية حال فإن الأرقام التي حصل عليها بهذه الكيفية كانت منخفضة أكثر مما يجب أن يكون بالنسبة لإيرادات كل سنة، ولذلك نجد أن «إرمان» عاد فقال: إنها لم تكن الواردات السنوية الكاملة التي كان يؤتى بها من هذا المصدر، بل إنها ضرائب ثانوية فقط. ويكفي ما لخصناه هنا من هذا الطراز من البحث للكشف عن نقط الضعف التي تشوب البحوث السالفة. والواقع أنه في مقدورنا تقديم البراهين القوية لإظهار أن هذه الأرقام لا تضع أمامنا إلا الواردات السنوية لا وارد كل مدة حكم هذا الفرعون، ومن جهة أخرى نجد أن هذه الأرقام السنوية ليست في ذاتها عالية.

(أ) مقدمة

هذه لمحة عن أهمية هذه الورقة كما قدمها لنا الأستاذ «جاردنر». والآن سنتكلم عن الورقة نفسها، وعن المكان الذي وُجدت فيه، والظروف التي أحاطت بها. وكذلك سنذكر موجزًا بسيطًا عن محتوياتها حتى يتسنى للقارئ تتبع المتن الذي سنورده بعد.

إن الوثيقة التي نطلق عليها في أيامنا «ورقة هاريس» العظيمة، أو «ورقة هاريس» الأولى تُعد من أهم المصادر التاريخية في الأسرة العشرين؛ إذ الواقع أنها تلقي كثيرًا من الضوء على المسائل الاقتصادية والدينية الخاصة بهذا العصر، وكذلك توضح لنا نظام إدارة المعابد، والأحداث

التاريخية بصورة جلية، وقد كتب عنها الباحثون على مختلف أنواعهم؛ فتناولوا كل المتن أو بعضه، كلٌّ على حسب ميوله.

وقد كان أهم موضوع فيها قتله الأثريون والمؤرخون فحصًا واستقصاء هو الجزء الخاص بملخص تاريخ هذه الفترة، وقد أظهر الباحثون في بحثه براعة حتى أصبح وليس فيه زيادة لمستزيد.

وقد كُتبت هذه الورقة بخط غاية في الوضوح؛ مما جعلها من هذه الناحية تمتاز على أترابها في جودة الخط وحسن تنسيقه، من بين ما نشاهده في الأوراق المخطوطة بالخط الهيراطيقي في عصر «الرعامسة». وقد ذكر لنا الأستاذ «إرمان» عدد الكتاب الذين اشتركوا في تدوينها، وأظهر أن المتن قد أُلف من عدة أجزاء رُكبت معًا في وثيقة واحدة يبلغ طولها أربعين مترًا وخمسة سنتيمترات، وعرضها اثنين وأربعين سنتيمترًا ونصف سنتيمتر. وقد قطعها مشتريها المستر «هاريس» تسعًا وسبعين صفحة، ونشرها الأثري «برش» الأمين «بالمتحف البريطاني». ومن ثم أصبح يُشار إلى صحائفها بهذه الكيفية.

(ب) المكان الذي وُجدت فيه هذه الورقة

عُثر على هذه الورقة عام ١٨٥٥ ميلادية مع أربع إضمامات أخرى من البردي في مكان ما بالقرب من معبد «الدير البحري». وقد وصلت إلى يد أحد تجار الآثار في نفس الوقت، واشتراها منه في العام نفسه المستر «هاريس» الإنجليزي الأصل، وأول مذكرة وصلتنا عن هذه الورقة كانت عام ١٨٥٨م؛ أي بعد بيعها بثلاث سنوات.

والواقع أنه منذ أن كتب الأستاذ «إرمان» مقاله الممتع عن «ورقة هاريس» نجد أنه ظهرت كتابات عن المكان الذي وُجدت فيه هذه الورقة تدل على سوء فهم، حتى أصبح لا يمكن الأخذ بما جاء فيها؛ ولذلك يجب فحص المكان الذي وُجدت فيه الورقة على ضوء المعلومات التي وصلت إلينا عنه.

والمعلومات المكتوبة التي في متناولنا عن هذه الورقة يظهر أنها تنحصر في المذكرة التي كُتبت عنها عام ١٨٥٨م، أي بعد ثلاث سنين من شرائها. وقد نشر بعضها أو كلها الأثري «برش» عام ١٨٧٦م عندما نشر محتويات الورقة في مجلد ضخم. ومما يؤسف له جد الأسف أن الأثري «استروف» الروسي لم يفهم كنه هذا التقرير الذي كتبه «برش» وهو في مجموعه يتفق مع ما كتبه «أيزنهاور» عام ١٨٧٢؛ وقد كتب الأخير ترجمته بالألمانية فقط، ولما لم يكن في متناولنا أحسن من هذا المختصر فإنا سنضعه أمام القارئ ببعض التصرف كما يقول «بورخارت»:[٨٨]

> يقع المكان الذي وُجدت فيه هذه الورقة خلف معبد مدينة «هابو» في الوادي المؤدي إلى «دير المدينة» على مسافة خمس وعشرين ومائتي خطوة على التل الواقع في الركن الشمالي الشرقي من سور معبد «دير المدينة»، وعند سفح التل الجنوبي للوادي على مسافة عشرين قدمًا من سطح الأرض توجد حفرة في الصخر مملوءة بالموميات، غير أنها لم تكن قد فُتحت للمرة الأولى كما تدل شواهد الأحوال؛ إذ كانت الموميات قد مُزقت في الأزمان القديمة إربًا إربًا. وقد وُجد في هذه الحفرة تحت هذه الموميات الممزقة ثغرة صغيرة في الصخر تشمل إضمامات من البردي موضوعة معًا. وقد كانت هذه الثغرة مغطاة بقطع الخزف المختلطة بالطين والأتربة. ولم يوجد في الحفرة إلا بعض ملابس الموميات وعظامها. وهذا المكان — على ما يظهر — لا بد أنه كانت قد أُقيمت فيه مقابر خشنة الصنع، غير أنها قد هُدِّمت ولم يوجد ما يدل عليها غير لبنة واحدة مختومة.

ويتساءل الإنسان: هل كُتب هذا التقرير في نفس المكان الذي وُجدت فيه هذه البردية وغيرها؟ أم كُتب بعد ثلاثة أعوام في الإسكندرية في مسكن المستر «هاريس» أي عندما اشترى هذه الأوراق؟ ويُخيل للباحث أن المعلومات التي جاءت في هذا التقرير تدل على أن التقرير قد وُجد في نفس المكان الذي وُجدت فيه هذه الأوراق؛ لما جاء فيه من دقة الملاحظة وتحديد المسافات.

ويدل الموقع الطبوغرافي الذي وُصف في التقرير على أن هذا المكان يقع في الجنوب والجنوب الغربي بين المقابر التي في الوادي الذي يقع فيه «دير المدينة»، أو في أحد المنازل التي كانت تُبنى باللبن في «قرية العمال» المعروفة وقتئذ. وهذه المنازل التي كان يسكنها الموظفون أو العمال التي كانت تُستعمل فيما بعد للدفن بالجملة، وقد كانت تُحفظ في مثل هذه البيوت الأوراق التي يملكها السكان الأقدمون كالوثائق الخاصة بسرقة المقابر وغيرها، ومن بين هذه ورقة «رعمسيس الثالث» المعروفة بـ «ورقة هاريس». وعلى ذلك فليس هناك ما يدعو إلى عدم إمكان وجود أوراق مثل هذه في هذا المكان.

والسؤال الثاني هو: من الذي أمر بتأليف ورقة «رعمسيس الثالث» الكبيرة المعروفة بورقة «هاريس» الأولى؟

وقد أجاب على هذا السؤال الأستاذ «إرمان» بقوله: إنها كتبت بعد موت «رعمسيس الثالث» وأُرخت بيوم وفاته. أما «استروف» فيقول: إنها كُتبت في عهد «رعمسيس الرابع»[٨٩] لمعاضدة الكهنة. ويقول «شرني»: إن هذه الورقة قد كُتبت بخطوط مختلفة؛ مما يدل على أنها لم تُكتب كلها في تاريخ واحد.[٩٠] أما «بوخارت» فله رأي مغاير لكل من سبقوه؛ إذ يقول: إن هؤلاء الباحثين — على ما يظهر — قد غاب عنهم شيء صغير يحتاج إلى دقة ملاحظة، وذلك أن تاريخ الورقة قد وُضع بعد الفراغ من كتابة أجزائها المختلفة؛ إذ يُلاحظ في الجزء الأول من الصفحة الأولى بوضوح أن التاريخ الذي كان سيُوضع للورقة عامة لم يكن محددًا؛ ولذلك تُركت له مسافة كبيرة خالية، فكان يُحتمل أن يكون اليوم التاسع والعشرين من الشهر، وعلى ذلك كان من الضروري أن يشغل حيزًا كبيرًا، فتُرك له — على هذا الزعم — مسافة كبيرة. ولكن وجدنا أن التاريخ الذي استقر عليه الرأي نهائيًّا لم يشغل الحيز الذي تُرك لتدوينه فيه، وكان صغيرًا وتُرك الباقي خاليًا (انظر فصل أعمال رعمسيس)، فإذا كانت نسخة الوثيقة النهائية قد بُدئ في كتابتها بعد موت

«رعمسيس الثالث» كما يظن البعض فإنه لم يكن هناك داعٍ لترك مسافة أكبر من اللازم لوضع التاريخ فيها.

وتدل شواهد الأحوال على أن النسخة النهائية لهذه الوثيقة قد بُدئ في كتابتها في مرض الفرعون الأخير، وأن هذا التاريخ الذي على الصفحة الأولى هو يوم وفاته، وقد وُضع بعد مماته مباشرة. أما الأجزاء المكتوبة بخط مغاير — وهي التي يُشاهد فيها «رعمسيس الثالث» يدعو الآلهة من أجل خلفه «رعمسيس الرابع» — فمن الجائز أنها تكون قد كُتبت في عيده الثلاثيني عندما كان ابنه يُشاركه فعلًا في حكم البلاد.[٩١]

(ج) محتويات ورقة «هاريس»

تتألف ورقة «هاريس» من مقدمة، ثم الكلام عن «طيبة» ومعابدها الخاصة بالإله «آمون»، ثم عن «هليوبوليس» ومعابدها الخاصة بالإله «رع»، و«منف» ومعابدها الخاصة بالإله «بتاح». وأخيرًا المعابد الصغيرة المختلفة، ثم ملخص. وتُختم الورقة بالجزء التاريخي الخاص بالأحداث العظيمة التي وقعت في عهد الفرعون «رعمسيس الثالث». وسنتبع في ترجمة هذه الوثيقة الطبعة التي نشرها حديثًا «إركسن».[٩٢]

صفحة ١

مقدمة

(١) السنة الثانية والثلاثون، الشهر الثالث من فصل الصيف، اليوم السادس في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسرماعت رع مري آمون» له الحياة والفلاح والصحة ابن «رع» «رعمسيس حق اون» (حاكم «هليوبوليس») له الحياة والفلاح والصحة — محبوب كل الآلهة والإلهات. (٢) الملك المشرق في التاج الأبيض مثل

«أوزير» الحاكم، مضيء العالم السفلي مثل «آتوم» سيد عرش البيت العظيم في قلب الأرض المقدسة (الجبانة)، المخترق الأبدية بوصفه ملك العالم السفلي، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسرماعت رع مري آمون» ابن «رع» «رعمسيس» حاكم «هيلوبوليس» الإله العظيم يقول (٣) مادحًا ومتعبدًا ومثنيًا على النعم، والأعمال الجليلة العدة التي عملها بوصفه ملكًا على الأرض وهي:

آلهة طيبة: بيت والده الفاخر «آمون رع» ملك الآلهة و«موت» (٤) و«خنسو» وكل آلهة «طيبة».

آلهة «هليوبوليس»: بيت والده الفاخر «آتوم» رب الأرضين الهليوبوليتي و«رع حوراختي» والإلهة «أوس عاست» سيدة «حتب» وكل آلهة «عين شمس».

آلهة «منف»: بيت والده الفاخر «بتاح» (٥) العظيم القاطن جنوبي جداره رب «عنخ تاوي»، و«سخمت» العظيمة محبوبة «بتاح» و«نفرتم» حامي الأرضين، وكل آلهة «منف».

كل الآلهة: والآلهة الأجلاء، وكل آلهة وإلهات الجنوب والشمال (٦).

الناس: وكذلك كل الإنعامات الجميلة التي عملها لأهل أرض مصر، وكل بلاد ليجمعهم معًا ليخبروا الآباء (٧) كل آلهة وإلهات الجنوب والشمال، وكل القوم من أغنياء وعامة وأهل الشمس (البشر) بالإنعامات العدة والأعمال العظيمة الكثيرة (٨) التي قام بها على الأرض عندما كان حاكمًا عظيمًا على مصر.

هذه المقدمة تشمل رءوس الفقرات الخمس التي تتألف منها هذه الورقة، وبعبارة أخرى تلخص لنا هذه المقدمة الأعمال الجليلة التي أسداها «رعمسيس» لكل من الآلهة الثلاثة العظام وأسرهم الذين كانت عبادتهم سائدة في طول البلاد وعرضها. وقد ذكرهم على حسب مكانتهم، فابتدأ بالإله

«آمون» رب «طيبة» وكان أعظم الآلهة شأنًا في مصر وإمبراطوريتها، وذكر معه زوجه «موت» وابنه «خنسو» ومن هؤلاء الثلاثة يتألف ثالوث «طيبة».

ثم ذكر الإله «آتوم» رب «هليوبوليس» وهو أقدم آلهة هذه الجهة، وشفعه بالإله «حوراختي» ثم الإلهة «أوس ساعت» سيدة «حتب» (واللفظة الأخيرة «حتب» تدل على مكان في هليوبوليس) والإلهة «أوس عاست» قد تعني هنا الإلهة «حتحور» ومن هؤلاء الآلهة الثلاثة يتألف ثالوث «عين شمس».

وتذكر لنا المقدمة بعد ذلك بيت الإله «بتاح» العظيم القاطن جنوبي جداره — أي جنوبي معبده القائم في «منف» — ومعه زوجه «سخمت» إلهة القوة والحرب وابنها «نفرتم» ومن هؤلاء يتألف ثالوث «منف» العظيم.

ثم يذكر لنا «رعمسيس» ما قام به من أعمال عظيمة للآلهة الآخرين في شمال البلاد وجنوبها، وكذلك ما أسداه للبلاد الأخرى من إنعامات عديدة، وأعمال جليلة ليكون ذلك بمثابة شاهد عدل على حسن صنيعه وجميل صفاته، عندما كان حاكمًا على الأرض مدة حكمه التي دامت اثنين وثلاثين عامًا.

وهكذا نرى من هذه المقدمة أن «رعمسيس الثالث» كان حريصًا كل الحرص على تخليد حسن الأحدوثة والسمعة الطيبة في الحياة الدنيا والآخرة، فكان يحرص على أن يكون مضيئًا مثل إله الشمس «آتوم» في العالم السفلي عندما كان يخترقه مثله كل يوم عند الغروب ليعود إلى الحياة الدنيا ويشرق عليها، ويرى عن كثب ما تركه من أعمال جليلة للآلهة والناس أجمعين.

القسم الخاص «بطيبة»

مقدمة: يجب علينا قبل ترجمة القسم الخاص بمعابد الآلهة الثلاثة وهم: «آمون» و«رع» و«بتاح» في ورقة «هاريس» أن نتحقق من أسماء المعابد التي أضافها «رعمسيس الثالث»،

وبذلك يمكن فصل الأملاك المستجدة في عهد هذا الفرعون من الأملاك القديمة التي كانت تملكها الآلهة قبل عهده، وبهذه الكيفية يمكننا أن نصل إلى تكوين صورة واضحة عن الزيادة في الأوقاف والمباني التي أقامها ووهبها هذا الفرعون كهنة كل إله من هذه الآلهة الثلاثة، وسنبدأ بالمعابد التي زادها «رعمسيس الثالث» لآلهة «طيبة» وبخاصة الإله «آمون رع».

ولا نزاع في أن المواد الأثرية التي كُشفت حتى الآن قد سهلت علينا تحديد المعابد التي أضافها «رعمسيس الثالث» للإله «آمون» وأسرته كما جاءت في ورقة «هاريس» (راجع ورقة هاريس من ص٣–٢٢).

وقد جاء ذكر المعابد الطيبية وأسمائها في ثلاثة مواضع مختلفة من هذه الورقة وهي:

(١) المقدمة: ص٣ سطر٩.

(٢) القائمة الأولى: ص١٠ سطر١١.

(٣) القائمة الثانية: ص١٢أ، ١٢ب.

وقد ناقش الأستاذ «برستد» هذا الموضوع،[٩٣] وبدأ كلامه بقوله: إن القائمة الأولى والمقدمة يحتوي كل منهما على ممتلكات الإله «آمون»، وأنها ليست مجرد أوقاف جديدة، وعلى هذا الأساس بدأ يفحص محتويات هذا الجزء من الورقة عن أسماء المعابد الكبيرة المعروفة، وقد جمع أسماء المعابد المذكورة فيه،[٩٤] وقال: إن معبد «آمون» الكبير هو — «وسرماعت رع» محبوب «آمون» في ضيعة «آمون» — قد جاء ذكره بهذا الاسم (راجع «هاريس» ٥–٧) في حين أن معبد الأقصر الخاص بالإله «آمون» لم يُذكر، ويقول كذلك إنه قد ذُكر في القائمة الأولى معبد الأقصر باسم معبد «رعمسيس الثالث» في ضيعة «آمون» (راجع هاريس ١٠–٥)؛ وعلى ذلك لا يكون لمعبد آمون الكبير — أي معبد الدولة — عبيد كما يعتقد «برستد»،[٩٥] وأن عبيده كانوا ضمن عبيد معبد مدينة «هابو» الذي أقامه «رعمسيس الثالث». ولكن لا يكاد يوجد لدينا أي سبب

يخول ذكر معبد صغير كالذي جاء ذكره في «هاريس» ص١٠–٦، وينفرد بالذكر مع العلم بأن الرعايا التابعين لخدمته لا يزيدون على تسع وسبعين نسمة. والواقع أن هذا المعبد كما سنرى بعد «لرعمسيس الثالث» وقد أقامه في الأقصر.

ويدل ما جاء في ورقة «فلبور» على أن معبد الكرنك من عهد الفرعون «رعمسيس الخامس» كانت أملاكه مستقلة تحت إدارة منفردة؛ ولذلك يقول الأستاذ «جاردنر» الذي فحص هذه الورقة: إنه لمن الأمور الهامة جدًّا أن يجد الإنسان معبد «الكرنك» يلعب دورًا بارزًا بوصفه مؤسسة تملك أطيانًا خاصة قائمة بذاتها تمتد شمالًا حتى جوار «أهناسية» المدينة وبخاصة عندما نعرف أن «برستد» قد طلع علينا بالنظرية القائلة إنه في عهد «رعمسيس الثالث» كانت أملاك وإدارة معبد «الكرنك» مختلطة بأملاك وإدارة معبد الفرعون نفسه في مدينة «هابو». وهذا الاستنباط مما جاء في ورقة هاريس قد عارضه «شادل» منذ بضع سنوات مضت، غير أن البراهين التي دلل بها «شادل» ضئيلة، وإنه لمن المهم أن يكون في استطاعتنا أن نعضد رأي «شادل» بمادة جديدة (راجع Gardiner Wilbour Pap. II, p. 11).

وكذلك نلحظ أن «برستد» لا يفرق بين اسم الملك وبين لقبه عند استعمالهما في أسماء المعابد، فنجده مثلًا يسمي معبد «الكرنك» الصغير مرة باسم «معبد رعمسيس الثالث في ضيعة آمون»،[٩٦] ومرة أخرى يسميه «معبد وسرماعت رع محبوب آمون في ضيعة آمون».[٩٧]

والواقع أن هذا الاستعمال خاطئ، ولا بد من ملاحظة الفرق بين استعمال اسم «رعمسيس الثالث» واستعمال لقبه في مسميات المعابد، فالمعبد المسمى باسمه لا يدل إلا على اسم المعبد المسمى به، والمعبد المسمى بلقبه لا يدل إلا على اسم المعبد المسمى بلقبه وحسب. وعلى هذا الأساس يمكن تمييز أسماء المعابد بسهولة، وكذلك يمكن استخلاص نتيجة من الأجزاء الثلاثة التي يحتويها القسم الخاص «بطيبة» في ورقة «هاريس» وهي التي ذُكر فيها أسماء معابد «آمون» على مختلف

أنواعها، وبهذه الكيفية يمكننا الوصول إلى أن ما استنبطه الأستاذ «برستد» عن أسماء المعابد خاطئ من أساسه.

ولكن الأستاذ «جاردنر»[٩٨] قد ذكر لنا أنه في النقوش الداخلية في معبد مدينة «هابو» يُوجد اسم حصن على الحدود الغربية أقامه «رعمسيس الثالث» للدفاع عن البلاد من هجمات اللوبيين، وقد كُتب اسم هذا الحصن في مكانين مختلفين، فكُتب في إحداهما باسم «رعمسيس الثالث» وفي الآخر بلقبه «وسرماعت رع محبوب آمون»، وهذا يناقض الرأي الذي أدلى به «شادل» لأول وهلة، أي إن كلًّا منهما لا بد أنه يطلق على مكان خاص به، ولا نزاع في أنه يبدو من الصعب وجود حل لهذه الظاهرة، وعلى ذلك لا بد أن يفرض الإنسان في هذه الحالة أن اسم الحصن قد تغير بتغير الظروف كما يحدث في أيامنا هذه.

والواقع على ما يظهر أن اسم الحصن كان يُسمى في نهاية الانتصار الذي أحرزه «رعمسيس الثالث» في حروبه الأولى مع لوبيا «بلدة «وسرماعت» رع محبوب «آمون» الذي صد اللوبيين». وقد ظن «برستد» بحق أن هذا الحصن قد أُقيم في نهاية هذه الحروب الأولى ليكون حماية للبلاد المصرية،[٩٩] ولكن لدينا صورة أخرى عن الحروب الثانية التي شنها هذا الفرعون على اللوبيين في السنة الحادية عشرة من حكمه أيضًا ويظهر فيها هذا الفرعون في ساحة القتال في موقعة وقعت بين حصنين، واحد منهما يُدعى «وسرماعت رع محبوب آمون» وفُسر بأنه هو المكان الذي يقع على قرن تل الأرض.

هذا ونشاهد أخيرًا اسم نفس هذا المكان مرة أخرى، ويمثل الحروب التي وقعت أمام الحصن، واسمه هو «رعمسيس الثالث» وهو المكان الذي على تل قرن الأرض. وقد كُتب نفس الاسم على نفس الصورة، غير أن النقوش مهشمة بعض الشيء، وقد رسم «شادل» قطاعًا لمعبد مدينة «هابو» وبيَّن عليه الأماكن التي كُتب عليها اسم هذا الحصن مكررًا ثلاث مرات. ولا نزاع في أن

الاسم الأصلي لهذا الحصن هو: «وسرماعت رع مري آمون» أي الاسم الذي ذُكر في حروب «رعمسيس الثالث» الأولى مع اللوبيين، وعندما أريد نقش الجانب الداخلي من البوابة الأولى كانت الحامية لا تزال تحمل اسمها القديم، وفيما بعد عندما أُريد نقش الجدار الشمالي الواقع بين البوابتين في مدينة «هابو» كان قد فكر في تغيير اسم هذا الحصن وقد حدث فعلًا. وإذا كان هذا الجزء الأخير من المعبد هو آخر جزء زُين فيه فإن ذلك يؤيد الرأي القائل بأن الحروب السورية التي وقعت بين مصر والآسيويين قد جاءت بعد الحروب التي شنها «رعمسيس الثالث» على اللوبيين في السنة الحادية عشرة من حكمه؛ وذلك لأننا لا نرى في داخل الردهة الأولى من معبد مدينة «هابو» إلا صور الحروب اللوبية الثانية. وقد أدلى الأستاذ «برستد» بهذا الرأي (راجع Br. A. R. IV, § 133)، وهو رأي صائب، ولكن من جهة أخرى يجد المؤرخ صعوبة في تعليل مثل هذه التغيرات في كتابة اسم هذا الحصن. ويقول «شادل» في تعليل ذلك (راجع Schaedel, Ibid p. 19) أنه قد ذكر «ورقة هاريس» (في ه٥١ (أ) سطر ٥) اسم مكان يقع على الشاطئ الغربي للنيل على مقربة من «نقراش» وهو بناء جديد أقامه «رعمسيس الثالث» على ما يظهر بعد السنة العاشرة من حكمه في وقت السلم، وقد سُمي هذا المكان بلقب الفرعون «وسرماعت رع مري آمون» مما جعله يختلط باسم الحصن الواقع على الحدود الغربية السالف الذكر؛ ولذلك فإنه تحاشيًا لذلك غير اسم الحصن وجعله باسمه «رعمسيس الثالث» لا بلقبه كما كان من قبل.

والواقع الذي لا مراء فيه أن هذا التغيير قد حدث في الوقت الذي كان يُنقش الجانب الداخلي من البوابة الأولى — أي الاسم الثاني — والجدار الخارجي الشمالي؛ وذلك لأنه لا يعقل أن مكانًا واحدًا يمكن أن يكون له اسمان في وقت واحد، ويعتقد «جاردنر» (JEA, v, P. 197) أن اسم المكان المركب من لقب «رعمسيس الثاني»: «وسرماعت رع ستبن رع» يُحتمل أن يكون هو اسم مقر الرعامسة: «بررعمسيس مري آمون» غير أن البراهين المثبتة لذلك ليست مشجعة على

استنباط مثل هذه النتيجة لتغير الاسمين في الشكل كما ذكرت من قبل. ففي ورقة «انستاسي» رقم ٨ يوجد اسم مكان مكتوب بالاسم الأول «لرعمسيس الثاني» (Ibid No. 34)، وكذلك كُتب اسم مكان آخر بلقبه (أو اسمه الثاني) (راجع Ibid No. 35)، ولا يمكن أن يكون الاسم في الحالتين واحدًا؛ ولذلك يظن «شادل» أن الاسم الثاني وهو «وسرماعت رع ستبن رع مري آمون» اسم قلعة أقامها «رعمسيس الثاني» بالقرب من العاصمة.

وفيما يلي سلسلة أسماء المعابد التي ذُكرت في مقدمة «ورقة هاريس» خاصة بالإله «آمون» وأسرته:

(١) معبد ملايين السنين السامي: وهو الاسم الذي يُطلق على معبد «رعمسيس الثالث» الجنازي في مدينة «هابو» والقصر التابع له (راجع ه/١١/٤ الخ)، وقد كُتب اسم هذا المعبد في مرسوم الأوقاف في مقدمة تقويم الأعياد المنقوش على جدران معبد مدينة «هابو» بصورة مفصلة هكذا:

> معبد ملايين السنين لملك الوجهين القبلي والبحري «وسرماعت رع مري آمون» الموحد مع الأبدية في ضيعة «آمون» (راجع Mdeinet Habu 140, Festkalender 55, 56).

وهذا ينطبق على الاسم الذي جاء في ورقة «هاريس» (ه/٣/١٠) وهو معبد ملك الوجهين القبلي والبحري «وسرماعت رع مري آمون في ضيعة آمون».

وقد بقي اسم معبد «مدينة هابو» يُذكر حتى نهاية الأسرة العشرين؛ فنجده في ورقة «أبوت» التي دُونت في السنة السادسة عشرة من حكم «رعمسيس التاسع»، ففي هذا المتن نجد رعايا من معبد مدينة «هابو» مذكورين وكانوا تحت سلطان الكاهن الأكبر «لآمون» المسمى «امنحتب» (راجع Abbot, 4, 13, 14)، وإذا قرنا ما جاء في هذه الورقة بما جاء في ورقة «هاريس» (ه/٣/١٠) نجد أن الإدارة قد تغيرت؛ وذلك أنه في عهد «رعمسيس الثالث» كان معبده الجنازي ضمن

إدارة ممتلكاته تحت سلطان جماعة من كبار الموظفين. ويرى «شادل» أنه بعد وفاة «رعمسيس الثالث» كانت إدارة كل من معبد «رعمسيس الثالث» الجنازي في مدينة «هابو» ومعبد «آمون» العظيم تحت إدارة واحدة عامة (Schaedel Ibid p. 22) كما كان معبد الأقصر الصغير (هـ/ ٦/١٠) منذ البداية تحت إدارة الكاهن الأكبر «لآمون». والواقع أن مركز إدارة جبانة «طيبة» كان في نهاية الأسرة العشرين في معبد مدينة «هابو» كما يظهر ذلك من ورقة سرقة المقابر (راجع Peet, The Great Tomb Robberies of the Twentieth Dy. I, p. 37).

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن التعبير «ملايين السنين» الذي استُعمل في اسم معبد مدينة «هابو» (هـ/١١/٣) كان يستعمله المصري صفة لكل المعابد الجنازية الملكية المقامة على الضفة اليمنى للنيل (راجع Schaedel, Ibid p. 22).

(٢) معبد «رعمسيس الثالث» في ضيعة «آمون»: وهذا الاسم يُطلق على المعبد الصغير الذي أقامه «رعمسيس الثالث» في الكرنك. وقد اعتقد الأستاذ «برستد» أن اسم المعبدين الكبير والصغير واحد (Br. A. RIV, § 195 Note A)، غير أن هذا الرأي خاطئ؛ لأنه ذُكر في ورقة «هاريس» (هـ/٧/٥) باسم «وسرماعت رع مري آمون» وليس كما ذُكر هنا باسم «معبد رعمسيس الثالث في ضيعة آمون»، يُضاف إلى ذلك أن ورقة «هاريس» تذكر صراحة (هـ/٤/٥) أن «معبد رعمسيس الثالث في ضيعة آمون» في مدينتك «طيبة» المقابل لردهتك يا رب الآلهة، أي إن هذا المبنى يقع بالقرب من معبد الكرنك الكبير، وقد ذُكر اسم هذا المعبد في ورقة «هاريس» بهذا الاسم (راجع هـ/١٠/٥، ١٢ (١) ٢).

(٣) معبد «رعمسيس الثالث» الذي يتحد مع السرور في الكرنك (هـ/٥/٦ الخ): هذا معبد صغير أقامه «رعمسيس الثالث» في «الأقصر» ويتضح هذا من فحص الفقرة التي ذُكر فيها، فقد جاء بعد هذا الاسم ما يأتي:

> لقد جعلت الأقصر في عيد لك بالآثار العظيمة، فقد أقمت لك هناك معبدًا مثل مقام رب الكل.

ويتضح من ذلك بطبيعة الحال أن الملك يشير هنا إلى إقامة مبنى جديد للإله «آمون». والجزء الأول من الجملة السابقة يدل على أن لها علاقات بمد أجل عيد الأقصر «أبت». والواقع أنه قد جاء صراحة في ورقة «هاريس» (ه/١٧ (١)/٥) أن «رعمسيس الثالث» قد مد عيد الأقصر إلى سبعة عشر يومًا، وهذا العيد الذي كان يقتصر في عهد «تحتمس الثالث» على أحد عشر يومًا فقط قد زيد في مدة انعقاده عدة مرات (راجع Wolf, Das School Fest Von opet Leipzig (1931) p. 71). هذا ولدينا عن صحة اسم هذا المعبد شاهد آخر؛ إذ قد عُثر على لوحة «لرعمسيس الثالث» في معبد الأقصر الكبير استُعملت في الأزمان المتأخرة سنادًا لتمثال «رعمسيس الثاني» (راجع Rec. Trav. 16 p. 55 f) وكان يُسمى عليها هذا المعبد في متن مهشم:

> (الملك) … الذي ضاعف قربانه في الأقصر … … والذي أقام بيتًا في الأقصر على يمين والده «آمون رع» السامي الذي يسيطر على حريمه لأنه يأوي إليه كل عشرة أيام … (ويسمى هنا العيد) … وهو مكان لذهاب سيد الآلهة لعيد الأقصر الجميل.

وفي هذا المتن — على ما يظهر — برهان على وجود هذا المعبد في الأقصر. ومن الغريب أن «برستد» قد ذكر لنا هذه اللوحة (Br. A. R. IV. § 176) ويقول: إن «رعمسيس الثالث» قد بنى محرابًا على جانب النهر في معبد الأقصر غير أنه مع ذلك لم يستنبط أن المبنى الذي ذكره في ورقة «هاريس» هو هذا المحراب. ولا نزاع في أنه كان «لرعمسيس الثالث» نشاط هندسي في معبد الأقصر يدل على ذلك نقش تركه لنا يتحدث فيه عن تجديد مبانٍ وقد نقشه على الجدار الخارجي خلف معبد الأقصر وهذا النقش هو:

تجديد الأثر الذي عمله «رعمسيس الثالث» في معبد والده «آمون رع».

وتدل شواهد الأحوال على أن المبنى الذي نتحدث عنه هنا يقع بين الردهة الأمامية وبين النيل حيث نجد مكانه في أيامنا بقايا سوق رومانية. ومن المحتمل أن فكرة مد أجل عيد الأقصر على يد «رعمسيس الثالث» كانت بمناسبة إقامة هذا المعبد الصغير. ومن الطريف أن معبد «رعمسيس الثالث» في «الأقصر» له اسم يشبه في تركيبه اسم المعبد الصغير الذي نحن بصدده الآن، وهو «معبد رعمسيس الثالث الذي وحد بالأبدية».[١٠٠] ولا غرابة في ذلك فإن «رعمسيس الثالث» كان يقلد سلفه «رعمسيس الثالث» في كل شيء.

وأمام كل هذه البراهين الواضحة عن موقع هذا المعبد نرى أن إضافة عبارة «إبت أسوت» (الكرنك) (ﻫ/٧/٥) إلى اسم المعبد لا تغير شيئًا؛ إذ الواقع أن أولئك الذين بحثوا هذا الموضوع من قبل قد تعثروا في فهم هذه النقطة بدون سبب ظاهر فنجد مثلًا أن الأستاذ «برستد» قد وحد هذا المعبد بالمعبد الذي يليه، وهو الذي أقامه «رعمسيس الثالث» بجوار معبد الإلهة «موت»؛ ولذلك نجده يقول في المقدمة التي كتبها عن ورقة «هاريس»: إن معبد الأقصر لم يُذكر، ومع ذلك نجده في القائمة الأولى (ﻫ/٥/١٠)، وأن معبد «رعمسيس الثالث» في ضيعة «آمون» يقصد به معبد الأقصر. وهذا كلام مضلل، فيجب علينا ما دمنا نجد انسجامًا في الموضوع أن نعترف بأن الاسم الذي جاء في المقدمتين الأولى والثانية من ورقة «هاريس» هو لمعبد واحد.

ولا بد أن نعلن هنا في صراحة أن صورة «آمون» صاحب «الكرنك» هي التي كانت تُحمل سنويًّا إلى «الأقصر» لزيارة المعبد. وعلى ذلك فليس في وضع هذا الاسم بهذه الكيفية أي حرج.

(٤) معبد «وسرماعت رع مري آمون» في ضيعة آمون: هذا بلا شك هو اسم المعبد الصغير الذي أقامه «رعمسيس الثالث» في معبد الإلهة «موت» «بالكرنك». وبالجملة الخاصة بهذا المعبد التي ذُكرت في ورقة «هاريس» (ﻫ/٧/٥) تدل على ذلك صراحة، وهي:

لقد جددت مبانيك في طيبة المنتصرة بفخامة، وهي مكان راحتك المحبوب بجانب ابنتك ...

أما قول «برستد» إن اسم هذا المعبد هو اسم معبد الدولة الكبير «بالكرنك»[١٠١] فقول مردود؛ إذ في هذه الحالة يكون لمعبد الدولة العظيم من العبيد ٩٧٠ نسمة كما جاء في ورقة «هاريس» (ه/ ١٠/٣) في حين أن معبد «رعمسيس الثالث» الجنازي في مدينة «هابو» يملك ٦٢٦٢٦ نسمة. وقد لاحظ «برستد» نفسه استحالة هذه النسبة، ولذلك يقول إن اسم المعبد الذي ذكر في ورقة «هاريس» (ه/١٠/٤، ١٢أ/٢) هو «معبد رعمسيس مري آمون في ضيعة آمون» لا يُطلق على معبد «آمون» الكبير، بل على معبد «آمون» الصغير[١٠٢] غير ملاحظ أنه في هذه الحالة يكون للمعبد اسمان مختلفان، وعلى ذلك فهو يرى أن معبد «آمون» الكبير لم يُذكر في قائمة «هاريس» الأولى، وأن عبيده قد أحصوا ضمن عبيد معبد مدينة «هابو».[١٠٣]

ومما لا شك فيه أنه كان بجوار معبد مدينة «هابو» وبجوار معبد «الكرنك» الكبير في هذه الأوقات أملاك كبيرة، وبوجه خاص إدارة خاصة لتدبير أمرهما. ويمكن معرفة ذلك من تقويم الأعياد رقم (٥٨) بمدينة «هابو»[١٠٤] حيث كان معبد مدينة «هابو» في الأصل يعد مصدرًا للغلال الضرورية وقد تلاشى هذا الاسم فيما بعد، وأصبح يُدعى «ضيعة آمون رع ملك الآلهة».

وعلى ذلك يكون لدينا إدارتان اقتصاديتان منفصلتان يورد إليهما القمح للأعياد، غير أن ذلك الرأي لا يمكن أن يكون على حسب ما زعمه «برستد» وهو أن عبيد المعبدين في القائمة الأولى كانوا منضمين معًا، في حين أنه كان لكل معبد إدارة خاصة ودخل خاص، كما كانت الحال بالتأكيد في أواخر عهد الأسرة العشرين.[١٠٥] ومن المدهش أن الإنسان عندما يلقي نظرة على اسم «معبد رعمسيس» الصغير الواقع في الجنوب لا يجده في مكانه بالنسبة لترتيب متن المقدمة في القوائم (ه/١٠/٤، ١٢أ/٢) في حين أنه ذُكر في القائمتين الأولى والثانية في المكان الثاني. وإذا ألقينا

نظرة فاحصة على القائمة الأولى وجدنا أن المعابد لم تُرتب على حسب ضخامتها، ومن المحتمل جدًّا أن الكاتب قد عمل هذا التغيير على حسب اسم الفرعون ولقبه، فنجد أنه كُتب في رأس القائمة اسم معبد مدينة «هابو» وهو الذي ركبت عناصره باسم الملك «رعمسيس الثالث» ثم دُوِّن في القائمة في المكان الثاني المعابد التي رُكبت عناصرها بلقب هذا الفرعون وهو: «وسرماعت رع مري آمو»، وقد نتج عن ذلك أن المعبدين اللذين كُتبا باسم «رعمسيس الثالث» وهما اللذان يتبعهما القطعان المختلفة لم يُلاحظ في كتابتهما تبادل الاسمين لأسباب غامضة.

ولن نكون بعيدين عن جادة الصواب إذا قلنا: إن هذا المعبد الذي أقامه «رعمسيس الثالث» في معبد «موت» «بالكرنك» قد أُهدي للإله «آمون» وقد هُشِّم تهشيمًا ذريعًا، ومع ذلك نجد في القطع المنقوشة الباقية ما يشير إلى أصله، فقد جاء على بعضها عن الملك ما يأتي: «الممتاز بالآثار، بالعمل الأبدي في معبد والده سيد الآلهة.»[١٠٦]

(٥) معبد الكرنك الكبير (ه/٥/١٠–١٢/٧): إن الفقرتين المقتبستين هنا في ورقة «هاريس» قد فصل كل منهما عن الكلام السابق في البردية بمسافة. مما يدل على ابتداء كلام جديد هنا. ونجد مثل هذه المسافة في نهاية السطر الثالث من الصفحة الخامسة من الورقة، أي قبل ذكر المعابد الصغيرة.ولم يُذكر لنا — على ذلك — اسم لمعبد الدولة الكبير؛ وذلك لأن «رعمسيس الثالث» لم يُضِفْ إليه مباني جديدة عظيمة، وكل ما فعله في هذا المعبد تحسينات عدة، مثال ذلك إهداء محراب من قطعة واحدة من الجرانيت (ه/١٠)، وألواح تذكارية من المعدن (ه/٥/٦ الخ) وما أشبه ذلك. هذا بالإضافة إلى ضم الأوقاف التي ورثها المعبد من الملوك السابقين، وهذه الأوقاف كانت معلومة للكل، وبخاصة أن هذا المعبد كان أكبر المعابد — بقطع النظر عن معبد مدينة «هابو» — الذي كانت تتدفق عليه الأرزاق.

ولا شك في أن الجملة التالية تشير — بلا نزاع — في ورقة «هاريس» (ه/٦/٣) إلى «معبد الكرنك»:

كل مرة تشرق فيها على عرشك الفاخر في الكرنك … …

والأعمال التي قام بها «رعمسيس الثالث» في معبد الدولة «بالكرنك» هي:

(١) صورة «رعمسيس الثالث»: راكعًا ومعه أرواح مدينتي «ب» (بوتو) و«نخن» على جدران حجرة القربان في معبد «تحتمس الثالث» بالكرنك.[١٠٧]

(٢) وُجد في رقعة هذا المعبد صورة تمثل «رعمسيس الثالث» ومعه أسرى من اللوبيين.[١٠٨]

(٣) يُشاهد على الواجهة الشمالية من البوابة الثامنة بعض مناظر تمثل «رعمسيس الثالث» بصحبة الآلهة؛[١٠٩] ففي منظر نشاهد «حور» و«تحوت» يطهرانه، وفي آخر يتوجه الإلهان «آتوم» و«رع»، وفي ثالث يقود الإلهان «خنسو» و«موت» إلى حضرة الإله «آمون رع» وإلهة.[١١٠]

(٤) وجد في ردهة المعبد قطعة من منشور «لآمون رعمسيس الثالث».[١١١]

(٥) وُجد في الردهة التي بين البوابة التاسعة والبوابة العاشرة في الجزء الغربي مسلة صغيرة «لرعمسيس الثالث».

(٦) أقام هذا الفرعون مبنًى بالقرب من الركن الشمالي الغربي من البوابة الثالثة.[١١٢] وقد أشرنا فيما سبق إلى أنه تُوجد إدارة خاصة، وأملاك خاصة لمعبد الدولة لم تأتِ في ورقة «هاريس»، وأن هذه لم تكن من هبات «رعمسيس الثالث»، ولم يظهر اسمه في القائمة الأولى كذلك، ولا نجد فيها إلا الإنعامات الفعلية التي منحها هذا الفرعون.

(٦) معبد خنسو (هـ/١٣/٧): وقد ذُكر هذا البناء في ورقة «هاريس» كذلك في صفحة (١٠) سطر (١٣) وصفحة (١٢/أ) سطر (٣) باسم: «معبد رعمسيس في ضيعة خنسو».[١١٣]

ومن المعلوم أن بناء هذا المعبد قد تم بعد موت «رعمسيس الثالث».

وقد ذُكر في مقدمة الجزء الخاص «بطيبة»، ثم ذُكر في أملاك «آمون» بالوجه البحري (ه/٨/٢، ١٢)؛ ففي السطر الخامس من الصفحة الثانية عشرة ذُكرت له ضيعة النبيذ (غذاء مصر)، وليس من الضروري أن نعترف هنا بأن المتن يشير إلى كرم كان ملكًا «لرعمسيس الثاني» ثم غيره «رعمسيس الثالث» باسمه، بل ينبغي أن نعلم هنا فقط أن «رعمسيس الثالث» قد أعاد ذرع أشجار الكروم من جديد، وجهزها، ونماها. ولا بد أن ذلك كان هو الواقع، وبخاصة عندما نعلم أن عهد الخراب الذي وقع بين الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين كان قد أتى على الأخضر واليابس، وفي هذه الحالة يجب علينا ألا نبحث عن ضيعة النبيذ هذه في قائمة الحدائق والخمائل التي ذُكرت في ورقة «هاريس» (ه/١١/٦).

وأخيرًا ذكرت لنا ورقة «هاريس» (ه/٨/١٣، ٩/٣) معبدين في بلاد أجنبية أحدهما في «كنعان»، والآخر في «بلاد النوبة»، وقد أقيما للإله «آمون». ولكن يظهر أن «رعمسيس الثالث» قد استولى عليهما باسمه؛ ولذلك لم يظهرا في القائمة الأولى، حيث نجد أن كل ما جاء في الورقة ينحصر في المباني الجديدة التي أقامها هو باسمه، وقد ذكر «رعمسيس الثالث» التماثيل الجديدة التي أقامها في ورقة «هاريس» (ه/٩/٤–٧)، والخاتمة (ه/٩/٨-٩)، وينتهي هذا الجزء التقديمي، وبذلك أصبح لدينا صورة ظاهرة عن هذه المقدمة وهي:

(١) دعاء … هاريس ٣، ١–٣، ١١.

(٢) المعابد الطيبية … هاريس ٣، ١١–٨، ١.

(٣) ضياع الوجه البحري … هاريس ٨، ٢–٨، ١٢.

(٤) الأملاك في البلاد الأجنبية … هاريس ٨، ١٣–٩، ٣.

(٥) التماثيل … هاريس ٩، ٤–٩، ٧.

(٦) الجمل الختامية … هاريس ٩، ٨–٩.

وفي القائمة الأولى نجد أن المباني التي قام بها «رعمسيس الثالث» قد ذكرت معًا (ه/١٠، ٣–٦) ومعها القطعان التي أهداها «رعمسيس الثالث» (ه/١٠، ٧–١١)، وكذلك ذُكرت مدينة «رعمسيس» (ه/١٠–١٢)، وفي ختام هذه القائمة ذُكر معبد «خنسو» الذي لم يكن قد تم[١١٤] بعد (ه/١٠–١٣).

أما القائمة الثانية فقد ذُكرت فيها المعابد التي أقامها «رعمسيس الثالث» كما جاء ذكرها بنفس التسلسل في القائمة الأولى.

وما جاء في القائمة الأولى ينحصر في المباني الجديدة التي أقامها «رعمسيس الثالث» على حسب ما حققته البراهين الأثرية والمصادر اللغوية، وكذلك لم يُذكر في هذه المقدمة إلا المحاصيل الجديدة التي أهداها هذا الفرعون. وسنرى برهانًا أكيدًا عن عدد أتباع المعابد فيما بعد.

ويمكن استخلاص النتائج الآتية من هذا الفصل:

(١) تدل المقدمة على توزيع جغرافي ظاهر لهذه المباني.

(٢) لم يُذكر إلا مباني «رعمسيس الثالث» الجديدة التي أقامها حقيقة، وهي التي ظهرت أسماؤها في القائمتين الأولى والثانية.

(٣) وقد ذُكرت في الأجزاء الثلاثة كلها المباني التالية «لرعمسيس الثالث» الخاصة «بطيبة» على حسب ترتيب القائمة الأولى، وهي:

(أ) معبد مدينة «هابو».

(ب) معبد «رعمسيس الثالث» في معبد الإلهة «موت».

(جـ) معبد «الكرنك» الصغير.

(د) معبد «الأقصر» الصغير — ولم يثبت أثريًا بعد بصفة قاطعة.

(هـ) معبد «خنسو».

هذه نظرة عامة في محتويات الجزء الخاص «بطيبة»، وهاك ترجمته حرفيًّا:

صفحة ٢

يُشاهد في مقدمة هذا القسم منظر يمثل «رعمسيس الثالث» واقفًا يتعبد أمام «ثالوث طيبة» (آمون رع – موت – خنسو)، وقد كُتب فوق «آمون»: ««آمون رع» ملك الآلهة، وسيد السماء، وحاكم طيبة.» وكُتب فوق الإلهة «موت»: ««موت» العظيمة سيدة «أشرو».» وكُتب فوق «خنسو»: «خنسو» في طيبة «نفرحتب». (وعبارة «نفرحتب») لقب يُطلق على «خنسو» ومعناه «الراحة الجميلة».

ما قاله الملك:

> إني أتحدث بالتضرعات والمدائح والصلوات والثناء، والأعمال الجليلة، والإنعامات التي عملتها لك في حضرتك يا رب الآلهة.

صلاة للآلهة ويتبعها تعداد أهم المباني والهدايا.[١١٥]

صفحة ٣

مقدمة: (١) المدائح والصلوات والأعمال الجليلة، والإنعامات التي عملها لبيت والده الفاخر «آمون رع» ملك الآلهة، وللإلهة «موت» والإله «خنسو» وكل آلهة «طيبة». (٢) قال الملك «وسرماعت رع مري آمون» (له الحياة والفلاح والصحة ابن «رع») «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» (له الحياة والفلاح والصحة) الإله العظيم في مديح هذا الإله والده الفاخر «آمون رع» ملك الآلهة، والإله الأزلي الذي كان في البداية (٣) الإله المقدس خالق نفسه، وصاحب الذراع المرفوعة، ومن تاجه (اتف) رفيع، وصانع كل كائن، وخالق كل موجود، ومن يخفي نفسه عن الناس والآلهة.

موت الفرعون: (٤) أعطني أذنيك يا رب الآلهة، وأصغ لصلواتي التي أقدِّمها لك، تأمل**!** إني آتٍ إليك إلى «طيبة»، بلدك الخفية، وإنك قدسي بين التاسوع الذي صُور بصورتك. وإنك قد غبت في «سيد الحياة» (الجبانة التي (٥) في غرب طيبة) مقرك العالي أمام ردهتك الفاخرة، ولقد انضممت إلى الآلهة أرباب العالم السفلي مثل والدي «أوزير» رب الأرض المقدسة (العالية). فدع روحي ليكون مثل أرواح التاسوع الإلهي الذين يأوون بجوارك (٦) في الأفق الأبدي، وامنح أنفي النفس وروحي الماء، ودعني آكل الخبز والطعام من قربانك المقدس، واجعل جلالتي فاخرًا ممكنًا في حضرتك (٧) مثل الآلهة العظام أسياد العالم السفلي. وليتك تجعلني أغدو في حضرتك وأروح كما يفعلون. ومر أن تكون شهرتي مثل شهرتهم على أعدائي، وثبت قرباني المقدم لحضرتي (٨) ليخلد يوميًّا إلى الأبد. ولقد كنت ملكًا على الأرض حاكمًا على الأحياء، ولقد مكنت التاج على رأسي كما فعلت، وقدتني في سلام إلى القصر الفاخر (٩) وجلست على العرش مسرور القلب، وإنك أنت الذي مكنتني على عرش والدي كما فعلت «لحور» على عرش «أوزير»، وإني لم أظلم، وإني لم أحرم (١٠) آخر مكانه (عرشه)، وإني لم أتعدَّ الأوامر التي كانت أمامي، إنك قد منحتني السلام ورضا القلب بين قومي، وكل البلاد كانت تتضرع أمامي، وإني أعرف الأشياء الممتازة التي فعلتها (١١) بوصفك ملكًا، وقد ضاعفت لك الإنعامات والأعمال الجليلة.

معبد مدينة «هابو»[١١٦]**:** ولقد أقمت لك البيت الفاخر لملايين السنين، ممكنًا على جبل «رب الحياة» أمامك.

صفحة ٤

(١) قد أُقيم من الحجر الرملي، والحجر الرملي الصلب، والجرانيت الأسود، والباب من السام والنحاس المطروق، وبواباته من الحجر تناطح السماء (٢) مزينة ومنحوتة بآلة الحفار باسم جلالتك العظيم، وأقمت سورًا حوله متقن الصنع، وله منزلقات وأبراج (؟) من الحجر الرملي (٣) وحفرت بحيرة أمامه تفيض بماء «نون» (المحيط الأزلي أو النيل) ومغروسة بالأشجار والخضر مثل الدلتا.

هبات المعبد ومعداته: وملأت بيوت المال بسلع أراضي مصر (٤) من ذهب وفضة وكل حجر ثمين بمئات الألوف، ومخازن غلاله كانت تفيض بالغلال والقمح، والحقول والقطعان كانت في كثرتها مثل رمال الشاطئ، وفرضت له الضرائب على (٥) أرض الجنوب كما فرضتها على أرض الشمال، وسعت إليه بلاد النوبة وأرض «زاهي» حاملين إتاواتهم، وقد مُلئ بالأسرى الذين أعطيتني إياهم من بين أهل الأقواس التسعة، هذا بالإضافة إلى الشباب الذين دربتهم بعشرات الآلاف (٦) وصنعت تمثالك الكبير الجالس في وسطه (وسط المعبد) واسمه الفاخر «آمون ممنوح الأبدية»، وكان مزينًا بأحجار ثمينة حقيقية مثل الأفق (أو إله الأفق)، وعندما يظهر يكون السرور في رؤيته، (٧) وقد صنعت له أواني المائدة من الذهب الجميل، وأخرى من الفضة والنحاس مما يخطئه العد، وزدت القرابين الإلهية التي كانت تقدم أمامك من خبز ونبيذ وجعة وأوز سمين، وثيران عدة، (٨) وعجول مخصية، وعجول، وبقرات عدَّة، ووعول، وغزلان مقدمة في مجزرته.

وجلبت آثارًا عظيمة من المرمر وحجر «بحس» (الصلب) (٩) المنحوت بعناية قد نُصب على يمين وشمال مدخله، ونُقش باسم جلالتك العظيم أبديًّا، وتماثيل أخرى من الجرانيت والحجر الرملي، وجعارين (١٠) من الحجر الأسود قائمة في وسطه، ونُحت تمثال «بتاح سكر» و«نفرتم» وتاسوع السماء والأرض كلهم ثاوون في محرابه المغشي بالذهب اللطيف والفضة (١١) المطروقة، المرصعة بالأحجار الثمينة الحقيقية الممتازة الصنع.

قصر الفرعون والمباني المتصلة به: وأقمت لك قصر الملك الفاخر في وسطه مثل قصر «آتوم» العظيم الذي في السماء، وعمده (١٢) وقوائم الأبواب والأبواب مصنوعة من السام، والشرفة العظيمة التي يظهر فيها الفرعون من الذهب الجميل.

سفن المعبد: وبنيت له سفنًا تزخر بالشعير والقمح لتصدر (مصعدة في النيل).

(١) لمخازن غلاله بدون انقطاع، وبنيت له سفنًا لخزانة المالية، عظيمة على النهر، محملة بسلع عديدة لأجل ماليته الفخمة.

أرض المعبد: (٢) وكان محاطًا بالحدائق والأماكن ذات الحجرات الملأى بالفاكهة والأزهار من أجل الصلين اللذين على جبينك، وبنيت قصورها (٣) وزودت منتزهاتها بالنوافذ، وحفرت بحيرة أمامها مغروسة بأزهار البشنين.

معبد الكرنك الصغير[١١٧]**:** الذي أقامه «رعمسيس الثالث» في معبد «موت». (٤) وأقمت لك أفقًا خفيًّا في بلدتك «طيبة» أمام ردهتك (معبدك) يا سيد الآلهة المسمى: بيت «رعمسيس الثالث» في ضيعة «آمون»[١١٨] الثاوي مثل السماء حاملًا «آتون» (الشمس)، وأقمته (٥) وكسوته حجرًا رمليًّا وجعلت له أبوابًا من الذهب الجميل، وملأت خزانته بالسلع التي (٦) جلبتها يداي لأحضرها أمامك يوميًّا.

معبد الأقصر الصغير: وزينت لك «ابت الجنوبية» (الأقصر) بالآثار العظيمة، وبنيت لك فيها بيتًا مثل «عرش رب الكل» (اسمه) معبد «رعمسيس»[١١٩] حاكم «هليوبوليس» (له الحياة والفلاح والصحة) (٧) الموحد بالسرور في الكرنك.

الأعمال التي قام بها «رعمسيس الثالث» في معبد موت: ولقد جددت مبانيك بامتياز في «طيبة» المنتصرة، وهي مكان راحة قلبك، بجانب أختك[١٢٠] (أي موت) واسمه: «معبد وسرماعت رع مري آمون في ضيعة آمون» مثل (٨) محراب رب الكل، وهو مبني من الحجر، بمثابة أعجوبة أُسست لتكون عملًا خالدًا ومدخله من حجر الجرانيت، والأبواب (٩) والعوارض من الذهب، وأمددته بالشباب الذين دربتهم حاملين القرابين بمئات الألوف.

(١٠) وأقمت لك محرابًا سريًّا في قطعة واحدة من الجرانيت الجميل، ومصراعاه من النحاس المطروق منقوشان باسمك الإلهي (١١) وصورتك العظيمة ثاوية فيه مثل «رع» في أفقه ممكنًا على عرشه حتى الأبدية في ردهتك العظيمة الفاخرة.

أواني العبادة: وصنعت (١٢) لك مائدة قربان كبيرة من الفضة المطروقة مشغولة بالذهب الجميل، ومرصعة بذهب «كتم» تحمل صور السيد (الملك) (له الحياة والفلاح والصحة) من الذهب المطروق، ومائدة قربان تحمل قربانك المقدس المقرب أمامك.

صفحة ٦

(١) وصنعت لك قاعدة آنية عظيمة لأجل ردهتك المشغولة بالذهب الجميل ومرصعة بالحجر، وأوانيها من الذهب فيها النبيذ والجعة لكي تقرب أمامك كل صباح.

عيد الظهور: (٢) وصنعت لك مخزنًا لعيد الظهور[١٢١] مجهزًا بالعبيد والإماء، وموَّنتهم بالخبز والجعة، والثيران، والطيور، والخمر، والبخور، والفاكهة، والخضر قربانًا طاهرًا أمامك يوميًّا. وهي إضافة إلى القربات الإلهية التي كانت من قبل.

حلي لتمثال العبادة: (٣) وصنعت لك تعويذة فاخرة (عينًا لتدرأ الحسد) من الذهب مطعمة، وقلائد عظيمة وأزرارًا من ذهب «كتم» كاملة لتربطها بجسمك في كل مرة تظهر فيها على عرشك العظيم في الكرنك (٤) وصنعت لك تمثالًا من الذهب المطروق ثاويًا في المكان الذي يعرفه[١٢٢] في محرابك السامي.

لوحات سجل: (٥) وصنعت لك لوحات عظيمة من الذهب المطروق منقوشة باسم جلالتك العظيم عليها تضرعاتي (٦): وصنعت لك لوحات أخرى من الفضة المطروقة منقوشة باسم جلالتك العظيم بمراسيم المعبد[١٢٣] (٧) وصنعت لك لوحات عظيمة من الفضة مطروقة ومنحوتة بالمسحل، وتحمل المراسيم وقوائم البيوت والمعابد التي أقمتها في مصر خلال حكمي على الأرض (٨) لكي أديرها باسمك أبد الآبدين، وإنك الحامي لها المجيب[١٢٤] عنها (٩) وقد صنعت لك لوحات أخرى من النحاس المطروق من مخلوط مؤلف من ستة أجزاء[١٢٥] من لون الذهب منقوشة ومنحوتة بالمسحل باسم جلالتك العظيم بمراسيم المعبد (١٠) وكذلك المدائح العدة التي عملتها لاسمك، وقلبك كان مسرورًا يا سيد الآلهة.

منخل لإقامة الشعائر: (١١) وصنعت لك إناء عظيمًا من الفضة الخالصة، حافته من الذهب، منقوش باسمك، وكان عليه منخل بالشغل المطروق من الفضة، ومصفاة عظيمة من الفضة لها منخل ورجلان.[١٢٦]

تماثيل من ذهب[١٢٧]: (١٢) وزخرفت تماثيل «موت» و«خنسو» اللذين سُوِّيا وصُنعا من جديد في بيوت الذهب، وقد صُنعا من الذهب الجديد وغُشيا بطبقة جميلة كثيفة من الذهب الجميل، ورُصعا بكل حجر ثمين صنعه «بتاح»، ولهما أطواق من قدام ومن خلف (١٣) ومجهزان بأزرار من ذهب «كتم»، وقد ثُويا بقلب راض، بسبب الأعمال العظيمة التي قمت بها لهما.

صفحة ٧

اللوحات: (١) وصنعت لك لوحات عظيمة لمدخل معبدك مرصعة بالذهب الجميل، بأشكال مطعمة بالذهب (كتم) تحملها قواعد كبيرة مشغولة بالفضة، وعليها أشكال مطعمة بالذهب حتى مستوى الأرض.

الحب: (٢) وقدمت لك عشرة آلاف حقيبة من الحب لتموين قرابينك الإلهية اليومية، لتحمل إلى «طيبة» كل سنة، لكي تضاعف مخازن غلالك بالشعير والقمح.

(٣) وأحضرت إليك أسرى أهل «الأقواس التسعة»، وهدايا الأراضي والممالك لردهتك، وجعلت الطريق إلى طيبة كالقدم (ممهدة) لتهدي سبيلك، وتُحمل عليها مؤن كثيرة.

القرب الموقوتة: (٤) وأسست لك قربًا في أعياد أوائل الفصول لتكون قربانًا أمامك عند كل ظهور لك، وقد مُوِّنت بالخبز والجعة، والثيران، والدجاج، والنبيذ، والبخور، والفاكهة التي يخطئها العد، وقد فُرضت من جديد على الأمراء والمفتشين بمثابة زيادة للإنعامات التي عملتها لأجل حضرتك (كا).

السفينة المقدسة: (٥) وصنعت لك سفينتك الفاخرة المسماة «وسرحات»، وطولها ثلاثون ومائة ذراع؛ على النهر من خشب الأرز العظيم. من الضيعة (الملكية)، وهي ذات حجم عظيم مغشاة

بالذهب الجميل، حتى سطح الماء، مثل سفينة الشمس عندما تطلع إلى الشرق، ويحيا كل إنسان عند رؤيتها، وفي وسطها محراب عظيم من الذهب الجميل مطعم بكل حجر ثمين كأنه قصر (مزين) برءوس كباش[١٢٨] من الذهب، من قدام ومن خلف، ومجهز بصلال تلبس تاج «أتف».

محاصيل «بنت»: (٧) وقد قدت إليك بلاد «بنت» محملة بأشجار المر لكي تحيط بيتك كل صباح (بالعبير)، وغرست لك جميزًا معطرًا في ردهتك (معبدك) وإنهم لم يروها، (أي أشياء «بنت») من قبل منذ زمن الإله (أي منذ زمن «درع») عندما خلق الدنيا.

أسطول البحر الأبيض المتوسط: (٨) وصنعت لك سفن نقل، وسفنًا مسطحة وزوارق مزودة برماة مسلحين بأسلحتهم على الأخضر العظيم (البحر الأبيض)، ومنحتها ضباطًا من الرماة، وضباط سفن يديرها نواتي عديدون لا حصر لهم، لنقل محاصيل أرض «زاهي» والممالك التي في نهاية الأرض إلى خزائنك في «طيبة المنتصرة».[١٢٩]

الماشية والدجاج: (٩) وكونت لك قطعانًا في الجنوب والشمال تشمل حيوانات كبيرة، ودجاجًا، وحيوانات صغيرة بمئات الألوف، يقوم عليها مشرفون للماشية، وكتاب، ومشرفون على ماله قرن. ومفتشون ورعاة عديدون يحافظون عليها، ولديهم علف ليقربوا إلى حضرتك في كل أعيادك حتى يرضى قلبك بها يا حاكم التاسوع.

الكروم والأشجار: (١٠) وأنشأت لك كرومًا للنبيذ في الواحة الجنوبية، والواحة الشمالية كذلك لا حصر لها، وأخرى في الجنوب دُونت في قوائم عديدة قد تضاعفت في الأرض الشمالية بمئات الألوف، وأمددتها بالبستانيين من أسرى الممالك الأجنبية، ولها بحيرات قد حفرتها ممدودة (١١) بأزهار البشنين و«الشدح»، ونبيذًا كالماء الجاري لتقديمها أمامك في «طيبة المنتصرة»، وغرست مدينتك (١٢) «طيبة» بالأشجار، والخضر، ونبات «إسي» وأزهار «منهت» لخيشوميك.

معبد «خنسو»: (١٣) وأقمت معبدًا لابنك «خنسو» في «طيبة» من الحجر الرملي الجميل، والحجر الرملي الأحمر، والحجر الأسود (الجرانيت)، ومَوَّهت عوارض أبوابه بالذهب في أشكال مرصعة بالسام مثل أفق السماء.

صفحة ٨

(١) وطعَّمت تماثيلك في بيوت الذهب بكل حجر فاخر ثمين مما أحضرته يداي.

محراب في العاصمة: (٢) وأقمت لك حيًّا في مدينة الأرض الشمالية. وأسسته ملكًا لك أبديًّا، ويُسمى «بيت رعمسيس حاكم هليوبوليس» — له الحياة والفلاح والصحة — عظيم الانتصارات إلى الأبد. (٣) وقد جعلت له مصر وجزيتها، وقد تجمعت في وسطه الناس من كل أرض، ومُد بالحدائق الكبيرة، وأماكن للتنزه، فيها كل خمائل النخل محملة بفاكهتها (٤) وله طريق مقدسة (طريق الكباش المؤدية إلى باب المعبد) يضفي عليه البهجة أزهار كل بلد: نبات «إسي»، والبردي، وأزهار «ددمت» فيه كالرمل.

كرومه وشجر زيتونه: (٥) وصنعت له كرمًا يُسمى «كنكمى» (غذاء مصر) مغمورًا مثل الأرضين في أراضي الزيتون العظيمة، يحمل عنبًا يحيط بها جدار حولها يقدر بإتر (مقياس طول = ميلًا وربع ميل تقريبًا)، وغُرس بالأشجار العظيمة (٦) في كل طرقاته المتعددة، وفيه الزيت أكثر من رمل الشاطئ ليؤتى به إلى حضرتك، إلى «طيبة المنتصرة». وكان الخمر كالماء الجاري لا حصر له، ليقدم (٧) أمامك قربانًا يوميًّا. (٨) وبنيت لك معبدك في وسط رقعتها، مثبتًّا بالعمل. وأحجاره ممتازة من «عيان»، وبابه وعوارضه من الذهب الموشى بالنحاس، والأشكال المنقوشة كانت من كل حجر غالٍ مثل باب السماء المزدوج.

تمثال العبادة: (٩) وسويت تمثالك الفاخر لإقامة أحفال الأزهار به مثل «رع» عندما يضيء الأرض بأشعته، واسمه العظيم الفاخر هو: «آمون رعمسيس حاكم هليوبوليس»، وملأت بيته بالعبيد والإماء الذين جلبتهم من أرض البدو «ستيو» (١٠) وكهنة المعبد المؤقتون كانوا أولادًا لرجال عظماء، قد نشأتهم. وكانت بيوت ماله تفيض بالمحاصيل من الأرض كلها، ومخازن غلاله بلغت عنان السماء، وقطعانه تضاعفت (١١) أكثر من الرمل، وحظائر الماشية تقدم لحضرته قربانًا يوميًّا غزيرة وطاهرة أمامه، وكانت حظائر التسمين تشمل الأوز السمين، وحظائر الدواجن فيها الطيور البرية (١٢) وكانت الحدائق ممدودة بالنبيذ، وممونة بفاكهتها والخضر وكل أنواع الأزهار.

معبد «بلاد النوبة»: (١٣) وأقمت لك معبدًا فاخرًا في بلاد النوبة «تا-بدت» منقوشًا باسمك الفاخر، وهو يشبه السماء، واسمه «بيت رعمسيس حاكم هليوبوليس» — له الحياة والفلاح والصحة — عظيم الانتصار، ثابت باسمك أبديًّا.

صفحة ٩

معبد «زاهي»: (١) وبنيت لك بيتًا خفيًّا في أرض «زاهي»[١٣٠] مثل أفق السماء الذي في القبة الزرقاء، واسمه «بيت رعمسيس حاكم هليوبوليس» — له الحياة والفلاح والصحة — في «باكنعان» بمثابة قربات ملكية (٢) باسمك. وسويت تمثالك العظيم الثاوي في وسطه، واسمه «آمون رعمسيس حاكم هليوبوليس» — له الحياة والفلاح والصحة — وقد حج إليه آسيويو «رتنو» حاملين (٣) جزيتهم أمامه؛ لأنه كان مقدسًا.

وأحضرت أهل الأرض جميعًا من أجلك، حاملين إتاواتهم لينقلوها إلى «طيبة»[١٣١] مدينتك الخفية. (٤) وصنعت لك تماثيل في مراكز مصر، وقد كانت لك وللآلهة الذين يحفظون هذه الأرض، وأقمت لهم معابد؛ وحدائق تشمل خمائل (٥) وأراضي، وماشية صغيرة وماشية كبيرة وعبيدًا عديدين، وهم ملك لك أبد الدهر وعينك عليهم، وأنت حاميهم إلى الأبد (٦) وصنعت تماثيلك العظيمة الكبيرة التي مراكزها في أراضي مصر. وأصلحت معابدها (٧) التي كانت مخربة، وضاعفت قرابينها المقدسة، المقدمة لحضراتها بمثابة زيادة في القربات اليومية التي كانت من قبل.

القوائم: (٨) انظر؛ لقد دوَّنت كل ما فعلت أمامك يا والدي الفاخر المقدس، يا رب الآلهة، حتى يعرف الناس والآلهة هباتي التي (٩) عملتها لك بقوة عندما كنت على الأرض.

(د) ثروة المعابد

صفحة ١٠

ضيعة «آمون»

(١) قائمة بالسلع، والماشية، والحدائق، والحقول، والسفن؛ والمصانع (للسفن) والبلاد التي منحها الفرعون بيت والده الفاخر (٢) «آمون رع» ملك الآلهة، و«موت» و«خنسو» وكل آلهة «طيبة» بوصفها ملكية إلى أبد الآبدين.

التابعون للمعابد: معبد مدينة «هابو»: (٣) معبد ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسرماعت رع مري آمون» — له الحياة والفلاح والصحة — في ضيعة «آمون» في الجنوب والشمال تحت إدارة موظفيه، المجهز بكل سلعة: ٦٢٦٢٦ نسمة. (راجع Wilbour, Pap. II, p. 36 Note 4).

معبد «رعمسيس الثالث» في ضيعة «آمون»: (٤) معبد الملك «وسرماعت رع مري آمون» — له الحياة والفلاح والصحة — في ضيعة «آمون»، في الجنوب والشمال تحت إدارة موظفي المعابد لهذا البيت المجهز بكل سلعة: ٩٧٠ نسمة.

معبد «الأقصر» الصغير الذي أقامه «رعمسيس الثالث»: (٥) بيت «رعمسيس حاكم هليوبوليس» — له الحياة والفلاح والصحة — في ضيعة «آمون» في الجنوب والشمال تحت إدارة موظفين مجهز بكل أشيائه: ٢٦٢٣ نسمة.

معبد صغير أقامه «رعمسيس الثالث» بالأقصر: (٦) معبد «رعمسيس حاكم هليوبوليس» — له الحياة والفلاح والصحة — موحد في السرور في ضيعة «آمون» تحت إدارة رئيس الكهنة ومجهز بكل حاجياته: ٤٩ نسمة.

خمسة قطعان لمعابد طيبة: (٧) قطيع «وسرماعت رع» في ضيعة «آمون» الذي يُسمى «وسرماعت رع مري آمون» في ضيعة «آمون» ويُسمى «وسرماعت رع مري آمون» آسر الثوار، النيل العظيم:[١٣٢] ١١٣ رأسًا.

(٨) قطيع يُسمى «وسرماعت رع» قاهر «المشوش» عند ماء «رع» تحت إدارة البيت «بياي»: ٩٧١ نسمة (من المشوش).

(٩) قطيع يُسمى «رعمسيس حاكم هليوبوليس» له الحياة والفلاح والصحة في ضيعة «آمون» — وهو نيل عظيم: ١٨٦٧ نسمة.

(١٠) قطيع يُسمى «وسرماعت رع مري آمون» في ضيعة «آمون» الذي عمل للناس نيلًا عظيمًا تحت إدارة وزير الجنوب: ٣٤ نسمة.

(١١) قطيع «رعمسيس حاكم هليوبوليس له الحياة والفلاح والصحة» في ضيعة «آمون» تحت إدارة المشرف على الماشية «كاي»: ٢٧٩ نسمة.

مقر الملك (؟)[١٣٣]**:** (١٢) بيت «رعمسيس» حاكم هليوبوليس عظيم الانتصارات: المدينة التي أقامها الفرعون لك (آمون) في الشمال في زمام[١٣٤] ضيعة «آمون رع» ملك الآلهة قائلًا: «ليتك تصبح منتصرًا لأنك جعلتها تمكن سرمديًّا»: ٧٨٧٢ نسمة.

معبد «خنسو»: (١٣) رعمسيس حاكم هليوبوليس (له الحياة والفلاح والصحة) في ضيعة «خنسو»: ٢٩٤ نسمة.

الناس الذين أهداهم «رعمسيس الثالث»: (١٤) الناس الذين وهبهم إلى ضيعة «خنسو» في «طيبة» — «نفر حتب» (الراحة الجميلة)، «حور» سيد الفرح: ٢٤٧ نسمة.

(١٥) سوريون ونوبيون من أسرى جلالته الذين منحهم بيت «آمون رع» ملك الآلهة، وبيت «موت»؛ وبيت «خنسو»: ٢٦٠٧ نسمة.

(١٦) رماة «وسرماعت رع» (له الحياة والفلاح والصحة)، مؤسس بيته في ضيعة «آمون» المستوطنون الذين وهبهم إلى هذا البيت: ٧٧٠ نسمة.

صفحة ١١

تماثيل معبد الكرنك العظيم[١٣٥]**:** الصور المحمية في قوارب، والتماثيل ومجاميع التماثيل التي يدفع لها الموظفون، وحاملوا الأعلام، والمراقبون، وأصحاب الأراضي ضرائب وهم الذين نصبهم الفرعون على أملاك بيت «آمون رع» ملك الآلهة من قبله ليحفظوها ويحموها لكل الأبدية وعددها:

(٣) ٢٧٥٦ إلهًا — وعدد الأشخاص	٥١٦٤ رأسًا
(٤) والمجموع	٨٦٤٨٦ نسمة

جدول : أملاك مختلفة

(٥) ماشية كبيرة، وماشية صغيرة متنوعة	٤٢٣٦٢
(٦) حدائق وخمائل	٤٣٣
(٧) حقول مساحتها	- ستاتا[*]
(٨) سفن نقل، وسفن مسطحة	٨٣
(٩) مصانع من خشب الأرز والسنط	٤٦
(١٠) بلاد مصر	٥٦
(١١) بلاد «سوريا» و«كوش»	٩

* ستات يساوي ــ من الفدان الإنجليزي.

صفحة ١٢ (أ)

(ب) الضرائب التي تُجبى من الرعايا: «دخل آمون»: (١) السلع، والضرائب، وإنتاج الناس، وكل التابعين لمعبد الملك «وسرماعت رع مري آمون» في ضيعة «آمون» في المدينة (يقصد بالمعبد هنا: معبد «رعمسيس الثالث» الواقع بالقرب من معبد «موت» كما ذكر ذلك «شادل Schaedel») ولمعبد «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة آمون (يقصد معبد الكرنك الصغير). ولمعبد «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» المتحد في السرور في ضيعة «آمون» (يقصد معبدًا مهدمًا «لرعمسيس الثالث» في الأقصر) التابع للأقصر، ولمعبد «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «خنسو» (يقصد معبد خنسو في الكرنك)، ولخمسة القطعان التي حُفظت لهذا المعبد (أي كل ضيعة «آمون رع») ملك الآلهة. وهي (يقصد السلع والضرائب وإنتاج الناس التي ذُكرت في أول الفقرة) التي وضعها الملك «وسرماعت رع» الإله الأعظم هبة في بيوت المال، والمخازن، ومخازن الغلال على أنها جزيتهم السنوية (يقصد ضريبة الناس والتابعين الذين ذُكروا في السطر الأوَّل).

	دبن*	قدت
(٦) ذهب جميل	٢١٧	٥
(٧) ذهب من جبل «قفط»	٦١	٣
(٨) ذهب «كوش»	٢٩٠	٨ـ

	دبن*	قدت
(٩) مجموع الذهب اللطيف وذهب الجبل	٥٦٩	٦_
(١٠) فضة	١٠٩٦٤	٩
(١١) مجموع الذهب والفضة	١١٥٤٦	٨ (هكذا في الأصل)
(١٢) النحاس	٢٦٣٢٠	
(١٣) الكتان الجنوبي وكتان «مك» وكتَّان الجنوب الجميل، والكتَّان الملون الجنوبي وملابس مختلفة	٣٧٢٢	
(١٤) غزل دبن	٣٧٩٥	
(١٥) بخور وعسل وزيت وأوان مختلفة	١٠٤٧	

* يساوي ٩١ جرامًا، والقدت عشر الدبن.

صفحة ١٢ (ب)

	دبن	قدت
(١) شراب شدح ونبيذ وجرار مختلفة	٢٥٤٠٥	
(٢) فضة (وهي من ضرائب الناس وُهبت للقرابين المقدسة)	٣٦٠٦	١

	دبن	قدت
(٣) شعير، وهو ضريبة فُرضت على الفلاحين بالحقيبة	٣٠٩٩٥٠	
(٤) حزم خضر	٢٤٦٥٠	
(٥) حزم كتَّان	٦٤٠٠٠	
(٦) طيور ماء من إتاوة الصيادين والسماكين	٢٨٩٥٣٠	
(٧) ثيران وعجول مخصية، وعجلات وعجول وبقرات وهي ضريبة وماشية ثمنها ٣ قدت وماشية من قطعان مصر	٨٤٧	
(٨) ثيران وعجول مخصية وعجلات وعجول وبقرات وهي ضريبة أرض سوريا	١٩	
المجموع	٨٦٦	
(٩) أوز حيٌّ من الضرائب	٧٤٤	
(١٠) خشب الأرز: قوارب للجرِّ وقوارب للعبور	١١	
(١١) خشب السنط، قوارب تجر، وقوارب ترع، وقوارب لنقل الماشية، وسفن حربية وسفن «كارا»	٧١	
(١٢) مجموع السفن من الأرز والسنط	٨٢	
(١٣) محاصيل الواحات (يقصد هنا الواحة الشمالية) في قوائم كثيرة لأجل القربات المقدَّسة		

صفحة ١٣ (أ)

(ج) منح الفرعون «السنوية»: (١) الذهب، والنحاس، والفضة، واللازورد الحقيقي، والفيروز الحقيقي، وكل حجر ثمين حقيقي، والنحاس، وملابس من الكتان الملكي، والكتان «مك»، (٢) وكتَّان الجنوب الجميل، وكتَّان الجنوب، والملابس الملونة، والأواني، والدجاج، وكل الأشياء التي أعطاها الملك «وسرماعت رع مري آمون» (له الحياة الخ) الإله العظيم. (٣) هدايا الملك لتموين بيت آبائه الفاخرين «آمون رع» ملك الآلهة، والإلهة «موت» والإله «خنسو» من السنة (٤) الأولى من حكمه حتى السنة الواحدة والثلاثين، أي في مدة إحدى وثلاثين سنة.[١٣٦]

	دبن	قدت
(٥) ذهب «كتم» الجميل ٤٢ خاتمًا	٢١	
(٦) ذهب جميل مشغول بالبارز ٢٢ خاتم أصبع	٣	٣
(٧) ذهب جميل مطعم ٩ خواتم	١	-
(٨) ذهب جميل مشغول بالبارز وبالتطعيم من كل حجر ثمين حقيقي وعاء عمود «آمون»	٢٢	٥
(٩) ذهب جميل مطروق (بوجه واحد)	٩	-
(١٠) المجموع ذهب جميل مصنوع حليًّا	٥٧	٥
(١١) ذهب من الدرجة الثانية: صناعة بارزة ومطعمة ٤٢ خاتم أصبع	٤	-
(١٢) ذهب من الدرجة الثانية: إناءان	٣٠	٥
(١٣) المجموع: ذهب من الدرجة الثانية	٣٥	-
(١٤) ذهب أبيض ٣١٠ خاتم أصبع	١٦	-

صفحة ١٣ (ب)

	دبن	قدت
(١) ذهب أبيض ٢٦٤ خرزة	٤٨٠	٤
(٢) ذهب أبيض مطروق ١٠٨ خاتم أصبع للإله	١٩	٨
(٣) ذهب أبيض ١٥٥ تعويذة	٦	٢
(٤) مجموع الذهب الأبيض	٩٠	ـ
(٥) مجموع الذهب الجميل من الدرجة الثانية والذهب الأبيض	١٨٣	٥
(٦) فضة: إناء حافته من الذهب بصناعة بارزة	١١٢	٥ (هكذا)
(٧) فضة: منخل للإناء	١٢	٣
(٨) فضة: مصفاة للإناء	٢٧	٧
(٩) فضة: أربع أوان	٥٧	ـ
(١٠) فضة: ٣١ سلة كبيرة بأغطية	١٠٥	٤
(١١) فضة: ٣١ علبة بأغطية	٧٤	٤
(١٢) فضة: ٦ أوان للكيل «عرق»	٣٠	٣

	دبن	قدت
(١٣) فضة مطروقة لوحة كتابة	١٩	-
(١٤) فضة مطروقة لوحتان (عنو)	٢٨٧	-
(١٥) فضة مجزأة	١٠٠	
(١٦) المجموع: فضة في صورة أوانٍ وقطع	٨٢٧	-
	والصحيح = ٨٢٦ دبن و_	قدت

صفحة ١٤ (أ)

	دبن	قدت
(١) مجموع الذهب والفضة المصنوعين أواني وقطعًا	١٠١٠	-
(٢) لازورد حقيقي: قطعتان	١٤	-
(٣) برنز مطروق: ٤ لوحات (عنو)	٨٢٢	
(٤) مر	٥١٤٠	
(٥) مر	٣ حقت	
(٦) مر	٢٠ هنا	

	دبن	قدت
(٧) خشب مر قطع	١٥	
(٨) ثمار المر بالكيل (إبت) (بالويبة)	١٠٠ كيل	
(٩) كتان ملكي: ملابس (دو)	٣٧ رداء	
(١٠) كتان ملكي: ملابس فوقانية (دو)	٩٤	
(١١) كتان ملكي: ملابس – هاومن	٥٥	
(١٢) كتان ملكي: عباءات	١١	
(١٣) كتان ملكي: لفائف حور	٢	
(١٤) كتان ملكي: ملابس	١	
(١٥) كتان ملكي: ملابس (إدجا)	٦٩٠	
(١٦) كتان ملكي: قمصان	٤٨٩	
(١٧) كتان ملكي لتمثال «آمون» الفاخر	٤	

صفحة ١٤ (ب)

	دبن

	دبن
(١) مجموع الملابس من الكتان الملكي المختلف الأنواع	١٣٨٣
(٢) كتان «مك»: ثوب واحد	١
(٣) كتان «مك»: عباءة	١
(٤) كتان «مك» غطاء: إزار لتمثال آمون الفاخر	١
(٥) مجموع كتان «مك»: ملابس منوعة	٣
(٦) كتان جميل من الجنوب: ملابس (دو)	٢
(٧) كتان جميل من الجنوب: ملابس (؟)	٤
(٨) ملابس خارجية (دو)	٥
(٩) كتان جميل من الجنوب: ملابس «إدجا»	٣١
(١٠) كتان جميل من الجنوب: قمصان	٢٩
(١١) كتان جميل من الجنوب: تنورة (سونتيان)	٤
(١٢) مجموع الملابس المختلفة من كتان الجنوب الجميل	٧٥
(١٣) كتان ملون: عباءات	٨٧٦
(١٤) كتان ملون: قمصان	٦٧٧٩

	دبن
(١٥) مجموع الكتان الملون والملابس المختلفة	٧١٢٥
(المجموع هنا ينقص ٥٣٠)	
(١٦) مجموع الكتان الملكي، وكتان «مك» وكتان الجنوب الجميل وكتان الجنوب، والكتان الملون المنوع	٨٥٨٦

صفحة ١٥ (أ)

	دبن
(١) بخور أبيض: جرار «من»	٢١٥٩
(٢) بخور أبيض: جرار «من»	١٢
(٣) شهد: جرار «من»	١٠٦٥
(٤) زيت مصر: جرار «من»	٢٧٤٣
(٥) زيت سوريا:* جرار «من»	٥٣
(٦) زيت سوريا: جرار «من»	١٧٥٧
(٧) شحم أبيض: جرار «من»	٩١١
(٨) دهن أوز: جرار «من»	٣٨٥

	دبن
(٩) زبد: جرار «من»	٢٠
(١٠) مجموع الأواني المملوءة (إعع)	٩١٢٥†
(١١) شدح (شراب) في جرار «من» ملونة	١٣٧٧
(١٢) شدح: جرار «كابو»	١١١١
(١٣) نبيذ: جرار «من»	٢٠٠٧٨
(١٤) مجموع جرار الشدح والنبيذ من جرار «من» و«كابو»	٢٢٥٥٦‡
(١٥) هرست (حجر): تعاويذ العين المقدسة	١٨٥
(١٦) لازورد: تعاويذ العين المقدسة	٢١٧

* في «برستد» جرار «سخاي» ولكن هذه اللفظة لا وجود لها في الأصل.

† المجموع الصحيح هو = ٩١٠٥.

‡ المجموع الصحيح هو = ٢٢٥٦٦.

صفحة ١٥ (ب)

	دبن
(١) يشب أحمر: جعارين	٦٢

	دبن
(٢) فيروزج: جعارين	٢٢٤
(٣) شبه وحجر «مينو»: جعارين	٢٢٤
(٤) لازورد: جعارين	٦٢
(٥) أحجار ثمينة مختلفة: تعاويذ العين المقدَّسة	١٦٥
(٦) أحجار ثمينة مختلفة: أختام بمثابة صدريات	٦٢
(٧) بللور صخري: أختام	١٥٥٠
(٨) بللور صخري: خرزات	١٥٥٠٠
(٩) بللور صخري مقطوع: جرار «هن»	١٥٥
(١٠) خشب مشغول: أختام	٣١
(١١) قطعة مرمر	١
(١٢) خشب أرز «ببا-نني»	٦
(١٣) خشب أرز «تبت»	١
(١٤) خشب «نابيو» ثلاث قطع	٦١٠ دبن
(١٥) خشب سلامكة قطعة واحدة	٨٠٠ دبن

	دبن
(١٦) بوص: حزم	١٧

صفحة ١٦ (أ)

	دبن
(١) قرفة: مكيال (مستي)	٢٤٦
(٢) قرفة: حزم	٨٢
(٣) عنب: مكيال (مستي)	٥٢
(٤) حصا لبان: مكيال (مستي)	١٢٥
(٥) نبات «أيوفيتي»: مكيال (مستي)	١٠١
(٦) فاكهة الدوم (مهاي): مكيال (مستي)	٢٦
(٧) فاكهة: حقت	٤٦
(٨) عنب: أقفاص	١٨٠٩
(٩) عنب: عناقيد	١٨٦٩
(١٠) رمان: أقفاص	٣٧٥

	دبن
(١١) نبات «باكايا»: مكاييل (إبت) (بالويبة)	١٦٦٨
(١٢) ماشية منوعة	٢٩٧
(١٣) أوز حي	٢٩٤٠
(١٤) أوز «تربو» حي	٥٢٠٠
(١٥) طيور مائية حية	١٢٦٣٠٠

صفحة ١٦ (ب)

	دبن
(١) أوز سمين من القطعان	٢٠
(٢) امتست (حجر الجمشت) قوالب	٤٤٠٠٠
(٣) ملح	٤٤٠٠٠
(٤) ليف النخل: حبال	١٨٠
(٥) ليف النخل: أحمال	٥٠
(٦) ليف النخل: مكيال «سرحت»*	٧٧

	دبن
(٧) ليف النخل: حبال	٢
(٨) حصر (سبخن)	٦٠
(٩) كتان حصر	١٠١٥٠
(١٠) حصر	٦٠
(١١) ثوم: مكاييل (مستي)	٥٠
(١٢) نبات «مترت» نقي: دبن	٧٥٠

* راجع ما كُتب عن هذا الحجر مصر القديمة الجزء الثالث.

(د) غلة القربان الخاصة بالأعياد: (١٣) حب للقرابين المقدَّسة لأعياد السماء وأعياد أوائل الفصول، وهي التي أسسها الملك «وسرماعت رع مري آمون» الإله العظيم (١٤) لوالده «آمون رع» ملك الآلهة، وللإلهة «موت» وللإله «خنسو» وكل آلهة «طيبة» زيادة في القرابين المقدَّسة، وفي القرابين اليومية لتكثير ما كان من قبل، من السنة الأولى حتى السنة الواحدة والثلاثين (من حكمه) أي في مدَّة إحدى وثلاثين سنة: ٢٩٨١٦٧٤[١٣٧] حقيبة.

صفحة ١٧ (أ)

(ﻫ) قرابين الأعياد: (١) قرابين الأعياد التي أسسها الملك «وسرماعت رع مري آمون» الإله العظيم لوالده (٢) «آمون رع» ملك الآلهة، و«موت»، و«خنسو»؛ وكل آلهة «طيبة» مدة العشرين يومًا لقرب العيد (المسمى) (٣) «وسرماعت رع مري آمون» (له الحياة الخ) جاعلًا «طيبة» في عيد «لآمون» من الشهر الأول، من الفصل الثالث (الشهر التاسع) اليوم السادس

والعشرون، حتى الشهر الثاني من الفصل الثالث (الشهر العاشر) اليوم الخامس عشر (٤) أي عشرين يومًا، ومن السنة الثانية والعشرين إلى السنة الثانية والثلاثين، أي مدة إحدى عشرة سنة، هذا بالإضافة إلى قرابين (٥) عيد «إبت» الجنوبية (الأقصر) من الشهر الثاني، من الفصل الأول، اليوم التاسع عشر — حتى الشهر الثالث من الفصل الأوَّل (الشهر الثالث) اليوم الخامس عشر، أي مدة سبعة وعشرين يومًا من السنة الأولى (٦) — حتى السنة الواحدة والثلاثين، أي واحد وثلاثين عامًا.

(٧) خبز ناعم: رغفان قربات كبيرة*	١٠٥٧
(٨) خبز ناعم: رغفان كبيرة «سيد»	١٢٧٧
(٩) خبز ناعم: رغفان كبيرة «بح»	١٢٧٧
(١٠) خبز ناعم: رغفان كبيرة «زدمت حرتا»	٤٤٠
(١١) خبز قربان كبير	٤٣٦٢٠
(١٢) قلب البردي لبيت البخور	٦٨٥
(١٣) جعة الدن ٤٤٠١ جرة	تُركت فضاء
(١٤) خبز ناعم، ولحم، وفطائر، سلات (حتب) للزينة	١٦٥
(١٥) خبز ناعم، ولحم، وفطائر: سلات (حتب) من الذهب	٤٨٥

* وهذا يشبه كل الشبه ما كانت عليه الحال بالنسبة للأوقاف التي كانت تُصرف لرجال الدين بالأزهر إلى عهد قريب.

صفحة ١٧ (ب)

	دبن
(١) خبز ناعم، ولحم فطائر (رحس) سلات للأكل*	١١١٢٠
(٢) خبز ناعم وفطائر (رحس) سلات (ثاي) لفم الآكل	٩٨٤٥
(٣) خبز ناعم ولحم وفطائر (رحس): أواني الأمير	٣٧٢٠
(٤) خبز ناعم خاص بالقرابين المقدَّسة: أواني من الذهب مجهزة	٣٧٥
(٥) خبز ناعم خاص بالقرابين المقدَّسة: رغفان (بيات)	٦٢٥٤٠
(٦) خبز ناعم خاص بالقرابين المقدَّسة: رغفان (برسن)	١٠٦٩٩٢
(٧) خبز ناعم خاص بالقرابين المقدَّسة: رغفان بيضاء	١٣٠٢٠
(٨) خبز ناعم: رغفان كبيرة (عق)† للأكل	٦٢٠٠
(٩) خبز ناعم: رغفان مسكرة (ساب)	٢٤٨٠٠
(١٠) خبز ناعم: رغفان (عق) النار (أي يخبز على النار)	١٦٦٦٥
(١١) خبز ناعم: رغفان (عق) كبيرة	٩٩٢٧٥٠
(١٢) خبز ناعم: بوسا-عق من الحب	١٧٣٤٠
(١٣) خبز ناعم: رغفان قربان أبيض	٥٧٢٠٠٠

	دبن
(١٤) خبز ناعم: رغفان هرمية الشكل	٤٦٥٠٠
(١٥) خبز ناعم: رغفان (كرشتي)؟	٤٤١٨٠٠

* هذه الجمل تشير بطبيعة الحال إلى الرغفان (للأكل).

† يُحتمل أن تدل هذه العبارات على ما كان يؤكل في الأعياد.

صفحة ١٨ (أ)

	دبن
(١) خبز ناعم: رغفان (ودنو-نت)	١٢٧٤٠٠
(٢) خبز (كونك): رغفان بيض	١١٦٤٠٠
(٣) خبز ناعم: رغفان (بعت)	٢٦٢٠٠٠
(٤) مجموع الخبز الناعم، وخبز (عق) المنوع	٢٨٤٤٣٥٧*
(٥) فطائر (رحس) سلات ثمثم	٣٤٤
(٦) فطائر: بالويبة	٤٨٤٢٠
(٧) فطائر (رحس): بالويبة	٢٨٢٠٠
(٨) أواني دقيق (ع)	٣١٣٠

	دبن
(٩) شراب شدح: جرار (من)	٢٢١٠
(١٠) شراب شدح: جرار (كابو)	٣١٠
(١١) نبيذ: جرار (من)	٣٩٥١٠
(١٢) مجموع جرار (من) و(كابو) من شدح، ونبيذ	٤٢٠٣٠
(١٣) جعة: أوانٍ مختلفة	٢١٩٢١٥
(١٤) زيت حلو: جرار (من)	٩٣
(١٥) زيت حلو: هن	١١٠٠

* المجموع الحقيقي هو = ٢٨٠٦٤٠٧ ولا يدخل في ذلك ٢٥٧١٠ مكيالًا الخ.

صفحة ١٨ (ب)

	دبن
(١) بخور أبيض: جرار (من)	٦٢
(٢) بخور: مكاييل منوعة بالويبة	٣٠٤٠٩٣
(٣) بخور للإحراق: جرار (من)	٧٧٨
(٤) زيت أحمر: جرار (من)	٣١

	دبن
(٥) زيت (نحح): جرار (من)	٩٣
(٦) زيت (نحح): هن	١١٠٠٠٠
(٧) شهد: جرار (من)	٣١٠
(٨) شحم أبيض: جرار (من)	٩٣
(٩) زيتون: جرار (من)	٦٢
(١٠) كتان الجنوب: ملابس (دو)	١٥٥
(١١) كتان الجنوب: ملابس (ردو)	٣١
(١٢) كتان ملون: ملابس (إفد)	٣١
(١٣) كتان ملون: قمصان	٤٤
المجموع	٢٦١
(١٤) شمع: دبن	٣١٠٠
(١٥) كل أنواع الفاكهة الجميلة: مكاييل (كابوسا)	٦٢٠
(١٦) كل أنواع الفاكهة الجميلة: مكاييل (ثاي)	٦٢٠

صفحة ١٩ (أ)

	دبن
(١) فاكهة: سلات (حتب)	٥٥٩٥٠٠
(٢) فاكهة: سلات (دنيت)	٧٨٥٥٠
(٣) تين الإتاوة: بمكيال الويبة	٣١٠
(٤) تين الإتاوة: بمكيال «مخا»	١٤١٠
(٥) تين الإتاوة: سلات (مستي)	٥٥
(٦) تين الإتاوة: بمكيال الويبة	١٥٥٠٠
(٧) تين الإتاوة: بمكيال (ثاي)	٣١٠
(٨) فاكهة (مهيوت): فطائر (ساتا)	٣١٠٠
(٩) قرفة: سلات (حتب)	٢٢٠
(١٠) قرفة: سلات (مستي)	١٥٥
(١١) نبات (سعم): سلات (حتب)*	١٥٥٠
(١٢) كرنب (حقت)	٦٢٠
(١٣) كراث: حقت† =	٣١٠
(١٤) كراث: حزم	٦٢٠٠

	دبن
(١٥) عنب: سلات (مستي)	١١٧
(١٦) عنب: سلات (ثاي)	١٥٥٠

[*] راجع: W. b. IV, p. 45.

[†] راجع: W. b. III, p. 354.

صفحة ١٩ (ب)

	دبن
(١) فاكهة الجنوب: (حقت)	٨٩٨٥
(٢) نبات عنبو: «حقيبة»	٦٢٠
(٣) نعال من البردي المجهز	١٥١١٠
(٤) ملح: بالحقيبة	١٥١٥
(٥) قوالب ملح (طوب ملح)	٦٩٢٠٠
(٦) قوالب امتست (جمشت)	٧٥٤٠٠
(٧) كتان مغزول غزلًا سميكًا (ملابس دو)[*]	١٥٠
(٨) كتان: جدائل (؟)	٢٦٥

	دبن
(٩) أثل: حزم	٣٢٧٠
(١٠) غاب للسلات: حزم	٤٢٠٠
(١١) نعال من الجلد: أزواج	٣٧٢٠
(١٢) فاكهة الدوم بالويبة	٤٤٩٥٠٠
(١٣) رمان: بالويبة	١٥٥٠٠
(١٤) رمان: أقفاص (بدر)	١٢٤٠
(١٥) زيتون: جرار (جاي)	٣١٠
(١٦) جرار وأوانٍ من مصبب قناة «هليوبوليس»[†]	٩٦١٠

[*] راجع: W. b. I, p. 307.

[†] ربما يشير ذلك إلى المكان الذي صُنعت فيه هذه الأواني، كما يُقال في أيامنا: القلل القناوي.

صفحة ٢٠ (أ)

	دبن
(١) لب البردي: بالويبة	٣٧٨٢
(٢) نبدو (؟): بالويبة	٩٣٠

	دبن
(٣) ثيران	٤١٩
(٤) عجول مخصية	٢٩٠
(٥) ثيران ذات قرون طويلة (نجا)	١٨
(٦) عجلات	٢٨١
(٧) ماشية سنها سنتان (نوع من البقر يختلف عن الأنواع الأخرى)	٣
(٨) عجول	٧٤٠
(٩) عجول مخصية (تبو)	١٩
(١٠) بقرات	١١٢٢
(١١) المجموع	٢٨٩٢
(١٢) ذكر الغزال	١
(١٣) غزال أبيض	٥٤
(١٤) ذكر الظباء (نراو)	١
(١٥) جحش الغزال	٨١
(١٦) المجموع	١٣٧

	دبن
(١٧) مجموع الماشية المختلفة	٣٠٢٩

صفحة ٢٠ (ب)

	دبن
(١) أوز حي (را)	٦٨٢٠
(٢) طيور حية (خت-عا)	١٤١٠
(٣) أوز (تربو)	١٥٣٤
(٤) كراكي حية	١٥٠
(٥) طيور حية للفقس	٤٠٦٠
(٦) طيور ماء حية	٢٥٠٢٠
(٧) حمام	٥٧٨١٠
(٨) طيور (بعرت) حية	٢١٧٠٠
(٩) طيور (سا-عشا) حية	١٢٤٠
(١٠) يمام	٦٥١٠

	دبن
(١١) مجموع الطيور المنوعة	١٢٦٢٥٠*
(١٢) جرار القناة مملوءة بالسمك ذات أغطية من خشب	٤٤٠
(١٣) سمك أبيض	٢٢٠٠
(١٤) سمك قطع (شنع)	١٥٥٠٠
(١٥) سمك مذبوح	١٥٥٠٠

* العدد هنا ينقصه ٤ ليكون صحيحًا.

صفحة ٢١ (أ)

	دبن
(١) سمك صحيح	٤٤١٠٠٠
(٢) أزهار من أزهار الإتاوة: مظلات*	١٢٤
(٣) أزهار: طاقات طويلة	٣١٠٠
(٤) أزهار من أزهار الإتاوة: عبير الحديقة (اسم نبات أو طاقة)	١٥٥٠٠
(٥) نبات «إسي»: سلات (إبت)	١٢٤٣٥١٠
(٦) أزهار: أكاليل	٦٠٤٥٠

	دبن
(٧) أزهار (كارا-حوتي)	٦٢٠
(٨) أزهار زرقاء: حبال	١٢٤٠٠
(٩) أزهار لليد	٤٦٥٠٠
(١٠) أزهار: أكوام	١١٠
(١١) أزهار السوسن: لليد	١٤٤٧٢٠
(١٢) أزهار السوسن: طاقات	٣٤١٠
(١٣) أزهار السوسن: لليد	١١٠٠٠٠
(١٤) زهر البردي: طاقات	٦٨٢٠٠
(١٥) بردي: سيقان	٣٤٩٠٠٠

* كانت المظلات تعمل من النبات الأخضر والأزهار.

صفحة ٢١ (ب)

	دبن
(١) طاقات كبيرة من أزهار الإتاوة	١٩١٥٠
(٢) بلح: مكيال (مزايو)	٦٥٤٨٠

	دبن
(٣) بلح: مكيال (حنك)	٣١٠٠
(٤) خضر: سلات	٢١٧٠
(٥) خضر: حزم	٧٧٠٢٠٠
(٦) نبات إسي لليد	١٢٨٦٥٠
(٧) قمح: باقات	١١٠٠٠
(٨) سنابل القمح لليد (أي تحمل في اليد)	٣١٠٠٠
(٩) أزهار: طاقات	١٩٧٥٨٠٠
(١٠) أزهار: سلات	١٩٧٥٨٠٠

(ج) صور الآلهة: (١١) الكمية الخاصة بالستة والخمسين والسبعمائة والألفي تمثال وبالصور التي ذُكرت من قبل.[١٣٨]

	دبن	قدت
(١٢) ذهب جميل وفضة	١٨٢٥٢	ـ
(١٣) أحجار ثمينة حقيقية: قطع منوعة	١٨٢١٤	٣
(١٤) نحاس أسود، ونحاس وقصدير (صفيح)	١١٢١٣٢	

	دبن	قدت
(١٥) خشب الأرز: قطع منوعة	٣٢٨	
(١٦) شجر مستكة: قطع منوعة	٤٤١٥	

صفحة ٢٢

التضرع الختامي

(١) ما أسعد من يعتمد عليك، يا هذا الإله يا «آمون» يا ثور أمه، ويا حاكم «طيبة»، أقدرني على أن أصل إليك في أمان راسيًا في سكينة، (٢) وثاويًا في الأرض المقدسة مثل التاسوع، وليتني أختلط بأرواح «مانو» (جبل الغرب) الممتازين الذين يُشاهدون ضوءك في الصباح المبكر (٣) اصغ إلى تضرعي يا والدي، ويا سيدي، وإني أنا الوحيد بين التاسوع بجانبك. توج ابني ملكًا على عرش «آتوم»، ومكنه بوصفه (٤) ثورًا قويًّا يا سيد الشاطئين (له الحياة والفلاح والصحة) ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين «وسرماعت رع ستبن آمون» — له الحياة والفلاح والصحة — (٥) هو والنطفة التي خرجت من أعضائك، وإنك أنت الواحد الذي نصبته ليكون ملكًا، وعندما كان شابًّا عينته ليكون (له الحياة والفلاح والصحة) حاكم الأرضين على الناس. امنحه حكمًا ملايين السنين (٦) واجعل كل عضو من أعضائه سليمًا في سعادة وصحة. مَكِّن تاجك على رأسه وهو جالس على عرشه، وليت الصل يُوضع على حاجبيه، اجعله قديسًا أكثر (٧) من أي إله، وعظيمًا مثل حضرتك بوصفه سيد أهل «الأقواس التسعة». واجعل اسمه يزدهر فتيًّا يوميًّا في حين أنك تكون درعًا خلفه (٨) كل يوم، وَضَعْ سيفه ومقمعته على رءوس البدو (ستيو)، وليتهم يسقطون خوفًا منه مثل «بعل»، واجعل

حدوده تمتد كما يرغب (٩) وليت الأراضي والممالك تخشاه رعبًا منه. هبه مصر فرحة، وأبعد عنه كل شر ومصيبة وهلاك. (١٠) امنحه الفرح ممكَّنًا في قلبه، والانشراح والغناء والرقص أمام وجهه الجميل، وضع الحب له في قلوب الآلهة والإلهات، والإشفاق والخوف منه في قلوب الناس (١١)، وأتمم الأشياء الطيبة التي حدَّثتني عنها على الأرض لأجل ابني الذي على عرشي، فإنك أنت الواحد الذي خلقته، ومكِّن ملكه (١٢) لابن ابنه؛ لأنك حامٍ لهم ومجيب عنهم، وهم لك خدم، وعيونك نحوك، مؤدِّين الإنعامات.

صفحة ٢٣

(١) لحضرتك أبد الآبدين

أما الأشياء التي أمرت بها فقد تم إنجازها ممكنة ثابتة، والأشياء التي تقولها وتدوم مثل الحجر الصلب (٢) لقد قضيت لي بحكم مائتي سنة.[١٣٩] فمكنها لابني الذي لا يزال على الأرض، واجعل (٣) حياته أطول من حياة أي ملك حتى يكرر الإنعامات التي أديتها لحضرتك، اجعله ملكًا بأمرك (٤) تَوِّجْه أنت، ولا تدعه ينكس ما فعلته يا رب الآلهة. امنحه فيضانات عظيمة غنية في زمنه (٥) ليمد حكمه بالأرزاق الوفيرة، وامنحه أمراء لم يعرفوا مصر محملة ظهورهم (٦) (بالجزية) لقصره الفاجر، ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين (وسرماعت رع ستبن آمون) — له الحياة والفلاح والصحة — ابن «رع» رب التيجان: «رعمسيس الرابع» حقا ماعت — مري آمون (له الحياة والفلاح والصحة).

هليوبوليس

مقدمة: لما كانت المعلومات الأثرية التي لدينا عن معبد «هليوبوليس» ضئيلة جدًّا، فإنا سنكتفي هنا بسرد ما ذُكر منها مما أقامه الفرعون «رعمسيس الثالث» أو عمله — كما حدث ذلك في

معابد «طيبة» ــــ وهذا نفس ما سنتبعه في مباني القسم المنفي، وفي المعابد الصغيرة. ومع ذلك فإن للإنسان الحق في أن يحدد مواضع كل المباني التي لم تصل إلينا عنها معلومات كتابية في مكانٍ بعيد عن دائرة «هليوبوليس» كما ذكر ذلك لنا «ركى»[١٤٠] إذ يقول: إن في الرقعة التي تمتد في «معبد الكرنك» من البوَّابة الأولى في «معبد آمون» حتى البرج الشرقي للملك «نقطانب» ومن «معبد بتاح» حتى جدار السور الجنوبي «لمعبد موت» يمكن الإنسان أن يقول عنها ــــ بدون أية صعوبة ــــ إنها معابد هليوبوليتية، وقد أُقيمت فيها أماكن ثانوية فيما بعد، غير أنه ليس في استطاعتنا أن نعين مكانًا واحدًا منها على وجه التأكيد ــــ اللهم إلا معبد «آتوم» الرئيسي.[١٤١]

وأسماء المعابد التي جاءت في القائمة الأولى هي:

(١) «معبد رعمسيس حاكم هليوبوليس في ضيعة رع» (ه/٣١/٣)، ولا بد أن هذا المعبد يشير إلى بناء جديد أقامه هذا الملك في «معبد رع» الكبير القائم في «هليوبوليس». وقد وُصف هذا البناء في متن المقدمة (ه/٢٥/٢ الخ)، وينبغي للإنسان هنا أن يعد العلاقة التي بين هذا المعبد الصغير الذي أقامه «رعمسيس الثالث» وبين المعبد الرئيسي كالعلاقة التي بين معبد الدولة الكبير للإله «آمون» صاحب «طيبة» وبين المعبد الصغير الذي أقامه «رعمسيس الثالث» في ردهة «بوبسطة» بالكرنك، وقد تحدثنا عنه فيما سبق.

(٢) هذه البقعة لمعبد «رعمسيس الثالث» في ضيعة «رع» شمالي «هليوبوليس» (ه/٣١/٥). وقد ذهب كل من الأستاذين «برستد» «زيته» إلى أن المقصود هنا بهذا المعبد هو معبد «تل اليهودية»[١٤٢] وقد جاء ذكر هذا المعبد في ورقة «هاريس» بالتطويل بإضافة نعت «بيت ملايين السنين» (ه/٢٩/٨).

(٣) معبد «رعمسيس» حاكم هليوبوليس في ضيعة «رع» (ه/٢٩/١٢): تدل ظواهر الأمور على أن هذا المبنى موحد مع الاسم الذي جاء في «هاريس» (٣١/٦) «متنزه الفرعون». وهذا المبنى لم يُذكر في القائمة الأولى على وجه عام. ولكن على حسب الجملة الإضافية التابعة لهذا الاسم وهي: «في هذا المكان» فإنه ينبغي لنا أن نبحث عن هذا القصر ــــ أو هذا المنتزه ــــ في

«تل اليهودية». وعلى ذلك تكون العلاقة — أو وجه الشبه — بينه وبين المعبد الذي أُقيم في هذه الجهة كوجه الشبه أو العلاقة التي بين قصر مدينة «هابو» وموقعه في المعبد الرئيسي.[١٤٣]

(٤) معبدا «هليوبوليس» الكبيران: أثبت «ركي» في مقاله (Loc. Cit. 13 ff) أنه يوجد معبدان كبيران مختلفان في «هليوبوليس» أحدهما معبد «رع حوراختي» والآخر معبد «آتوم». وهذان الإلهان كما جاء في منظر ورقة «هاريس» ص٢٤ كانا يُعبدان معًا. وقد زاد «رعمسيس الثالث» في عدد خدام كل منهما كما جاء في «هاريس» ص٣١/٤:

> الناس الذين وهب ضيعة «آتوم» إياهم، سيد الأرضين الهليوبوليتي، كما قدمهم هبة إلى «رع حوراختي».

وهذه الجملة تدل — بلا نزاع — على أن الملك — خلافًا لمبانيه الجديدة — قد زاد في أملاك المعبد الكبير في «هليوبوليس».

والظاهر أن «رعمسيس الثالث» كانت له علاقة خاصة ببلدة «هليوبوليس» كما يدل على ذلك نعته في لقبه «حاكم هليوبوليس». وإنه لمن الصعب أن نعرف على وجه التأكيد الظروف أو الحوادث التي دعت إلى نعته بهذه الصفة. ومع ذلك فإنه يمكن بعد قراءة هذه البردية أن نقترح ما يأتي:

في مقدمة الجزء الخاص «بهليوبوليس» نجد أنه قد ذُكر عن قصد أن الملك قد طهر «هليوبوليس» أو بحيراتها أو ثيرانها (راجع هاريس ٢٥–١٠، ٢٧–٧، ٣–٣).

ومن المدهش أن هذا التعبير لم يُذكر في الجزء الخاص «بطيبة» (ه/٤٧–٢).

والواقع أننا نجد ذلك مذكورًا مرة أخرى في متن آخر، وذلك على لوحة مؤرخة بالسنة العشرين من حكم «رعمسيس الثالث». وقد وُجدت هذه اللوحة في الجدار الموصل بين البوابة الرابعة

والبوابة السابعة في الكرنك، وقد جاء عليها ذكر أعمال الملك لآلهته فيقول: (Worterbuch zettel 792):

> إن الفرعون قد طهر «هليوبوليس» لأجل الإله «آتوم» وعمل بيت «رع» في الأفق بما يتبعه من شعائر.

وكذلك جاء في نفس النقش (Worterbuch zettel 793):

> لقد طهرت «هليوبوليس» من كل قذى.

ويدل الفعل الذي استعمله هنا للتعبير عن الطهور على أنها قد طُهرت من الدنس؛ لأنها نُظفت أو بُخرت من الأقذاء المادية، وذلك كله يشعر بوقوع حادثة معينة قريبة العهد، وأن «رعمسيس» قد قام بأداء خدمة جليلة مما جعله يضيف إلى اسمه عبارة «حاكم هليوبوليس». والظاهر كما يقول «شادل» أن ذلك ربما يشير إلى أن «هليوبوليس» في عهد اضطراب العرش وهي الفترة التي تقع بين الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين وبخاصة في عهد حكم «إرسو» الأجنبي الذي دنس البلاد، وجعلها نجسة. ولم يقع على عاتق «ستنخت» تجديد «هليوبوليس»، بل كان ذلك الواجب الأول الذي قام بعبئه «رعمسيس الثالث» كما يدل على ذلك تركيب اسمه. وقد قام به بقلب فرح ونفس منشرحة. والخلاصة هي أن المعابد الجديدة التي أقامها «رعمسيس الثالث» في «هليوبوليس» أو بالقرب منها هي ما يأتي:

(١) معبد «رع» في هليوبوليس.

(٢) معبد تل اليهودية.

(٣) قصر في تل اليهودية.

أما ما ذُكر في «ورقة هاريس» (٣١–٧):

الأرض الجديدة «لرعمسيس» حاكم «هليوبوليس» «الذي يجعل الأرضين تعيشان».

فإن هذا اسم ضيعة أهداها الفرعون، وهي على أية حال ليست اسمًا لأي معبد.

هليوبوليس

الصورة الإيضاحية

«رعمسيس الثالث» يقف مصليًا أمام الإلهة «حوراختي» الإله العظيم رب السماء: والإله «آتوم» رب الأرضين الهليوبوليتي، والإلهة «أوس-عاس» سيدة «هليوبوليس»، والإلهة «حتحور» سيدة «حتبت».

كلام الملك: إني أنطق الصلوات، والمديح، والتعبد والثناء، والأعمال الجليلة، والإنعامات التي أديتها لك في حضرتك يا أيها الأمير العظيم.

صلاة للآلهة ويتبعها تعداد أهم المباني والهدايا.

صفحة ٢٥

(١) التضرعات، والثناء، والمدائح، والأعمال الجليلة، والإنعامات التي أدَّاها الملك «وسرماعت رع مري آمون» (له الحياة والفلاح والصحة) الإله العظيم (٢) لوالده «آتوم» رب الأرضين الهليوبوليتي «رع حوراختي»، والإلهة «أوس-عاست» (ساوسس) سيدة «حتبت» (حتحور) وكل آلهة «هليوبوليس».

يقول الملك «وسرماعت رع مري آمون» (له الحياة والفلاح والصحة) الإله العظيم (٣) في مديح والده هذا الإله الفاخر «آتوم» رب الأرضين الهليوبوليتي «رع حوراختي»: الحمد له يا (رع-آتوم) رب الكل وخالق ما هو كائن، المشرق في (٤) السماء، ومضيء هذه الأرض بأشعته، ومن يلفت إليه وجوههم، والمخفيون الساكنون في الغرب

(الأموات) يسرون برؤية جمالك، وكل الناس تنشرح عند النظر (٥) إليك، وإنك أنت الذي خلقت السماء والأرض، وإنك أنت الذي نصبتني ملكًا على الأرضين وحاكمًا (بالحياة والفلاح والصحة) على عرشك العظيم وإنك قد وليتني على كل الأراضي إلى نهاية ما يحيط (٦) به «آتون» (قرص الشمس)، وإنهم قد خافوا وسقطوا لاسمي كما فعلوا لاسمك. ولقد كنت مجدًّا في متابعة الإنعامات والأعمال (٧) العظيمة العديدة لبيتك.

المباني والمنح للمعابد: لقد زدت في جدارك (سورك) في بيت «رع» وملأت بيت ماله بحاصلات أراضي مصر، وأفعمت مخازن غلاله بالشعير والقمح، وهي التي كانت (٨) قد بدأت تقف مهدمة منذ الملوك (السالفين)، وقمت بتصميمات عظيمة لتماثيلك، وجعلتها تُثوى في محاريب معبدك، ووضعت الأنظمة (٩) للكهنة المطهرين في بيت «رع» وجعلته أكثر قدسية مما كان عليه من قبل (١٠) ونظفت «هليوبوليس» لأجل تاسوعه المقدس، وبنيت معابدهم التي كانت مخرَّبة، وسويت آلهتهم في صورها الخفية من الذهب[١٤٤] والفضة وكل حجر (١١) غالٍ لتكون عملًا خالدًا.

محراب في معبد «هليوبوليس»: (١٢) وأقمت لك بيتًا فاخرًا في وسط معبدك مثل السماء ممكنًا وفيه صورة «آتون» (الشمس) أمامك مؤسسًا بالحجر الصلب مكسوًّا بالحجر الأبيض الجميل وممكنًا.

صفحة ٢٦

(١) بالعمل الحسن الباقي باسمك وإنه أفق «حوراختي» العظيم الخفي، وعرشه العظيم من الذهب، والمصراعان من ذهب «كتمت»[١٤٥] في حين أن أمك تثوى (حتبت) في وسطه (٢) فرحة راضية عند رؤيته، وأعددته بالشبان الذين دربتهم، وبالأملاك الشخصية والأراضي والقطعان التي يخطئها العد.

تماثيل ضخمة في معبد «هليوبوليس»: (٣) وأقمت لك آثارًا عظيمة في بيت «رع» من الحجر الصلب الذي سواه «آتوم» في صور عظيمة نُحتت بمجهود، وهي راسخة (٤) في أماكنها أبد

الآبدين في بيتك الفاخر، وردهتك الأنيقة منقوشة باسمك المقدس مثل السماء.

تعاويذ لتمثال «رع»: (٥) وصنعت لك تعاويذ فاخرة من الذهب الجميل مطعمة باللازورد والفيروزج الحقيقي وعلقتها على جسمك في البيت العظيم لحفظك وبهائك (٦) في مكانك المقدس حتى تحمي أعضاءك الفاخرة بمثابة تعاويذ سنوية لصورتك العظيمة الفخمة الجميلة.

محراب من الجرانيت: (٧) وصنعت لك محرابًا سريًّا من الجرانيت وفيه يثوى الإلهان «آتوم» و«تفنوت» ومصراعاه من النحاس مموَّهان (٨) بالذهب ومنقوشان باسم جلالتك العظيم سرمديًّا.

لوحات نُقش عليها أنظمة المعبد: (٩) ووضعت لك مراسيم عظيمة لإدارة معابدك مسجلة في قاعة سجلات مصر، وصنعت لوحات خط عليها الأشكال (بالمداد) ثم نحتت بالمسحل.

(١٠) باقية لك أبدًا فلا تحطم.

موازين المعبد: (١١) وصنعت لك موازين فاخرة من السام (ه٣٣ (أ)) لم يُعمل مثلها منذ زمن الإله (يعني هنا الإله «رع»). وقد جلس عليها «تحوت»[١٤٦] بوصفه حارسًا للموازين في صورة (١٢) قرد عظيم فاخر من الذهب المطروق، وإنك تزن فيه (المعبد) أمامك يا والدي «رع» عندما تقدر الذهب والفضة بمئات الألوف التي أُحضرت جزية.

صفحة ٢٧

(١) أمامك من خزائنهم (؟)، وأعطيت خزانتك الفاخرة في بيت «آتوم»، وقد أسست له (أي للميزان) قربانًا يوميًّا مقدسًا ليمد مائدته في الصباح المبكر.

مخازن للأعياد: (٢) وأقمت لك مخازن لأعياد الظهور مبنية على أرض بكر (طاهرة) في أرض «هليوبوليس» وهي قدسية في صناعتها، وأمددتها بعبيد حسان مختارين، وبحب نظيف بعشرات الآلاف لميرتها.

مخازن لدخل المعبد: (٣) وأقمت لك مخزنًا نظيفًا يحتوي على قرابين مقدسة أكثر مما كان قبلي منذ عهد الملوك السابقين، وزودته بكل شيء ولم يعتوره أي نقص لإمداد قربانك في الصباح الباكر.

معبد خاص للقرب: (٤) وأقمت لك مخزن قربان لردهتك مفعمًا بالقربات المقدَّسة والطعام الغزير، ويشمل قربات عظيمة من الذهب والفضة لتُقدم إلى حضرتك يا سيد الآلهة وجهزتها (٥) وأتممتها بالشعير والقمح، وقد مُلئت بالغنائم التي جلبتها من أهل الأقواس التسعة وكانت لحضرتك يا أيها السيد الأوحد، يا بارئ السماء والأرض حتى تضاعف أعياد أوائل الفصول أمامك.

حظيرة الماشية والدجاج: (٦) وأقمت لك حظائر مواشٍ معدة تحوي ثيرانًا وعجولًا مخصية، وكذلك بيوت تسمين جديدة تحوي أوزًّا مسمنًا.

تنظيف البحيرة المقدسة: (٧) وطهرت البحيرة المقدسة الخاصة ببيتك، فأزلت كل الأقذاء التي كانت فيها، وقد كانت حالتها كذلك منذ خلقت الأرض، ولقد كان تاسوعك المقدس راضيًا في قلبه وفرحًا بها.

الكروم وحدائق شرح: (٨) وقدمت (شراب) «شدح» ونبيذًا بمثابة قربان يومي ليقدم لأرض «هليوبوليس» في مكانك السامي السري، وخمائل ورياضًا بنباتاتها جديدة، وإن أرباب أرض الحياة راضون بذلك؛ (٩) وغرست لك حدائق عظيمة مجهزة فيها خمائلها التي تحمل شراب «شدح» ونبيذًا في قصر «آتوم» العظيم وتاسوع آلهة هليوبوليس المقدس يبتهج بالأعياد ليرضي جمالك يوميًّا.

أرض الزيتون: (١٠) وجعلت لك أراضي زيتون في بلدتك «هليوبوليس»، وأمددتها ببستانين وأناس كثيرين لصنع زيت نقي يكون أحسن ما في مصر لإيقاد المصباح في قصرك الفاخر.

خمائل وحدائق الأزهار: (١١) وصنعت لك حدائق أشجار تحتوي نخيلًا وبحيرات مجهزة بأزهار البشنين وأزهار البردي، وأزهار (اسى) وأزهار كل أرض، وأزهار «ردمت» ومرًّا وأخشابًا حلوة عطرة لوجهك الجميل.

ضياع جديدة للمعبد: (١٢) وجعلت لك آلافًا من الأرض من جديد من الشعير النقي، وزدت حقولهم التي كانت قد نقصت لأجل أن أزيد بمقدار عظيم القربان لاسمك العظيم السامي المحبوب.

صفحة ٢٨

(١) وجعلت لك أراضي عديدة في الجزر الجديدة في المراكز الجنوبية والشمالية بعشرات الآلاف، وعملت لها لوحات منقوشة باسمك ممكنة لك تحمل مراسيم سرمدية (٢) وصنعت لك حظيرة دجاج تحوي طيورًا برية (راجع عن حظائر الطيور)، وأجريت [١٤٧] برك الطيور إلى مدينتك (هليوبوليس) ليقدمها لحضرتك يا والدي، وقد سيقت إليك إلى تاسوعك المقدس الذي يتبعك.

الموظفون والخدم والعبيد: (٣) ونصبت لك رماة ونحالين، وحاملي بخور ليقدموا إتاواتهم السنوية إلى بيت مالك الفاخر (٤) ونصبت لك رماة صيادين ليصطادوا غزلانًا بيضا ليقربوها إلى حضرتك في كل أعيادك (٥) وجعلت لك نواتي ومشرفين من الرعايا الذين دربتهم لجمع إتاوة الأرضين، وهي ضرائب الأرضين والإتاوة التي تُحصل لبيت مالك في معبد «رع» لتضاعف قرابينك المقدسة أكثر من ألف ألف مرة (٦) ونصبت عبيدًا حرسًا لمينائك لملاحظة قناة ميناء «هليوبوليس» في المكان الفاخر (المعبد).

(٧) ونصبت حراس أبواب من العبيد وأمددتهم برجال ليحرسوا ويراقبوا ردهتك (٨) وجعلت عبيدًا حراسًا لإدارة القناة وحراسًا للشعير النقي لأجلك أيضًا.

إصلاح مخازن الغلال: (٩) وأقمت لك مخازن غلال مُلئت بالحبوب وهي التي كانت قد بدأت تنضب فأصبحت ملايين.

تمثال من ذهب: (١٠) وسويت لك تماثيل من الذهب المطروق راكعة على الأرض أمامك تحمل قرابين مقدسة، وسويت أخرى كذلك من الفضة الخالصة لأرضي صليك في كل وقت.

أواني العبادة للمعبد: (١١) وصنعت لك قاعدة آنية كبيرة في ردهتك، زجاجاتها من الذهب والفضة، تحمل أباريق شراب شدح، وممونة بالقربات الإلهية في قوائم عدة، لتقدم إلى حضرتك يا أيها الأمير العظيم (١٢) وصنعت لك أواني مائدة لا حصر لها من الفضة والذهب المطعم منقوشة باسمك، ومبخرة «نمست» (آنية نمست)، وأواني «دنيا» وأواني «عنخي»، وأواني «حسيوت»، وكئوسًا عديدة لحملها إلى (١٣) حضرتك بقربان النبيذ، وكان تاسوعك المقدس راضيًا في قلبه، وفرحًا بها.

صفحة ٢٩

سفن المعبد: (١) وبنيت لك سفن نقل، وسفنًا لحمل المتاجر مجهزة بالرجال لتحمل محاصيل أرض الإله (بنت) إلى بيت مالك ومخزنك.

إصلاح مقصورة «حور» وخميلتها: (٢) وأصلحت بيت «حور المشرف على المعبد» فأقمت جدرانه التي كانت مخربة. (٣) وجعلت الخميلة التي كانت في وسطه تنمو، وغرستها بالبردي في وسط مستنقعات الدلتا (على الرغم من) أنها كانت قد بدأت تقفر سابقًا.[١٤٨]

خميلة المعبد!: (٤) وجعلت خميلة معبدك الطاهرة تنمو، وجعلتها في حالتها الملائمة عندما بدأت تقفر، وأمددتها ببستانيين لفلاحتها لتثمر قربانًا من شراب شدح في المكان الذي يعرفه (أي التمثال)، (٥) وجعلت لك قرابين أعياد عظيمة لردهتك زيادة عما كانت عليه الحال من قبل، منذ زمن الآلهة، ومؤنتها بالثيران والعجول المخصية وماشية الجبل، والزيت، والبخور، والشهد، وشراب شدح (٦) والنبيذ، والذهب، والفضة، والكتان الملكي، والملابس العديدة، وكل الأزهار لوجهك الجميل.

قربان معبد «حعبي» (النيل): (٧) وعملت لك قرابين أعياد عظيمة في بيت «حعبي»، وكل تاسوع «خرعحا» (مصر العتيقة) كانوا في أعياد.

معبد «رع» شمالي «هليوبوليس»: (٨) وأقمت لك بيتًا فاخرًا شمالي «هليوبوليس» ممكنًا ليكون عملًا أبديًّا منقوشًا باسمك «بيت ملايين السنين لرعمسيس حاكم هليوبوليس» (بالحياة والفلاح

والصحة) في بيت «رع» شمالي «هليوبوليس». وقد أعددته بالناس والمتاع ليحملوا إلى بيتك حدائق تحتوي أزهارًا لردهتك.

قطعان المعبد: (٩) وجعلت لك قطيعًا (يُسمى): «صناع الإنعامات»، وأمددته بحيوانات جميلة لا حصر لها، لتقدم إلى حضرتك في كل أعيادك، وضاعفت شبابها (أي التابعين لها) التابعين لاسمك (١٠) وجعلت لك قطيعًا آخر لبيتك الفاخر، لإمداد معبدك بذخيرة غزيرة، (وسميته) «قطيع رعمسيس حاكم هليوبوليس في حياة وفلاح وصحة مضاعفًا القربان في ضيعة رع»، وملأته بالماشية والرعاة أيضًا، على أنهم لن يزولوا قط بوصفهم تابعين لحضرتك.

إصلاحات: (١١) وقمت لك بأعمال بواسطة عمال وقاطعي أحجار، لبناء معبدك ولإصلاح بيتك.

معبد[١٤٩] **«رع»:** (١٢) وأقمت لك: «بيت رعمسيس حاكم هليوبوليس في ضيعة رع» مجهزًا بالناس والمتاع مثل الرمال.

صفحة ٣٠

معبد الآلهة «أوس-عا-س» (ساوس Saosis): (١) وأقمت لك معبدًا فاخرًا غربي قناة «هليوبوليس» لأمك «ساوسس» سيدة «هليوبوليس».

مستعمرة الأسرى الأجانب: (٢) وأقمت لك مستعمرة نظيفة من الشبان العديدين الذين أحضرت أولادهم إلى بيتك المسمى: «الاستيلاء على الآخرين» (الأجانب).

الثيران المقدسة: (٣) ونميت الماشية السوداء، والثيران العظام مطهرة من كل خبث في حقولها.

سفينة «اوس-عا-ست»!: (٤) وبنيت سفينة كبيرة لابنتك العظيمة «أوس-عا-ست» سيدة «حتب» وسميتها «سب[١٥٠] في هليوبوليس» من خشب (٥) الأرز (نعر)، وهو أحسن ما في الضيعة الملكية، وكانت مصفحة بالذهب مثل سفينة «ملايين السنين».

القوائم: (٦) تأمل قائمتها (أي الأعمال الخيرية التي قام بها «رعمسيس الثالث») فإنها أمامك يا ولدي، ويا سيدي لتحدِّث التاسوع الإلهي بإنعاماتي.

صفحة ٣١: (ب) القوائم

ثروة المعابد: (١) قوائم بالأشياء، والماشية، والحدائق، والخمائل، والأراضي الزراعية، والسفن التجارية، ومصانع السفن، والمدن التي منحها الملك «وسرماعت رع مري آمون» (له الحياة والفلاح والصحة) الإله الأعظم (٢) لوالده الفاخر «آتوم» رب الأرضين الهليوبوليتي، وللإله «رع حوراختي» ملكية سرمدية.

التابعون للمعابد إلخ: (٣) بيت «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «رع» تحت إشراف «أعظم الرائين» (وعدة) موظفين في كل الفروع (الأشياء): ١٤٨٥ نسمة.

(٤) الناس الذين[١٥١] منحهم لمعبد «آتوم» رب الأرضين «لهليوبوليس»، (ولمعبد) «حوراختي»، وهم الذين في ملكية الضيعة (أي الضيعة الجديدة التي ذُكرت قبل الآن) تحت إدارته: ٤٥٨٣ نسمة.[١٥٢]

(٥) وهذه البقعة (؟) لمعبد[١٥٣] «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «رع» شمالي «هليوبوليس» تحت إشراف الكاتب، وكبير المفتشين «برحتب» مجهز بأملاكه ٢١٧٧ نسمة.

(٦) قصر متنزه[١٥٤] الفرعون (له الحياة والفلاح والصحة) الذي في هذا المكان، وهو الذي يديره الكاتب الأول «تحتمس» والموظفون ١٧٧٩ نسمة.

(٧) ضيعة الأراضي الجديدة «لرعمسيس الثالث» (له الحياة والفلاح والصحة) الذي جعل الأرضين تعيشان وهي تحت إدارة الكاتب والمفتش الأول «حوري»: ٢٤٧ نسمة.

(٨) الضباط، وأولاد الرؤساء، والأشراف (مريانا)، والعبرو، وأهل المستعمرات الذين في هذا المكان: ٢٠٩٣ نسمة.

(٩) المجموع = (١٢٩٦٣) نسمة (ولكن المجموع الصحيح هو) = ١٢٣٦٤ نسمة.

صفحة ٣٢ (أ): أملاك منوعة

(١) ماشية منوعة	٤٥٥٤٤
(٢) حدائق وخمائل	٦٤
(٣) أراضي استات*	-
(٤) مصانع سفن من خشب الأرز والسنط	-
(٥) سفن نقل، وسفن شحن	٣
(٦) مدن مصرية	١٠٣

* ستات = ١٠٠٠٠ ذراعًا أو ٢٧٣٥ مترًا مربعًا أي نحو ـ فدانًا مصريًّا.

ضريبة رعايا معابد «هليوبوليس»: (٧) السلع والضرائب وإنتاج الناس لمعبد «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» (له الحياة والفلاح والصحة) في ضيعة «رع» (٨) ولمعبد «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» (له الحياة والفلاح والصحة) في شمالي «هليوبوليس»، ولمعابد وقطعان هذا البيت (٩) التي تحت إدارة الموظفين بمثابة الجزية المفروضة عليهم سنويًّا:

	دبن	قدت
(١٠) فضة	٥٨٦	ـ ٬ـ

صفحة ٣٢ (ب)

	دبن	قدت

	دبن	قدت
(١) نحاس	١٢٦٠	
(٢) كتان ملكي، وكتان «مك» وكتان الجنوب مضاعف الجودة، وكتان الجنوب الجميل، وكتان ملون، ملابس متنوعة	١٠١٩	
(٣) بخور، وشهد، وزيت: أوانٍ مختلفة (إعع)	٤٨٢	
(٤) شراب شدح، ونبيذ؛ أوان مختلفة (إعع)	٢٣٨٥	
(٥) فضة من سلع الإتاوة المفروضة على الناس للقربان المقدس	٤٥٦	-
(٦) حبوب نقية من ضرائب الفلاحين بالحقيبة (خار)*	٧٧١٠٠	
(٧) خضر باقات	٤٨٠٠	
(٨) كتان حزم	٤٠٠٠	
(٩) طيور ماء من إتاوة الصيادين والسماكين	٣٧٤٦٥	
(١٠) ثيران وعجول مخصية وعجلات وعجول وبقرات وماشية من القطعان	٩٨	
(١١) أوز حي من الإتاوة (هكذا؟)	-	
(١٢) خشب الأرز: قارب عبور	١	
(١٣) سنط: سفن واسعة وسفن نقل	٧	
(١٤) سلع الواحة في قوائم عدة للقرابين الإلهية		

[*] خار = حقيبة: والحقيبة تسع أربع ويبات. والويبة تحتوي أربعين «هنا»، وهو مكيال مصري مصنوع من الفخار أو المعدن وعلى ذلك تشمل الحقيبة ١٦٠ هنا. وقد عُثر على بعض مكاييل للهن ووُجد أنه يسع ٠,٤٦ من اللتر؛ وعلى ذلك تكون الويبة تسع ١٨,٤ لترًا والحقيبة تسع ٧٣,٦ لترًا. وقد حسب المستر «لوكاس» حديثًا سعة الهن من مكاييل من عهد البطالمة ووجد أنه يسع ٠,٥٠٣ من اللتر؛ وعلى ذلك يكون سعة الويبة ٢٠,١ لترًا وسعة الحقيبة ٨٠,٤ لترًا.

والآن يتساءل الإنسان كيف يمكن قرن هذه الأرقام بالقيم التي كان ينسبها علماء البردي الإغريقي للإردب وتقسيمه إلى أربعين شوينكس choinix؟ والواقع أن الويبة بقيت مستعملة مكيالًا حتى العهود البيزنطية، غير أن سعتها كانت أقل من عهد الفراعنة. وكلمة إردب من أصل فارسي، وعلى أنه قد وُجد في العهد الإغريقي الروماني أن أحد قيم الإردب المتقلبة وقتئذ كانت ٤٠ شوينكس، وإذا أضفنا إلى ذلك أن معنى كلمة «شوينكس» يقرب جدًّا من معنى «الهن» المصري وهو «إناء» أو «مكيال» يجعل من المعقول لدينا من حيث الحجم أن الإردب كان يُقاس بالويبة، وهو استعمال لا يزال حتى عهدنا الآن؛ إذ إن الإردب يساوي ست ويبات (راجع Wilbour Pap. II, p. 64-5). ويُلاحَظ أن في العهد البيزنطي كان الإردب يحتوي ثلاث ويبات كبيرة وست ويبات صغيرة؛ أي إن الويبة كانت تساوي ـ من الإردب كما هي الحال في عهدنا (راجع Ibid p. 65 note 1).

صفحة ٣٣ (أ): المنح الملكية

(١) الذهب، والفضة، واللازورد الحقيقي، والفيرزوج الحقيقي، وكل حجر فاخر غالٍ، والنحاس الأسود، (٢) والملابس من كتان «مك» ومن الكتان الملكي، وكتان الجنوب الجميل، وكتان الجنوب، والملابس الملونة، والجرار من كل شيء التي أعطاها (٣) الملك «وسرماعت رع مري آمون» (له الحياة والفلاح والصحة) الإله العظيم، هبة من الملك (له الحياة والفلاح والصحة)

لتموين بيت والده الفاخر «آتوم» رب الأرضين الهليوبوليتي ولـ «رع حوراختي» (٤) من السنة الأولى حتى السنة الواحدة والثلاثين، أي مدة واحدة وثلاثين عامًا.

	دبن	قدت
(٥) ركيزة ذهب جميل، وذهب للموازين[*]	١٢٧٨	-
(٦) ركيزة ذهب جميل من الدرجة الثانية، وذهب أبيض في صورة أوانٍ وحلي	١٩٨[†]	-
	١٤٧٩	٣
(٨) ركيزة فضة للموازين وفضة أوان	١٨٩١	-
(٩) فضة مطروقة: لوحة واحدة	٣٩٤	
(١٠) مجموع الفضة (المجموع هنا ناقص ٣٠)	٢٢٥٥	-
(١١) مجموع الذهب والفضة	٣٧٣٤	-
(١٢) لازورد حقيقي قطعة واحدة	١	١
(١٣) لازورد وزمرد: جعران كبير العدد		٣٦
(١٤) نحاس أسود للموازين	٦٧	٣
(١٥) نحاس مطروق: لوحتان	٤٠٠	٣

[*] أي الموازين التي ذُكرت في ورقة «هاريس» ص (٤٦) سطر (١١) وفي ٢٧–١، ويبلغ الذهب الذي خُصص لها حوالي ٣١٣,٧٥ رطلًا.

† حوالي ٤٦٠ رطلًا.

صفحة ٣٣ (ب)

	دبن	قدت
(١) نحاس: أوان	١٤١٦	١
(٢) مجموع النحاس بالدبن	١٨١٩*	٧
(٣) كتان ملكي وكتان مك وكتان الجنوب الجميل وكتان الجنوب وكتان ملون وملابس مختلفة	١٨٧٩٣	
(٤) مر (دبن)	١٧٨٧	
(٥) مر (حقت)		٢
(٦) خشب مر: كتل (بالقطعة)	٢٠	
(٧) ثمرة المر بالمكيال (إبت) ويبة	١٠٠	
(٨) بخور، وزيت، وشهد، وشحم أوان منوعة (إعع)	٣٨٤٠	
(٩) شراب (شدح) ونبيذ: أوان منوعة (إعع)	١٠٣٥٥٠	
(١٠) بخور: قاراروتي (وزن) قاراروتي	٥٣٠	
(١١) بخور: مكاييل كبيرة (ويبة)†	٦٢	
(١٢) أسفلت جميل‡ من «بنت»: دبن	٣٠٠	

	دبن	قدت
(١٣) حجر (وبات): أختام مركبة على ذهب	١١	
(١٤) حجر (حرست): بالدبن	٥٠	

[*] لقد حذف الكاتب العدد، والمجموع الحقيقي هو ١٨٨٣ دبنًا و٧ قدتًا. (رجع فصل الملكة توسرت ملاحظة رقم ١).

[†] كان الإردب على حسب ما جاء في العهد البيزنطي يحتوي ثلاث ويبات كبيرة وست ويبات صغيرة.

[‡] أسفلت يُجلب من بلاد «بنت» و«قفط» و«زاهي» ويُستعمل في التحنيط، وكذلك يُستعمل جزءًا رئيسيًّا في نوع من المسوح (W. B. II, p. 82).

صفحة ٣٤ (أ)

	دبن
(١) حجر أمازون أخضر: بالدبن	٥٠
(٢) حجر يشب أحمر: بالدبن	٢٠٠
(٣) حجر ثمين: مائدة قربان	١
(٤) حجر (وبات): أختام	٢٠٠
(٥) بلور صخري وأحجار ثمينة، صدريات منوعة	٢١٩٥

	دبن
(٦) بلور صخري مقطع: بالهن	١٠
(٧) بلور صخري: خرز (عدد)	٢٢٤٥٠
(٨) عِصِي من القرفة: سلات (مستي)	١٧
(٩) خشب عطري: دبن	٢٠٠٠
(١٠) شعير سوري: حقت	٥
(١١) كمون: حقت	٥
(١٢) خشب مشغول طُبع عليه خاتم الملك	٣١
(١٣) خشب مرو مطعم بالأبنوس: قضيب	١
(١٤) خشب مشغول: قطعة للموازين	١
(١٥) خشب خروب: قطعة طولها أربع أذرع	١

صفحة ٣٤ (ب)

	دبن
(١) شجرة «برسا» مقطوعة: قطعة طولها أربع أذرع	١

	دبن
(٢) خشب مرا: عمود للميزان طوله ثلاث أذرع وأربعة أشبار	١
(٣) قطعة خشب ملونة ومزخرفة لتكون عصا	١
(٤) أرض زيتون مجهزة: خميلة واحدة مساحتها: ستات ـ	
(٥) حدائق من كل نوع من الأشجار مجهزة	٢

(د) غلة قربان الأعياد والأيام العادية: (٦) حبوب خاصة بالقربان المقدَّسة لأعياد السماء وأعياد أوائل الفصول وهي التي أسسها الملك (٧) «وسرماعت رع مري آمون» الإله العظيم، لوالده الفاخر «آتوم» سيد الأرضين الهليوبوليتي و«رع حوراختي» زيادة على القرابين اليومية ليضاعف ما كان من قبل (٨) — له الحياة والفلاح والصحة — من السنة (٩) الأولى حتى السنة الحادية والثلاثين أي مدة إحدى وثلاثين سنة: (١٠٩٧٦٢٤ حقيبة).

(هـ) قربان الأعياد القديمة: (١٠) تقديم قربان الأعياد التي أسسها الملك «وسرماعت رع مري آمون» الخ. الإله العظيم لهذا البيت (١١) زيادة لقربان الأعياد السالفة من سنة لأخرى ابتداء من السنة التاسعة حتى الحادية والثلاثين أي مدة ثلاث وعشرين سنة.

(١٢) خبز ناعم: رغفان قرابين كبيرة ذهبية	٤٦٠
(١٣) خبز ناعم: وعاء (باح) أو مكيال	٤٦٠٠ (W. b. I, p. 422)

صفحة ٣٥ (أ)

	دبن
(١) خبز ناعم: أوعية أو سلات «ودنو» كبيرة	٢٣٠٠٠
(٢) خبز ناعم: سلات «حتب» من خبز «ودن»	٨٠٥٠٠
(٣) خبز ناعم: رغفان «عق» (خُبزت على النار)	٩٢٠
(٤) خبز ناعم: رغفان «عق» كبيرة	٤٦٠٠٠٠
(٥) خبز ناعم: رغفان طويلة بيضاء	٨٠٥٠٠
(٦) خبز ناعم: رغفان قربان بيضاء طويلة	٩٢٠٠٠٠
(٧) خبز ناعم: رغفان بيضاء هرمية الشكل	١٠٣٥٠٠
(٨) خبز ناعم: رغفان (كرشت)	٣٤٥٠٠
(٩) خبز ناعم: رغفان (ودنونت)	٨٠٥٠٠
(١٠) خبز «قونك»: رغفان بيضاء	٨٠٥٠٠
(١١) المجموع: الخبز الناعم: أرغفة «عق» المنوعة	١٧٦٠٤٢٠*
(١٢) فطائر على هيئة البقر	٦٩٠٠٠
(١٣) فطائر: رغفان «بيت»	١١٥٠٠

* ويقول الأستاذ «برستد» إن هذا العدد قابل للقسمة على ٢٧؛ وعلى ذلك إذا أجرينا هذه القسمة في كل قائمة فإن خارج القسمة يكون: القربان السنوي في هذا العيد، غير أن هذا الزعم خاطئ؛ إذ

تدل الترجمة التي أوردها الأستاذ «جاردنر» للنصوص على أنه قربان لسنة واحدة كما ذكرنا قبلًا. (راجع الفصل السادس أعمال رمسيس).

صفحة ٣٥ (ب)

	دبن
(١) فطائر «رحسو»: رغفان مستديرة	٢٨٧٥
(٢) فطائر «رحسو»: مكاييل (ثمثم)	٤٦
(٣) جعة: مكاييل (تتف)	١٩٨٢٦٠
(٤) شراب شدح: جرار ملونة (من)	١٣٨٠
(٥) شراب شدح: جرار (كابو)	٢٩٩٠
(٦) نبيذ: جرار (من)	١٦١٠٠
(٧) مجموع شراب شدح والنبيذ: في جرار «من» و«كابو»	٢٠٤٧٠
(٨) ثيران	٩٦٦
(٩) عجول مخصية	١٨٨٦
(١٠) ثيران (نجا)	٧٠٣
(١١) عجلات	١٢٤٢

	دبن
(١٢) عجول	١٢٤٢
(١٣) بقرات	٥٩١١
(١٤) مجموع الماشية المنوعة	١١٩٦٠
(١٥) ذكور الوعل الأبيض	٢٣٠

صفحة ٣٦ (أ)

	دبن
(١) أوز حي	١١٥٠
(٢) طيور للإفراخ	٢٣٠٠
(٣) طيور ماء حية	٣٨٠٠
(٤) مجموع طيور الماء الحية	١٧٢٥٠
(٥) شهد: جرار (جاي)	٩٢
(٦) بخور: جرار (كا-حركا)	٩٢٠٠
(٧) بخور في أواني «ثابو انكاو» (W. B. V, p. 354)	٤٦٠٠

	دبن
(٨) بخور: في هيئة رغفان بيضاء طويلة	١١٥٠
(٩) بخور: سلات «حتب»	٣٤٥٠٠
(١٠) بخور: في سلات (دنيت)	١٢٦٥٠٠
(١١) بخور: جرار (إعع بو)	٢٦٥٠٠
(١٢) سلات بردي ملونة من الجزية لأجل البخور بمكيال الويبة المنوع (؟)	٣٤٥٠٠
(١٣) فاكهة: سلات (زدمت)	٦٩٠
(١٤) فاكهة: سلات (ثاي)	٢٣٠٠٠
(١٥) فاكهة: مكاييل (حتب-خرتمتت)	٣٤٥٠٠

صفحة ٣٦ (ب)

	دبن
(١) فاكهة: مكاييل مختلفة (حتب)	١١٥٠٠٠٠
(٢) فاكهة: مكاييل (دواير)	٤٦٠٠
(٣) فاكهة: مكاييل (ديني)	٢٣٠٠٠

	دبن
(٤) ورق بردي: مكاييل منوعة (بالويبة)	٢٣٠٠٠
(٥) فاكهة (أبحقوقو) مكاييل «حتب»	٤٦٠٠
(٦) تين: أكوام هرمية الشكل	٤٦٠٠
(٧) فاكهة «كاثا» وأزهار «كاثا»: حقات	٢٣٠٠٠
(٨) زهور البشنين لليد (w. b. III p. 174)	٤٦٠٠٠
(٩) نبات «إسي»: مكاييل منوعة (ويبة)	٤٨٣٠٠٠
(١٠) نبات «إسي» لليد	٢٣١٥٠٠
(١١) أزهار: أكاليل	٤٦٠٠٠
(١٢) أزهار البردي: طاقات	٤٨٣٠٠٠

صفحة ٣٧ (أ)

	دبن
(١) بردي: برك واسعة	٦٩٠٠
(٢) نبات «سنر» مكيال «دد» (w. b. v, p. 501)	٩٢٠٠٠

	دبن
(٣) نبات «إسي»: مكاييل (دد)	٦٩٠٠٠
(٤) نبات «منح»: بالويبة	٢٦٥٠٠
(٥) بلح: مكيال (مزا)	٢٤١٥٠٠
(٦) لبن: مكيال (جسر)	٨٦٠٠
(٧) فروع من العنب (زينة) في اليد	٩٢٠٠٠
(٨) أزهار: طاقات	١١٥٠٠٠٠
(٩) أزهار سلات: (حتب)	١١٥٠٠٠٠
(١٠) أعشاب باقات	٤٦٠٠
(١١) قرون الخروب	٩٢٠٠٠
(١٢) خشب حريق (قطع)	١١٥٠٠
(١٣) فحم بلدي: مكاييل (جسر)	٢٣٠٠

صفحة ٣٧ (ب): قربان لإله النيل

(١) قربان لكتب[١٥٥] إله النيل وهي التي أسسها من جديد في بيت إله النيل، هذا بالإضافة إلى كتب (٢) إله النيل التي تُقدم في بركة «كبح» في بيت «حوراختي» (٣) وكتب إله النيل التي تُقدَّم في بيت «أنوبيس» رب التصميمات في «نرو» وهي — أي القربان —

زيادة على عدد قربانهم التي كانت من قبل سنة فسنة (٤) من السنة الحادية والثلاثين — أي لمدَّة إحدى وثلاثين سنة.

القرابين التي أسسها «رعمسيس الثالث»: (٥) كتب إله النيل التي أسسها الملك «وسرماعت رع مري آمون» الإله العظيم مدَّة ثمانية وأربعين عامًا في إحدى وثلاثين سنة[١٥٦] وهي: اثنان وأربعون ومائة كتاب لإله النيل. والقربان هي:

(٧) خبز ناعم للقرابين المقدسة: رغفان منوعة (بيات)	٤٧٠٠٠٠
(٨) خبز ناعم للقرابين المقدسة: رغفان منوعة (برسن) ورغفان بيضاء ورغفان (سشو)	٨٧٩٢٢٤
(٩) فطائر: بالويبة المنوعة	١٠٦٩١٠
(١٠) خبز أبيض مستطيل الشكل من دقيق قونك وخبز «ودنوت»	٤٦٥٦٨
(١١) جعة: جرار منوعة فيكون (نسي الكاتب تسجيل عدد الهنات هنا التي تحتويها هذه الجرار)	٤٩٤٣٢
(١٢) حب نقي بالحقائب	-
(١٣) ثيران	٢٩١
(١٤) ثيران مخصية	١٧

صفحة ٣٨ (أ)

دبن

	دبن
(١) عجول	٥١
(٢) بقرات	٢٥٦٤
المجموع	٢٩٣٢
(٣) ماعز	١٠٨٩
(٤) أوز سمين	١٩٢
(٥) أوز حي وطيور (خت عا)	٣٩٣٨
(٦) طيور للتفريخ	٣٦٤
(٧) طير ماء	٢٦٥٣
(٨) حمام	٦٨
(٩) طيور (تا عشا)	١٩٩٢٨
(١٠) مجموع الطيور المنوعة	٢٧١٤٣
(١١) شراب شدح: جرار (كابو)	٢٠٩
(١٢) نبيذ: جرار (من)	٧١٥٤
(١٣) شحم أبيض: ٣٥١٣ جرة، وكل منها تحتوي على ربع هن المجموع	_ *

	دبن
(١٤) بصل مكيال (ع)	١٢٧١٢

* أخطأ الكاتب في الحساب؛ لأن ٣٥١٣ جرة كل منها ربع هن = ـ هنا.

صفحة ٣٨ (ب)

	دبن
(١) خضر (سبر): جرار (ع)	١٢٧١٢
(٢) امتست جرار (ع)	١١٨٧٢
(٣) بلح مجفف: جرار (ع)	١١٨٧٢
(٤) مر مجفف: جرار (ع)	١١٨٧٢
(٥) معدن ثمين (وز)	١١٨٧٢
(٦) كحل جرار (ع)	١١٨٧٢
(٧) بخور للمباخر	٨٤٨
(٨) بخور إناء أو مكيال (سبت)	٤٢٤
(٩) بخور ٨٧٣٤٤ جرة (ع) تحتوي بخورًا: دبن	٢٣٠٠٨
(١٠) بخور مكيال (دنيت)	٦٤٢٠

	دبن
(١١) بخور جرار (ع)	٢٥٦٨
(١٢) بخور جرار (اع بو)	١٣٠٤
(١٣) بخور أبيض: بالهن	٨٥
(١٤) زيت: بالهن	٨٥
(١٥) فاكهة: بوعاء (محتت)	٢٥٤٢٤٠

صفحة ٣٩

	دبن
(١) فاكهة: مكاييل (دنيت)	٢٦٧٢
(٢) فاكهة: جرار (ع)	١٥٤٦٧٢
(٣) عنب: جرار (ع)	١١٨٧٢
(٤) زبيب	١١٨٧٢
(٥) أجود فاكهة: جرار (جاي)	٩٦٠٠
(٦) شهد: ٢٨٠٠ جرة (بوجا) كل منها ربع هن	٥٢٠٠

	دبن
(٧) شهد: ١٠٤٠ جرة (محتت) كل منها هن واحد	١٠٤٠
(٨) شهد للفطائر: هن	ــ،ـ
(٩) شحم أبيض للفطائر: هن	ــ،ـ
(١٠) قرفة: قطع	٣٠٣٦
(١١) أجود زيت: ٨٤٨ جرة (ببا) كل منها نصف هن	٤٢٤
(١٢) أجود زيت: ٣٠٣٦ جرة (ع) كل واحدة منها ربع هن	٧٥٨
(١٣) فول مقشر: جرار (ع)	١١٩٩٨

صفحة ٤٠ (أ)

	دبن
(١) زبيب: جرار (ع)	١١٨٧٢
(٢) زبيب: بالويبة	١٠٦٠٠٠
(٣) قرون خروب بالويبة	١٠٦٠٠٠
(٤) أعشاب (أو خضر) باقات (خرش)	١٥٩٠٠٠

	دبن
(٥) أعشاب (أو خضر) باقات (حتب)	١١٨٧٢
(٦) بردي الشاطئ لليد (؟)	٧١٢٠٠
(٧) ليف: مكاييل (مستي)	٤٣٦٠٠
(٨) فاكهة بيضاء: جرار (جاي)	٤٢٤٠
(٩) عطر حديقة أخضر (اسم نبات)	١٠٦٠٠٠
(١٠) ثمرة سنب: جرار (ع)	١١٨٧٢
(١١) زبدة: جرار (نمست)	١٢٠٤٠
(١٢) لبن: جرار (نمست)	١٢٠٤٠
(١٣) لبن: قعب (مهن)	١٩٨
(١٤) رمان: بالويبة	٩٦٠٠٠٠
(١٥) تفاح (دبحت): سلات (كارا-حوتي)	٨٤٨

صفحة ٤٠ (ب)

	دبن

	دبن
(١) نبات (اسي): مكاييل (زدمت)	٨٤٨
(٢) نبات (اسي): لليد	٨٤٨٠
(٣) أزهار: أكاليل	٤٣٦٤٠
(٤) أغصان عنب لليد	٧٤٠٠٠
(٥) أزهار: فروع طاقات	١١٤٨٠٤
(٦) أزهار: فروع (حتبت)	١١٤٨٠٤
(٧) ذهب: تمثال لإله النيل (نوسا)*	٦٧٨٤
(٨) فضة: تمثال لإله النيل (نوسا)	٦٧٨٤
(٩) لازورد حقيقي: تمثال لإله النيل (نوسا)	٦٧٨٤
(١٠) فيرزوج حقيقي: تمثال لإله النيل (نوسا)	٦٧٨٤
(١١) (حديد): تمثال لإله النيل (نوسا)	٦٧٨٤
(١٢) نحاس: تمثال لإله النيل (نوسا)	٦٧٨٤
(١٣) قصدير: تمثال لإله النيل (نوسا)	٦٧٨٤
(١٤) صفيح: تمثال لإله النيل (نوسا)	٦٧٨٤

	دبن
(١٥) معدن (منيت-وز) تمثال لإله النيل (نوسا)	٦٧٨٤

* حلية؟

صفحة ٤١ (أ)

	دبن
(١) حجر مينو: تمثال لإله النيل (نوسا)	٦٧٨٤
(٢) حجر شزمت: تمثال لإله النيل (نوسا)	٦٧٨٤
(٣) حجر الأمزون أخضر (نشمت): تمثال لإله النيل (نوسا)	٦٧٨٤
(٤) مرمر: تمثال لإله النيل (نوسا)	٦٧٨٤
(٥) يشب أحمر: تمثال لإله النيل (نوسا)	٦٧٨٤
(٦) حجر (حرست): تمثال لإله النيل (نوسا)	٦٧٨٤
(٧) حجر (كنمت): تمثال لإله النيل (نوسا)	٦٧٨٤
(٨) حجر (مسدمت): تمثال لإله النيل (نوسا)	٦٧٨٤
(٩) معدن «سهر»: تمثال لإله النيل (نوسا)	٦٧٨٤
(١٠) معدن* «ثر»: تمثال لإله النيل (نوسا)	٦٧٨٤

	دبن
(١١) برنز: تمثال لإله النيل (نوسا)	٦٧٨٤
(١٢) أحجار منوعة غالية تماثيل للنيل (نوسا)	١٣٥٦٨
(١٣) بلور صخري: أختام	١٠١٩٦
(١٤) بلور صخري: قلادة	١٠١٩٦
(١٥) بلور صخري: عقد رقبة	١٠١٩٦

* مادة معدنية تُستخرج من إلفنتين وتُستعمل لعمل التماثيل الصغيرة (راجع W. b. v, p. 386).

صفحة ٤١ (ب)

	دبن
(١) خشب جميز: تماثيل لإله النيل	٥٠٩٦
(٢) خشب جميز: تماثيل لإلهة النيل	٥٠٩٨
(٣) كتان من الجنوب: قمصان	١٠١٩٦
(٤) حجر: (وبا)	٣١٦٥٠
(٥) خشب حريق (قطع)	٥١٠
(٦) فحم بلدي: مكاييل (جسرا)	١٧

صفحة ٤٢

الصلاة الختامية: «رعمسيس» يصلي للنيل: (١) أتمم لي أعمالي العظيمة التي أديتها لك يا أيها الوالد، لقد وصلت إلى الغرب (مكان الموتى) مثل (٢) «أوزير». هيئ لي أن أتسلم القربات التي تخرج أمامك، وأن أستنشق عبير المر مثل تاسوعك الإلهي، وهيئ لي أن يغمر ضياؤك رأسي يوميًّا، وأن يعيش روحي ويراك في الصباح المبكر، اعمل (٣) ما يرتاح إليه قلبي يا أيها الوالد الفاخر؛ لأني كنت منعمًا لنفسك عندما كنت على الأرض، اصغ لتضرعي، واعمل ما أقوله، وما يعلنه الآلهة، وكذلك (٤) الناس لك، مَكِّن ابني ليصبح ملكًا بمثابة رب للقطرين، حتى يحكم الأرضين بمثابة ملك (له الحياة والفلاح والصحة) مصر (٥) «وسرماعت رع ستبن آمون»، (بالحياة والفلاح والصحة) الذي اخترته لنفسك ليكون وارثًا ليعظم اسمك، ثبت التاج الأبيض والتاج المزدوج المقدس على رأسه مثل ما توجت (٦) على الأرض مثل «حور» صاحب الإلهتين (أي الصلين). اجعل كل عضو من أعضائه سليمًا، ونمِّ عظامه، واجعل عينيه تقويان عند نظر حب الملايين[157] له، واجعل مكثه (٧) على الأرض مثل النجم القطبي (أي ثابتًا)، واجعله مستعدًّا مثل الثور القوي قابضًا على الأرضين. هبه أهل الأقواس التسعة مجتمعين تحت قدميه، مقدمين لاسمه (٨) التحية عندما يكون سيفه فوقهم.

وإنك أنت الواحد الذي خلقته طفلًا، وقد وليته أميرًا ووارثيًّا على عرش «جب» (الأرض) المزدوج، وإنك تقول: «صيِّره ملكًا على عرش (٩) من أنجبه»، وإن الأشياء التي تأمر بها تحدث ممكنة ثابتة، امنحه حكمًا عظيمًا مديدًا، وأعيادًا ثلاثينية قوية مثل «تاتنن» (١٠) ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين «وسرماعت رع ستبن آمون» (له الحياة والفلاح والصحة) ابن «رع» رب التيجان «رعمسيس الرابع» «حقا ماعت مري آمون» (له الحياة والفلاح والصحة).

منف

مقدمة: آثار «رعمسيس الثالث» في «منف» لم تحدثنا الآثار التي كُشف عنها حتى الآن عن مبانٍ دينية أقامها «رعمسيس الثالث» في «منف»؛ ولذلك سنكتفي هنا الآن بما ذكرته لنا ورقة «هاريس» عن آثاره، وتنحصر في بناءين جديدين هما:

(١) معبد «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «بتاح» (راجع ه/ص٤٥–٣، ٥١–٣).

(٢) بيت «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «بتاح» (راجع ه/٥١–٦): ولما كان عدد الخدم الذين يقومون بالخدمة في هذا البيت لم يتجاوز الستة عشرة فلا بد أنه كان محرابًا صغيرًا.

وتدل شواهد الأحوال على أن هذين البناءين قد أُقيما في «منف» في النصف الثاني من حكم هذا الفرعون، عندما ساد الأمن البلاد وازدهرت أحوالها، كما تدل على ذلك قصيدة «بركات بتاح» التي نقشها على جدران معبد مدينة «هابو» وهي التي كان يجب أن تتحدث عن مبانيه في «منف»، ولكن في الوقت الذي نجد فيه أن «رعمسيس الثاني» يقول قصيدة «بركات بتاح» القديمة؛ وهي التي نقشها على جدران معبد «بوسمبل» في السنة الخامسة والثلاثين من حكمه: «لقد زدت في معبدك «منف».» نجد أن «رعمسيس الثالث» يقول في القصيدة التي تركها تقليدًا لجده، وهي التي نقشها في معبد مدينة «هابو» في السنة الثانية عشرة من حكمه: «لقد زدت في بيتك في مدينة «هابو».» وهو يشير هنا بذلك إلى محراب «بتاح-سكر» الذي أُقيم في معبد مدينة «هابو» الجنازي وحسب. ومن ذلك نتأكد أنه حتى السنة الثانية عشرة من حكم «رعمسيس الثالث» لم يكن قد أقام بناء لهذا الإله في «منف» نفسها، وإلا لذكره في قصيدته «بركات بتاح»؛ ولذلك فالمعتقد أن البناءين اللذين ذُكرا في ورقة «هاريس» لا بد أنهما كانا قد أُقيما بعد السنة الثانية عشرة من حكمه أي بعد تأليف هذه القصيدة.

وكذلك نجد أن «رعمسيس» قد وهب ضياع معبد «منف» بعض خدم كما جاء في (هاريس ٥١ (أ)–٧).

صفحة ٤٣

المتن الخاص بمنف: منظر: يُشاهد في بداية الجزء الخاص «بمنف» في ورقة «هاريس» صورة تمثل «رعمسيس الثالث» يقف مصليًا أمام الآلهة «بتاح» و«سخمت» و«نفرتم»، ومنهم يتألف ثالوث «منف»، والنقوش التي معهم هي:

فوق الإله بتاح نقرأ: «بتاح» العظيم جنوبي جداره رب «حياة الأرضين».

فوق الإلهة «سخمت»: «سخمت» العظيمة محبوبة «بتاح».

فوق «نفرتم»: «نفرتم» حامي الأرضين.

أمام الملك: إني أقول لك صلوات ومدائح وتعبدًا وإطراء وأعمالًا عظيمة وإنعامات قمت بها لك في حضرتك يا «ساكن جنوبي جداره».

صفحة ٤٤ (أ)

صلاة للآلهة يتبعها تعداد أهم المباني والهبات: (١) الصلوات، والمدائح، والتعبدات، والإطراءات، والأعمال المجيدة، والإنعامات التي عملها ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسرماعت رع مري آمون» الإله العظيم لوالده «بتاح» العظيم القاطن جنوبي جداره سيد حياة الأرضين، و«سخمت» العظيمة محبوبة «بتاح» و«نفرتم» حامي الأرضين، وكل تاسوع «حكبتاح» (منف).

ما قاله الملك «وسرماعت رع مري آمون» الإله العظيم (٣) لوالده، هذا الإله الفاخر «بتاح» العظيم القاطن جنوبي جداره، سيد «حياة الأرضين» «تاتنن» والد الآلهة، الرفيع الريشتين، الحاد القرنين، الجميل الوجه، الذي على العرش العظيم:[١٥٨] مرحبًا بك؛ عظيم أنت، ومبجل أنت يا «تاتنن» يا والد الآلهة، ويا أيها الإله العظيم الأزلي، وأول الناس، وبارئ الآلهة، والبداية التي أصبحت أول كائن أزلي، ومن بعده حدث كل ما قد حدث، ومن برأ السماء على حسب عقله، ومن

رفعها برفع الجو («شو» إله الهواء)، ومن أسس الأرض بما فعله هو، وأحاطها بالمحيط الأزلي (نون)، والبحر (الأخضر العظيم)، ومن خلق العالم السفلي، ومن أرضى الموتى، وجعل الشمس تأتي إليهم لينعموا بوصفه حاكم الأبدية، ورب الخلود، ورب الحياة، ومن يملأ الحلق، ويمنح كل خيشوم النفس، ومن يحفظ كل الناس أحياء بأرزاقه، ومن مدى الحياة والقدر والتربية تحت سلطانه، والناس تحيا بما يخرج من فمه، وصانع القربان لكل الآلهة في صورته «نون» العظيم، ورب الأبدية، ومن الخلود تحت سلطانه، وهو نفس الحياة لكل الناس. وقائد الملك إلى عرشه العظيم باسمه ملك الأرضين، وإني ابنك الذي نصبته ملكًا على عرش والده في سلام، وإني أتبعك وتصميماتك أمامي.

وفاة الملك: لقد ضاعفت الطيبات لي عندما كنت على الأرض، ولقد قدتني لأستريح بجانبك في السماء الغربية مثل كل آلهة العالم السفلي الخفيين، وإني مصاحب لتاسوعك المقدس في مكانك الخفي مثل العجل «أبيس» ابنك الفاخر الذي بجانبك. هب لي أن آكل طعامًا من قربانك المقدس، من خبز، وبخور، وجعة، وشراب شدح، ونبيذ.

صفحة ٤٥

هب لي أن أعيش ثانية على الأرض المقدَّسة العالية (أي الجبانة)، وأن أراك كل يوم مثل تاسوعك الإلهي.

إنعامات الفرعون: وعندما كنت حاكمًا (بالحياة والفلاح والصحة) على الأرض سيدًا لمصر أَلَمْ أَمِلْ إليك بقلبي بشدة لكي أبحث عن كل الإنعامات لبيتك الفاخر حتى أقدمها إليك في مدينتك «منف»؟

معبد «بتاح» الجديد: (٣) وأقمت لك معبدًا جديدًا في ردهتك، وهو مكان راحة قلبك عند كل ظهور لك (أي عند كل احتفال لك)، ويسمى معبد «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «بتاح» في قاعة العرش العظيمة (٤) السرية الخاصة بمن يقطن جنوبي جداره مؤسسة

بالجرانيت، ومرصوفة بالحجر الجيري الأبيض (عيان)، وعوارض أبوابه تحمل عتبًا من جرانيت «إلفنتين»، والباب العظيم الذي عليها من النحاس المخلوط بنسبة ستة أجزاء.

والأبواب العظيمة من الذهب المطعم في الحجر، والمزاليج من النحاس الأسود الموشى بالذهب، عليه صورتان من ذهب «كتم» ومطعم بالذهب، وآثاره كانت منحوتة ومثبتة، وصناعته متقنة، وأبراجه من الحجر تناطح السماء، ومكانها العظيم قد وسع مثل البيت العظيم، وله باب من الذهب مثل باب السماء المزدوج، ونقشت تمثالك الثاوي في محرابه بالذهب والفضة والحجر الغالي الحقيقي مثبتًا بالعمل الحسن.

وأمددته بالرعايا (العمال) في قوائم عديدة، وجعلت له حقولًا في الجنوب والشمال.

صفحة ٤٦

(١) وكانت بيوت ماله تفيض بالأملاك الكثيرة من رماة بحريين، وجامعي الشهد، وكذلك توريد البخور، وتوريد الفضة (٢) وتجار يخطئهم العد، وضيعات[١٥٩] لأجل الغلال تعد بعشرات الآلاف، وحدائق غزيرة من «الشدح» والنبيذ، وكذلك حظائر الماشية والثيران والعجول المخصية، وبيوت التسمين، ومحاصيل مصر، وأرض الإله (بنت) و«سوريا» و«كوش» وجعلتها أكثر عددًا من الرمل في بيت ماله الفاخر، والمخازن التي تحوي قربات مقدسة قد مُدَّت بالطعام دون نقص[١٦٠] في أي مكان من أماكنها، وقد كانت ملكًا لحضرتك يا أيها السيد الأوحد الخالق كل كائن يا «بتاح» جنوبي جداره، يا حاكم الأبدية (٥) لقد وهبتك عشرين ألف حقيبة[١٦١] من الحب لتحملها إلى بيتك كل سنة لتميز معبدك بالقرابين المقدسة بالإضافة إلى قرابينك اليومية التي كانت من قبل.

(٦) وأصلحت معبد «بتاح» مقرك العظيم، وجعلته مثل الأفق الذي فيه «رع» وملأت بيوت ماله بالسلع العديدة، وأثقلت شونها بالشعير والقمح.

تمثال العبادة ومحرابه: وعملت تصميمًا من جديد لتمثال أحفالك (سشم خو) الخاص بمعبدك في بيت الذهب، ونَمَّقته بالذهب والفضة المحلية، والفيروزج، وكل حجر فاخر غالٍ (٨) وجعلت محرابه الفاخر مثل أفق السماء في وسط سفينتك ثاويًا عليها، وثَبَّت انحناءاته الكبيرة، وكان للمحراب سقف على عمودين و«كورنيش» علوي، وكانت من الذهب المشغول بالبارز بالحجر الحقيقي الغالي، ونَمَّقت قضبانه العظيمة (التي يُحمل عليها) — [كان هذا التمثال يُوضع في قارب خاص في محرابه ويُحمل عند الاحتفالات.]

صفحة ٤٧

(١) وكِسْوتها الذهب الجميل منقوشة باسمك، وعندما تظهر بقلب فرح «إنب سبك»[١٦٢] في صورتك العظيمة الخفية بوصفك الذي يقطن جنوبي جداره «بتاح»، فإنك تملأ مدينتك «منف» بنور أعضائك، والناس يُسرون لرؤية جمالك.

إصلاح «حكبتاح» (معبد منف): وطهرت «حكبتاح» مقرك الفاخر، وبنيت معابدها التي آلت إلى الخراب، وسويت آلهته في صورهم الفاخرة من الذهب والفضة، وكل حجر غالٍ في بيوت الذهب.

لوحات من الفضة: (٣) وصنعت لك لوحات عظيمة من الفضة المطروقة والمحفورة والمنقوشة بالمسحل باسم جلالتك العظيم بالتعبدات والصلوات التي قدمتها أمامك، وعليها المنشورات الخاصة بإدارة بيتك سرمديًّا.

(٤) لوحات من البرنز: وصنعت لك لوحتين من مزيج بنسبة ستة أجزاء، لونهما مثل لون ذهب الجبل الجميل منقوشتين ومزينتين باسمك، ومحفورتين بالمسحل بالمدائح الممتازة التي قدمتها لحضرتك.

(٥) تعويذات: وصنعت لك تعويذات فاخرة لجسمك من ذهب «كتم» الجميل ومن الفضة بشغل مطروق، وبصناعة بارزة مطعمة باللازورد الحقيقي لتضعها على أعضائك في «مقرك العظيم»، وكان كل تاسوع بيت «بتاح» مسرورًا بذلك.

محراب من حجر واحد: وصنعت لك محرابًا خفيًّا من جرانيت «إلفنتين» مؤسسًا بعمل أبدي من قطعة واحدة، وله مصراعان من البرنز الممزوج بنسبة ستة أجزاء، ومنقوشًا باسمك الفاخر سرمديًّا يثوي فيه «بتاح» و«سخمت» و«نفرتم» وبينهم تماثيل للملك لتقدم قربانًا أمامهم، وأسست لهم قربانًا إلهيًّا مقدمًا أمامهم باقيًا لك أبد الآبدين أمام وجهك الجميل (يقصد بتاح).

نظم المعبد: (٨) ودوَّنت لك منشورات عظيمة بكلمات سرمدية مسجلة في قاعة سجلات مصر في صورة لوحات من الحجر منقوشة بالمسحل لإدارة بيتك الفاخر سرمديًّا، (٩) ولإدارة مستعمراتك الطاهرة الخاصة بالنساء، وأحضرت أطفالها الذين هجروا لأنهم من العبيد العمال الذين كانوا في أيدي آخرين، وقد وضعتهم لك في الوظائف في بيت «بتاح» وعملت لهم منشورات سرمدية.

مخازن للأعياد: (١٠) وعملت لك مخازن لأعياد الظهور في بيتك المقدس وقد أُقيمت على رقعة المعبد، وأُسست بجدٍّ، وملأتها بالعبيد الذين أحضرتهم أسرى في خدمة قرابينك المقدَّسة، وهي مفعمة وطاهرة لتمون بيت «بتاح» بالطعام والذخيرة، ولتزيد ما قد كان من قبلك يا «رسى أنيف» (الساكن جنوبي جداره = بتاح)، وكان تاسوعك المقدس فرح القلب ومبتهجًا بهم.

صفحة ٤٨

حظائر الماشية والدجاج: (١) وأقمت لك حظائر للماشية مفعمة بالثيران والعجول المخصية، وبيوت تسمين كذلك تحوي أوزًّا سمينًا، وحظائر دجاج ملأى ذات قيمة، وتحوي طيورًا برية لتقرَّب إلى روحك كل يوم.

المحصلون: (٢) وجعلت لك رماة، ومحصلي شهد، وموردي بحور، وعينت لك محصلي ضرائب؛ ليرشدوهم ويجمعوا إتاواتهم السنوية لبيت مالك الفاخر ليملئوا مخازن بيتك بسلعٍ كثيرة لتكثير القرابين الإلهية لتقدَّم لحضرتك.

مخازن الغلال: (٣) وأقمت لك مخازن غلال مفعمة بالشعير والقمح، وتحوي كومات حب عديدة تناطح السماء لتموين معبدك يوميًّا أمام معبدك المحبوب يا صانع السماء والأرض.

تماثيل الملك: (٤) وصنعت لك تماثيل الملك (له الحياة والفلاح والصحة) من الذهب المطروق، وأخرى من الفضة الخالصة المطروقة أيضًا راكعة أمامك، وحاملة أواني، ومائدة قربان تحوي قربات إلهية من خبز وجعة لتقدَّم أمامك يوميًّا.

أدوات العبادة: (٥) وصنعت لك — بمجهود — قاعدة آنية عظيمة لردهتك بالذهب الجميل، وكانت أوانيها من ذهب وفضة محفورة باسمك، ومجهزة بالقربات المقدَّسة، وبكل شيء طريف لتقديمها أمامك في كل صباح مبكر.

سفن البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط: (٦) وبنيت لك سفن شحن في وسط البحر (الأخضر العظيم) يديرها نواتي في قوائم، لنقل محاصيل أرض الإله، وإتاوة أرض «زاهي» إلى بيوت مالك العظيمة في مدينة «منف».

قربات الأعياد: (٧) وعينت لك قرابين أعياد عظيمة بمثابة مؤسسات جديدة لتقديمها إلى حضرتك عند كل ظهور لك، وكانت ممونة بالخبز، والجعة، والثيران، والطيور، والبخور، والفاكهة، والخضر، وشراب شدح، والنبيذ، والكتان الملكي، وكتان «مك» الكثير، وكتان الجنوب الجميل، والزيت (٨) والبخور، والشهد، والمر المجفف، وكل خشب عطر زكي حلو العبير أمام وجهك المحبوب يا سيد الآلهة.

عيد أوَّل الفيضان: (٩) وأقمت لك أعياد قربان عظيمة لأوَّل الفيضان لاسمك العظيم الفاخر المحبوب «بتاح نون» والد الآلهة العظيم، وكان الطعام موجودًا مثل الماء في ردهتك العظيمة الفاخرة المسماة (١٠) «إنب سبك» لكل صورك، ولتاسوع المياه السفلية، وقد فرضت لها الإتاوة من بيوت المال، والمخازن، والشون، وحظائر الماشية، وحظائر الدجاج سنويًّا لإرضاء مجلس «نون» العظيم، وبذلك يصبحون راضين مبتهجين في العيد عند رؤيتها.

السفينة المقدسة: (١١) وصنعت سفينتك الفاخرة يا سيد الأبدية؛ طولها ثلاثون ومائة ذراع على النهر، من خشب الأرز العظيم، من أجود ما في الضيعة الملكية، وكان «بيتها العظيم»[١٦٣] من الذهب، ومن الأحجار الثمينة الحقيقية حتى سطح الماء، ومن الذهب على كل من جانبيها.

صفحة ٤٩

(١) وتحمل مقدمتها صقرين من الذهب الجميل مطعمين بكل حجر غالٍ أكثر جمالًا في الصنعة من سفينة الليل، والمؤخرة من الذهب الجميل. وصور آلهة مجدافي دفتها مشغولة بالذهب الجميل، وقد ظهر «بتاح» جميل الوجه القاطن جنوبي جداره ليثوي في «بيته العظيم» مثل إله الأفق، في حين كان قلبه راضيًا ومرحًا عند رؤيته مؤديًا سياحته الجميلة على الفيضان إلى ابنته سيدة شجرة الجميز «حتحور» (٣) في جنوبي «منف»، والعامة وبنو البشر ينشرحون عند رؤيته، وقد كان الابتهاج أمامه حتى (وصوله) إلى بيته الفاخر.

الماشية المقدَّسة: (٤) وحميت بقرها الأسود المقدس الخاصة بالعجل «أبيس» ذكورًا وإناثًا، وهي التي كانت قد أُهملت في قطعان كل بيت، وجعلتها كلها أكثر قدسية من بقرها الأسود المقدس، ومددت في حدودها حتى أماكنها الحقة، وهي التي كانت قد استولى عليها الآخرون لحقولهم، وأقيمت لوحات حدودها منقوشة باسمك، وقد سننت لها مراسيم لإدارتها على الأرضين.

إمدادات من البخور: (٦) وأحضرت لك جزية وفيرة من المر لكي تعطر المعبد بعبير (بنت) لخيشوميك الفاخرين في الصباح المبكر، وغرست البخور، وشجر مر الجميز في ردهتك العظيمة الفاخرة في «إنب سبك» وهي التي أحضرتها يداي من بلاد «أرض الإله» لإرضاء الصلين اللذين على جبينك كل صباح.

أواني العبادة: وصنعت لك موائد أوانٍ «لمكانك العظيم» وتشمل مباخر وأواني «نمست»، وأواني موائد قربان، وأواني «جن» و«حيوت»، وأواني «عخو» و«عنخيو»، وأواني قربان عظيمة تحمل قربات مقدسة. وقد كانت من الذهب الجميل والفضة بالشغل المطروق ومطعمة بكل حجر ثمين لا حصر له لأجل أن تُقدَّم لحضرتك كل يوم يا «بتاح» يا والد الآلهة وأول الناس.

العيد الثلاثيني الأول: واحتفلت لك بأول عيد ثلاثيني من حكمي في عيد عظيم للإله «تاتنن»، وضاعفت لك ما كان قد عُمل في داخل مكان عرشك، وهناك قرب لك قربات عيد تحتوي على

أنواع عديدة من خبز، ونبيذ، وجعة، وشراب شدح، وخضر، وثيران، وعجول مخصية، وعجول بمئات الألوف، وبقرات بعشرات الألوف لا حصر لها، وهي محاصيل أراضي مصر التي كرمل الشاطئ، وآلهة الجنوب وآلهة الشمال قد اجتمعوا في وسطها، وأصلحت معبدك، وبيوت الأعياد الثلاثينية.

صفحة ٥٠

(١) التي كانت قد خربت منذ الملوك السالفين،[١٦٤] ونمقت (صور) التاسوع الإلهي أرباب الأعياد الثلاثينية بالذهب والفضة والأحجار الغالية كما كانت الحال من قبل (٢) وحكت لهم ملابس من الكتَّان الملكي وكتان «مك»، ومزجت لهم عطورًا للصل الذي على جباههم، وأسست قربانًا مقدسًا لحضرتهم ثابتًا بمثابة قربات يومية لأنفسهم سرمدية.

قوائم: (٤) تأمل! لقد دونت (جمعت) الإنعامات التي عملتها لك يا «بتاح» جنوبي جداره (أي الساكن جنوبي جداره = «منف») حتى يعلم تاسوع بيت «بتاح» بإنعاماتي.

صفحة ٥١ (أ)

(أ) محتويات القوائم: (١) قائمة بالمحاصيل، والماشية، والحدائق، والأراضي، والسفن، ومصانع السفن، والمدن التي منحها الملك (٢) «وسرماعت رع مري آمون» الإله العظيم لوالده الفاخر «بتاح» جنوبي جداره، رب «حياة الأرضين» بمثابة إرث إلى أبد الآبدين.

(٣) معبد رعمسيس حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «بتاح» تحت إدارة الموظفين: ٦٠٩ نسمة.

(٤) قطعان[١٦٥] «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» تحت إدارة المشرف على القطعان «حوى»: ١٣٦١ نسمة.

(٥) بيت «وسرماعت رع مري آمون» المدينة التي على الطريق الغربية، والقناة الغربية تحت إدارة مدير البيت «بن-نسنت-تاوي»: ٤٠ نسمة.

(٦) معبد «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «بتاح» تحت إدارة «حوى» رئيس البيت: ١٦ نسمة.

(٧) الناس الذين منحهم بيت «بتاح» العظيم جنوبي جداره، رب «حياة الأرضين»، وهم الذين كانوا لحساب المعبد تحت إدارة الكاهن الأعظم والموظفين: ٨٤١ نسمة.

(٨) «بتاح رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» الواجد مكانًا في بيت «بتاح» (اسم تمثال) في ضيعة «بتاح» تحت إشراف النائب «بتاح موسى»: ٧ نسمات.

(٩) السوريون، والنوبيون أسرى جلالته الذين أعطاهم بيت «بتاح»: ٢٠٥ نسمة.

(١٠) مجموع الرءوس: ٣٠٧٩ نسمة.

جدول : ثروة منوعة

(١١) ماشية منوعة	١٠٠٤٧
(١٢) حدائق وخمائل	٥
(١٣) سفينة نقل، وسفينة شحن	٢

صفحة ٥١ (ب)

(١) أراضي: ستات (= ــــ من الفدان الإنجليزي)	١٠١٥٤
(٢) مدن	١

(ب) الضرائب التي تُجبى من الرعايا (دخل بتاح): (٣) السلع، والضرائب، وإنتاج الناس لمعبد «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «بتاح»، (٤) ولماشية «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «بتاح» ولبيت «وسرماعت رع مري آمون» في المدينة الواقعة (٥) على القناة الغربية، ولبيت «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «بتاح»، ولمعابد هذا البيت، وهي التي — أي الضريبة التي كانت تُجبى من الناس — ووردت إلى بيوت (٦) ماله بوصفها ضريبتهم السنوية (أي ضريبة الناس … الخ).

	دبن	قدت
(٧) فضة	٩٨	ـ،ـ
(٨) كتان الجنوب الجميل، والكتان الملون: ملابس منوعة	ـ	
(٩) نبيذ: جرار (من)	٣٩٠	
(١٠) فضة بمثابة سلع إتاوة الناس للقربان المقدس	١٤١	ـ
(١١) حَب نقي من ضريبة الفلاحين: حقيبة	٤٠٠	٣٧
(١٢) خضر: باقات	٦٠٠	
(١٣) ثيران وعجول، وبقرات، وثيران «قدت» وثيران «رن» للقطعان*	ـ (هكذا)	

* راجع: Wilbour Pap. II, p. 117.

صفحة ٥٢ (أ)

(١) أوز حي من الإتاوة	١٣٥
(٢) سلع مصر، وسلع أرض الإله، وسلع «سوريا» وسلع «كوش» و«الواحة»* للقرابين المقدسة في قوائم عديدة	

* أي وللمعابد التابعة لنفس الإنعامات Ibid p. 117.

(ج) منح الفرعون للإله «بتاح»: (٤) الذهب والفضة، واللازورد، والزمرد الحقيقي، وكل حجر فاخر غالٍ، والنحاس الأسود، والملابس من كتان الملك، ومن كتان «مك»، ومن كتان الجنوب الجميل، ومن كتان الجنوب والملابس الملونة، والأواني، والثيران والأوز وكل أنواع الأشياء التي أعطاها «وسرماعت رع» هبة لبيت «بتاح» العظيم جنوبي جداره، «سيد حياة الأرضين»، وللمعابد التي يملكها من السنة الأولى حتى السنة الواحدة والثلاثين، أي مدة إحدى وثلاثين سنة.

	دبن	قدت
(٨) ذهب جميل دفعتين، وذهب أبيض في هيئة أوانٍ وحلي	٢٦٣	ـ
(٩) ذهب: حلية الأمير	٢	
(١٠) فضة في هيئة أوانٍ وقطع	٣٤٢	ـ
(١١) فضة مطروقة: لوحة عظيمة طولها ذراع وستة أشبار في الطول، وعرضها ذراع وشبر وثلاث أصابع، وهي واحدة	١٧٣	ـ، ـ
(١٢) مجموع الفضة من أوانٍ وحلي	٥١٦	٦

صفحة ٥٢ (ب)

	دبن	قدت
(١) مجموع الذهب والفضة من أوانٍ وحلي وقطع	٧٨٠	ـ
(٢) اللازورد الحقيقي المركب على ذهب؛ والمربوط بخيطين من الخرز = ١		٣
(٣) لازورد حقيقي	٣	٢
(٤) فيروز حقيقي	٢	
(٥) حجر الأمزون (نشمت)	١٠	
(٦) لازورد فيروز حقيقي: جعارين مركبة ولها محور من ذهب	٣٦	
(٧) لازورد: جعارين كبيرة	٤٦	
(٨) فيروز: جعارين كبيرة	٤٦	
(٩) برنز مطروق مزيج بنسبة ستة أجزاء: لوحة كبيرة	٢٤٥	
(١٠) برنز مطروق مزيج بنسبة ستة أجزاء: لوحة كبيرة	٦٥	
(١١) برنز أوانٍ وقطع	١٧٠٨	
(١٢) مجموع الأواني والقطع من النحاس	٢٠١٨	
(١٣) الكتان الملكي، وكتان «مك»، وكتان الجنوب المضاعف الجودة، وكتان الجنوب الجيد، وكتان الجنوب، والكتان الملون: ملابس منوعة.	٧٠٢٦	

	دبن	قدت
(١٤) مر: دبن	١٠٣٤	
(١٥) بخور أبيض، وشهد، وزيت، وشحم، وزبد: في جرار منوعة	١٠٤٦	
(١٦) شراب شدح، ونبيذ: جرار منوعة (إعع)	٢٥٩٧٨	

صفحة ٥٣ (أ)

	دبن
(١) مجموع الجرار المنوعة (إعع)	٢٧٠٢٤
(٢) عاج: أسنان الفيل	١
(٣) خشب (ننيب) وهو خشب ذكي الرائحة، تُؤخذ عصارته لتحضير العطور (W. b. II, p. 276)	٧٢٥
(٤) خشب سلامكة: دبن	٨٩٤
(٥) خشب قرفة: حزم	٤٥
(٦) عصى خشب قنن الذكي الرائحة وقرفة بمكيال (مستي) (W. b. v, p. 176)	٢٨
(٧) شعير سوري: حقت	٤٠
(٨) حصا لبان: مكاييل (مستي)	٤٠

	دبن
(٩) نبات (أوفيتي): مكاييل (مستي)	٨٠
(١٠) نبات (سامو): مكاييل (مستي)	١١
(١١) فاكهة: حقت	١٤
(١٢) خشب الأرز: ألواح	٨
(١٣) حجر الكحل: دبن	٥٠
(١٤) أزهار (ددمت): سلات (دماو)	٥٠
(١٥) امتست: دبن	١٤٤٠٠

صفحة ٥٣ (ب)

	دبن
(١) بلور صخري: خرز	٣١٠٠٠
(٢) بلور صخري مقطع: (هن)	٤٤١
(٣) بلور صخري أختام	٣٢٠٠
(٤) خشب مشغول: أختام	٣١

	دبن
(٥) ثيران، وعجول مخصية، وعجلات، وعجول، وحيوانات منوعة	٩٧٩
(٦) أوز حي	٢٦٩
(٧) أوز (تربو) حي	١٥٠
(٨) طيور (أوردو) حية بمناقير ذهبية	١٠٣٥
(٩) طيور (أوردو) حية	٤١٩٨٠
(١٠) طيور ماء حية	٥٧٦
(١١) مجموع الطيور المنوعة	٤٤٠١٠

(د) حبوب للأعياد: (١٢) حب نقي خاص بالقرابين المقدسة لأعياد السماء، وأعياد أوائل الفصول، وهي التي أسسها الملك «وسرماعت رع مري آمون» الإله العظيم لوالده «بتاح» العظيم القاطن جنوبي جداره، سيد حياة الأرضين بمثابة زيادة للقرابين المقدسة، زيادة يومية للقربان مضاعفًا ما كان قبلي.

صفحة ٥٤ (أ)

(١) من السنة الأولى حتى السنة الواحدة والثلاثين أي مدة إحدى وثلاثين سنة: ٩٤٧٤٨٨ حقيبة.

(هـ) قربان النيل: (٢) كتب إله النيل التي وضعها الملك «وسرماعت رع مري آمون» الإله العظيم لوالده الفاخر «بتاح» (٣) العظيم جنوبي جداره «سيد حياة الأرضين» من

السنة التاسعة والعشرين حتى السنة الواحدة والثلاثين (أي مدة إحدى وثلاثين سنة):

(٤) خبز ناعم للقربان المقدَّسة: رغفان (بيات)	٧٣٨٠٠	
(٥) خبز ناعم للقربان المقدَّسة: رغفان (برسن)	١٩١١٤٢	
(٦) خبز ناعم للقربان المقدَّسة: رغفان هرمية الشكل	٦١٥٠	
(٧) فطائر: رغفان هرمية	١٤٧٦٠	
(٨) جعة: جرار (دس)	١٣٩٦	
(٩) بلح مجفف: جرار (ع)	٢٣٩٦	
(١٠) بلح مكاييل (مزا) ٢٣٩٦ فيكون	ترك الكاتب المقدار	
(١١) حب نقي بالحقيبة	٣٦٣٣	-
(١٢) ثيران	٤١	
(١٣) بقرات	١٦٤	
المجموع	٢٠٥	

صفحة ٥٤ (ب)

(١) ماعز منوعة	٢٠٥

(٢) أوز حي	٥٧٤
(٣) طيور حية (خت-عا)	٨٤
(٤) دواجن حية للتفريخ	١٦٤
(٥) طيور ماء حية	٢٨٧
(٦) طيور ساعشا	٣٠٢٥
	Sic.*
(٧) مجموع الطيور المنوعة	٤٣٣٩
(٨) نبيذ: جرار (من)	٨٢٠
(٩) نبيذ: جرار (ع)	٢٣٦٦
(١٠) بصل: مكاييل (ع)	٢٣٦٦
(١١) فاكهة (؟) (سبر) مكاييل (ع)	٢٣٦٦
(١٢) بخور بمكيال «ستحب»	١٦٤
(١٣) بخور: مكاييل (سبرت)	٨٢
(١٤) بخور: جرار (ع)	١٩٨٩٢
(١٥) بخور: (دبن)	٤٤٦٩

* المجموع الصحيح هو ٤١٣٤.

صفحة ٥٥ (أ)

---

(١) أجود زيت: جرار (ببا)	١٦٤
(٢) أجود زيت: جرار (ع)	٥٧٤
(٣) قرفة: قطع	٥٧٤
(٤) مر: جرار (ع)	٢٣٩٦
(٥) كحل: جرار (ع)	٢٣٩٦
(٦) معدن: (وز): جرار (ع)	٢٣٩٦
(٧) ذهب: تماثيل إله النيل	٦٥٦
(٨) ذهب: نوسا (زينة؟)	٦٥٦
(٩) ذهب: نوسا (ولا بد أن هذا تكرار من الكاتب)	٦٥٦
(١٠) فضة: تماثيل إله النيل	٦٥٦
(١١) فضة: نوسا	٦٥٦
(١٢) كل حجر حقيقي ثمين: تماثيل لإله النيل	١٥٧٤٤
(١٣) كل حجر حقيقي ثمين: نوسا	١٥٧٤٤
(١٤) خشب الجميز: تماثيل لإله النيل	٩٨٤

(١٥) خشب الجميز: تماثيل لآلهة النيل	٩٨٤
(١٦) بلور صخري: أساور	٢٩٦٨
(١٧) بلور صخري: أختام	٢٩٦٨

صفحة ٥٥ (ب)

(١) كتان الجنوب: قمصان	٢٩٦٨
(٢) شهد للفطائر: (هن)	٦٦
(٣) شهد: جرار (محتت)	١٦٤
(٤) شهد: جرار (بوجا)	٣٢٨٠
(٥) شحم أبيض للفطائر: (هن)	٢٠٥
(٦) شحم أبيض: جرار (ع)	٥٧٤
(٧) فول مقشر: جرار (ع)	٢٣٩٦
(٨) امتست: جرار (ع)	٢٣٩٦
(٩) عنب شجرة (سنب)	٢٣٩٦
(١٠) كل فاكهة جميلة: جرار (ع)	٢٢٩٦٠
(١١) لبن: جرار (نمست)	٢٣٩٦

(١٢) زبد: جرار (نمست)	٢٣٩٦
(١٣) أجود فاكهة: جرار (جاي)	٢٣٩٦
(١٤) فاكهة: جرار (جاي)	٢٣٩٦
(١٥) فاكهة: جرار (محتت)	٤٥١٠٠

صفحة ٥٦ (أ)

(١) زبيب (بالويبة)	٢١٠٠٠
(٢) قرون خروب بالويبة	٢١٠٠٠
(٣) أعشاب: حزم (حتبت)	٢٣٩٦
(٤) نبات (جايت) الشاطئ لليد (زكي الرائحة)	١٤٣٥٠
(٥) رمان بالويبة	٢١٠٠٠
(٦) أزهار شجرة (ستي) طاقات	٢١٠٠٠
(٧) نبات (إسي) لليد	١٦٤٠
(٨) أزهار: أكاليل	٢٩٧٠
(٩) براعم: طاقات	٢١٠٠٠
(١٠) براعم: فروع	٢١٠٠٠

(١١) حجر: «وبيا» ١٥١٥٠

(١٢) ليف: مكاييل (مستي) ١٥١٥٠

صفحة ٥٦ (ب)

(و) الصلاة الختامية

(١) أعرني عينيك وأذنيك يا أيها السيد «يا بتاح» يا والد الآباء، يا مكون التاسوع، واسمع (٢) رجائي الذي أبسطه أمامك؛ إني ابنك العظيم الإنعامات، (٣) نَصِّب ابني ملكًا، مكنه على عرشك حاكمًا لكل أرض على الناس: «وسرماعت رع ستبن آمون» (له الحياة والفلاح والصحة) (٤) الطفل الذي خرج من أعضائك، هَبْهُ أن يُتوج على الأرض مثل ابن «إزيس» (حور) عندما تسلم التاج «أنف» — «وإرر (؟) (٥)» هبه أن يجلس على العرش ملكًا على الأرضين مثل «حور» الثور القوي محبوب «ماعت» (العدالة) أعطه مملكتي على أن تجعل حياته سعيدة (٦) على الأرض بفرح، اجعل سيفه منتصرًا واجعل الأراضي والممالك تسقط (٧) تحت قدميه أبديًّا، ودعه يستولي على مصر حاكمًا على الأرضين، واجعله إلهيًّا أمامك، متمتعًا بالحظوة سرمديًّا، مدد له حدود الأقواس التسعة، واجعلهم يأتون بسبب قوته مقدمين الخضوع له (٩) وارزقه حياة راضية في أعضائه وصحة في جسمه في كل فصل (١٠) ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين «وسرماعت رع ستبن آمون» (له الحياة والفلاح والصحة) ابن الشمس رب التيجان «رعمسيس الرابع» «حقا ماعت مري آمون» له الحياة والفلاح والصحة.

المعابد الصغيرة التي أقامها أو أصلحها «رعمسيس الثالث»

مقدمة: لم يقتصر نشاط «رعمسيس الثالث» على إقامة المعابد الكبيرة، بل امتد كذلك إلى إنشاء المعابد الصغيرة في طول البلاد وعرضها، كما أنه أراد في بعض المعابد التي من هذا الصنف أو أصلحها، وقد ذكر لنا نشاطه في هذه الناحية في ورقة «هاريس» (راجع ه/٥٧–٦٦) وقد جاء ذكر هذه المعابد في القائمة الأولى (٦١ (أ)–١، ٦٢ (أ)–٥) على حسب ترتيبها الجغرافي من الجنوب إلى الشمال، ويُلاحَظ أن المقاطعة الثامنة (مقاطعة طينة–العرابة) قد وُضعت قبل المقاطعة الخامسة أي مقاطعة «امبوس»؛ وذلك لأن الأولى كانت تجري فيها أعمال خيرية عظيمة للآلهة.

أما مدن الوجه البحري التي جاء ذكرها في ورقة «هاريس» بمناسبة المعابد الصغيرة (راجع ه/ ٦٢ (أ)–١) فلم تُوضع حسب أي ترتيب جغرافي. وكذلك يُلاحظ في هذا القسم فرق ظاهر — كما في الأقسام السابقة — بين المباني الجديدة الحقيقية التي تشمل اسم الملك، والضياع التي لم يعمل لها الملك شيئًا غير منحها زيادة من الخدم، حيث نجد العبارة التالية: «الناس الذين وهبهم الملك لضيعة كذا»؛ ومن ذلك يُفهم أنه في المعابد الكبيرة، وكذلك في المباني الجديدة لم يُذكر فيها إلا عدد الأفراد لكل أملاك الإله؛ فمثلًا في (هاريس ص٦١ (أ)–٤) نجد أنه قد ذُكر ستون ومائة رجل يتبعون ضيعة الإله «أنحور» وهو الإله الذي كان قد أسس له من قبل معبدًا يُدعى: «معبد رعمسيس حاكم هليوبوليس الذي يفصل (قاضي) في ضيعة أنحور» وهذا المثال يظهر بوضوح أولًا أننا نتحدث عن مبانٍ جديدة حقيقية، وثانيًا أن ذلك لا يقدم لنا بأية حال كل ثروة هذا المعبد. والآن نتساءل ما الذي جعل الكاتب يقوم بعمل ذلك الفصل بين المعبد وممتلكاته من الخدم في حين أنه لم يكن هناك مبانٍ جديدة تدعو إلى هذا الفصل؟ ومن جهة أخرى لا يمنع ذلك تدوين كل خدام المعبد سويًّا عند ذكر المعبد الذي رُكب باسم الملك وبذلك تكون لدينا كل ممتلكات المعبد في مكان واحد. وحقيقة الأمر هي ما يأتي: أن الفرعون قد أقام معابد في أماكن خاصة تحمل اسمه (راجع ه/٦١ (أ)–٧) مثل معبد «رعمسيس» في «أمبوس»، ولكن في جهات أخرى نجد أنه بجانب مبناه الجديد قد زاد في ممتلكات المعبد بإضافة بعض خدم، وهذا المعبد لم يكن في الأصل معبدًا بل

أعطاه ضيعة المعبد بوساطة مرسوم، وأخيرًا نجد أن الفرعون في كثير من الأماكن لم يؤسس معابد، ولكنه زاد في بيت مال الإله بمنحه خدمًا وحسب.

وفيما يلي نذكر بدون مناقشة أسماء الجهات التي أقام فيها «رعمسيس الثالث» مباني جديدة على حسب ما جاء في ورقة «هاريس»:

(١) طينة (المقاطعة الثامنة): (هاريس ٥٧–١١، ٦١ (أ)–٣).

(٢) العرابة (المقاطعة الثامنة): (هاريس ٥٨–٧، ٦١ (أ)–٥).

(٣) «أمبوس» (كوم أمبو) (المقاطعة الخامسة): (هاريس ٥٩–٥، ٦١ (أ)–٧).

(٤) أخميم (المقاطعة التاسعة): (ه/٦١ (أ)–١٢).

(٥) أسيوط (المقاطعة الثالثة عشرة): (ه/٥٨–١٢، ٦١ (ب)–٣، ٤).

(٦) مقر الرعامسة «قنتير»: (ه/٦٠–٢، ٦٢(أ)–٣).

المعابد التي لم تُذكر في ورقة «هاريس»: لقد ذكر لنا «إرمان» أنه عندما ذُكرت المعابد الصغيرة في ورقة «هاريس» سقط منها بعض المعابد الهامة جدًّا (zur Erklarung des Papyrus Harris. P. 466) منها معابد «إلفنتين» و«إدفو» و«دندرة» و«الكاب» و«إسنا» و«هرمنتس» (إرمنت)، وأن ذلك كان ناتجًا عن سرعة تأليف الورقة وعدم الدقة. ولكن ردًّا على هذه الفكرة التي كانت سائدة عن تأليف هذه الورقة والغرض منها، نؤكد أن ما قاله «إرمان» لا يتفق مع الواقع بأية حال، وإيضاحًا لذلك نقول: إن «رعمسيس الثالث» لم يذكر لنا أية هبة لتلك المعابد التي ذكرها «إرمان» (راجع Schaedel Ibid p. 41) وتعضيدًا لهذا الرأي نضع هنا قائمة بالمعابد — وبخاصة معابد «طيبة» — التي لم تُذكر في ورقة «هاريس». ولكن من جهة أخرى تدل الوثائق المكتوبة على أنها كانت مستعملة في عهد «رعمسيس الثالث».

وعلى أية حال فمن في استطاعته أن يؤكد أن كاتب ورقة «هاريس» التي كُتبت بعناية قد أغفل أو نسي معبد «منتو» الخاص «بطيبة»؟!

وليس الغرض هنا أن نضع تقريرًا مفصلًا عن كل هذه المباني، ولكن سنكتفي بذكر بعض الأمثلة، وسأذكر أسماء المعابد التي لا يتطرق الشك في أنها ليست من عهد «رعمسيس الثالث» أو تحمل اسمه، وهي التي كانت عند كتابة هذه الورقة لا تزال قائمة — هذا على زعم أن هذه الورقة كُتبت في عهد «رعمسيس الرابع».)[١٦٦] وهاك هذه المباني:

طيبة الشرقية

معبد «منتو»: نجد في المحراب المقام في الجدار الجنوبي نقشًا قصيرًا (راجع Porter and Moss. II, p. 5).

معبد «موت»: وُجد تمثال للكاهن «باكنخنسو» يرجع تاريخه إلى عهد «رعمسيس الثالث» والمقصود هنا هو «باكنخنسو الثالث» الكاهن الأكبر للإله «آمون» كما يقول «ليفبر»،[١٦٧] وكذلك تذكر لنا ورقة «هاريس–(١٠)–١٥» أسرى حرب وقع بعضهم من نصيب ضيعة «آمون».

معبد «بتاح»: جدد فيه «رعمسيس الثالث» الباب.[١٦٨]

طيبة الغربية

محراب «حتحور» بالدير البحري: وُجد فيه تمثال «نزم» من عهد «رعمسيس الثالث» (راجع Porter and Moss. II, p. 129).

معبد «تحتمس الثالث» ومعبد «مرنبتاح»: ذُكرا في ورقة الإضراب في السنة التاسعة والعشرين من عهد «رعمسيس الثالث» ولكن لا نعلم على وجه التأكيد استعمال هذين المعبدين في الوقت الذي وصف لنا فيه هذا الإضراب.[١٦٩]

معبد مدينة «سيتي الأول» «بالقرنة» (Porter and Moss II, p. 141): يوجد فيه نقش مؤرخ بالسنة السادسة من عهد «سيتي الثالث»، وكذلك يوجد متن إهداء له في القاعة العاشرة من

هذا المعبد (Ibid p. 144).

معبد الرمسيوم: نجد فيه طغراء «رعمسيس الثالث» على عمود أوزيري الشكل على عتب باب.
١٧٠

معبد مدينة «هابو» الصغير: عندما رأى «رعمسيس الثالث» أن هذا المعبد الذي يرجع عهده إلى زمن الأسرة الثامنة عشرة قد آل إلى السقوط قام فيه بأعمال بناء جديدة (L. D. Text III, 163).

معبد الإله «خنوم»: لدينا قطعة من مرسوم أصدره «رعمسيس الثالث» للمحافظة على معبد أو معابد الإله المحلي «خنوم». وما بقي من هذا المرسوم يشير إلى الأرض الواقعة على حدود بلاد النوبة وهي التي عُرفت فيما بعد بإقليم «دودكاشونوس» (J. E. A. 13 p. 207 f) أو إقليم الاثني عشر ميلًا، وفيه ضمن «رعمسيس الثالث» للمعبد معافاة الموظفين والرعايا من السخرة للحكومة على غرار ما عمل لمعبد «سيتي الأول» على حسب ما جاء في مرسوم «نوري» (راجع مصر القديمة ج٦)؛ ولذلك يشك الإنسان فيما إذا كانت أراضي المعابد معفاة من الضرائب، وفي المعابد التي ذكرناها فيما سبق من عهد «رعمسيس الثالث» — وهي قليل من كثير — نجد أنه كانت تُقام فيها العبادات، وقد كانت لها كهنة وقرابينها كانت تُؤدى وكانت ذات أملاك حتمًا. على أنه ليس في استطاعتنا بأية حال الاعتراف بأن معبد الكرنك قد نسيه كاتب الورقة هنا. وكذلك نجد أن معبد الدولة الكبير قد اختفى من قوائم الورقة، وإن كان له ممتلكات مذكورة. ولكن في معابد «طيبة» الغربية قد يجوز أن تموينها كان من معبد مدينة «هابو»، وكذلك الحال مع معبد مدينة «هابو» الصغير.

ومما سبق نفهم أنه عندما نجد اسم معبد «خنوم» إله «إلفنتين» قد سقط؛ فإن ذلك يعني هنا أنه من الأملاك القديمة، وأن الفرعون «رعمسيس الثالث» قد أقره فقط ولم يقدم له هبات جديدة كما يشير إلى ذلك «زيتة» حيث يقول: «إن هذا المرسوم قد يكون تجديدًا أو تثبيتًا لهبات قديمة» (Br. A. R. IV, § 178).

ومن ثم نصل إلى ما يأتي: ليس لدينا أي دليل نرتكز عليه على أن متن «ورقة هاريس» قد ترك ذكر أي بناء ديني دون سبب، وبخاصة أنه لم يحدث أي إهمال من الكاتب من هذه الناحية في القسم الخاص «بطيبة»، وإذا كانت الحال كذلك فإنه من المستحيل أن يُذكر في متن هذه الورقة كل ممتلكات آلهة مصر، بل المفهوم أن تذكر فقط الأوقاف الجديدة التي وهبها الملك «رعمسيس الثالث» للآلهة. وهذا ما يتفق مع نص ما جاء في متن الورقة تمامًا (راجع هاريس ص١٠ سطر ١).

متن المعابد الصغيرة: صلاة للآلهة، ويتبعها ذكر المباني والإنعامات التي منحها «رعمسيس الثالث» للمعابد.

صفحة ٥٧

مقدمة: (١) المدائح، والصلوات، والتعبدات، والثناء، والأعمال الجليلة، والإنعامات العديدة التي أداها الملك «وسرماعت رع مري آمون» الإله العظيم لآبائه كل الآلهة والإلهات في الجنوب والشمال.

(٢) صلاة «رعمسيس الثالث»: قال الملك «وسرماعت رع مري آمون» الإله العظيم في مدح وتعظيم كل آلهة تاسوع الجنوب والشمال:

> (٣) مرحبًا بكم يا أيها الآلهة والإلهات، يا أرباب السماء والأرض والعالم السفلي (نو)، ومن قدمهم عظيمة في سفينة ملايين السنين بجانب والدكم «رع»، وإن قلبه لراضٍ عندما يرى جمالهم ليجعل أرض مصر سعيدة، جالبًا نيلًا يفيض من أفواههم (٤) قائدًا إياه من أفواههم ليأكل أرباب الأبدية والسرمدية. وتحت سلطانهم نفس الحياة، ومدى الحياة تحت خاتمهم، وهو الذي عمله عندما خرج من أفواههم. وإنه يفرح ويفلح عند رؤيتهم العظماء في السماء، (٥) والأقوياء على الأرض، والمعطون النفس للخياشيم التي

كانت قد سُدَّت. إني ابنك الذي صوَّرته يداك، وقد توَّجته حاكمًا على كل أرض، وإنك قد عملت لي أشياء طيبة على الأرض لا تسلم بها وظيفتي في سلام.

الإنعامات للآلهة: ألم يكن قلبي مثابرًا في البحث عن إنعامات عظيمة (٦) لمعابدك؟! وقد أعددتها بمراسيم عظيمة منقوشة في كل قاعة سجلات بأهلها وأراضيها، وقطعانها، وسفنها التجارية، وسفن النقل على النيل، وقمت بإصلاح معابدهم (٧) التي كانت من قبل خرابًا، وأسست لكم قرابين مقدسة زيادة عما كان من قبل، واشتغلت لكم في بيوت الذهب في الذهب، والفضة، واللازورد، والفيروزج، ووضعت تصميمات لبيوت أموالكم، وأتممتها بأملاك عديدة (٨) فملأت شونكم بالشعير والقمح أكوامًا، وأقمت لكم بيوتًا ومعابد منقوشة بأسمائكم للأبد، وزودتها وملأتها بخلق كثير، ولم أستولِ على أناس بمثابة ضريبة عشر[١٧١] (٩) من معابد أي آلهة منذ أولئك الملوك (أي لم يفرض عليَّ رجال المعابد الذين قدمهم لها الملوك السابقون أخذ جنود للجيش) الذين عملوا ذلك ليجندوهم مشاة وفرسانًا. وأصدرت مراسيم لإدارتها على الأرض للملوك الذين سيكونون بعدي. وقد تمت لكم قرابين أماكم (١٠) ممدودة بكل شيء طيب. وجعلت لكم بيوت مال «لعيد الظهور» وملأتها بأرزاق وفيرة، وصنعت لكم أواني موائد من الذهب والفضة والنحاس بمئات الألوف، وبنيت لكم سفنًا على النيل تحمل (١١) بيتًا عظيمًا (محرابًا) مغشي بالذهب.

معبد «أنحور» «أنوريس» في «طينة». وأقمت بيتًا فخمًا من حجر (عين) (محاجر طرة) في بيت والدي «أنحور-شو» ابن «رع» (يُسمى) بيت «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» القاضي في ضيعة «أنحور»، وملأته بالناس والعبيد المختارين (١٢) وبيت ماله يشمل سلعًا كثيرة، والشون تحوي حبوبًا، وأسست له قربانًا مقدَّسًا يوميًّا ليقرب إلى روحك يا «شو» يا ابن «رع». وحطت بيت «أنحور» بجدار مؤلف من عشرين (مدماكًا) في أرض الأساس، وارتفاعه ثلاثون ذراعًا (١٣) وبه منزلقات، وأبراج وطوارات على كل جانب من جوانبه. وعوارض أبوابه وعتبه من حجر (عين)، وله أبواب من خشب الأرز مغشاة بالنحاس، مبعدة «الآسيويين» و«التحنو» الذين تعدوا الحدود القديمة.

معبد «تحوت» في «الأشمونين»: (١) وعملت إنعامات عدة في (حسرا)[١٧٢] لوالدي «آمون» القاطن في «الأشمونين» (هرموبوليس) فأقمت له بيتًا جديدًا في ردهته، وكان محرابًا (٢) خفيًّا للرب المسيطر، وأقمت له بيتًا آخر مسكنًا، فكان أفق السماء أمامه، وعندما كان يظهر يكون راضي القلب ليسكن فيها (٣) وكان فرحًا ومنشرحًا لمشاهدتها،[١٧٣] وأمددتها بالأرزاق والذخيرة من محاصيل كل أرض، وبعبيد كثيرين ممن أحضرتهم في الوظائف ليقوموا عليه (٤) وكثرت القرابين المقدسة المقدمة أمامه من بيت المال الخاص بعيد الظهور، وتحوي مؤنًا. وعملت له قرب عيد، وتقدمات لأعياد أوائل الفصول لإرضاء صليه (اللذين على جبينه) (٥) في كل فصل، وأحطت بيت «تحوت» بجدار مقام من عشرين مدماكًا في أرض الأساس، وارتفاعها ثلاثون ذراعًا، وله منزلقات (؟)، وبروج (؟) وطوارات (؟) على كل جانب[١٧٤] من جوانبه (٦) وعوارض أبوابه وعتبه كانت من حجر (عين)، وله أبواب من خشب الأرز مصفحة بالنحاس لتقصي «الآسيويين» و«التحنو» الذين داسوا حدودهم من قديم الزمان.

معبد «أوزير» في «العرابة»: (٧) وأصلحت العرابة وهي إقليم «أوزير» بإنعامات في «تاور» (مقاطعة العرابة)، فبنيت بيتي (أي قصره، كما فعل في مدينة «هابو») من الحجر في وسط معبده مثل بيت «آتوم» (٨) العظيم في السماء، وعمرته بأناس يحملون وظائف عديدة من الأغنياء والفقراء من كل كائن. وعملت له قرابين مقدسة، وهي هدايا مائدة قربانه يا والدي «أوزير» (٩) رب «تاجسر» (جبانة العرابة)، وعملت له تمثالًا للملك (له الحياة والفلاح والصحة) مقدمًا آثارًا وأواني مائدة كذلك من الذهب والفضة (كان التمثال يحمل في يده أواني قربات). وأحطت بيت «أوزير» (١٠) و«حور» بن «إيزيس» بجدار عظيم مشرف مثل جبل من الحجر الصلب، وله منزلقات وأبراج، ويحمل طوارات، وله عوارض أبواب من الحجر، وأبواب من خشب الأرز (١١) وبنيت سفينة عظيمة «لأوزير» مثل سفينة الليل التي تحمل الشمس.

معبد «وبوات» في أسيوط: (١٢) وأصلحت جدران معبد والدي «وبوات» الجنوب رب «سيوط» وقد أقمت بيتي فيه من حجر «عين» منقوشة ومحفورة بالمسحل باسمه الفاخر.

(١) وأتممته بأشياء طيبة من كل أرض، وخصصت له عبيدًا عمالًا في قوائم عدة، وأقمت محرابًا جديدًا يحوي قربانًا مقدسًا ليُقدَّم لحضرته يوميًّا، وبنيت له سفينة عظيمة (٢) تسمى «أول النهر» مثل سفينة المساء «لرع» التي في السماء، وأحطت بيته بجدار أُسس بمجهود مؤلف من عشرين مدماكًا في أرض الأساس، وارتفاعه ثلاثون ذراعًا، وله منزلقات (٣) (؟)، وأبراج (؟) وطوارات (؟) في محيطه كله، وله عوارض أبواب عظيمة من الحجر، وأبواب من الأرز مثبت فيها صفائح من البرنز الممزوج بنسبة ستة أجزاء منقوشة ومحفورة بالمسحل باسم جلالتك العظيم سرمديًّا.

معبد «سوتخ» في «أمبوس» (كوم أمبو): (٤) وأصلحت معبد «سوتخ» سيد «نبتي» (كوم أمبو)؛ فبنيت جدرانه التي كانت قد خربت، وأعددت البيت الذي كان في وسطه باسمه الإلهي، وأقمته بصناعة ممتازة أبدية. (٥) وكان اسمه العظيم «بيت رعمسيس حاكم هليوبوليس في ضيعة سوتخ صاحب أمبوس»، وجهزته بعبيد، وهم الأسرى والناس الذين أوجدتهم. وخصصت له قطيعًا في الشمال (٦) ليقدَّم إلى حضرته يوميًّا، وعملت له قرابين مقدسة جديدة زيادة عن القربات اليومية التي كانت من قبل، ومنحته «أرضًا عالية»[١٧٥] وأرضًا بكرًا،[١٧٦] وجزرًا في الجنوب (٧) والشمال تحمل الشعير والقمح، وكان بيت ماله يُمار بالأشياء التي أحضرتها يداي لمضاعفة الأعياد أمامه يوميًّا.

معبد حور في «أتريب» (بنها): (٨) ومنحت إنعامات عديدة من الماشية المقدسة أمام والدي «حور خنتي ختي»، وأصلحت جدران معبده وبنيتها فجعلتها جديدة (٩) مستوية مصقولة، وضاعفت القرابين الإلهية له فجعلتها قربًا يومية أمام وجهه المحبوب كل صباح، وأحضرت له جزية من العبيد والإماء ومن الذهب والفضة والكتان الملكي، وكتان الجنوب الجميل، وزيت (١٠) وبخور، وشهد، وثيران وعجول مخصية، وجعلت له قطعانًا جديدة تحوي ماشية عديدة، لتقدم

لحضرته، الأمير العظيم، ونظمت إدارة بيته الفخم في البحر والبر بمراسيم (١١) عظيمة سُنت باسمه أبدًا، وعينت الكهنة والمفتشين لبيته عليهم ليديروا عمل العبيد، وليقتربوا إلى بيته.

خلع الوزير الثائر في «أتريب»: وخلعت الوزير الذي تدخل في (١٢) وسطهم، واستوليت على كل أتباعه الذين كانوا معه، وجعلت المعبد كالمعابد العظيمة في هذه الأرض محميًّا ومحفوظًا سرمديًّا، وأعدت (ثانية) كل أهله الذين كانوا قد طُردوا، فعين كل رجل.

صفحة ٦٠

(١) وكل مفتش ليقوموا بإدارة أعمالهم في بيته الفاخر.

معبد «سوتخ» في عاصمة الملك (قنتير): (٢) وعملت معبدًا عظيمًا زِيد فيه بمجهود في بيت «سوتخ رعمسيس مري آمون» مبنيًّا ومكسوًّا ومصقولًا ومنقوشًا بالأشكال، وله عوارض أبواب من الحجر (٣) وأبواب من خشب الأرز، وكان اسمه يُدعى أبدًا: «بيت رعمسيس حاكم هليوبوليس في ضيعة سوتخ». وخصصت به عبيدًا عمالًا من الناس الذين كوَّنتهم، وعبيدًا وإماء من الذين استوليت عليهم أسرى بسيفي (٤) وجعلت له قرابين مقدسة تامة وطاهرة لتُقدَّم لحضرته يوميًّا. وملأت بيت ماله بأشياء لا حصر لها من مخازن حبوب بعشرات الآلاف، وقطعان ماشية مثل الرمل (٥) لتُقرَّب إلى حضرتك يا أيها العظيم في قوته.

أعمال طيبة لكل الآلهة والإلهات: (٦) وقمت بأعمال مجيدة، وإنعامات عظيمة العدد لآلهة، وإلهات الجنوب والشمال، وصنعت صورهم التي في بيوت الذهب، وبنيت ما كان قد سقط مخربًا (٧) في معابدهم، وأقمت بيوتًا ومعابد في ردهاتهم، وغرست لهم خمائل، وحفرت لهم بحيرات، وأسست لهم قربًا إلهية من الشعير (٨) والقمح، والنبيذ، والبخور، والفاكهة، والماشية، والطيور، وبنيت «ظلال رع»[١٧٧] لأجل الأقاليم ممكنًا بالقرب المقدسة اليومية، ووضعت المراسيم العظيمة لإدارة معابدهم (٩) مسجلة في قاعات السجلات سرمديًّا (١٠) تأمل: إن القائمة أمامكم يا هؤلاء الآلهة والإلهات لتعرفوا الإنعامات التي عملتها لحضراتكم.

صفحة ٦١ (أ)

(أ) ثروة المعابد: (١) قائمة بالسلع، والماشية، والحدائق، والأراضي الزراعية، والسفن، ومصانع السفن، والمدن، وكل شيء (٢) منحه الملك «وسرماعت رع مري آمون» الإله العظيم لآبائه الآلهة والإلهات أرباب الجنوب والشمال.

الناس التابعون للمعابد: (٣) معبد «رعمسيس» حاكم هليوبوليس القاضي في ضيع أنحور: ٣٥٧ نسمة.

(٤) الناس الذين منحهم إلى بيت «أنحور» صاحب الريشتين العاليتين، القاطن في «طينة»: ١٦٠ نسمة.

(٥) معبد «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «أوزير» رب العرابة: ٦٨٢ نسمة.

(٦) الناس الذين أهداهم إلى بيت والده الفاخر «أوزير» رب «العرابة»: ١٦٢ نسمة.

(٧) بيت «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في بيت «سوتخ» رب «إمبوس» (نبتي): ١٠٦ نسمة.

(٨) الناس الذين منحهم بيت «مين» «حور» و«إزيس» وكل آلهة «قفط»: ٣٩ نسمة.

(٩) الناس الذين أهداهم إلى بيت «حتحور» سيدة «أفروديد توبوليس»:[١٧٨] ١٢ نسمة.

(١٠) الناس الذين أهداهم إلى بيت «سبك» رب «نشيت»[١٧٩] (المنشية): ٢٢ نسمة.

(١١) الناس الذين أهداهم إلى بيت «مين حور إزيس» آلهة «بانوبوليس»: ٣٨ نسمة.

(١٢) معبد «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «مين» سيد «بانوبوليس» (كفر إبو)، (أخميم) تحت إدارة «إنوشفي» قائد الجيش: ٢٠٣ نسمة.

(١٣) الناس الذين أهداهم إلى بيت «زبتي» رب «ثيو» (أبو تيج الحالية): ٣٨ نسمة.

(١٤) الناس الذين أهداهم إلى بيت «خنوم» سيد «شطب»: ١٧ نسمة.

(١٥) الناس الذين أهداهم إلى بيت «وبوات» الجنوب، مرشد الأرضين: ٤ نسمات.

صفحة ٦١ (ب)

(١) معبد «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» الظاهر في العيد الثلاثيني في ضيعة «وبوات» تحت إدارة «تحوت محب» قائد الجيش: ١٥٧ نسمة.

(٢) معبد «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» «في هذا المعبد» تحت إدارة «إنوشفنو» قائد الجيش: ١٢٢ نسمة.

(٣) معبد «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «تحوت» سيد «الأشمونين»: ٨٩ نسمة.

(٤) بيت (بر) «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في هذا البيت: ٦٦ نسمة.

(٥) الناس الذين منحهم هذه الضيعة: ٤٨٢ نسمة.

(٦) الناس الذين منحهم بيت «خنوم» «حتورت»:[١٨٠] ٣٤ نسمة.

(٧) الناس الذين منحهم بيت «آمون رع» رب «يرد»: ٤٤ نسمة.

(٨) الناس الذين وهبهم بيت «تحوت» في «باوزي»: ٦٥ نسمة.

(٩) الناس الذين وهبهم بيت «آمون» صاحب «موي خانت»:[١٨١] ٤٤ نسمة.

(١٠) الناس الذين وهبهم بيت «سبك» رب «آنشا»:[١٨٢] ٣٨ نسمة.

(١١) الناس الذين وهبهم بيت «أنوبيس» رب سبدو (؟): ٧٨ نسمة.

(١٢) الناس الذين منحهم بيت «ست» رب «سبرمرو»:[١٨٣] ٩٩ نسمة.

(١٣) الناس الذين منحهم بيت «حرشفي» ملك الأرضين: ١٠٣ نسمة.

(١٤) الناس الذين منحهم بيت «سبك» صاحب «شدد حور» قاطن «تا-ش» (الفيوم): ١٤٦ نسمة.

(١٥) الناس الذين منحهم بيت «ست» رب «سو»: ٣٥ نسمة.

(١٦) الناس الذين منحهم بيت «آمون رع» رب تيجان الأرضين للأرض الخلفية: ٦٢ نسمة.

(١٧) الناس الذين منحهم بيت «حتحور» سيد «أطفيح»: ١٢٤ نسمة.

صفحة ٦٢ (أ)

(١) قطيع «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» صانع الإنعامات لأمه «باست»	١٥٣٣ نسمة
(٢) الناس الذين وهبهم بيت «باست» سيدة «برست» على مياه «رع»	١٦٩ نسمة
(٣) بيت (بر) «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في بيت «سوتخ» في «بررعمسيس الثاني» محبوب «آمون»	١٠٦
(٤) قطيع «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» المنعم لوالده «حرخني* خاتي» صاحب «أتريب» (بنها)	١٢٤
(٥) الناس الذين وهبهم: «موت» «خنت-عيوي-ن-نترو»	٢٤ نسمة
(٦) المجموع	٥٨١١†

[*] هذا المكان — أو المعبد — لم يمكن تحديد موقعه حتى الآن كما ذكر «جاردنر» (J. E. A. Vol 19 (1933) p. 126 and Gauthier, Dic. Geogr. I, p. 140) ويوجد في متحف «ليبزج» لوحة (Inver No 429) من عهد «تحتمس الرابع» يتعبد فيها لإلهة تُسمَّى «موت-خنت-عبوى-نترو» (الإلهة «موت» المشرفة على قرني الآلهة)، وقد نشرها «هلشر» في آية (Das Grabmal des Konig Chephren Leipzig 192 p. 140) وكانت قد وُجدت مع لوحات أخرى عند المدخل الجنوبي الشرقي لبرج معبد «خفرع» الجنازي ليظهر العبادة «لبولهول». ويقترح الأستاذ «ستاندورف» أن معنى عبارة «قرني الآلهة» هو صخرة بالقرب من «بولهول» حُفر فيها محراب لعبادة هذه الإلهة. (Schaedel Ibid p. 41 Note 1).

[†] المجموع الحقيقي هو = ٥٦٨٦.

جدول : ثروة منوعة

(٧) حيوانات منوعة	١٣٤٣٣
(٨) حقول مقدرة بمقياس «ستات» (ـــ من الفدان الإنجليزي)	٣٦٠١٢
(٩) حدائق	١١
(١٠) مصانع سفن	٢

جدول : جزية الرعية

(١١) حبوب نقية: حقيبة وتساوي (١٦ حقات = ٤٧٨٥ لترًا)*	٧٣٢٥٠
(١٢) خضر: باقات	٣٣٠٠
(١٣) كتان: ربط (نعخ) تُستعمل بمثاة معيار	٣٠٠٠

* وكذلك تساوي أربع ويبات.

ص ٦٢ (ب)

هدايا الملك للآلهة

(١) ذهب، وفضة، ولازورد حقيقي وفيروزج حقيقي، وكل حجر حقيقي غالٍ.

(٢) ونحاس وملابس من الكتان الملكي، وكتان جميل من الجنوب، وكتان الجنوب، وكتان ملون، ومر، وماشية، وطيور، وكل شيء (٣) يقدمه لهم الملك «وسرماعت رع» الإله العظيم هدية ملكية. (٤) من السنة الأولى حتى السنة الواحدة والثلاثين من حكمه.

	دبن	قدت
(٥) ذهب مصنوع أواني وحليًا وقطعًا	١٧١٩	-
(٦) فضة صُنعت أواني وقطعًا	٢٤٢٨	-
(٧) مجموع الذهب والفضة	٤١٤٨	٣
(٨) ذهب مع بلور صخري: أطواق	٤	

	دبن	قدت
(٩) ذهب مع بلور صخري: حلي	٤	
(١٠) أكاليل ذهب للرأس	١	
(١١) فضة مغشاة بالذهب: عين مقدسة للإله «تحوت»	١	
(١٢) لازورد حقيقي	١٠	٦
(١٣) زمرد حقيقي (ترك فضاء)	-،-	
(١٤) حجر «تمحي» من «واوات»	٣	
(١٥) نحاس أسود مصفح بالذهب: تمثال لأوزير * (؟)	٢	
(١٦) نحاس أسود	٢٦٠	

* راجع: W. b. III, p. 402.

صفحة ٦٣ (أ)

	دبن	قدت
(١) نحاس: أوان وقطع	١٤١٣٠	٣
(٢)قصدير	٢١٣٠	
(٣) بخور	٧٨٢	

	دبن	قدت
(٤) كتان ملكي: ملابس (دو)	١٧	
(٥) كتان ملكي: ملابس ظاهرية (دو)	٢٥	
(٦) كتان ملكي: لفافات «حور»	٣	
(٧) كتان ملكي: عباءات	٥	
(٨) كتان ملكي: عباءات «ملابس»	٣٠	
(٩) كتان ملكي: عباءات ملابس «خنكي» (w. b. III, 385)	٢	
(١٠) كتان ملكي: ملابس «إدج» (w. b. I, p. 155)	١٧٩	
(١١) كتان ملكي: قمصان	١٦٨	
(١٢) كتان ملكي: ملابس متنوعة	١٠	
(١٣) مجموع الكتان الملكي: الملابس المنوعة	٤٣٩	
(١٤) كتان الجنوب الجميل: الملابس الظاهرية (دو)	٢	
(١٥) كتان الجنوب الجميل: قمصان كبيرة	٢	
(١٦) كتان الجنوب الجميل: ملابس (دو)	٢٣٤	
(١٧) كتان الجنوب الجميل: ملابس	٢٩	

صفحة ٦٣ (ب)

---

(١) كتان الجنوب الجميل: ملابس (إدج)	٤٢٨
(٢) كتان الجنوب الجميل: (هاومن)	١
(٣) كتان الجنوب الجميل: قمصان	٣٩٩
(٤) كتان الجنوب الجميل: تنانير	٣٧
(٥) كتان الجنوب الجميل: ملابس منوعة	٤٤
(٦) مجموع كتان الجنوب الجميل من الملابس المصنوعة	١٢١٦*
(٧) كتان الجنوب: عباءات	٢٣
(٨) كتان الجنوب: ملابس	١
(٩) كتان الجنوب: ملابس (دو)	٢١٨
(١٠) كتان الجنوب: ملابس (إدج)	١٨١
(١١) كتان الجنوب: قمصان	٤٣
(١٢) كتان الجنوب: ملابس (قزمر)	٤٩
(١٣) كتان الجنوب: تنانير	٢٣
(١٤) كتان الجنوب: ملابس (إفد)	٤٠

(١٥) مجموع كتان الجنوب من ملابس منوعة	٥٥٦†
(١٦) كتان ملون: عباءات	٦٠
(١٧) كتان ملون: ملابس	١٢

* العدد الحقيقي = ١١٧٦.

† العدد الحقيقي = ٥٧٨.

صفحة ٦٣(ج)

(١) كتان ملون: ملابس (دو)	١
(٢) كتان ملون: ملابس (إفد)	٤
(٣) كتاب ملون: قمصان	٥٦٧
(٤) كتان ملون: ملابس منوعة	٩٢
(٥) مجموع الكتان الملون: ملابس منوعة	٧٣٦
(٦) مجموع الكتاب الملكي وكتان الجنوب والكتان الملون: ملابس منوعة	٣٠٤٧*
(٧) غزل: بالدبن	٩٠٠
(٨) غزل: ربط منوعة	١٩
(٩) بخور أبيض: جرار (من)	٦٠١

(١٠) شهد: جرار (من)	٥٦٧
(١١) زيت (نحح) مصري: جرار (من)	٥١٣
(١٢) زيت (نحح) سوري: جرار (من)	٥٤٢
(١٣) زيت (بق): جرار (من)	١
(١٤) زيت أحمر (بق) جرار (من)	١
(١٥) شحم أبيض: جرار (من)	٢٧٣
(١٦) دهن أوز: جرار (من)	٤٤
(١٧) زبدة: جرار (من)	٣١

* المجموع يزيد هنا عن ١٨٠.

صفحة ٦٤ (أ)

(١) زيت (سفت): جرار (من) وهو أحد الزيوت العطرية السبعة التي تُستعمل في الشعائر الدينية	١
(٢) مجموع الجرار المملوءة	٢٦٨٨*
(٣) شراب شدح: جرار (من)	١٣٤
(٤) شراب شدح: جرار (كابو)	٢٨٧
٥) نبيذ: جرار (ماديدي)	٢

(٦) نبيذ: جرار («مرسو» و«من»)	٢٨٦٤
(٧) مجموع الشدح والنبيذ: جرار مختلفة (إعع)	٣٢٤٧†
(٨) مجموع: جرار منوعة	٤٩٧٥‡
(٩) خواتم (بابابا) مركبة على ذهب	١٢٤
(١٠) أحجار ثمينة منوعة: تعويذات أعين مقدسة	٥٦٧٣
(١١) أحجار ثمينة منوعة: جعارين	١٥٦٢
(١٢) أحجار ثمينة منوعة: أختام وصدريات	١٦٤٣
(١٣) أحجار ثمينة منوعة: صور الملك (له الحياة والفلاح والصحة)	٥٥٧
(١٤) أحجار ثمينة منوعة: تماثيل (Naophors) حملة بيت الذراع	٦٢
(١٥) زمرد: خواتم وأصابع	٣٣١
(١٦) حجر (وبات): أختام	٦٢٧٨

* المجموع الحقيقي = ٢٥٧٤.

† المجموع الحقيقي = ٣٢٨٧.

‡ المجموع الحقيقي = ٣٢٨٧.

صفحة ٦٤ (ب)

(١) بلور صخري: أساور	٦٢	
(٢) بلور صخري: أختام	٤١٨٥	
(٣) بلور صخري: جعارين	٩٣٠	
(٤) بلور صخري: تعاويذ العين المقدَّسة	٦٥٨٣	
(٥) بلور صخري: خرز	٨٢٥٨٤٠	
(٦) بلور صخري: خرز فروع في شكل الزهر	٣١	
(٧) بلور صخري: خواتم أصابع	٤٢٤٧	
(٨) لازورد لامع	٧٣	٣
(٩) زمرد لامع	٣٤	٣
(١٠) يشب أحمر: خواتم أصابع	٣١	
(١١) يشب أحمر: جعارين	٩٣	
(١٢) يشب أحمر	١٩	
(١٣) معدن (واز)	١٧	
(١٤) حجر «أرر»: سمدت (خرز)	٣٥	
(١٥) بلور صخري: سمدت (خرز)	١٣٦	
(١٦) حجر (حرست): سمدت (خرز)	٢٨	

(١٧) اليشب الأحمر: سمدت (خرز)	٧

صفحة ٦٤(ج)

(١) حجر (حمقمم):* سمدت (خرز)	١٦٠
(٢) كل الأحجار الغالية: سمدت (خرز)	١٦٠
(٣) خشب (مرو): سلات ومكاييل (ثاي)	٤٩٦
(٤) خشب زكي الرائحة (قتني) بمكيال	٣
(٥) قرفة: بمكاييل (مستي)	٣٠
(٦) قرفة: حزم	٣٧
(٧) نبات (إيوفتي): بمكيال «مستي»	٢
(٨) حصا لبان بمكيال «مستي»	٢
(٩) نبات (سمو): مكاييل (مستي)	٤
(١٠) بخور: «قدرتي»	١٠٠
(١١) حبوب «مهيوت» من خشب الأرز (؟)	١٠٠
(١٢) اسفلت (من بلاد «بنت» تُستعمل للتحنيط بمكيال متى)	٢٢
(١٣) عنب: بمكيال «مستي»	٢٢

(١٤) فاكهة منوعة: (حقت)	٢١٢
(١٥) حجر الشبة: بمكيال (مستي)	٣

---

* حجر ثمين يُتخذ منه خرز العقود وغيرها.

صفحة ٦٥ (أ)

---

(١) صموغ: حقت	٢
(٢) سليقون: جرار (من)	٣
(٣) ستي (خنتي؟): جرار (شنى) (حجر نوبي يُستخرج منه لون خاص)	٣٨٠
(٤) شسا: مكاييل (مستي) (مادة معدنية من بلاد النوبة تُستعمل للتلوين)	٧٢
(٥) شسا (دبن)	٣٢٥٠٠
(٦) فاكهة الدوم (سباط)	٢٥٤٨
(٧) خوص النخل: جريد	٤٦٠٤٠
(٨) خوص النخل: مكاييل (بسا)*	٣٢٠
(٩) حجر الطاحون وابنه (أي حجر الطحن؛ يعني الحجر الأعلى والأسفل)	٣٥١
(١٠) حب نقي بالحقيبة	٢٢٣١
(١١) فاكهة الجنوب بالحقيبة	٩٥

(١٢) ماشية منوعة	١١٤٢
(١٣) جلود بقر	٣٧
(١٤) خشب أرز: قطع منوعة	٣٣٦
(١٥) خشب مارا: قضبان	٢
(١٦) خشب سلامكة (دبن)	١٠٠

* راجع: W. b. II, p. 82.

صفحة ٦٥ (ب)

(١) أمتست: قوالب	٣٨٤٢
(٢) أمتست: حقيبة (= ١٦ حقت)	٦٢
(٣) ملح: قوالب	٤٢٤٢
(٤) ملح: حقيبة	١٦٦
(٥) زيتون: حقت	١٣٥٢
(٦) أزهار (زدمت): مكاييل (تمامو)	٩٧
(٧) نبات (إنبو): مكاييل (تمامو)	٩٩
(٨) عنب: بمكيال «بدر» (قفص؟)	٢٥٣

(٩) عنب: أكاليل	٨٠
(١٠) رمان: بمكيال «بدر» (قفص)	٦٦
(١١) فاكهة: بمكيال إبت = ويبة أي ربع حقيبة	٨٧,٥*
(١٢) كتان (بسن): بمكيال «سبخن»	٩٣
(١٣) حصير (إدنبو) (؟) (w. b. I, p. 154)	١١٨
(١٤) كتان (بسن): سجاد (بخن)	١٩٨
(١٥) أتل: حزم	٣٩٠

* راجع: Wilbour Pap. II, p. 63.

صفحة ٦٥(ج)

(١) كتان الجنوب: سلات (حتب)	٤٦
(٢) حبال من نبات «وز» (w. b. I, p. 399)	٣٧
(٣) دهن أوز من قطيع الأوز	٤
(٤) أوز حي	١٩٠
(٥) طيور مائية حية	١٥٣
(٦) طيور مائية مقطعة	١٩٢٠

(٧) سمك مقطع	٦٥٠٠
(٨) سمك صحيح	١٣١٠٠
(٩) جريد نخل بالمعيار (؟)	٢٣٠٠
(١٠) ليف نخل	٢٣٠٠
(١١) خشب حريق: قطع	٢٠٠
(١٢) فحم بمكيال «جسري»	٥٠
(١٣) كروم	٢
(١٤) حدائق جميز	٢
(١٥) بيت معد بالخشب (ختى)	١
(١٦) أرض زراعية مقدرة بمقياس (ستات)	١٣٦١

صفحة ٦٦ (أ)

قمح لقربان الأعياد

(١) قمح نقي بالحقات لأجل القربات المقدسة (٢) لأعياد السماء، وأعياد أوائل الفصول الذي أعطى إياهم (للآلهة والإلهات) زيادة على (٣) القرابين المقدسة. وكذلك زيادة على القربات اليومية، ليزيد ما قد كان من قبل من السنة الأولى حتى السنة الحادية والثلاثين، أي مدة إحدى وثلاثين سنة، مقدرة بالحقيبة (والحقيبة = أربع ويبات = ٢٥٣٢٦).

صفحة ٦٦ (ب)

صلاة ختامية

(١) اصغوا إليَّ أيها التاسوع المقدَّس العظيم، وأنتم يا أيها الآلهة والإلهات! عوا في قلوبكم الإنعامات التي قمت بها حينما كنت لا أزال ملكًا على الأرض (٢) حاكمًا على الأحياء. هبوا لي أن أكون مقدسًا كواحد من أفراد التاسوع حتى أستطيع الرواح والغدو بينكم في الأرض المقدسة (تاجسر)، (٣) وحتى أستطيع أن أذهب وأنا معكم أمام «رع»؛ وأستطيع أن أرى ضياء قرصه كل صباح. وهبوني أن أستطيع استنشاق الهواء مثلكم (٤)، وأن أتسلم الخبز من القربان التي أمام «أوزير»، ودعوا قلبي فرحًا، واسمعوا ما أقول (٥): مكنوا ابني ملكًا على عرش «حور»، فهو حاكم على الأرض بمثابة رب الأرضين، وضعوا التاج على رأسه مثل «الرب المسيطر» (٦) وضموا إليه الصل مثل «آتوم»، ودعوه يحفل بأعياد ثلاثينية مثل «تاننن» ويحكم طويلًا مثل صاحب الوجه الجميل «بتاح»، وليت (٧) سيفه ينتصر على كل الأراضي، وليتهم يأتون خوفًا منه حاملين جزيتهم. وضعوا (٨) حبه في قلوب الناس، وليت جميع الأرض تصفق له عند رؤيته، وليت مصر تفرح به (٩) بابتهاج متحدة تحت قدميه أبديًّا: ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين: «وسرماعت رع ستبن آمون» (له الحياة والفلاح والصحة) ابن (١٠) رع سيد التيجان مثل «آمون» «رعمسيس الرابع» «حقا ماعت مري آمون» له الحياة والفلاح والصحة.

صفحة ٦٧

ملخص

ثروة المعابد: (١) قائمة بأشياء الآلهة والناس: من ذهب وفضة ولازورد حقيقي وفيروزج حقيقي وكل حجر غالٍ (٢) وماشية وحدائق وأرض وسفن ومصانع سفن ومدن، وقرب أعياد وقربان، وكتب إله النيل، وكل السلع التي عملها الملك (٣) «وسرماعت رع مري آمون» (له الحياة والفلاح والصحة) الإله العظيم لوالده الفاخر «آمون رع» ملك الآلهة، وللإله «آتوم» رب الأرضين الهليوبوليتي، «ولرع حوراختي»، وللإله «بتاح» (٤) «العظيم القاطن جنوبي جداره» (منف) سيد «حياة الأرضين» ولكل آلهة وإلهات الجنوب والشمال حينما كان ملكًا على الأرض. (٥) التماثيل المحفوظة في القوارب المقدَّسة، والتماثيل ومجاميع تماثيل «آمون رع» ملك الآلهة وعددها ٢٧٥٦ إلهًا.

	نسمة
(٦) عدد الناس	١١٣٤٣٣
(٧) ماشية منوعة	٤٩٠٣٨٦
(٨) أراضٍ مقدرة بالاستات	١٠٧١٣٨٠
(٩) حدائق وخمائل	٥١٤
(١٠) سفن نقل وسفن بسطح واحد منخفضة	٨٨

صفحة ٦٨ (أ)

(١) بلاد مصرية	١٦٠

(٢) بلاد سورية	٩
المجموع	١٦٩

(٣) القيمة الخاصة التي تحتويها التماثيل والمجاميع التي يبلغ عددها ٢٧٥٦ وهي:

	دبن	قدت
(٤) ذهب جميل	٧٢٠٥	١
(٥) فضة	١١٠٤٧	-
(٦) مجموع الذهب والفضة	١٨٢٥٢	-
(٧) اللازورد الحقيقي	٤٧	٣
(٨) نحاس أسود	١٠٠٠١	٨
(٩) نحاس: أوانٍ وقطع	٩٧١٤٨	٣
(١٠) قصدير	٤٨٩٦	
(١١) صفيح	٩٥	

صفحة ٦٨ (ب)

(١) أحجار غالية منوعة بالويبة	١٨١٦٨	١

(٢) خشب أرز: قطع منوعة	٣٢٨
(٣) خشب برسن: قطع منوعة	٤٤١٥

(٤) ضريبة الرعايا: السلع، وإنتاج الناس، وكل العبيد التابعين للبيوت والمعابد والضياع (٥) التي أعطاها إياهم الفرعون دخلًا سنويًّا:

(٦) ذهب الجبل الجميل، وذهب من الدرجة الثانية في صورة أوانٍ وحلي وقطع	٢٢٨٩	-
(٧) فضة: أوان وقطع	١٤٠٥٠	-
(٨) مجموع الفضة والذهب التي في هيئة أوانٍ وحلي وقطع	١٦٣٣٩	-
(٩) ذهب مركب على أحجار ثمينة: أطواق وأزرار وحبال	٩	
(١٠) فضة مغشاة بالذهب: تعويذة عين مقدسة للإله «تحوت»	١	
(١١) نحاس: دبن	٢٧٥٨٠	
(١٢) كتان ملكي وكتان «مك»، وكتان الجنوب الجميل؛ وكتان الجنوب، وكتان ملون، وملابس منوعة	٤٥٧٥	

صفحة ٦٩

(١) غزل: دبن	٣٧٧٥

(٢) بخور وشهد وزيت: جرار مملوءة (اعع)	١٥٢٩
(٣) شراب شدح ونبيذ: جرار منوعة (اعع)	٢٨٠٨٠
(٤) فضة من أشياء: ضريبة الناس مقدرة بالدبن	٤٢٠٨
(٥) حب نقي من ضريبة الفلاحين بالحقيبة	٤٦٠٩٠٠
(٦) خضر: باقات	٣٢٧٥٠
(٧) كتان: بالربط (البالات)	٧١٠٠٠
(٨) طيور ماء من ضرائب الصيادين والسماكين	٤٢٦٩٩٥
(٩) ثيران وعجول مخصية، وعجلات وعجول وبقرات وماشية، وماشية من القطيع: ماشية مصر	٩٦١
(١٠) ثيران وعجول مخصية وفحول وعجلات وعجول وبقرات من ضرائب بلاد سوريا	١٩
المجموع	٩٨٠
(١١) أوز حي ذو قيمة	١٩٢٠
(١٢) خشب أرز: قوارب جر، وقوارب عبور	١٢
(١٣) خشب سنط: قوارب جر، وقوارب نزع، وقوارب نقل الماشية ومراكب صغيرة، وقوارب شحن	٧٨

صفحة ٧٠ (أ)

(١) مجموع خشب الأرز وخشب السنط: قوارب	٩٠
(٢) سلع مصر وسلع أرض الإله، وسلع سوريا، وسلع بلاد «كوش» والواحة لأجل القرابين المقدسة في قوائم عديدة.	

هدايا الفرعون الخ:

(٣) الذهب والفضة واللازورد الحقيقي، والفيروز الحقيقي، وكل حجر غالٍ، والنحاس والملابس.

(٤) المصنوعة من الكتان الملكي وكتان «مك» وكتان الجنوب الجميل، وكتان الجنوب والملبس، والكتان الملون، والجرار (أي المملوءة خمرًا وزيتًا وبخورًا ... الخ) والطيور، وكل شيء أعطاه إياهم.

(٥) هدايا الملك (له الحياة والفلاح والصحة) والقرابين الاحتفالية، والقرب، وكتب إله النيل، حينما كان ملكًا على الأرض.

	دبن	قدت
(٦) ذهب جميل، وذهب من الدرجة الثانية، وذهب أبيض في أوانٍ، وحلي وقطع (مقدرة) بالدبن	١٦٦٣	
(٧) فضة (مصنوعة) أواني وقطعًا (مقدرة) بالدبن	٥٩٨	٨
(٨) مجموع الذهب والفضة في صورة أوانٍ وقطع مقدرة بالدبن	٥٢٦١	٨

	دبن	قدت
(٩) لازورد حقيقي، فيروز حقيقي، وحجر فلدسبار أخضر حقيقي	٣٠	-
(١٠) لازورد حقيقي، فيروز حقيقي: جعارين	٧٢	
(١١) حجر تحني من «واوات»: مقدر بالقدت		٣

صفحة ٧٠ (ب)

(١) نحاس أسود مقدر بالدبن	٣٢٧	٩
(٢) نحاس أسود مصفح بالذهب: تماثيل «أوزير» (؟)	٢	
(٣) نحاس مصنوع أواني وقطعًا بالدبن	١٨٧٨٦	٧
(٤) قصدير: دبن	٢١٣٠	
(٥) مر: دبن	٧٠٠٩	
(٦) مر: حقت	-	
(٧) خشب شجر المر (قطع)	١٠٥٩	
(٨) فاكهة المر: بالويبة	٢٠٠	
(٩) كتان ملكي وكتان «مك» وكتان الجنوب الجميل، وكتان الجنوب وكتان ملون: ملابس منوعة	٥٠٨٧٧	

(١٠) بخور وشهد وزيت (نحح) وزيت (بق): جرار منوعة (اعع) بالويبة المنوعة	٣٣١٧٠٢
(١١) بخور (قادارتي) بالويبة	٣٥١٣٠
(١٢) بخور بالويبة الكبيرة	٦٢
(١٣) شراب «شدح» ونبيذ: جرار (من) و(كابو)	٢٢٨٣٨٠
(١٤) أسفلت جميل من بلاد «بنت»: دبن	٣٠٠
(١٥) أسفلت مكاييل: (مستي)	١٠
(١٦) كل الأحجار الثمينة: تعاويذ العين المقدَّسة والجعارين والأختام من مقاييس مختلفة	١٠٧٥٦٣٥

صفحة ٧١ (أ)

(١) مرمر: قطعة واحدة	١
(٢) غزل: مقدر بالدبن	٧٠٠
(٣) غزل: ربط	١٩
(٤) خشب مشغول: صناديق وأختام	٩٢
(٥) خشب «مرو»* وخشب أبنوس: عِصِي	٤٩٧
(٦) خشب مشغول: قطعة لكفتي الميزان	١
(٧) خشب خروب: قطعة	١

(٨) خشب برسا: قطعة طولها ذراعان	١
(٩) خشب مرا عمود للميزان	١
(١٠) خشب مرا أقطاب	٢
(١١) خشب أرز: قطع منوعة	٣٥١
(١٢) عصير خشب حلو الرائحة، وخيار شنبر (سلمكة): دبن	٣١٢٩
(١٣) خشب زكي† الرائحة: حزم ومكاييل (مستي)	٣٧
(١٤) قرفة: ٨٣٣ مكيالًا (مستي) وحِزم: بالدبن	٢٠٠٠

* خشب من سوريا لونه أحمر، وهو خشب جوز يُستعمل لعمل الأشياء الفنية والأثاث.

† كنتي: خشب زكي الرائحة (W. b. V, p. 54).

صفحة ٧١ (ب)

(١) شعير سوريا: حقت	٤٥
(٢) عاج: أسنان فيل	١
(٣) كحل: دبن	٥٠
(٤) حصى لبان: مكيال (مستي)	١٦٧
(٥) نبات أفيتي: مكيال (مستي)	١٨٣

(٦) مهيوت: فطائر (ساتا)	٣١٠٠
(٧) نبات سامو: مكيال (حتب)	١٧٦٤
(٨) فاكهة الدوم والعنب والتين والرمان والفاكهة المنوعة في أقفاص منوعة: بمكيال: ابت	٢٣٨٢٦٥٠
(٩) ثيران وعجول مخصية وفحول وعجلات، وبقرات وماعز	٢٠٦٠٢
(١٠) ظباء بيض وغزلان ذكور وإناث	٣٦٧
(١١) أوز سمين وأوز حي وطيور ماء منوعة	٣٥٣٩١٩
(١٢) ملح وأمتست بالحقيبة (أربع ويبات)	١٨٤٣
(١٣) ملح وأمتست: قوالب	٣٥٥٠٨٤
(١٤) حبال من نبات «وز»	٣٤٥
(١٥) نبات (سبخي) حصر (بش) وحصر (إدنيو)؟	١٩٤٤

صفحة ٧٢

(١) أثل	٧٨٦٠
(٢) كتاب الجنوب: مكيال (حتب)	٤٦
(٣) خبز ناعم: في سلات «ودن» الكبيرة وأكوام (سيد) وسلات (باح) تُكال بالويبات المختلفة	١٦١٢٨٧
(٤) خبز ناعم، ولحم، وفطائر (رحسي): في سلات كبيرة (حتب) للمكان المقدس (ما) وسلات (حتب) من	٢٥٣٣٥

الذهب، وسلات (حتب) للأكل، وسلات (ثاي) للأكل

(٥) خبز ناعم: رغفان كبيرة (عق) للأكل، ورغفان حلوة (عق) ورغفان من كل حجم	٦٢٧٢٤٢١
(٦) فطائر (رحسي) من كل خبز، ومكيال بالويبة	٢٨٥٣٨٥
(٧) جعة: أواني منوعة (خنسو)	٤٦٨٣٠٣
(٨) زيتون: جرار («من» و«جاي»)	١٧٢٦
(٩) شمع: دبن	٣١٠٠
(١٠) كرنب، وفاكهة خيثانا، وفاكهة الجنوب: بالويبة وبالحزم	٣٩٠٢١٥
(١١) نبات «ردمت» بالحزم وبالسلات (تامو)	٨٦٦
(١٢) أحذية من البردي: مقدرة بالزوج	١٥١١٠
(١٣) بردي مجهز ملون بالويبة	٢٦٧٨٢
(١٤) آلة (غربال) بالويبة	٩٣٠
(١٥) نسيج سميك: ملابس (دو)	١٥٠

صفحة ٧٣

---

(١) أحذية من الجلد: بالزوج	٣٧٢٠
(٢) جرار وأوانٍ من مصب ترعة «هليوبوليس»	٩٦١٠

(٣) سمك منوع	٤٩٤٨٠٠
(٤) جرار القناة مملوءة بالسمك، ولها أغطية من الخشب	٤٤٠
(٥) براعم، وأزهار، ونبات «إسي» وبردي، وأعشاب: مكاييل (زدست)، وطاقات لليد	١٠١٣٠٠٣٢
(٦) أراضي زيتون معدة: قطعة واحدة مساحتها بالستات	-
(٧) حدائق من كل (أنواع) الأشجار معدة	٦
(٨) بيت مُعد بالخشب	١
(٩) خشب حريق (قطع)	٣٢٦٠
(١٠) خشب حريق بمكيال «جسرا»	٣٣٦٧
(١١) بخور، وشهد، وزيت (نحح)، وأجود زيت، ودهن، وفاكهة وكل حجر غالٍ، وقرفة، وخضر، ولبن: مكاييل (ع) من أحجام منوعة	١٩٣٣٧٦٦
(١٢) ذهب، وفضة، وكل حجر غالٍ حقيقي: تماثيل لإله النيل (نوسا)	٤٨٢٣٦
(١٣) لازورد حقيقي، وفيروزج حقيقي، وكل حجر غالٍ، ونحاس، وقصدير، وأحجار غالية لامعة: تماثيل لإله النيل	١٩٣٣٧٠
(١٤) خشب جميز: تماثيل لإله النيل، وتماثيل لإلهة النيل	١٢١٥٨
(١٥) حجر «وبا»	٣١٦٥٠
(١٦) «الشب مكيال» (مستي)	٦٠

صفحة ٧٤

(١) سيلقون (أوكسيد الرصاص): جرار (منت)	٣
(٢) خنتي (مادة حمراء اللون): جرار (شني)	٣٨٠
(٣) شسا (مادة معدنية من بلاد النوبة): مكاييل (مستي)	٤
(٤) شسا (مادة معدنية من بلاد النوبة): دبن	٣٢٥٠٠
(٥) ثمار شجر (ثاو) بالحزمة	٤٦٠٤٠
(٦) ثمار شجر: بمكيال (بسا)	٣١٠
(٧) حجر الرحى وابنه، (أي الحجران العلوي والسفلي)	٣٥١
(٨) جلود بقر	٣٧
(٩) فلوق نخل (؟)	٢٣٠٠
(١٠) ليف النخيل	٢٣٠٠
(١١) حبوب بالحقاب (مكيال) لأجل القرب المقدسة لأعياد السماء، وأعياد أوائل الفصول (أي الملك) لهؤلاء الآلهة	
(١٢) بمثابة زيادة للقرب الإلهية، وزيادة للقرب اليومية لأجل أن يضاعف ما قد كان من قبل: بالحقيبة	٥٢٧٩٥٥٢

صفحة ٧٥

القسم التاريخي

مقدمة: (١) قال الملك «وسرماعت رع مري آمون» «رعمسيس الثالث» الإله العظيم للأمراء، وقواد البلاد، والمشاة، والفرسان، وجنود «شردانا»، والرماة العديدين، (٢) وكل موظفي أرض مصر.(راجع الباقي فصل رعمسيس الثالث)

صفحة ٧٧

حفر بئر في «عيان»: (٧) وحفرت بئرًا عظيمة جدًّا في إقليم «عيان». وقد كانت محاطة بجدار كالجبل من الحجر الصلب تحتوي عشرين (مدماكًا) في أرض الأساس، وارتفاعه ثلاثون ذراعًا، وله طوارات، وعوارض أبوابه، وأبوابه صُنعت (٨) من خشب الأرز، وأقفالها من النحاس عليه تراكيب.

رحلة بلاد «بنت»: وبنيت سفنًا ذات سطح واحد، وزوارق أمامها، يقودها نواتي عديدون، وأتباع كثيرون (٩) وكان ضباطهم البحريون معهم، ويصحبهم مفتشون، وصغار الضباط يعطونهم الأوامر. وقد كانت محملة بمنتجات مصر التي يخطئها العد، إذ كانت تُعد بعشرات الآلاف، وقد أرسلت إلى البحر العظيم ذي الماء المقلوب،[١٨٤] (١٠) وقد وصلوا إلى بلاد «بنت» ولم يصبهم أذًى، سالمين، وحاملين الرعب (لكل من يعارضهم)، وقد حملت السفن والزوارق بمحاصيل أرض الإله (١١) من كل الأشياء العجيبة لبلادهم منها مر «بنت» الكثير محملًا بعشرات الآلاف مما يخطئه العد، وأولاد رؤساء أرض الإله، ساروا أمام جزيتهم (١٢) متقدمين نحو مصر. وقد وصلوا في سلام إلى مرتفع أرض «قفط» (صحراء قفط، ويشير هنا إلى أن البحر الأحمر نهاية طريق «قفط» حيث كانت تُفرغ البضاعة من السفن ومن ثم إلى طريق النيل) وقد رسوا في سلام حاملين الأشياء التي أحضروها، وكانت قد نُقلت عن طريق البر على حمير ورجال. وشُحنت في سفن (١٣) على النيل عند ميناء «قفط» وقد أرسلت في منحدر النهر قدما، ووصلوا في وسط الابتهاج، وأحضروا بعض الجزية أمام الحضرة الفرعونية بمثابة أعاجيب، وكان أولاد رؤسائهم.

صفحة ٧٨

في تعبد أمامي (١) مقبلين الأرض، ساجدين أمامي، وقد أعطيتهم لكل آلهة هذه الأرض لإرضاء الصلين كل صباح.

الحملة إلى «عتاقة»[١٨٥]**:** وأرسلت رسلي (٢) إلى إقليم «عتاقة»، حيث مناجم النحاس العظيمة في هذا المكان، وقد حملتهم (رجال الحملة) سفنهم، وكان غيرهم على الطريق البحري على حميرهم (٣) ولم يُسمع بذلك منذ زمن حكم الملوك. ووُجدت مناجمها مملوءة بالنحاس، وقد شُحن عشرات الآلاف من هذا النحاس في السفن، وقد (٤) أُرسل قدمًا إلى مصر، ووصل في أمان، وحُمل وكُدس تحت الشرفة في هيئة قضبان من النحاس بمئات الآلاف، ولونه كلون الذهب من الدرجة الثالثة (٥) ثلاث مرات، وقد سمحت للناس أن يُشاهدوها لأنها أعاجيب.

رحلة إلى «سيناء»: وقد أرسلت سقاة، وموظفين إلى إقليم الفيروزج، إلى والدتي «حتحور» سيدة الفيروزج، وقد أُحضر لها فضة، وذهب، وكتان ملكي، وكتان «مك» وأشياء كثيرة (٧) في حضرتها مثل الرمل. وقد أحضر إلى مدهشات من الزمرد الحقيقي في حقائب عدة أتى بها قدمًا إلى حضرتي، ولم تُرَ من قبل (٨) منذ زمن حكم الملوك (الأول).

أعمال «رعمسيس» الطيبة في داخل البلاد: وغرست كل البلاد بالأشجار والخضرة، وجعلت الناس يثوون تحت ظلالها، وجعلت (٩) المرأة في مصر تمشي بخطًى واسعة إلى المكان الذي ترغب فيه، إذ لا يعاكسها غريب، أو أي فرد على الطريق، وجعلت المشاة والخيالة يسكنون (في وطنهم) (١٠) في زمني، فكان «الشردانا» و«القهق» في مدنهم مضطجعين على ظهورهم، ولا يخامرهم خوف؛ لأنه لم يكن هناك عدو من «كوش» (١١)، أو مناهض من «آسيا». وقد ثوت أسلحتهم في مخازنها، وفي حين أنهم كانوا راضين وسكارى في ابتهاج. (١٢) وكانت زوجاتهم معهم، وأولادهم بجانبهم، ولم ينظروا خلفهم (خوفًا). وكانت قلوبهم واثقة؛ لأني كنت معهم بمثابة درعٍ وحماية لأعضائهم (١٣) وقد حفظت أهالي كل البلاد أحياء سواء أكانوا من الأجانب أم من عامة الشعب أم من المدنيين ذكورًا وإناثًا، وخلصت الرجل من مصيبته، ومنحته النفس.

(١) وخلصته من الغاشم الذي كان أقوى منه، وجعلت كل الناس آمنين في مدنهم، وأبقيت على حياة آخرين في قاعة العالم السفلي (بالغرب) (٨) ومددت الأرض في المكان الذي كان قاحلًا، وكانت البلاد راضية عن حكمي، وعملت الخير للآلهة وللناس (٣) وليس لدي شيء قط خاص بأناس آخرين. وقد بسطت سلطاني على الأرض حاكمًا للأرضين، في حين كنتم أنتم خدمي تحت قدمي دون تقصير. وكنتم سارِّين تمامًا (٤) لقلبي لأنكم عملتم بامتياز، وكنتم غيورين على أوامري ومصالحي.

موت «رعمسيس الثالث»: تأمل: لقد ذهبت لأستريح في الجبانة مثل والدي «رع» (٥) واختلطت بالآلهة العظام في السماء والأرض وفي العالم السفلي، وقد مكن «آمون رع» ابني على عرشي، وقد تولى وظيفتي في سلام بوصفه حاكم الأرضين جالسًا على عرش «(٦) حور» بمثابة رب الشاطئين، وأخذ تاج «أتف» مثل الإله «تاتنن» بوصفه «وسرماعت رع مري آمون» (له الحياة والفلاح والصحة)، وبكر «رع» الذي ولد نفسه بنفسه: «رعمسيس الرابع» «حقا ماعت مري آمون» (٧) الطفل ابن «آمون» الذي خرج من أعضائه بمثابة رب الأرضين ولدا حقيقيًّا مدح إكرامًا لوالده.

الحث على الإخلاص «لرعمسيس الرابع»: كونوا أنتم — يخاطب الشعب المصري — منضمين إلى نعليه (٨) وقبلوا الأرض في حضرته، وانحنوا له، واتبعوه في كل الأوقات، واعبدوه، وامدحوه، وعظموا جماله كما تفعلون (٩) «لرع» كل صباح، وقدموا له جزيتكم في قصره الفاخر، وأحضروا له هدايا من الأرض والممالك، وكونوا غيورين على بعوثه (١٠) والأوامر التي تُلقى بينكم، وأطيعوا أوامره حتى تسعدوا بشهرته، واعملوا له بجهد كرجل واحد في كل عمل، فجروا له جبالًا، واحفروا له (١١) ترعًا، وأنجزوا له عمل أيديكم حتى تنعموا بحظوته، وتتمتعوا بميرته كل يوم. وقد قرر «آمون» له حكمه على الأرض، وقد ضاعف له مدى حياته (١٢) أكثر من أي ملك أعني ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسرماعت رع ستبن آمون» — له الحياة

والفلاح والصحة — ابن «رع» رب التيجان: «رعمسيس الرابع» حقا ماعت مري آمون (له الحياة والفلاح والصحة) معطي الحياة سرمديًّا.

أملاك المعابد التي وقفها «رعمسيس الثالث» في «ورقة هاريس»[١٨٦]**:** كانت الفكرة السائدة حتى الآن أن قوائم ورقة «هاريس» تقدم لنا مجموع ثروة المعابد في نهاية عهد «رعمسيس الثالث»، وقد تساءل الأستاذ «إرمان» قائلًا: لماذا لم نجد السبعة والتسعين والمائتي ثور (ه/١٦ (أ) ١٣) التي في القائمة الثالثة من قوائم «ورقة هاريس» (وهي هبة ملكية) مذكورة مع الماشية التي يبلغ عددها ٤٢١٣٦٢ في القائمة الأولى (ه/١٢ (أ) ٥)، ولماذا عندما نذكر الهبات القيمة جدًّا من الهبات الملكية كانت تُقدر بالقيمة الذهبية؟ ومن هنا نشاهد أن الورقة تفصل الهبات الملكية؛ ولذلك لا بد من وجود فرق أساسي بين هاتين القائمتين. وخلافًا لما يدلي به «إرمان»[١٨٧] من أن القائمة الأولى تذكر لنا مجموع الممتلكات أعتقد أن التفسير التالي أقرب إلى الصواب؛ وذلك أننا إذا لاحظنا كل حالة من هذه الحالات نجد أن المقصود هنا هو الوقف الجديد الذي أوقفه الفرعون على المعبد، وبذلك نجد فاصلًا بين هذا النوع من الهبات الذي أصبح ملكية دائمة للمعبد، وبين الهبة السنوية التي كان يقدمها الفرعون من ثروته الخاصة كل سنة، وهذا الوقف كان ملكًا خاصًّا دائمًا للمعبد، وكان من واجب كل ملك يخلف — على العرش — الملك الذي وهبه أن يرعى حرمته، ولا يمسه بسوء. ومن جهة أخرى كانت الهبات السنوية قاصرة على الملك الحاكم، ولم يكن لزامًا على خلفه أن يقوم بأدائها. وعلى ذلك كان من الواجب على «رعمسيس الرابع» أن يرعى هذه الالتزامات. وبعبارة أخرى كان من الواجب على هذا الملك الشاب أن يترك الماشية التي يبلغ عددها ٤٢١٣٦٢ رأسًا دون أن يمسها؛ لأنها من أملاك المعبد الدائمة. أما القطيع الذي كان يهديه «رعمسيس الثالث» سنويًّا فكان له الحق في أن يحذفه، ومع ذلك فإنه أبقى عليه في تعداد الثيران التي كانت ترصد «لآمون» — هذا إذا فرضنا أن الورقة كتبت في عهده — والفرق الرئيسي بين هذه القائمة والقوائم الأخرى هو أن حق ملكية المعبد الدائمة قد عُبر عنها، في حين أن الهدايا السنوية لم تُمثل. وقد غاب كذلك عن «إرمان» أن الذهب قد ذُكر فقط في القائمة الثانية[١٨٨] بوصفه هدية ملكية، وأنه كان يوزع هدايا سنوية على ضياع المعابد للقيام بالمشاريع

الاقتصادية، وبذلك يكون تحت تصرف كل معبد. على أن ذلك لا يعني أن هذه كانت هبة دائمة، أو أن توزيعه يكسبه هذه الصفة. وهذا الإيضاح لا يتعارض في أن قوائم الهدايا السنوية الملكية في «هليوبوليس» (ه ٣٤ ب سطر ٤، ٥) وكذلك الهدايا في المعابد الصغيرة (ه/٦٥د سطر ١٣، ١٤، ١٦) التي كانت تشمل معًا ١٤١٤٢٥ «أرورا» وست حدائق، فكانت أملاكًا دائمة؛ وذلك لأن المعروف في عهد البطالمة أن الملك لم يكن يمنح فقط الأطيان، بل كان من حقه كذلك أن يمنح ريعها؛ إذ يقول في ذلك «برو Preaux»: إن ما كان ينزل عنه ملوك البطالمة للمقرَّبين لديهم، أو لوزرائهم لم يكن دائمًا ضياعًا، بل كان كذلك دخل بعض الضرائب.[١٨٩]

ولا بدَّ أن ما كان يحدث في عصر الرعامسة كان مشابهًا لهذه الحالة. وذلك أن الملك كان في الواقع قد أهدى أراضي للمعبد بأكملها هبة دائمة، كما أهدى لمعابد ضياع «هليوبوليس» وللمعابد الصغيرة، هذا خلافًا لتثمير ريع ست حدائق، و١٤١٤٢٥ «أرورا» من الأرض، على أن يكون ذلك الريع لمدة حكمه وحسب. على أنه لا يمكننا الحكم الآن فيما إذا كان «رعمسيس الرابع» قد حذف هذا الريع أو تركه كما كان عليه طوال مدة حكمه. ولذلك فإن الاستنباط القائل بأن ما جاء في القائمة الثالثة[١٩٠] هو الهدايا الملكية الحقيقية أمر باطل من أساسه؛ لأن ضياع «آمون» التي لها منزلة ممتازة عند «رعمسيس الثالث» لم يكن لها نصيب من هذه الأرض على وجه عام.

وأرجو أن أكون قد أوضحت أن ما جاء في الجزء الطيبي الخاص بالمعابد يمكن توحيده بهذه الفكرة؛ أي إنها المعابد التي بناها «رعمسيس الثالث» نفسه. وفيما يلي تقدير لعدد الرعايا التابعين لهذه المعابد:

معبد مدينة «هابو»	٦٢٦٢٦	نسمة
معبد مدينة «الكرنك» الصغير	٢٦٢٣	نسمة

المعبد المقام في معبد الإلهة «موت»	٩٧٠	نسمة
معبد «خنسو» (ه/١٠–١٣، ١٤)	٥٤١	نسمة
معبد «الأقصر» الصغير	٤٩	نسمة

ومما لا جدال فيه هنا أن ما أوردناه عن قرن المعابد فيما يتعلق بعدد أتباع كل منها يتفق مع حجم كل معبد على حسب ما جاء في «ورقة هاريس». ولا بد لنا هنا من تفسير عدد أتباع معبد مدينة «هابو» الذي يفوق حد المألوف؛ إذ إن عدد خدامه يبلغ حوالي ثلاثة أرباع مجموع ما أُهدي للمعابد كلها. هذا ولا نعلم مقدار ما حُبس على معبد الدولة الكبير، أي معبد «آمون» «بالكرنك» ليكون في مقدورنا قرنه بخدام «المعبد الجنازي» الذي أقامه «رعمسيس الثالث» الذي نحن بصدده. وقد أوضحنا أن معبد الدولة لم يكن من الممكن تموينه من مدينة «هابو». ومن جهة أخرى لا يستطيع الإنسان أن يتصور أن المعابد الجنازية التي نعلم بوجودها في عهد «رعمسيس الثالث» كان لكل منها عدد من الخدم كما كان لمعبد مدينة «هابو».

وأحسن تفسير لذلك هو أن تموين المعابد الجنازية للملوك السابقين كان يؤخذ من مدينة «هابو»، وأن أملاك هذا المعبد قد ضمت إليها خدام المعابد الجنازية الأخرى. ولكن كيف يمكن توافق ذلك مع فكرة الهبة الملكية؟ والعلاقة الصحيحة لذلك يمكن توضيحها بأن ملكية كل معبد جنازي كانت تئول بعد موت الفرعون الذي أقامه إلى التاج الذي كان بدوره يتولى القيام بالعناية والمحافظة على إقامة الشعائر فيه. وهذا له اتصال بما جرت عليه العادة من أن ممتلكات هذه المباني الخاصة بالإله «آمون» كانت بمقتضى الوقف تصبح معبدًا جنازيًّا جديدًا للفرعون الحاكم، وفي معظم الأحيان كان يُزاد فيها.

هذا ولا يفوتنا هنا أن نذكر المقدار العظيم الذي فقده «آمون» من الأملاك في الجهة الغربية من «طيبة» في وقت الاضطرابات والقلاقل التي حدثت بين عهدي الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين، وقد جاء ذلك بسبب التراخي في موضوع الملكية كما يحدث مثل ذلك عند كل انقلاب. وعلى ذلك فإن إعادة ٦٢٦٢٦ رجلًا إلى ممتلكات «طيبة» الغربية كان عملًا خاصًّا.

وكان معبد مدينة «هابو» كذلك يورد للمعابد التي أقامها «رعمسيس الثالث» الواقعة على الشاطئ الشرقي. ولا أدل على ذلك من قوائم القربان الخاصة بمعبد «الكرنك» الصغير، فكانت تأخذ حبوبها من معبد مدينة «هابو». وقد جاء صراحة في مرسوم أوقاف دُوِّن في السنة السادسة عشرة من «حكم رعمسيس الثالث»[١٩١] أن توريد الغلال كان في شونة معبد مدينة «هابو». والدليل على أن هذا التوريد لم يكن من جهة واحدة ما نشاهده في متن تقويم أعياد مدينة «هابو» حيث نجد أن حدائق المعبد الصغير[١٩٢] كان فيها خضر لتورَّد قربانًا يوميًّا إلى مدينة «هابو». وعلى هذا النسق كان معبد «الكرنك الجنوبي» المقام في معبد «موت» وهو الذي أقامه «رعمسيس الثالث» إذ كان يمد المعبد الجنازي بالقرب من قطعانه، وحدائقه، وألبانه، وأوزه، ونبيذه، وخضره،[١٩٣] في حين أنه كان يأخذ ما يلزمه من الغلال من شون ضياع غربي «طيبة».

ونجد مذكورًا بجانب المعابد الفردية في القسم الطبي من «ورقة هاريس» خمسة قطعان (ه/١٠–٧، ١١) يحمل كل منها العلم الخاص به، وهذه القطعان تمثل ملكية معينة ثابتة أهداها «رعمسيس الثالث». ويُلاحَظ أن اسم واحد منها يدل على حادثة تاريخية معينة وقعت في عهده وهو: قطيع «وسرماعت رع مري آمون» الذي ضرب قوم «مشوش»، وهذه القطعان كانت ترعى كما هي الحال في أغلب الأحيان كما يقول المتن في مستنقعات الوجه البحري.

وأخيرًا يذكر لنا القسم الطبي من الورقة كذلك ٧٨٧٢ نسمة تابعين لبيت «رعمسيس الثالث» العظيم الانتصارات (ه/١٠–١٢) وهذا المكان هو العاصمة على ما أعتقد، وقد أسهبت «ورقة

هاريس» في وصفه (ه/٨–١٢).

ويقول «شادل» بعد بحث قصير: إن هذا المكان المذكور في «القسم الطبي» من «ورقة هاريس» في الوجه البحري وفيه ضيعة «لآمون». ثم يقول: «إنه لا يزعجنا أن نجد في الدلتا أماكن عدة تُسمى بمدينة «رعمسيس» وبخاصة إذا فكر الإنسان في عدد المدن التي سُميت بالإسكندرية في الشرق الأوسط تخليدًا لذكرى الإسكندر الأكبر.»

وفي النهاية نجد بجانب أسرى الحرب الذين وُزعوا على ضياع المعابد (ه/١٠–١٥) والمعاقل الحربية أن نصيب معبد مدينة «هابو» كان ٥١٦٤ رجلًا يقومون بخدمة التماثيل الخاصة بإقامة العشائر للآلهة العديدين (ه/١١–٣).

ومن كل ذلك يتألف أمامنا العدد الهائل وهو ٨٦٤٨٦ نسمة حُبسوا على خدمة ضياع المعابد، وكلهم ممن وهبهم الفرعون «رعمسيس الثالث» لآمون. وليس من الضروري هنا أن نشير إلى أن هؤلاء الخدم لم يسكنوا كلهم في «طيبة» بل كانوا موزعين على كل جهات أرض الكنانة — كما يقول المتن — في الوجه القبلي والوجه البحري. أما في المعابد الأخرى فإن عدد رعاياها كان يتضاءل جدًّا أمام عدد رعايا معابد «آمون». وهاك عدد خدَّام معابد «هليوبوليس» و«منف» والمعابد الصغيرة:

هليوبولس	١٢٣٦٤
منف	٣٠٧٩
المعابد الصغيرة	٥٦٨٦*

* الأعداد هنا هي الصحيحة بعد تصحيح أخطاء الكاتب المصري.

وكذلك نجد توزيع الأراضي المنزرعة على حسب ما يخص كل قسم من المعابد كما يأتي:

طيبة	٢٣٩٢ كيلومترًا مربعًا
هليوبوليس	٤٤١ كيلومترًا مربعًا
منف	٢٨ كيلومترًا مربعًا
المعابد الصغيرة	٩٩ كيلومترًا مربعًا

وعلى ذلك يكون لدينا الأعداد التالية: زاد «رعمسيس الثالث» في أملاك المعابد في مملكته ١٠٧٦١٥ رجلًا و٢٩٦١ كيلومترًا من الأرض. وقد وضعت هذين الرقمين متجاورين؛ لأنه من المحتم قيام علاقة بينهما، فمن بين أولئك الرعايا الذين ذكرناهم كان العدد الأكبر تابعًا للأرض لزراعة حقول الإله، وقد كان بطبيعة الحال ضمن أتباع المعبد مستخدمون وعمال ولكن كان معظمهم في الواقع من الفلاحين الدائمين (التملية). وإذا فرضنا أن ١٠٪ من رعايا المعابد ليسوا فلاحين، فإنه يكون عندنا ١٠٠٠٠٠ رجل لفلاحة ما يقرب من ٣٠٠٠ كيلومترًا من الأرض؛ أي إن نصيب كل رجل ٣٠٠٠٠ مترًا، وهذا ما يعادل ملكية تُقدَّر بحوالي سبعة أفدنة لكل فرد. وهذا يمثل بالنسبة لعصرنا الحالي في مصر ملكية محترمة لبيت من الطبقة الوسطى. وإذا علمنا أنه على حسب تعداد مديرية المنوفية عام ١٩٢٧ كان يوجد من بين ٢٧٣٩٤٩ نسمة ٢٠٥٩٣١ فلاحًا يملك الواحد منهم أقل من نصف فدان، فإن ذلك يضع أمامنا صورة واضحة بأن ثروة معابد مصر في عهد الرعامسة كانت مقسمة ملكيات كبيرة موزعة بين مالكي الطبقة الوسطى على ما يظهر، وهي الملكيات التي كان يأكل منها رعايا المعبد، ويؤدون منها الجزية السنوية لمخازن معابد الآلهة.

وإذا سلمنا بأن مستوى حياة الرعايا لم يكن أعلى من مستوى[١٩٤] الفلاح في عصرنا فإنه كان يورد ـ من محصول أرض المعابد. هذا إذا فرضنا أن كل رجل يمكنه أن يعيش على محصول فدان من الأرض.

وقد ألقى «إرمان» السؤال التالي: ما الذي تفعله المعابد بدخلها الهائل من محصول الحقول؟ وقد حسب «لآمون» «طيبة» فقط محصول سنوي قُدِّر بأربعة ملايين هكتولتر من الغلال. ولا بد أن يبقى الجواب النهائي على ذلك السؤال مجهولًا لقلة المصادر. ومع ذلك فقد فكر «إرمان» في أن هذا الريع كان يُستعمل في تمويل مباني «رعمسيس الثالث» الجديدة، وعلى ذلك كانت هذه المحاصيل تُقدَّم هدية للفرعون، وبذلك كان دخل المعابد يُوفَّر. ولكن ينبغي أن نفرض هنا بحق أن ما كان يُجبى من المحاصيل الضخمة كان — قبل كل شيء — يستعمله كهنة «آمون» للوصول إلى سياسية اقتصادية كان الغرض منها في نهاية الأمر جعل كاهن الإله «آمون» الأكبر يزداد قوة على مر الأيام ليصبح في آخر الأمر قوة سياسية كبيرة في البلاد.

وتعدد لنا بعد ذلك القوائم حدائق وقرًى وسفنًا ومعامل، وفي كل هذا يعوزنا الرأي الصحيح لتحديد قيمتها بالضبط. ويجب أن نلفت النظر بوجه خاص إلى ما يأتي: يوجد في القسم الخاص «بطيبة» فقط ممتلكات في الأقاليم الأجنبية هدية من الفرعون كما جاء في (هاريس/١١–١١) حيث تقول:

أماكن سورية ونوبية تسعة.

ومن هذه الحقيقة نعلم السبب في نقص مقدار الذهب المخصص لهدايا الملك السنوية «لطيبة» بكثير عما كان يُقدَّم لضياع المعابد الأخرى.

وهاك قائمة بذلك:

	دبن	قدت
طيبة	١٨٣	٥ من الذهب
هليوبوليس	١٤٧٩	٣ من الذهب
منف	٢٥٦	٥ من الذهب
المعابد الصغيرة	١٧١٩	٨ من الذهب

ومن ذلك نفهم أن الفرعون بإهدائه هذه الأماكن الأجنبية التسعة لضياع معبد «طيبة» قد ضمن لها دخلًا ثابتًا من المعدن الثمين، ويثبت ذلك ما نشاهده في رسوم مقبرة «بوم رع»؛ حيث نجد صورة تمثل توريد هذا المعدن الثمين من البلاد الأجنبية إلى بيت مال «آمون» (راجع مصر القديمة ج٤)، وكذلك نجد أن معبد «سيتي الأول» في «العرابة» كان له مناجم ذهب خاصة، وكذلك السفن التي تحمل إليه هذا المعدن الثمين من بلاد النوبة، كما فصلنا ذلك عند الكلام على لوحة «نوري» (راجع مصر القديمة ج٦).

وأخيرًا لا بد أن نشير هنا إلى موضوع غريب في بابه جاء في القسم الخاص «بهليوبوليس» وهو أننا نجد أن مجموع ملكية المعابد فيها يشمل سفنًا أقل من مصانع السفن، فقد كانت تملك خمسة مصانع وثلاث سفن (ه/٣٢ أ–٤، ٥) ولا بد أن هذا المجموع لا يدل على المجموع الكلي لما تنتجه هذه المصانع كما هو المعقول.

وإذا أجرينا موازنة بين مجموع سكان مصر وحالة أملاكها في ذلك العصر أمكننا أن نصل من الأرقام الناتجة إلى العلاقة الصحيحة بين أملاك المعابد وأملاك الدولة وحالة البلاد بوجه عام.

والواقع أن حالة مصر منذ بداية القرن السالف تشعر تمامًا بازدياد محس في عدد سكان مصر؛ فقد ذكر لنا «أين بول» في كتابه عن مصر[١٩٥] أن البلاد المصرية حوالي عام ١٨٣٠م كان سكانها مليونين ونصف مليون، ولكن على حسب التعدادات التي أُجريت فيما بعد نجد الأرقام التالية:

سنة	نسمة
١٨٨٢	٦٨٠٠٠٠٠
١٨٩٧	٩٧٠٠٠٠٠
١٩٢٧	١٤٢٠٠٠٠٠ (راجع التقويم المصري سنة ١٩٣٥ ص٥٩)
١٩٣٧	١٥٩٠٤٥٠٠ (راجع J. Hall, Contribution to the Geography of Egypt p. 2)

وإنه لمن الصعب جدًّا أن نصل إلى تقدير الأرقام المقابلة لذلك في عهد الرعامسة، ولكن يظهر أنه في عهد البطالمة كان عدد السكان حوالي سبعة ملايين نسمة (راجع Wilcken: Griechische Ostraka I, p. 489 etc) ويعتقد بعض المؤرخين — وهو ما تشعر به شواهد الأحوال — أن مصر في عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين كانت أكثر سكانًا[١٩٦] مما كانت عليه في عهد البطالمة، ولذا يظن أن عدد السكان وقتئذ كان يتراوح بين ثمانية أو تسعة ملايين.

ويُلاحَظ أن عدد الأنفس التي ذكرناها فيما سبق الخاصة بالمعابد وهو ١٠٧٦١٥ هم الرجال الذين أهداهم «رعمسيس الثالث» للمعابد، وهم من الأفراد الذين في مقدورهم القيام بالأعمال في أملاك الآلهة المختلفين، ومن ذلك نفهم أنه قد أغفل في ورقة «هاريس» ذكر عدد الأسرات التابعة لهؤلاء الرجال العاملين، فلم تذكر لنا إلا عدد الموظفين والعمال، والفلاحين الدائمين في زراعة الأرض،

وينبغي علينا إذن لتكون الموازنة صحيحة أن نقدر عدد أفراد الأسرات مما نستنبطه من الإحصاءات الحديثة، فمن تعداد الأنفس الذي أُجري في ٣ مايو سنة ١٨٨٢ نجد أن النسبة في ألف هي ٥٠٧٦٨ من النساء، أي بنسبة النصف تقريبًا، وعلى ذلك يكون عدد الأنفس في ضياع المعابد في عهد «رعمسيس الثالث» هو ٢١٥٢٣٠ نفسًا على حسب ما جاء في ورقة «هاريس»، وإذا فرضنا أن أقل أسرة كانت تتألف من شخصين أو ثلاثة فإن مجموع العدد الكلي في ضياع المعابد يكون حوالي ٥٠٠٠٠٠ نسمة، وهؤلاء هم الذين رصدهم «رعمسيس الثالث» لخدمة الآلهة؛ أي بنسبة ٦٪ من مجموع عدد السكان.

والواقع أن هذا التقدير تقريبي ولا يعطي فكرة صادقة، وبخاصة إذا علمنا أن الأوقاف العظيمة التي كان يملكها معبد الدولة الكبير «آمون» تعوزنا معرفتها ولم تُذكر في هذه الورقة، هذا فضلًا عن ضياع معابد «إلفنتين» و«إدفو» و«الكاب» و«إسنا» الخ، وحتى في الحالات الأخرى لم يُذكر منها سوى الأوقاف الجديدة التي أهداها «رعمسيس الثالث». ولا نكون بعيدين إذن عن الصواب إذا قدَّرنا أملاك المعابد كلها بثلاثة أضعاف الهبات والهدايا التي قدمها «رعمسيس الثالث» للآلهة، هذا بغض النظر عن الأملاك التي فقدتها المعابد في عهد الانحلال الذي جاء في أعقاب سقوط الأسرة التاسعة عشرة. والنتيجة العامة التي يمكن أن نستخلصها من كل ذلك هي: أن مصر في أواخر حكم «رعمسيس الثالث» كان عدد سكانها يتراوح بين ثمانية إلى تسعة ملايين نسمة تقريبًا، وأن حوالي مليون ونصف مليون منهم، أي بنسبة ١٥–٢٠٪ من السكان كانوا تابعين للمعابد.

وكذلك إذا قررنا أملاك المعابد المهداة لها بالأراضي الزراعية نجد أن النسبة عالية، فإذا قدرت الأرض الزراعية بحوالي ٢٧٦٨٨كم[١٩٧] على حسب «التقويم المصري عام ١٩٣٥م حوالي ٧٦٠٠٠٠٠ من الأفدنة أي ٣٢٠٠٠كم» فإن «رعمسيس الثالث» يكون قد أهدى للمعابد المصرية ما يقرب من ١٠٪ من الأراضي الزراعية، وإذا أردنا هنا أن نعرف مقدار مجموع أملاك المعابد

فلا بد من مضاعفة ما منحه «رعمسيس الثالث» ثلاثة أضعاف، وهذا يعادل ٩٠٠٠كم من الأراضي وهي التي كانت في أيدي كهنة الآلهة المختلفين، والمظنون أن هذه الأطيان كانت لا تدفع ضريبة، غير أن ذلك الرأي فيه بعض الشك كما سنوضح ذلك عند الكلام على محتويات ورقة «فلبور» التي تُنسب إلى عهد «رعمسيس الخامس»، وهذا القدر يعادل ٣٠٪ من الأراضي المصرية المثمرة، وهذه النسبة تظهر لأول وهلة عالية بدرجة تجعلها تكاد تكون خارجة عن الصواب، ولكن لدينا ما يقرب منها في عهدنا الحالي، فقد كانت الأرض الموهوبة لمحو الدين المصري نحو ٤٣٠٠كم «وتشمل أرض الدائرة السنية، وتُقدر بنحو ٢٥٠٠ك.كم ١٨٠٠كم»، على حين أن أرض الأوقاف المنوعة كانت نحو ٨٢٠كم «وذلك يشمل الوقف الأهلي والخيري ووقف الحرمين»، وهذه الأراضي التي كانت تبلغ أكثر من نصف ما خُصص لضياع معابد مصر القديمة في عهد «رعمسيس الثالث» كلها معفاة من الضرائب ظاهرًا.

جمع الضرائب

القائمة الثانية: (راجع ه/١٢ أ ... الخ، و٣٢–٧ الخ، و٥١ ب–٣ الخ).

تدل الضرائب التي كانت تُجمع من رعايا المعابد على أنها كانت منوعة جدًّا، كما تدل على تنوع الأعمال في هذه الضياع وطرق تثمير أراضيها، ويتضح ذلك جليًّا من القوائم التي وضعناها لإظهار ذلك، ومعظم هذه الضرائب كانت تُورَّد إلى بيوت الأموال وشون الغلال الخاصة بالإله «آمون» في «طيبة» (راجع مقبرة «نفرر نبت» poeter and moss, I, p. 151)، وقد ذكرت لنا الورقة أن الدخل السنوي «لطيبة» هو ٥٦٩ دبنًا و٦ قدات ونصف، لا ثمانية عشر دبنًا وثلاث قدات كما يقول «إرمان» و«برستد» و«شادل» معتبرين أن هذا العدد هو مقدار الدخل في إحدى وثلاثين سنة. وقد عارضهم في ذلك الاستنباط الأستاذ «جاردنر» في مقال له كما أوضحنا ذلك من قبل. ولكن مع ذلك نجد أن بعض المعابد الأخرى لا يرد إليها شيء من الذهب قط، وهذا

يتوقف على منابع الذهب التي وقفها «رعمسيس الثالث» على «طيبة» كما تحدثنا عن ذلك من قبل.

وعلى أية حال نجد أنه عندما قسم هؤلاء الباحثون المحصول من كل نوع على إحدى وثلاثين سنة رأوا أن الدخل ضئيل جدًّا لدرجة أنهم قالوا عنه: إنه مستحيل، وأخذوا يبحثون عن موارد أخرى. وهكذا نجد أن القائمة التي وضعها كل من «برستد» و«إرمان» لمدة إحدى وثلاثين سنة هي في الواقع لمدة سنة واحدة. وبذلك تكون النتيجة معقولة، ولا تحتاج إلى البحث عن موارد أخرى لسد العجز في الدخل.

الهبات الملكية السنوية وأوقاف الأعياد[١٩٨] (القائمة الثالثة)

ليس ثمة شك في أن محتويات هذه القائمة هي هدايا وقربات أعياد ملكية؛ ولذلك فليس من الضروري هنا أن نفصل القول فيها، ويُلاحظ فقط أن ما تحتويه من دفع هو الهبات الوحيدة التي كان يقدمها الفرعون، على حين أن الملكيات التي تحتويها القائمة لا تُعدُّ بمثابة وقف من الفرعون بل يُعد أنه هو المثبت لها وحسب، وقد برهنا فيما سبق على أن ذلك مستحيل. والواقع أن ما ذُكر من دخل في هذه القائمة الثالثة هو ما منحه الملك سنويًّا عن طيب خاطر دون أن يقيد به من سيخلفه على العرش؛ ففي المتن يُعبَّر عن الهبات (ه/١٣ أ–٣) بأنها «هدايا السيد»، وفي القائمة الرابعة[١٩٩] نجد أن الحبوب التي منحها الفرعون للقربان قد جُمعت معًا، أما القوائم الباقية فقد ذكرت قربات أعياد خاصة فنجد:

في طيبة: للأعياد التي أطال مدتها «رعمسيس الثالث» وللعيد الذي أسسه في السنة الثانية والعشرين من حكمه (راجع ه/١٧ (أ)–١) وهو عيد تتويج الملك (راجع The Oriental Institute Communications, 18, P. 56, 66).

في هليوبوليس: للعيد الذي أسسه الملك في السنة التاسعة وفي عيد قربان النيل[٢٠٠] (راجع هـ/٣٤ بـ—١٠ الخ).

وفي طيبة: لعيد قربان النيل من السنة التاسعة والعشرين من حكم هذا الفرعون وما بعدها (راجع هـ/٥٤ أـ—٢ الخ).

والقربات والمنح التي ذُكرت في هذه القوائم كانت تُؤخذ من بيت مال الدولة الذي كان للفرعون حق التصرف فيه. وهكذا نجد من الموازنة بين الهبات الملكية (القائمة الثالثة) والجزية التي كان يدفعها رعايا المعابد (القائمة الثانية) — عدا بعض الشواذ قليلة الأهمية — التشابه في العمل؛ مما يدل على أن سير العمل في كليهما كان على نسق واحد، فكما كان للمعابد ضياعها وهي التي كان يسكن فيها أتباعها ويوردون ما فُرض عليهم من جزية سنوية في مخازن غلالها، فكذلك كانت تفرض الحكومة على الملكيات الحرة ضرائب عينية؛ وبذلك كانت المخازن الحكومية في المبدأ تحتوي ما كانت تحتويه مخازن مؤن ضياع المعابد.

ولدينا مع ذلك ثلاثة أنواع من الواردات كانت تورد كلية — على حسب قوائم ورقة «هاريس» — من قبل حكومة الملك لأملاك المعابد وهي الأحجار[٢٠١] نصف الكريمة وبخاصة اللازورد والملح[٢٠٢] والأمتست.[٢٠٣] وهذا يدل على احتكار الحكومة لهذه السلع (راجع عن المواد الغفل واحتكار ملوك مصر لها Kees KuLtur geschichte P. 104) ويُخيل إليَّ أنه كان للملح بين هذه المواد مكانة خاصة؛ إذ نجد وثيقة عن تجارة الملح فيما كتبه «كيس» أيضًا (راجع Ibid P. 102).

ولم تكن المعابد بطبيعة الحال تقتصر على ما كان يأتي إليها من هدايا الفرعون من هذه السلعة المحتكرة، بل كانت تشتريها من الحكومة من الأماكن المكلفة ببيع هذه الأصناف،[٢٠٤] وقد أشرنا فيما سبق إلى أنه في ضياع المعابد الطيبية في القائمة الثالثة كان لا يرد إليها إلا قليل من المعادن بالنسبة لضياع المعابد الأخرى. وهذا لا يتفق مع طريقة التوزيع، وعلى ذلك كان لا بد من موارد

أخرى تأتي إليها منها هذه المعادن المرغوب فيها. كذلك نجد أن «طيبة» كانت في المرتبة الأخيرة بالنسبة للملابس التي كانت ترد إليها، كما توضح ذلك القائمة التالية:

	قطعة	وقد صححت هذه الأرقام على حسب الواقع
طيبة	٩١١٦	في السنة
هليوبوليس	١٨٧٩٣	في السنة
منف	٧٠٢٦	في السنة
المعابد الصغيرة	٢٩٢٩	في السنة
فيكون المجموع	٣٧٨٦٤	

وتدل شواهد الأحوال على أن الفرعون كان قد أجرى هذا التوزيع عن قصد تعويضًا لضياع معابد «هليوبوليس» و«منف» بزيادة هباته السنوية؛ لأن نصيبها في الممتلكات الموقوفة كان ضئيلًا بالنسبة لنصيب «طيبة» إذ الواقع أن «قرابين الإله» الخاصة «بآمون» كانت عظيمة جدًّا من الملابس التي يوردها أتباعه أكثر من كل المعابد الأخرى (راجع ه/١٢ (أ) سطر ١٣).

وهاك ملخص النقط التي بحثناها هنا في «ورقة هاريس»:

(١) القائمة الأولى تبحث فقط في مباني «رعمسيس الثالث» التي أقامها هو.

(٢) إن المنتجات التي تحتويها القائمة الأولى تمثل الملكيات التي أهداها «رعمسيس الثالث» وهي التي كان واجبًا على خلفه أن يرعى حرمتها ولا يمسها.

(٣) إن عدد الرعايا الذين أهداهم «رعمسيس» للمعابد يمثلون ٦٪ من عدد سكان مصر، وأما الأطيان التي وهبها الفرعون فتعادل ١٠٪ من الأراضي الزراعية.

(٤) يبلغ مقدار كل ممتلكات المعابد في عهد «رعمسيس الثالث» حوالي ٢٠٪ من سكان البلاد، وحوالي ٣٠٪ من الأراضي الصالحة للزراعة.

(٥) القائمة الثانية تذكر لنا الضرائب الخاصة التي فُرضت بوساطة الملك على أتباع المعابد.

(٦) يُلاحظ أن ما جاء في القوائم الباقية من الإنتاج الذي وهبه بيت مال الفرعون لا يكفي بأية حال من الأحوال ما تستهلكه المعابد.

(٤) الآثار التي خلفها لنا «رعمسيس الثالث»

حدثنا «رعمسيس الثالث» في «ورقة هاريس» عن الأعمال الجليلة التي قام بها في عهده، وقد وضعنا ترجمة تامة لهذه الوثيقة الهامة. والآن سنعدد بعض الآثار الباقية التي تركها لنا، والتي لا تزال باقية حتى الآن ولم تُذكر أو تُوصف فيما سبق.

(٤-١) سرابة الخادم

ففي «سرابة الخادم» بشبه جزيرة «سينا» عُثر له على عتب باب، ولوحة باسمه.[٢٠٥] وكذلك وُجدت باسمه قطعة من إناء.[٢٠٦]

(٤-٢) تانيس

وُجد له في «تانيس» (صان الحجر) صورتان راكعتان، إحداهما من الحجر الرملي، والثانية من الجرانيت الرمادي.[٢٠٧]

(٤-٣) القنطرة (فاقوس)

وُجدت لوحة باسمه.[٢٠٨]

(٤-٤) تل اليهودية

أقام في هذه الجهة قصرًا، وقد تحدثنا عنه،[٢٠٩] وكذلك وُجد له في هذه الجهة تمثال،[٢١٠] وإناء من المرمر.[٢١١]

(٤-٥) «هليوبوليس»: العجل «منفيس»[٢١٢]

وقد كان ضمن الكشوف التي عُملت في منطقة «هليوبوليس» مقصورة للعجل «منفيس»،[٢١٣] وكان قبر هذا العجل يبلغ حوالي ١٩×٢٥ قدمًا مزينة جدرانه بالمناظر الدينية، ووُجدت فيه بقايا العجل مهشمة، وكان قبره قد نُهب في الأزمان القديمة، ولم يوجد من محتوياته إلا أواني الأحشاء، وبعض جعارين، وتُحَف صغيرة أخرى. وكذلك وُجد في هذا القبر لوحة لكاتب قربان يُدعى «تي». وقد نقلت مصلحة الآثار هذه المقصورة بأكملها إلى «المتحف المصري».

وكذلك جاء في نقوش «السرابيوم» ذكر دفن أحد عجول «أبيس» في السنة السادسة والعشرين من حكم هذا الفرعون. غير أنه ليس لدينا حقائق عن كنه هذا الأثر. (راجع Mariette Srapeum P. 147).

(٤-٦) ألماظة

وعلى مسافة حوالي أربعة كيلومترات من مطار «ألماظة» قام أحد المفتشين المصريين بعمل حفائر في هذه الجهة من الصحراء على حساب أحد طلاب الكنوز، والواقع أن هذه الجهة لم يكن في منظرها ما يبشر بوجود آثار قيمة، إذ لم يوجد على سطحها إلا بعض بقايا من قطع الخزف المزخرف، والجرانيت المختلف الألوان. وقد أسفرت نتيجة الحفر عن العثور على مجموعة مؤلفة من تمثالين من حجر «الكوارتسيت» الأحمر، غير أن الجزء العلوي منها مهشم، وهي تمثل الفرعون «رعمسيس الثالث» وملكة، أو إلهة،[٢١٤] ولا يمكن تحديد شخصيتها؛ لأن اسمها قد مُحي، ولا تدل النقوش الباقية على ما يوضح لنا كنهها. أما اسم الفرعون فهو «رعمسيس الثالث» وقد

كتب اسمه على القاعدة، وألقابه مزدوجة. وقد حُفر على قمة شعره جعران كبير، وهو رمز للإله «خبري» الذي وُحد معه هذا الفرعون كما تدل النقول التي على التمثال أنه «خبري». والنقوش الهامة التي وجدت على هذا التمثال قد كتبت على القاعدة. وعلى ظهر العرش الذي يجلس عليه الفرعون. وسنذكر هنا أولًا هذه النقوش لغرابتها، ثم نتحدث عن ماهيتها وأهميتها وأصلها بين الوثائق الدينية المصرية في ذلك العصر وغيره من عصور التاريخ المصري، وعن السبب الذي أُقيم من أجله هذا التمثال في هذه الجهة.

الصيغة الأولى: (على الجهة اليسرى من العرش)

(٢) ... ... «إنميت» الخارجة من «هليوبوليس» وابنة «نمسيت» (٣) وإني لن أحذف «سبرتوناس-سبرناستو» (اسم أحد زوجات «حور») انطقي بتعويذة لحفظ «حور» الشاب هذا حتى يذهب معافى نحو أمه بدم «تابيثت» = ملكة الشمال. وهي إحدى زوجات «حور» (عندما افترعها «حور» ليلة ما). اطبعي على فم كل زاحفة يا «تابيثت» «تهنهو» و«منيت» يا زوج «حور».

الصيغة الثانية

لقد ولدت «حور» على مياه «وعرت» (إقليم في السماء) أنثيان، وإني أحضر بشنينة طولها سبعة أذرع، وبرعومة طولها ثمانية أذرع لأبرد السم الناقع الخارج من جسم الإله الذي في جسم من لُدغ. إن «حور» قد شُفي وأصبح كما كان بالأمس.

الصيغة الثالثة (على الجهة اليمنى من العرش)

صيغة للتعزيم على الثعبان ذي القرون:

خرج «تحوت» من «هرموبوليس» وجمع الآلهة، وعندئذ غسلت فمي، ثم بلعت النطرون لأكون طاهرًا، واختلطت بتاسوع الآلهة ورقدت في حضن «حور» ليلًا،

وسمعت كل ما قاله وهو يقبض بشدة في يده على ثعبان ذي قرون طوله ذراع، وبذلك علمت الكلام المعتاد منذ الأبد، أي منذ الوقت الذي كان لا يزال فيه «أوزير» عائشًا وها أنا ذا قد قضيت على ثعبان ذي قرون طوله ذراع بوصفي «حور» العالم بالقول (أي بالتعاويذ).

الصيغة الرابعة (على الجهة اليمنى)

تعويذة أخرى:

تعالوا تعالوا يا أيها التاسوع. تعالوا على (سماع) صوتي، اقضوا على هذا المسيء عدو «حور» الذي يجبر الجندي على أن يقعد منحلًّا، ويجعل عينيه مبللتين بالدمع، وقلبه خائرًا، تعالى إليَّ يا «إعشيخري» يا زوج «حور». إني الطيب الذي يربح الإله.

الصيغة الخامسة (على الواجهة الخلفية من التمثال من سطر ١–٦)

هذه الصيغة ممزقة، ولم يبقَ منها إلا بعض كلمات أهمها ما يأتي:

… … (٤) مر مر يا «حور» مر مر مثل … … على الرغم من (القبح) الذي في جسم من قد لُدغ … … (إن «حور» قد رُئي) معافًى بوساطة أمه «إزيس».

الصيغة السادسة (الواجهة الخلفية من سطر ٦–١٢)

صيغة لحفظ الجسم من ثعبان لادغ:

… … إن حماية السماء هي حمايته، وحماية الأرض هي حماية … … … (٨) الفخذ إنه طارد الوارث، ومجدد الأحفال الخاصة بي … … …؟ الإلهة (قد يجوز أن يشير هنا إلى «ست» عندما طارد «حور» لإقصائه عن عرش والده «أوزير» وأنه لم ينجب بعد أطفالًا من البلاد)؛ وذلك لأن أرواح «هليوبوليس» لم تتوالد بعد، وإنه يجري بسرعة

(؟) ... ... (١٠) وقدماه كانتا قدمي «وبوات» (فاتح الطريق)، وإنه يدخل مثله، ويخرج مثله. وإنه «حور» ملك الوجه البحري،[٢١٥] وإن حمايته هي حماية السماء، وإن حمايته هي حماية الأرض من كل أفعوان، ومن كل أفعوانة، ومن كل زاحف ذكر. ومن كل زاحفة أنثى، ومن كل ميت، ومن كل ميتة في الجنوب وفي الشمال، وفي الشرق، وفي الغرب.

الصيغة السابعة (الجهة الأمامية من ١٢–١٧)

(١٢) ... ... صيغة أخرى لختم فم كل ثعبان ذكر، وكل ثعبان أنثى (١٣) ملك الوجه البحري وملك الوجه القبلي:

«وسرماعت رع مري آمون» السبع الممزق ومن قوته مدهشة، إنه الإله «شزمو» و«ماتي» (إلهة في صورة لبؤة تُعبد في جهة دير الجبراوي) وإنه نثر ... ... وإن وجهه يقع على وجهه. أنت يا من يأوي في حجره، لا تلدغ ابن «رع» «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس»، إنه «رع» لا تلدغه إنه «خبري» لا تحضر ... ... إن فمك ضده! إنه الإله «حح» وإنه أبدي، والعظيم الذي كل صورة من صوره صورة إله، وإنه الأسد الذي يحمي نفسه. وإنه الإله ... ... ونظيره. وإن من يلدغه لن يعيش، وإن من يغضب فرأسه لن يُرفع؛ لأنه الأسد الذي جعل الآلهة والأرواح تفر منه، وإنه قد أهلك كل ثعبان ذكر، وكل ثعبان أنثى بِعَضّه من فمه. وبلدغة من ذيله في هذا اليوم، وفي هذا الشهر، وفي هذه السنة، وفي مدة حياته.

الصيغة الثامنة (الواجهة الخلفية من ١٨–٢٦)

هذه الصيغة تقابل الفصل الرئيسي من كتاب إقصاء الثعبان «أبو فيس» العدو الأكبر للإله[٢١٦] رع.

الترجمة: صيغة أخرى

فلتتقهقرن يا «أبو فيس» يا عدو «رع» (تُكرر أربع مرات) نعم: ابتعد، وابقَ بعيدًا عمن في المحراب، ولتُخذل يا أيها الثائر! خِرَّ على وجهك، وليعم وجهك! (١٩) وإذا هربت من مكانك فإن طرقك ستُسَد، وسبلك ستُغلق، وستبقى في مكانك بالأمس بدون قوة، والقلب حزين، والجسم هامد، وإنك تُجرح دون أن يكون في مقدورك أن تفلت، وستُقدَّم إلى المقصلة للجزارين ذوي المِدَى الحادة، وإنهم يقطعون رقبتك ويفصلون رأسك، ويغلظون في معاملتك أيضًا، ويلقون بك في النار، ويسلمونك للهيب وفي لحظة تأخذك وتأكل جسمك، وتلتهم عظامك وتهلكك، والإله «خنوم» قد انتزع صغارك منذ أبادت النار جسمك، ولم يصر لك بعد وارث على هذه الأرض، يا «أبو فيس» يا عدو «رع». إن «حور» الأكبر قد هزمك، وإنك لن تلد بعد، ولن يُولد لك، ولن تُعقب، ولن يعقب لك أحد، وذكراك قد محقتها النار، ولُعنت روحك، ولن تتنزه على الأرض، ولن تجول في علا «شو» (الفضاء)، ولن تُرى بعد، ولن تبصر بعد، وإنك قد هلكت، ولم يعد لك ظل بعد يا «أبو فيس» يا عدو «رع» (اسجد) على وجهك يا أيها العاصي. إنك لم تُخلد ذكراك، ومن قد طعنك قد بصق على اسمك، وإن «رع» قد صب اللعنات عليك، وإن «إزيس» قد كبلتك، و«نفتيس» قد غَلَّتك، وتعاويذ «تحوت» قد أهلكتك، وروحك لا يوجد بعد بين الأرواح، وجسمك لم يعد بعد بين الأجسام، وإن النار قد أكلتك، واللهيب قد التهمك، والحريق قد فعل مشيئته فيك يا «أبو فيس»، يا عدو «رع»، وإن «رع» جذل، و«آتوم» في سرور، و«حور» الأكبر راضٍ لأن المارد قد هلك ولم يعد له وجود قط، وليس له ظل في السماء ولا على الأرض، يا «أبو فيس» عدو «رع»، لتسقط مغشيًّا عليك، ولتهلك يا «أبو فيس».

الصيغة التاسعة (الجهة الخلفية من ٢٦–٢٨)

(٢٦) … … … صيغة للتعزيم على الثعبان ذي القرون:

لُيغْشَ عليك يا صاحب الوجه الأسود الأعمى، وصاحب العين البيضاء الذي يتقدم ملتويًا.

أنت يا هذا النفس الخارج من بين فخذي «إزيس»، ومن لدغ ابني «حور»، تعالَ على الأرض واسمك معك.

ليت ابني «حور» يذهب نحو والدته.

الصيغة العاشرة (الجهة الخلفية سطر ٢٨)

(٢٨) ... ... صيغة أخرى:

لا تدخل بالكتفين، لا تنهشنَّ في الرقبة، ولا تستحوذنَّ على العينين! محط الحراسة لملك الوجه البحري والوجه القبلي «وسرماعت رع مري آمون» (الجملة الأخيرة تشير إلى المحط الذي أُقيم فيه هذا التمثال).

ولا شك في أن هذا المحط كان متعبدًا أُقيم على الطريق الموصل بين «منف» و«هليوبوليس» من جهة، وبين «هليوبوليس» و«قناة السويس» من جهة أخرى، ومن ثم إلى بلاد «آسيا». وهذا المعبد الذي أقامه «رعمسيس الثالث» هو من صنف هذه المعابد التي أُقيمت على هذه الطريق على ما يظهر منذ الأزمان القديمة، وقد تحدثنا عن واحد منها وُجد أنه تمثال الملك «مرنبتاح». ولا نزاع في أن هذه المعابد الصغيرة كانت لازمة لرواد صحراء «السويس» التي كانت ذات شهرة سيئة؛ لما تحويه من ثعابين وحيات مؤذية تزحف في رمالها. وتدل شواهد الأحوال على أن هذا التمثال قد أُقيم في هذه الجهة لاتقاء شر هذه الزواحف بما نُقش من صيغ سحرية قبل كل شيء، مبطلة لسمومها، وقاضية عليها.

ويُلاحَظ أن النقوش التي على هذا التمثال لم تحتوِ عقود ثناء ومدح للفرعون كما جرت العادة، بل نجدها قاصرة على التعاويذ التي كُتبت من أجلها. ويمكن قرن هذا التمثال باللوحة التي نقشها

«رعمسيس الثاني» في السنة الثامنة من حكمه، وهي التي عُثر عليها في تلك الجهة، وقد جاءت خلوا من كل عقود المدح، وحدثتنا عن الأغراض التي من أجلها نصبها الفرعون في هذا المكان (راجع مصر القديمة ج٦).

والواقع أن التماثيل الشافية. كما ينعتها رجال الآثار[٢١٧] التي من هذا الصنف قد ظهرت في عهد متأخر عن التمثال الذي نحن بصدده الآن. هذا فضلًا عن أن هذه التماثيل كان المهدي لها أفراد من عامة الشعب لا ملكٌ، ونقوشها تكسو كل أجزاء التمثال، ومعظمها يُؤرَّخ ببداية العصر الإغريقي. ولما كانت هذه التماثيل تكثر في المعابد فإنها كانت تُوضع على قاعدة محفورة في حوض الغرض منه تجمع الماء الذي كان يُصب فوقها، وكان يُشرب من هذا الماء الذي جرى فوق الحروف التي تؤلف التعاويذ السحرية لشفاء كل من لدغه ثعبان، أو نهشته حشرة مؤذية. وبما في هذا الماء من قوة سحرية مكتسبة كان يُشفَى الملدوغ. ولدينا حتى الآن مثل هذه المعتقدات في كل أنحاء القطر، فكثيرًا ما نشاهد المشعوذين يكتبون بعض آيات الذكر الحكيم، أو بعض تعاويذ خاصة، ويعطونها المرضى ليُشفوا بها من عللهم، ولكن إذا فحصنا الأحوال التي تحيط بتمثال الملك «رعمسيس الثالث» وجدناه لا يستخدم بالطريقة السالفة؛ وذلك لأن حجم هذا التمثال، وتوزيع متنه الذي كُتب معظمه على ظهره، وعلى جانبي العرش لا يجعل صب الماء على كتابته أمرًا عمليًّا، اللهم إلا إذا كانت له قاعدة قد اختفت، وهذا ما لا تبرره كيفية الكشف عنه. وفضلًا عن ذلك فإن متن هذا التمثال لم يُذكر فيه جملة «هذا الرجل المعذب باللدغ» وهي جملة خاصة بالصيغة الشافية. هذا بالإضافة إلى عدم وجود عبارة «هذا الرجل الذي يشرب هذا الماء» كما جاء على تمثال «متحف اللوفر» على أن ذلك لا يمنع وجود علاقة بين هذه التماثيل وتمثال «رعمسيس الثالث» إذ الواقع أن الكتابة التي عليه لم تكن لتُستعمل للشفاء، بل لمنع لدغة تلك الحشرات المؤذية، وذلك بقراءة التعاويذ التي نُقشت عليه — كما جاء في الصيغ الأولى، والثالثة، والتاسعة. ثم بالطبع على أفواهها — كما جاء في الصيغة السابعة. ويجعلها غير قادرة على الحركة — كما جاء في الصيغة

الثامنة. وبضربها ـــ كما تدل على ذلك التعويذة الرابعة. وبحفظ جسم الشخص المهاجم ـــ كما في التعويذة السادسة.

ومن ثم نعلم أن الغرض من التعاويذ التي جاءت على هذا التمثال هو أن تكون واقية. وهذا يدل على أن مجموعة تماثيل «رعمسيس الثالث» وقرابينه كان الغرض منها أن تقدم نوعًا من الوقاية للمسافرين من عامة الشعب، وعلى وجه أخص للجيش الذي كان لزامًا عليه وقتئذ أن يقطع هذه الصحراء في سفره لمحاربة أعداء مصر، كما فصلنا القول في ذلك، وبخاصة إذا علمنا أن «رعمسيس» كان يسير على رأس هذا الجيش بنفسه.

وقد أُشير إلى الجندي بنوع خاص في هذا المتن، فقد جاء فيه:

> تعالوا أيها التاسوع عند سماع صوتي، واقضوا على هذا المسيء عدو «حور» الذي يجبر الجندي على أن يقعد منحلًّا، ويجعل عينيه مبللتين بالدمع، وقلبه خائرًا.

ومن ثم نعلم أن «رعمسيس الثالث» كان غرضه الأول هو حماية جنده الذين كانوا يدافعون عن أرض الوطن من حشرات هذه الصحراء المخيفة التي تجعل الجندي يتقاعد عن السير، وتنحل قواه، وتخور عزيمته حتى يذرف الدمع خوفًا من التأخر عن متابعة السير، وعدم اللحاق بإخوانه لمنازلة العدو الأكبر الذي جاء لغزو بلاده.

على أن وضع هذا التمثال الواقي في هذا المحط لم يكن ليقرأه المسافرون، أو جنود الجيش؛ إذ كان السواد الأعظم منهم أميًّا، بل تدل شواهد الأحوال على أن المفعول السحري لهذا التمثال كان يمكن الحصول عليه باللمس، فإذا ما لمسه مسافر حُفظ من خطر زواحف الصحراء. ولا غرابة في ذلك فإن مثل هذه الطريقة لا تزال باقية بين ظهرانينا حتى الآن، فكم من أفراد يذهبون إلى أضرحة أولياء الله ويلمسونها تبركًا وتحرزًا من الأمراض ـــ وهكذا يفعل الحجاج عندما يستلمون «الحجر الأسود» «بمكة» المكرمة في الكعبة.

ومما تجدر ملاحظته هنا أنه من بين مئات التماثيل الملكية التي عُثر عليها قبل هذا التمثال لا يوجد واحد منها يقدم لنا خاصية الوقاية من الشر التي يقدمها تمثال «رعمسيس الثالث»؛ ولذلك فإننا لا نكون مبالغين إذا قررنا هنا أن هذا التمثال يُعد كشفًا جديدًا في تاريخ الأسرة العشرين حتى الآن من حيث إنه في تصميم نقوشه يحقق بكل الطرق حماية الشعب المصري التي كانت تُعتبر من أهم واجبات الفرعون الذي يحكم البلاد بوصفه ابن الإله.

وعلى أية حال فإن العناصر الثلاثة التي يتألف منها هذا التمثال، وهي: المتن، وصورة الملك، والجعران الممثل للإله «خبري» تؤكد لنا قيمتها في تحقيق هذا الغرض الخارق لحد المألوف. فالمتون تحدد لنا قيمتها الخاصة، فتوحد لنا الملك بالإله «خبري» الذي يُعد مظهرًا من مظاهر الإله «رع» رب «هليوبوليس». وصورة الملك تبعث الحياة في هذه المتون، فتسبغ عليها القوة الحقيقية الحية الخاصة بابن الآلهة. أما جعل «خبري» فإنه يضفي عليها الجلال السامي لأنها خارجة من فم الإله نفسه، وهي التي توحده بالملك. وبهذا التنسيق نجد أن شخصية الملك هي التي أضفت على التمثال قوة فعالة. أي إنه يُعد بمثابة كتاب سحر له قوته الدائمة النافذة المفعول، وفي الوقت نفسه له الهيبة.

ولكن نجد الحال مع التماثيل الشافية التي من العهد الإغريقي تخالف ذلك؛ إذ نجد أن القوة الإلهية تتمثل في «عمود Cippe» «حور» الذي يحمله أمامه، والتعاويذ التي تكسوه لدرجة أن حوضًا واحدًا «لحور» بمفرده له نفس قوة الإتيان بالمعجزات. والواقع أن صورة «حور» المنتصبة في وسط الحوض هي التي تجلب مباشرة التأثير الإلهي الفعال كما تفعل التعويذة، وليس لشخصية المهدي أي نصيب في التأليف السحري في مجموعة ما. وإنه لم يُمثل إلا ليحفز أولئك الذين شفوا بالماء المقدس ليعترفوا بالجميل ويقوموا بصلاة شكر له. ومن ثم نفهم أن شخصية صاحب التمثال الشافي ليست إلا عارضة.

والواقع أن أصل استعمال لوحات «حور» التي كان الغرض منها إقامة شعيرة الغسل تُعد أقدم بكثير من موضوع ضمها مع صورة الفرد الذي يقدمها ويهديها باسمه.

وقد دلنا الكشف عن تمثال «رعمسيس الثالث» الواقي في «ألماظة» على أصل هذه اللوحات، وهو أن تقديم الفرد لها جاء تقليدًا للتماثيل الواقية، أو المنعمة الخاصة بالملك، وهي التي كانت تُنصب في بعض محاط العبادة منذ الأسرة العشرين.

ولا نزاع في أن هذه الحقيقة ليس فيها ما يدعو إلى الدهشة في مدينة نجد في خلالها شعائر عدة، وتماثيل أخرى قد أُقيمت في الأصل للفرعون، ثم انتقل استعمالها إلى الأفراد — والناس على دين ملوكهم، والتقليد يأتي من أعلى إلى أسفل، فيصبح ما كان خاصًّا بالملوك مشاعًا عند عامة الشعب.[٢١٨]

(٤-٧) الخصوص

ووُجد له في «الخصوص» قطعة حجر عليها اسمه.[٢١٩]

(٤-٨) السورارية

وُجد فيها محراب عليه اسم «رعمسيس الثالث».[٢٢٠]

(٤-٩) طهنة

عُثر له فيها على لوحة مُثل عليها الإلهان «سبك» و«آمون».[٢٢١]

(٤-١٠) العرابة

قاعدة تمثال واقف يمثل «رعمسيس الثالث» قابضًا على محراب صغير يحتوي صورة «أوزير».[٢٢٢] وفي المعبد الصغير وُجدت قطعة مُثل عليها «رعمسيس الثالث» يقدم النبيذ للإلهين «أوزير»

و«حور».[٢٢٣]

(٤-١١) قفط

وُجدت له لوحة من الجرانيت مؤرخة بالسنة التاسعة والعشرين، ويُشاهد عليها واقفًا أمام الآلهة «مين» و«إزيس» و«حور» ابن «إزيس» وهي محفوظة الآن «بالمتحف المصري».[٢٢٤] وكذلك وُجد له في هذه الجهة قطعة أخرى مُثل عليها تروِّح عليه «الكا» (روحه)، وهي الآن في «متحف جامعة لندن».[٢٢٥]

(٤-١٢) قوص

عُثر له على لوحة من الجرانيت مثل عليها يقود أسرى، والمتن مؤرخ بالسنة السادسة عشرة من حكمه.[٢٢٦]

(٤-١٣) المدمود

وُجد لهذا الفرعون في معبد «المدمود» لوحتان من الحجر الرملي مؤرختان بالسنة الثانية من حكمه، وُجدتا في مكانهما الأصلي مرتكزتين على السور الشمالي لردهة معبد الإمبراطور «أنتونيوس».[٢٢٧]

(٤-١٤) معبد «أرمنت»

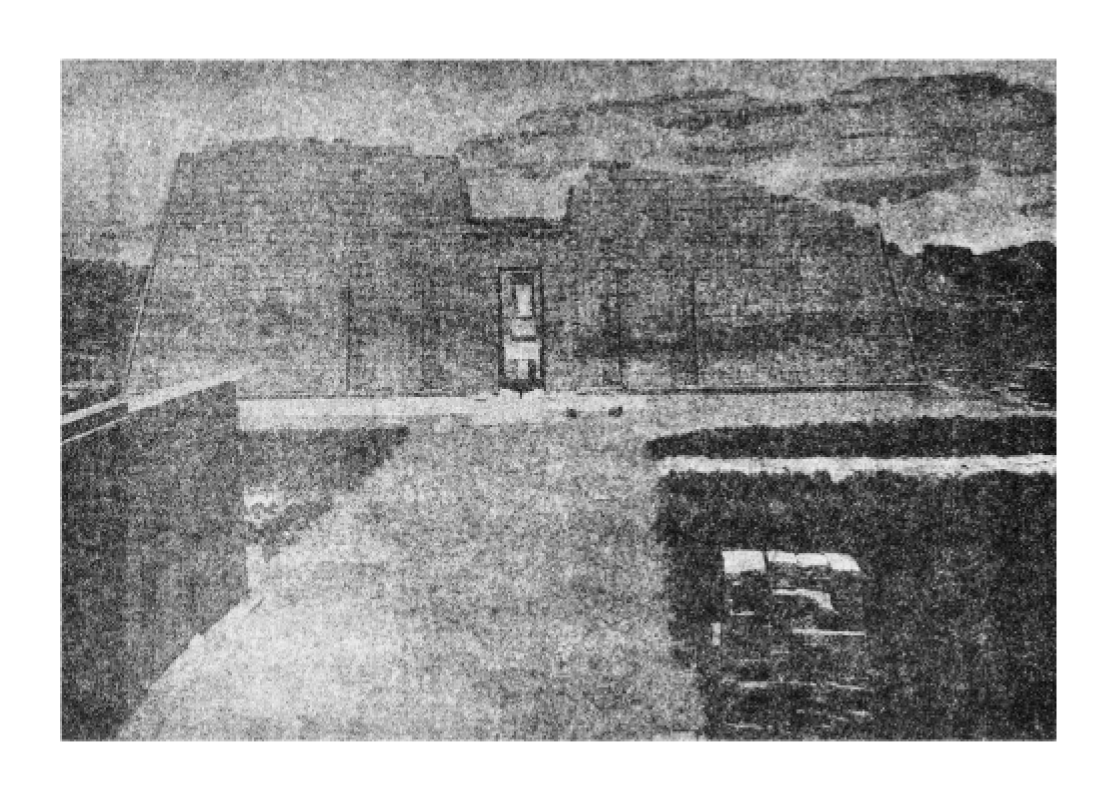
وُجد اسمه على قطعة من مسلة اغتصبها من «تحتمس الثالث»، ويُحتمل أنها أُحضرت من بلدة «طود».

(٤-١٥) الكاب

بعض قطع عليها اسم هذا الفرعون. وكذلك كُتب اسمه بالهيراطيقي على باب محراب معبد «أمنحتب الثالث» في هذه الجهة.

(٤-١٦) معبد مدينة «هابو»[٢٢٨]

تحدثنا فيما سبق عن الأعمال الجليلة التي خلفها «رعمسيس الثالث» للتاريخ، وهي التي دوَّنها كتابة على «ورقة هاريس» العظيمة، غير أنه لم يكتفِ بتدوين هذه الأعمال العظيمة في بطون الأوراق وحسب، بل قام بنقشها وتصويرها بتفصيل شائق — كما كان ديدن الفراعنة — على معبده الجنازي العظيم الذي أقامه على الضفة اليسرى للنيل، فجاء هذا البناء المنقطع النظير كأنه كتاب مصور لا لأعمال هذا الفرعون العظيمة وحسب، بل كذلك لحياته الداخلية وملاهيه، مما يندر وجوده في مثل هذه المعابد، حتى إن هذه الأعمال الموضحة لحروبه، وانتصاراته، وأعياده، وأحفاله، وطراده، وملاهيه في ساعات فراغه، ولآلهته، وما قدم لهم من قرابين، وما وقف عليهم من ضياع، وما أهداهم من متاع، وما أسبغ على كهنتها من أرزاق وفيرة أصبحت مضرب الأمثال.



شكل ٥: معبد مدينة هابو «رعمسيس الثالث».

وهذا المعبد الذي لا تزال مبانيه شامخة الذُّرَا هو المعروف الآن بمدينة «هابو»، ويضم بين جدرانه قصر الفرعون، ومحرابه، وحصنه، ومعبده الجنازي. ويحيط بكل هذه المباني سور لا تزال تُرى حتى الآن بقاياه، وقد قاومت هذه المباني نكبات الدهر وغيره، ويرجع الفضل في ذلك إلى عناية بعض المستعمرين من الأقباط الذين أسسوا لأنفسهم فيما مضى مدينة مسيحية في وسط تربة هذه المباني العزيزة على الآلهة الأقدمين، وقد أقام هؤلاء المستعمرون الجدد كنائسهم، وبِيَعهم في ردهة هذا المعبد، وقاعة عمده.

وتدل شواهد الأحوال على أن هؤلاء المسيحيين المستعمرين قد غَلَّتْ أيديهم عن تخريب هذا المعبد العظيم وتشويهه بعضُ اعتقادات خرافية؛ فاحترموا النقوش والزخارف التي على الجدران، ولم يجسروا على العبث بما فيها من فن ديني. وهكذا نجد أن روح الدين الجديد — وهو روح قوامه

المحافظة — قد حمى لنا هذا المكان، فبقي في حالة جيدة، ولا نزاع في أن هذا الأمر يُعد موضع إعجابنا، كما سيبقى موضع إعجاب الأجيال القادمة ما زالت بقاياه في الوجود.

والمعبد بأكمله يمكن تقسيمه قسمين مميزين: أحدهما قديم، ويرجع تاريخه إلى عهد الأسرة الثامنة عشرة. وقد تحدثنا عنه فيما سبق (راجع مصر القديمة الجزء الرابع). والآخر هو المعبد الرئيسي الذي أقامه «رعمسيس الثالث» وكان متصلًا بالقصور الملكية. وقد أحاط «رعمسيس» رقعته بجدار من اللبن يبلغ ارتفاعه حوالي ٥٩ قدمًا — هذا إلى جدار خارجي محزز يبلغ ارتفاعه حوالي ١٣ قدمًا.

يدخل الزائر من الجدار الخارجي إلى المعبد بوساطة بوابة سعتها ثلاث عشرة قدمًا يكنفها حجرتان صغيرتان لسكنى الحارس، وخلف هذا الباب يواجه الزائر برجان عظيمان يشرفان على ردهة عظيمة، وهذان البرجان يشبهان الحصن، ويُسميان البوابة العالية. وهذا البناء كان يُعرف فيما مضى بسرادق «رعمسيس الثالث»، ويُعد المدخل لرقعة المعبد بدلًا من البوابة العادية الضخمة، والمداخل الشامخة المقامة من الحجر التي نشاهدها في المعابد الأخرى. وهذا المبنى يقاطع الجدار العظيم الداخلي المقام من اللبن الذي يضم بين جوانبه كل المعابد داخل مستطيل، وكان متصلًا كذلك بالقصر الملكي الذي سنتحدث عنه فيما بعد. ومن ثم نعلم أن السرادق كان يؤلف جزءًا من القصور الملكية التي أُقيمت على مسافة قريبة منه، وحجرات هذا السرادق كانت أحيانًا تستعمل مأوى يأوي إليه الفرعون، وخدورًا لنسائه. والنقوش التي على جدرانه تدل على هذا الغرض. ويمكن حتى الآن تمييز موقع الحجرات الملكية. وقد صور لنا المثال «رعمسيس الثالث» على الجدران مناظر إنسانية رائعة طبيعية لراحته وهو في مكان خلوته مع نسائه، فنشاهد الملك المؤله، والحاكم المستبد ينقلب إلى رجل رقيق الحاشية حلو الشمائل، يستمتع في هدوء وسلام بملاذ الحياة وأطايبها. وتارة يمثل الفرعون في بيته الخاص في وسط ربات الجمال من نسائه الكواعب؛ فها هو ذا قد ارتسمت على محياه ابتسامة تدل على الحلم ودماثة الأخلاق، مستلقيًا على كرسي بتواضع،

يحيط به هالة من رباب الجمال ذوات الحسن الرائع، فنشاهد بعضهن وقد ركعن أمامه مرسلات من أعينهن نظرات وَسَنى، وأخريات قد عملن على تسليته، وإدخال السرور عليه بالعزف على آلات الطرب. وتدل صورة الفرعون هنا على السعادة التي نشاهدها في ملامح أهل الحضر، عندما يجلسون للتمتع بأطايب الحياة؛ فها نحن أولاء نشاهد الفرعون يتأمل سرادقه، ويصغي بشغف إلى الألحان التي يعزفها نساء قصره، وقد استهوته أجسام الغانيات، واجتذبته اجتذابًا، وأوقعته في حبائلهن، فانقلب هذا الإله إلى زير نساء؛ فينزل من عليائه حتى يصبح جليسًا لهن، وصارت حركاته وسكناته لا تدل على الإله الذي يقول: إني آمر، أو أضحي للإلهة. بل يقول الآن: لابد للحب من ثمن، فلا عظمة ولا انكماش، ولا تباعد عن المخلوقات. وها هو ذا السيد المطاع أمامنا يلقي بالرسميات والتقاليد جانبًا، ويصبح حرًّا طليقًا يتمتع بالحياة كما يشاء وكما يرغب فيها. وها نحن أولاء نشاهده هنا يطلق لنفسه عنان حريتها فرحًا يمد يده ليربت على غادة، أو يداعب إحدى هؤلاء الحسان ذوات العيون النجل. فيا له من منظر مسلٍّ قد أفلح ممثله فلاحًا عظيمًا في تصوير الماضي أمامنا، وما أجملها من لوحة فريدة في نوعها؛ إذ الواقع أنها قد فاقت المعتاد من المناظر المصرية في عصر كانت الأمور الحربية والدينية فيه تغطي على كل شيء، وبخاصة لأنها تستعرض أمامنا صورة رائعة للحياة الخاصة في قصر من قصور ملوك الأسرة العشرين.

والنقوش التي على واجهة البرج الأيمن يُشاهد فيها الملك يضرب أعداءه في حضرة الإله «رع حوراختي»، وفي أسفل سبعة أمراء في الأغلال يمثلون الأقوام المهزومة، وهم: «حيتا» و«آمور» و«شكارى» و«شردانا» و«شكلش» أو الصقليون و«تورشا» (الأترسكانيون) و«بلست» (الفلسطينيون). وعلى واجهة البرج الشمالي صورة مماثلة «لرعمسيس الثالث» يضرب أهل النوبة وأهالي لوبيا أمام الإله «آمون رع».

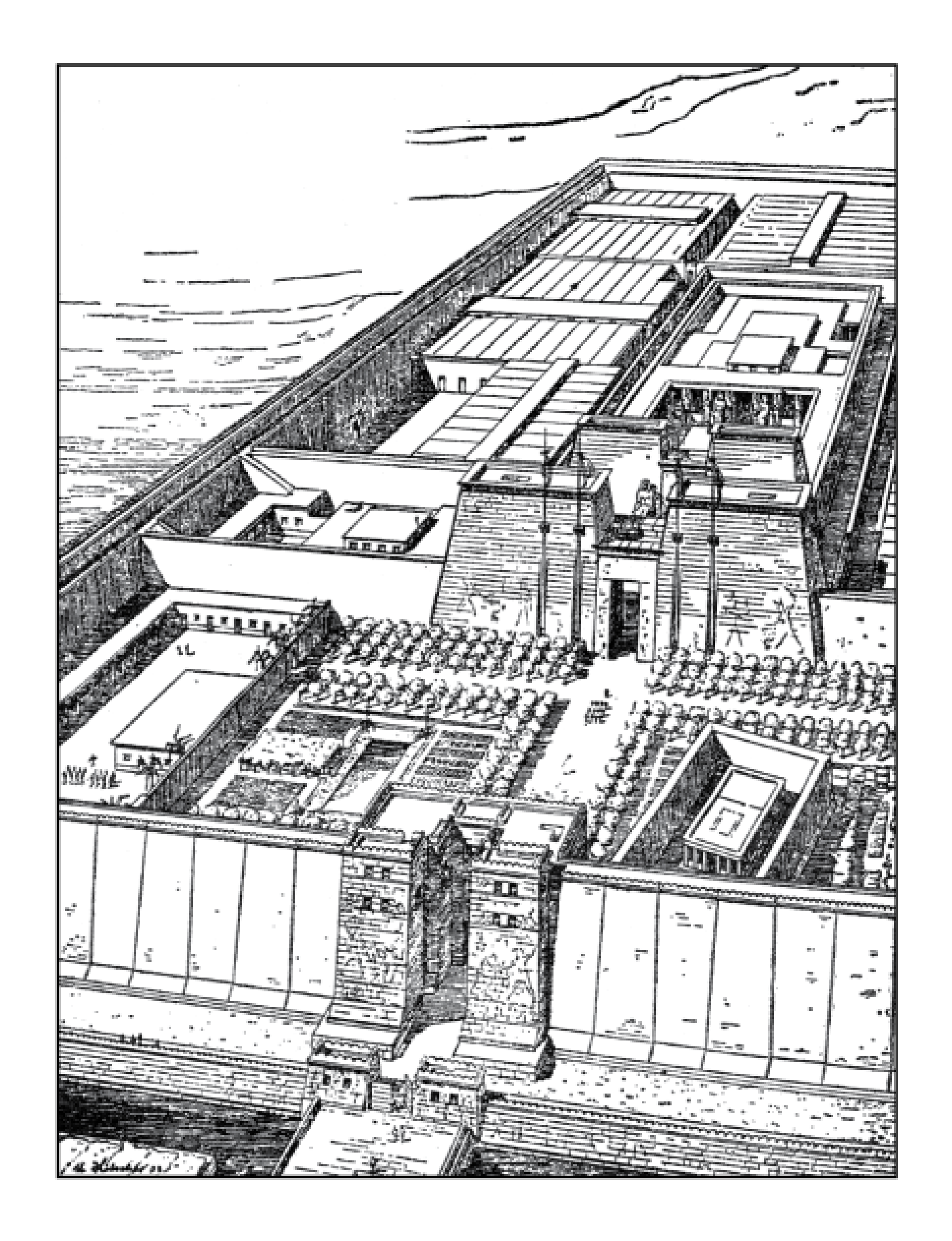
وفي الردهة التي بين المجدلين أو البرجين يُشاهد فيها تمثالان للإلهة «سخمت» وهي إلهة جالسة بجلال على عرش، وتحمل فوق كتفيها رأس لبؤة وتحت ثوبها جسم امرأة، ويعلو رأسها قرص

ضخم، وفي ضوء شمس الظهيرة يُشاهد الإنسان هذه الإلهة التي صُوِّرت في صورة لبؤة تمد خطمها المخيف الذي يملأ الجسم خوفًا وهلعًا، ووجهها الوحشي يحدث في النفس لوعة، وعيناها تتقدان شررًا، ويُخيل للإنسان في هذه اللحظة أن شفتيها الطاغيتين تتحفزان للنطق، معترفة بحقيقة أمرها، وأصل وجودها في هذه القلعة، وكأنها تقول: إني «سخمت» وأُدعى إلهة الحرب، وأنت ترى حتى الآن أن محاولات الأمراء ورجال القانون والعدالة لم يفلحوا في إنزالي عن عرشي، وإني أحيا، وإني أستمر، وإني أسيطر، وإن مذابحي لا تزال قائمة على الرغم من المخالفات والمعاهدات، والمواثيق لقيام السلم، وإني أمثل أحد الأشكال السرمدية للحروب، وإني سلاح الفئة المختارة، ومنذ أن قتل «قابيل» «هابيل» سيقتل الأخ أخاه حتى نهاية الأجيال، وسيظل الإنسان محبًّا لسفك دم جاره، ولن يكتب التاريخ حوادثه إلا بظبا السيوف، فقد قتل «ست» أخاه «أوزير»، وتحرش الشرب بالخير، وانقض الظالم على المحق، وسحق القوي الضعيف، وإني امرأة شؤم، فقد جعلت الأمهات والأزواج لا يتحاببن، وإني أنا التي تبذر القحط والمذابح والخراب، وإني صديقة الموت، أحصد الكل في طريقي، وأشعل الحرائق فأبيد، وإني أنعم بتسميد الحقول بأكوام جثث القتلى، عند انطلاق صوت بوقي الجهنمي تنهض الأمم وتظهر كأنما تنهض بدافع مقدس في معمعة القتال، وتخفق الأعلام في الهواء باسمي الذي يعني القتل والخراب، وبعد انتهاء الحرب يعقد بنو البشر فيما بينهم الأيمان المغلظة على صلح لا تنفصم عراه، ولكن لا يمضي طويل زمن حتى يتباغضوا ويتماقتوا فيما بينهم ثانية، فهم اليوم أحباء، وفي الغد أعداء، وهكذا ديدن الأمم، فعلى هذه الأرض تمد الشهوة الإنسانية أحابيلها لتشبع رغباتها، وكذلك نشاهد كلًّا من الكره والحب يغضب ويتحرش ويرتكب أفظع التخريب. والسلام السلام المثالي. واأسفاه عليكم يا بني البشر المساكين أين هو؟ إنه حلم، إنكم ستحققونه فقط في أمسية هذه الحياة في العالم العلوي حيث يسكن أهل النعيم!

ويفصل المعبد الكبير الذي أقامه «رعمسيس الثالث» عن البرجين مساحة شاسعة.

وقد أُقيم هذا المعبد بنفس التصميم الذي أُقيم على مقتضاه معبد «الرمسيوم» وقد أهدى كذلك إلى الإله «آمون». ويجب على الزائر أن يدخله ليرى تلك المجموعة البنائية التي تشمل عمائر مدنية ودينية، وهو في الواقع قد ضم بين دفتيه مدينة حيث كان يأوي إليها رجال الدين والأسرة المالكة والموظفون القائمون بأداء الشعائر الدينية، وحيث كان يرى الجم الغفير من العظماء، ورجال البلاط والخدم ذاهبين آيبين.

والواقع أن هذا المبنى الضخم كان مأوًى يجمع بين ما هو بشري وما هو إلهي، فقد كان المأوى الأخير الذي يسكن فيه قرين الفرعون — روحه — في النعيم المقيم، كما كان فيه قصره. وقد عبر «مسبرو» بحق عن مدينة «هابو» حين قال: «إنها تعبر بأدق صورة عن الآراء التي يكونها الكهنة الطيبيون عن مقر الروح الفرعوني، وعن الطرق التي تضمن بها بقاءها.» ويُلاحَظ أن الفن في هذا المبنى كان يسير في ركاب العقيدة، فكان مهندس العمارة يخضع لمقتضيات المذهب الديني، وكان يصغي للمقترحات الدينية، كما كان يخضع لرغبات الفرعون الذي كان مصيره أن يعيش في صحبة الآلهة على هذه الأرض وفي عالم الآخرة، غير أن المفتن كان له طريقته وسره وهي طريقة صادقة خاصة به، وتلك هي التنسيق والتوفيق، وكان يجمع بين الآراء الدنيوية والأخروية معًا، وبذلك تراه قد جمع في هذا المبنى بين المادية والروحانية، أو بعبارة أخرى مزج الاثنتين معًا، ولا بد أن الأحجار التي أقام منها هذا البناء كانت فخورة بهذا المزيج حيث جمع بين التناسق والعظمة.



شكل ٦: معبد «رعمسيس الثالث» بمدينة «هابو».

ومن الأمور الهامة أن يكون للآلهة مسكن فسيح الأرجاء يأوون إليه وتُقام شعائرهم، كما كان من الأمور الضرورية أن يكون للملك مثوًى جميل يحيا فيه قرينه — روحه. وكذلك كانت تحوي مدينة «هابو» الهائلة قاعات أعياد، وبيوت كهنة على مقربة من الحجرات الملكية، كما كان فيها مساكن لجماعات الآلهة أُقيمت ملاصقة للمحاريب، حيث كان روح الإله — الفرعون — بعد

الموت يذوق طعم الراحة ويتمتع بالاحترام. وهذا البناء الهائل لم يعتوره الارتباك ولا يشبه بأية حال المباني المعقدة التركيب؛ إذ نجد أن ردهاته وأماكنه ودهاليزه وأجزاءه المختلفة قد وُزعت بتناسب في انسجام فخم رائع. فالعين لا تقع فيه إلا على مجموعة مبانٍ لا عيب فيها مؤلفة من سلسلة حجرات ملكية، وقاعات عمد أُقيمت على طراز معلوم، وقصارى القول أنه لا تقع العين إلا على طائفة من المباني يتجلى فيها الروح الفني الذي اقتضاه الحال والزمان، ومع ذلك فإن مدينة «هابو» كما قلنا نسخة تطابق في تصميمها معبد «الرمسيوم» الذي أقامه «رعمسيس الثاني»، ولا فرق بينهما إلا أن الأقدار شاءت أن تحفظ لنا معبد «رعمسيس الثالث» وتقضي على الجزء الأعظم من معبد سلفه، والواقع أن «رعمسيس الثالث» لم يكن روحًا مخترعًا، وكان كتبته ومهندسوه في عصره تنقصهم قوة الخيال والاختراع على ما يظهر، ومما يؤسف له جد الأسف أن العبقرية في هذا العهد كادت تكون معدومة، ولا غرابة فإنه كان عهد خمول وانحطاط، وقد بدأت فيه ساعة خمول العصر الطيبي العظيم تدق دقات الخطر المنذرة بالنهاية العاجلة. ففي عهد الأسرة العشرين بدأت قوة الاختراع تختفي، وأخذ القوم يكتفون بالنقل والتقليد ما شاءوا، فكان المفتنون في ذلك الوقت يُشاهدون الأعمال الممتازة التي أنتجها عصر «رعمسيس الثاني» ويعيدون بناءها على حسب نماذجها، كما كانوا ينقشون من جديد على جدرانها الفخمة الصيغ والصور التي خلفها لهم العصر السابق دون أن تعتبر إلا اسم الملك وحسب.

وإذا استثنينا بعض التحف فإن الفن الذي خلفه لنا عهد مدينة «هابو» لا يمثل في الواقع مكانة تُذكر، ومما يؤسف له أن النسخ نفسه لم يكن يخلو من النقد، إذ نجد أن الشكل العام يعتوره شيء من الثقل والرخاوة الظاهرة، فالدهاليز قد فقدت طابع الرشاقة التي تمتاز بها دهاليز «الأقصر» و«العرابة» والعمد فيها لم ترتفع بعد عن الأرض بتلك الخفة التي تكاد تكون كالهواء، ويرجع السبب في ذلك إلى الضعف الذي اعترى المفتن، فلم يعد يطبع عمله بتلك السمة المتناهية في الكمال، التي كان يتميز بها إنتاج الأسرة الثامنة عشرة، والكثير من إنتاج الأسرة التاسعة عشرة، إذ

نجد أن العناية بأعماله كانت قليلة جدًّا، كما نجد أن إهماله كان يكشف غالبًا عن ضعف قوة اختراعه، وقد كانت أخطاؤه شاملة. كما أن الخشونة في العمل قد حلت محل المرونة والقوة، فعهود «تحتمس الثالث» و«سيتي الأول» قد انتهت، والعصر الذهبي للفن قد انقضى. ومع ذلك فإنا نمر في هذا المعبد العظيم بمزيد السرور والارتياح، إذ نجد في أرجائه بعض قطع فنية تسترعي النظر وتدعو إلى الإعجاب.

(١) وصف أجزاء طيبة

ونعود الآن إلى وصف أجزاء المعبد مبتدئين بالبوابة وقد غُطيت بالمناظر والنقوش التي تخلد أعمال الفرعون الحربية، فعلى جدار البرج الأيمن من جهة اليمين نشاهد الملك أمام الإله «آمون رع-حوراختي» قابضًا على طائفة من الأعداء من نواصيهم يضربهم بمقمع، في حين أن الإله الذي مُثل برأس صقر يقدم له سيفًا معقوفًا، ويقود له بحبل الأراضي التي استولى عليها، وقد مُثلت بالطريقة المألوفة وهي صور جدران مستديرة نُقش في وسطها أسماء البلدان المقهورة يعلوها الأعداء المغلولون، وتحت هذا المنظر نشاهد صفين آخرين من أسماء البلاد المغلوبة على أمرها، وفي الجهة اليسرى نرى بين قناتين حُفرتا لعمودي الأعلام منظرًا مشابهًا، ولكنه أصغر منه، وفي أسفله نُقش متن طويل يتحدث عن انتصارات «رعمسيس الثالث» في الحروب التي شنها على «لوبيا» في السنة الحادية عشرة من حكمه، وقد أوردناه فيما سبق. وفي الأسفل نشاهد الإله «آمون» جالسًا على اليسار، والإله «بتاح» واقفًا خلفه يكتب عدد سني حكم الملك على جريدة نخل، والملك راكعًا أمام «آمون» تحت الشجرة المقدسة يتسلم من الإله رموز الحكم الطويل مدلاة من جريدة نخل، وكذلك نشاهد الإله «تحوت» يكتب اسم الفرعون بين أوراق الشجرة، وبجانبه إلهة الكتابة، وبجانب الباب في أسفل لوحة مؤرخة بالسنة الثانية عشرة من حكم هذا الفرعون، تحدثنا عن «بركات بتاح» وهي تقليد للوحة التي أقامها «رعمسيس الثاني» في العام الخامس

والثلاثين لنفس هذا الغرض في معبد «بوسمبل» (راجع جزء ٦) ويُلاحَظ أن جدران البرج الأيسر قد نُقش عليها مناظر مشابهة للتي على البرج الأيمن.

وبعد ذلك نصل من الباب الأوسط المزينة جدرانه من الداخل ومن الخارج بنقوش تمثل الفرعون يتعبد للآلهة إلى الردهة الأولى وهي تؤلف مربعًا مساحته ١١٥ قدمًا، وجانب البوابة الداخلي مُحلى بمناظر تمثل حملة «رعمسيس الثالث» على بلاد لوبيا، وإلى الجنوب نشاهد موقعة حربية يساعد فيها جنود الشردانا المصريين وهم مميزون بقبعاتهم المستديرة الشكل، والمزينة بقرون. وإلى الشمال نشاهد أسرى اللوبيين مسوقين أمام الملك، وعليهم نقوش مفسرة، والردهة يكنفها من اليمين ومن الشمال طرقات ذات عمد، وسقف الممر الذي على اليمين محمول على سبعة عمد مضلعة يرتكز عليها تماثيل ضخمة للملك في صورة «أوزير». أما الممر الذي على اليسار فسقفه محمول على ثمانية عمد بردية الشكل، والتيجان على هيئة غلاف الزهرة الخارجي. وهذه العمد الأخيرة خاصة بواجهة القصور الفرعونية التي أُقيمت في الجهة الجنوبية من المعبد، وتتصل بالردهة الأولى بوساطة ثلاث أبواب وشرفة كبيرة على هيئة نافذة، وعلى يمين وشمال هذه النافذة يُشاهد الفرعون واقفًا على طوار مقام من رءوس معادية وهم يقتلهم، وتحت النافذة نشاهد راقصين ومصارعين ومهرجين، وقد مُثلوا يرحبون بالفرعون عند ظهوره في النافذة مطلًّا عليهم، والفرح يغمرهم بدرجة لا حد لها. (راجع مصر القديمة الجزء السادس).

أما المناظر التي على جدران الطرق ذات العمد فقد مُثل عليها حروب «رعمسيس الثالث» وانتصاراته وأسراه، كما فصلنا القول في ذلك عند التحدث على حروبه، وفي نهاية ذلك نشاهد الفرعون في طريقه إلى عيد الإله «مين» يسير في ركابه حاملو المراوح.

والنقوش والمناظر المحفورة على البوابة الثانية أهم من المسابقة؛ فعلى البرج الأيمن نقش طويل سُجل فيه الانتصار الذي أحرزه الفرعون في السنة الثامنة من حكمه على الحلف الذي كونه أهل

البحار عليه، وقد هددوا مصر من طريق البحر والبر من جهة «سوريا»، وعلى البرج الشمالي يُرى الفرعون وهو يقود أمام الإلهين «آمون» و«موت» ثلاثة صفوف من الأسرى يمثلون المقهورين في هذه الحملة، وهؤلاء كانوا محلقين رءوسهم ويلبسون قبعات غريبة محلاة بريش، وكانت ثيابهم المدببة محلاة بهدابات مما ميزهم عن المصريين، وتقول عنهم النقوش إنهم من قبائل «دننونا» و«برست» — الفلسطينيون.

ويؤدِّي مدخل البوابة الثانية المصنوع من الجرانيت — ويصل الإنسان إليه بمنحدر — إلى الردهة الثانية، ويبلغ عمقها حوالي ١٢٥ قدمًا وعرضها ١٣٨ قدمًا، وهذه الردهة كما قلنا كانت قد حُوِّلت إلى كنيسة في العهد المسيحي، وقد أزيلت بقاياها في العهد الحديث. وقد كانت بطبيعة الحال صورة مطابقة لردهة معبد «الرمسيوم» وحتى بعض رسوم السقف قد نُقل من هناك، غير أنها أكثر حفظًا في معبد مدينة «هابو». هذا ويُشاهد على كل الجهات الأربع لهذه الردهة طرقات ذات عمد. «والطرقتان» الشمالية والجنوبية محمولتان على عمد تيجانها برعومية الشكل، والشرقية عمدها مربعة، ويرتكز عليها تمثال يبرز الفرعون في صورة «أوزير» وفي الغربية طوار يشمل ثمانية عمد أوزيرية، أُقيمت في الأمام ومثلها في الخلف. وقد مُثل الملك على هذه العمد الأسطوانية والمضلعة وهو يقدم القربان للآلهة. والنقوش التي على الجدران الخلفية للطرقات ذات العمد توضح لنا حوادث في حياة «رعمسيس الثالث»؛ فبعضها يمثل أعيادًا عظيمة اشترك فيها الفرعون، وأخرى تصور لنا أعمال الفرعون الحربية، وما أظهره جنوده من شجاعة.

عيد «مين»

ففي الطرقتين الشمالية، والشمالية الشرقية نشاهد مناظر في الصف الأعلى من العيد الكبير الذي كان يُقام للإله «مين» إله الحصاد، وحامي السياح ورواد الصحراء، فنشاهد في هذا المنظر الفرعون «رعمسيس الثالث» جالسًا على عرشه، تحت مظلة ثمينة يحمله في محفة أمراء أقوياء

السواعد على أكتافهم، ثم يخرج من قصره ويعطي الأمر ببدء السير إلى المصريين الذين كان يتألف منهم الموكب، حيث نشاهد كهنة يحملون بعناية صناديق ثمينة ويسيرون في الطليعة، ويخطون بخطوات وئيدة متزنة تدل على الوقار والجلال. ويتبع هؤلاء مرتل الصلوات بصورة تدل على رجل مسيطر على حواسه وأفكاره، وهو يتقدم حملة المباخر التي يتصاعد منها عبير البخور الذي ينتشر ويتألف منه ضباب خفيف، وبعد ذلك يأتي الموسيقيون فينفخ بعضهم في بوق وآخرون يضربون على الطبول أو يحركون الصاجات. أما الجنود فكانوا يؤلفون وحدة متماسكة تسير في نظام عسكري يحلي شعورهم ريش ضخم، وأخيرًا نشاهد جمعًا من الإشراف ورجال البلاط، وبهم يُختم الموكب. وعندئذ يسير الفرعون أمام التمثال الإلهي، وقد ظهر الإله في هيئة جامدة مستقيم الجسم مشدود الأعضاء، ويظهر من تحت لباس رأسه العالي المؤلف من ريشتين محياه النحيل، بعينين براقتين تنظران نظرة مبهمة. ويسير في ركابه حاملو المباخر، وخلف الصورة المقدسة يمشي أتباع يروِّحون بمراوح طويلة من أوراق الشجر، والأعلام ترفرف في الهواء عليه، وعلى المذابح نشاهد أدوات إقامة الشعائر تتلألأ، كما كانت تشرق تماثيل الملك وأجداده. وفي اللحظة التي يصل فيها الفرعون بالضبط أمام وجه الإله «مين» نشاهد جماعة من الشبان في ميعة الصبا يطلقون حمامًا يطير في الحال.

وعند هذه النقطة على ما يظهر ينتهي عيد مين الأصلي، وعلى ذلك فإن المشاهد التي نصفها بعد ذلك — وهي خاصة بعبادة الملك — قد أُلحقت بالاحتفال بالإله «مين» في عهد لا يمكن تحديده على وجه التأكيد، فنشاهد تشريفاتي القصر يقدم للفرعون محشة من النحاس الأسود مموهة بالذهب وحزمة قمح. وعندئذ ترتل مغنية وهي في الواقع الملكة «صيغة» دينية سبع مرات وهي متجهة نحو الفرعون الذي يقطع بدوره باقة القمح بالمحشة، وبعد ذلك تُقدم الباقة للفرعون ثم للإله، وأخيرًا تقدم سنبلة للملك، وفي أثناء هذا الاحتفال يرتل كاهن أنشودة، وفي خلال ذلك تقوم المغنية وهي الملكة برقصة دينية. والأنشودة تشيد بقوة الإله «مين» الخصب وهو الذي يسميه المتن

«ثور أمه»، ويُلاحَظ أن الملك في أثناء القيام بهذه الشعيرة قد أُحيط بالثور الأبيض وبتماثيل أجداده، ولكن هؤلاء قد أصبح عددهم الآن كما لاحظ ذلك «جاكوبسون» (راجع ,Jacobsohn Dogmatische stellung p. 35) تسعة وهم: «تاسوع» الثور الأبيض. وبعد الاحتفال بقربان السنبلة يبتعد الفرعون عن المعبد بوجهه متجهًا نحو الشمال، وبعد ذلك يلف حوله. وينتهي العيد في الواقع بشعيرة إطلاق أربعة طيور، وهي المفروض أنها تعلن في الأركان الأربعة للأفق تجديد الملكية.

معنى العيد الكبير للإله «مين»

يجد المؤرخ صعابًا كبيرة عندما يريد تفسير هذا العيد. ولا أدل على ذلك من صعوبة تتبع المشاهد التي يشملها الاحتفال به. وعلى أية حال فإنه مما لا جدال فيه أن الاحتفال بعيد «مين» يحتوي على ثلاثة فصول مميزة: أولها يمثل ظهور الإله ممثلًا بعضو التذكير منتشرًا في احتفال إلهي معروف، والثاني يمثل الفرعون وهو يشرف على عيد الحصاد بنفسه، وأخيرًا يظهر في شعيرة إطلاق الطيور الأربعة المعروفة الخاصة بعبادة الفرعون نفسه.

وتبتدئ الصعوبة عندما نشرع في الربط بين هذه المشاهد الثلاثة، فالواقع أن الإله «مين» يظهر في خلال عيده بوصفه «إله حصاد». ويكفي للدلالة على ذلك أنه كان — قبل كل شيء — إله خصب ونماء، وأن في مقدوره بخاصيته هذه أن يُعد إله التناسل والإكثار. غير أن هذا البرهان لم يرضِ جمهرة علماء الآثار الذين درسوا مناظر مدينة «هابو»؛ إذ يعتقدون أن «مين» عندما يشرف على الحصاد يقوم بدور «أوزير» الذي ينسب إليه وحده قوة الخصب.

ولا نزاع في أن وجهة النظر هذه غير بعيدة عن جادة الصواب، فقد رأينا — في غير هذا المكان — أن الإله «مين» قد وُحد بالإله «حور» منذ عهد بعيد، وأنه كان يُعد في «قفط» ابن «إزيس» وزوجها، وأن هذه العلاقة المزدوجة هي التي جعلته يُنعت بلفظة «كاموتف» — أي فحل أمه.

وسنرى فيما بعد أن لهذه الملاحظة أهميتها. غير أن دور «أوزير» في هذا الشأن ليس بواضح — كما يزعم أصحاب هذا الرأي. وقد أجاز كثير من المؤلفين — مقتفين رأي الأستاذ «موريه» — أن الثور الأبيض كان يتقمصه «أوزير»، بل أضافوا إلى ذلك أنه يلبس لباس الرأس الذي كان يلبسه «أوزير» كذلك، ولكن هذا لا يطابق الواقع كما يقول «جاكوبسون» Ibid P. 31؛ إذ إن لباس الرأس هذا إنما هو للعجل «بوخيس».

والواقع أن قرص الشمس الذي يكنفه ريشتان لم يكن قط لباس رأس للإله «أوزير»، يُضاف إلى ذلك أن قربان باقة القمح كان يجب أن يكون — على حسب رأي «موريه» (Le mise à mort di Dieu en Egypte P. 23) تمثيلية مقدسة تمثل قتل روح القمح والخصب في صورة باقة القمح والثور. والواقع أنه لا المتون ولا الرسوم في مدينة «هابو» تسمح بقبول مثل هذه النظرية. ومن جهة أخرى ذكر لنا الأستاذ «جاردنر» أن عيد الإله «مين» يتفق إقامته مع عيد إلهة الحصاد «إرنوتت» وهو العيد الذي كان يُحتفل به في أبهة عظيمة في مصر في اليوم الأول من فصل الصيف (J. E. A. II, P. 125) وعلى الرغم من أن لوجه الشبه هذا أهمية كبرى، فإنه لا يدل — مع ذلك — على أن لعيد الإلهة «إرنوتت» تأثيرًا ما على صبغة الإله «مين» البدائية. هذا فضلًا عن أنه كان لهذا الإله تأثير حسن على الحصاد بوصفه إله الإكثار. وقد بقي علينا الآن أن نفسر الدور الذي كان يلعبه الثور الأبيض في عيد الإله «مين»، وكذلك اشتراك الفرعون في هذا العيد، وهذا ما بحثه «چاكوبسون» بوجه خاص (Ibid P. 29–40) فهو يرى أن بسون الثور الأبيض ليس بصورة يتقمصها «أوزير»، بل هو موحد «بكاموتف» (فحل أمه) أي الإله «مين» بوصفه فحل أمه.

والنقطة المهمة في العيد نجدها في اللحظة التي يقدم فيها الملك للإله «مين» القرابين العظيمة التي تكلمنا عنها فيما سبق، وقد رأينا أنه كان يُنشد في هذا الاحتفال أناشيد يجدر بنا أن نقتبس منها الفقرة التالية:

الحمد لك يا «مين»، أنت يا من أتيت والدتك، كم كان خفيًّا ذلك العمل الذي عملته في الظلمة!

ويظن «جاكوبسون» — بحق — أن الإله «مين» قد جدد في هذه اللحظة المحددة — اللحظة التي أتى فيها أمه — السر العظيم الخاص «بكاموتف». وعلى ذلك فإن الإله ذا العضو المنتشر هو ابن «أوزير» بوصفه «حور»، أما بوصفه زوج «إزيس» فإنه والد الملك الحاكم. وهو نفسه موحد «بحور» وعلى ذلك فإن تكرار قصة «كاموتف» ليس في ذاته إلا ولادة للملك من جديد، الملك الذي وُضعت فيه قوة جديدة مخصبة منتصرة. وبتركيز الملك في صفاته المخصبة يصبح أهلًا لأن يقدم للإله باكورة المحصول. وهذا هو السر في أن باقة القمح تأتي مباشرة في مراسيم الاحتفال بهذا العيد بعد مشهد مائدة القربان. وبعد ذلك تطلق أربعة طيور — كما كان يحدث في أيام التتويج — لتعلن أركان الأفق الأربعة خبر تولية «حور» الحي الذي تصابى بالتمثيلية التي مُثلت على النمط السابق. وعلى حسب هذا التفسير الذي يلتئم مع المتن إلى حد بعيد نشاهد أن الدور الذي لعبه «أوزير» يكاد لا يكون شيئًا مذكورًا.

وخلاصة القول أننا نلحظ أن عيد «مين» كان مشفوعًا بعيد للملك، أو بعبارة أدق بعيد روح (كا) الملك. والواقع أن الملك كان يتصل بروحه بأجداده وبالإله نفسه. وقد وجدنا في مشهد من أقدم المشاهد التي تمثل عيد «مين» أنه لا يتبع الملك إلا روحه (كا) التي تحل في الحفل محل الثور الأبيض، وكذلك شارات خدام «حور» وتماثيل الأجداد، وذلك يعني أن فيه قوة الإله وقد مُثلت في مدينة «هابو» في الثور الأبيض، وفي قوة كل شجرة الأجداد الذين كانوا يقومون في هذه الحالة — كما رأينا — بدور الوسطاء. وهذه القوة التي كانت توجد حقيقة في الروح (كا) قد حُددت بصورة ما فيما خفي من أمر «كاموتف» في اللحظة نفسها التي جُددت فيها الطبيعة أيضًا. وهذا التجديد للطبيعة كان قد نُسب — كما نُسب تجديد الملكية — إلى العمل العظيم القوة المنسوب لإله الخصب «مين كاموتف» بغشيانه أمه.

وعلى الجزء الأسفل من الجدارين الشمالي والشمالي الشرقي مناظر ليست على شيء من الأهمية، فعلى اليسار السفن المقدسة لثالوث «طيبة» — «خنسو» و«موت» و«آمون» — والملك يقدم لهم القربان، وعلى اليمين الكهنة يحملون هذه السفن إلى خارج المعبد في حين كان الملك يقترب من خلف سفينة رابعة ليستقبل هذا الثالوث المقدس.

طرقات الأعمدة الواقعة في الجنوب والجنوب الشرقي

على جدران هذه الطرقات ذوات العمد قد مُثل عيد «بتاح سكر»، ويبتدئ الحفل على يسار الباب بموكب مؤلف من كهنة يحملون سفنًا مقدسة وتماثيل الآلهة وأعلامًا وأدوات معبد، وفي الخلف يقف الملك وعظماء بلاده. ثم يُشاهد بعد ذلك — على الجدار الجنوبي — رمز هائل للإله «نفرتم» ابن الإله «بتاح» يحمله ثمانية عشر كاهنًا، ويمسك الفرعون بحبل يجره ستة عشر كاهنًا، كما كان يُطلق البخور كاهنان أمام الملك، ويأتي بعد ذلك ستة عشر كاهنًا آخرون يحملون قارب الإله «سكر» — إله الموتى برأس صقر — يتبعه الفرعون، ثم يضحي الفرعون أمام السفينة المقدسة، وأخيرًا يضحي الفرعون أمام الإله «خنوم» الممثل برأس كبش، وإلهين آخرين، وأمام الإله «سكر-أوزير» الذي مُثل برأس صقر، ويقدم له طبقًا عليه خبز. وفي أسفل هذا المنظر مناظر حربية، فالمنظر الأول منها — وهو على الجدار الجنوبي الشرقي — يُرى فيه الفرعون مهاجمًا اللوبيين بفرسانه راميًا عن قوسه. أما المشاة فكانوا يحاربون في معمعة وحشية، وكان يساعد المصريين جنود «الشردانا» المرتزقة في الصف الأسفل. والمنظر الثاني يمثل عودة الفرعون من حومة الوغى، يسوق عربته، ويتبعه ثلاثة صفوف من أسرى اللوبيين، والأغلال في أعناقهم مسوقين أمامه. وخلفه اثنان من حاملي المراوح. والمنظر الثالث يمثل الفرعون يقود الأسرى من اللوبيين أمام الإله «آمون» وزوجه «موت»، وعلى الجدار الجنوبي منظر يمثل الملك قاعدًا في عرشه، وظهره إلى الخيل مستقبلًا الأسرى اللوبيين — لونهم أحمر خفيف — وقد ساقهم إليه في صفوف أربعة أولاده وأشراف آخرون، وكانت الأيدي وأعضاء الإكثار التي قُطعت

من جثث القتلى تُحصى أمامه، والجزء الأعظم من هذا الجدار يشغله متن مؤلف من خمسة وسبعين سطرًا في وصف حوادث الحرب؛ وقد ترجمناها فيما سبق.

والجدار الخلفي للممر الغربي الذي على الطوار مُثل عليه ثلاثة صفوف من المناظر، ففي الصفين العلويين يُرى «رعمسيس الثالث» يتعبد لآلهة منوعة، وفي الصف الأسفل — كما هي الحال في الرمسيوم — مُثل أولاد الملك وبناته، وتدل شواهد الأحوال على أن الأسماء التي وُضعت بجانب هؤلاء قد أُضيفت في عهد «رعمسيس الرابع». والحجرات الباقية التالية لم يبقَ من جدرانها وعمدها إلا الجزء الأسفل فتدخل أولًا قاعة العمد الكبرى، وكان سقفها يُحمل في الأصل على أربعة وعشرين عمودًا نُسقت في أربعة صفوف، كل منها ستة عمد، ويُلاحَظ أن ثمانية العمد التي في الوسط أكثر كثافة من العمد الأخرى. ويُشاهد على الجدران مناظر للفرعون في حضرة آلهة مختلفين. ومن النقوش الهامة التي على الجدار الجنوبي صور أواني الذهب التي يقدمها «رعمسيس الثالث» للآلهة «آمون» و«موت» و«خنسو» الذين يتألف منهم ثالوث «طيبة».

وينتقل الإنسان بعد ذلك إلى ثلاث قاعات صغيرة متتالية، منها اثنتان في كل منهما أربعة عمد اسطوانية، وفي الثالثة أربعة عمد ذات أضلاع. وفي القاعة الثانية من هذه مجموعتان من الجرانيت الأحمر. فالتي على اليسار تمثل «آمون» و«ماعت»، والتي على اليمين تمثل الفرعون والإله «تحوت» في صورة الطائر «أبيس»، أما الحجرات الأخرى التي في الخلف فقد أُهديت لآلهة مختلفين، فالحجرات التي على يسار الحجرة كانت مخصصة للإله «أوزير». ويُلاحَظ أن إحدى الحجرات لها سقف مقبب عليه مناظر فلكية، ومن حجرة خاصة يصعد سلم إلى حجرات أخرى في الدور العلوي، ويتصل بقاعة العمد الكبرى كذلك من جانبيها الشمالي والجنوبي سلسلة حجرات (PL. 1–11) وتؤلف التي في الجهة الجنوبية منها بيت مال المعبد أو خزانته، والمناظر التي على جدران حجرات الخزانة تشير إلى الطرائف التي أُودعت فيها، ففي الحجرة الأولى نشاهد الملك يقدم «لآمون» مقابض بردي أمسك بها أسود تمثل رءوسها رأس الفرعون، أو أشكالًا

راكعة للفرعون، وفي الحجرة الثانية يقدم الفرعون للإله «آمون» أواني ثمينة، وصناديق أغطيتها على هيئة كباش أو «بولهول» أو رءوس حباش وصقور، أو ملوك. وفي الحجرة الثالثة يقدم الملك «لآمون» حقائب مملوءة بالأحجار الكريمة. وفي الحجرة الرابعة يهدي الملك «لآمون» أدوات مائدة ثمينة، وحليًّا وأعوادًا من الذهب والفضة والقصدير. وفي الحجرة الخامسة يقدم الملك أكوامًا من الذهب ومعادن أخرى ثمينة. وفي الحجرات السادسة حتى الحادية عشرة نشاهد الملك يقدم قربانًا لآلهة مختلفين. وفي الحجرة السابعة يقدم الأمراء والأميرات هدايا للملك والملكة. وفي الحجرة العاشرة يُرى تمثال ضخم من المرمر للإله «بتاح» فُقد رأسه، ويرجع تاريخه إلى عهد الملك «أمنحتب الثالث» وقد عُثر عليه في الردهة الأولى.

وفي الجهة الجنوبية من المعبد نشاهد بقايا قصرين، وقد كشف عن جزء صغير منهما «هنري برتن Henry Burton» في عام ١٩١٣. وكشف عن بقاياهما تمامًا بعثة «شيكاجو» بقيادة الأستاذ «هلشر»، وقد كان أحد هذين القصرين مبنيًّا فوق الآخر وكلاهما أقامه «رعمسيس الثالث». وحجرة العرش توجد في أحد هذين القصرين، ولا تزال تشتمل على القاعدة المصنوعة من المرمر التي كان يُوضع عليها العرش، ويصل إليها الإنسان بسلم يتألف من ثلاث درجات، وعلى اليسار حجرة نوم الفرعون وبها طوار مرتفع للسرير في كوة. وعلى اليمين حجرة الحمام وحجرة ملابس الفرعون، وفي الجهة الغربية حجرات الحريم الملكي، وبها مكان لعرش الفرعون وحمام. وخلف ذلك من جهة الجنوب ثلاث مجاميع من الحجرات الخاصة بالحريم، كل منهن لها حجرتان خاصتان بالاستقبال وحمام وحجرة للزينة. وفي الجهة الغربية من القصر بئر يصل إليها الإنسان بسلم، ولوحة البئر تمثل آلهة النيل يمنحون المياه، و«رعمسيس الثالث» يصب عليه الماء كل من الإلهين «تحوت» و«حور»، وكذلك الملك في حضرة الإله «خنسو نفر حتب».



شكل ٧: «منظر صيد» الفرعون يطارد ثيرانًا برية.

والمناظر التي على الجدران الخارجية للمعبد لها أهمية عظمى، إذ قد نُقش معظمها تخليدًا لذكرى الحروب التي شنها «رعمسيس الثالث» على الأقوام الذين أرادوا دخول مصر عنوة واستيطانها. كما تصف لنا مغامرات الفرعون في الصيد والقنص.

ونبتدئ هنا بوصف مناظر الصيد والقنص التي تركها لنا على الجدار الجنوبي للبوابة الأولى. فنشاهد الملك في أعلى الجدار يصطاد في عربته حيوان الصحراء، ونراه يطارد تيوسًا برية،

مظهرًا قوَّة ومرونة في تتبع فريسته وإردائها قتيلة، مضرجة بدمائها.

وقد فُسر هذا المنظر بالمتن التالي:

> إن الملك لجميل في حظيرة صيده مثل «ست» رفيع السلاح (القوس) شجاع مهلك الماشية البرية، ومقتحم في وسطها كالصقر الذي يترقب الطير الصغير، وبذلك تخر مكدسة أكوامًا في مكانها كأكوام إضمامات القمح، ويداه اليمنى واليسرى تستوليان دون خطأ، ومجلس الثلاثين ورؤساء الممالك الأجنبية يُشاهدون آيات شجاعته. أما أهل الأرض قاطبة فإنهم يفرحون عند انتصاراته، فساعده ضخم قوي يصطاد الأقواس التسعة، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين: الخ (Historical Records Text P. 144).

هذا ونرى الفرعون في منظر آخر راكبًا عربته، ومظهرًا مهارته في طراد ثيران برية، وفي ركابه أمراء يصطادون معه، على حين نجد جنودًا يقومون بالطعان له، فنشاهد المطاردين ينقضون في أنحاء السهل إلى أن يصلوا بالقرب من مكان مستنقع، وهنا يلمحون بعض الحيوانات، فينقضون عليها وهي ترعى في أدغالها، وعندئذ ينتصب الفرعون بجسمه الجبار في عربته، ويصوب سهامه بساعده القوي فيصيب الهدف، ويقتل فريسة ثم يجرح أخرى، فتسقط على الأرض فاغرة خرطومها وقوائمها متصلبة، ونرى ثالثة ترخي لساقيها العنان في وسط مستنقع يسبح فيه السمك وتطير في أعشابه طيور الماء، وقد اشترك رجال الحاشية في هذا الطراد بحرابهم وسيوفهم، وقد أخذوا يهرولون في وسط الأعشاب الملتفة بنشاط وحركة عظيمة، وقد ساعدوا الفرعون بقلب فرح وحرارة في متابعة طراده وإصابتها إصابة قائلة. وعلى الرغم من وجود بعض الأخطاء الفنية في هذه المناظر فإنها مقبولة في جملتها؛ إذ كان مؤلفها حريصًا على جمع عناصرها، كما أنه عرف كيف يعالج هذا النوع، بحيث يجعل الأشخاص تحيا فيه بما أوتي من قوة

الإخراج، ومع أن طريقة الإخراج لا تدل على يد مفتن قدير فإنها تشعر بأنه كان قوي الملاحظة، هذا إلى أن الروح الفني لم يكن ينقصه، وإن كان غير ناضج تمامًا. ولا نزاع في أن الإنسان مع ذلك يقدِّر في هذه الصورة هبة المفتن الذي يجيد إخراج المناظر الريفية والحيوانية، ويشعر بأنه يحب الطبيعة بإخلاص مما جعله يترجم بأمانة ما وقع عليه نظره إلى درجة لا يُستهان بها في ذلك العصر.

وقد نُقش تفسيرًا لهذا المنظر المتن التالي (Historical Records ibid 145):

> حور القوي، قاهر القوى، وإنه ينظر إلى الثيران والأسود كأنها مجرد أولاد آوى، وهو الواحد القوي المعتمد على ساعده، الشاعر بقوته، والطارد قطعانًا من الثيران البرية كأنه في حرب معها وجهًا لوجه، ممسكًا عن يمينه، وقابضًا عن يساره، وإنه مثل «منتو» ثور جبار عندما يغضب مذبحًا أراضي «الآسيويين» ومبيدًا بذرتهم، وجاعلًا العدو يولي الأدبار.

وعلى الجزء الغربي من الجدار الجنوبي تقويم أعياد «رعمسيس» وهو يحتوي على قائمة طويلة مملوءة بالضحايا المعينة التي يقدمها هذا الفرعون للمدة ما بين السادس والعشرين من شهر بشنس، وهو يوم تتويج «رعمسيس الثالث» واليوم التاسع عشر من شهر طوبة. وفي أسفل هذا التقويم موكب من الكهنة يحملون أطعمة، وعلى اليمين والشمال نافذة شرفة القصر التي يصل إليها الإنسان بدرج سلم، ويظهر الملك فيها وهو يذبح الأسرى، وفي كوة النافذة يُرى الملك وحاشيته ذاهبين إلى الشرفة.

وعلى الجدار الغربي مناظر من الحروب التي شنها الفرعون على السود من أهل السودان. وأول سلسلة من المناظر التي تمثل الحروب على اللوبيين يُشاهد على الجزء الجنوبي من الجدار

الفرعون في الواقعة، ويلي ذلك واقعة نصر يُساق فيها أسرى من السود، ثم نرى تقديم الأسرى أمام الإله «آمون».

وعلى النصف الشمالي من الجدار «منظر حرب لوبية»، يُشاهد الملك الذي يقف خلفه الإله «تحوت» أمام «آمون» و«خنسو»، وبعد ذلك يُرى الملك والإله «منتو» ممثلًا برأس صقر وأربعة كهنة يحملون رموز أصنام على رءوس قضبان، وأخيرًا يُرى الفرعون في عربته الحربية يصحبه حرسه.

وعلى الجزء الغربي من الجدار الشمالي عشرة مناظر من مناظر الحروب التي شنها الفرعون على اللوبيين، ومنظر موقعة بحرية انتصر فيها الفرعون على أقوام أمم البحار، وفي الجزء الشرقي من الجدار مُثلت الحروب السورية، وهاك مختصر ما جاء على هذا الجدار:

في النصف الغربي يُشاهد أولًا الجيش المصري يتحرك وبجانب عربة الفرعون يمشي أسد، وفي عربة أخرى أمام عربة «رعمسيس» حُمل علم الإله «آمون» برأس كبش — رمز الإله آمون. والمنظر الثاني يمثل واقعة مع اللوبيين. وفي الثالث يُرى الفرعون يخطب في خمسة صفوف من الجنود الذين يسوقون أسرى من اللوبيين، وكذلك يُحصى أمامه الأيدي وأعضاء الإكثار التي تبلغ ١٢٥٣٥. وفي المنظر الرابع يُرى الفرعون في شرفة قصره يشرف على تجنيد الجيش، فتحضر الأعلام، وتوزع الأسلحة على العساكر. والمنظر الخامس: يُشاهد فيه الفرعون يتحرك نحو سوريا، ويسير أمامه جنود بالحراب والأقواس. وفي أسفل جنود «شردانا» المرتزقون. والمنظر السادس يمثل موقعة مع قبائل البحار الجائلين في فلسطين، ويُشاهد الفرعون وهو في عربته يفوِّق سهامه على الأعداء من أهل «ثكر» الذين يُميَّزون بقبعاتهم الغريبة، وقد كان أطفال العدو ينتظرون نتيجة الموقعة في عرباتهم التي تجرها الثيران. وفي المنظر السابع: الملك في طراد أسود، حيث يُشاهد أحد الأسود مختبئًا في أحد الأدغال، وقد اخترق جسمه حربة الفرعون وسهامه،

كما يُشاهد آخر خارًّا على الأرض تحت سنابك جواد الفرعون. وفي أسفل ذلك يسير جيش من الجنود المصريين والمرتزقة. والمنظر الثامن يمثل واقعة بحرية شنها أقوام البحر الأبيض المتوسط الذين قابلهم الأسطول المصري عند مصب النيل، ويُشاهد الفرعون يفوِّق سهامه على أسطول الأعداء.

وتُرى إحدى سفن العدو قد انقلبت في الماء، وتميز سفن الأسطول المصري بصورة الأسد التي على مقدمتها، ويُلاحَظ أن واحدة منها — على الجهة اليمنى من أسفل — فيها عدد عظيم من البحارة، وتحتوي على أسرى من قوم «ثكر» مغلولة أعناقهم، وفي الصف الأسفل نشاهد أسرى آخرين يساقون والملك نفسه يطأ على أسرى الأعداء، وأمامه بعض الرماة، كما نشاهد فوقه إلهة الوجه البحري ترفرف في صورة نسر. وفي المنظر التاسع يُشاهد الفرعون وقد نزل من عربته مستقبلًا من شرفته العظماء الذين يقودون له الأسرى، وفي الصف الأسفل تُرى الأيدي المقطوعة تُحصى. وعلى اليسار تقف العربة الملكية، وفوق ذلك صورة قلعة «رعمسيس»، ومن المحتمل أنها تمثل قصر مدينة «هابو».

وفي المنظر العاشر يقدم الفرعون صفين من الأسرى: الأعلى يمثل قوم «ثكر»، والأسفل من اللوبيين لثالوث «طيبة» «آمون» و«موت» و«خنسو».

أما النصف الشرقي من الجدار الشمالي فيشمل عدة صور طريفة، فعلى الجدران الخارجية للردهة الأولى يُشاهد في الصف الأعلى من الشمال إلى اليمين؛ أولًا: «رعمسيس الثالث» يهاجم قلعة سورية. ثانيًا: يُرى الملك ينزل من عربته بعد النصر ويطعن سوريا بحربته. ثالثًا: يتسلم الفرعون الأسرى. رابعًا: يقدمهم ومعهم أوانٍ فاخرة للإلهين «آمون» و«خنسو».

وفي الصف الأسفل من نفس الجدار من الشمال إلى اليمين يُرى؛ أولًا: «رعمسيس الثالث» يهاجم قلعة لوبية. وثانيًا: نشاهد أسرى لوبيين. وثالثًا: يُقدَّم للفرعون ثلاثة صفوف من الأسرى على يد

ضباطه. ورابعًا: منظر يمثل عودة الفرعون بالأسرى وتحية العظماء للفرعون. وخامسًا: منظر تقديم الأسرى من اللوبيين للإلهين «آمون» و«موت».

وعلى البوابة ثلاثة مناظر؛ الأول: وهو في الصف الأعلى يمثل الفرعون يهاجم قلعة يدافع عنها جنود «خيتا». والثاني: منظر تحت السابق يمثل الملك وقد نزل من عربته الحربية، ووضع الأغلال في أعناق اللوبيين.

هذا وصف مختصر لما نشاهده على المعبد الجنازي الذي أقامه بنفسه هذا الفرعون في «طيبة» الغربية على غرار ما كان يفعله أجداده في عهد الدولة الحديثة ليكون مقرًّا لروحه، والآن نتحدث عن المكان الذي أقامه ليكون مثوًى لجثمانه.



شكل ٨: مومية «رعمسيس الثالث».

(٤-١٧) مقبرة «رعمسيس الثالث»

تدل شواهد الأحوال على أن المقبرة التي حفرها «رعمسيس الثالث» لنفسه، قد بُدئ فيها في عهد والده «ستنخت» وهي المعروفة الآن برقم ثلاثة، غير أنه على ما يظهر قد تركها بعد موت والده، واغتصب المقبرة التي كان والده قد حفرها لنفسه، وأتم جزءًا كبيرًا من نقوشها. ويُقال إن

«ستنخت» قد ترك مقبرته هذه لأن سقفها قد تصادم مع مقبرة الملك «أمنمس» وأن «ستنخت» اغتصب مقبرة «توسرت» ليُدفن فيها؛ ولذلك غيَّر كل ما كان عليها من نقوش وجعلها باسمه، كما ذكرنا من قبل، ويُقال إن «ستنخت» بدأ هذه المقبرة، وأكمل النقوش حتى الحجرة الثالثة، ولا تزال طغراءاته في الأماكن التي سقط ملاطها ظاهرة حتى الآن (راجع Baedeker p. 306). وعلى أية حال فقد أتم «رعمسيس الثالث» حفر هذا القبر وتزيينه، وهو في الواقع قبر تظهر عليه سيما العظمة، والظاهر أنه قد فُتح في العهود الإغريقية، ولا تزال بعض النقوش الإغريقية عالقة بجدرانه، وقد أعاد فتحه الرحالة «بروس» حوالي عام ١٧٦٩م ومن أجل ذلك يُعرف بقبر «بروس» كما يُعرف كذلك بقبر الضارب على العود؛ إذ وُجد بين الرسوم التي على جدرانه صورة ضارب على العود يغني للإلهتين «أنحور» و«حوراختي» كما سنذكر ذلك في مكانه.

ولا يفوق هذا القبر في الحجم إلا مقبرتا الملكة «توسرت» والفرعون «سيتي الثاني»، أما من حيث نقوشه الغائرة فإنها لا تُعد من الطراز الأول، غير أن تنوعها جعل للقبر قيمة أخرجته عن حد المألوف من مقابر الفراعنة، ولا تزال ألوانه حافظة لبهجتها حتى الآن.

ويقع هذا القبر في الجهة اليسرى من الطريق الحالية في أبواب الملوك، ويمتاز عن بقية مقابر الملوك باحتوائه على عشر حجرات جانبية، حُفرت في ممريه الأولين وبخاصة ما جاء فيها من نقوش ومناظر لم تؤلف من قبل في قبور ملوك هذا العهد فهي فريدة في بابها. ويصل الإنسان إلى مدخله بالسلم المعتاد المائل في وسطه الذي نراه في المقابر الأخرى، وعلى كلا جانبيه عمودان مربعان مزينان برأسي ثورين، وهنا يُلاحظ الإنسان لأول وهلة التقدم العظيم الذي نشأ في أسلوب زينة المدخل، فهو أكثر فخامة من مقبرة «مرنبتاح» الذي لم ينقضِ على عهده إلا سنون قلائل. ويُرى على عتب الباب منظر مُثلت فيه الإلهتان «إزيس» و«نفتيس» تتعبدان لقرص الشمس الذي يحوي في داخله جعلًا، وإله الشمس برأس كبش.

وفي الدهليز الثاني يُشاهد على اليمين وعلى الشمال من المدخل إلهات راكعات تمثل آلهة العدالة تحمي الداخلين بأجنحتها. وعلى الجدار الأيسر يُشاهد الملك أمام الإله «حوراختي» يتبعه عنوان أنشودة إله الشمس، وكذلك تُرى الشمس وثعبان وتمساح ورأسا غزالين، وبعد ذلك يأتي متن أنشودة الشمس ويستمر على الجدار الأيمن، ثم تقابلنا الحجرات الجانبية العشر التي ذكرناها من قبل؛ فعلى جدران الحجرة الأولى — وتقع على اليسار — بعض مناظر من المطبخ الملكي. وفي الحجرة الثانية على اليمين نشاهد صفين من السفن، ففي الصف الأعلى نرى أشرعة سفن قد طُويت، وفي الصف الأسفل نرى سفنًا نشرت أشرعتها. والحجرة الثالثة على اليسار نشاهد فيها في الصف الأعلى مبتدئين بجدار المدخل من جهة اليسار؛ إله النيل راكعًا، ومانحًا خيراته لسبعة آلهة للخصب، وعلى رأس كل منهم سنبلة قمح، وعلى الجدار المقابل مبتدئين من المدخل على اليمين نشاهد كذلك إلهة الحصاد «نبرت» التي صُوِّرت في هيئة امرأة برأس ثعبان، وخمسة أصلال مرتدية ميدعات «مرايل» وإلهين للخصب. وفي الصف الأسفل المهشم من جهة اليسار نشاهد إله النيل للوجه البحري أمام الإلهة «نبرت» (القمح) وثلاثة أصلال. والحجرة الرابعة يمكن أن يُطلق عليها «مكان تسليح الفرعون»؛ لأن جدرانها مزينة برسوم أسلحة، وأعلام، وزرد. وفي الحجرة الخامسة يُشاهد إله النيل والحقول يجلب قربانًا من الأزهار والفاكهة والطيور. وفي الحجرة السادسة على اليمين وهي بيت مال الفرعون قد صُور على جدرانها أدوات وأثاث منزلي منوع؛ ففيها أوانٍ، وجرار، وزجاجات — ومن بينها الأواني ذوات الرقبة الكاذبة التي كانت تُجلب من جزر بحر إيجه — وأسنان فيلة، وقلادات، وكراسي، ومقاعد وثيرة عليها وسادات، يرقى إليها الإنسان بوساطة درج. والحجرة السابعة — على اليسار — يجد الإنسان فيها على كلا جانبي المدخل الروح الحارس للملك يحمل قضيبًا ينتهي بصورة رأس الملك. وعلى الجدران الأخرى صفان من صور مجاديف مع ثعبانين وحيوانات مقدسة، والصف الأسفل مهشم. وفي الحجرة

الثامنة على اليمين نشاهد صور حقول مقدسة يجري فيها الحرث والبذر والحصاد، والملك يسبح في قناة.

وفي الحجرة التاسعة على اليسار نشاهد ضاربًا على العود يغني للإلهين «أنحور» و«حوراختي» الذي مُثل برأس صقر، وعلى اليمين صورة مماثلة للصورة السابقة غير أنها مهشمة، ومتن الأغنيات قد نُقش على جدران المدخل وقد كان حداؤها:

استقبلوا «رعمسيس» المنعم.

الحجرة العاشرة — على اليمين — يُشاهد على جدرانها عشر صور مختلفة للإله «أوزير»، وقد جرت العادة قبل ذلك العهد ألا تُرسم أشياء مادية على جدران المقابر الملكية، غير أن «رعمسيس الثالث» قد ضرب بهذا التقليد عرض الحائط؛ لأنه — كما يظهر — لم يكن يرغب في الاعتماد كلية على إلاهيته في إسعاد روحه بعد الموت، بل أراد أن يفعل ما يفعله أفراد الشعب في مقابرهم، فصور على قبره كل ما يلزمه لذلك. ويؤدي هذا الدهليز الذي يحتوي هذه الحجرات الصغيرة إلى حجرة تقابل في العادة الدهليز الثالث، وعند هذه النقطة كان لا بد للعمال الذين يعملون في المقبرة من الانحراف في سير العمل في حفر المقبرة إلى جهة اليمين تفاديًا للقبر المجاور وهو قبر «أمنمس» كما ذكرنا من قبل. ويُشاهد على الجدار الخلفي لهذه الحجرة إلهة تمثل الجنوب ترفع جرة ماء. ويظهر الفرعون على الجدران الأخرى لهذه الحجرة مقدمًا القربان لآلهة مختلفين.

ننتقل بعد ذلك إلى الدهليز الرابع فنجد ممثلًا على الجدار الأيسر سياحة الشمس في عالم الآخرة في أثناء الساعة الرابعة من الليل، وكذلك سياحتها في الساعة الخامسة على الجدار الأيمن، وذلك من كتاب «ما يوجد في العالم السفلي». وعلى حسب هذا الكتاب قُسم العالم السفلي اثني عشر إقليمًا يقابل كل منها ساعة من ساعات الليل، وقد قُسم الوصف الذي جاء في هذا الكتاب كذلك اثني عشر فصلًا، وفي كل من هذه الأقسام مُثل النهر الذي يحمل سفينة الشمس في الوسط، وفي وسط هذه

السفينة نرى إله الشمس ممثلًا في صورة إنسان برأس كبش يحيط به حاشيته، جالبًا معه لمدة قصيرة النور والحياة في الإقليم الذي يخترقه، وقد مُثل من أعلى ومن أسفل شاطئا هذا النهر مزدحمين بكل أنواع الملائكة والشياطين والوحوش التي ترحب بإله الشمس وتقصي عنه أعداءه.

وفي الحجرة الخامسة نشاهد صور آلهة، وهذه الحجرة تؤدي إلى الحجرة السادسة وهي ممر منحدر له أروقة جانبية وترتكز على أربعة عمد ذات أضلاع مُثل عليها الفرعون أمام آلهة مختلفين. وعلى الجدران اليسرى من عند المدخل نشاهد صورة تمثل سياحة الشمس في الساعة الرابعة من الليل في العالم السفلي، وهي تقابل الفصل الرابع من كتاب البوَّابات. وهذا الكتاب كسابقه في الفكرة؛ حيث نجد أن سياحة الشمس في عالم الظلام مخترقة الأقاليم الاثني عشر لعالم الآخرة تمثل ثانية، ويفصل كل إقليم عن الآخر بوَّابات ضخمة يحرس كلًّا منهما ثعابين هائلة، وكل ثعبان من هذه الثعابين يحمل اسمًا معروفًا لإله الشمس. ولا بد للمتوفى أن يعرفه أيضًا. ويحرس كل باب إلهان وأفعوانان ينبعث من أفواههما نيران تحرس إله الشمس، وتُبعد عنه كل من يريد الاقتراب منه.

وفي الصف الأسفل صورة أربعة أشخاص يمثلون أجناس العالم الأربعة؛ فواحد منهم يمثل الجنس الآسيوي بذقن مدببة وقميص ملون، والثاني — وهو أسود اللون — يمثل الجنس الزنجي، والثالث يمثل الجنس اللوبي، ويتميز بالريشة التي على رأسه وجسمه الموشوم، والرابع هو المصري.

وقد مُثلت على الجدران اليمنى سياحة الشمس في الساعة الخامسة من الليل، من كتاب البوَّابات. وعلى الجدار الخلفي من اليسار إلى اليمين مُثل الملك في حضرة «أوزير».

وفي الحجرة السابعة نجد على جدار مدخلها من اليمين الملك يقوده الإلهان: «تحوت» و«حور خنتي خاتي» الذي مُثل برأس صقر وجسم إنسان، وعلى الجدار الأيسر مُثل الملك مقدمًا

«لأوزير» صورة العدالة. وعلى المساحات الباقية مُثلت مناظر من كتاب «ما في عالم الآخرة» وآلهة تقطع أشجارًا ... الخ.

أما الحجرات الباقية فقد هشم معظمها،[٢٢٩] والحجرة العاشِرة منها كانت تحتوي على تابوت هذا الفرعون، وهي ترتكز على ثمانية عمد مضلعة، ولها حجرات جانبية يؤدي بعضها إلى البعض الآخر، وقد نُقش على جدرانها مناظر خرافية وفلكية.

والحجرات[٢٣٠] الجانبية رُسم عليها الماشية المقدَّسة، وأشكال «أوزير» ومملكة «أوزير» ومتن هلاك الإنسانية، وبعد هذه الحجرة الكبيرة ثلاث حجرات[٢٣١]صغيرة مُثل على جدرانها صور حيات، وتابوت هذا الفرعون ليس في مكانه الأصلي، بل يُوجد في «متحف اللوفر». أما الغطاء فيوجد في «متحف فتزوليم» بكمبردج. وحوض التابوت قد صُنع من الجرانيت الوردي على صورة طغراء ملكية، وهو جميل الصنع، وقد كان ضمن مجموعة «صولت» واشتراه «متحف اللوفر» عام ١٨٢٦م. وقد نُقل من مكانه الأصلي، وكان بطبيعة الحال يحتوي على التوابيت الصغيرة الأخرى الخشبية كما نشاهد ذلك في تابوت «توت عنخ آمون». وقد صُوِّرت الإلهة «نفتيس» راكعة عند رأسه، والإلهة «إزيس» راكعة عند قدميه، وقد نشرتا أجنحتهما على التابوت لحماية الفرعون. والنقوش التي على هذا التابوت خاصة بالسياحة التي تقوم بها سفينة الشمس في أثناء الليل في العالم السفلي، وهذه السياحة قد مُثلت بطريقة سهلة بوجه خاص على الجهة الجنوبية التي كانت ظاهرة للمتفرج. وقد مُثلت الحوادث عليه في ثلاثة صفوف عمودية بعضها فوق بعض. ولكن يجب أن نتصورها في أذهاننا بتصميم أفقي — والصف الأعلى هو أبعدها. فالصف الذي في الوسط يمثل النهر السفلي الذي تسبح فيه سفينة الشمس، وقد اتخذ إله الشمس مكانه في هذه السفينة ومعه أتباعه، وبقي واقفًا في شكل إله برأس كبش في محراب يحرسه الثعبان «مجن» بطياته. وكانت السفينة تُجر بالأمراس، ويسبقها العلامة الهيروغليفية «شمس» مكررة تسع مرات. وهذه العلامة لا تمثل على حسب رأي «لوريه» متاع بدوي وهي عبارة عن نسيج خيمة ملفوف، وعصا

معقوفة، وسكينة من الظران وتذكرنا بذكرى أقدم الفاتحين لمصر، بل تمثل في الواقع على حسب رأي «زيته» المقصلة المصرية كما سنرى بعد، ويأتي بعد ذلك أربعة كباش تمثل أرواح «أوزير» الأربعة تمشي في مقدمة الموكب. والصفان: الأعلى والأسفل يمثلان شاطئ النهر، وهذان الشاطئان مقسم كل منهما خمسة أقاليم، يقابل كل منها ساعة من ساعات الليل «ويُلاحظ في الصورة بوضوح المصراع الذي يفصل كل باب عن الآخر»، وكل إقليم يسكنه ملائكة مختلفون يظهر أن وظيفتهم هي الترحيب بإله الشمس عند مروره بالأقاليم السفلية، وكذلك القضاء على أعدائه.

والمناظر الممثلة على الجهة اليمنى خاصة بلحظات أخرى للسياحة. وفي الصف الأوسط يُساق للشمس الواقفة دائمًا في وسط السفينة الثعبان «أبو فيس» عدوها مقيدًا، ومطعونًا بخمسة سيوف. أما خمس النسوة اللاتي يتبعنه مسلحات بمدى فإنهن الحارسات الأربع للصناديق الأربعة واللائي دفنَّ جسم الإله تحت كومة من الرمل. وفي الصف الأعلى نشاهد انتصار «أوزير» على أعدائه، وهذا هو رمز انتصار النور على الظلمات. وهذا الانتصار قد مُثل مجموعتين من الناس يتألف كل منهما من ثلاثة رجال قُطعت رءوسهم، وهذا هو السبب في وجود علامة «شمس» التي تستعمل لفصل الرأس.[٢٣٢] ويُشاهد هنا في يد الإله «أوزير» ثعبان يندلع من فمه لهيب نار على أحد رجال المجموعة الأولى. وأخيرًا نشاهد في الصف الأسفل موكبين يتألف كل منهما من اثني عشر شخصًا كل منهم يلتفت في جهة مضادة.

والموكب الأوَّل على حسب رأي «مسبرو» يمثل نجومًا متجهة نحو الإله «حور» الذي مُثل برأس صقر. أما الموكب الثاني فيتألف من اثنتي عشرة امرأة وهو موكب الاثنتي عشرة ساعة التي يتألف منها الليل، وتسير نحو التمساح الذي يحرس رأس الإله «أوزير».[٢٣٣]

(٤-١٨) محاجر السلسلة

وُجد له في «محاجر السلسلة» لوحات مُثل عليها ثالوث طيبة — «آمون» و«موت» و«خنسو»[٢٣٤] وكذلك وُجد له لوحات مُثل عليها الإلهان «آمون» و«سبك» وثمانية أعمدة.[٢٣٥] وأخرى مُثل عليها الإلهان «بتاح» والإله «سخمت».[٢٣٦] وفي «السلسلة» الغربية وُجدت له لوحة مُثل عليها الآلهة «آمون» و«حور» و«حعبي» (النيل) مؤرخة بالسنة السادسة من حكمه.[٢٣٧] وكذلك نقش مؤرخ بالسنة الخامسة، وآخر بالسنة الثالثة.[٢٣٨]

(٤-١٩) سمنة

وُجدت طغراءاته على المعبد يتعبد له موظف.[٢٣٩]

(٤-٢٠) عمارة غرب

وفي معبد «عمارة غرب» نقش «رعمسيس الثالث» اسمه على بعض عمد قاعة الأعمدة؛ كما وُجدت فيه لوحتان عليهما اسمه، وقد أُرخت الأولى بالسنة الخامسة، والثانية بالسنة الحادية عشرة، وقدمهما للفرعون نائب «كوش» المسمى «حوري». والظاهر أن «حوري» هذا هو «حوري الثاني» كما ذكر ذلك الأستاذ «ريزنر» (J. E. A. 6, p. 48, No. 17). وبهذه المناسبة يقول الأستاذ «فرمان» عن نواب «كوش» في عهد الأسرة العشرين: أما عن نواب الفرعون فإن النتيجة الرئيسية يمكن تلخيصها فيما يأتي:

(١) كان «حوري» بن «كاما» — الذي يسميه «ريزنر» «حوري الأوَّل» — يشغل هذه الوظيفة في عهد «ستنخت». والظاهر أن: (٢) خليفته في هذا المنصب هو «حوري الثاني» كما يسميه «ريزنر» وهو الذي ذكر اسمه على اللوحتين المؤرَّختين بالسنة الخامسة والسنة الحادية عشرة من حكم «رعمسيس الثالث». (٣) ولدينا نائب ملك جديد يُدعى «سا إزيس» كان في عهد «رعمسيس السادس». (٤) أما نائب الملك «نوات» — وهو على ما يظهر — «ونتاوات» الذي ذكره «ريزنر» فيرجع عهده إلى حكم الفرعون «رعمسيس التاسع» وكان أبوه «تاححر» كذلك

نائبًا لبلاد «كوش» غير أنه لم يلحظ من قُبل (Ibid 51 No. 20). (٥) وقد ظهر النائب «رعمسيس نخت» على مدخل «معبد عمارة» ومعه طغراءات الفرعون «رعمسيس السادس»، غير أنه قد لا يكون معاصرًا له لأنه قد ظهر ثانية في عهد «رعمسيس الحادي عشر» اللهم إلا إذا كان الأخير نائبًا آخر يحمل نفس الاسم (راجع J. E. A. Vol 25 p. 143).

(٥) نهاية عهد «رعمسيس الثالث»

كانت خاتمة الحروب التي خاض «رعمسيس الثالث» غمارها على الأمم المعادية لبلاده، في السنة الثانية عشرة من حكمه. وتدل كل الظواهر على أنه لم يمتشق الحسام بعدها قط، بل قضى البقية الباقية من سني حكمه في هدوء تام وسلام مستمر، والظاهر أنه كان خلال هذه الفترة التي تلت تلك الحروب الطاحنة يعمل على إسعاد شعبه، كما حدثنا عن ذلك في نقوشه وبخاصة ما جاء في ورقة «هاريس» عن أعماله السلمية، وقد كان عزمه الأكيد وغرضه الوحيد أن يسود النظام الشامل كل أنحاء المملكة، وأن توزع العدالة في أرجائها دون محاباة؛ إذ كان يرى أن أي فرد يحيد عن الحق، أو يُلحِق بالناس أذًى أو ظلمًا لا بد أن يدفع ثمن ظلمه مهما كانت منزلته، فإذا كان من كبار الموظفين حُرم وظيفته، ونُصب مكانه من يعطي العدالة حقها والوظيفة احترامها ومكانتها، ولا أدل على ذلك مما فعله مع وزيره الثائر كما ذُكر من قبل. ولقد يفاخر «رعمسيس الثالث» في ورقة «هاريس» بما فعله مع رعيته من الفقراء والمساكين؛ لراحتهم وإسعادهم في المدن، كما تفعل الحكومات المتمدينة في أيامنا، وقد أنشأ المنتزهات وغرسها بالأشجار الوارفة حتى يستظل بظلالها، ويستمتع بهوائها من ليس لهم حدائق خاصة ولا ضياع مثمرة، وكذلك نراه يطلق شرطته في أنحاء المدن والقرى حتى تأمن النساء شر أولئك الأشرار الذين يتسكعون في الطرقات، ويضايقون ربات الحجال في عدوهن ورواحهن. فأصبحن في عهده لا يجسر أحد على سبهن أو معاكستهن في الطرقات، وقد أصدر الأوامر للجنود المرتزقة من الشردانا واللوبيين وغيرهم من الأجانب الذين كانت تزخر بهم البلاد أن يلزموا داخل حصونهم، وفرض العقوبات الصارمة على

كل من يتعدى أوامره منهم حتى آلت الحالة إلى انعدام أية شكوى من هؤلاء الجنود غلاظ القلوب، الذين استوطنوا البلاد منذ زمن يرجع إلى ما قبل عهد «رعمسيس الثاني».

وتدل النقوش على أن هؤلاء الجنود كان لهم مدن خاصة لسكناهم، هذا ويقول لنا «رعمسيس» في هذه المناسبة نفسها:

> ولقد حفظت كل سكان البلاد أحياء يُرزقون، سواء أكانوا أجانب أم من عامة الشعب أم من أهل المدن ذكورًا أم إناثًا، وخلصت الرجل من مصيبته، ومنحته الحياة، وخلصته من الغاشم الذي اضطهده، وضمنت لكل الناس سلامة في مدنهم.

(راجع ه/٧٨، ٧٩–١ … الخ).

حقًّا إن هذا الوصف مبالغ فيه، ولكن هذه نغمة نعرفها في ملوك مصر وحكامها عندما يريدون أن يتحدثوا عن أنفسهم، وما فُطروا عليه من حب العدالة والإحسان إلى الناس الذين يقومون عليهم، غير أن شواهد الأحوال في عهد «رعمسيس الثالث» وبخاصة ما كانت عليه البلاد قبله من فوضى وسوء نظام تجعلنا لا نكذب كل ما قاله، وعلى أية حال لم يكن الفرعون على ما يظهر في حالة يُحسد عليها كما سنرى بعد.

(٥-١) الاحتفال بالعيد الثلاثين

وقد كان آخر مظهر من مظاهر الفرح والسرور الذي تمتع به «رعمسيس الثالث» قبل وفاته هو الاحتفال بعيده الثلاثيني، وقد أرسل وزيره «تا» في السنة التاسعة والعشرين من حكمه ليقوم بمهام هذا العيد، وعمل اللازم للاحتفال به، ويُحتمل أنه أقيم في نفس هذا العام، وفي هذه الحالة يكون «رعمسيس» قد نُصب وليًّا للعهد قبل موت والده «ستنخت»، وهذا يتفق مع التاريخ الوحيد الذي نعرفه عن عهد «ستنخت». وإذا كان هذا الزعم صحيحًا فلا بد أن الوزير «تا» قد ترك عاصمة

الملك «قنتير»، وذهب جنوبًا ليقوم بالاستعدادات كما يدل على ذلك الفقرة التالية من ورقة «تورين»:[٢٤٠]

> السنة التاسعة والعشرون، الشهر «الأوَّل» من الفصل الثالث، اليوم الثامن والعشرون، أقلع الوزير بعد أن كان قد حضر ليأخذ آلهة الجنوب للعيد الثلاثيني «سد».

وقد ذكر لنا الكاهن الأكبر للإله «نخبت» بمدينة «الكاب» المسمى «ستاو» على جدران قبره زيارة الوزير — بوصفها إحدى الحوادث الهامة في حياته — بمناسبة رحلة الوزير جنوبًا، وزيارته له في أثناء هذه الرحلة.[٢٤١]

وهاك النص:

> السنة التاسعة والعشرون، في عهد جلالة الملك «رعمسيس الثالث» أول احتفال بالعيد الثلاثيني. لقد أمر جلالته بتكليف عمدة المدينة الوزير «تا» ليقوم بتنفيذ التعليمات العادية في بيوت العيد الثلاثيني ليذهب إلى بيت «رعمسيس» محبوب «آمون» (رعمسيس الثاني) الإله الطيب.
>
> استقبال مقدمة السفينة الخاصة باليد المقدسة (كاهنة كبيرة للإله «آمون») عندما كان في المدينة الجنوبية (طيبة). والعبارة الأخيرة مرتبكة وغامضة Br. A. R. IV & 415, Note d.

(٥-٢) المؤامرة التي دُبرت داخل القهر لقتل «رعمسيس الثالث»

وتدل الأحوال على أن آخر عهد «رعمسيس الثالث» بمظاهر السرور كان في عيده الثلاثيني الذي تحدثنا عنه الآن. وتشعر الحوادث التي وقعت وقتئذ أنه لم ينل من السعادة القسط الذي كان يسعى لإغداقه على شعبه؛ لأننا نرى من جهة إضراب العمال يعكر صفو الأمن، كما كانت المؤامرات

في قصره تُحاك له من وراء ستار لما كان بين نسائه من تحاسد وتباغض مما عكر صفو شيخوخته الفانية. فانقلبت أيامه الأخيرة المعدودات بؤسًا وجحيمًا، فدفع ثمن تلك الأيام الحلوة التي كان ينعم بها في قصره بين الغيد الحسان في متنزهه الذي أقامه لهن في مدينة «هابو». وتحدثنا وثيقة من الوثائق التي أبقى لنا الدهر منها على صورة مبتورة بعض الشيء أن إحدى هؤلاء النسوة اللائي كن من المتمتعات بعطفه وحبه على ما يظهر — وإن لم تكن زوجه الرسمية — قد أخذت تسعى في أن يكون الملك لابنها وزينت لابنها سوء عملها، فاندفع وراء إغرائها، وقام بالمؤامرة على قتل والده حتى يخلو له الجو ويتربع على عرش الكنانة، وساعده على ذلك نفر قليل، غير أن المؤامرة أُحبطت وانكشف سرها، ونجا الفرعون بعد أن كان على وشك لقاء حتفه على يد ابنه وعصابته.

والوثائق التي لدينا عن هذه المؤامرة — على الرغم من أنها ممزقة — تضع أمامنا لمحة عابرة عن الدسائس والمؤامرات التي كانت تُحاك في قصر الملوك منذ ما يقرب من اثنين وثلاثين قرنًا مضت من الزمان. وهذا أمر من الأهمية بمكان؛ لأنا لم نعتد أن نرى عن هؤلاء الملوك إلا المسرح الذي تمثل فيه حياة الفرعون والاحتفالات الرسمية المملة التي كان يحتفل بها لابن «رع» منذ ولادته حتى يطير إلى السماء، وهناك ينضم إلى والده.

وليس لدينا في التاريخ المصري في الواقع إلا إشارات عابرة عن أمثال هذه المؤامرات وبخاصة تلك التي حِيكت في قصر أحد ملوك الأسرة السادسة، وكان القاضي فيها هو القائد «وني» (راجع مصر القديمة ج١). هذا بالإضافة إلى المؤامرة التي دبرها حرس «امنمحات» لقتله (راجع الأدب المصري القديم ج١) — وقد اعتبرها البعض خرافة.

وقد تضاربت الأقوال في صحة هذه المؤامرة، وجاء هذا التضارب من اختلاف وجهات النظر في ترجمة متن القصة الذي وصل إلينا في قطعتين من البردي، وكانتا إضمامة واحدة — على ما

يظهر — وتُدعى الأولى «الورقة القضائية» وهي محفوظة في «متحف تورين»، والثانية تُدعى «ورقة تي» «ورقة رولن».

وقد بقيت الترجمة التي وضعها الأستاذ «برستد» الترجمة المعتبرة حتى عهد قريب (راجع Br. A. R. IV, 423 ff. ثم كتب «ستروف Struve») عن ورقة «هاريس» الكبرى.[٢٤٢] وأراد أن يظهر أنها كُتبت في عهد «رعمسيس الرابع» لا في عهد والده «رعمسيس الثالث»، وأنها كُتبت لمصلحة الأول، وأن «رعمسيس الثالث» يخاطب الآلهة والناس من قبله لفائدة ما لا بوصفه واضع هذه الورقة، ولذلك عدَّ «ستروف» أن هذه القصة التي نحن بصددها الآن حديث خرافة، اعتمادًا على ما جاء في ترجمة «برستد»؛ إذ قد لاحظ فعلًا أن وثيقة «لي» التي لها علاقة بهذه المؤامرة نفسها مثلها مثل الورقة المسماة «الورقة القضائية» التي تشير إلى «رعمسيس الثالث» بوصفه ملكًا متوفى، إذ يُدعى فيها «الإله العظيم» وهو نعت لا يُعطاه قط ملك عائش في هذا الوقت، وكذلك رأى «برستد» في الصفحتين الثانية والثالثة من الورقة القضائية تنبؤا بأن الفرعون لم يكن يأمل أن يرى المحاكمة التي كانت تجري مع المتآمرين، فيقول «بستد» في هذا الصدد: يظهر تقريبًا أنه أحس أن أيامه كانت معدودة عندما أعطى التعليمات لمحاكمة المتآمرين … … على أن المؤامرة كادت تفلح في تنفيذها لدرجة أن الفرعون قد لحقه بعض الأذى، وأنه عاش بعد الإصابات التي لحقته إلى أن وجه التحقيق مع القتلة، إلا أن ذلك غير محتمل، بسبب إشارة جاءت في الوثيقة بأن «رع» لم يسمح بنجاح هذه الخطة المعادية، ولكن يمكن أن نفهم بسهولة أنها قد عجلت نهاية الملك المسن حتى لو كان قد نجا سالمًا، ولا نزاع في أن اعتراض «برستد» ليس من القوة بمكان. حقًّا إن هذه العبارة تدل على أن المؤامرة لم تفلح في النهاية، ومع ذلك فلو نجح المتآمرون وجُرح الملك أو قُتل، لما كان تتويج «بنتاور» واستحواذ أنصاره على السلطة أمرًا ممكنًا، وقد خطا «ستروف» في مقاله السالف خطوة أخرى لم يكن «برستد» على استعداد للخوض فيها، إذ أعلن أن الموقف كله الذي تنبأت به هذه الصفحات ما هو إلا من نسج الخيال، إذ

يقول: والواقع أن «رعمسيس الرابع» قد أمر بتأليف المحكمة، ولكن كان له في ذلك فكرة ماهرة ليجعل كل الموضوع يصدر عن والده المتوفى. وعلى ذلك تكون سلطة الملك المتوفى هي التي أوحت بذلك مساعدة لابنه العائش، وبهذه الطريقة أفلت «رعمسيس الرابع» من المقت والكراهية التي قد تنجم عن بداية حكمه بمثل هذه القصة الدامية.

وقد قابل المؤرخون رأي «ستروف» باستحسان عظيم، فمثلًا نجد «إدوردمير» يقتبس من مقاله باستحسان[٢٤٣] لا حد له، ولا بد من الاعتراف بأن «ستروف» قد كسب القضية بحق على شرط أن تكون ترجمته التي استنبط منها رأيه صحيحة، وهي في الواقع لا تخرج عن ترجمة الأستاذ «برستد».

غير أن الأستاذ «دي بك» قد تناول ترجمة الورقة القضائية من جديد، ووجد أن الترجمة التي اعتمد عليها «ستروف» في استنباطاته خاطئة في كثير من النقط وبخاصة في النقط الهامة في موضوعنا، مما جعله يضع ترجمة جديدة لهذه الورقة، واستنباط الحوادث التاريخية الصحيحة منها.[٢٤٤]

وقبل أن نبدأ ترجمة هذه الورقة يجدر بنا أن نعطي ملخصًا لها حتى يمكننا أن نتتبع الترجمة على الوضع الصحيح كما وضعها «ديبك».

تآمرت إحدى زوجات الفرعون «رعمسيس الثالث» للقضاء على حياة ذلك الملك المسن لتولي مكانه على عرش الملك ابنها «بنتاور»، وقد كان رئيس الحجرة المسمى «يببككامن»، وساقي الملك المسمى «مسد-سورع» هما المشتركان الأساسيان معها، وقد استحوذ أولهما من المشرف على ماشية الفرعون المسمى «نبجو ابن» على عدد من التماثيل السحرية التي تمثل صور آلهة ورجال. وكان يعتقد في مفعولها السحري، وأنها تضعف أو تشل أعضاء الناس وقد قدم شخصان آخران تماثيل أخرى مثل السابقة، وهربت إلى داخل الخدور الملكية، وبمثل هذه الأشياء ظن

المتآمرون أنه سيكون في يدهم قوة يستطيعون بها أن يشلوا قوة الحرس الملكي أو تفاديهم على الأقل، وقد كان الخوف منهم أن يكشفوا المؤامرة، وبذلك يعرضونهم للموت المحتم.

وقد استطاع كل من «ييبككامن» و«مسد-سورع» أن يحصلوا على معاونة عشرة من موظفي الحريم يشغلون وظائف منوعة، منهم أربعة سقاة ملكيين، ومشرف على الخزانة يُدعى «اب رع» وضابط مرماة نوبي يُدعى «بنموسي» الذي كان قد طُبع على قلبه بتأثير أخت له في الحريم الملكي، هذا إلى «ببيس» وهو قائد جيش، وثلاثة كتبة ملكيين يشغلون وظائف منوعة. ثم مساعد «ييبككامن» وغير هؤلاء من صغار الموظفين. وكما كان معظم هؤلاء في خدمة الفرعون الشخصية فإن المؤامرة كما هو واضح كانت غاية في الخطورة، وقد حصل المتآمرون على مساعدة ست من نساء ضباط بوابة قصر الحريم لضمان توصيل المراسلات. أما خارج القصر فكان للمتآمرين أقرباء مشتركون في المؤامرة لم يُذكروا بالاسم. وقد أرسلت أخت «بنموسي» له خطابًا يحض الأهلين على عصيان الفرعون، وقد كانت كل الخطابات التي خرجت من الحريم ترمي إلى هذا الغرض. ولا نزاع في أن المقصود من ذلك هو أن تقوم ثورة خارج القصر، في نفس الوقت الذي يضربون فيه ضربتهم لقلب العرش في داخل الحريم. والواقع أنه لم يأتِ ذكر القضاء على الفرعون في المخاطبات التي خرجت من القصر، ولكن ذلك كان أمرًا بدهيًّا لا يحتاج إلى ذكر أو إيضاح. وقبل أن تُنفذ المؤامرة تمامًا كشف أمر المتآمرين بطريقة ما وحصل على براهين قاطعة عن الجريمة التي أرادوا تنفيذها. وقد أمر الفرعون بمحاكمتهم غير أنه مات قبل انتهاء المحاكمة، والظاهر أنه كان يشعر بدنو أجله عندما أصدر التعليمات لمحاكمة المتآمرين؛ وذلك لأنه عند الانتهاء من تأليف أعضاء المحكمة الخاصة التي ستحاكم المجرمين استعمل العبارات التالية:

> استمروا في محاكمتهم … الخ، في حين أني محمي ومحفوظ سرمديًّا عندما أكون بين الملوك العادلين، الذين أمام «آمون رع» … وأمام «أوزير» حاكم الأبدية (عالم الآخرة)

— أي عندما أكون بين آبائي المتوفين.

ولا نزاع في أن المتآمرين قد أفلحوا في مؤامرتهم لدرجة أنهم قد جرحوا الفرعون، وأنه عاش بعد ذلك إلى أن وجه أمر محاكمة الذين أرادوا قتله غيلة.

وقد تلقت المحكمة المكلفة بمقاضاة المتآمرين تعليماتها من الفرعون مباشرة، ولم تكن قد أُعطيت الحرية المطلقة في النطق بالحكم وحسب، بل كان كذلك في يدها القوة النهائية في تنفيذ العقاب الذي يصدره أعضاؤها،[٢٤٥] وقد كان ذلك — في غير هذه الحالة — في يد الفرعون وحده بعد انتهاء المحاكمة. وقد حث «رعمسيس الثالث» في الوقت نفسه القضاة على أن يكونوا متأكدين من ارتكاب الجريمة باتباع الطريقة التي يُسار عليها في أية قضية، وألا يعاقبوا قط غير المذنب.

والمحكمة التي أُلفت كان في يدها السلطة المعتادة، وكانت مؤلفة من أربعة عشر موظفًا، وهم: اثنان يحملان لقب «المشرف على الخزانة»، واثنان من حاملي الأعلام للجيش، وسبعة من «سقاة الفرعون»، و«حاجب ملكي»، وكاتبان. وقد كان من بينهم نوبي وآخر من أهالي «ليسيا» وثالث سوري يُسمى «ماهر بعل»، وكذلك كان فيهم أجنبي لا تُعرف جنسيته يُدعى «قد نونا». ومن تأليف أعضاء هذه المحاكمة يظهر لنا سوء الأحوال في بلاط «رعمسيس الثالث»، فقد كان الفرعون لا يعتمد في بلاطه إلا على سقاة ومديرين لبيته من الأجانب الذين اشترى بطبيعة الحال إخلاصهم، غير واثق فيمن حوله من أبناء الكنانة، وقد ظهرت رخاوة أخلاقهم وتذبذبها من جهة، وخطورة شدة مقاومة المتآمرين من جهة أخرى. نلحظ ذلك من أن اثنين من القضاة وهما الساقي «بيبس» والكاتب «ماي» — وذلك بعد تعيينهما — ومعهما ضابطان آخران، كان المجرمون في حراستهما قد استقبلوا في منازلهم بعض النساء المتآمرات والقائد «بيبس» وعاقروا بنت الحان سويًّا، وهذان القاضيان، وكذلك الضابطان ومعهم قاضٍ آخر، وحاملو العلم قد قُبض عليهم للمحاكمة لما ارتكبوه من سوء تصرف، وحُكم على الأربعة الأول بجدع أنوفهم وقطع آذانهم،

ولكن عند تنفيذ الحكم انتحر «بيبس» وقد وُجد «حوري» بريئًا. أما مصير الملكة «تي» فلا يُعلم عنه شيء؛ لأن الوثائق المحفوظة لم تحتوِ على موضوع محاكمتها. وقد حفظت لنا سجلات أربعة محاكمات مختلفة، ولم يكن كل القضاة حاضرين في هذه المحاكمات الأربع، وقد قام ستة منهم بالمحاكمة الأولى، وأدانوا واحدًا وعشرين شخصًا، ومن بينهم رؤساء المؤامرة «بيبككامن» و«مسنت-سورع» و«بنموسي Binemwese» ضابط الرماة في بلاد النوبة و«بارع» المشرف على الخزانة، هذا خلافًا لزوجات ضباط بوابة الحريم الست، ولم تُعين العقوبة التي وقعت عليهن غير أنها كانت على وجه التحقيق الموت. أما المحاكمة الثانية التي لم يُسمَّ قضاتها فكانت نتيجتها إدانة ستة أشخاص من بينهم «بيبس» قائد الجيش، وقد سمح لهم أن ينتحروا أمام المحكمة. وقد قام بمحاكمة الطائفة ثلاثة من سقاة الفرعون، وكانت تتألف من أربعة من المتآمرين من بينهم الأمير الصغير المجرم المسمى «بنتاور». وقد وُجد أن الأربعة مدانون، وسُمح لهم أن يقضوا على حياتهم بأنفسهم. وبهذه المحاكمات الثلاث تنتهي القضايا الهامة في هذه المؤامرة، أما المحاكمة الرابعة فكانت خاصة بأولئك القضاة الذين أساءوا استعمال سلطتهم، وكذلك حُوكم معهم صاحباهم.

… هذا هو ملخص هذه المؤامرة. وتدل شواهد الأحوال على أن بعض أسماء الذين اشتركوا في هذه المؤامرة كانت أسماء مخترعة تدل على قبح جريمتهم؛ فمثلًا اسم «مسد-سو-رع» يعني «رع يمقته»، واسم «بنموسي» يعني «الشقي في طيبة». ولكن اسم «بنتاور» ليس اسمًا مستعارًا لابن الملك بل هو اسمه الحقيقي كما يقول «دي بك»، وأن عبارة «الاسم الآخر» التي يُشار إليها في القضية ربما تشير للقلب الملكي الذي كان قد منحه إياه المتآمرون عندما أعلنوه ملكًا على البلاد.

والوثيقتان اللتان سنضع هنا ترجمتهما سنجد في أولاهما وهي «ورقة تورين» أن البراهين حُذفت، وبذلك لا تُعد سجلًّا كاملًا للمحاكمات، بل تكون فقط خلاصة تُوضع في ملفات السجلات الملكية. أما الوثيقة الثانية —— وهي التي تتألف من ورقتي «لي» و«رولن» فأقل بكثير من السالفة في

منظرها الخارجي إلا أنها أتم منها، ومن المحتمل أنها كانت تؤلف جزءًا من الوثيقة التي دون فيها الكاتب المحاكمة.

(أ) ترجمة ورقة «تورين»

الصفحة الأولى ممزقة، ولم يبقَ منها إلا كلمات متناثرة، ومن المحتمل جدًّا أن الجزء الممزق كان يحتوي على بعض كلمات كالتي نجدها في «ورقة هاريس» الأولى (ص٣ س٢، ٤٤ س٢، ٥٧ س٢، ٧٥ س١). ومن المحتمل جدًّا أن هذا كان هو محتويات الصفحة الأولى من الورقة.

وعلى أية حال فإنه من المستحيل أن يحدس الإنسان — من البقايا الضئيلة — ما كانت تحتويه هذه الصفحة على وجه التأكيد. ومن الجائز أن الملك قد أعطى هنا ملخصًا مختصرًا عن أعماله الخيرية لصالح الآلهة والناس — أي أعطى هنا مضمون ورقة «هاريس» الأولى في كلمة — وذلك بمثابة مقدمة لموضع هذه الورقة، وهو أقل جاذبية من الجزء الثاني منها، إذ يُعد في الواقع الإجراءات الصارمة التي اتخذها ضد الموظفين المنكرين للجميل، الذين تآمروا على حياته.

صفحة ١

(الملك «وسرماعت رع مري» آمون له الحياة والفلاح والصحة ابن «رع»: رعمسيس) حاكم هليوبوليس (له الحياة والفلاح والصحة قال) … … (٢) … … الأرض … … (٣) … … كل الأرض … … (٤) … … ماشيتهم … … (٥) … … ليحضرهم … … (٦) … … كل … … أمامهم … … (٧) … … الـ … … (٨) … … الناس قائلين … … (٩) … … وكانوا (صفحة ٢ سطر ١) لعنة الأرض.

صفحة ٢

وقد كلفت المشرف على الخزانة (المسمى) «منتومتاوي»، والمشرف على الخزانة «بفروى Pefrowe»، وحامل العلم «كارا» والساقي «بايبيسي»، والساقي «قدندنًّا»، والساقي «بعل ماهر» (٣) والساقي «بيرسوني»، والساقي «تحوت رخ نفر»، ومساعد الفرعون «بنرنوتي»، والكاتب «ماي»، وكاتب السجلات «برع محاب»، وحامل العلم للمشاة «حوري» (٥) قائلًا: أما عن الأمور التي تآمر عليها الناس — ولا أعلم من هم — فاذهبوا وافحصوها (٦)؛ وقد ذهبوا وفحصوها، وقد جعلوا من أرادوا أن يموتوا أن ينتحروا على الرغم من أني لم أعرف من هم، وكذلك عاقبوا الآخرين على الرغم من أني لم أعرف من هم (٨) ولكني كلفتهم قائلًا بشدة: خذوا حذركم، واعتنوا لئلا تجعلوا بعض الناس يُعاقب خطأ على يد موظف ليس مسيطرًا عليهم، وهكذا تحدثت إليهم المرة بعد المرة.

صفحة ٣

أما عن كل ما قد حدث فإنهم هم الذين اقترفوه (٢) وليت (المسئولية عن) كل ما فعلوه تقع على رءوسهم (٣) في حين أني مقدس ومعافى أبديًّا، وفي حين أكون (٤) بين الملوك العدول الذين أمام «آمون رع» ملك الآلهة، وأمام «أوزير» حاكم السرمدية.

صفحة ٤

قائمة المتهمين الأولى

(١) الأشخاص الذين أُحضروا هنا بسبب الجرائم الكبرى التي ارتكبوها، ووُضعوا في ساحة المحاكمة أمام الموظفين العظام الخاصين بساحة المحاكمة ليُحاكموا على يد المشرف على الخزانة «منتومتاوي»، والمشرف على الخزانة «بفروى» وحامل العلم «كارا» والساقي «بايبيسى» وكاتب السجلات «ماي» وحامل العلم «حوري»، وقد

قاضوهم فوجدوا أنهم مذنبون، وجعلوا عقابهم يُوقع عليهم، وقد قبضت عليهم جرائمهم.
(٢) والمجرم الأول هو «يبيككامن» الذي كان وقتئذ رئيس الحجرة، وقد أُحضر (أي اتُّهم) لأنه كان متآمرًا مع «تي» ونساء الحريم، وقد تحالف معهن، وقد أخذ في إذاعة كلماتهن لأمهاتهن وإخوتهن اللاتي كن هناك قائلات: هيجوا الشعب، حرضوا على العداء لشبوب فتنة على سيدهن! وقد وُضع أمام الموظفين الخاصين بساحة المحاكمة، وفحصوا جرائمه، ووجدوا أنه قد ارتكبها، وجعلوا عقابه يُوقع عليه.

(٤) والمذنب الكبير «بنوك» الذي كان وقتئذ رئيس الحريم في الحاشية قد أُحضر لأنه تآمر مع «يبيككامن» ليقوم بثورة على سيده، فوُضع أمام الموظفين العظام الخاصين بقاعة المحكمة، وفحصوا جرائمه فوجدوه مذنبًا، وجعلوا عقابه يُوقع عليه.

(٥) والمذنب الكبير «بندوا» الذي كان وقتئذ كاتب الحريم الملكي في الحاشية قد أُحضر لأنه تآمر مع «يبيككامن» و«مسد-سو-رع»، وهذا المجرم الآخر — ربما يقصد «بنوك» — الذي كان وقتئذ مشرفًا على الحريم الملكي، وكذلك مع نسوة الحريم للقيام بمؤامرة معهن لإثارة العصيان على سيدهم. وقد وُضع أمام موظفي قاعة المحاكمة، وقد فحصوا جرائمه فوجدوا أنه مذنب، وجعلوا عقابه يُوقع عليه.

(٦) المجرم الكبير «بتونت آمون» الذي كان وقتئذ مفتش حريم في الحاشية، وقد أُحضر لأنه سمع الأمور التي تآمر عليها الرجال مع نساء الحريم ولم يبلغها، وقد وُضع أمام الموظفين العظام الخاصين بقاعة المحاكمة، وفحصوا جرائمه، ووجدوه مذنبًا، وأمروا بتوقيع عقابه عليه.

(٧) المجرم الكبير «كربس» الذي كان وقتئذ مفتشًا للحريم في الحاشية، وقد أُحضر بسبب الأمور التي سمعها، ولكنه أخفاها، وقد وُضع أمام موظفي قاعة المحاكمة، فوجدوه

مذنبًا، وأمروا بتوقيع عقابه عليه.

(٨) المجرم الكبير «خعمؤبي» وقد كان وقتئذ مفتش حريم في الحاشية، وقد أُحضر بسبب الأمور التي سمعها، ولكنه أخفاها، وقد أُحضر أمام موظفي قاعة المحاكمة، وقد وجدوه مذنبًا فأمروا بأن يُوقع العقاب عليه.

(٩) المجرم الكبير «خعممال» الذي كان وقتئذ مفتش الحريم في الحاشية، وقد أُحضر بسبب الأمور التي سمعها وأخفاها، وقد وُضع أمام موظفي قاعة المحكمة ووُجد مذنبًا، وقد أمروا بأن يُوقع عليه العقاب.

(١٠) المجرم الكبير «سيتوي امبرتحوتي» الذي كان وقتئذ مفتش حريم في الحاشية، وقد أُحضر بسبب الأشياء التي كان قد سمعها ولكنه أخفاها، وقد وُضع أمام موظفي قاعة المحاكمة فوجدوه مذنبًا، وأمروا بأن يُوقع عقابه عليه.

(١١) المجرم الكبير «ستيو يمر آمون» الذي كان وقتئذ مفتش حريم في الحاشية وقد أُحضر بسبب الأمور التي كان قد سمعها، ولكنه أخفاها، وقد وُضع أمام موظفي قاعة المحاكمة فوجدوه مذنبًا، وأمروا بأن يُوقع العقاب عليه.

(١٢) المجرم الكبير «ورن» الذي كان وقتئذ ساقيًا، وقد أُحضر بسبب أنه قد سمع أمورًا من رئيس الحجرة الذي كان معه، ولكنه أخفاها، ولم يبلغ عنها.

(١٣) المجرم الكبير «عشا حبسد» الذي كان وقتئذ الساعد «ييبككامن» وقد أُحضر بسبب أنه سمع الوقائع من «ييبككامن» الذي تآمر معه، ولكنه لم يبلغ عنها، وقد وُضع أمام موظفي قاعة المحاكمة فوجدوه مذنبًا، وقد جعلوا عقابه يلحق به.

(١٤) المجرم الكبير «بلوكا» (من بلاد لوكا أي «ليسيا») الذي كان وقتئذ ساقيًا وكاتبًا للخزانة، وقد أُحضر بسبب أنه يتآمر مع «ييبككامن»، وكان قد سمع الوقائع منه ولكنه لم يبلغ عنها، وقد وُضع أمام موظفي قاعة المحاكمة، فوجدوه مذنبًا، وجعلوا عقابه يلحق به.

(١٥) المجرم الكبير «أنيني» الذي كان وقتئذ ساقيًا، وقد أُحضر بسبب تآمره مع «ييبككامن» وكان قد سمع الأمور الجارية منهم ولكنه لم يبلغها، وقد وُضع أمام موظفي قاعة المحاكمة فوجدوه مذنبًا، وجعلوا عقابه يلحق به.

صفحة ٥

(١) نساء رجال بوابة الحريم اللائي اتحدن مع الرجال الذين دبروا المؤامرة وهن اللائي وُضعن أمام موظفي قاعة المحاكمة، وقد وُجدن مذنبات، وجُعل عقابهن يلحق بهن. (٦ نساء).

(٢) المجرم الكبير «باي إري» ابن «روما» الذي كان وقتئذ مشرفًا على الخزانة، وقد أُحضر لأنه كان متآمرًا مع المجرم الكبير «بنحو يبوين»، وقد تحالف معه ليثير العداء، وليقوم بثورة على سيده. وقد وُضع أمام موظفي قاعة المحاكمة فوجدوه مذنبًا وجعلوا عقابه يلحق به.

(٣) المجرم الكبير «بنمواست» الذي كان وقتئذ ضابط رماة بلاد النوبة، وقد أُحضر لأن أخته كانت في الحريم في الحاشية، وقد كتبت له قائلة: حرض الناس، أَثِرْ البغضاء وعُدْ لتقوم بثورة على سيدك. وقد وُضع أمام «قدندنا» و«بعل ماهار» و«برسوني» و«تحوت رخ نفر»، فحققوا معه ووجدوه مذنبًا، وجعلوا عقابه يلحق به.

قائمة المذنبين الثانية

(٤) الأشخاص الذين أُحضروا بسبب جرائمهم؛ لأنهم كانوا متآمرين مع «بيبككامن» و«بايبيسى» و«بنتاور»، وقد وُضعوا أمام موظفي قاعة المحاكمة للتحقيق معهم، فوجدوهم مذنبين، وقد تركوهم لأنفسهم في قاعة التحقيق، فقبضوا على حياة أنفسهم — انتحروا — ولم يُوقع بهم أي ضرر.

(٥) المجرم الكبير «بايس» الذي كان وقتئذ قائدًا للجيش، والمجرم الكبير «مسوى» الذي كان وقتئذ كاتب الجامعة، والمجرم الكبير «برع كامنف» الذي كان وقتئذ ساحرًا، والمجرم الكبير «إروى» الذي كان وقتئذ المشرف على كهنة «سخمت»، والمجرم الكبير «نب زفا» الذي كان وقتئذ ساقيًا، والمجرم الكبير «سعد مازسر» الذي كان وقتئذ كاتب الجامعة. المجموع ستة.

قائمة المتهمين الثالثة

(٦) الأشخاص الذين أُحضروا بسبب جرائمهم إلى قاعة المحاكمة أمام «قدندنا» و«بعل ماهار» و«بيبرسوني» و«تحوتي رخ نفر» و«مرتو سيآمون»، وقد حُقق معهم بخصوص جرائمهم، ووجدوهم مذنبين، وتركوهم حيث كانوا، فقبضوا على حياتهم بأنفسهم — انتحروا.

(٧) أما «بنتاور» الذي كان قد أُعطى ذلك الاسم الآخر (أي لقب الملك) فقد أُحضر؛ لأنه كان متآمرًا مع «تي» والدته عندما دبرت المؤامرة مع نساء الحريم بخصوص إثارة فتنة على سيده، وقد وُضع أمام السقاة ليُحقق معه ووجدوه مذنبًا، وتركوه حيث كان فقبض على حياة نفسه — انتحر.

(٨) المذنب الكبير «هنوتن آمون» وقد كان وقتئذ ساقيًا، وقد أُحضر بسبب جرائم نساء الحريم اللائي كان بينهن، وقد سمعهن ولكن لم يبلغ عنهن. وقد وضعوه أمام السقاة

للتحقيق معه فوجدوه مذنبًا، وقد تركوه حيث كان، وقد قبض على حياة نفسه —— انتحر.

(٩) المجرم الكبير «آمون خعو» الذي كان وقتئذ نائب الحريم في الحاشية، وقد أُحضر بسبب جرائم نساء الحريم اللائي كان بينهن، وهن اللائي كان قد سمعهن ولكن لم يبلغ عنهن، وقد وُضع أمام السقاة للتحقيق معه، وقد وجدوه مذنبًا، فتركوه حيث كان، فقبض على حياته بنفسه —— انتحر.

(١٠) المجرم الكبير «بيئري» الذي كان وقتئذ كاتب الحريم الملكي في الحاشية، وقد أُحضر بسبب جرائم نساء الحريم اللائي كان بينهن، وقد سمعهن ولكن لم يبلغ عنهن. وقد وُضع أمام السقاة للتحقيق معه، وقد وجدوه مذنبًا فتركوه حيث كان، وقبض على حياة نفسه —— انتحر.

صفحة ٦

القائمة الرابعة بأسماء المتهمين

(١) الأشخاص الذين عُوقبوا بجدع أنوفهم، وقطع آذانهم؛ لأنهم نبذوا التعليمات الطيبة التي أُعطوها، والنساء قد ذهبن، وقد وصلن إليهم عند المكان الذي كانوا فيه، وقد سكروا معهن ومع «باييس» وقد استولت عليهم جريمتهم.

(٢) المجرم الكبير «بايبيسي»[٢٤٦] الذي كان وقتئذ ساقيًا، وهذا العقاب قد نُفذ فيه؛ إذ تُرك منفردًا وقبض على حياة نفسه.

(٣) المجرم الكبير «ماي» الذي كان وقتئذ كاتب سجلات.

(٤) المجرم الكبير «تاي نخت» الذي كان وقتئذ ضابطًا في المشاة.

(٥) المجرم الكبير «ناني» الذي كان وقتئذ ضابط الشرطة.

القائمة الخامسة بأسماء المتهمين

(٦) شخص كان متصلًا بهم. لقد وُبخ بشدة بكلمات سيئة، وقد تُرك وحده ولم يلحق به أي أذًى.

(٧) المجرم الكبير «حوري» الذي كان وقتئذ حامل العلم للمشاة.

وقبل أن نترجم الجزء السحري الخاص بهذه القصة يجب أن نقف لحظة وننظر بعين فاحصة إلى محتويات هذه الوثيقة؛ لنصل إلى مقدار التأثير الذي أحدثته هذه الترجمة الجديدة في معنى هذه القصة. فالنقطة الجديدة المستحدثة هي — بطبيعة الحال — أن الاسم المتفق عليه لهذه البردية وهو «الورقة القضائية» يظهر أنه اسم خاطئ؛ إذ ليست هذه الورقة وثيقة قضائية قط، بل قصة، كما تدل الترجمة السابقة. وهي تحدثنا عن قصة واضحة متماسكة الأطراف، ومحتوياتها يمكن تلخيصها في كلمات قليلة وهي:

إن الملك المتوفى يقدم لنا بيانًا عن تصرفاته مع المشتركين في المؤامرة؛ فيخبرنا كيف أنه كلف المحكمة التي ألَّفها للتحقيق معهم، وهو في ذلك يشدد تشديدًا كبيرًا على القضاة بأنه ليس مسئولًا عن العقاب الذي سيوقع؛ إذ إنه قد كلفهم — بكل ما أوتي من قوة — أن يكونوا يقظين ملتفتين في أحكامهم؛ لأنهم سيكونون هم المسئولين — لا هو — عن أي غلطة يرتكبونها في أحكامهم.

والآن يتساءل الإنسان: هل هذه القصة تطابق الواقع، أو أنها من نسج الخيال؟ إن اتجاه محتويات الورقة يوحي بأن «رعمسيس الثالث» قد مات نتيجة مؤامرة، أو أنه كان ينتظر أن يموت في القريب العاجل عندما وقعت الواقعة. ولكن هل عاش مدَّة كافية ليعين المحكمة كما يقول هو إنه قد عين أعضاءها؟ أو أن ذلك مجرد اختراع؟ والواقع أنه ليس هناك ما يدعو لفرض عدم وقوع هذه القصة، وليس هناك شيء مستحيل، أو خارج عن المنطق السليم في الموقف كما تكشف عنه الورقة لأي عقل بعيد عن التحيز، وأنه قد يكون من الصعب، بل ربما من المستحيل إقناع إنسان ما

عقد عزمًا على أن يكون متشككًا مهما كلفه ذلك، ولكن رجحان البراهين سيقع على عاتق هؤلاء الذين لا يرون بديلًا من الأخذ بالرأي القائل إنها كلها وهم اخترعه «رعمسيس الرابع». حقًّا قد يكون هذا الملك في شدة الفرح بأن تكون محاكمة المتآمرين قد أمر بها والده، وأن أمر عقابهم لم يكن من أعماله حتى يستطيع أن يبدأ حكمه طاهر اليدين. وعلى ذلك قد يكون من الجائز أنه عنَّ «لرعمسيس الثالث» بعض الأسباب السياسية جعلت من المرغوب فيه ومن الحكمة أيضًا أن يدوِّن سير هذه القضية. وعلى أية حال فإنه من الجائز كذلك ألا يكون للوثيقة غرض سياسي قط، وأنها كُتبت لتكون تبرئة «لرعمسيس الثالث» أمام المجلس الإلهي حتى يمكنه أن يظهر هناك بضمير نقي. وعلى ذلك يكون واثقًا من أنه سيكون أحد الملوك المبرَّئين أمام «آمون رع» و«أوزير» في عالم الآخرة. وفي الحق كان كل من «رعمسيس الثالث» وابنه «رعمسيس الرابع» متدينًا جدًّا، وفهم هذه الورقة على هذه الطريقة يتفق تمامًا مع ما يمكن أن نتصوره عن عقلهما وعن تفكيرهما النفسي.

وأخيرًا يمكن الإنسان أن يتساءل عن الضوء الذي تلقيه هذه النتيجة على مسألة ورقة «هاريس» العظيمة المتصلة بوثيقتنا، وفي الحق يجب أن يغير رأي «ستروف» الذي كُون عن هذه الورقة؛ إذ من المحتمل أن ورقة «هاريس» الكبرى لم تكن خرافة أملاها حب النفس، أو اخترعها «رعمسيس الرابع»؛ لأنه من الجائز أن تكون الصلوات البارزة الجلية التي دُفنت في هذه الورقة لفائدة هذا الملك تعبيرًا حقيقيًّا صدر عن رغبة الوالد وحبه لابنه. هذا إلى أن البيانات الطويلة المفصلة التي ذكرها «رعمسيس الثالث» عن إنعاماته للآلهة يظهر أنها تبرهن على أن هذا الكتاب كان الغرض الأول منه الحصول على حظوة الآلهة وعطفهم عليه، ومساعدتهم لابنه في حكم البلاد، فلم يكن القصد من هذه الصلوات إلا إحراز سعادته في الدار الآخرة، ونجاح والده على الأرض. ولا نزاع في أن من الأمور المعقولة أن يأمر «رعمسيس الثالث» بنفسه بتأليف خطاب المقدمة الطويل لآلهة العالم السفلي في الفترة القصيرة التي بقيت له من عمره، وتنحصر بين

اللحظة التي عرف فيها على وجه التأكيد بأنه سيحل به الموت قريبًا ويوم مماته — وهي فترة قد استغلها بكل نشاط لينظم فيها أموره الدنيوية والأخروية.

نعود الآن إلى الجزء الثاني الخاص بهذه القصة، وهو ورقة «رولن»، وهو الجزء الخاص بالأشخاص الذين لعبوا دورًا سحريًّا في هذه المؤامرة، أو بعبارة أخرى سهلوا للمتآمرين مهمتهم. والباقي من الورقة لا يحتوي الجزء الافتتاحي منها، بل يبدأ كما يأتي:

حالة السحر الأولى: (١) وقد بدأ يعمل إضمامات سحر لأجل المنع والتخويف، ولعمل بعض آلهة من الشمع، وكذلك بعض الناس لإضعاف أعضاء الناس (٢) وسلمها ليد «بيبككامن» الذي لم يجعله «رع» رئيسًا للحجرة وللمجرمين الآخرين الكبار قائلًا: خذوها إلى الداخل. وقد أخذوها (٣) إلى الداخل، والآن عندما بدأ يقوم بالأعمال الشريرة التي عملها وهي ما لم يسمح «رع» بنجاحها حقق معه.[٢٤٧] وقد وجدت الحقيقة في كل جريمة وفي كل عمل سيء قد دبره عقله لتنفيذه. وقد كان صدقًا أنه قد عملها كلها ومعه كل المجرمين الكبار الآخرين، وقد كانت جرائم قتل كبيرة، والأمور التي ارتكبها هي اللعنة العظمى للبلاد. ولما علم بجرائم القتل الكبرى التي ارتكبها (أي لما علم بالجرائم التي كلف بها) انتحر (قبض على حياة نفسه).

حالة السحر الثانية (العمود الأول وهو بداية ورقة «لي»): ... ... (١) الملك (له الحياة والفلاح والصحة) لتموين (... ...) ... ... أي ... ... لمكان سكني ولأي شخص في الدنيا، والآن عندما قال له «بنحويبين» الذي كان وقتئذ مشرفًا على الماشية: أعطني إضمامة تمنحني القوة والسلطان فإنه أعطاه إضمامة سحر «وسرماعت رع مري آمون» «رعمسيس الثالث» — له الحياة والفلاح والصحة — الإله العظيم سيده (له الحياة والفلاح والصحة)، وأخذ يستعمل قوى إله سحرية على الناس. وقد وصل إلى جانب (٤) الحريم وهو ذلك المكان الآخر العميق — أي وصل إلى مكان منعزل ليعمل سحره — وأخذ يصنع أشخاصًا من الشمع مكتوبًا عليها — أي مكتوب عليها أسماء الأشخاص الذين يريد أن يسحرهم — حتى يمكن حملها إلى المفتش «آريم» فيعوق بذلك جماعة ويسحر الآخرين حتى يمكن توصيل بعض الكلمات إلى الداخل، ويؤتى بأخرى خارجًا

— يقصد بذلك سحر الحراس حتى يمكن قيام المخابرات بين داخل القصر وخارجه — وعندما حُقق معه بسببها ظهر الحق في كل جريمة، وفي كل عمل سيء وقد صمم قلبه على إتيانه وقد كان صدقًا أنه عملها كلها بالاشتراك مع المجرمين الكبار الآخرين، وهم لعنة كل إله وكل إلهة جميعًا. وقد نُفذت فيه عقوبات الإعدام الكبيرة، وقد قال عنها الآلهة: نفذوها فيه (أي العقوبات).

حالة السحر الثالثة (العمود الثاني من ورقة «لي»): (١) ... ... في الـ ... ... على المقياس، وقد ذهب بعيدًا ... ... وضعفت يداه — يشير هنا إلى شخص ممن أجرى عليهم السحر، واسمه ووظيفته في الجزء المهشم ... ... والآن عندما حُقق معه بخصوصها وُجد أن كل جريمة وكل عمل سيء كان قد صمم في قلبه على إتيانه قد تحقق، وكان حقًّا أنه عملها كلها بالاشتراك مع المجرمين الكبار، وهم لعنة كل إله وكل إلهة جميعًا. وقد كانت جرائم موت كبيرة، وهي الأمور التي أتاها، وهي اللعنات الكبرى للأرض. والآن عندما علم بجرائم الموت الكبرى التي ارتكبها قبض على حياة نفسه — انتحر. ويقصد هنا الاسم المجهول الذي أُشير إليه في بداية العمود الأول من هذه الورقة. ولما عرف الأشراف الذين كانوا يحققون معه أنه انتحر ... ... (٥) «رع» جميعًا والتي تقول عنها الكتابات المقدسة: نفذوا فيه. وعلى الرغم من ... (انتهى المتن).

هذا ما جاء في ورقتي «لي» و«رولن». ومضمون ما فيهما يشير إلى هذه القصة قطعًا، ويؤلف جزءها الهام الذي بُنيت عليه. إذ كان لا بدَّ للمتآمرين في داخل القصر من الاتصال بأعوانهم خارجه حتى تُحبك المؤامرة، وهنا لعب السحرة دورهم بإضعاف الحراس بتعاويذهم السحرية المكتوبة على تماثيل من الشمع، وقد كان مفعولها شديدًا، وبذلك أمكن المتآمرين الذين كانوا داخل القصر وخارجه أن يتصل بعضهم بالبعض الآخر، وقد رأينا فيما سبق أن سر المؤامرة قد كُشف في اللحظة الأخيرة على ما يظهر، أو بعد تنفيذها من غير نجاح حاسم؛ إذ قد عاش الفرعون حتى اقتص بالعدل من الجناة جميعًا، ولكن يظهر مع ذلك أن أفراد عصابة المؤامرة كانوا من القوة بمكان حتى إنهم استطاعوا أن يتصلوا ببعض قضاة المحكمة الذين اختارهم الفرعون بنفسه، وأغروهم بالنساء والخمر، وربما بالمال؛ ومع ذلك قد كُشف أمرهم أيضًا. وهكذا نجد أن الفساد قد

بدأ يدب في جميع نواحي الحياة المصرية منحدرًا من أعلى الطبقات إلى أسفلها، وأن هيبة الفرعون وعظمته قد أخذت تتلاشى حتى في أعين عامة الشعب الذين كانوا يؤلهونه، ومع هذا كله نجد أن الفرعون نفسه كان يحافظ على رسالته، وقانونه الذي سنه له والده «رع» عندما بدأ حكم العالم ذلك القانون الذي قوامه العدل والحكم بين الناس بالقسطاس المستقيم، ولعل تربة مصر تجود يومًا بهذه القصة كاملة غير مبتورة، فتقدم لنا مأساة من أروع القصص التي مُثلت في قصور الملوك المؤهلين، وعلى أية حال فإن ما وصل إلينا منها يُعد تمثيلية ممتعة كأحسن التمثيليات التي تُعرض على مسارح الأمم الراقية التي تجذب الأنظار إليها، وتسترعي الأسماع بحوادثها الإنسانية المخصبة، التي تضع أمامنا صورة عن خلق الإنسان وأطماعه وغرائزه التي لن يتخلى عنها أبدًا.

(٦) خاتمة حياته

لم يعمر «رعمسيس الثالث» طويلًا بعد المؤامرة التي دبرتها «تي» زوجه، وابنه «بنتاور» الذي كان يريد أن يكون خلف والده العظيم، وعلى أثر خيبة هذه المؤامرة على ما يظهر جمع «رعمسيس الثالث» في السنة الثانية والثلاثين من حكمه عظماء رجال الجيش والإدارة، وقدَّم لهم كالمعتاد ابنه ووارثه على العرش «رعمسيس» الذي أصبح فيما بعد «رعمسيس الرابع»؛ وذلك خوفًا من وقوع مؤامرة أخرى، ووضع فوق رأسه التاج المزدوج، وأجلسه على عرش «حور»، وقد كانت هذه فرصة «لرعمسيس الثالث» أن يعدد لشعبه الأعمال الجليلة التي قام بها مدة حكمه البلاد، وبخاصة انتصاراته على اللوبيين وأقوام البحار، والإنعامات الغزيرة التي أغدقها على معابد الآلهة في كل أنحاء مملكته، وفي النهاية حض الناس على أن يكونوا مخلصين لابنه الذي اختاره هو، وأن يخدموه كما خدموا والده من قبل.

(٧) موازنة بين موميتي «رعمسيس الثاني والثالث» وحكمهما

وقد وُجدت مومية «رعمسيس الثالث» في خبيئة الدير البحري، وكانت لا تزال سليمة، غير أنها كانت قد وُضعت في تابوت «نفرتاري» المصنوع من الخشب، وقد جُددت لفافاته في عهد الملك «بينزم الأوَّل»، وقد كُتب عليها تاريخ نقلها إلى هذا المخبأ، وهو السنة الثالثة عشرة من حكم هذا الفرعون.

وتدل مومية «رعمسيس الثالث» على أنه لم يكن قد تخطى الستين من عمره بكثير عندما لاقى حتفه، وتدل موميته على أنه كان لا يزال قويًّا مفتول العضلات، غير أنه كان قد أصبح بدينًا ثقيل الجسم، وقد حلل النطرون عند التحنيط شحمه، وقد ترهل جلده مدة حياته حتى تحول إلى تجاعيد رخوة ضخمة وبخاصة عند القفا وتحت الذقن، وعلى الفخذين وعند المفاصل، ويدل رأسه الحليق وخدَّاه على عدم وجود شعر أو لحية. كما تدل جبهته التي ليست بالعريضة ولا بالعالية على أنها أكثر تناسبًا عن جبهة «رعمسيس الثاني»، وكذلك كانت تجاعيد قبة العين أقل ظهورًا، وعظمتا الخدين أقل بروزًا، والأنف أقل احديدابًا، والذقن والفك أقل ضخامة، ويُحتمل أن العينين كانتا أوسع، غير أنه لا يمكن إعطاء حكم على ذلك؛ لأن الجفنين قد أُزيلا وحُشي محجر العينين بخرق، أما الأذنان فلم يكونا منتصبتين ومنفصلتين بعيدًا عن الرأس كأذني «رعمسيس الثاني» غير أنهما كانتا مثقوبتين للأقراط، وكان فمه واسعًا بالطبيعة، وقد زادت عملية التحنيط من اتساعه لعدم مهارة المحنط الذي قطعه حتى الخدين من الجانب. وشفتاه الرقيقتان ساعدتا على رؤية أسنانه البيض الحسنة التنظيم، ويظهر أن «رعمسيس الثالث» على وجه عام صورة مصغرة من «رعمسيس الثاني» مع الفارق بينهما؛ وهي أنها أكثر دقة ورشاقة، ويدل وجهه على أنه كان ألطف قسمات، وأحد ذكاء، ولكن أقل منه نبلًا، على حين نجد أن قوامه لم يكن معتدلًا، وأن منكبيه ليستا عريضتين «كرعمسيس الثاني» كما كانت قوته العضلية أقل.

وكان فيه شبه عابس يشبه صورة الأسد الهزيلة التي مُثل بها الفرعون في ورقة الهجاء.

وما قيل عن شخصيته يمكن أن يقال عن حكمه؛ إذ الواقع أنه كما هو ظاهر للعيان كان مقلدًا لحكم «رعمسيس الثاني» غير أنه كان تقليدًا لم يصل إلى حد الإتقان لعدم كفاية الموارد في الرجال والمال. وإذا لم يكن «رعمسيس الثالث» قد أفلح كل الفلاح في وضع نفسه بين أعاظم الملوك الطيبيين، فإن ذلك لم يكن لنقص في نشاطه أو ضعف في قدرته، بل إن أحوال مصر المحزنة الفاسدة في ذلك الوقت قد حدَّت من نجاح مساعيه، وجعلته يخفق في الوصول إلى مقاصده ومراميه، على أن العمل الذي أنجزه لم يكن لهذا السبب أقل عظمة من غيره من الملوك البارزين، فقد كانت مصر عند توليته عرش البلاد كما ذكرنا من قبل في حالة تعسة؛ فقد عزاها اللوبيون من الغرب، وهددتها أقوام البحار بجيوشها المتوحشة من الشرق، وليس له جيش، ولا أسطول، ولا موارد في خزانته، ولكن لم تمضِ خمس عشرة سنة حتى نجده قد قضى على جيرانه المغيرين، ونظم جيشًا وبنى أسطولًا، وأعاد سلطانه في الخارج، وأقر النظام الإداري في داخل البلاد على أسس متينة، مما جعل البلاد مدينة له بالسلام الذي تمتعت به زمنًا طويلًا في ظل اسمه وقوة نفوذه.

(٨) أسرة «رعمسيس الثالث»

يدل ما لدينا من آثار على أن والدة «رعمسيس الثالث» كانت تُدعى «تي مرن است»، وقد وُجد اسمها على قطعتين اغتصبهما «رعمسيس الثالث» ثانية في معبد «أوزير»، وقد صُوِّرت في الأولى مع «رعمسيس الثالث»، وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري.[٢٤٨] والأخرى وكانت كذلك مستعملة مثل عليها «رعمسيس الثالث» أمه «تي مرن است»، والرأس مهشمة وهي محفوظة الآن في «متحف بروكسل».[٢٤٩] ويظهر أن «رعمسيس الثالث» كان له أكثر من زوجة، غير أننا لا نعرف منهن على وجه التأكيد إلا واحدة وهي الملكة «است أماسرت».[٢٥٠] والظاهر أن اسمها مركب من اسم مصري «است» (إزيس)، وآخر سوري «أماسرت». وقد ظهرت مصورة على تمثال من تماثيل زوجها. وقبر هذه الملكة رقم ٥١ مهشم، وليس فيه إلا بعض مناظر عادية، وقد وُجدت بقايا تابوت على رقعة حجرة دفنها وتدل على أنها كانت جميلة الصنع.

ويقول «بتري»: إنه من المحتمل جدًّا أنها الملكة «است» (إزيس) المدفونة في المقبرة رقم ٥١ بأبواب الحريم بوصفها الأم الملكية العظيمة في عهد «رعمسيس السادس»[٢٥١] غير أن هذا الرأي خاطئ. وكذلك نجد اسمها على لوحة «أمنمأبت» في «برلين».[٢٥٢]

(٨-١) الملكة «حومازري Humazery»

ذُكر اسم هذه الملكة في هذا العهد (L. D. T. II, 101) وتدل شواهد الأحوال على أن «رعمسيس الثالث» كان له أكثر من زوجتين، وبخاصة أننا نعرف واحدة منهن قد تآمرت على قتله، غير أنها على ما يظهر لم تكن إلا زوجة ثانوية.

(٨-٢) أولاد «رعمسيس الثالث»

هذا فضلًا عن أن له أولادًا كثيرين؛ مما يدل على أنه قد أنجبهم من أكثر من ملكة واحدة على الأقل، ومما يؤسف له أنه ليس في استطاعتنا نسبتهم إلى أمهاتهم، وقد تولى بعضهم الحكم بعد «رعمسيس الثالث» وتوفي بعضهم وهم لا يزالون حديثي السن على رأي بعض المؤرخين، وقد تضاربت الأقوال في القوائم التي وُجدت على جدران مدينة «هابو» بأسماء أولاده، فهل هم أولاده أم بعضهم أولاده وبعضهم أولاد غيره من ملوك هذه الأسرة؟ وعلى أية حال فقد عُثر على مقابر بعض أولاده على وجه التأكيد وهم:

(١) الأمير «ست حرخبش»: وقبره في «وادي الملكات»، ويتألف من دهليزين ضيقين يؤديان إلى حجرة أوسع، مجاورة لحجرة صغيرة، والنقوش التي تزين الجدران تمثل الأمير والملك يتعبدان لآلهة مختلفين، ويقومان بأداء شعائر دينية منوَّعة، وعلى الجدار الخلفي لآخر حجرة يُشاهد الإله «أوزير» على اليمين وعلى الشمال، في حين نشاهد على الجدران الجانبية آلهة آخرين مختلفين مصفوفين صفين.

(٢) الأمير «خعمواست»: وقبره في «وادي الملكات» كذلك (رقم ٤٤)، ونقوشه محفوظة. ويُشاهد في الممر الأوَّل المتوفى ووالده «رعمسيس الثالث» أمام آلهة مختلفين، ويتصل بهذا الممر حجرتان جانبيتان عليهما صور الأمير في حضرة الآلهة، وعلى الجدار الخلفي يُشاهد «أوزير» و«إزيس» و«نفتيس». والنقوش التي على الجدران في الممر الثاني تمثل الملك والأمير أمام بوابات وحرس حقول المنعمين، وبجانب ذلك اقتباسات من كتاب الموتى. وفي الحجرة النهائية يُشاهد الفرعون أمام آلهة مختلفين.

(٣) الأمير «آمون حرخبشف» (رقم ٥٥): والنقوش التي على جدران هذه المقبرة لا تزال حافظة لرونقها بصورة تلفت الأنظار، ونشاهد في الحجرة الأولى على اليسار الفرعون «رعمسيس الثالث» تضمه الإلهة «إزيس»، وبعد ذلك نرى «رعمسيس الثالث» يرافقه الأمير مقدمًا البخور للإله «بتاح» كما نشاهد الملك ممثلًا أمام آلهة مختلفين: «بتاح تتن»، ثم الإله «دواموتف» برأس كلب، والإله «أمست»، والاثنان الأخيران من حراس أواني الأحشاء في القبر، ثم الإلهة «إزيس» التي تمسكه بيدها. وعلى اليمين صور مماثلة؛ فالملك تضمه «إزيس»، والملك والأمير يحرقان البخور أمام الإله «شو» — إله الجو — كما نشاهد الإلهين «كبح سنوف» و«حابي» — وهما من حراس الأحشاء — و«إزيس» ممسكة بيد الملك. أما الحُجر الجانبية فخالية من الرسوم. والممر الذي يليها مزين بصور من «كباب البوابات» وفي الحجرة النهائية تابوت الأمير المصنوع من الجرانيت.[٢٥٣]

(أ) الأمير «برع-حروتمف» (رقم ٤٢)

وهو ابن «رعمسيس الثالث» ويُشاهد في الدهليز الأول للمقبرة الفرعون يقدم ابنه للآلهة، ويؤدِّي هذا الدهليز إلى قاعة ترتكز على أربعة عمد، غير أن النقوش مهشمة.[٢٥٤]

وهؤلاء هم أولاد «رعمسيس الثالث» على وجه التأكيد. وقد وُجدت قائمتان مُثل فيهما أولاد وبنات «رعمسيس الثالث» على معبد مدينة «هابو».[٢٥٥] وقد وُجد من بينهم أسماء مماثلة للذين ذكرناهم من قبل، ولذلك اعتقد بعض المؤرخين أن الأسماء الباقية وعددها ستة لأولاد «رعمسيس الثالث» أيضًا،[٢٥٦] وأنهم قد تعاقبوا على عرش مصر، وقد تناول الأستاذ «إرك بيت» هذا الموضوع بالبحث، ووجد أن الأسماء التي وُضعت لهؤلاء الأمراء قد أُضيفت فيما بعد، وأن أول من عمل هذه الإضافات هو «رعمسيس السادس»؛ ولذلك يعتقد أنهم أولاده. وهاك الأسماء التي وُجدت في القائمتين اللتين على جدران معبد مدينة «هابو».

(١) «رعمسيس»: (في طغراء) ولم يوجد أي اسم بعد ذلك.

(٢) «رعمسيس»: (بدون طغراء) ثم «نب ماعت رع مري آمون» في طغراء.

(٣) «رعمسيس آمون حرخبشف نترحق إيون»: (في طغراء).

(٤) «رعمسيس ست حرخبشف»: (بدون طغراء) ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسرماعت رع أختآمون» (في طغراء) وهذا الاسم كما جاء في القائمة الأولى. أما في القائمة الثانية فقد كُتب: «ست حرخبشف» (بدون طغراء) ابن «رع» رب الظهور.

(٥) «برع-حرونمف».

(٦) «منتو حرخبشف».

(٧) «رعمسيس مري آتوم»: (كما جاء في القائمة الأولى) «مري آتوم» (كما جاء في القائمة الثانية).

(٨) «رعمسيس خعمواست».

(٩) «رعمسيس آمون حرخبشف».

(١٠) «رعمسيس مري آمون».

وإذا ألقينا على هذه القائمة نظرة سطحية وجدنا أن بعض الأسماء مكرر مثل ٣، ٩، ويمكن الإجابة على اعتراض من يقول إنهم ليسوا أولاد «رعمسيس الثالث» كلهم بأن «رعمسيس الثاني» كان له ولدان يحملان اسمًا واحدًا، وقد اتضح أن واحدًا منهما قد مات في صغره، وسمى والده بالاسم نفسه بعد مماته. (راجع مصر القديمة الجزء السادس).

وكذلك قد اعترض على أن «برع حرونمف» كان يحمل لقب الابن الأكبر مع أنه قد وُضع ترتيبه هنا الخامس، وهذا الاعتراض يمكن الإجابة عليه بأنه يجوز أن الملك كان متزوجًا بأكثر من امرأة، وأن بكرها بالنسبة لها يُعد الابن الأكبر. غير أن الاعتراض الهام هنا هو أن بعض هؤلاء الأمراء قد وُجدت مقابرهم وقد دُفنوا فيها، وأنهم ماتوا قبل تولي العرش، مع أن أسماءهم تُوجد بين ملوك هذه الأسرة، وقد أجاب على ذلك «إرك بيت» عندما تكلم عن الأمراء الأربعة الذين ذكرناهم بأنهم أولاد «رعمسيس الثالث» على وجه التأكيد.[٢٥٧]

وهاك ما كتبه في هذا الصدد باختصار ردًّا على رأي «بتري» القائل بأن هذه الأسماء التي جاءت في القائمتين هي لأولاد «رعمسيس الثالث» فيقول: «حقًّا إن هؤلاء الأمراء الأربعة هم أولاد «رعمسيس الثالث».» وبخاصة إذا لاحظنا الدور الهام الذي كان يشغله والدهم «رعمسيس الثالث» في مناظر قبورهم بالإضافة إلى الألقاب التي كان يحملها هؤلاء الأمراء، فقد كان «ست حرخبشف» يُلقب «أسن أولاد الملك ومحبوبه»، و«ابن الملك من صلبه»، يُضاف إلى ذلك أنه كان يحمل لقب «سائس الإصطبل». ولا نعلم بالضبط العلاقة بين لقب «أسن أولاد الملك» وبين لقب «ابن الملك الأول لجلالته» الذي كان يحمله الأمير «برع حرونمف»، ومن المحتمل أن الأخير كان أسن أولاد الملك، وأنه بعد مماته المبكر خلفه «ست حرخبشف» لهذا المركز، ولم يجد الأثري «سكبارلي» كاشف مقبرة «ست حرخبشف» فيها تابوتًا، وليس لديه دليل ما على أن هذا

الأمير قد دُفن في هذا القبر؛ ولذلك يظن أنه فيما بعد قد تولى عرش الملك، ودُفن في مقبرة من مقابر «وادي الملوك».

ومقبرة «خعمواست» مماثلة للسالفة، وقد وُجد فيها غطاء تابوت. وكان هذا الأمير يحمل الألقاب التالية: الكاهن «سم» للإله «بتاح»، ويحمل نفس اللقب في قائمة مدينة «هابو»، وابن الملك من صلبه، ومحبوبه، وأسن أولاد الملك.

وقبر «آمون حر خبشف»

قد ذُكر في نقش أنه أُهدي بعطف الملك «رعمسيس الثالث» للأطفال الملكيين العظام؛ مما يدل على أنه كان قد أُعد لأكثر من أمير، ومن المحتمل أن «رعمسيس الثالث» كان وقتئذ قد مل الإنفاق على إقامة مقبرة لكل أمير، وهذا الأمير كان يُلقب «ولي العهد» على رأس الأرضين، و«ابن الملك من صلبه ومحبوبه»، والذي وضعته زوج الإله الأم الملكية، والزوجة الملكية العظيمة. ومما يؤسف له أن اسم الملكة قد فُقد، ولكن لا بد أنها كانت من زوجات «رعمسيس الثالث» المعترف بهن، ويحتمل أنها «إزيس»، وهذا الأمير يحمل فضلًا عن ذلك الألقاب التالية: الرئيس العظيم، والمشرف على خيل جلالته في إدارة خيالة «رعمسيس الثالث».

ويحتوي القبر على تابوت من الجرانيت، غير أن «سكابرلي» لم يكن على استعداد للقول بأن الأمير قد دُفن فيه. والواقع أن هذه الكشوف التي وصل إليها «سكابرلي» من حيث أسماء أولاد الفرعون «رعمسيس الثالث» قد تجعل الكفة راجحة إلى جانب نظرية «بتري»، أي إن هؤلاء الأمراء وهم الذين كُتبت أسماؤهم على جدران معبد مدينة «هابو» كلهم أولاد «رعمسيس الثالث»، ويمكن القول هنا بحق أن «رعمسيس الثالث» كان له أولاد أسماؤهم: «آمون حر خبشف» و«ست حرخبش» و«خعموا ست»، وهؤلاء الثلاثة قد وردت أسماؤهم في قائمة معبد مدينة «هابو». هذا بالإضافة إلى أن الألقاب التي كان يحملها «آمون حر خبشف»: المشرف على

الخيل متفقة في كلا الحالين، وكذلك قد وُصف «ست حر خبشف»: المشرف على الخيل، وفي نقوش مدينة «هابو» لُقب «بسائس الإصطبل» في قبره. وأخيرًا قد سُمي «خعموا ست» في كل: الكاهن «سم» للإله «بتاح». ولكن يقول «إرك بيت» إنه على الرغم من هذه الاتفاقات المقنعة فليس من المستحيل أن كلًّا من «رعمسيس الثاني» و«رعمسيس السادس» كان له أولاد يحملون نفس الأسماء. ومن جهة أخرى نجد أن أسماء أولاد «رعمسيس الثالث» الذين كشفت مقابرهم ليست إلا تقليدًا محسًّا لأسرة «رعمسيس الثاني». وقد بولغ في هذا التقليد حتى في الألقاب، كما نجد ذلك في لقب «خعمواست» بن «رعمسيس الثالث»: الكاهن «سم» للإله «بتاح»، وهو نفس اللقب الذي كان يحمله «خعمواست» ابن «رعمسيس الثاني»، فإذا أخذنا بهذا المبدأ فإن التشابه بين الأسماء والألقاب التي على مقابر الأمراء الذين كشف عن قبورهم «سكابارلي» وبين الأمراء المصوَّرين على جدران مدينة «هابو» يصبح لا قيمة له؛ وذلك لأنه إذا كان «لرعمسيس السادس» أولاد فإنه من الطبيعي أن يسير في تسميتهم وألقابهم على نهج تقاليد الأسرة. هذا وتدل مقابر هؤلاء الأمراء الذين مُثلوا في مقابرهم في ريعان الصبا، وبخاصة خصلة الشعر الجانبية التي كان يتحلى بها الشباب على أنهم قد ماتوا وهم صغار ولم يتولوا قط عرش الملك.

أما البراهين الدالة على أن «رعمسيس الخامس» قد جاء بعد «رعمسيس الرابع» الذي نعلم أنه على وجه التأكيد كان ابن «رعمسيس الثالث» فهي كما يأتي: لا بد أن «رعمسيس الخامس» قد سبق «رعمسيس السادس» الذي اغتصب قبره كما سنرى، ولا بد أن «رعمسيس الرابع» كان قبل «رعمسيس السادس» الذي محا أكثر من مرة اسمه من الآثار ووضع اسمه مكانه، وكما قلنا كان «رعمسيس الرابع» على أية حال الخلف المباشر «لرعمسيس الثالث». ولم يبقَ علينا الآن إلا أن نضع «رعمسيس الخامس» بين «رعمسيس الرابع» والسادس. وإذا كان هناك ملك آخر جاء بينهما فليس له حتى الآن أي أثر باقٍ. وعلى هذا الأساس رتب الأستاذ «بيت» الملوك الذين أتوا

بعد «رعمسيس الخامس» على أنهم ليسوا من أولاد «رعمسيس الثالث»، وسنتحدث عن كلٍّ في حينه.

(٩) الموظفون والحياة الاجتماعية في عهد «رعمسيس الثالث»

(٩-١) الوزراء في عهده

(أ) الوزير «تا»

كان «تا» وزير الفرعون «رعمسيس الثالث»، غير أننا لا نعرف قبره حتى الآن، وهو الذي أرسله «رعمسيس الثالث» ليحتفل بعيده الثلاثيني في السنة التاسعة والعشرين من حكمه، غير أنه توجد آثار تدل على أنه كان يشغل هذا المنصب في السادسة عشرة[٢٥٨] من حكم هذا الفرعون. وقد جاء ذكره على عدة أوراق من البردي، وكذلك على عدد من الاستراكا، وقد جمعها كلها «فيبل» في كتابه عن وزراء مصر،[٢٥٩] وكان يحمل الألقاب التالية: «عمدة المدينة، والوزير، وحامل المروحة على يمين الفرعون، ومدير الأعمال في أفق الأبدية في ضيعة الأوقاف.»

(ب) حوري

كان يشغل منصب وزير في عهد «رعمسيس الثالث»؛ فقد وُجد اسمه يحمل هذا اللقب على نقش في صخر خلف مدينة «هابو».[٢٦٠] ويُلاحَظ أن المصدر الذي أشار إليه «فيبل» في ورقة الإضراب[٢٦١] وهو أن هذا الوزير كان يشغل وظيفته هذه في السنة التاسعة والعشرين من حكم هذا الفرعون لا تنطبق على الواقع، وهو يحمل الألقاب التالية: «الأمير الوراثي، والسمير الوحيد، وعمدة المدينة، والوزير.»

(٩-٢) كهنة آمون الأول في عهد «رعمسيس الثالث»

(أ) «باكنخنسو»

كان «باكنخنسو الثاني» — على أحدث الأقوال — (راجع مصر القديمة الجزء السادس) أول كاهن أعظم افتُتحت به الأسرة العشرون على ما نعلم. وقد وُجد له حتى الآن أربعة تماثيل محفوظة في «المتحف المصري»، وقد عُثر عليها كلها في خبيئة «الكرنك» ومعبد «موت»؛ واحد منها مؤرخ بعهد الملك «ستنخت» (١٢٠٥-١٢٠٤ق.م) وأُرخ منها اثنان بعهد «رعمسيس الثالث». أما الرابع فليس مؤرخًا، ولا نزاع في أن هذه التماثيل ليست من القطع الفنية الممتازة التي أُخرجت في هذا العهد، وقد وصفها بحق «لجران» بأن أسلوبها رخو وأقل من المتوسط، ويُشتم من صناعتها رائحة الانحطاط الفني.[٢٦٢]

وعلى أية حال فإن كثرة عدد تماثيل هذا الكاهن تدل على أهميته، وتشعر بأن صاحبها قد عاش قبل عهد الفرعون «رعمسيس الثالث»، حتى إن بعض الأثريين يعتقد أن هذا الاسم قد حمله واحد لا ثلاثة (راجع مصر القديمة الجزء السادس)، وقد ذكرنا من قبل أن «رعمسيس الثالث» قد احتذى في كل أعماله وتصرفاته حذو سلفه «رعمسيس الثاني»؛ ولذلك فلا بد أنه قد وضع الكهنة الأول في عهده في المنزلة التي وضعهم فيها هذا الفرعون العظيم. والواقع أننا لا نرى «باكنخنسو» هذا يحمل أي لقب مدني، اللهم إلا لقب «الأمير الوراثي»، كما أن سلطانه الديني لم يتعدَّ دائرة «طيبة» وقد نشأ وترعرع في «معبد الكرنك» حيث كان والده «أمنمأبت» يشغل وظيفة «رئيس الجنود» و«رئيس المجندين» بضيعة «آمون»، وكانت ألقابه الدينية قليلة وقد نُقشت على تماثيله، فقد جاء عليها:

> قربان يقدمه الملك «لآمون رع حوراختي-آتوم سيد الكرنك» ليعطي الخبز والنفس الذي يحيي قرينه، والبخور، والملابس، والنبيذ، واللبن؛ لروح الأمير الوراثي والكاهن الأول «لآمون باكنخنسو».

وجاء على تمثال ثانٍ:

لأجل روح الأمير الوراثي، والد الإله المحبوب، ورئيس كل كهنة الآلهة، والكاهن الأول «لآمون باكنخنسو».[٢٦٣]

وجاء على تمثال ثالث:

لأجل روح (كا) الأمير الوراثي، رئيس الأسرار في السماء، وعلى الأرض في العالم السفلي، الكاهن الأوَّل للإله «آمون» صاحب «الكرنك» «باكنخنسو».[٢٦٤]

أما النقوش التي دُوِّنت على تمثال معبد الإلهة «موت»[٢٦٥] وهو التمثال الرابع فتسميه كذلك «والد الإله»، صاحب اليدين الطاهرتين، الذي يفتح أبواب السماء (أي قدس الأقداس) لكي يرى الأعجوبة (التي فيه)، والكاهن الأكبر «سم» في طيبة، أي المعبد الرئيسي في «طيبة» التابع لمعبد «بتاح» في «منف».[٢٦٦]

وكان «لباكنخنسو» هذا ابن سُمي جده «أمنمأبت»، وقد انخرط كذلك في سلك الكهانة، وكان يشغل وظيفة «كاهن والد الإله»، وكاهن «آمون» لمعبد «الأقصر».[٢٦٧]

(ب) إيو حمكا

ولا نعلم على وجه التأكيد من احتل عرش كهانة «آمون» في المدة الباقية من عهد «رعمسيس الثالث»، وربما كان من الصواب أن نرتب هنا الشخصيات التي ينسبها «فرشنسكي» إلى قائمة كهنة هذا العصر خطأ، وأولهم «إيو حمكا»،[٢٦٨] وقد وُجد اسمه على تمثال مجيب صغير من البازلت، ويحمل اللقب التالي: الكاهن الأول «لآمون رع» الذي يوجد بين التاسوع الإلهي.

(ج) سارمن

وكذلك ذكر لنا «فرشنسكي» أن «سارمن» قد خلف «إيو حمكا» بوصفه الكاهن الأوَّل «لآمون»، والواقع أنه لم يشغل هذه الوظيفة. ومومية هذا الكاهن وتوابيته موجودة في «متحف بيزانسون»

من أعمال «فرنسا». وقد كان أول من أعطاه هذا اللقب خطأ «شاباس» لسوء ترجمة المتن.[٢٦٩] وبعد فحص المتن وُجد في متن التوابيت أن «سارمن» كان يحمل الألقاب التالية: الكاهن المطهر أمام «موت»، والكاهن الأكبر المطهر، والكاهن الداخل في (محراب) «آمون» — كاهن «آمون»، ومدير الأشغال الخاصة بآثار الثالوث الطيبي، والسكرتير الحقيقي للملك، ومحبوبه، ورئيس المجندين — أو الجنود — «لطيبة» «آمون رع» ملك الآلهة؛ ورئيس الماشية المخصصة لمائدة القربان الفاخرة «لآمون». حقًّا إن كثيرًا من الألقاب والوظائف المدنية التي كان يحملها «سارمن» كانت من التي يحملها كثيرًا في هذا العهد رئيس كهنة «طيبة»، غير أننا نجد أنه من حيث الوظائف الدينية لم يرتفع إلى أكثر من درجة كاهن بسيط «لآمون».

(د) آمون حريمشع

وكذلك نجد أن كلًّا من «بركش» و«دفيريا» قبل «فرشنسكي» قد أراد أن يتخذ من هذه الشخصية كاهنًا أكبر للإله «آمون»، غير أنهم قد أخطئوا كذلك في قراءة ألقابه. وقد نقل «لبسيوس» ألقاب هذا الكاهن على الوجه الصحيح،[٢٧٠] ومتنه منقوش على صخور «وادي الحمامات»، وكان أعلى لقب حمله هو «الكاهن الثاني للإله آمون»، وكان قد بدأ حياته بوظيفة كاهن رابع، فكاهن ثالث، ثم كاهن ثان. وعلى أية حال فإن سلسلة نسب هذا الكاهن تدل على أنه لم يعش في عهد الأسرة العشرين، بل في أواخر الأسرة الواحدة والعشرين، وعلى ذلك فهذا الكاهن لا محل له في الأسرة العشرين.[٢٧١]

(هـ) أمنمأبت

كاهن «آمون» وقبره في «ذراع أبو النجا»، ويُشاهد المتوفى يقدم قربانًا على جدران مزار قبره.[٢٧٢] وفي الصف الثالث من هذا المنظر يُرى أقارب المتوفى في وليمة.[٢٧٣]

(و) إيي

المشرف على كتبة الخيل، وُجد اسم هذا الموظف في منظر في مقصورة «جبل السلسلة» التي حفرها «حور محب» في الصخور هناك وأصبحت بعده سجلًّا للملوك والعظماء الذين جاءوا بعده ينقشون عليها تذكارات زيارتهم لهذه الجهة. وهذا المنظر قد نُقش على باب المقصورة، وقد مُثل فيه «رعمسيس الثالث» يتبعه «إيي»، ويقدم الملك صورة «ماعت» للآلهة «آمون رع» و«موت» و«خنسو» و«سبك».[٢٧٤]

(ز) مرسى آتف

وُجد له لوحة في «العرابة» وهو كاهن الملك «ستنخت»، ويُشاهد عليها مع «رعمسيس الثالث» واقفين أمام الآلهة في الصف الأعلى، وكذلك نشاهد «مرسى آتف» نفسه في الجزء الأسفل من اللوحة أمام الملك «ستنخت».[٢٧٥]

(ح) «وسرحات» الكاهن الأول للإله «ست»

وُجد في معبد الإله «ست» بطوخ (نبت) عتب باب في الركن الشمالي الشرقي من الردهة باسم هذا الكاهن، ويُشاهد عليها واقفًا أمام الإله «ست» مما يدل على انتشار عبادة هذا الإله في تلك الفترة.[٢٧٦]

(ط) «وسرحات» رئيس كيالي الغلال

وقبره في جبانة «ذراع أبو النجا».[٢٧٧] ويشك «بتري» في أنه هو نفس الشخص السالف الذكر هنا، ويشير إلى ما جاء عنه فيما كتبه «نافيل».

(ي) أهوري

قائد حربي وُجدت له لوحة محفوظة «بمتحف القاهرة».[٢٧٨]

(ك) باحن-نتر

حارس الخيل، وُجد اسمه على عتب باب[٢٧٩] محفوظ الآن «بالمتحف المصري».

(ل) ثاي

كاتب القربان[٢٨٠]

وقد ذكرنا بعض الموظفين في سياق الحديث عن هذا الفرعون، غير أننا لم نجد لهم آثارًا معينة باقية حتى الآن.

(١٠) الحياة الاجتماعية في عهد «رعمسيس الثالث»

يجد المؤرخ صعابًا كبيرة تعترضه عندما يريد أن يكتب شيئًا عن الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، وبخاصة عندما نعلم أن كل ما وصل إلينا من هؤلاء القوم جاء عن طريق مقابرهم وما كانت تحتويه من أثاث جنازي، وما تركوه لنا من مناظر، وما دوَّنه الملوك على معابدهم التي شيدوها لأنفسهم ولآلهتهم، ولكن مع ذلك فإن ما عُثر عليه في هذه المقابر والمعابد يسهل علينا أحيانًا معرفة أحوال أولئك وحياتهم وما كانوا عليه من نعيم وشقاء وبخاصة في العهد الذي بدأ فيه عامة الشعب يدونون أعمالهم في الجبانات الملكية على قطع الاستراكا، وتكثر فيه الأوراق البردية التي تحتوي ما كان يجري من أمور في أنحاء البلاد. وقد وصل إلينا عدة أوراق وآلاف من الاستراكا كشفت لنا الغطاء إلى حد لا بأس به عن كثير مما كان يجري في قصور الفراعنة وأكواخ العامة.

لعبت جبانة «طيبة» دورًا هامًّا في الأوراق البردية التي كُشف عنها في عهد الأسرة العشرين، وهي الخاصة بأحوال معيشة الشعب وما كان يرتكبه القوم من جرائم سرقة، ويدبرونه من إضرابات، وعن سير الأعمال والمعتقدات الدينية الشعبية. والواقع أننا إذا تحدثنا عن جبانة «طيبة» في هذا الوقت فإنما نصف أهم ناحية في الحياة المصرية في ذلك العصر لأنها كانت

تحتوي قبور الملوك والعظماء، والقرى التي كان يسكن فيها العمال الذين يقومون بالعمل في هذه الجبانة التي تُعد في نظر القوم جزءًا لا يتجزأ من العاصمة، كان يسكن فيها الملوك والكهنة في المعابد الجنازية التي أقاموها هناك، وشيدوا لأنفسهم فيها البيوت الفاخرة، والقصور الشامخة كما يدل على ذلك ما جاء في ورقة «هاريس» الكبرى، وآثارهم الباقية فعلًا.

واسم هذه الجبانة في المتون المصرية هو «الجبانة العظيمة النبيلة لملايين السنين للفرعون في غربي طيبة». وهذا الاسم الذي كانت تُصدَّر به الأوراق الرسمية كان مطوَّلًا؛ لذلك نجده قد اختُصر إلى «جبانة الفرعون». والعبارة الدالة على كلمة جبانة «باخر» في الأوراق البردية الخاصة بهذا العصر كانت تشمل الجبانة الملكية، ومقابر وجهاء القوم الهامة المقامة في غربي «طيبة» وعلى الضفة اليمنى من النيل، وذلك لا يشمل سلسلة المقابر الملكية الخاصة بالأسرتين الحادية عشرة والسابعة عشرة الواقعة عند سفح تلال «ذراع أبو النجا» وحسب، بل يشمل كذلك مقابر «وادي الملوك» ومقابر الملكات والأمراء الواقعة في «وادي الملكات». ولا بد أنه كان لكل من أجزاء هذه الجبانة البعيدة اسم خاص يُميز به. فمثلًا كانت مقابر الملكات تُدعى «مثوى الجمال»، وهو المكان المعروف الآن باسم «وادي الملكات» (Pap. Abott, 4, II ff). ويؤكد صحة هذه التسمية عبارة جاءت في يوميات ورقة «تورين» حيث أُرسلت لجنة لفحص مقبرة الملكة «إزيس» — ويحتمل أنها الملكة التي أُشير إليها في ورقة «آبوت»: «وقد ذهبت إلى «مثوى الجمال».» ويتضح على ما يظهر من ورقة «آبوت» كذلك أن نفس هذا المكان كان يُسمى «الوادي العظيم» (Ibid, 5, 5).

والمستغرب فيما جاء في الأوراق البردية التي وصلت إلينا حتى الآن أنه لم يذكر لنا اسم «وادي الملوك» بالمصرية. والواقع أننا لا نعرف لهذا المكان اسمًا غير اسم «الوادي» وقد وُجد على استراكا عُثر عليها هناك فعلًا، غير أن ذلك لا يعني أنه يدل على اسمه الكامل.[٢٨١]

ولدينا اسم آخر يدل على جزء خاص من جبانة «طيبة». وهو «مكان الصدق» أو «المكان الحق» وقد قال عنه «مسبرو»: «إنه الجزء الشمالي من الجبانة العامة الواقع حول معبد «القرنة» و«ذراع أبو النجا».» أما «شرني» فإنه يعتقد أن عبارة «خدَّام بيت الصدق» موحدة بأهل الجبانة دون تخصيصها بمكان؛ وذلك لأن العبارة المذكورة لا تكاد توجد إلا على الآثار التي عُثر عليها في جبانة «دير المدينة» حيث دُفن العمال (Ibid P. 160) وقد وجدنا في ورقتين (Br. Museum, 10053 No. 7, 8 aud No. 10052,8, (7) شخصين كل منهما يُدعى صانع مكان الصدق.

ويقول «إرك بيت»: إذا كان هذا الاسم يُطلق على كل الجبانة فإنه من المدهش ألا نجد بين الألقاب التي في هذه الأوراق البردية إلا اسمين خُصصا بمكان الصدق. وفضلًا عن ذلك فإنه وُجد على ظهر ورقة مصور مناجم الذهب المحفوظة الآن بمتحف «تورين» متن مهشم جاء فيه أن الفرعون أرسل الشريف العظيم ليحضر … … من محاجر حمامات … … إلى مصر. وقد وضعوها — أي الأحجار — في مكان الصدق بالقرب من معبد «رعمسيس الثاني».[٢٨٢]

ولا نعرف على وجه التأكيد في أي تاريخ بالضبط أصبحت هذه الجبانة مؤسسة حكومية. وتدل شواهد الأحوال على أنه منذ أن بدأ ملوك الأسرة الحادية عشرة يدفنون فراعينهم في غربي «طيبة» كانت تكلف طائفة من الناس بحراسة هذه المدافن، والسهر على العناية بها، وما تحتاج إليه من خدمات. وفي عهد الأسرة السابعة عشرة نجد أن الجبانة الملكية أخذت تشغل مساحة عظيمة.

ولا بدَّ أن اختيار «تحتمس الأول» لـ «وادي الملوك» ليكون مقرًّا لجثمانه — هذا بالإضافة إلى زيادة حجم المقابر وفخامتها وعظم النفائس التي كانت تُوضع داخلها — قد اضطر الملوك إلى

إيجاد نظام دقيق لتجهيز هذه المقابر، والمحافظة عليها بدرجة كبيرة، نظام يحوطه الكتمام أحيانًا، حتى يخيل إلى الإنسان أنه لا يقترب من المقابر إلا نفر خاص.

هذا وقد ذُكر في مكان آخر (راجع مصر القديمة الجزء الرابع) ما كان للملكة «نفرتاري» زوج «أحمس الأوَّل» وابنها «أمنحتب الأول» من مكانة مقدسة خاصة بين عمال الجبانة، وأن تمثاليهما كانا يقومان بالفصل في المخاصمات بين طوائف العمال، وبين العامل وأخيه في كل المنازعات بوساطة الوحي الذي كان يوحيه التمثال. ولا نزاع في أن ذلك يعني أن هذين الشخصين كان لهما فضل كبير في وضع نظم الجبانة على أسس رسمية متينة؛ ولذلك أصبحا إلهين في عين الشعب.

وقد لاحظ «بروبير» في كتاباته عن هذه الجبانة أن كثيرًا من لبناتها التي استعملت في بناء قرية العمال في هذه الجهة كانت تحمل طغراء «تحتمس الأول»، فكل ذلك يؤكد لنا إقامة نظم الجبانة في باكورة الأسرة الثامنة عشرة على أسس متينة، وقد ظلت تسير في سبل التقدم من خلال هذه الأسرة ثم الأسر التي تلتها حتى نهاية الأسرة العشرين. ومنذ ذلك الوقت أخذت المادة الأثرية التي تحدثنا عن سير العمل في هذه الجبانة تتلاشى، ويرجع السبب في ذلك إلى أن الملوك قد أعرضوا عن دفن جثثهم في جبانة «طيبة»، ولا بد أن هذا العمل كان ضربه قاصمة لسلطان «طيبة»، وبخاصة إذا علمنا أنه منذ الأسرة التاسعة عشرة كان قد أخذ سلطانها يضعف من الناحية السياسية بنقل عاصمة الملك السياسية إلى «بررعمسيس» — قنتيرا الحالية، هذا ولا يدل نقل الموميات الفرعونية وغيرها التي لم تهشم — من مقابرها الأصلية إلى مكان خفي بالقرب من «الدير البحري» في أوائل الأسرة الواحدة والعشرين، على أن الغرض من ذلك المحافظة عليها من عبث العابثين بها وحسب، بل يظهر لنا جليًّا تخلي الحكومة كلية عن العمل في المحافظة على صيانة الجبانة العظيمة الفاخرة التي كانت مقرًّا لأعظم الملوك.

وقد أظهر كل من الأستاذين «شرني» و«بروبير» في كتاباته في مواضع كثيرة، ومناسبات عدَّة أن المكان الذي كان يسكن فيه عمال الجبانة فعلًا هو القرية التي كُشف عنها في السنين الأخيرة، وهي التي تقع جبانتها في التلال المشرفة عليها. [٢٨٣] ولا نزاع في أن هذه القرية كانت تُعد مكانًا مناسبًا وطبيعيًّا للعمال الذين كانوا يشتغلون في جبانة «وادي الملكات» وهي مسافة معقولة من معبد «رعمسيس الثالث» الجنازي الذي كان يُعد مركزًا فعليًّا لإدارة الجبانة في عهد الأسرة العشرين، كما تشير إلى ذلك الوثائق الخاصة بهذه الجبانة، وكما تشير كل المؤسسات الدينية التي أقامها «رعمسيس الثالث» كما أوضحنا ذلك في مكانه، على أن هذه القرية لم تكن كذلك بعيدة بالنسبة للعمال الذين كانوا يعملون في «وادي الملوك»؛ لأن العامل كان لا يقطع إلا نصف ميل على التلال ليصل إلى أبواب الملوك.

(١٠-١) إضراب العمال في عهد «رعمسيس الثالث»

ويمكن الباحث أن يستخلص بعض التفصيلات الجغرافية بالنسبة للجبانة من متون أوراق البردي، وبخاصة من ورقة إضراب العمال، وهو ذلك الإضراب الذي حدث في السنة التاسعة والعشرين من حكم «رعمسيس الثالث». [٢٨٤]

وكان العمال وقتئذ قد أظهروا سخطهم لقلة الجرايات التي تُصرف لهم، ويُقال إنهم بسبب ذلك كانوا في مناسبات عديدة قد اخترقوا جدران الجبانة الخمسة، واتجهوا نحو المعابد الجنازية الكبيرة احتجاجًا، فذهبوا إلى معبد «تحتمس الثالث»، وإلى معبد «مرنبتاح»، وإلى معبد «رعمسيس الثاني»، وفي مناسبة واحدة ذهبوا إلى معبد «رعمسيس الثالث». وقد أُرخت هذه الورقة التي يُطلق عليها «ورقة الإضراب» بالسنة التاسعة والعشرين من عهد هذا الفرعون. وتدل شواهد الأحوال من هذه الفقرات على أن العمال قد غادروا الجبانة التي كانت محاطة بخمسة جدران ودخلوا هذه المعابد التي كانت خارجها، وكذلك يحق لنا أن نستنبط من بعض ما جاء في هذه

الوثيقة(P. and R. XLV, 9) أن حصن الجبانة كان على شاطئ النهر، وعلى ذلك فإن لم يكن هذا الحصن منعزلًا تمامًا عن الجبانة نفسها فلا بد إذن أنها كانت — الجبانة — تمتد حتى النهر، وعلى ذلك يدخل في حيزها المعابد الجنازية، وأن هؤلاء المضربين عندما تخطوا الجدران الخمسة كانوا قد دخلوا الجبانة لا أنهم غادروها. والواقع أننا نقرأ في إحدى فقرات هذه الوثيقة (P. and R. XLIII, 7) ما يأتي:

إن العمال قد تعدوا الجدران وجلسوا في الجبانة.

ولا بد أن هذه الجدران كانت مقامة بالقرب من قرية العمال؛ لأنه جاء في نفس الورقة (P. and R. XLIV, 11):

لقد ذهب العمال ليعبروا الجدران التي خلف القرية.

وعلى أية حال فإن هذا موضوع غامض حتى الآن، وربما تكشف عنه الحفائر القائمة في هذه الجهة. وقد كان العمال يشتغلون لحساب الدولة. ويدل ما لدينا من معلومات حتى الآن على أنهم لم يتسلموا أجورًا، بل كانت الحكومة تمدهم بالجرايات كما لاحظنا ذلك في حالة العمال الذين كان يستعملهم «رعمسيس الثاني» في قطع الأحجار من محاجر الجبل الأحمر، فكان يمدهم بكل ما يلزمهم من طعام وملبس — حتى العطور (راجع مصر القديمة الجزء السادس).[٢٨٥] وعلى أية حال فإن هذه المواد كانت في العادة تحتوي على حبوب تُصرف من مخازن الغلال يوزعها الفرعون بوساطة الوزير، وكذلك السمك والخضر والزيت والملابس الخ. وتوزيع هذه المواد كان يجري بطريقة منظمة في الأوقات العادية التي لا يسودها قلق أو اضطراب. ولكن في عهد الأسرة العشرين الذي خرجت فيه البلاد من حروب طاحنة، وسبقها احتلال أجنبي كان توزيع الجرايات فيه مختلًّا؛ إذ كان يُصرف تارة وتارات ينقطع. وقد كان جواب العمال الذين ليس لهم مصدر رزق إلا هذه الجرايات هو التوقف عن العمل والإضراب حتى تأتيهم أرزاقهم، وقالوا:

ليس لدينا ملابس ولا زيت ولا سمك ولا خضر، أرسلوا للفرعون سيدنا العظيم بخصوص هذه الأشياء، وكذلك أرسلوا للوزير رئيسنا حتى يمدنا بما نعيش به.[٢٨٦]

وقد كانت أمثال هذه الشكاوى تُقابَل في العادة بصرف بعض ما يستحقه العمال، فكان ذلك يهدئ من ثورة العمال لبضعة أيام ثم يعودون إلى الإضراب عن العمل إذا جاعوا. وقد تسبب عن ذلك أن ضاعت على الحكومة عدة أيام بدون عمل بسبب جوع العمال إلى درجة تجعلهم في غاية الضعف عن القيام بأي عمل. وقد زاد في ضياع الوقت والارتباك الداخلي وجود عناصر أجنبية معادية في البلاد، وبخاصة «النوبيين» و«اللوبيين» و«المشوش» الذين كانوا قد بدءوا يعيثون في الأرض فسادًا، ويضطهدون الأهلين، ويستولون على أمتعتهم اغتصابًا.[٢٨٧]

وقد كان من واجبات كُتاب الجبانة أن يقيدوا في يوميات محفوظة عندهم الحوادث الهامة، وقد وصلت إلينا أجزاء من هذه اليوميات يرجع تاريخها إلى الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين. ومن هذه اليوميات والأوراق الخاصة بالسرقات التي وصلت إلينا نستطيع أن نكوِّن فكرة لا بأس بها عن نظام هذه الجبانة وحياة العمال فيها.

وكانت طائفة العمال على ما يظهر تتألف من عشرين ومائة عامل في العادة، وكانوا يُقسمون قسمين: قسم اليمين، وقسم الشمال. وكان كل قسم تحت سلطة رئيس عمال، وكان لكل كاتب وظيفته وهي حفظ سجل للحسابات، ولا نعرف أصل هذا التقسيم، غير أنه كان شرطًا أساسيًّا، وكانت أمور كل قسم محفوظة على حدة تمامًا. وكان لكل قسم وكيل ربما كان يحل محل الرئيس إذا غاب، وكذلك كان للعمال مفتشون كان لهم على ما يظهر عمل معين؛ إذ نجد في ورقة الإضراب عاملًا يقول لأحد الكتبة ولأحد رؤساء العمال:

إنكم رؤساؤنا، وأنتم مفتشو الجبانة.

وكان بعض العمال يوصفون بالألقاب التي تدل على واجباتهم الخاصة؛ فمثلًا نجد من بينهم من يُميزون بأنهم نحاتون، أو حفارون، أو صناع، أو قاطعو أحجار، أو صُناع جبس وهم الذين يُعتبرون أحيانًا بنائين، أو صانعي فخار.

وكان يقوم بعمل الشرطة في الجبانة جنود المازوي، وكانوا في قديم الزمان من النوبيين، غير أنهم في نهاية الأمر أصبحوا من المصريين كما ذكرنا من قبل (راجع مصر القديمة الجزء الخامس)، وكان على رأسهم ضابطان.

وكانت وظيفة كل من رئيس العمال والكاتب من الأهمية بمكان في الجبانة، ولهما ميزات خاصة؛ فمثلًا نجد في توزيع الجرايات أنه كان للواحد منهما ضعف[٢٨٨] ما للعامل العادي أحيانًا. ولدينا ورقة من الأوراق قد سُجل فيها تقسيم زيت، فقد تسلم رئيسان «هنًا» لكل منهما، في حين أن سبعة عشر رجلًا كان نصيب الواحد منهم (٢,٥ هنًا) من الزيت، وثمانية آخرون كل واحد منهم تسلم هنًا ونصف هن.

وتدل شواهد الأحوال على أن وظيفة الكاتب كانت وراثية؛ إذ في مقدورنا تتبع وراثة هذه الوظيفة في هذه الجبانة الملكية بدون انقطاع في خلال الأسرتين العشرين والواحدة والعشرين.

ويجدر بنا بهذه المناسبة أن نذكر شيئًا عن هذه الأسرة، إذ هي في الحقيقة تمثل لنا صفحة من تاريخ هذا العصر الغامض، وبخاصة في هذه الجبانة وما جرى فيها من أحداث جسام. كان الكاتب «بوتهامون» بن «تحتمس» الموجودة موميته وتابوته في «متحف بروكسل» الآن من أسرة كتبة مكلفين بملاحظة وإدارة العمال الذين كانوا ينحتون في الصخور في «وادي الملوك» مقابر ملوك الدولة الحديثة. ويرجع الفضل في الوقوف على معرفة ستة من أعضاء هذه الأسرة المرتبين ترتيبًا تاريخيًّا إلى «تحتمس» هذا؛ فقد نقش أسماءهم على صخرة، وهؤلاء كانوا على التوالي كتبة للقبر الملكي في عهد الأسرة العشرين. وكل هؤلاء معروفون لنا من الكتابات التي تركوها إما على

البردي، وإما على الاستراكا. وهذه الوثائق تمكننا من تتبع تاريخ هذه الأسرة. وعلى الرغم من أنه هزيل في كثير من تفاصيله يلقي ضوءًا على الحوادث الكبيرة والصغيرة التي وقعت في جبانة «طيبة» وتصف لنا ما تقلب فيه عمالها من أحداث.

وأول عضو معروف لنا في هذه الأسرة يحمل لقب كاتب هو «موت نخت» وقد عاصر الفرعون «رعمسيس الثالث» وأخلافه المباشرين. أما والده «إبوي» الذي كان يُذكر غالبًا في المتون فلم يحمل ألقابًا قط. وعلى ذلك لم يكن كاتبًا. ومن المحتمل أنه موحد مع العامل الذي كان يحمل نفس الاسم، وهو الذي صادفنا اسمه بين العمال العاديين للقبر الملكي في نهاية الأسرة التاسعة عشرة وبداية الأسرة العشرين. أما توحيده مع «إبوي» صاحب المقبرة الجميلة التي تقع في «دير المدينة» (رقم ٢١٧) فأمر فيه شك كبير. وقد عُين «آمون نخت» كاتبًا للقبر الملكي في السنة السادسة عشرة من عهد «رعمسيس الثالث» بقرار من الوزير «تا»، وقد أظهر «آمون نخت» اعترافه بالجميل لهذا الوزير دائمًا لهذا التعيين حتى إنه سمى ابنه «تا» عرفانًا وولاء لوزيره. ونعرف من أسرة هذا الكاتب غير ابنه «تا» اسم زوجه «تاورت محب» وابنه «حورشرى» الذي ورث والده في وظيفة كاتب، وكذلك نعرف ابنة نجهل اسمها غير أنها قد عُرفت بأنها سارقة لجلبابين، وقد كشف عن سر هذه السرقة وحي تمثال الإله في السنة الخامسة على ما يُظن من عهد الفرعون «رعمسيس الرابع» خلف «رعمسيس الثالث» على العرش. وقد كان «آمون نخت» يظهر غالبًا بوصفه شاهدًا في الخصومات والمعاملات التجارية التي تجري بين العمال، وقد لعب دورًا هامًّا في الاضطرابات التي حدثت في السنة التاسعة والعشرين من عهد «رعمسيس الثالث» حيث كان العمال يتسلمون جراياتهم التي يعيشون عليها بطريقة مرتبكة غير منظمة كما ذكرنا، مما أدى في نهاية الأمر إلى الإضراب عن العمل، فقد ترك العمال أعمالهم وتجمهروا على مقربة من المعابد الملكية الجنازية. وقد بذل «آمون نخت» كل ما في وسعه لتهدئة خواطرهم مع إظهار عطفه على قضيتهم، كما أظهر ولاءه في الوقت نفسه لرئيسه الوزير. وقد كانت السنين الأولى من

حكم «رعمسيس الرابع» يعتورها الاضطراب والقلق بسبب صعوبات داخلية، وعندما ساد السلام وعاد النظام إلى ربوعه وجدنا «آمون نخت» يرحب بهذا العهد الجديد في قصيدة وصلت إلينا منقوشة على قطعة خزف (استراكا) محفوظة الآن في «تورين»، وقد وجدنا أن «آمون نخت» كان لا يزال على قيد الحياة في السنة الثانية من عهد «رعمسيس الخامس»، ويظهر أنه ودع هذه الحياة في السنة السابعة من حكم ملك لم يسمَّ باسمه، ويحتمل أنه «رعمسيس السابع»؛ لأن تركته في هذه السنة قد قُسمت بين المواطنة «تاورت محب» زوجه وبين أولاده. وقد ورث «حورشرى» والده «آمون نخت» في وظيفة كاتب القبر الملكي، وقد كان في حياة والده يعمل رسامًا، وكان عمله الهام رسم وتلوين المناظر والنقوش على جدران القبر الملكي، وكذلك نعلم أنه قد أنجز أعمالًا مختلفة للعمال وغيرهم من سكان جبانة «طيبة» فكان يصنع — ويلون على وجه خاص — التوابيت الخشبية. ولا يزال لدينا عدة قوائم حساب للكاتب «حورشرى» تظهر أن عمله كان مصدر دخل عظيم جدًّا له، وقد وجدنا أنه طلب رشوة في مرة من والد كان يرغب في ترقية ابنه. وفي السنة السادسة عشرة من حكم الفرعون «رعمسيس التاسع» نجد «حورشرى» وزميلًا له يقومان بنشر فضيحة عظمى في «طيبة» وذلك برفع تظلم أمام عمدة «طيبة» الشرقية المسمى «باسر» بخصوص سرقات ارتكبت في المقابر الملكية في غربي «طيبة»، وقد سمع «باسر» لما قالا وألقى المسئولية على عمدة «طيبة» الغربية «باورا» الذي كان يكرهه. وقد استمرت القضية مدة طويلة، والوثائق التي وصلت إلينا تظهر أن الرأي كان يميل إلى إخفائها والتغاضي عنها. وقد تظلم «باورا» من هذين الكاتبين لأنه كان الواجب عليهما أن يقدما تقريرهما لرئيسهما المباشر وهو الوزير لا إلى عمدة «طيبة» الشرقية. ولا نزاع في أن «حورشرى» وزميله كانا مخطئين، غير أن اتهامهما له كان حقًّا؛ ولذلك لم يجسر أحد على إلحاق أي ضرر بهذين الكاتبين. وقد استمر «حورشرى» يشرف في سلام على أمور عمال القبر الملكي في السنة السابعة عشرة من عهد «رعمسيس التاسع» ونرى بجانبه ابنه «خعمحزت»، وقد كان يشرف فعلًا مع رئيسي العمال على

فرقة عمال القبر الملكي. وبعد ذلك نجد «خعمحزت» هذا يظهر وحده في السنة الثالثة من عهد «رعمسيس الثالث»، غير أن معلوماتنا عنه ليست وافية؛ لأن ما لدينا عنه من وثائق قليل جدًّا، أما الوثائق التي عن ابنه «تحتمس» فهي على العكس، مهمة نسبيًّا، وكثيرة.

فقد كان «تحتمس» في صباه يشتغل عاملًا عاديًّا في فرقة العمال قبل أن يصبح كاتبًا، وفي السنة الثانية عشرة من عهد «رعمسيس الحادي عشر» نجد أنه قد ارتقى إلى وظيفة كاتب للقبر الملكي، وجباية العشر من الحصول عند الفلاحين في الإقليم الواقع جنوبي «طيبة». وفي السنة الثامنة عشرة من حكم هذا الفرعون نقرأ أنه كان يشرف على النجارين الذين كانوا يشتغلون في قارب الوزير مرات عديدة. وقد دُوِّن اسم بيت «تحتمس» في بردية محفوظة الآن «بالمتحف البريطاني»، وتحتوي هذه القائمة على أسماء بيوت «طيبة» الغربية. وكان هذا البيت واقعًا بجوار معبد مدينة «هابو» حيث كانت قد نقلت وقتئذ قرية عمال القبر الملكي، أما مكانها الأصلي القديم في «دير المدينة» الحالية فلم يكن في مأمن بسبب الغزوات التي قام بها «اللوبيون» في عهد «رعمسيس التاسع». وقد ذكر «تحتمس» هذا مرات عدة في سلسلة وثائق هامة مؤرخة بعهد النهضة — الذي يؤلف جزءًا من عهد «رعمسيس الحادي عشر» — ولها علاقة بالسرقات الجديدة في جبانة «طيبة». وقد كان «تحتمس» هذا وزميله الكاتب الثاني للقبر الملكي المسمى «نسأمنمؤبى» حاضرين عند التحقيق مع اللصوص، وكانا أحيانًا يوجهان أسئلة للمتهمين لتوضيح تفاصيل كان يُخيل إليهما أنها غامضة.

وعلى أثر موت «رعمسيس الحادي عشر» أعلن الكاهن الأكبر «حريحور» نفسه ملكًا على مصر، ونصب ابنه «بيعنخي» وزيرًا؛ وبذلك أصبح «بيعنخي» رئيس «تحتمس» وابنه «بوتهامون» الذي شغل مدة وظيفة كاتب القبر الملكي في وقت واحد مع والده، وقد كان كل منهما على اتصال وثيق مع «بيعنخي» ووالدته الملكة «نزمت»، وكانا غالبًا ما يكلفانهما بمأموريات سرية. وقد استقينا معلوماتنا عن اتصالهما مع «بيعنخي» ووالدته من سلسلة رسائل تتألف منها

الرسائل التي كتبها «تحتمس» — الذي كان يُسمى أحيانًا «زروى» — ومن رسائل «بوتهامون». ومن المحتمل أن هذه الرسائل المشتتة الآن في متاحف العالم كانت في الأصل في بيت «بوتهامون» القائم حتى يومنا هذا خلف معبد مدينة «هابو» على مقربة من جدار السور العظيم. وقد ترك لنا كل من «تحتمس» و«بوتهامون»، وبخاصة الأخير منهما عددًا كبيرًا من النقوش على صخور جبل «طيبة». ونجد أن الكاتب عادة كان يكتفي بذكر اسمهما، وأحيانًا يضيف لنا التاريخ وسبب الزيارة أو يحفر لنا صلوات قصيرة.

وقد قام «بوتهامون» بنقل الموميات الملكية إلى الخبيئة التي أمر كهنة «آمون» العظام بنقلها فيها حفظًا لها من اللصوص الذين كانوا لا ينفكون يحفرون قبور الفراعنة طلبًا للكنوز، وإقلاق راحة الأموات.

والسنة الثالثة عشرة كما هو المظنون من عهد الملك «بسونيس الأول»، وقد وُجدت مكتوبة على لفائف الملك «رعمسيس الثالث»، هي آخر تاريخ تصادف فيه اسم الكاتب «بوتهامون». وكان ابنه يُدعى «عنخفنآمون» وهو الذي خلف في وظيفة كاتب للقبر الملكي. ولكن ليس لدينا من الوثائق عنه إلا نقش كتبه على جدار قبر «بدير المدينة» وهذا النقش يحتوي صلاة لوالده المتوفى، والكاتب «عنخفنآمون» هو آخر عضو نعرفه في هذه الأسرة، وقد عاش في النصف الأخير من الأسرة الحادية والعشرين.

وقبل أن نختم كلامنا عن جبانة «طيبة» نجد لدينا سؤالًا واحدًا تجب الإجابة عنه، وهو: من هم الموظفون الخارجون عن دائرة الجبانة الذين نسمع عن علاقتهم بها في ورقة الإضراب؟ والواقع أننا إذا حكمنا عليهم من ناحية الاسم فقط أمكننا أن نقول على وجه الحدس إنهم كانوا أشخاصًا أخذوا بنصيب من العمل في الجبانة أو الحياة فيها، وفي الوقت نفسه قد لا يكونون متصلين أو عائشين في نفس الحي، أو أنهم قد أُتي بهم تحت رياسة موظفي الجبانة لتوزيع الجرايات أو لحفظ

النظام. وهذه النظرية تتفق تمامًا مع الحقائق المعروفة عن هؤلاء الأفراد، والكلمة المصرية «سمدت» يظهر أنها تعني هيئة موظفين لمؤسسة. ولا بد أنه كان هناك نظريًّا هيئة داخلية، كما كان هناك هيئة خارجية. والواقع أنه كان هناك هيئة غير أنها لم تكن معروفة بهذا الاسم، بل كانت تُعرف بكلمة تدل على طائفة عمال وحسب. وورقة الإضراب تحتوي يوميات هامة لها علاقة بهذه النقطة، فقد جاء فيها:[٢٨٩]

> السنة التاسعة والعشرون، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم الثاني (؟) تفصيل عن تشغيل طائفة عمال الجبانة.

ثم تأتي بعد ذلك اليومية التالية: «طائفة العمال بأكملها.» ويتبع ذلك العنوان حملة الماء ويُذكر معهم ستة أشخاص، ثم «حملة الخضر» ويُذكر ستة أسماء كلهم يُلقبون بستانيين أو نواب بستانيين. وبعد ذلك «جالبو سمك» ويُذكر أربعة أسماء.

ومن ذلك يظهر أن كل هيئة العمال كانت من القرية نفسها وليسوا غرباء وكانوا يقومون بتوريد الماء والخضر والسمك.

هذه نظرة عامة عن الحياة في جبانة «طيبة» الغربية التي كانت تُعد في الواقع بمثابة جزء من مدينة «طيبة» الكبرى. وسنرى في عهد الملوك الذين خلفوا «رعمسيس الثالث» تفاصيل عن بعض الموضوعات التي ذكرناها هنا باختصار على أن الحياة التي كانت تدب في أنحاء هذا البلد الأمين أخذ مصباحها ينطفئ دفعة واحدة وهجرت، ولم يعد الملوك يحفرون مقابرهم فيها، أو يشيدون معابدهم في ربوعها، ومن ثم انتقل عمال القبر الملكي إلى مكان آخر، أو استغنى عنهم، وقد كان من جراء ذلك أن اختفت عن أعيننا أسرة الكتبة، وكذلك العمال الذين أحيوا تاريخ «طيبة» وجبانتها التي كان المصري يسميها «بيت الحياة» مدة قرن ونصف قرن. وقد انتقلت هذه

الأبهة، وهذه العظمة إلى الشمال في «تانيس» العاصمة الدينية حيث حفر الفراعنة قبورهم التي كُشف عنها حديثًا.[٢٩٠]

(٢-١٠) صناعة الكتابة

ولا غرابة في أن نجد صناعة الكتابة من أعلى الصناعات وأحبها إلى المصري في ذلك العهد من التاريخ، ولقد كانت الأحوال تستدعي التمسك بها والمحافظة على تعلمها؛ ففضلًا عن أنها كانت تقف المرء على الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد كما هي وظيفتها اليوم، فقد كانت — إذا ما قيست بغيرها من الصناعات والمهن — أشرفها وأعلاها، وإذا صدَّقنا ولو بعض الشيء الصورة التي كان يصورها لنا الكاتب عن الصناعات الأخرى وبخاصة حرفة الفلاحة وقفنا منها على ما كان يعانيه الفلاح المصري من بؤس وشقاء من ذلك الخطاب النموذجي الذي صُور بصورة تذكرنا بما كان يجري في عهد المماليك عندما أخذوا يعيثون في الأرض فسادًا، ويظلمون الفلاحين، ويستنزفون دماءهم قبل تولية محمد علي. فاستمع لما جاء في هذا الخطاب الذي كتبه والد لابنه عندما سمع أنه ترك تعلم الكتابة لانخراطه في سلك فلاحة الأرض وتثميرها:

> لقد نُبئت أنك قد أقلعت عن صناعة الكتابة، وانغمست في اللهو واللعب، ووليت وجهك نحو العمل في الحقول، فهلا تذكر حالة الفلاح وهو يواجه بتسجيل ضرائب المحصول عندما تكون الحية قد قضت على نصف الغلة، والتهم جاموس البحر البقية الباقية؟ والفئران تنتشر في الحقول، ويحط عليها الجراد والماشية فيلتهم محصولها، والطيور تأتي بالمصائب على المزارع، وكل ما يبقى بعد ذلك على رقعة «الجرن» يؤتى عليه؛ إذ يقع غنيمة باردة في يد اللصوص، ويغرم الفلاح بعد ذلك أجرة الماشية التي استأجرها (للحرث والدرس).
>
> وزوج الثيران ينفق وهو يدرس الأرض ويحرثها.

والآن يرسو الكاتب عند شاطئ النهر، ويسجل ضريبة المحصول، وعندئذ يُشاهد البوابون حاملين عصيهم، والنوبيون وبأيديهم جريد النخل قائلين: «سلم الغلة.» في حين أنه لم يبقَ منها شيء. فيضرب الزارع في كل مكان من جسمه، ويشد وثاقه ويلقي به في البئر رأسًا على عقب. أما زوجه فتوثق كذلك أمامه، ويغل أولاده، وإذ ذاك يهجرهم جيرانهم ويولون الأدبار. وهكذا تطير غلتهم.

أما الكاتب فهو فوق كل شيء، فإن من يتخذ الكتابة صناعة له لا تفرض عليه ضريبة ولا يدفع جزية ما، فالتفت إلى ذلك جيدًا.

وهذا الخطاب على الرغم مما فيه من مبالغة يشعرنا بأن الضرائب كانت تُجبى بفظاظة وقسوة، وقد كانت هذه الحال هي السائدة — على ما يظهر — في مصر حتى القرن التاسع عشر الميلادي.

ولدينا خطاب آخر من هذا النوع يصور لنا نفس الحالة مع بعض تفاصيل أخرى:

كن كاتبًا، ضع هذه المهنة في قلبك، ولا تُعرضن عنها، وإلا أجبرتك على أن تكون مزارعًا تُلزم بدفع ثلاثمائة حقيبة غلال، وتُكلف القيام على عدة حقول ثلثاها مملوءان بالأعشاب الضارة، وهذا القدر أكثر من الغلة نفسها، وبذلك يدب اليأس في قلبك، فلا تبذر البذر (في الأرض) فتتركها تسقط على الأرض، وتهز رأسك مستسلمًا قائلًا: سأفعلها (أي سأبذرها)، ثم يأتيك زمن الحصاد فترى ما قمت به، وحينئذ تجد أنها حمراء وعالقة بالأرض، أو قد أُلصقت بالحجر، وكذلك تجد أن زوج الثيران الذي أحضرته للحرث قد سقط في الوحل — يقصد الثورين اللذين قد استأجرهما للحرث — وعندئذ يأتي الراعي ليأخذهما ثانية فتقف مبهوتًا، ثم يأتي المشرف على الماشية في جولته

التفتيشية، وعند ذلك يضطرك الموقف للإجابة (بأنهما ليسا هنا)، وعلى ذلك تغرم البقرتين، ويُنتزع منك عجلاهما. افهم ذلك جيدًا.

وهكذا نشاهد أن الفلاح المصري منذ خمسة آلاف سنة لا يزال هو هو بعينه الآن يحمل أعباء الحياة التي يتمتع بها غيره ممن يحترفون المهن الأخرى وبخاصة رجال الدواوين والمصالح الحكومية وأصحاب رءوس الأموال الذين أسعدهم الحظ بتعلم القراءة والكتابة، غير أن بوادر الأحوال وما حدث في العالم من تطور يشعر بقرب تغير هذه الحالة المرذولة إلى ما هو أحسن.

(١٠-٣) الصور الهزلية

والواقع أن شواهد الأحوال تدل على أن الحياة في مصر في ذلك العهد كانت آخذة في التدهور، وبخاصة بعد الحروب الطاحنة التي قاست خلالها البلاد البؤس والشقاء؛ مما دفع أصحاب الأقلام إلى وصفها بأبشع الصور، كما أخذ المفتنون يصورونها لنا في صور هزلية رمزية، ولا غرابة؛ فقد كان المصري ميالًا بطبيعته إلى الرسوم الهزلية، حتى إنه استعملها في كثير من الأحوال لتدل على النقد اللاذع، والتهكم المشين، وأبرز للعالم أفكاره مصورة في هيئة حيوانات دلالة على ما يرمي إليه، وقد تناول في ذلك موضوعات كثيرة تمثل الظلم والعدل على ألسنة الحيوانات؛ مما يعيد إلى أذهاننا قصص كليلة ودمنة، ولم يفلت من يد المفتن المصري أحد حتى الفراعنة أنفسهم؛ فقد أظهرهم في صوره الهزلية التي تدل على السخرية والامتهان، ولا أدل على ذلك من تلك المناظر التي سخر فيها كُتَّاب هذا العصر من رجال الجندية ووظائفهم ومجدوا الكتاب والكتابة شعرًا ونثرًا، فقد أخذ المصورون يمثلون الحروب ومناظرها في عهد «رعمسيس الثالث» وغيره بصور حيوانات بدلًا من الرجال، وقد يكون سبب ذلك ملل الناس من الحروب في هذه الأوقات، فسخروا منها كما سخروا من رجال الجندية، وإنا لنجد في أحد الأوراق المحفوظة الآن في «متحف تورين» صورة هزلية رائعة، مُثل فيها فرعون كل الفئران ممتطيًا عربته التي تقودها

الكلاب السلوقية، وهو يهاجم بشجاعة وبطش جيشًا من القطط، على حين تدوس جياده الساقطين من الأعداء تحت أقدامها، وقد كانت فرقته في الوقت نفسه تتقدمه مهاجمة حصنًا يدافع عنه جيش عظيم من القطط، وقد مُثل هؤلاء الفئران وهم يهاجمون هذا الحصن بنفس الحمية والشجاعة والإقدام التي تظهرها الجنود المصرية عندما كانوا يهاجمون حصنًا سوريًّا، وهكذا نرى أن الصور الهزلية التي نقتبسها الآن عن المجلات الإفرنجية ليست إلا اقتباسًا توارثته الأجيال منذ آلاف السنين مما كان عند المصريين. وهكذا نرى أن المصري كان يهاجم حتى الفرعون نفسه عندما تشتد به الحالة، وتعضه الحروب الطاحنة بأنيابها حتى يسأمها؛ فيظهر ما تخفيه نفسه بالصور الهزلية المعبرة التي تعبر عما في ضميره أكثر من الألفاظ.

والواقع أن الحيوانات احتلت مكانة عظيمة في تمثيل المناظر الهزلية أو المسلية العالمية، فكان ينسب إليها كل الانفعالات والهنات الإنسانية، وقد كان القاص يجعل السبع أو الفأر أو ابن آوى ينطق بأحاسيس إنسانية يُستخلص منها عظات عالمية، ولا نزاع في أن «لافونتين» كان له أسلاف على شاطئ النيل لم يعرف عنهم إلا القليل، وقد كان المثال المصري يضع آلته تحت قاص الخرافات بصوره الهزلية التي كان يبرزها؛ مما كان يضفي على سخرية القصة من الروعة والنقد اللاذع أكثر مما تعبر به الألفاظ، فحيث نجد المؤلف قد ذكر باختصار أن ابن آوى والقط قد أجبرا فريستهما من الحيوانات التي يريدان التقامها؛ أن يقوم على خدمتهما ورعاية شئونهما لتكون غذاء شهيًّا في أوقات فراغهما نجد أن المثال قد صور ابن آوى والقط مجهزين بوصفهما فلاحين على ظهر كل منهما حقيبة، وعلى كتف كل منهما عصا، ويمشيان خلف قطيع من الغزلان أو من الأوز المسمن، وإنه لمن السهل أن يتنبأ الإنسان بمصير تلك الفريسة المنكودة الحظ. وفي مكان آخر نجد ثورًا يجلب أمام سيده قطًّا قد غشه، وقد كان نصيبه بما عُرف عنه من البلادة أن يوقع عليه العقاب لسوء فعلته؛ لما ارتكبه من تصرف مشين مع القط إذ اتهمه زورًا وبهتانًا.

وقد كان لألفاظ القط الماكر المعبرة بدقة أمام القاضي الذي مُثل برأس حمار يمسك عصا الحكم، ويرتدي ملابس شريف من عظماء القوم؛ تأثير في القصة على القاضي، وهذه القصة تذكرنا بالمناظر التي تُشاهد في قاعة العدل التي كان يعقدها رب «طيبة».

وفي مكان آخر نجد قصة مُثل فيها حمار وأسد وتمساح وقرد تمثل كلها جوقة موسيقية يضرب كل منها على آلة خاصة، وفي منظر ثالث نشاهد سبعًا وغزالًا يلعبان الضامة معًا، وكذلك نشاهد قطة أنيقة وضعت زهرة في شعرها، وقد حدث بينها وبين إوزة خلاف، فتضاربا معًا، وقد تقهقرت القطة إلى الوراء مذعورة حين خافت على نفسها. وهكذا نرى كثيرًا من الصور والرسوم الرمزية التي وضعها مؤلفوها لتدل على مقاصد معينة أبرزوها في صور خفية في عهدهم كما فُعل في كتاب كليلة ودمنة (راجع Maspero, The Struggle of the Nations p. 499 ff).

(١١) الحياة الدينية

سارت الحياة الدينية في مجراها الطبيعي الذي كانت تسلكه بعد الانقلاب الديني الذي وقع عقب موت الفرعون «إخناتون» وهو الذي به عادت ديانة «آمون» والآلهة الآخرين سيرتها الأولى بعد أن كان «إخناتون» قد قضى عليها جملة، فأصبحت العبادات في ظاهرها وكأن الإصلاح الذي قام به هذا النبي لم يحدث، وقد ذُكر آنفًا ما كان لدين «إخناتون» المنطوي على عبادة إله واحد من أثر عميق في نفوس القوم وبخاصة ظهور الورع الشخصي، ومناجاة الفرد ربه، واتكاله عليه في كل أعماله وتصرفاته، والالتجاء إليه في كل الشدائد التي تنتابه والمصائب التي كانت تنزل به.

ولكن من جهة أخرى نشاهد أنه كان من أثر عودة عبادة «آمون» والآلهة الآخرين إلى ما كانوا عليه من قبل؛ مبالغة القوم وبخاصة رجال الدين يؤازرهم رجال الحكومة في الحفاوة بالآلهة وتقديسهم بإقامة الشعائر اليومية الطويلة بصفة رسمية منظمة أكثر مما كانت تُقام من قبل، هذا بالإضافة للأعياد التي كانت يُحتفل بها في مناسبات عدة فقد زيد في عدد أيامها.

(١١-١) الشعائر اليومية

وقد ترك لنا «سيتي الأول» على جدران المحاريب الست[٢٩١] التي أقامها في معبد العرابة للآلهة «أوزير» و«حور» و«إيزيس» و«آمون» و«حرمخيس» و«بتاح» مناظر تمثل الشعائر التي كانت تُقام يوميًّا للإله «آمون». وقد وصل إلينا غير هذه المناظر عن هذه الشعائر اليومية ثلاث برديات دُوِّنت عليها الأحفال التي كانت تُقام يوميًّا للآلهة، وكلها محفوظة «بمتحف برلين»[٢٩٢] ويرجع عهدها على ما يظهر إلى الأسرة الثانية والعشرين، وهذه المصادر وغيرها تدل محتوياتها على أنه كانت في مصر وحدة عظيمة منظمة لإقامة الشعائر الإلهية اليومية للإله.



شكل ٩: صورة هزلية تمثل حربًا بين الفئران والقطط (أي بين مصر وسوريا) في عهد «رعمسيس الثالث».

والواقع أن ما جاء في مناظر معبد «سيتي» وما دُوِّن على الأوراق البردية السالفة الذكر يصف لنا جزءًا من الشعائر التي تُقام للإله يوميًّا، وهذا الجزء خاص بإلباس الإله، أو بعبارة أخرى تمثاله وتزيينه وتضميخه ثم إعادته إلى محرابه. ولدينا شعيرة أخرى كانت تُقام للإله تُعد مكملة للسابقة، وهي خاصة بتقديم الطعام له بعد نهاية الجزء الأول. وقد نشر لنا الأستاذ «جاردنر» جزءًا عظيمًا من هذه الشعائر بعنوان شعائر الفرعون «أمنحتب الأول المؤله» (راجع Gardiner, Hieratic Papyri in the British Museum Third series Vol, I, pp. 78–106 and Vol II, pls. 50–61) وقد أضاف إلى هذا المصدر الأستاذ «نلسون» مصادر جديدة أجرى نُقشت على جدران بعض المعابد، أهمها مناظر «الكرنك» التي تركها لنا «سيتي الأول» على ا لجدار الشرقي لقاعة العمد. ومناظر من عهد «رعمسيس الثالث» في معبد «مدينة هابو» على الجدار الشمالي للردهة الأولى (راجع Journal of Near Eastern Studies July 1949 No. 3 P. 201 ff).

وسنتحدث هنا أولًا عن شعائر العبادة الإلهية اليومية، ثم نورد بعد ذلك ملخصًا مختصرًا لرءوس الموضوعات الخاصة بإطعام الإله.

من المعلوم أن الملك كان في الأصل صاحب الحق الأول في إقامة الشعائر للإله بوصفه الكاهن الأول، غير أنه كان بطبيعة الحال ينيب عنه كاهنًا كبيرًا أو أحد عظماء رجال الدين لأداء تلك الشعيرة وغيرها. وقد كانت الشعائر تُقام لتمثال الإله الذي كان يُوضع عادة في محراب صغير يُصنع في معظم الأحيان من الخشب المموه بالذهب والمزخرف بالألوان والمطعم بالأحجار الثمينة. ولما كان التمثال من الخشب فقد كان سهل الحمل على الكهنة في أيام الاحتفال التي كان يُحمل فيها الإله في المواكب. وكان محراب الإله أو بعبارة أخرى قدس الأقداس في المعبد مغلقًا بباب ذي مصراعين مقفل مزلاجه بإحكام ومختوم. والفريضة التي سنفحصها الآن على حسب ما

جاء في ورقة «برلين» قد قسمها المصريون أنفسهم ستة وستين فصلًا، ونختصرها هنا بعض الشيء في فصول قليلة.

ويبتدئ الاحتفال بالعنوان التالي:

> بداية فقرات الأحفال الخاصة التي تُقام يوميًّا في معبد الإله «آمون رع» ملك الآلهة بوساطة الكاهن العظيم المطهر الذي يكون في خدمته في يومه.

وتتلخص الشعيرة فيما يأتي:

(أ) (أولًا) الأحفال الافتتاحية

كان على الكاهن قبل أن يقترب من قدس الأقداس أن يطهر نفسه ويرتدي ملابس الكهانة الخاصة بهذا الحفل. ويُلاحَظ أن البردية لا تتحدث عن المراسيم التجهيزية التي تحدث عادة في بيت الصباح، غير أنه لدينا متون أخرى من بينها لوحة «بيعنخي» تشير إلى ذلك. ومن جهة أخرى نشاهد أن المناظر التي على جدران المعابد تمثل غالبًا شعيرة التطهير التي كان يقوم بإنجازها الإلهان «حور» و«ست»، وغالبًا ما نرى بدلًا من «ست» الإله «تحوت»؛ فنرى الإلهين يرفعان فوق رأس الملك إناءين خاصين بهذه الشعيرة ويصبان منهما الماء المطهر على رأسه. ويُفهم من الكلمات التي يوجهانها للملك أنه قد تسلم التقديس الملكي الذي بوساطته يكون له الحق وحده في الاحتفال بالخدمة الإلهية. وبعد أن يتخلص الكاهن بهذه الكيفية من كل أقذائه الجسمية يُبخر بالمبخرة ويتقدم مطهرًا بعبيق البخور الأماكن التي يمر فيها وهو متجه نحو الإله.

(ب) فتح المحراب

تشمل هذه الشعيرة سلسلتين متوازيتين من الأحفال. وعلى الرغم من أن المتون لا تقدم لنا أية تفاصيل عن كنه هذا الموضوع فإنه في استطاعتنا أن نقترح مع الأستاذ موريه (Le rituel du

أن هذا التوازي يقابل تقسيم مصر (Culte divin Journalier en Egypte p. 30-1) التقليدي مملكتين. وعلى ذلك يكون لدينا على التوالي الشعائر التي تُقام للوجه القبلي والشعائر التي تُقام للوجه البحري. وعلى أية حال فإنه على أثر إنجاز الكاهن الطهور الشعيري يقترب من المحراب ويكسر الخاتم المصنوع من الطين ويشد المزلاج، والصيغ الدينية التي يرتلها خلال هذه الأحفال مستعارة مباشرة من أسطورة «حور»: إن ما يحمله إلى الإله هو «عين حور»، وكذلك فإن المزلاج نفسه موحد بإصبع الإله «ست»؛ لأنه يقوم بمثابة عقبة في سبيل إنجاز الخدمة الإلهية، وإن المزلاج هو الذي يفصل الكاهن من الإله المغلق عليه في محرابه، وعلى ذلك فإن شد المزلاج وفتحه يعني إحراز نصر على العدو الأبدي للإلهين «أوزير» و«حور».

(ج) التعبد للإله

وعلى إثر شد المزلاج يفتح الكاهن «أبواب السماء ويكشف وجه الإله»، ثم يركع أمام التمثال مرتلًا الدعوات الصالحات التي تشبه بعض الشيء صيغ الاعتراف بالبراءة (راجع مصر القديمة الجزء الخامس). ومن جهة أخرى تشير هذه الدعوات الصالحات إلى التمثيلية العظمى التي على وشك الإنجاز لإعادة الحياة للإله ثانية، وبعد ذلك ينهض الكاهن ويرتل أناشيد التعبد وينشر العطور على التمثال، ويجعل عبيق البخور يرتفع أمامه ويغمره.

وعند هذه النقطة يستأنف الشعيرة بعنوان: «فصل دخول المعبد» وهو الأحفال الأولى الخاصة بالعبادة مع تلاوة أسطورة «عين حور» بصورة بارزة، وهذه الأسطورة على حسب أقدم رواية — وقد دخل عليها فيما بعد بعض التحريف والفساد بوساطة أسطورة «أوزير» — مشتقة بلا شك من أصل نجمي جملة. وقد كان لها فيما بعد مقابل شمسي: فقد حُكي أن السيد العالمي كان عند بداية الخليقة قد حُرم عينه لسبب لا نعرفه، وكُلف الإلهان «شو» و«تفنوت» بالبحث عنها وإحضارها له، ولكن طال غياب الإلهين حتى إن «رع» قد اضطر أن يضع بدل تلك العين

الجاحدة أخرى. وعندما أُحضرت العين في نهاية الأمر بوساطة الإلهين «شو» و«تفنوت» استشاطت غضبًا لما رأت أن مكانها قد احتل. ولكن «رع» رغبة في إرضائها وتهدئة خاطرها حولها إلى «صل» ووضعه على جبينه رمزًا لقوته. هذا فضلًا عن أنه كلفه بحراسته من الأعداء، فيبعث النار والدمار في وجه كل من يقترب منه، وهو الصل الذي نراه في تاج الملك على جبهته.

(د) تقبيل الإله

وعندما يصل الكاهن إلى مدخل المحراب، يتلو كلمات مهدئة تطمئن خاطر الإله، ويجب أن يعرف الإله تمام المعرفة أن الكاهن الذي يقترب منه ليس عدوًّا له، بل حاميه. ثم يذكر الكاهن أنه قد دخل السماء، أي المحراب، ليُشاهد «آمون» وليقترب منه في ساعة بؤسه، وفي هذا القول إشارة إلى خسوف الشمس الذي كان من جرَّائه الهجمات الشديدة المستمرة التي كان يقوم بها «ست» إله الشر، ولكن عين «حور» يؤتى بها إلى الإله لترد له الحياة. وهذه هي اللحظة الفاصلة في إقامة هذه الشعيرة، والنقطة النهائية في تمثيل هذه الدراما.

(ﻫ) فتح المحراب للمرة الثانية

لم يذكر لنا المتن شيئًا عن كيفية انسحاب الكاهن بعد ختام الجزء الأول من تأدية خدمة الإله. والأحفال التي تصحب فتح المحراب للمرة الثانية لا تختلف عن سابقتها في شيء إلا في نقطة واحدة، وذلك أن الكاهن بدلًا من إحضار عين «حور» للإله، يقدم له تمثالًا صغيرًا يمثل الإلهة «ماعت» إلهة العدل والحق والصدق. ونعلم من المتن الطويل الذي يفصل القول في هذه القربات الموحدة هنا بالإلهة «ماعت» — لا في كنهها المعنوي وهو العدالة — بل في معناها المادي وهو القربان الذي يجعل الإله يسترد حياته الجسمية فيقول المتن:

> إن عينك اليمنى هي «ماعت»، وعينك اليسرى هي «ماعت»، وجسمك هو «ماعت»، وأعضاءك هي «ماعت»، وملابسك التي تستر أعضاءك هي «ماعت»، وإنك تتغذى

من «ماعت» وتشرب «ماعت»، وخبزك هو «ماعت»، وجعتك هي «ماعت»، والبخور الذي تشمه هو «ماعت»، ونفس أنفك هو «ماعت». (Moret op. cit. p. 141).

ومن ثم نعلم أن «ماعت» كانت تلعب نفس الدور الذي كانت تلعبه عين «حور»، لدرجة أنه — بغض النظر عن المظاهر الخارجية — لا توجد فروق رسمية بين الأحفال الشعائرية التي تتوج عمليتي فتح المحراب المتتابعتين.

(و) ملابس الإله

وبعد أن تدب الحياة ثانية في أعضاء الإله ويصبح حيًّا كان من الواجب أن يبتدئ بإلباسه ملابسه، وكان يقتضي ذلك إخراج التمثال من محرابه وإحضار الصندوق الذي يحتوي على أدوات زينته المقدسة، وبعد ذلك يأخذ الكاهن في تطهير التمثال مرتين بالماء وأخرى بالبخور، ثم يضع على جسمه أربع قطع من النسيج: واحدة بيضاء لتمثل الإلهة «نخبت» وهي الإلهة الحامية للوجه القبلي، وقطعة حمراء وأخرى خضراء لتمثل الإلهة «وازيت» الإلهة الحامية للدلتا، وأخيرًا قطعة نسيج قرمزية اللون عادة وتمثل إلهة النسيج «تايت» (راجع Excavations at Giza Vol. vl, Part II, P. 216)، وعند فراغ الكاهن من لباس الإله يأخذ في تزيينه وتزجيجه وتعطيره بكل أنواع العطور والزيوت المختلفة ذات الأريج الجميل، وبعد ذلك يُوضع التمثال ثانية في محرابه، غير أن المتن الذي في متناولنا لا ينص على ذلك صراحة.

(ز) الأحفال النهائية

وأخيرًا كان ينشر الكاهن الرمل أمام التمثال، وقد قرَّب الأستاذ «موريه» بين هذه الشعيرة وشعيرة إرساء حجر الأساس في الاحتفال بإقامة المعابد العريقة في القدم (راجع Ibid p. 202 No. I). وبعد ذلك كان يُطهر الإله بالنطرون، وهذا الطهور كان الغرض منه فتح فم التمثال وعينه (راجع

مصر القديمة الجزء الرابع)، وعلى أثر ذلك تعمل عملية التطهير الأخيرة بالماء والبخور وبذلك ينتهي الاحتفال بهذه الشعيرة. وبعد ذلك يغلق الكاهن باب المحراب ويُحكم بالمزلاج ثم ينسحب، وفي خلال هذا الانسحاب يمحو بمكنسة سحرية أثر قدميه من على الأرض، وكذلك يطرد الشيطان الرجيم وبخاصة إله الشر الذي قتله من المحراب (راجع J E. A Vol. 35 6. 82–86) وفي هذه الحالة كان يقوم الكاهن بدور الإله «تحوت» إله السحر. ويذهب الأستاذ «نلسون» إلى أن الكاهن عندما كان يطرد إله الشر كان يمثله نفسه وهو خارج من المحراب في حالة سرية خفية.

(د) أهمية هذه الشعائر

لم نحاول في معظم الأحيان ترجمة المتون التي تصحب هذه الشعائر، والواقع أنها من الأهمية بمكان، لأنها تظهر لنا أثر ديانة «أوزير» في الشعائر المقدَّسة؛ فالإشارات فيها لعين «حور» كثيرة جدًّا، وقد رأينا من جهة أخرى مشابهات عدة بين الخدمة الإلهية والخدمة الجنازية، التي تعمل للأفراد الذين كانوا يعتنقون المذهب الأوزيري وشعائره، ومن ذلك يمكننا أن نستخلص بحق أن عبادة «أوزير» تُعد من أقدم العبادات التي أسست في مصر، وأنها هي العبادة التي أثرت بقوة على خيال الشعب المصري، غير أنه من الصعب جدًّا إمكان معالجة مثل هذا الموضوع (Blackman J. E. A. Vol V, p. 148–165). ومع ذلك فإنه كان يوجد في مصر مذهب ديني آخر يضارع في قدمه مذهب «أوزير» وشعائره، وأعني بذلك المذهب الشمسي أو عبادة «رع». ولا يمكننا أن ننكر أن عبادة «رع» كانت تلعب دورًا هامًّا في الأحفال الخاصة بالخدمة الإلهية، غير أن هذا الدور كان ضئيلًا، ومع ذلك يظهر بوجه خاص في الدور الذي تلعبه «ماعت» في القربان. ومن المعلوم أن «ماعت» هي بنت الإله «رع»، وبذلك تدخل ضمن المذهب الشمسي من غير جدال، ونلحظ أنها كانت تذكر في إقامة الشعائر موازية لعين «حور» أو موحدة بها كما ذكرنا من قبل. ويجب إذن أن تمثل التيار الشمسي، كما تمثل عين «حور» التيار الأوزيري. وهذان الرمزان «ماعت» و«عين حور» يلعبان دورًا آخر؛ إذ يحلان محل القربان

المادي، وإذا فسرنا المتون الخاصة بذلك حرفيًّا يدهش الإنسان من عدم وجود مثل هذه القربان جملة، والواقع أن الشعيرة لا تقدم لنا بوضوح القائمة المفصلة عن الهبات الطيبة التي عملت للإله، غير أنه ليس هناك أي شك في أن هذه الهبات قد وُجدت فعلًا، وانتشار صيغة القربان العظيم هو البرهان الوحيد الذي في متناولنا، هذا بالإضافة إلى الصور التي لا تُحصى المصورة على جدران المعابد، ويُشاهد فيها الفرعون يذبح الضحايا أمام الإله. ويتساءل الإنسان الآن لماذا حلت الرموز محل هذه القربات؟

ولا شك في أن سبب ذلك يرجع إلى الرغبة في أن يكون هناك وجه شبه محفوظ إلى حد بعيد بين إقامة الشعائر والأساطير الإلهية، فالشعائر كانت تُقام على حسب ما جاء في الأساطير ومن وحيها. فنعلم مثلًا أن «حور» عندما وجد ثانية العين التي انتزعها منه الإله «ست» في أثناء الشجار الذي قام بينهما، أهداها بوصفها رمزًا صالحًا بنويًّا لوالده «أوزير»، وبها استرد الأخير حياته، فعين «حور» أصبحت من ذلك العهد رمزًا للقربان، وبخاصة في الأحوال الدينية الجنازية؛ إذ نجد أنه يُنسب إليها إحياء المتوفى ثانية، ويدل الدور الذي تلعبه العين في العبادات الإلهية على أن الإله الممثل في المحراب في صورة تمثال كان ميتًا، وبعبارة أخرى كان يُعد «أوزير» آخر، وهكذا نجد على حسب الأسطورة أن «إزيس» قد وجدت ثانية جسم «أوزير» مقطعًا أربع عشرة قطعة على يد «ست»، وكان أول ما عنيت به هو جمع أعضاء زوجها، ويقول المتن على حسب ما جاء في هذه الشعيرة:

إن عين «حور» قد رتبت عظام آمون وجمعت أعضاءه.

وفي متون أخرى نجد إشارة إلى إنجاز هذا العمل الصالح نحو الإله الذي ضحى بجسمه. وقد قال «موريه» في هذا الصدد ما يأتي:

إن الشعائر التي يُفرض فيها تضحية الإله «أوزير» قد تُركت جانبًا في بداية العهود التاريخية، وعلى ذلك حل محل تضحية الإله التضحية له، غير أن المضحى به كان مقدسًا أيضًا. وما كان يضحي كان بطبيعة الحال هو عدو الإله الذي تسبب في قتله وهو الإله «أوزير»، أو بتعبير آخر كانت الضحية حيوانًا يتقمصه الإله «ست». راجع (Moret Ibid p. 224).

أما قربان «ماعت» فقد ذكرنا من قبل أنه شعيرة مماثلة لقربان عين «حور». ومن المحتمل أن بين لفظة «ماعت» ومعناها «يقدم» ولفظة «ماعت» ومعناها «العدالة» تورية في الاسم فقط مع اختلاف معناهما، وعلى ذلك تكون كلمة «ماعت» بمعنى «يهدي أو يقدم» قد استُعملت هنا في صيغة اسم المفعول «المهدى». وعلى ذلك لا ندهش من الإشارة الرمزية التي يقوم بها الكاهن، وهي التي تتوج الاحتفال الذي يقوم به عند فتح المحراب في المرة الثانية.

وفي استطاعتنا أن نفرض أن الفعل «ماع» بمعنى «يقدم» مشتق من الفعل «ماع» الذي يعني «عدل أو صدق أو حقق». والقربان ليس في الواقع على هذا الفرض إلا الوسيلة التي بها يرجع الإنسان ثانية إلى الحياة أي إلى الحقيقة (راجع Moret Ibid p. 148–50).

غير أنه ليس في مقدورنا أن نؤكد دقة مثل هذه النظرية التي يترتب عليها — إذا كانت صحيحة — أن قربان «ماعت» أقل انتسابًا إلى المذهب الشمسي منه إلى العقيدة الأوزيرية، أي إن المذهب الأوزيري يميل إلى المادية على حين أن المذهب الشمسي يميل إلى الروحية.

وطعام الإله يمثل في الشعيرة بالرمزين اللذين تكلمنا عنهما، وقد كانا يُقدمان له فعلًا يوميًّا، ويوضعان على أطباق تُحضر بطريقة فنية إذا حكمنا على ذلك بما نشاهده من مناظر على جدران المعابد. ويُلاحَظ أن الكاهن كان يرفع على هذه القربان مقمعة كأنه يريد أن يضحي بها أمام الإله، وهذه الشعيرة ترجع إلى عهد كانت فيه القرابين وبخاصة الحيوانات تُضحى حقيقة أمام الإله.

ونعلم من جهة أخرى أن القرابين التي تُقدم للإله، وهي التي يستفيد منها بعض المقربين من الملك، كان محبوسًا عليها دخل غذائي للمعبد، وبخاصة لأولئك الذين فازوا بإقامة أحد تماثيلهم الجنازية في محراب الإله.

(١١-٢) تقديم وجبة الإله

وتدل شواهد الأحوال على أنه بعد إغلاق باب المحراب وختمه كانت تنتهي هذه الشعيرة ثم تبدأ شعيرة أخرى كانت تُقام على ما يظهر يوميًّا وهي خاصة بتقديم الطعام للإله، فكان يُفتح باب المحراب مرة ثالثة ويُهيأ الطعام على موائد للإله ليتناول منه وجبته، وبعد ذلك يؤخذ نفس الطعام ويُقدم منه للكهنة وخَدَمة المعبد، ولا نزاع في أن هذه الشعيرة بالذات كانت ذات أهمية عظيمة في نظر رجال المعبد لما كان يعود عليهم منها من خير عميم وطعام وفير يوميًّا. ولذلك كانت العناية بإقامتها من الأهمية بمكان، وقد وُجدت الصور الممثلة لها على جدران المعابد وبخاصة في معبدي «الكرنك» ومدينة «هابو» في عهدي كل من «سيتي الأول» و«رعمسيس الثالث» على التوالي، كما وُجدت مدونة على أوراق بردية كما سبقت الإشارة لذلك. وقد كتب الأستاذ «هارولد ولسون» مقالًا رائعًا عن هذه الشعيرة جمع فيه كل المشاهد التي كانت تُؤدَّى والتعاويذ التي كانت تُتلى، وقد حصرها في نحو اثنتين وستين، شعيرة غير أن بعضها وُجد مهشمًا وبخاصة في البداية، والواقع أن شعيرة تقديم الوجبة للإله أو المتوفى على وجه عام يرجع عهدها إلى أقدم العهود، وقد ظهرت بصورة واضحة منذ الأسرة الثالثة، ثم أخذت في النمو شيئًا فشيئًا في عهد الأسرتين الرابعة والخامسة، وبلغت أوجها في عهد الأسرة السادسة كما نشاهد ذلك في قوائم قربان الملوك والأفراد، وقد ورد ذلك في المؤلف الذي وضعته خاصة عن مائدة القربان في عهد الدولة القديمة (Excavations at Giza Vol. IV, part II, The offering list in the Old Kingdom). وتوجد بعض فروق اقتضتها الأحوال وسنن التطور بين وجبة الدولة القديمة ووجبة الدولة الحديثة، وسنكتفي هنا بذكر بعض المشاهد والتعاويذ التي كانت تحتمها إقامة هذه الشعيرة،

وقد ذكرنا الجزء الأول منها وهو الخاص بإلباس الإله وتطهيره واستعداده لتناول الوجبة فيما سبق.

(أ) المشاهد من ١–٨

وتدل النقوش على أن المشاهد الثمانية الأولى قد خُصصت لتحضير وتقديم الشواء، وتبتدئ بمتن مهشم يتبعه تجهيز إناء مائدة لإحراق القربان على قاعدة، ثم في خلال اشتعال النار كان يُوضع عليها بخور ودهن، وبعد ذلك تُوضع اللحمة منظومة في سفافيد، ولأجل أن تجعل النار مشتعلة كان يُروح عليها بمروحة وتُتلى لذلك تعويذة خاصة، وينتهي هذا المنظر المؤلف من سبعة مشاهد بمشهد ثامن خاص بتقديم قربان من الجعة، وكان يُقرأ عند تمثيل كل مشهد من هذه المشاهد تعويذة خاصة؛ فمثلًا عند وضع البخور على النار كانت تُقرأ التعويذة التالية — تعويذة لوضع البخور على النار — «لآمون رع» رب عروش الأرضين و«لآمون رع» فحل أمه:

> خذ لنفسك «عين حور»، وإن عطورها يأتي إليك هدية من الملك رب الأرضين من «ماعت رع» (سبتي الأول) معطي الحياة.

وعند تقديم الجعة تُقرأ التعويذة التالية:

> إن «عين حور» قد أُنعشت من أجله، وإن خصيتي «ست» قد أُنعشت من أجله، وكما أن «حور» منشرح بعينه، و«ست» منشرح بخصيتيه، فإن «آمون رع» المشرف على الكرنك منشرح بقطع اللحم هذه المنتخبة هدية لك من الملك رب الأرضين «سيتي» الخ.

ويُلاحَظ أنه على الرغم من أن عنوان التعويذة خاص بالجعة فإن موضوعها خاص بالشواء.

(ب) المشهد الثاني عشر

ويتلو هذه التعاويذ ثلاث تعاويذ: واحدة لتقديم الخبز الأبيض، وواحدة لتقديم الفطير، وأخرى لتقديم الجعة. ثم يأتي بعد ذلك تعويذة لتقديم الخمر، ويدل متنها على أنها ليست تقديم نبيذ وحسب، بل كان الغرض منها جعل الحدائق تثمر أيضًا، وهاك نص التعويذة: «تعويذة لتقديم نبيذ لتصير الحدائق مثمرة لهذا الإله»، اتل:

> إن الحدائق تثمر والإله ينشرح، وتفيض مأكولاته. وإني أملأ «عين حور» بالنبيذ الصافي ومشروبات «بتاح-سكر» القاطن جنوبي جداره صافية. وإن أبواب السماء مفتوحة، وأبواب الأرض مفتوحة بالقربان «لبتاح-سكر» القاطن جنوبي جداره في داخل معبد «سيتي»، وإن الإله «تحوت» على ذراع حعبي (النيل)، والإله «حوراختي» يجعل «بتاح-سكر» القاطن جنوبي جداره يشرب قربانه ونبيذه، وماؤه مثل قوة جب (إله الأرض) في اليوم الذي تملك فيه الأرضين. ليت وجهك يكون نضرًا يا «بتاح-سكر» القاطن جنوبي جداره، وإني آتي أمامك اليوم بعد أن عملت لك هذه الأشياء، التي عملها «حور» لوالده في داخل بيت «سيتي».

(ج) المشهد السادس عشر

ويأتي بعد تقديم النبيذ تعويذة خاصة بتقديم اللبن، (١٤) وثانية خاصة بتطهير القربان بالماء والبخور. ثم يقفو ذلك ثلاثة مشاهد (١٥، ١٦): الأول والثاني خاصين بقربان سائل، (١٧) والأخير خاص بإطلاق البخور. ويُلاحظ في رسوم التعويذة السادسة عشرة الخاصة بتقديم القربان السائل أن الملك يقف أمام الإله ويصب سائلًا في بركتين من إناءين في كل يد إناء. وهاك نص التعويذة التي كُتبت مع هذا المشهد: «ما قاله الفرعون»:

> لقد أحضرت لك هذه القربات التي ترفعها تحت «العرش العظيم» وهي القربات التي نبعت من «إلفنتين» حتى ينتعش بها قلبك باسمك الخارج من «كبحو» (المكان الذي

يُظن أن النيل يخرج منه في أسوان)، وقلب «آمون رع» رب عروش الأرضين الذي يسر به ما يخرج من نون (المحيط الأزلي)، لقد أحضرت لك قرباتك هذه حتى تسر بها، ولتكون عظيمًا أمام «حعبي» (النيل). ليت يديه تهب الفيضان مطهرًا «آمون» رب عروش الأرضين.

(د) المشهد السابع عشر، تعويذة للتحية بإناء «نمست»

تُمثل هذه الشعيرة في النقوش عادة بصورة الملك يحمل في يديه إناء واحدًا ممتدًّا نحو الإله، وفي غالب الأحيان يمثل الملك راكعًا. ويدل المتن على أن الملك يصب الماء على التمثال لإحيائه بعد التئام أعضاء جسمه. وهاك بعض النص:

> يا «آمون»، تسلم رأسك، ضم إليك عينيك، لقد أحضرت لك ما يخرج من «نون» (المحيط الأزلي)، وأحسن ما يخرج من «آتوم» باسمك إناء «نمست». يا «آمون»، تسلم رأسك، ضم لنفسك عظامك، وثبت لنفسك عينك في مكانها، يا «آمون»، تسلم قلبك، ضم لنفسك رأسك حتى يتم ما هو خاص بك. يا «آمون» تسلم «عين حور» التي أكلت منها باسمها هذا إناء «نمست» فيها. يا «آمون»، يا رب عروش الأرضين بكل أسمائه. الحمد لله يا «آمون» يا رب عروش الأرضين الذي يوجد في الأرض الجنوبية، والذي يوجد في الأرض الشمالية، وفي كل مكان ترغبه روحك، التي تعيش أبديًّا. إن الواحد الفاخر يأتي، إن الواحد الفاخر يأتي، إن إناء «نمست» يأتي، إن إناء «نمست» يأتي، إن التاج الأبيض يأتي، إن التاج الأبيض يأتي، إن «عين حور» تأتي وهي التاج الأبيض، إن رائحة الخيشومين تأتي وهي التي في «هليوبوليس» والتي في «منف» نقية، بمثابة هدية الملك رب الأرضين «سيتي» معطى الحياة مثل «رع».

وهذه الشعيرة تختلف عن شعيرة فتح الفم التي تُؤدى بوساطة أربع أواني «نمست» (راجع J. N. E. S. Vol. VIIII 949 No. 3 p. 218 ff).

(هـ) المشهد الثامن عشر

تأدية شعيرة التبخير. ويظهر فيها الفرعون يصب قربانًا ولا يحرق بخورًا مما يدل على إهمال المصور الذي نقش المنظر. وهاك نص التعويذة «ما قاله الفرعون»:

> إن البخور يأتي، إن عطور الإله تأتي، إن عطوره تأتي إليك، إن عطور «عين حور» لك، وهو عطور الإلهة «نخبت» الذي يأتي من الكاب، إنه يغسلك ويزينك ويتخذ مكانه على يديك، مرحبًا بك يا أيها البخور الإلهي، يا أيها البخور الإلهي. مرحبًا بك يا بخور «منور» الذي في أعضاء «عين حور»، والذي أنشره لك باسمك هذا (كرات من البخور)، يا «آمون رع» إني أعطيك «عين حور» وعطورها يأتي إليك.

(و) المشهد التاسع عشر

ويأتي بعد المنظر الأخير منظر يظهر فيه الفرعون واقفًا أمام الإله «آمون» وبينهما مائدة قربان وحاملان، وعنوان التعويذة هو: «عمل التضميخ بالمر». ويمد الفرعون يديه أمامه، إحداهما تحمل مبخرة، والثانية ممدودة براحتها إلى الأمام في حالة تعبد، وهاك ترجمة إجمالية لهذه التعويذة: عمل التضميخ بالمر في داخل القصر الفاخر. يُتلى:

> إن «آمون رع» فحل أمه طاهر في المكان العظيم، وإن روح «آمون» رب عروش الأرضين طاهر بما يعطي رب الأرضين «وسرماعت رع».
>
> يا أيها الواحد الخاص بالمساء، إن ذراعيك للأرض، يا أيها الواحد الخاص بالأرض، إن ذراعيك للسماء؛ إن الملك قوي الحياة، وإنك طاهر ومتيقظ وفتيٌّ ومبجل؛ لما فيك من

قناعة، وبما يمنحك ابنك «رعمسيس الثالث»، وإن «تحوت» يعلن عن ذلك. أما عن حعبي (النيل) فإنه يقدم طعامًا مما يتجشؤه، وهي القرابين المقدَّسة للإله «آمون رع» سيد الآلهة على حسب الكتابة التي دونها «تحوت» في بيت الكتابات المقدسة بوصفها طاهرة «لآمون رع» على المكان العظيم، وتحتوي على ألف من الخبز، وألف من الجعة، وألف من الماشية، وألف من الطيور، وألف من النسيج، وألف من الكتاب، وألف من البخور، وألف من العطور، وألف من القرب، وألف من الأغذية، وألف من كل شيء جميل، وألف من كل شيء حلو طاهر، طاهر للملك «أمنحتب الأوَّل» المنتصر في كل مقعد وفي كل مكان توجد فيه روحه.

وهذه التعويذة كما يظهر من ألفاظها خاصة بتقديم القرابين، وقد أعلنها «تحوت» الذي دونها كتابة في بيت السجلات المقدَّسة على حسب إعلان «حعبي» أي الفيضان الذي يجلب الخيرات ويتجشؤها بما ينتج من فيضانه الذي لا بد منه لكثرة محاصيل الحدائق والحقول.

أما الإشارة للواحد الذي في السماء ويده نحو الأرض وبالعكس فقد يجوز أن تكون إلى الإله «جب» إله الأرض الذي ينمو عليه الزرع والضرع، الذي يسببه «حعبي» (النيل).

(ز) المشهد العشرون

عند نهاية تقديم القربان والتبخير على النحو المذكور في المشاهد السالفة كان الكاهن يتقدم بإحدى يديه مرفوعة وممتدة نحو الأمام، والثانية مبسوطة على فخذه، ويتلو قائمة الطعام اليومية (٢٠) وهي القائمة التقليدية التي كانت تُقرأ تقليدًا وتُقدم للإله كل يوم (راجع Excavations at Giza Vol VI, part II). وكان يتبعها بالصيغة التالية قربان يقدمه الملك (٢١) وهذه الصيغة كانت تأتي عادة بعد تلاوة قائمة الطعام، وتدل شواهد الأحوال على أنها كانت جزءًا من هذه القائمة. وبعد ذلك كانت تُرتب القربان على المائدة بوساطة الكاهن. (٢٢) وعلى هذا النمط كانت تُنظم

وجبة الإله لتناولها. وعلى أثر إعداد كل شيء كان يُصب قربان (٢٣) ويُحرق عطور المر (٢٤) وعندئذ يطلب الكاهن إلى الإله أن يأتي للوليمة (٢٥)؛ وهذا المشهد الأخير كان يُمثل كثيرًا على جدران المعابد، ويظهر فيه الملك واقفًا، وينادي الإله ليأتي لتناول الوجبة المجهزة والتمتع بها. وهاك المتن:

> تعالَ لجسمك يا «آمون رع»، تعالَ عندما تُدعى، تعالَ عندما تُطلب، تعالَ لجلالتي خادمك «وسرماعت رع مري آمون» الذي لا ينسى نصيبه في أعيادك وفي قرباتك. أحضر قوتك، وسحرك وشرفك لخبزك هذا الساخن، ولجعتك هذه الساخنة ولشوائك هذا الساخن وهي قلوب الثائرين.

والظاهر أنه عند هذه النقطة في هذه الشعيرة كان مفروضًا أن يدخل الإله في تمثاله إذ يقول المتن: «تعالَ إلى جسمك» وفي متن آخر يقول: «وأحضر روحك». ومن ثم نفهم أن التمثال أصبح بعد هذه الخدمات الطويلة التي عُملت مستعدًّا ليحتله الإله. والظاهر أن اتصال التمثال المباشر بالإله هو الذي كان يمكنه من أن يشاطر في تناول الطعام اللازم لقوائم الآلهة والأموات والأحياء على السواء، وقد كان الهدف الرئيسي والسبب في القيام بهذه الخدمة اليومية في المعبد.

(د) المشاهد ٢٦–٣١

بعد دعاء الإله لتناول وجبته والتمتع بها تأتي ستة مشاهد بها تُختم الخدمة اليومية العادية وتنتهي بإغلاق أبواب المحراب، ويُلاحَظ أن أربع الشعائر الأولى منها كان يتلوها الكاهن المرتل أو الكاهن خادم الإله على التوالي؛ فالشعيرة الأولى (٢٦) تعويذة لإحضار الحياة للإله، والثانية (٢٧) لإحضار القلب للإله، والثالثة (٢٨) يُحتمل أنها كانت تُستعمل في عيد خاص من الأعياد الشهرية، والتعويذة الأخيرة (٢٩) كانت تسبق المقدمة التالية: مرحبًا بك عند جانب الباب حيثما يقولون (؟) إن الكاهن في الداخل يتلو … إناء في يده ويرش الماء على الجدار (؟) في جنوبي وشمالي

وغربي وشرقي هذا البيت، ثم يتلو ذلك على ما يظهر ما كان يتلوه الكاهن عندما كان يقوم بعملية الرش.

وبعد هذه المشاهد الأربعة يأتي المشهدان ٣٠ و٣١ وهما الخاصان بطرد الشيطان من المحراب وإغلاقه بالمزلاج.

ويُلاحظ في نقوش مدينة «هابو» أنه يوجد منظر خاص بثلاثة شعائر منفصلة غير أنها متصلة بعضها بالبعض الآخر، والأخيرة منها خاصة بإغلاق المحراب عند نهاية الوجبة، وتجد أن جزءًا من النقوش هو التعويذة الخاصة بالمشهد السادس والعشرين أو إعادة تمثال الإله للمحراب، أما ما يقوم به الملك في هذا المنظر فهو المشهد الثلاثون، ويعبر عن تنظيف المعبد من الأرواح الشريرة التي يمكن أن تكون قد تسربت إلى المحراب في الوقت المناسب الذي تُرك فيه مفتوحًا. والجزء الباقي من المتن خاص بالمشهد الواحد والثلاثين وهو الإغلاق النهائي وإقفاله بالمزلاج بعد ذهاب الملك إلى الخارج.

والتعويذة الخاصة بالمشهد السادس والعشرين هي:

> إحضار الحياة للإله. ما يتلى: إني «حور» يا والدي «أوزير»، وإني أقبض على ذكر «ست» في يدي، والإله يبقى في قصره (محرابه) كما بقي «حور» في حضن والده «أوزير». وجمالك لك يا «آمون». وإن والدك «أوزير» قد وضعك بين ذراعيه باسمه الأفق الذي يدور حوله «رع»، وإن الحياة قد أعطيتها في حضرة والدك أوزير. وعندما يأتي إليك «تحوت» يحضر لك «عين حور» ليكون لك قوَّة بها ولتكون مسرورًا بها وستكون حيًّا أبديًّا.

إلى هنا يكون الإله قد أتم وجبته. ويُلاحظ في الأحفال التي قد أُقيمت له في الخطوات الأولى أن تمثال الإله قد نُقل من محرابه بالشعيرة التي يُعبر عنها بالعبارة: «وضع اليدين على الإله»،

والظاهر أن التمثال كان يبقى خارج المحراب في أثناء تناول الوجبة، وليس لدينا أية شعيرة تعبر عن عودته إلى المحراب إلى أن نصل إلى المشهد السادس والعشرين، والألفاظ التي نقرؤها في هذه التعويذة تدل على ذلك، فالكاهن أو الملك يبتدئ بقوله: إني «حور» يا والدي «أوزير». ومن ثم نعلم منذ بداية التعويذة أصلها، وبواضع التمثال في المحراب، ويقول الكاهن إنه قبض على ذكر «ست»، ويُحتمل أنه يعني بذلك مقبض الباب، كما أن مزلاجَي الباب كان يُعبر عنهما بإصبعي «ست» عندما كان يفتح الباب عند بداية الخدمة. ثم يقول بعد ذلك الكاهن: إن «آمون» يأوي في قصره أي في محرابه كما يرتاح «حور» بين ذراعي والده «أوزير»، ويُحتمل أن هذه العبارة قد تُليت بعد وضع التمثال في المحراب. وبعد ذلك يضيف إلى ما سبق قوله أن ولدك «أوزير» قد وضعك في داخل ذراعيه. والمقصود من الذراعين على ما يُظن هو المحراب الذي يضم التمثال. وعلى ذلك يصبح الإله متأكدًا أنه قد أُنعش من جديد وصار جميلًا في حضرة «أوزير»، وذلك نتيجة لهذه الشعيرة الطويلة التي تشمل الوجبة النهائية التي تناولها التمثال. وفي النهاية يقول الكاهن للإله: إن «تحوت» قد أحضر له «عين حور» التي تسبغ عليه القوة والشرف والحياة السرمدية. ونشاهد في كل هذا الاحتفال الشعائري أن الإله «آمون» قد عُومل كأنه فرد مات، وأنه قد جُهز للحياة في العالم الأوزيري، وليس بوصفه الإله العظيم الذي يظهر في غير هذا المكان في العبادة.

(ط) المشهد الثلاثون

هذا المشهد خاص بشعيرة إحضار القدم وقد تكلمنا عنها فيما سبق.

(ي) المشهد الحادي والثلاثون

بعد طرد كل روح شرير من المحراب حتى يصبح خاليًا من كل شيء خبيث فيه يغلق الكاهن الباب ويقفل المزلاج، وعندما يكون الكاهن قائمًا بهذه العملية يقرأ الكاهن المرتل صيغة هذا

مجملها: تأمل! «إني أغلق بابك بـ ... إن بابك قد أُغلق بوساطة «حور»، وإن بابك قد أُقفل بوساطة «بتاح» و«تحوت» وهما وكيلا «رع».»

(ك) نقل القرابين

المشاهد من ٣٤–٤٠

يأتي بعد التعاويذ الخاصة بالشعائر النهائية للخدمة اليومية التي جاءت في المشهد الحادي والثلاثين مشهدان: الثاني والثلاثون، والثالث والثلاثون، وكل منهما يحتوي على تعويذتين: واحدة للبخور، والأخرى للقربان السائل، ويعقب ذلك سبعة مشاهد خاصة بنقل القربان، وذلك يعني أن تُنقل القربات التي كانت قد وُضعت أمام الإله في أثناء الاحتفال بالمشاهد من ١–٢٥ لتُستعمل لأغراض أخرى بعد أن أكل الإله منها كفايته.

وشعائر نقل القربان تنحصر في المصادر التي في متناولنا فيما يأتي: (١) شعائر يؤديها الملك على مائدة قربانه، وتُعد بمثابة مقدمة لكل سلسلة التعاويذ. (٢) نقل القربان من على مائدة قربان «آمون» وحملها إلى مكان آخر. (٣، ٤) صب القربان وإحراق البخور. (٥، ٦) إشعال الشعلة وإطفاؤها. (٧) احتفال لضمان استمرار القربان.

وليس لدينا ما يؤكد أن هذه كانت كل الشعائر التي تُقام لنقل القربان من مائدة الإله إلى جهات أخرى.

المشهد الرابع والثلاثون

والواقع أن المتن الخاص بهذا المشهد هو وصف لمجموعة الشعائر التي ستأتي بعد. وهاك النص:

> ما يؤدى على مائدة قربان الملوك للإله «آمون رع» رب عروش الأرضين ولروحه و«لآمون رع» فحل أمه ولروحه، وللتاسوع الذين في «ابت إسوت» (الكرنك)

> ولأرواحهم ولروح الملك رب الأرضين صاحب القوة من «ماعت رع بن رع سيد المظاهر سبتي الأول». والشعائر التي نتحدث عنها هنا كانت تؤدى في معابد «طيبة»، ولها صلة بعدد من الملوك السابقين المختلفين، وكانت تؤدى على موائد قربانهم سواء أكان ذلك في معبد الكرنك نفسه أم في محاريبهم الخاصة التي أُقيمت على الشاطئ الغربي. وقد دلت البحوث الحديثة على أن عددًا من هذه المحاريب الخاصة بالملوك السالفين كانت تُقام فيها الشعائر حتى عهد «رعمسيس الخامس».

(راجع Gaardiner, Wibour Pap. II, p. 11–12 ff).

المشهد الخامس والثلاثون

في هذا المشهد يظهر الفرعون رعمسيس الثالث وقفًا أمام الإله «آمون» قابضًا بيده على المكنسة «هدن» مما يوحي بأن نقل القربان قد حدث مباشرة بعد انسحاب الكاهن من المحراب الذي كانت تلعب فيه شعيرة المكنسة «هدن» دورًا بارزًا. وهاك نص التعويذة:

> يا «آمون رع» رب عروش الأرضين، إن عدوك ينسحب من أجلك. إن حور يلفت نفسه لعينه، باسمها نقل القربان. وإن عطوركم لكم يا أيها الآلهة، وعرقكم لكم يا أيها الآلهة، وإني الملك «وسرماعت» محبوب «آمون». ولقد أتيت لأنجز ما يُعزى «لرعمسيس الثالث». يا «آمون رع»، لقد لفت نفسك لقرباتك المقدسة. فتسلمها على يدي الملك «وسرماعت رع» محبوب «آمون» آه، ليت «عين حور» تثري لك أمامك.

ولا يمكن أن نفهم من هذا المتن إذا كانت هذه التعويذة قد استُعملت عندما نُقل القربان من مائدة «آمون» أو عندما وضعه على مائدة قربان الملوك السابقين ليأخذوا نصيبهم منه. وعبارة: «إن عدوك ينسحب من أجلك»، التي جاءت في أوائل التعويذة يمكن أن تشير إلى إزالة قرابين اللحم التي كانت على مائدة «آمون» لأنها أحيانًا كانت تُوحد بقلوب الثائرين، أما الآلهة والإلهات الذين

خُوطبوا فيُحتمل أنهم — خلافًا لآمون — الذين ذُكروا في المشهد الرابع والثلاثين بما فيهم الملوك السابقون وروح الملك الحاكم.

المشهد السابع والثلاثون

تعويذة لصب القربان بعد نقل القرابين

يا «آمون» تسلم قربانك (السائل) الذي في هذه الأرض، وهي التي تنتج كل الأشياء الحية وكل شيء يأتي منها حقًّا، وهي التي «تعيش عليها وتوجد فيها».

عمل البخور بعد نقل القرابين

إن هذا هو التاج الأبيض «لرع»، وهذا البخور الذي يطهرك. والطعام يضع نفسه على رأسك، وإنه يطهرك، مرحبًا بك يا «بتاح»، مرحبًا بك يا «تحوت» يا وكيلي «رع». والظاهر أن الكاتب الذي نقل هذه التعويذة خلط في نقلها؛ فبعد أن كتب تعويذة القربان السائل نقل من مكان آخر في البردية التي أمامه تعويذة عن البخور كما يُلحظ ذلك من المتن. ويظهر الفرعون في هذا المشهد راكعًا ويصب القربان أمام الإله «آمون» في صورة «مين». وفي المنظر الثاني يُشاهد وهو يحرق البخور أمام الإله «آمون».

المشهد الثامن والثلاثون

يأتي بعد مشهدي صب القربان والتبخير تعويذتان: إحداهما لإيقاد الشعلة اليومية، والأخرى لإطفائها. ويظهر في رسوم الكرنك — رسم شعلة كل يوم — الملك راكعًا أمام «آمون» وقابضًا على شعلتين، وعنوان التعويذة هو: «تعويذة لعمل الشعلة اليومية»؛ أي إيقادها. وهاك نص التعويذة:

إن الشعلة تأتي إلى روحك «يا آمون رع». إن ما يعلن الليل بعد النهار يأتي. وإن عين «رع» تظهر بفخار في «ابت إسوت» (الكرنك)، وإني آتي إليك، وإني أجعلها تأتي، وعين «حور» قد علت فوق جبينك، ومثبتة على حاجبك لأجل روحك يا «آمون رع»، وإن عين حور هي حمايتك السحرية.

ولا نزاع في أن المشاعل كانت تُستعمل يوميًّا في المعابد كما يدل على ذلك متون التعاويذ التي دُونت لاستعمالها، وكذلك بالمواد التي كانت تُقدم لصنعها كما جاء في النصوص التي تركها لنا «تحتمس الثالث» و«رعمسيس الثالث» (راجع Urk Iv. P. 771; Madinet Habu III, p. 146).

المشهد التاسع والثلاثون

تعويذة لإطفاء الشعلة

يُرى في المنظر الذي يمثل هذا المشهد الملك راكعًا أمام «آمون» وبإحدى يديه شعلة منكسة نحو الأرض حتى تكاد تلمسها، وهذا يدل على أنه كان يريد إطفاءها بحكها في الأرض أو بغمسها في سائل خاص كما يُشاهد في صورة أخرى. وهاك نص التعويذة:

تعويذة لإطفائها — أي الشعلة. اتل:

إن هذه هي «عين حور» التي أصبحت عظيمًا بها، وإنك تثري بها، وأصبحت ذا قوة فيها يا «آمون» رب عروش الأرضين، إن هذه هي «عين حور» التي أكلتها، والتي بها أصبح جسمك مسحورًا. وما هي لك — تعويذة قتل الشريط — إن العين «وازيت» (السليمة) قد دخلت «مانو» — أي غابت في الأفق خلف الصخور الغربية — وإن القربان المقدسة ملكها. وإنها تأتي وإنها تأتي: «عين حور» في سلام.

المشهد الأربعون

تعويذة لجعل القربات المقدَّسة تبقى

هذه التعويذة التي تُعد الأخيرة في شعائر نقل الطعام من أمام الإله ليوضع لاستعمال الآخرين، الغرض منها هو ضمان بقاء القربان أبديًّا، أو أنها لا تتلف عند نقلها من مائدة قربان إلى أخرى. ويُشاهد الفرعون راكعًا أمام مائدة قربات موضوعة أمام الإله «آمون» والفرعون يمد يديه على القربات كأنه يباركها. وتوضح التعويذة بشدة أن القربان سيبقى كبقاء اسم هذا الإله أو هذه الإلهة في معبد. وهاك نص التعويذة:

تعويذة لجعل القربات الإلهية تبقى

مرحبًا بك يا «آمون»، مرحبًا بك يا «خيري»، لقد أتيت إلى الوجود على التل الأزلي، وإنك تضيء على الهرم الصغير في «حت بتو» (في هليوبوليس)، وإنك تتفل مثل «شو» و«تفنوت»، وإنك تضع ذراعيك حول الملك «من ماعت رع» معطى الحياة سرمديًّا، وإن اسم «آتوم» رب الأرضين في «هليوبوليس» يبقى كما تبقى القرب الإلهية، وهي منحة ابن رع «سيتي مري آمون» للإله «آمون» والتاسوع، باقية إلى الأبد، وكما يبقى اسم «شو» في «متست العليا» في «هليوبوليس» وباقية سرمديًّا، وكما يبقى اسم «تفنوت» في «متست السفلى» في هليوبوليس باقيًا إلى الأبد، وكما يبقى اسم «جب» في عيد «عزق الأرض» في «هليوبوليس» مخلدًا إلى الأبد، وكما يبقى اسم «توت» (آلهة السماء) في «حث شنيت» في «هليوبوليس» مخلدًا إلى الأبد، وكما يبقى اسم أوزير «خنتي امنتي» في العرابة مخلدًا إلى الأبد، وكما يبقى اسم «إزيس» في «نتيرو» إلى الأبد، وكما يبقى اسم «ست» سيد «مبوس» باقيًا إلى الأبد، وكما يبقى اسم نفتيس في «حت» في هليوبوليس مخلدًا إلى الأبد، وكما يبقى اسم «با»[٢٩٣] رب

«زددت» (منديس) مخلدًا إلى الأبد؛ وكما يبقى اسم «تحوت» في «هرموبوليس» (الأشمونين) إلى الأبد.

قربان يقرِّبه الملك للإله «جب» (إله الأرض)، وهو قطع مختارة للآلهة وسيكون لديهم أرواحهم، وسيكون لديهم شرفهم، وسيكونون يقظين، وسيعطون قربانًا يقدمه الملك مشتملًا على قربات إلهية بمثابة هدية الملك «من ماعت رع» (سيتي الأوَّل) معطى الحياة سرمديًّا.

المشهد الثاني والأربعون

هذا المشهد يُطلق عليه اسم قائمة المأكولات لأجل عيد «آمون» سيد «أبت» (الأقصر) و«آمون رع» رب عروش الأرضين في بردية «المتحف البريطاني». أما في بردية القاهرة فيُطلق عليه اسم «عيد آمون» وحسب، ويختلف المشهد الذي على جدران معبد الكرنك عن الاثنين السالفين في أنه ليس له عنوان ولا يحتوي إلا على تسعة عشر لونًا، «الأول من ألوان» الطعام بدلًا من التسعة والثلاثين لونًا التي تذكرها أوراق البردي، ومن المحتمل أن المشهد الذي صُور على جدران الكرنك الخاص بهذه الشعيرة هو قائمة ألوان الطعام لعيد «آمون»؛ لأنه يحتوي نفس ألوان الطعام التي نجد مثيلها في القوائم الأخرى. وهاك ما جاء في هذا المشهد خاصًّا بألوان الطعام والشراب:

يا «آمون»، تسلم «عين حورالنى» تفتح بها عينك: آنيتان من الخمر.

يا «آمون»، تسلم لنفسك ماء الثدي الذي في ثدي أمك «إزيس»! آنيتان.

يا «آمون»، تسلم رأسك: آنية واحدة من فطير (شنس).

يا «آمون»، المس لنفسك بفمك خبز (حتا): آنية واحدة.

يا «آمون»، تسلم لنفسك «عين حور»، وامنع أن تصير ضعيفًا بسببها: آنية واحدة من خبز (بسن).

يا «آمون»، تسلم لنفسك عين حور التي ذاقها (دبت): إناء واحد من خبز «دبت».

يا «آمون»، تسلم لنفسك عين حور فإنها لن تفصل (شمس) منك: عشرون آنية من فطير (شعت).

يا «آمون» تسلم لنفسك «عين حور» الحلوة لقلبك: شهد أبيض آنية واحدة.

يا «آمون»، تسلم لنفسك من «حور» السليمة (وزاو) التي جهز بها فمك (حتم) رءوس بصل (حزو): أربع أوانٍ.

يا «آمون»، تسلم لنفسك ثدي حور الذي تذوقه (دب) الإلهة: آنيتان من التين (دب).

يا «آمون»، تسلم لنفسك «عين حور» أي كلماتك (مدو): آنيتان من لحم (ميدا).

يا «آمون»، تسلم لنفسك «عين حور» (؟): آنيتان من العنب (إرت).

يا «آمون»، تسلم لنفسك عين حور التي احتبلت (عج): آنيتان من فاكهة وعح.

يا «آمون»، تسلم لنفسك «عين حور» التي لعقوها (نبس) لأجله: آنيتان من فاكهة نبس (نبق).

يا «آمون»، تسلم لنفسك السائل (حنك) الذي يخرج من (أوزير): إبريقان من الجعة (حنق).

يا «آمون»، تسلم لنفسك عيني الواحد العظيم (ور): آنية من خبز (ور).

يا «آمون»، تسلم لنفسك أولئك الذين يثورون عليك (نزر): جانب من اللحم البقري (زروو)، آنية واحدة.

يا «آمون»، تسلم لنفسك عين حور التي تضمها (سخن): لحم سخن آنية واحدة.

ويُلاحَظ أنه عند تقديم كل لون من هذه الألوان كان على الكاهن المرتل أن يقرأ تعويذة كل لون. ولا يخفى على القارئ بعد قراءة محتويات هذه القائمة أن المصري كان مغرمًا بالتورية في ألفاظه عند تقديم كل لون، فيأتي بفعل يشبه اللون الذي يقدمه في الصوت. وقد فصلت القول في الألوان التي كانت تُقدم للمتوفى على وجه عام في كتاب مائدة القربان. (راجع: Excavations at Giza, Vol VI, Part II, The offering list in the Old Kingdom).

المشهد الرابع والأربعون

تعويذة لحمل القربان (أو لرفعها)

بعد تلاوة قائمة الطعام في المشهد الثاني والأربعين كان على الكاهن المرتل أن ينادي الكاهن «سم» ليتلو صيغة القربان المعروفة: «قربان يقدمه الفرعون «لآمون».» في صورة الثلاث. ثم يضيف ملخصًا للصيغة: «تعالَ إلى خبزك هذا»، ومن ذلك يتألف المشهد الثالث والأربعون، وهذا المتن كان يُقرأ عادة بعد تلاوة قائمة طعام الإله السالفة الذكر.

وبعد ذلك تأتي شعيرة «حمل القرابين لعيد آمون». ويُلاحَظ أنه في نقوش المعبد نجد أن حمل الطعام يُعد من المناظر التي كانت تُرسم كثيرًا جدًّا في العبادة ويُحتمل أنها كانت تؤلف جزءًا من الشعائر التي تصحب تقديم طعام وجبة الإله اليومية أو وليمته التي كانت تُقام في أيام أعياد خاصة.

وهاك نص التعويذة:

تعويذة حمل القربان

تعالَ أيها الملك وارفع القرابين أمام وجه الإله. ارفع القرابين «لآمون رع» رب عروش الأرضين. إن كل الحياة تخرج منه، وكل حظ سعيد ينبعث منه مثل «رع» سرمديًّا.

وكانت المائدة التي يرفعها الفرعون عادة على يديه تحتوي على عينات من كل لون من ألوان الطعام التي كانت تُقدم لمائدة الإله: الخبز واللحم والفطائر والفاكهة والخضر، وأحيانًا نجد أن هذه المائدة في المناظر المفصلة كان يعلوها طاقات أزهار، ومن ذلك نفهم أن الطبق أو المائدة التي كان يرفعها الفرعون بين يديه تمثل ألوان الطعام الموجودة في قائمة الوجبة التي تلاها الكاهن فيما سبق.

المشهد السابع والأربعون

بعد الصيغ التي تصحب رفع القرابين نجد في المتون ثلاثة أناشيد، وتُعد المشاهد الثلاثة التي تتلو المشهد الرابع والأربعين، وهذه الأناشيد موجهة للإله «آمون» في العيد الذي تتحدث عنه المشاهد من ٤٢ إلى ٤٤. ثم يأتي بعد ذلك المشهد السابع والأربعون وعنوانه:

ما يُقال لهذا الإله بعد قراءة المقطوعتين اليوميتين، وهما اللتان تُنشدان عند القيام بخدمة الإله الصباحية.

المشهدان الثامن والأربعون والتاسع والأربعون

يمثل المشهد الثامن والأربعون تقديم طاقة الأزهار الخاصة بُعيد اليوم الأول من الشهر القمري. ويمثل المشهد التاسع والأربعون تقديم طاقات أزهار للملك والأمراء ورجال الحاشية بمناسبة عيد اليوم السادس من الشهر القمري. ومما تجدر ملاحظته هنا أن التعويذتين الخاصتين بهذين المشهدين لا تختلف إحداهما كثيرًا عن الأخرى في الألفاظ.

وهاك النص:

تعويذة لتقديم طاقة عيد اليوم الأوَّل (أو السادس)

قدم طاقة للملك والأمراء ورجال الحاشية في البيت، واجعل «آمون» يُحَلِّق فوقها بمثابة حماية سحرية، وإنك تعيش مثل «رع» كل يوم في الحياة، وليت «آمون» يفعل كما تحب بسبب حبك في «إبت إسوت» يا «من ماعت رع» (سيتي الأوَّل) وليتك تكون صاحب حظوة يا من رعاك «آمون» في كل أعمالك العظيمة، وليته يقربك ويمكنك ويهزم أعداءك سواء أكانوا أحياء أم أمواتًا.

والمفهوم من هذه التعويذة أنها خاصة بالملك لا بالإله، وكلمات المتن تُعد تضرعًا لحماية وحظوة الإله للفرعون، ويُلاحظ هنا أن الكاهن عند تأدية هذه الشعيرة كان يخاطب الملك لا الإله. وبذلك تختلف عن كل الشعائر السابقة. والظاهر أن الطاقات كانت من موائد قربان معبد «آمون»؛ لأننا نعلم أنها كانت تُقدم لأصحاب الخطوة وتُنقل إلى المقابر والمزارات في الجبانة من معبد «آمون» في أعياد خاصة.

المشاهد من ٥١–٥٤

يشتمل المشهد الخمسون على قائمة ألوان الطعام الخاصة بعيد اليوم السادس من الشهر، ومتنه مهشم. أما المشاهد الأربعة الأخرى (٥١–٥٤) فخاصة بعيد رأس السنة العظيم كما كان يُقام في معبد «آمون» بالكرنك. وقد حُفظت لنا ثلاث تعويذات من هذه المشاهد الخاصة بهذا العيد الذي يُعد من أهم الأعياد المصرية.

المشهد الثاني والخمسون

يدل ما تبقى من متن البردية الخاصة بوجبة الإله على أن المشهد الواحد والخمسين كان أنشودة تُنشد في صبيحة يوم رأس السنة.

أما المشهد الثاني والخمسون فهو تعويذة خاصة بالشعلة التي كانت تُستعمل في عيد رأس السنة في الليلة السابقة ليوم أول السنة الجديدة، وكان النور يلعب دورًا هامًّا في هذا الاحتفال. والمتن الخاص بذلك مأخوذ من متون الأهرام ويحتوي بعض جمل نُقشت على جدران المقابر عند التحدث عن «النور اليومي»، ويُلاحَظ أنه في هذه المتون الأخيرة كما هي الحال هنا كانت تُعد الشعلة بمثابة «عين حور» التي تنير طريق الإله أو المتوفى أينما ذهب. وهاك نص التعويذة:

تعويذة لشعلة السنة الجديدة

> مرحبًا بك يا هذه الشعلة الجميلة «لآمون رع» رب عروش الأرضين، مرحبًا بك يا «عين حور» التي ترشد في طريق الظلمة، والتي تقود «آمون» رب عروش الأرضين في كل مكان ترغب فيه روحك عائشًا سرمديًّا … شعلة «آمون» رب عروش الأرضين وهي من الشحم الجديد ونسيج الغسال بمثابة هديتك، وإن والدك «جب» وأمك «نوت» و«أوزير» و«إزيس» و«ست» و«نفتيس» يغسلون وجهك ويمسحون دموعك ويفتحون فمك بأصابعهم اللامعة. وإنك قد أعطيت الأرض وحقول «يارو»[٢٩٤] ملكك في هذا … … الليلة يا مؤسس الشهر وسيد الشمس، وبذرة الآلهة الفتية … … وبذرة المطهرين الفتية أيضًا والنجوم التي لا تفنى (النجمة القطبية). وإن هذه الشعلة «لآمون» بمثابة هدية الملك من «ماعت رع» (سيتي الأوَّل).

ويُلاحَظ أن علاقة النصف الأخير من تعويذة شعلة عيد السنة الجديدة غامضة، أما أصلها في الأدب الجنازي فظاهر ويفسر كيف أن موقف «آمون» والموتى كان دائمًا مرتبكًا في الشعائر الدينية. وعلى الرغم من أن «آمون» قد عُرف بأنه مؤسس الشهر وسيد الشمس وبذرة الآلهة الفتية، فإنه لا يزال موعودًا بعناية وحفظ الآلهة كما كان يفعل للموتى عندما كانوا يدخلون عالم الذين رحلوا عن هذا العالم.

المشهد الثالث والخمسون

تعويذة لجعل الشعلة تبقى متقدة

يُشاهد في الصورة الفرعون راكعًا أمام «آمون» ورافعًا الشعلة تجاه الإله. وهاك نص التعويذة:

> إن هذه الشعلة تبقى مشتعلة «لآمون رع» سيد عروش الأرضين، كما يبقى اسم الإله «آنوم» رب الأرضين في «هليوبوليس»، وكما يبقى اسم الإله «شو» في «منست العليا» في «هليوبوليس»، وكما يبقى اسم الإلهة «تفنوت» في «منست السفلى» في «هليوبوليس»، وكما يبقى اسم «جب» روح الأرضين في «هليوبوليس»، وكما يبقى اسم الإلهة «نوت» في «حت شنيت» في «هليوبوليس»، وكما يبقى اسم «أوزير خنتي أمنتي» في «العرابة»، وكما يبقى اسم الإله «ست» صاحب «نبت» في «امبوس»، وكما يبقى اسم «تفنوت» في «حت» في «هليوبوليس»، وكما يبقى اسم «حور» في بلدة «ب»، وكما يبقى اسم «بوتو» في بلدة «دب» وكما يبقى اسم الإله «با» (الكبش) في «زددت» (منديس)، وكما يبقى اسم «تحوت» في «هرموبوليس» … … في القارب. وإنها لن تفنى (أي لن تُطفأ).

والظاهر أن هذه التعويذة كان الغرض منها أن تضمن عدم إطفاء الشعلة قبل أوانها عندما كانت تُستعمل؛ وذلك لأن مصر في معظم السنة تهب فيها رياح شديدة وبخاصة في الليل، وكانت قاعات المعبد الكبيرة وردهاته عرضة لتيارات هواء. والغرض من التعويذة قد لُخص في الجملة الأخيرة منها: «إنها لن تُطفأ عرضًا.»

المشهد الرابع والخمسون

تعويذة لإثارة البيت

يُرى الفرعون راكعًا أمام «آمون» وقابضًا في كل من يديه على شعلة. وهاك نص التعويذة:

إن هذا البيت قد أُضيء «بآمون» رب عروش الأرضين عندما تفتتح الشعلة سنة طيبة مع «رع» وعندما تحضر الليل مع «تحوت» (القمر)، وهي الشعلة المصنوعة من شحم أبيض ونسيج الغسال. إن هذا البيت قد أُنير «بآمون رع» فحل أمه عندما تفتتح سنة طيبة، وكذلك «ببتاح» رب حياة الأرضين عندما يفتتح سنة طيبة، وكذلك بالإله «تحوت» رب «هرموبوليس» عندما يفتتح سنة طيبة، وكذلك بالإلهة «موت» سيدة «إشرو» وسيدة الآلهة التي في «إبت-إسوت» (الكرنك) عندما تفتتح سنة طيبة، وكذلك بالملاك الحارس «عحع نفر» لبيته عندما يفتتح سنة طيبة، وكذلك بالإلهة «رننوت» (إلهة الحصاد) صاحبة هذا البيت عندما تفتتح سنة طيبة. إن جسم الملك «سيتي الأول» مملوء وغني بطعام عيدك.

ومما يلفت النظر هنا أن هذه العشيرة يقوم بأدائها آلهة مختلفون، فيُلاحَظ أنهم ليسوا مؤلفين من ثالوث طيبة وحسب، بل فضلًا عن «آمون» في صورتيه نجد الآلهة العظام «لهليوبوليس ومنف»، و«تحوت» الذي يلعب دورًا يأتي مباشرة في أهميته للإله «آمون» في خدمة المعبد، هذا إلى الإلهة «موت» زوج «آمون» وثعبانين حارسين للمعبد ولمخزن الغلال.

وعيد السنة الجديدة كان فرصة لإعادة تطهير المعبد وإهدائه من جديد على غرار عيد إهدائه عند إتمام بنائه: «إعطاء البيت لسيدة» وعندئذ كانت شعلة السنة الجديدة تلعب دورًا هامًّا، وإذا قرنا بين هذه الشعلة والشعلة التي جاء ذكرها في شروط الوقف بأسيوط نجد شبهًا كبيرًا (راجع الجزء الثالث). وقد كانت الشعلة بمثابة هدية الفرعون تجلب السنة الجديدة مع «رع» (الشمس)، وفي الليل مع «تحوت» (القمر). فالقمر كان يظهر في الليل عندما كانت الشعلة تضيء الظلمة.

المشهد الخامس والخمسون

تعويذة لتقديم التحيات بوساطة إناء «نمست»

وهذا المشهد يشبه سابقه رقم ١٧، ويجب ألا يُخلط بينه وبين شعيرة التطهير التي كانت تعمل بوساطة أربع أواني نمست وهذه الشعيرة كانت تُقام بمناسبة إحياء التمثال كما تحدثنا عن ذلك من قبل.

المشهد السابع والخمسون

تعويذة لعمل البخور للإلهة «موت»

يُشاهد الفرعون في هذا المنظر راكعًا أمام الإلهة «موت» التي صُوِّرت في صورة إنسان برأس لبؤة، وهي هنا موحدة مع الإلهة «سخمت» ربة القوة ويُقدم البخور بالوضع التقليدي. وقد عُنون هذا المنظر هكذا: عمل البخور لموت سيدة السماء ليصبح (الملك) معطى الحياة مثل «رع» كل يوم.

وهاك نص التعويذة:

> أشرقي في فخار يا أيتها «الواحدة الظاهرة» يا «بوتو» التي تسر بالظهور فيه (البخور) عالية. وإن التاسوع الأكبر والتاسوع الأصغر قد سروا بشذى عبيرها وسعدوا بما فعلته «عين حور» اللامعة. وإن الآلهة قد أتوا إلى الوجود من دموعها، والإله «آتوم» قد أُنعش في لحمها، وإن هذا البخور «لموت» بمثابة هدية للملك «من-ماعت-رع» بن «سيتي الأول» معطى الحياة والثبات والحظ السعيد مثل «رع».

ويلفت النظر في هذه التعويذة أنها تنسب إلى هذه الآلهة صيغة سماوية؛ أي إنها توحدها بالشمس. هذا بالإضافة إلى أن المتن يُعد تمجيدًا لهذه الآلهة عندما تظهر في عيدها النهري الذي كان يُحتفل به كل عام في الأقصر.

هذه نظرة عاجلة عن حياة الإله اليومية وما كان يُقام له من أحفال يومية، وقد حاولنا أن نقتصر ها هنا بقدر المستطاع تفاديًا من التفصيلات التي لا تهم إلا الأثري وحسب.

(١١-٣) عبادة الثور

تحدثنا فيما سبق عن الإله الذي كان يُمثل في الخشب والحجر وعن حياته اليومية والشعائر التي كانت تُقام لخدمته يوميًّا لإلباسه وإطعامه، والآن ننتقل إلى الكلام عن عبادة الحيوان في تلك الفترة، وبخاصة الثور في أشكاله المختلفة، ونخص بالذكر أولًا العجل «أبيس» (حب).

والواقع أن عبادة الثور كانت ظاهرة مشتركة في كل تاريخ الجنس البشري (راجع A. b. Cook Zeus Vol, I, Cambridgé). والسبب في وجود هذه العبادة ظاهر، وليس هناك ما يدعو إلى وجود أية علاقة ثقافية بين شعبين يعتنقان هذه الديانة في وقت واحد. فالثور يمثل الخصب من ناحيتين: فهو رمز للقوة الكريمة في نظر العقل البدائي وعلى ذلك أصبح موضوعًا للمنافسة، وهو كذلك من ينابيع الخصب الممتازة في الزراعة بوصفه سيد الماشية التي تنتج اللحم واللبن والزبد والجلد وبوصفه حارثًا للأرض؛ وبهذه الكيفية أصبح رمزًا للرياسة والملكية، ولا أدل على ذلك من أننا نرى الملك في مصر القديمة يوصف بالثور القوي كما تُطلق في اللغة العربية لفظة الثور على سيد القوم. وكذلك نجد أن الرؤساء في إقليم بحيرة «شاد» كانوا يُدفنون ملفوفين في جلد ثور، وأقدم مثال «يلفت النظر من الوجهة الدينية» للثيران عند قدماء المصريين يرجع إلى عصور ما قبل الأسرات في جهة «الحمامية» في المكان الذي حفرته مس «كيتون تمسون»؛ حيث وجدت أكوامًا من عظام الثيران مرتبة بنظام ورءوسها على قمتها، وبجوار هذه الجهة عثر المستر «برنطون» على مدفن حيوان يُحتمل أنه عجل ملفوف في حصيرة من عهد البداري. وتمثيل الملك بمثابة ثور على لوحة الملك «نعرمر» (مينا) العظيمة المصنوعة من الأردواز من الأشياء المعروفة تمامًا، وقد جاء ذكر العجل «أبيس» على حجر «بلرمو» ولذلك فلا بد أنه عُبد في زمن

الأسر الأولى، وقد ذكر «مانبتون» أن عبادته ترجع إلى الأسرة الثانية، والواقع أنه قد وُجد فعلًا في عهد الأسرة الأولى (Emery, The Tomb of Hemaka p. 40 & pl. 19 d.) ولدينا وثائق قليلة يرجع عهدها للدولة القديمة تحدثنا أن العجل «أبيس» كان يعيش وقتئذ في «منف» وأنه كان يُحتفل تكريمًا له منذ أقدم العهود بعيد سنوي كان له علاقة من وقت مبكر بالعيد الملكي. ولدينا برهان غير مباشر على أنه كان يُقام منذ الأسرة الأولى ويُفهم ذلك من تركيب اسم هذا العجل في أسماء الأسرة المالكة. والواقع أن اسم «أبيس» (حب) يدخل في تركيب اسم أم الملك «أثوتيس» التي تُدعى «خنت حب» (راجع Untersuchungen XIII, p. 14 Ott) وفي اسم أم الملك «زوسر» المسماة «ني ماعت حب». ولكن من جهة أخرى لا نعرف تفسير اسم «أبيس» على وجه التأكيد. والواقع أنه يوجد نوع من البط مشهور بقوته التناسلية، وقد كان المصريون يسمونه «حب» (راجع Sefhe, pyr 1313) وليس ببعيد أن يكون المصريون قد أطلقوا اسمه على العجل «أبيس» الذي كان يعجب القوم بقوته التناسيلة كما يفسر ذلك الأستاذ «زيته» (راجع Sitzungsber. Preus. Akad. Phil-hist kl 1934, 13). وهذا التفسير يمتاز بأنه يشرح لنا وجود رسم بطة بمثابة «مخصص» تتبع كثيرًا اسم ثور «منف». وقد كان للعجل «أبيس» كهنته الذين كانوا يُسمون في عهد الدولة القديمة عصيًّا أي مربين للعجل «أبيس». وفي عهد الأسرة الخامسة ذهب الملك «نوسر رع» في العيد الثلاثيني إلى محراب العجل «أبيس» مما يدل على وجود عبادة لهذا الحيوان في ذلك العهد، يُضاف إلى ذلك أن لدينا متنًا من بين متون الأهرام (راجع Sefhe, pyr 1998) يوحي بوجود جبانة (في العهود القديمة جدًّا) للعجل «أبيس» في «منف».

هذا كل ما نعلمه تقريبًا عن عبادة العجل «أبيس» في العصور الموغلة في القدم، ولكن منذ بداية الدولة الحديثة أصبحت الوثائق عن عبادة هذا الحيوان كثيرة ودقيقة بدرجة عظيمة. وأقدم مقابر معروفة للعجل «أبيس» يرجع عهدها للفرعون «أمنحتب الثالث» في منتصف الأسرة الثامنة

عشرة،[٢٩٥] وأحدث مقابر معروفة لدينا من نهاية عصر البطالمة؛ إذ الواقع أن جبانة العجل «أبيس» في العهد الروماني لم يُعثر عليها بعد على الرغم من أن عبادته كانت موجودة في عهد «جوليان» الكافر في عام ٣٦٢ ميلادية. وبين هذين العهدين — أي عهد «أمنحتب الثالث» ونهاية عهد البطالمة — كانت سلسلة مقابر هذا العجل تختفي من وقت لآخر. وقد كان لكل عجل قبره الخاص حتى عهد الأسرة التاسعة عشرة، وكان يعلوها مزاره الخاص. ومنذ عهد «رعمسيس الثاني» أُقيم مدفن عام وهو الذي كشف عنه «مريت» (راجع Prat. Ancient Egypt p. 362) وهو المعروف باسم السرابيوم (مصر القديمة الجزء الخامس)، وهو يحتوي على سلسلة دهاليز طويلة تحت الأرض قد حُفرت في جوانبها كوات لتكون مدافن. وكانت هذه الكوات تُسد بجدران بعد الدفن. وقد ثُبتت على الجدران الخارجية لهذه المدافن لوحات عدة بعضها ملكي وبعضها من وضع الأفراد، وهذه اللوحات تقدم للباحثين تواريخ ثمينة، والقليل منها يقدم معلومات عن عبادة العجل نفسه. ومع ذلك فإن هذا القليل مضافًا إلى قطعة من الشعائر الجنازية «لأبيس»، وكذلك ما رواه لنا المؤرخون الأقدمون ينير لنا الطريق بوجه عام في تتبع مجال حياة الثور المقدس في «منف». ولا يبتدئ تاريخ حياته عند ولادته بل عند بداية أعياد التتويج التي كان يُحتفل بها في «منف»، وكان يرأسها الكاهن الأكبر للإله «بتاح»، وكان العجل يزور أولًا محراب الإله «حعبي» (النيل) في جزيرة الروضة، وبعد ذلك يقلع إلى «منف» في الوقت الذي كان يبتدئ فيه طلوع القمر. أما العيد الحقيقي فكان يُحتفل به في «منف» نفسها عند اكتماله بدرًا. وكان هذا رمزًا لعهد جديد يُفتتح بحكم «أبيس» جديد. وبعد تتويج الثور كان يخرج من الباب الشرقي — أي الجهة التي تشرق منها الشمس — للمعبد ليظهر للناس، وبعد ذلك كان يُقتاد إلى معبده «الأبيون» (راجع Urk II, p, 186) الذي كان لا يخرج منه إلا ليشترك في الأحفال. وفي هذا المكان كان يتقبل تكريمات المخلصين له، وفي هذا المكان كان كذلك يدلي بالوحي عندما يُسأل. وعند موت العجل «أبيس» كان القوم يعتقدون أنه ذهب إلى السماء بروحه، أما جسمه فكان يُدفن على حسب

الشعائر الأوزيرية، فكان يبتدئ بوضع اللفائف والمسوح والتضميخ المعتادة عليه ثم يُوضع في تابوته الذي كان في بادئ الأمر يُصنع من الخشب ثم من الجرانيت في عهد «أحمس الثاني» من عهد الأسرة السادسة والعشرين. وبعد ذلك كانت تمر المومية بالباب الغربي — أي في الجهة التي كانت تغرب فيها الشمس — وتُحمل حتى «بحيرة الملوك» تصحبها نائحتان — إزيس ونفتيس — وكهنة إله النيل «حعبي»، وفي أثناء سياحة المومية على البحيرة كانت تُقرأ تسع شعائر أوزيرية الصيغة. وبعد تأدية الشعائر الجنازية التي كانت لا تستمر أقل من سبعين يومًا ينزل التابوت في مخدعه. وكان للعجل «أبيس» المتوفى مثل كل ميت أوزيري المذهب أوانٍ لأحشائه وتماثيله المجيبة وكانت تُمثل غالبًا برأس ثور وجسم إنسان.

وقد كان لكل «أبيس» قطيع من البقرات المقدسة يكرم نتاجها تكريمًا خاصًّا. وتدل شواهد الأحوال على أنه كان من النادر جدًّا أن يولد «أبيس» من «أبيس» آخر، بل في معظم الأحيان لم يكن هذا العجل من أصل منفى، وكان يُمثل حاملًا بين قرنيه قرص شمس محلى بصل. والعلامات التي كانت تميزه بأنه ثور مقدس كانت ظاهرة جدًّا؛ وهي مثلث أبيض على الجبين، وعلامة بيضاء في صورة هلال على كلا جانبيه، وصورة نسر على رقبته. وقد كان الثور «أبيس» في الأصل أسود اللون وفيه علامات بيضاء، وقد فُسرت هذه العلامات فيما بعد بأنها رموز الآلهة الذين كانوا يتقمصون «أبيس».

وكان العجل «أبيس» من الوجهة اللاهوتية يُعد إلهًا منتخبًا، كما كان يمثل القوة والإكثار، وهذه الصفة البدائية كما ذكرنا قد بقيت له على مر الأجيال، ولا أدل على ذلك من علاقته الوثيقة بالفيضان (راجع Otto Untersuchungen XIII, p. 25) من جهة، ومن جهة أخرى علاقته بالإله «أوزير» إله النبات. والواقع أنه يوجد سبب آخر كان يربط العجل «أبيس» ب «أوزير»؛ وذلك أنه كان في الحقيقة مثل البشر عرضة للموت، فكان يُدفن مثلهم أيضًا. وفي ذلك ما يكفي أن يجعله يُعد أوزيرًا. والظاهر أن البعض قد اعتقد في بادئ الأمر بوجود تمييز بين «أبيس-أوزير»

أي الثور الحي، و«أوزير-أبيس» أي الثور الميت، غير أن هذا التمييز الذي يشعر بوجود فرق بين الحيوان العائش والحيوان الميت كان قد نشأ عن عقيدة لم تلبث أن تُركت ظهريًّا بسرعة. ومع ذلك فإن الإغريق قد عادوا لوضع فرق بين «سرابيس» (أبيس الميت) «وأبيس» الحي، وبعبارة أخرى قد وضعوا تمييزًا بين «سرابيس» الذي يمثل تعدد الثيران المتوفاة و«أوزور أبيس» الذي يمثل كل فرد ميت من هذا الحيوان. والواقع أن توحيد «أبيس» بـ «أوزير أبيس» كان أصلًا لتقدم لاهوتي هام؛ وذلك أن «أبيس» بسبب أنه كان «أوزيرًا» قد أصبح بطبيعة الحال إلهًا جنازيًّا، فكان يحمل لقب «أول أهل الغرب» (خنتي إمنتي) أي الأموات، كما أنه يُوحد أحيانًا بالإله «سكر» — إله الموتى في منف — وكذلك كان يُعد إلهًا قمريًّا، فقد رأينا أن أعياد التتويج للعجل «أبيس» كانت تُقام عند اكتمال القمر، كما أن «أبيس» كان يحمل على جانبيه علامة بيضاء على هيئة هلال، هذا فضلًا عن أن القرص القمري قد حل في العهد الروماني محل القرص الشمسي بين قرني العجل «أبيس». وقد كان كذلك يوحد الثور «أبيس» بالإله «حور»؛ فقد ذكرت الأسطورة أنه عند فرار «إزيس» و«حور» من وجه «ست» كانا قد تحولا إلى البقرة «سخات حور» والثور «أبيس» (راجع Dumichen Oasen der libyschen Wuste pl. 6 and Brugsch A. Z. 17 (1879) p. 19) وكذلك كان الملك المتوفى يُوحد مع «أوزير»، وعلى ذلك فإن الثور «أبيس» الحي كان يصبح «حورًا» مع بقائه «أوزيرًا». وقد كان في مقدور المصري أن يقبل هذه الفكرة التي لا تتمشى مع المنطق السليم. ومن جهة أخرى كان الثور «أبيس» بطبيعة الحال ذا علاقة وثيقة «بحور» وكذلك بالملك كما يُشاهد في أعياد تتويجهما. فلما كان صاحب سلطان هكذا كان لزامًا أن يكون «حورًا»؛ لأن كل سلطان عند المصريين كان منبعه حور.

وإنه من الصعب جدًّا أن يفسر الإنسان العلاقات القديمة التي كانت بين «أبيس» والإله «بتاح». والظاهر أن «أبيس» كانت دائرة نفوذه تتفق مع دائرة نفوذ «بتاح» ولهذا السبب وحده أصبح

«أبيس» متصلًا بجاره القوي، على أن هذا الاتصال لا يمكن أن يكون إلا وضعيًّا. ويرجع السبب فيه بلا نزاع إلى كهنة الإله «بتاح» وكهنة أبيس الذين كانوا لا يرون في هذا إلا تحالفًا ينجم عنه فوائد تعود على «بتاح» ببعض ما «لأبيس» من شهرة وعلى «أبيس» الحي بعض ما «لبتاح» من فخار. وأهم لقب كان يحمله هذا العجل المقدس هو: «أبيس الحي» حاجب «بتاح»، والذي يجعل الحق يعلو حتى الإله صاحب الوجه الجميل — أي بتاح — وهذا اللقب قد يكون له علاقة بالدور الذي يلعبه الثور «أبيس» في الوحي. وقد كان يُسمى هذا الثور كذلك «روح بتاح». وعلى وجه خاص «ابن بتاح»، ومما يجدر ذكره هنا أن الثور «أبيس» كان له علاقات وثيقة بعض الشيء بالإله «آتوم» إله الشمس في «هليوبوليس». فهنا كذلك نلاحظ أن تقارب موطني هذين الإلهين وهما «منف» و«هليوبوليس» لا بد كان في الأصل منبع صلة حسنة بينهما، وعلى أية حال فإن الصيغة الجنازية التي يمثلها كل منهما متقاربة، فقد كان العجل «أبيس» مظهرًا «لأوزير» كما كان «آتوم» مظهرًا لإله الشمس عند الغروب، أي إن كليهما كان يمثل إله الحياة في الآخرة. وأخيرًا يمكن أن يُعد القرص الذي كان يحمله «أبيس» بين قرنيه بمثابة شاهد على صنعته الشمسية.

هذه هي الشخصية المركبة للإله الذي يسميه المصريون أحيانًا «أوزير – أبيس – آتوم – حور». وقد كان بلا نزاع يُعد بين الحيوانات المؤهلة في العصر التاريخي ومن أكثرها شهرة وأعظمها انتشارًا.

(أ) العجل «منفيس»

كانت «هليوبوليس» مدينة عبادة الشمس الشهيرة مركزًا لعبادة عجل مقدس آخر غير «أبيس». ولكنه كان مثله إلهًا قديمًا للنبات. والدور الذي لعبه هذا الإله في خلال التاريخ المصري في تقديم القربان برهان كافٍ لإثبات ذلك. وهذا الثور كان يُدعى «مر-ور» (منفيس) وقد ظهر هذا الاسم

للمرة الأولى في عهد العمارنة في زمن «إخناتون» غير أن شواهد الأحوال تدل على أن عبادته لا بد كانت أقدم من هذا العهد بكثير، وقد حرف اليونان اسمه إلى «منفيس»، ويُحتمل أن كلمة «مر-ور» كانت تُنطق «منوى» (راجع Sethe. Deutsche Mogenlandische Gesellschaft, 77 (1923) p. 191).

وهذا الثور كان لونه أسود يظهر على كل جسمه وذيله أشكال سنابل، وهذه كانت علاماته المميزة. وهذا الثور له رمز مقدس خاص وهو مقعد يعلوه رأس ثور أسود وهو الذي اختلط من زمن بعمود «هليوبوليس» المقدس لدرجة أن رأس الثور في غالب الأحيان لم يكن محمولًا على مقعد بل على العمود «إيون»، وقد كان العجل «منفيس» مثل العجل «أبيس» له قطيع مقدس، وكانت بقراته وعجوله تُدفن معه. ومما يؤسف له أن جبانة العجل «منفيس» لا يُعلم عنها شيء يُذكر؛ إذ لا نعرف منها إلا قبرين يرجع تاريخهما إلى عهد الرعامسة.[٢٩٦]

ومما وُجد فيهما نعلم أن الشعائر الدينية التي كانت تُقام له كانت ذات صبغة أوزيرية، وكان العجل «منفيس» من الوجهة اللاهوتية يتصل كلية بالإله العظيم «رع آتوم» رب «هليوبوليس». ويدل على ذلك صراحة لقبه الغالب عليه «حاجب رع»، ومن يجعل الحق يصعد حتى «آتوم»، وعبادته على وجه التقريب كانت مشابهة لعبادة «أبيس».

(ب) العجل «بوخيس»

كانت مدينة «أرمنت» تقدس نوعًا من الثيران منذ أقدم العهود، وسيظل موضوع شك إذا كان الفرعون «نخت حور حب» (نقطانب) قد عمل مجهودًا جديدًا لعبادة عجل «مدمود» باسمه الجديد «بوخيس» أو أن نفس هذا الفرعون قد جهزه بدفن جديد على غرار كل من العجل «أبيس» والعجل «منفيس» السالفين، وإذا كان الفرض الأخير هو الصحيح فما ذلك إلا لأن هذا الفرعون كان يريد أن ينال حظوة أهل الجنوب؛ إذ كان غريبًا عنهم. والواقع أن الفروق بين العجل

«بوخيس» من جهة، وبين العجلين «أبيس» و«منفيس» من جهة أخرى دقيقة جدًّا حتى إنه لا يمكن استنباط شيء منها، وسواء كان هناك عجل متقمص في «أرمنت» قبل حكم الفرعون «نخت حور نب» (نقطانب) أو لا فإن التغييرات التي حدثت في تقديسه كانت أساسية، حتى إنه أصبح من المسلم به أن نعدَّ عهد هذا الفرعون بداية تاريخ الثور «بوخيس».

وكان «بوخيس» يُنتخب من بين عجول متوسطة العمر على أن يكون فيه علامات تميزه عن الماشية الأخرى.

وهذا الثور لم يكن له في بادئ الأمر أية علاقة بالإله «منتو» الممثل في صورة صقر ومن أصل نجمي غير أنه كان قد اندمج منذ عهد مبكر في شخصية جاره القوي. فكانت عبادة «منتو» وكذلك عبادة «بوخيس» منتشرتين جنبًا لجنب في بعض جهات مقاطعة «طيبة» وبخاصة في «طود» و«المدمود»، وفي عهد متأخر كذلك في «الكرنك»، هذا إلى أنه كان يوجد محراب للعجل بالقرب من مدينة «هابو». على أن تتويج الثور «بوخيس» لم يُحتفل به منذ بداية «بطليموس السابع» في «طيبة»، غير أن الثور لم ينقطع عن سكنه في «أرمنت» التي لم يكن يتغيب عنها إلا لزيارة سنوية لمحاريبه الثلاثة الرئيسية، وكان يُدفن بعد موته في جبانة العجول العامة في «أرمنت» وهي التي تُسمى عند اليونان «بوخيوم». ولما أراد المصريون أن يظهروا التأثير الذي تركته العبادة «الهليوبوليتية» على عبادة «أرمنت» سموا هذه الجبانة «قصر آتوم»، وقد كُشف عنها حديثًا، وتحتوي على مقابر يتراوح تاريخها بين حكم «نقطانب الثاني» والإمبراطور «دقلديانوس» (راجع Mond. The Bucheum Vol. 3 Vol). أما المقابر التي هي أقدم من هذا العهد فليست معروفة، وقد قدم لنا معبد «البوخيوم» مثل «السرابيوم» عددًا عظيمًا من اللوحات تشمل معلومات تاريخية ثمينة، وكان الثور «بوخيس» يوحي بتكهنات في «المدمود». وقد وُجد فيها كذلك مسارح كانت تقوم فيها منازلات لم تصل إلينا عنها تفاصيل بكل أسف.

وكان الثور «بوخيس» أبيض اللون برأس أسود، ويحمل بين قرنيه قرص شمس يعلوه ريشتان، والواقع أن صبغة عجل «أرمنت» اللاهوتية مركبة جدًّا؛ فقد تأثرت عن طريق الإله «منتو» الذي يتصل صلة وثيقة بالإله «آمون» جاره في «طيبة» وكذلك بالإله «رع»؛ ونحن نعلم من جانبنا أن إله «أرمنت» كان قد تأثر بالمذهب الشمسي منذ زمن مبكر، وكان يُعبد باسم «منتو. رع»؛ وقد ذكرنا من قبل أن «البوخيوم» كانت تُسمى «قصر آتوم»، وكان الثور «بوخيس» نفسه يحمل ألقابًا هليوبوليتية، فكان يُسمى «روح رع»، وحاجبه. ولدينا حقائق كثيرة تؤهل ثور «أرمنت» ليكون بين دائرة آلهة «آمون» وبخاصة علاقات حسن الجوار التي كانت توجد بين «منتو» و«آمون» وكذلك صبغة الإله «آمون» بوصفه إله النبات والتناسل بعد أن وُحد بالإله «مين». وقد حاول رجال «اللاهوت» أن يضعوا علاقات بين «بوخيس» و«آمون» باعتبارهما أعضاء في جماعة ثمانية الآلهة، فأربعة آلهة كان يُسمى كل واحد منهم «منتو» في «أرمنت» و«طود» و«المدمود» و«الكرنك» على التوالي قد وُحدوا بأربعة الآلهة المذكورين في مجموعة الآلهة الثمانية. وقد كان «بوخيس» نفسه يُعد ابن «نون» (المحيط الأزلي). وقد وُحد هذا الإله كذلك بالإله «بتاح تاتنن» في دوره بوصفه ثعبانًا خالقًا للأرض ولكن من جهة أخرى كان يُعد ابنه؛ لأن «بتاح» كان يُعد كذلك والد الآلهة الأزلية. وكان «آمون» الأقصر يأتي كل عشرة أيام إلى «أرمنت» ويحمل لثور «منتو» الموحد بالآلهة الأزليين قربانًا، كما كان يحملها إلى محراب مجموعة ثمانية الآلهة الواقع على مقربة من مدينة «هابو» على أن هذه التخيلات التي لم يكن لها أي أثر على المعتقدات الشعبية تمثل لنا بصورة واضحة الحالة النفسية التي كانت سائدة في هذا العهد في دائرة رجال «اللاهوت» والمغلقة أمام العامة (راجع Otto Untersuchengen XIII, Leipzig 1938).

(ج) عبادة الكبش

ومن أهم الحيوانات المقدسة لدى المصريين التي لا تقل في انتشار عبادتها عن الثور الكبش الذي كان يُعبد في «منديس». ومما تجدر ملاحظته هنا أن اسم هذه البلدة بالمصرية «زدت» كان يشبه على وجه التقريب كتابة اسم بلدة «بوصير = زدو». وتدل شواهد الأحوال على أنه كانت توجد صلة قديمة بين هذين البلدين (راجع Kees Gotterglaube p. 165). وعلى أية حال فإن الإلهين «أوزير» و«الكبش» كانا قد وُحدا منذ الأزمان المبكرة، وهذا ما يؤكد العلاقة الموغلة في القدم بين البلدين اللذين كان يُعبد فيهما هذان الإلهان، والعمود الذي نجده يدخل في كتابة كل من اسم البلدين 𓊽 كان في بادئ الأمر رمزًا شمسيًّا كما يُفهم ذلك من بعض متون الأهرام (Kees Tohenglauban pp. 219, pyr L. 389 b).

وهذه الأحوال المختلفة يُحتمل أنها أصل لاتفاق كان لا بد أن يحتل مكانة ذات حظوة عظيمة في العصر المتأخر؛ فقد حُكي أن روحي «أوزير» و«رع» قد تقابلا في «منديس» وقد اتحدا سويًّا اتحادًا وثيقًا حتى إنهما أصبحا يؤلفان وحدة لا انفصام لها مظهرها «كبش منديس» (راجع Kees Totenglauben p. 220-1 and Gotterglauben p. 165).

وقد ذكر لنا «مانيتون» أن عبادة الكبش كانت معروفة في مصر كعبادة كل من العجلين «أبيس» و«منفيس» منذ بداية الأسرة الثانية، غير أن «مانيتون» على ما يظهر لم يكن لديه معلومات أكيدة عن هذا الموضوع كما ذكرنا ذلك من قبل، وعلى ذلك فإنه من الجائز أن عبادة الكبش ترجع إلى عهد ما قبل الأسرة الثانية بل وإلى ما قبل التاريخ، وعلى أية حال فإن بلدة «منديس» يظهر أنها كانت من أقدم محاريب الدلتا المقدسة، ويمكن عدُّها من بين المدن المقدسة التي كان يحج إليها الموكب الجنازي لملوك «بوتو» في تنقلاتهم الطويلة إلى مدن مصر المقدسة التي كان لزامًا عليهم أن يحجوا إليها قبل الدفن (راجع Junker, Mit. Kairo IX, p. 1–39).

والمعلومات التي لدينا عن كبش «منديس» على الرغم من أنها نادرة فإنها كافية لتوضح لنا أن النظام «اللاهوتي» الذي كانت تسير عليه عبادته كان كذلك مركبًا كنظام عبادة الثيران المقدسة في «منف» و«هليوبوليس» و«أرمنت».

والواقع أن هذه الحيوانات المقدَّسة على ما يظهر كانت تؤلف همزة وصل بين نظامين كل واحد منهما في أصله مختلف عن الآخر.

والاعتقاد الذي لا ريب فيه هو أن كهنة العصر المتأخر — وهم الذين كانوا يُعدون أساتذة في فن التوفيق بين الصفات المقدسة الإلهية لم يترددوا في أن يؤلفوا بكل جرأة على حسب القواعد التي تبيح اتصاف الآلهة بأوصاف واحدة في وقت واحد؛ أن يطبقوها بكل وسيلة تسمح بها عبادة الحيوانات المقدسة التي كانوا يعبدونها؛ فكان لا يوجد لديهم أي مانع في أن يتصف الكبش بكل الصفات التي كان يتصف بها أي ثور مقدس.

(١٢) السحر والحياة المصرية

ذكرنا في سياق الحديث عن المؤامرة التي حِيكت لاغتيال الفرعون «رعمسيس الثالث» أن السحر كان له شأن كبير في الوصول إلى تنفيذ هذه المكيدة التي باءت بالفشل؛ ولذلك آثرنا أن نذكر هنا شيئًا عن السحر في عقائد القوم في هذه الفترة وما قبلها من تاريخ مصر بعد أن تكلمنا عن الحياة الدينية.

والواقع أن الدين والسحر قد اختلطا اختلاطًا كبيرًا في عقائدهم حتى أصبح من الصعب الفصل بينهما في حياة المصري العادية كما سنوضح ذلك فيما يلي.

فنجد أن الإنسان قد اعترف بأنه في كل مكان وزمان كان محوطًا بقوًى خفية خارجة عن نطاق فهمه، ولم يكن في استطاعته أن يقاومها بما في متناوله من وسائل. وقد حاول أن يستميل هذه القوى بالتضرع تارة، وبالفن تارة أخرى. والواقع أن الدين والسحر هما وليدا هذا المجهود

الإنساني المزدوج، ولما كانا وليدي ضرورة واحدة بعينها أصبح من الطبيعي إذن أن يتقابلا في نقط عدة، فهما يُستعملان في غرض واحد؛ لأن الإنسان في حال بؤسه يلجأ غالبًا إما إلى السحر أو إلى الدين تضرعًا أو خيفة، رغبة أو رهبة.

وعلى ذلك فإنه من العبث أن نبحث فيما إذا كان السحر وليد الدين، أو الدين وليد السحر. فالاعتقادان قد ظهرا في وقت واحد أملاهما مظهر العالم والطبيعة. وعلى الرغم من أن الآلهة يُعدون أصحاب قوة عظيمة فإنهم كانوا يلجئون أحيانًا إلى الحيلة. وقد عرفنا من قبل أن الأساطير الإلهية كانت مفعمة بمشاهد سحرية، ومن ثم نلحظ كثيرًا ذلك التضامن الوثيق بين الدين والسحر وبخاصة في المعتقدات الجنازية؛ فقد كان مصير المتوفى الهلاك العاجل في عالم الآخرة المخيف الذي كان لزامًا عليه أن يخترقه إذا لم يكن تحت تصرفه الصيغ السحرية الثمينة التي كان يؤلفها له السحرة الماهرون. وإذا كان السحر أمرًا ضروريًّا لعالم الآخرة فإنه لم يكن أقل ضرورة في هذا العالم حيث الأخطار والآلام دائمًا متوفرة.

وهذا الدور الذي يلعبه السحر في الحياة اليومية هو ما سنحاول درسه هنا. فالسحر ينطوي على الاعتقاد في قوة خارقة للطبيعة تكون عادة منتشرة ولكنها قابلة في أحوال خاصة لأن تتركز في أشخاص معينين، أو أشياء خاصة. وقد كان المبدأ — على الأقل — أن دور الساحر هو أن يسيطر على هذه القوة، وبعد ذلك يستعملها لفائدته، أو لفائدة الآخرين. والساحر يصدر الأوامر لقوى الطبيعة، وهو لا يخشى الآلهة كما أنهم لا يخيفونه، فإنه لم يكن يصدر إليهم الأوامر فقط، بل كان في مقدوره تهديدهم. فمن أين أتت هذه الجرأة؟ والمعتقد أنه يشعر في أعماق نفسه أن في حوزته قوة كان لزامًا على الآلهة أنفسهم أن يخضعوا لها. وعلى أية حال فإنها كانت قوة يحافظ عليها جيدًا، وبها كان يكشف للناس عن الطبيعة وأسرارها. وقد كان يكمن في هذه القوة كل السر الخفي الذي كان يحيط به نفسه، ولكن الحقيقة كانت شيئًا آخر بالمرة. فالسر الخفي لم يكن إلا شيئًا ظاهرًا، والسحر — في الواقع — علم تجريبي قد انتظم في عدد معين من الرُّقَى كانت الصدفة

فيها هي العامل الأكبر، فقد كان أول ما يجب عمله هو ملاحظة ما يدور في العالم، وتدوين الأحوال الخارجية التي توجه الحادث إلى جانب السعادة، أو إلى جانب النحس. وقد كان يكفي أن يوجد الإنسان بين هذا أو ذاك علاقة السبب الفعال للحصول على عناصر رقية سحرية. والحادث الذي كان يريد الإنسان إثارته؛ يحدث لا محالة إذا أمكن أن يهيئ حوله الجو الذي كان يحيط به في المرة الأولى لحدوثه. والسحر — كما سبق — علم تجريبي ينمو بمضي الزمن عليه، والرقى الموغلة في القدم هي التي كانت تُعد أكثر تأثيرًا، فقد جُربت أكثر من غيرها على وجه عام. وقد كان السحرة كثيرًا ما يتفاخرون بقدم وصفاتهم السحرية التي كانوا يعرضونها على من يقصدهم، وهذه هي ناحية إذاعة السحر.

وكانت الوصفات التي حُصل عليها بهذه الكيفية في خلال القرون المتعاقبة تُجمع في كتاب، وكانت معرفة مثل هذه المجموعة ذات فائدة لا تُحصى، غير أنه ليس لدينا هنا إلا جزء من علم السحر. ولدينا فرع متصل بالدين مباشرة، فنحن نعلم أن الآلهة قد جربوا على الأرض معيشة تشبه كثيرًا معيشة الناس، وأنهم كانوا عرضة لنفس الأخطار التي تصيب بني البشر، غير أنهم تغلبوا على هذه الأخطار. ومن أجل ذلك يلجئون إليهم ليتغلبوا على الصعاب التي كانوا قد قهروها. وفي هذه الحالة كان الساحر يوحد قاصده بالإله الذي تغلب على نفس المشكلة من قبل، ويعمل على إبعاد الشيطان الرجيم عنه، وذلك بالإيحاء إليه بأن ليس أمامه إنسان عادي، بل الإله الجبار الذي أنزل به فيما مضى هزيمة ساحقة. وأخيرًا كان يمكن أن يوجد في مفعول الصيغ السحرية باستعمال أشياء خاصة مثل العصا السحرية والتماثيل الصغيرة المصنوعة من الشمع وبخاصة التعاويذ التي تقدمت تقدمًا عظيمًا في الوصول إلى الغاية المنشودة.

وقد كان المصريون — قبل أن يصبح علم السحر مركبًا ومعقدًا بازدياد الوصفات التي أتت عن طريق التجربة — يلجئون إلى السحرة، ولكن هل كان هؤلاء يُعدون أكثر استعدادًا من غيرهم ليستوعبوا وينقلوا الجاذبية السحرية؟ هذا جائز، غير أنهم كانوا يُعدون علماء على أية حال. فقد

كان يمارس صناعة السحر الكاهن المرتل، وكذا الطبيب، أي علماء مدربون على كتب قديمة. والواقع أنهم كانوا ينهلون علمهم من هذه المصادر التي كانت كافية فيما يبدو. ولم يكن من الضروري أن تتوفر لهم تلك القوة الخارقة للعادة التي كان المصريون يعتقدون بوجودها لديهم؛ لأنهم كانوا يعتمدون فيها على العلم إلى حد بعيد. وقد يبدو غريبًا أن يُرجع الإنسان القوة السحرية إلى علم لم يكن بد من أن يولد بدونه. غير أن مثل هذا الموقف الذي يبدو أنه غير منطقي لأول وهلة يمكن تفسيره بسهولة؛ إذ لا يغيب عن الذهن أن أعظم الآلهة قد أوجدوا في آخر الأمر بني البشر في هذا العالم، وأن المصريين ينظرون إليهم على أنهم مجتمع منظم وفق طبقات مختلفة يشتركون إلى جانب الأصل الإلهي وقوة الخلق؛ في تسلطهم على القوى الخارقة للطبيعة التي تحيطهم. وعلى ذلك يجد كل إنسان في نفسه قوة مستوعبة تسهل العمل السحري، وبعبارة أوضح كان الساحر مميزًا عن غيره من الناس، لا بطبيعته فقط بل بعلمه أيضًا، وقد كان الساحر قبل كل شيء عالمًا يعرف التعاويذ، وكان قادرًا بعلمه أن يوجد تيارًا بين قوى الطبيعة الخفية الخارقة في الصيغة السحرية وقوة الاستيعاب الطبيعية التي في الإنسان. وكان الإنسان يستعين بالسحر في مختلف أحوال الحياة؛ فحين يقف أمام صعوبة لا يمكنه التغلب عليها بالطرق الطبيعية كان يلجأ إلى تذليلها بطريقة سحرية. وسنضع أمام القارئ — بدون خوض في التفاصيل — التطبيقات الأكثر شيوعًا في هذا العلم.

(١٢-١) المحافظة على الجسم

من الطبيعي أن يخشى الإنسان المرض، ويسعى من أجل ذلك للمحافظة على نفسه منه، ويستعمل لذلك التعاويذ التي كانت من أهم الصناعات الرائجة في مصر القديمة، وبخاصة في العهد المتأخر من تاريخ البلاد، وقد كانت تُصنع من الخشب والبرنز ومن الفخار المطلي، ومن الهمتيت، ومن الكرنالين، ومن اليشب، ومن حجر الفلدسبات، ومن أحجار أخرى نصف كريمة. وقد كان بعضها خشن الصنع، وفي متناول الفقراء من المصريين، وكان البعض الآخر يُعد من القطع الفنية الدقيقة

التي كانت وقفًا على الأغنياء وعِلية القوم. وقد كانت كل هذه التعاويذ — مع ذلك — مفعمة في ظن القوم بقوة سحرية، وكانت كل واحدة منها تقوم بأداء دور معلوم، وبعضها يمثل علامات هيروغليفية تدل على صفات معنوية: كالحياة، والقوة، والسعادة، والبقاء، والثبات، والجمال … الخ. وهذه نعوت كان يستحب التمتع بها بنوع خاص. وبعضها تماثيل إلهية؛ وذلك لأن الآلهة في الواقع تملك قوة سحرية بالغة. وكان من المعتقد أن أشكالها تحتفظ ببعض هذه القوة الخارقة للطبيعة. وقد كان القوم يضعون هذه التعاويذ في القلائد والأساور وغيرها.

وأحيانًا يقوم حبل بسيط معقود سبع مرات — وبه لوحتان صغيرتان مكتوب عليهما صيغ سحرية — مقام قلادة من التعاويذ التي كانت تُوجد حول الجسم سائلًا واقيًا يحفظ المرضى — بدون شك — من الحوادث، بيد أنها لم تكن تمنعها. وعندما يحل بالإنسان الأذى كان الملجأ إلى القضاء عليه هو السحر.

وكثيرًا ما كان يختلط الطب بالسحر لما نلحظه من أن الدواء لم يكن يعدو بعض أوصاف سحرية. وكان «بيت الحياة» — يعني المدرسة — كلية للطب ومدرسة للسحرة في آنٍ واحد، كما كانت كتب الطب — ولا سيما في العهد المتأخر — تكاد تكون مجرد مجموعات ووصفات سحرية، وكان المرض غالبًا ما يُنسب إلى تأثير أشباح مؤذية؛ ولذلك كان المعتقد أن المريض يمكن أن يبرأ ويبتعد عنه شبح المرض بوساطة بعض الصيغ السحرية. وقد وضح هذا الاعتقاد بصورة ظاهرة في كتاب يرجع عهده إلى الدولة الوسطى جُمع فيه صيغ منوعة الغرض؛ منها وقاية الطفل من أخطار تحيط به، وكان الساحر يخاطب الأشباح المؤذية ويعمل على طردها بالرجاء مرة، وبالتهديد أخرى.

وكثيرًا ما كان الإنسان يخاف انتقام الموتى، هذا الخوف الذي كان سببًا في تلك الخطابات الغريبة التي كانت تُكتب للموتى في عهد الدولة الوسطى وتُوضع معهم في القبور. (راجع ,Gradeier

(Letters to the Dead).

وفيما عدا المرض كان يوجد خطر آخر يخشاه المصريون ويخافونه ويتهددهم في كل يوم؛ إذ كان يعرضهم للموت. وأعني بذلك الثعابين والعقارب والتماسيح. وقد كان السحر سلاحًا فعالًا لدرء هذا الخطر على الدوام، فيلجأ المصريون إلى الآلهة — عن طيب خاطر — لمقاومة هذا الخطر، لما كانوا يعتقدون من أن هؤلاء الآلهة حين عاشوا على الأرض كانوا عرضة لمثلها، فينبغي أن تأخذهم الرأفة بهؤلاء التعساء الذين حاق بهم الألم الذي ذاقوا مرارته من قبل.

ويتمثل أمامنا تأثير الأساطير الإلهية في الصيغ السحرية تدريجًا كلما أوغل الإنسان في العصر المتأخر من تاريخ البلاد. ويظهر ذلك التأثير بشكل واضح في متون نقوش اللوحات التي يطلق عليها «لوحات «حور» على التماسيح» (A. Z. 6 1868. P. 99–106).

وهناك فرق كبير بطبيعة الحال بين صيغ الأهرام الدينية القصيرة، وبين المتون الطويلة التي دُونت في العصر المتأخر على هذه اللوحات؛ وهذا دليل على تطور السحر. ففي الأزمان القديمة — كما يقول «موريه» — كانت القوة السحرية في الصيغة نفسها، وهي التي تسبب الشفاء. ولكن لم يعد للصيغة — فيما بعد — قيمة إلا أن تجذب بصورة سحرية حماية بعض الآلهة الذين كانوا يقومون بالدور الأصلي في المعجزة. وعلى ذلك فلم يكن إصدار الأوامر إليهم شيئًا مستساغًا؛ بل كان يحل محله الرجاء والتضرع بدلًا من التهديد. وهذا التطور يماثل ما رأيناه في الديانة الشعبية التي تحدثنا عنها فيما سبق (مصر القديمة ج٦). فقد رأينا أن الورع الشخصي قد سار في تقدم مطرد في عهد الدولة الحديثة؛ إذ نشاهد الإنسان قد أخذ يشعر بالتواكل على الإله باطراد، ونتج عن ذلك أن توجه إليه في ثقة، وتضرع إليه في كل الأحوال.

لقد كان لعواطف القلب دائمًا عند الرجل أهمية بالغة، ولقد برهنت حوادث عاطفية عدة على أن الحب قوة خفية متقلبة لا يمكن السيطرة عليها. والمظنون أن السحرة قد تفاخروا فيما بينهم في هذا

المضمار الذي اختفت فيه المجهودات الإنسانية المحضة. والطرق التي استعملوها لم تكن طرقًا مبتكرة؛ فجرعة الساحر الخاصة بالحب، وأحلام العشق، وتماثيل الشمع؛ هي في الواقع جزء من السحر العالمي. وسنتكلم عنها بشيء من الاختصار، فمن الجائز أنه كان يوجد عدد عظيم من جرعات شراب الحب، غير أن كل ساحر قد اعتقد أنه لا بد أن يكون لديه وصفته الخاصة به. ويمكننا أن نؤكد — على حسب بعض المعلومات التي وصلت إلينا حتى الآن — أن الخيال كان يلعب دورًا كبيرًا في تركيب الجرعات التي يتناولها المحب أو المحبوب، فنجد أن مما يصعب فهمه مثلًا: لماذا كان لدم بنصر اليد اليسرى، أو دم القراد المأخوذ من كلب أسود تأثير حسن جدًّا على المرأة التي يريد الإنسان أن يستميل قلبها؟! فإذا كانت هذه المرأة قد أحبت رجلًا آخر تعين على المرء قبل أن يستهويها لنفسه أن ينتزعها ممن تحب أولًا؛ ولهذا كان الساحر يستعمل تماثيل الشمع، فيجري أعمالًا سحرية على تماثيل صغيرة صُورت في شكل المنافس. فإذا حدث من مفعولها الشقاق والانفصال بين العاشقين صنعت — حينئذ — جرعة مزيج للحب، أو كُتبت بعض صيغ سحرية تحدث عند المرأة أحلامًا غرامية يظهر فيها العاشق في صورة خلابة تخضع المحبوبة لسلطانه، وتجعلها تهيم به. على أننا لا نعلم عن مقدار تأثير تلك الحيل سوى أنها كانت عظيمة الانتشار، عريقة في القدم في المتون المعروفة باسم «كتاب الطريقين» الذي تحدثنا عنه طويلًا في الجزء الثالث من مصر القديمة، فقد ذُكر فيه أن مجرد تلاوة صيغة بسيطة كان كافيًا لكي تقع المرأة في هوى قارئها.

وقد استعمل السحر من جهة أخرى لإشباع مطامع الشخص وطموحه، فالواقع أن الإنسان يجد أعمق لذة في حياته في إشباع مطامعه، وأحسن متعة في الوصول إلى مركز مرموق في المجتمع، ويعمل على الحرص عليه عندما يناله، ويجد في هذه الرغبة حافزًا عظيمًا لتنمية نشاطه، وسببًا من الأسباب الهامة للحياة الرغيدة. ولكن من المؤسف له أن ما يتصف به من صفات محمودة قد لا يكون موضع التقدير ممن يحيطون به، على أنه لا يوجد من يوقن بخروجه منتصرًا من معركة

الحياة القاسية، فيتغلب على مطامع مناهضيه الذين يكونون أحيانًا أقوياء. وليس الأمر في هذا الصراع خاصًّا بالتغلب على الشياطين الخفية، أو على حيوانات خطيرة، بل على صراع إنسان من البشر يعده — خطأ أو صوابًا —عدوًّا له. وفي مثل هذه الحالة يقدم السحر للرجل الذي يظن نفسه مضطهدًا مساعدة قوية عن طريق عمل تمثال سحري صغير من الشمع يلجأ إليه الإنسان في مثل هذه الأحوال. وهذه الطريقة السحرية تعتمد على القانون الذي يقول بأن بين الصورة وبين الإنسان الذي تمثله نوعًا من الاتصال النفسي Sympathy، وكان على الساحر — لكي يسيطر على العدو — أن يصنع له تمثالًا خشنًا من الشمع أو من الطين، ومن ثم يمكنه أن يتلو عليه بعض تعاويذ تجعله في حالة خضوع تام، وكان يكتب على هذه الصورة كذلك اسم العدو المفروض أنها تمثله، كما يكتب اسمي والديه حتى لا يكون هناك خطأ في الشخص المقصود. كان الاسم حقًّا يلعب دورًا هامًّا في السحر، فقد كان — كما يظن — يشمل شخصية الرجل، وفي مقدوره في حالات خاصة أن يحل بنفسه محل صورة سحرية. وكان الساحر رجلًا عالمًا بأسماء الرجال الذين يريد أن يصل إليهم، كما كان يعرف بخاصة الاسم الحقيقي لكل إله من الآلهة (راجع قصة هلاك الإنسانية في كتاب الأدب المصري القديم ج١) وفي هذا يكمن سر قوته وبطشه. ومهما يكن من أمر فإننا نجد — إذا رجعنا إلى الصور السحرية — أن استعمالها كان شائعًا في مصر القديمة عند جميع طبقات الشعب، ولم يكن الملك نفسه يترفع عن استعانتها على أعدائه، ففي «متحف برلين» كمية من الاستراكا المصنوعة من الفخار الأحمر كُتب عليها صيغ لعنات على كل أعداء ملك لم يُسمَّ، غير أن شواهد الأحوال تدل على أنه عاش في عهد الأسرة الثانية عشرة، وقد ذُكرت أسماء أعدائه الذين لم يكونوا من المصريين فحسب، بل كانوا من الآسيويين واللوبيين أيضًا (Sethe, Achtung). ولدينا كذلك من عهد الدولة الوسطى صيغ لعنة أخرى كُتبت بالمداد الأحمر على أشكال خشنة تمثل أسرى ركوعًا وأذرعتهم موثقة من خلاف، وتُعد هذه الأشكال أحدث — قليلًا — من استراكا «برلين»، وهي محفوظة بمتحفي «القاهرة» و«بروكسل» «ببلجيكا»، وقد نُقشت

كلها على نمط الكتابات التي على استراكا «برلين» وهي تمدنا — كالاستراكا — بمعلومات عن أجناس البشر، وبمعلومات أخرى جغرافية، وتظهر لنا إلى أي حد تطور فن صناعة الأشكال السحرية في هذا العهد.

ويبدو أن الساحر كان يتلو على هذه الأشكال صيغًا تجعل هؤلاء الأعداء عاجزين، لا حول لهم ولا قوة، وتُدفن بعد ذلك وفق شعيرة خاصة.

وقد وُجد بعض هذه الصور أحيانًا في توابيت صغيرة مصنوعة من الخشب. وكان الملك بموت أعدائه السحري يعتقد أنه قد تخلص من الخطر الدائم الذي كان يحيط به بسببهم. وقد بقيت هذه الطريقة مستعملة حتى نهاية التاريخ المصري. وفي العهد المتأخر كذلك كانت تُصنع صور تمثل أعداء الملك، ولكيلا تكون مؤذية كانت تُختم أعضاؤها ثم تُساق إلى العذاب بعد أن يُكتب اسم المعذب بكل عناية على البردية التي يُغطى بها الشكل، ويكتب عليها اسم والديه.

وقد كان المظنون أن المصري — كما يعتقد هو — محاط بقوًى سحرية؛ ولذلك كان ميالًا — بطبيعة الحال — إلى الاعتقاد في الخرافات، وقد حفظ لنا الأدب المصري البرهان على ذلك؛ إذ وصل إلينا تقويمات عن أيام السعد وأيام النحس في حياة القوم، لأن أيام السنة كانت تنقسم ثلاثة أقسام: الأيام السعيدة، وأيام النحس، والأيام المتوسطة بين السعد والنحس. على أن الخبرة في ذلك لم يكن للإرادة دخل فيها، وإنما كانت مبنية على حسب حوادث الأساطير الإلهية الهامة التي وُضعت طبقًا لترتيب تواريخها.

وكان على المصريين أن يرجعوا إلى هذا التقويم كلما أرادوا أن يقوموا بعمل، أو يقدموا على تجارة.

والتقويمات التي وصلت إلينا من العهد الفرعوني من أيام السعد وأيام النحس تنحصر فيما يأتي:

(١) ورقة من عهد الدولة الوسطى تُعرف «بورقة اللاهون» غير أن التقويم الموجود بها ينحصر في شهر واحد، وليس بها أي تفصيل (راجع Hieratic Papyri from Kahun pl. 25).

(٢) ورقة «ساليه» الرابعة: وعلى الرغم من أنها تنقص عدة أشهر من الأول ومن الآخر، وأنها محشوة بالأغلاط فإنها كانت — حتى زمن قريب جدًّا — المصدر الهام الذي يُعتمد عليه في هذا النوع من الوثائق (راجع Budge, Hieratic Papyri In the British Museum 2nd series pls. 88–111).

(٣) عُثر على بعض الاستراكا في «الدير البحري» ذُكر عليها بعض أيام من التقويم الكامل؛ مما يدل على أن للكاتب فائدة خاصة في هذه الأيام (راجع M. Malinine, Nouveaux Fragments du Calendier Egyptien des Jours Fastes et Jours Nefastes In Melanges Maspers 1, p. 879–898).

(٤) استراكون رقم (٤٦١٥): بمتحف «تورين»: وتذكر أعياد النصف الأول من الشهر الأول من السنة.

وقد بقيت معلوماتنا عن هذا التقويم ناقصة إلى أن كشف عن ورقة جديدة تامة لهذا التقويم يقوم بحلها وشرحها الآن «الدكتور عبد المحسن بكير» وقد كتب عنها ملخصًا نقتبس بعضه فيما يلي (A. S. XLVIII p. 426).

(١٢-٢) محتويات المتن الهامة

تحمل الورقة الجديدة عنوان بداية الخلود — بالنسبة للزمن — حتى نهاية السرمدية — بالنسبة للأبدية — وهي منظمة على غرار «ورقة ساليه الرابعة»؛ مما يدل على وجود طراز من التقويم في ذلك الوقت مستعمل نُسخ منه عدة صور. وقد كان الأساس الذي بُني عليه هذا الطراز من التقويم هو «السحر الجاذبي»؛ لأنه كان يُعتبر أن ما يجري في الحياة اليومية ليس سوى صدًى

مباشر لحوادث مماثلة حدثت في حياة الآلهة في نفس هذا اليوم. وبعبارة أخرى: كان لدى المصريين فكرة خيالية بمقتضاها كانت كل الحوادث التي وقعت في ماضي حياة الآلهة هي التي تحدد — في كل زمان ومكان — مستقبل بني البشر. وعلى ذلك فإن الثلاثمائة والستين يومًا قد ذكر كل منها بالإشارة إلى حادثة معينة في تاريخيدل ما لدينا من آثار هؤلاء الآلهة.

والورقة التي نلخص محتوياتها الآن ذات أهمية فريدة، لأنها تقدم تفسيرات مفصلة للحوادث الخرافية التي تحدد طبيعة ذلك اليوم. وهذا الأصل الخرافي يظهر أن للوثائق التي نتحدث عنها صبغة شعبية، وأنها لا تتصل بأية حال بالمعتقدات الدينية الرفيعة الخاصة بالمعابد العظيمة في مصر. وفضلًا عن ذلك فإن هذه الورقة لا تحتوي إلا على حلقة ضيقة من المعتقدات الدينية المصرية التي ترجع في أصلها إلى المذهب المنفى. أو المذهب الهليوبوليتي؛ مما يدل على أن التقاليد القديمة كانت لا تزال راسخة في عقول الشعب.

وما لدينا من المصادر الأخرى الخاصة بهذا الموضوع حتى الآن لا تحتوي على الآلهة إلا على «آمون» و«ثالوث طيبة»؛ مما يدل على أن هذه التقويمات ترجع إلى عهد موغل في القدم. فضلًا عن أن لغة الورقة ليست لغة الدولة الحديثة. وعلى ذلك نعلم أن أقدار أعضاء تاسوع «هليوبوليس» كانت هي العوامل الفاصلة التي تحقق لنا طبيعة كل يوم من أيام السنة. وسنذكر هنا بعض الأمثلة التي لم يكن من المستطاع استنباطها من ورقة «ساليه» الرابعة السالفة الذكر:

(١) العلاقة الخرافية الوثيقة التي وجدت فيما ذكرته الورقة، وقصة «حور» و«ست» وبخاصة حادثة العراك الذي نشب بين الإلهين، وتدل على أن «إزيس» كانت في جانب «حور» (راجع الأدب المصري القديم ج١).

والواقع أن تركيب جمل التقويم هو نفس تركيب جمل قصة «حور» و«ست» تقريبًا. كما جاء في ورقة «شستربيتي»؛ مما يدل على أنها كانت معلومة لأولئك الذين كانوا يستعملون التقويم.

(٢) ومن أوجه الشبه بين الورقة التي نحن بصددها وبين ورقة «شستربيتي» الخاصة بقصة «حور» و«ست» حادثة الإله «عنتي» ومعاملاته مع «إزيس». وهذا يؤكد التحريم الهام لاستعمال الذهب في بلدة «عنتي» في كل من الورقتين.

(٣) وصيغة المتن السحرية تظهر في العناوين التي صيغت على حسب عناوين صيغ المتون السحرية الأخرى المعروفة لنا في غير هذه الورقة. مثال ذلك (Vs, XVI. 2-3):

> يُتلى هذا على صورة «أوزير» وصورة «حور» وصورة «ست»، وصورة مؤنثة تمثل «إزيس» و«نفتيس» على شريط من الكتان معلق على رجل. وقد وُجدت مفيدة ألف ألف مرة.

كلمات تُتلى بعدها عندما تنتهي أيام النسيء الخمسة. راجع (Vs. XI, 2).

(٤) إن نوع النبوءات، أو التحذيرات التي ذكرت في الوثيقة تتمشى مع عقلية رجل الشارع، وهي من طراز أغرب مما جاء في ورقة «ساليه» الرابعة. مثال ذلك:

> (rt. VI, 9–11) (في يوم كذا) لا تحرق بخورًا للإله في هذا اليوم، ولا تستمع إلى الغناء أو تشاهد الرقص فيه.

وكذلك:

> (rt. XIII, 2-3) (في يوم كذا): لا تترك النور يسقط عليك حتى تغيب الشمس في أفقها.

وكذلك:

> (rt. IV, 11) … لا تنظر إلى ثور، ولا تنكح فيه — أي في هذا اليوم.

وأحيانًا نصادف نبوءات، مثال ذلك:

(rt. I, 6) … إذا شكا إنسان ألمًا في بطنه فإنه لن يعيش.

وكذلك:

(rt. III; 9) … … أيما إنسان وُلد في هذا اليوم فإنه سيموت بالتمساح.

أو كما جاء عن يوم آخر:

يموت في هذا اليوم بالعمى.

وكانوا يعتقدون كذلك أن الأحلام تطوف بهم لتقدم إليهم إرشادات ثمينة للمستقبل. ولا أدل على ذلك من قصة «يوسف»، وتفسيره للرؤيا معروف لا يحتاج إلى بيان.

ويرجع تاريخ الوثائق المصرية الخاصة بتفسير الأحلام إلى العصر الإغريقي — على وجه التقريب. ويوجد لهذا الفن — مع ذلك — مصادر منذ عهد الدولة الوسطى، وقد نقل عنها تلاميذ الدولة الحديثة، ولدينا من هذا العهد كتاب غريب نشره حديثًا الأستاذ «جاردنر»، وقد ذكر فيه سلسلة أحلام هامة مع تفسيرها. ومن المدهش أن نوع تفسير هذه الأحلام ينطبق على ما جاء في كتاب «تفسير الأحلام» لابن سيرين. ولا تزال هذه التفاسير شائعة في مصر حتى الآن.

ويُلاحَظ أن الأحلام السعيدة كانت تُسمى «أحلام أتباع «حور» إله الخير» والأحلام السيئة «أحلام أتباع «ست».» وقد كُتب هذا العنوان بالمداد الأحمر علامة على الشر (راجع Hieratic Papyrus in the British Museum Vol I, Text p. 9 ff.) أما الأحلام السعيدة فكانت تُكتب بالمداد العادي.

---

[١] راجع: Harris Pap. I, pl. 76-77 Br. A. R. IV §, 40 ff.

مختصر المصادر الإفرنجية

List of Abbreviations

A. J. S. L: “The American Journal of Semetic Languages and Literatures”. (Chicago, 1884–).

Albright: From the Stone Age Mo Christianity.

Am: Kundtzon, “Die El-Amarna Talflen”. (Leipzig, 1907–1915).

Arundale and Bonomi, “Gallery”: Arundale and Bonomi, “Gallary of Antiquites Selected from the British Museum”. (London).

A. S: “Annales du Service des Antiquities de l’Egypte”. (Cairo, 1901–).

A. Z: “Zeitschrift für Agyptische Sprache und Altertumskunde”. (Leipzig, 1863–).

Baikie, “History”: Baikie, “A History of Egypt”. (London, 1929).

B. A. S. O. R: “Bulletin of Schools of Oriental Research”. (South Hadly, Mass, 1919).

Bates: Oric, Bates: The Eastern Libyans.

Benson and Gourlay “Temple of Mut”: Benson and Gourlay, “The Temple of Mut in Asher”. (London, 1899).

B. I. F. A. O: “Bulletin de l’Institut Française d’Archeologie Orientale”. (Cairo, 1901–).

Birch, “Pottery”: Birch, “History of Ancient Pottery, Egyptian, Assyrian, Greek, Etruscan and Roman”. (London, 1858).

Bisson de la Roque "Medamoud": Bisson de la Roque, "Les Fouilles de Medamoud". (Cairo).

Boeser, "Leyden": Boeser and Holwerda, "Beschreibung der Aegyptischen Sammlung des Niederlandischen Reichmuseums der Altertumer in Leiden". (Copenhagen, 1908–1918).

Borchardt, "Statuen": Borchardt, "Statuen und Statuetten von Konigen und Privalueten". Catalogue General des Antiquities Egyptien du Musee du Caire, (Berlin, 1911–1925).

Breasted, A. R: Breasted, "Ancient Records of Egypt." (Chicago, 1906-7).

Brugsch, "Thesaurus": Brugsch, "Thesaurus Inscription um Aegyptiacarum". (Leipzig, 1883–1891).

Brugsh, "Recueil": Brugsch and Dumichen, "Recueil de Monuments Egyptiens". (Leipzig, 1865–1885).

Budge, "Guide": Budge, "A Guide to the Egyptian Collections in the British Museum". (London, 1909).

Budge, "Sculpture": Budge, "A Guide to the Egyptian Galleries (Sculpture)", (London, 1909).

Budge, "The Book of Kings": Budge, "The Book of the Kings of Ehypt". (London, 1908).

Budge, "History": Budge, "A History of Egypt from the End of the Neolithic Period to the Death of Cleopatra VII, B. C. 30". (London, 1902).

Champollion, "Notices": Champollion, "Notice Descriptive des Monuments Egyptiens du Musee Charles X." (Paris, 1827).

Davis, "Tomb of Hatschepsut": Davis, "Excavations at Biban el Moluk. The Tomb of Hatschepsut" (London, 1906).

Dumichen Historishe Inschpriften.

Erichsen: Papyrus Harris (Bibloitheque Aegyptiaca V).

Erman: Zur Erklarung des Papyrus Harris in Sitzungsb. Berlin, (1930).

Evans, "Palace of Minos": Evans, "The Palace of Minos at Knossos". (London, 1921).

Fraser Coll: Fraser, "A Catalogue of the Scarabs Belonging to G. Fraser". (London, 1900).

Gardiner: Admonitions of an Egyptian Sage.

Gardiner, "Onomastica": Gardiner, "Ancient Egyptian Onomastica" (Oxford, 1947).

Gardiner and Peet, "Sinai": Gardiner and Peet, "The Inscriptions of Sinai". (London, 1917).

Gauthier, "Dict. Geog": Gauthier, "Dicti,onnaire des Nom Geogradhiques Contenus dans les Textes Hieroglyphiqnes". (Cairo, 1925).

Grifith, "Kahun Papyri": Grifith, "Hieratic Papyri from Kahun and Gurob". (London, 1898).

Hall, “Catalogue of Scarabs”: Hall, “A Catalogue of Scarabs in the British Museum”. (London, 1913).

Hall, “Ancient History”: Hall, “The Ancient History of the Near East”. (London, 1920).

Hölscher: Wilhelm Hölscher: Libyer und Agypter.

J. E. A: “The Journal of Egyptian Archeology”. (London, 1914–1947).

J. P. O. S: “The Journal of the Palestine Oriental Society”. (1923–).

Keith, Seele: Coregency: The Goregency of Ramses II, With Seti I and the Date of the Great Hypastyle Hall at Karnak.

Helk: Hans Wolfgang Helk; Der Einfluss Militarfurhrer In der 18 Agyptischen Dynastie.

Historical Records: Historical Records of Ramses III.

Lanzone, “Cat. Turin”: Lanzone, “Catalogo generale dei Musei di antichita: Regio Museo di Torino”.

L. D: Lepsius, “Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien. (Berlin, 1894).

Legrain, “Stalues”: Legrain, “Statues of Statuettes de Rois et de Particuliers” Catalogue General des Antiquities Egyptiens du Musee du Caire. (Cairo, 1906–1914).

Legrain, “Repertoire”: Legrain, “Repertoire Geneologique et Onomastique du Musee Egyptien du Caire”. (Geneva, 1908).

Lepsius, “Auswahl”: Lepsius “Auswahl der wichtigsten Urkunden des agyptischen Altertums” (Leipzig, 1842).

Lepsius, “Letters”: Lepsius, “Letters from Egypt. Ethiopia and the Peninsula of Sinai”. (London, 1853).

Leiblien, “Dict. Noms”: Leiblien, “Dictionnaire des Noms Hieroglyphiques en Ordre Genealogique et Alphabetique”. (Christiania, 1871).

Lucas: Ancient Egyptian Materials & Industries.

Macailister, “Gerza”: Macailister, “The Excavation of Gerza”. (London, 1912).

Mariette, “Abydos”: Mariette “Catalogue General des Monuments d’Abydos Decouverts pendant les Fouilles de cette Ville”. (Paris, 1880).

Mariette, “Abydos II.”: Mariette, “Abydos. Description des Fotilles Executees sur l’Emplacment de cette Ville” (Paris, 1869–1880).

Mariette, “Monuments”: Mariette, “Monuments Dilers Recueilles en Egypt et en Nubie”. (Paris, 1889).

Maspero, “Bib. Egypt”: Maspero, “Bibliotheque Egyptologique”, OVII. (Paris, 1904).

Maspero, “Temple Immerges”: Maspero, “Les Temples Immergés de la Nubie Rapports relatifes à la Consolidation des Temples”. (Cairo, 1909–1911).

Maspero, "Guide": Maspero, "Guide du Visiteur au Muse du Caire". (Cairo, 1915).

Maspero, "Momies Royales": Maspero, "Les Momies Royales de Deir el Bahari". (Paris, 1889).

Maspero, "Melanges d'Arch": Maspero, "Melanges d'Archeologie Egyptien".

Massi, "Description": Massi, "Description des Musees de Sculpture Antique Greque et Romaine. Musée du Vatican". (Rome, 1891).

Mem. Miss. Franç: Memoires Publiés par les Membres de la mission Archeologiques Française au Caire.

Mercer, "Amarna": Mercer,"The Tell el Amarna Tablets". (Toronto, 1939).

Meyer, "Gesch": Meyer, "Geschichte des Altertums". (Stuttgart, 1928).

Meyer, "Hist. de l'Antiq.": Meyer, "Histoire de l'Antiquite". (Paris, 1912–1926).

M. M. A: "The Bulletin of the Metropolitan Museum of Art". (New York, 1909).

Môller: Die Agypter und ihre Libyscher Nachbarn.

Morgan (De), "Cat. Mon.": Morgan (De), "Catalogue des Monuments et Inscriptions de l'Egypte Antique". (Vienna, 1894–1909).

Murray, “Handbook”: Murray, “Handbook for Travellers in Egypt” (London, 1880).

Newberry, “Timins Collection”: Newberry, “The Timins Collection of Ancient Egyptian Scarabs and Cylinder Seals”. (London, 1907).

O. I. P: “The Chicago University. The Oriental Institute. The Oriental Institute Publications”. (Chicago, 1924–).

“Paintings”: Davies, “Paintings from the Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes”. (New York, 1935).

Petrie, “Scarabs”: Petrie, “Scarabs and Cylinders”. (London, 1917).

Petrie, “Six Temples”: Petrie, “Six Temples at Thebes, 1896”. (London, 1897).

Petrie, “Illahun”: Petrie, “Illahun, Kahun and Gurob”. (London, 1890).

Petrie, “Hist. Scarabs”: Petrie, “Historical Scarabs”. (London, 1927).

Petrie, “History”: Petrie, “A History of Egypt”. (London, 1927).

Petrie, “Season”: Petrie, “A Season in Egypt, 1887”. (London, 1888).

Petrie, “Kahun”: Petrie, “Kahun, Gurob and Hawara”. (London, 1890).

Petrie, “H. I. C”: Petrie, “Hyksos and Israelite Cities”. (London, 1906).

P, E. F. Q. S: “The Palastine Exploration Fund Quarterly Statement”. (London, 1869–).

Piehl, “Recueil”: Piehl, “Inscriptions Hieroglyphiques recueillies en Europe et en Egypt”. (Stockholm, 1886–1903).

Pierret. “Rec. d’Inscriptions”: Pierret, “Recueil d’Inscriptions Inedites du Musee Egyptien du Louvre”. (Paris, 1874–1878).

Porter and Moss, “Biblography I”: Porter and Moss, “Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Inscriptions, Texts, Reliefs and Paintings”, I. “The Theban Necropolis”. (Oxford, 1921).

Porter and Moss, “Bibliography II”: “The Theban Temples”. (Oxford, 1929).

Porter and Moss, “Bibliography III”: “Memphis” (Oxford, 1931).

Porter and Moss, “Bibliography IV”: Lower and Middle Egypt. (Oxford, 1934).

Porter and Moss, “Bibliography V”: “Upper Egyptian Sites”. (Oxford, 1937).

P. S. B. A: “The Proceedings of the Society of Biblical Archaeology”. (London, 1879–1918).

R. E. A: “Revue de l’Egypte Ancienne”. (Paris, 1929).

Rec. Trav: “Recueil de Travaux Relatifs à la Philologie et à l’Archeologie Egyptiennes et Assyriennes”. (Paris, 1870–1923).

Rev d’Arch: “Revue d’Archeologie”.

Rouge (De), “Monuments”: Rouge (De), “Notice des Monuments Exposés dans la Galerie d’Antiquties Egyptiennes au Musee du Louvre. (Paris, 1885).

S. A. O. C: “Chicago University. The Oriental Institute. Studies in Oriental Civilization”. (Chicago, 1931–).

Schaedel: Schaedel Die Listen des Grossen Papyrus Harris Ihre Wirtschatlichen und Politischen und ausdeutung.

Schafer, “Aeg. Insch. Berlin”: Schafer, “Aegyptische Inschriften aus den Koniglichen Museen zu Berlin”. (Leipzig, 1924).

Schiaparelli, “Catalogue”: Schiaparelli, “Catalogo Generale dei Musei di Antichita di Firenze”. (Rome, 1887).

Sethe, “Untersuchungen”: Sethe, “Untersuchungen zu Geschichte und Altertumskunde Aegyptens”. (Leipzig, 1896–1917).

Sethe, “Urkunden IV, or Urk. IV”: Sethe, “Urkunden des Agyptischen Altertums”. (Leipzig, 1906–1914).

Sethe, “Pyramidentexte”: Sethe, “Die Altagyptischen Pyramidentexte”. (Leipzig, 1908–1922).

Sethe, “Achtung”: Sethe, “Die Achtung feindlicher Fursten Volker und Ding auf altagyptischen Tongeffasscherben des Mittlereu Reiches”. (Preussische Akademie der Wissenschaften Philos-Hist. Klass, 1926).

Struve: Ort des Herkunft und zwick des Harris papyrus in Aegyptens 1926.

W. B: Erman and Grapow, “Wôrterbuck der Aegyptischen Sprache”. (Leipzig, 1925)

Weigall, “Guide”: Weigall, ”A Guide to the Antiquities of Upper Egypt”. (London, 1913).

Weigall, “History”: Weigall, “A History of the Pharaohs”. (London, 1925).

Weigall, “Lower Nubia”: Weigall, “A Report on the Antiquities of Lower Nubiain 1906–1987”. (Oxford, 1907).

Weil, “Veziere”: Weil, “Die Veziere des Pharaonenreiches”. (Leipzig, 1908).

Wiedemann, “Geschichte”: Wiedemann, “Agyptische Geschichte”. (Gotha, 1884).

Wiedemann, “Kleinere Agypt. Insc.”: Wiedemann, “Kleinere Inschriften aus der XIII–XIV Dynasie”. (Bonn, 1891).

Wilkinson, “Thebes”: Wilkinson, “Topography of Thebes and General View of Egypt”. (London, 1835).

Winlock, “Dier el Bahri”: Winlock, “Excavations at Dier el Bahri”. (1943).

Wreszinski, “Atlas”: Wreszinski, “Atlas zur Altagyptishen Kulturgeschichte”. (Leipzig, 1923–1936).

W. D. V. O. G: “Deutsche Orient-Gesellschaft, Berlin Wissenschaftliche Verofentlichungen”. (Leipzig, 1900–).